

مجلة دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

مجلة دراسات في التاريخ والآثار - جامعة بغداد - كلية الآداب - بغداد

العدد (٩٦) لشهر نيسان لسنة ٢٠٢٥

ISSN:2075-3047

الترقيم الدولي :

البريد الالكتروني : jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

مجلة دراسات في التاريخ والآثار – جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد

العدد (٩٦) لشهر نيسان لسنة ٢٠٢٥

عدد الصفحات : ٧١٨ صفحة

تصميم واخراج

علاء صالح الجراح



دار ومكتبة كل كالمش للطباعة والنشر

بغداد – باب المعظم – شارع المكاتب

07729093707 – 07736558370

ola.algarah88@gmail.com

رئيس التحرير : أ.د. باسمه جليل عبد المعموري

مدير التحرير : أ.م.د. احمد ناطق ابراهيم

اعضاء هيئة التحرير

أ.د. عادل شابث جابر	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. محمود عبد الواحد محمود	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. قصي صبحي عباس	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. وسن سعيد عبود	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. سجي مؤيد عبد اللطيف	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. ميثم عبد الكاظم جواد	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. اوسام بحر جرك	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. صلاح الدين محسن زاير	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. فاروق محمد علي	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. بشرى عناد محمد	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. ماجدة حسو منصور	كلية التربية / جامعة المستنصرية
أ.د. فاضل مهدي بيّات	تركيّا منظّمة ارسـيكا
أ.د. حسين القهـواني	الادرن /الجامعة الاردنية
أ.د. مارجرتنا فان أيس	المانيا/ معهد الاثار الالماني
أ.د. والتر زالايرجر	المانيا/ جامعة ميونخ
أ.د. بيتر ميكلوس	المانيا/ جامعة هايـدلبـر

مدقق اللغة العربية: م.د. سهاد مازن فائق

مدقق اللغة الانكليزية: م.د. علياء عبد الحسين ناصر

شروط النشر في المجلة

١. ان تتضمن الصفحة الاولى من البحث ما يأتي:
 - أ. عنوان البحث باللغتين الانجليزية والعربية.
 - ب. اسم الباحث باللغتين الانجليزية والعربية ، وشهادته العلمية ، ومؤهلاته، وتخصصه العلمي ومكان عمله.
 - ج. البريد الالكتروني الرسمي للباحث ورقم الهاتف.
 - د. ملخصان احدهما باللغة العربية والاخر باللغة الانجليزية وحجم الخط (١٢) .
 - هـ. الكلمات المفتاحية (الدالة) للبحث باللغتين العربية والانجليزية.
٢. ان يتم طباعة البحث بواسطة الكمبيوتر باستخدام Microsoft Office Word 2010 ان يتم تزويد هيئة التحرير بنسخة الكترونية من البحث بوصفه مجلداً واحداً فقط ؛ ولا يمكن تقسيم البحث على اكثر من مجلد.
٣. ضرورة توثيق متن البحث بالمراجع (الاقتباسات) على وفق نظام (APA)
٤. ان لا يزيد عدد صفحات البحث عن ٢٥ صفحة حجم (A4).
٥. على الباحث دفع رسوم النشر المحددة.
٦. ان يكون البحث خالياً من الاخطاء اللغوية والنحوية والكتابية.
٧. يجب ان تتم طباعة البحث باستخدام برنامج Microsoft Office Word 2010 ووضع المخططات والاشكال ان وجدت في المكان المناسب للبحث وان تكون جيدة من الناحية الفنية للطباعة. وان لا يتم تضمين الرموز في داخل البحث.

٨. ان يلزم الباحث بانواع واحجام الخطوط كما ياتي:
- أ. العربية (Simplified Arabic) حجم الخط (١٤).
- ب. اللغة الانجليزية (Times New Roman) حجم الخط (١٦)
الملخص خط (١٢) . يجب ان تكون جميع صفحات البحث
الاخري الخط (١٤) .
- ج. استخدام معالج النصوص في داخل البرنامج Microsoft
Office Word.
٩. اخطار الباحث المجلة اذا لم يكن البحث مناسباً للنشر في مدة
لاتزيد عن شهرين من وقت وصله الى المجلة.
١٠. يلتزم الباحث بالتعديلات التي يقوم بها الخبراء في البحث على وفق
التقارير المرسله اليه . ويجب اجراؤها في مدة لاتتجاوز (١٥) يوم.
١١. تضاف قائمة اخرى للمصادر مترجمة للغة الاتينية غير مرقمة على
وفق نظام (APA) ومرتبة ترتيبياً ابجدياً .
١٢. ملء الاستمارة الخاصة بـ (اتفاقية التلخيص لحقوق الطبع
والنشر) والخاصة بمجلة دراسات في التاريخ والاثار.
١٣. التقديم يكون عبر الموقع الالكتروني للمجلة :
jasha@coat.uobaghdad.edu.iq بعد التسجيل في الموقع
ثم رفع طلب للنشر.

- لاتنشر البحوث التي لا تطبق هذه الفقرات.

رئيس التحرير

فهرس العدد (٩٦)

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١.	بين التحول والبعث في اساطير بلاد وادي الرافدين	م. ختام عدنان علي	٢٦-٣
٢.	دورو مكانة الإله خالدي في حضارة ومملكة أورارتو	م.م. خيرية عبد حمد	٤٨-٢٧
٣.	الدكتور سندر سن وجهوده في فكرة استحداث وتأسيس كلية الطب الملكية العراقية ١٩٢٧	مهدي عبد الحسين عطية أ.د. صباح مهدي رميض	٧٠-٤٩
٤.	الملابس والزينة السائدة في العهد النبوي في ضوء مسند الحميدي	محمد احمد عبد أ.د. زكية حسن ابراهيم	١٠٠-٧١
٥.	الاسهامات الفقهية لبني عقامة باليمن من القرن (٥-١١هـ/ ١٣-١١م)	كاظم جواد كاظم أ.د. وسن سمين محمد امين	١٢٦-١٠١
٦.	التعليم في عهد المملكة الأفغانية الحديثة (١٩٠٤-١٩٧٣)	أ.د. مي فاضل مجيد الربيعي	١٥٢-١٢٧
٧.	النظام البرلماني العراقي في العهد الملكي (١٩٢١-١٩٥٨)	م.د. رحيم خلف كاظم الشرع	١٨٠-١٥٣
٨.	تلال الفردوس في مصر القديمة	يوسف ابراهيم عباس سلمان أ.م.د. بشرى عناد محمد الخليلي	٢١٦-١٨١
٩.	ازدهار الحركة العمرانية في عهد الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله ٥٦٦-٥٧٥هـ/ ١١٧٠-١١٨٠م	هشام علي عباس أ.د. عثمان عبد العزيز صالح	٢٣٨-٢١٧
١٠.	عبد الله بن أسعد الياضي (ت ٧٦٨هـ) وكتابه مرآة الجنان وعبرة اليقظان	بشرى أحمد جواد عبد الحليم جلعوط أ.د. عثمان عبد العزيز صالح	٢٦٨-٢٣٩
١١.	التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احو دامه أنموذجاً/ دراسة تاريخية تحليلية ق ٥- ق ١٤ الميلادي	أ.م.د رائد رحيم خضير أ.د. غسان عبد صالح	٣١٤-٢٦٩
١٢.	الزخارف الحيوانية والمركبة في السجاد الاسلامي	أ.م.د. سيماء السعدي أ.د. حميد الياسري	٣٥٤-٣١٥
١٣.	النشاط الاقتصادي لعناصر السكان في العصر الفاطمي اهل الذمة أنموذجاً	أ.م.د. د. مصرية تعبان مهدي	٣٨٤-٣٥٥
١٤.	قضية ال (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "	م.د. عمار رشيد جبوري	٤١٢-٣٨٥

٤٣٢-٤١٣	أفاق محمد حسين حبيب أ.م.د. رويدة فيصل موسى	١٥. التأثيرات الهلنستية في الفنون الحضريّة
٤٥٤-٤٣٣	تماره كريم صالح عبدالله د. عبدالله حميد العتاي	١٦. منهجية الدكتور أشرف مؤنس في كتابة التاريخ
٤٨٠-٤٥٥	م.د. سجاد عبد المنعم مصطفى	١٧. المحاولات الصهيونية لعرقلة التسليح السعودي (صفقة طائرات اف ١٥ عام ١٩٧٧-١٩٧٨ انموذجا)
٥١٠-٤٨١	أ.م.د. علاء عباس نعمة الصافي	١٨. التطورات الاقتصادية وخطط التنمية في جمهورية كوريا (١٩٦١-١٩٨١)
٥٣٤-٥١١	أ.د. عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي	١٩. الصراع بين الاسلام السياسي والشيوعية في العراق ١٩٥٤-١٩٦٣
٥٧٦-٥٣٥	أ.م.د. مأمون شاكرا إسماعيل	٢٠. روبرت لانسينغ ونشاطه القانوني والفكري في الولايات المتحدة الأميركية حتى عام ١٩١٤
٦٠٠-٥٧٧	محمد عبد الوهاب حسين أ.د. وسن سعيد عبود	٢١. المؤتمر التربوي الاول في العراق (٩-١٥ نيسان ١٩٣٢)
٦٢٦-٦٠١	م.د. ناظم عواد محييميد الدليمي	٢٢. جهود الدولة المرباطية في تطور النواحي العمرانية والاقتصادية في المغرب الاسلامي (٤٤٨_٥٤١هـ/١٠٥٦_١١٤٧م)
٦٤٨-٦٢٧	وسام سعدي مصطفى أ.د. زين العابدين موسى جعفر	٢٣. آلات الحرف والمهن من الصناعات الميكانيكية (دراسة أثرية في المصورات الإسلامية)
٦٧٠-٦٤٩	عادل فائق رشيد محمد أ.د. قصي صبحي عباس الجميلي	٢٤. التوكيز، أقدم أدوات للعد والحساب
٦٨٢-٦٧١	م.د. اسراء فرج لفته	٢٥. العرافة في بلاد الرافدين: دراسة من خلال وثائق ارشيف ماري
٧١٠-٦٨٣	أ.م.د. منتصر صالح كاظم	٢٦. إشكاليات التسمية بين المسجد والجامع في العمارة الإسلامية

بين التحول والبعث
في اساطير بلاد وادي الرافدين

م. ختام عدنان علي

07710613941

ahala4220@gmail.com

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب / قسم التاريخ

بين التحول والبعث في اساطير بلاد وادي الرافدين

م. ختام عدنان علي

الملخص

يتطرق موضوع البحث هذا الى دراسة حول موضوع فائق الأهمية شغل الانسان في مختلف بقاع الأرض منذ ان بدأ ينظر الى ما حوله محاولاً إيجاد تفسير للكون المحيط به والتعرف عليه وبشكل خاص بعد ان شهد الانسان موت الطبيعة وبعثها في توالي الفصول ومن ثم الاصطدام بموت الانسان فأخذ يسأل ويتساءل محاولاً الإجابة عليها ، مفرقاً بين موت الالهة وموت البشر .

الكلمات المفتاحية : (كوما - ادابا - ننكشزيدا)

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Al-Mustansiriya University

College of Arts / Department of History

Between Transformation and Resurrection in the Myths of the
Land of the Two Rivers

Keywords (Kuma - Adaba - Nenkshzida)

M. Khatam Adnan Ali

٠٧٧١٠٦١٣٩٤١

ahala4220@gmail.com

Abstract

This research topic addresses a study on a subject of great importance that has occupied humanity in various parts of the world since he began to look around him 'trying to find an explanation for the universe surrounding him and to understand it 'especially after witnessing the death of nature and its resurrection with the changing of the seasons 'and then confronting the death of humans 'prompting him to ask and question 'attempting to answer them 'distinguishing between the death of gods and the death of humans.

انطلاقاً من موضوع البحث الموازي في رمزيته لموت الطبيعة وبعثها تطرقت الى عدة نماذج منها اساطير حول الآلهة ومنها حول البشر وأيضاً من خلال الاحلام عارضة ما هو في العالم السفلي مع تطور المعتقدات المؤدية الى مفهوم بعث الأرواح والحساب الذي يلتقي مع الثواب والعقاب تنفيذا للعدالة الإلهية في العالم الأسفل .

ومن هنا يقدم البحث عدة مواضيع منها، حلم الأمير الاشوري مفصلاً ما راه في العالم الأسفل وأيضاً قصة ادايا الحكيم وغيرها تلقي الضوء على التحول والبعث ما بين العالمين العلوي والسفلي .

التمهيد

في ضوء دراسة موضوع بين التحول والبعث في اساطير بلاد وادي الرافدين هنا قمنا بألقاء الضوء على احد الجوانب المهمة في المعتقدات الدينية في العراق القديم . حيث تبين إن الموت في عقيدة السومريين لم يكن يعني الفناء المطلق للإنسان وانما هو عبارة عن انفصال الروح عن الجسد والانتقال الى مرحلة اخرى من الوجود ، كما ظهر ذلك واضحاً من خلال اسطورة حلم الأمير الاشوري كوما واسطورة نزول الاله مردوخ الى العالم الأسفل وقصة ادايا ونزول عشتار الى العالم السفلي وغيرها الكثير من الاساطير ، اذ نرى لنزول الآلهة الى العالم الاسفل وغيابها عن الارض اثره العظيم في الاحياء وهي الآلهة الخاصة بالخصب والحب والزواج فبطلت جميع عمليات التناسل والاختصاص، والآلهة أخرى اخذت بالقوة الى العالم الأسفل مما أدى الى موت الهة النبات ،فضلاً عن اختفاء الهة في بداية السنة الجديدة كان تجسيدا لفترة انتقال حالة الكون من مقادير سنة سابقة الى مقادير سنة قادمة بما يمثله من فترة الانتقال تلك من تداخل في المصائر واضطراب في الكون، كل تلك الاساطير وغيرها كانت تعمل على محاكاة تلك الظواهر من اجل ضمان الخصب والتكاثر والرخاء والنماء في الطبيعة سواء ما يتعلق بالانسان او الحيوان او النبات الى غير ذلك من مسببات الخير في المجتمع .

رؤيا الأمير الاشوري كوما (Koumma) والعالم الأسفل

عثر على رقيم طيني في مدينة اشور، يؤرخ الى أواسط القرن السابع قبل الميلاد ، يدور حول احد الامراء الاشوريين المدعو كوما او "كمايا " او "كما " ^(١) اطلق على نفسه اسما مستعاراً تختفي وراءه الشخصية الحقيقية للمؤلف وفيها إشارات غير مباشرة الى الملكين الاشوريين سنحاريب (Sennacherib ٧٠٤-٦١٨ ق.م) واسر حدون (Esarhaddon ٦٨٠-٦٦٩ ق.م) ، مكتوبة على لوحة واحدة تحمل على وجهيها (٧٥ سطراً ، تدور احداثها حول رغبة هذا الأمير برؤية العالم الأسفل ^(٢) .

وتحققت رغبته من خلال الإشارة الى رؤيته ذلك العالم في منامه واصفا الآهة وعفاريت وشياطين العالم الأسفل حيث يذكر، ((شاهدت " نمتار (Namtar) وزير العالم الأسفل الذي يحدد الاقدار وشاهدت رجلا يقف امامه ، وكان يمسك شعر راسه بيساره بينما يمسك في يمينه سيفاً وكان ل "نمتارتو" قرينه ،له راس " كوريبو" ^(٣) ويدين ورجلين بشريتين ولله الموت راس التنين ، وكانت يداه مثل البشر له راس البشر وايديهم ، وكان لباس راسه تاجاً وارجله مثل ارجل طائر وهو يدووس بقدمه اليسرى على تمساح اما " الوخابو" فكان له راس اسد ، واربع ايدي واقدام بشرية و نصير الشر راس طير ، وكانت اجنحته مبسوطة وهو يطير ذهاباً وإياباً، وله ايدي واقدام بشرية ، وكان له "خمط - تبال" ملاح العالم الأسفل رأس مثل رأس الطائر انزو (Enzu) اربع ايدي واقدم بشرية، وكان له اوتوكو (Otoko) الشرير راس اسد ويده وقدماه مثلما هي عند طائر انزو. اما " شلاك "او "شولاك" (Shulak) الذي وصف بأنه على هيئة اسد منتصب على اطرافه الخلفية ، اما ماميتو (Mamitto) كان لها راس عنزة وايدي واقدام بشرية ، وحاجب العالم الأسفل نيدو (Nidu)" له راس اسد وايدي بشر وارجل طير(وكل ماهو شر) له راسان احدهما لاسد والاخر....(هنا النص مخروم) ^(٤) .

ويسترسل النص في وصف ذلك العالم ((والهان لاعرف اسميهما لاحدهما راس وايدي واقدام طائر انزو ، والاخر فله راس بشر يعلو تاج وهو يحمل في يمينه صولجاناً وفي يساره ... لقد كان مجموع الحاضرين خمسة عشر إلهاً ، حينما رايتهم تضرعت لهم)) ^(٥)

ومن ثم يكمل وصفه ((هناك رجل اسود الجسد كالقير ووجهه كوجه طائر انزو مرتديا عباءة حمراء ويحمل قوسا في يساره ويسمك سيفا في يمينه وهو يدوس بقدمه اليسرى على افعى ، عندما حركت عيني رايت الاله الباسل " نركال " جالسا على عرش ملكي معتمرا تاج الملوكية وهو يمسك بكلتا يديه صولجان الغضب كنت خائفا ، ذراعيه كالبرق وامضا وقد وقف الانوناكي الالهة العظيمة بقوس الى اليمين والى الشمال ، والعالم الأسفل ممتلئاً بالرعب ، وامام امير يسود الهدوء التام اخذني من ناصيتي وجرتني اليه ، حينما تطلعت اليه ارتعشت رجلاي بينما اكتنفتني غضبه الساطع ، فقبلت قدم الوهيته العظيمة وعندما ركعت واستقمت نظر الي وهزاسه ، زعق بي زعقة نارية غضباً كالعاصفة الهوجاء ، ووجه الصولجان اللائق بسموه والممتليء بالرعب كالثعبان نحوي ليقتلني الا ان " ايشوم (Ishum) ^(٦) ، قال له (لاتقتل الرجل وعساك يا أيها الملك الجسور للعالم الأسفل ان تدع رعايا كل البلاد ... شهرتك على الدوام ، فسكن القلب الجبار القدير الذي يقهر الأشرار وصار كماء البئر النقي ، نطق(نركالNergal) قائلاً: ((لماذا ازدريت زوجتي الحبيبة ملكة العالم الأسفل ولكن بأمرها الممجد الذي لايمكن تغييره سيعهد بك (ببلوBilulu) جلاد العالم الأسفل الى (لوكال-سالاLugal-Sala) البواب ليقودك خارجا عبر بوابة (عشتار وايا Ea و Ishtar) ^(٧) .

ثم يكمل النص : ((واذا عليك الا تنساني ولا تتركني جانبا ، فاني لن اقرر ضدك حكماً مهلكا والا فعلى امر شمش(Shamash)، لتمنحك الالهة معا اضطرابات وعذابات وثورات ، ولتمنعك ضوضاء الشعوب الثائرة من ان تنعم بالنوم من الان ، ان هذا الروح الذي شاهدته في الجحيم ، هو روح الراعي المجيد الذي جعله ابي اشور ملك الالهة يحقق كل ما كان يرغب به من المشرق الى المغرب احتل البلدان كلها مثل عبء وحكمها جميعها الذي اودعه اشور بصفة كهنوته ان يحتفل بالعيد المقدس لمعبد العام الجديد للحقول ، حيث خلق بستانا زاهيا،... وتقرر بشانه ان تقوم الالهة (يبرو و حوميا" و نبروشو Nabush- Humia -Yabru) بحماية شخصه وبالحفاظ على نسله وبانقاذ جيشه ومعسكره حتى لا يستطيع أي عدو على مركبته ان يدنو منه خلال القتال، (الا ان هذا الاخر) والدك ((هنا المصادر تشير الى انه المقصود الملك اسرحدون) ، وان كان

ناضج السن وعالما في جميع الأمور وموهوبا عقلا واسعا ومنفتحا بسعة لروح المعرفة وقد استقصى تصاميم تماسك الأرض.....الى ان يذكر، اذهب الان الى العالم الأعلى حتى اتذكرك من جديد هكذا قال ^(٨).

ثم يذكر، ((واستيقظت مثل قلب انسان سفك الدم ، او كمن يتيه وحيدا في كل الجهات في الاحراش ، او كمن قد انتصر عليه العداؤون ، ثم خرج كالسهم الى الشارع ، وملا فمه من تراب الشوارع والمفترقات ، وهو يطلق هذه الصرخة الرهيبة : (لماذا فرضت علي انا مثل هذه الأمور)) امام سكان البلاد الاشورية ، واخذ يطري بألم ببسالة نركال واريشكيكال (Ereshkigal-Nergal) اللذين جاء الى مساعدة هذا الأمير، ^(٩).

اسطورة ادبا (adapa)

وصلت اليينا اسطورة ادبا مدونة على أربعة الواح مهشمة عند نهاياتها مما تسبب في ضياع قدر كبير من محتوى الاسطورة ، ومع ذلك فبإمكاننا ان نرسم الاطار العام لقصة ادبا في ضوء الأجزاء المتبقية منها والاسطورة مدونه باللغة البابلية منها اللوح الذي عثر عليه في تل العمارنه بمصر يعود الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، اما اللوح الثلاثة الأخرى فقد عثر عليها في مكتبة اشوربانيبال بمدينة نينوى ^(١٠).

تعطي المعاجم اللغوية البابلية مرادفات لاسم ادبا (adapa) تدل على انه يعني (الحكيم، العاقل، العارف) ، كما عرف ادبا أيضا باسم uan الذي ذكره المؤرخ بيروسس (berossus) بصيغة oannes للدلالة على اول حكيم من اصل سبعة حكماء من العصر الذي سبق الطوفان ، وذكر في مستهل اللوح الأول من القصة انه كان هناك رجل يعيش في مدينة اريدو اسمه ادبا وان اله الحكمة أيا جعله كاملا في الفهم ليكشف خطط البلاد واعطاه الحكمة ولكنه لم يعطه حياة ابدية ^(١١) ، كما ان الأسطورة جعلت ادبا ابناً للاله أيا وهو الذي جعل ادبا الملك الكاهن لاريدو ^(١٢).

ثم يذكر النص ان الاله أيا جعل منه رجل تقي يخشى الالهة ويقدم لها القرابين باستمرار، وكان محباً للناس يساعدهم في أعمالهم ويساهم في توفير الطعام والشراب لسكان مدينته ^(١٣) ، كما جاء في النص :

لقد جعله أيا كاملا في القدرة على الفهم

ليكشف عن خطط البلاد

، اجل لقد أعطاه حكمة ، لكنه لم يعطه حياة ابدية

في ذلك الزمان ، في تلك السنين ، كان هناك حكيم من اهل اريدو

خلقه أيا ليكون روحا (؟) حافظا بين البشر

ولأنه كان حكيما ، فلم يرفض احد كلمته

كان فطنا ، واسع الحكمة ، وواحدا من الانوناكي

كان مقدسا ، طاهر اليدين ، كاهنا يلتزم دائما بإقامة الشعائر

وكان يصنع الخبز مع الخبازين

اجل ، يصنع الخبز مع خبازي اريدو

ويحضر الطعام والماء لاريدو كل يوم

ويهيء مائدة القرايين بيديه الطاهرتين

وبدونه لا ترفع مائدة القرايين، كان يأخذ قاربه ويصطاد السمك من اجل اريدو (١٤) .

وذات يوم بينما كان ادبا يصطاد في المياه العذبة على قاربه هبت ريح الجنوب

فقلبت قاربه راسا على عقب ، عندئذ غضب ادبا فامسك بريح الجنوب وكسر جناحها مما

تسبب في توقفها عن الهبوب (١٥)، وبعد مضي فترة علم الاله " انو " اله السماء بالحادث

طلب احضار ادبا امامه على الفور ، لقد خشي ادبا العاقبة فلاذ باله الحكمة أيا يسأله

النصيحة فهو الذي اعطاه الحكمة والمعرفة ومكنه من الكشف عن خطط البلاد وكانت

نصيحة أيا له ان ينثر شعره ويلبس ثوب حداد ويتظاهر بالحزن الشديد عند صعوده الى

السماء وانه سيلقي عند بوابة انو الهين اسم الأول دموزي (dumuzi) واسم الثاني كزيدا

(gizida) . فاذا ما سأله الحارسان عن سبب حزنه ان يقول لهما ، ان اليهين اختفيا من

الأرض وانه حزين على فقدهما ، واذا ما سالاه عن اسميهما وجب عليه ان يقول لهما

انهما يدعيان دموزي وكزيدا وهناك من يذكره بـ " ننكشزيدا " عندئذ سوف يشعر هذان

الالهان الحارسان لادبا بالامتتان على مشاعره المخلصة نحوهما وسوف يشفعان له عند انو

اله السماء و نصحة اله الحكمة بان الاله انو سوف يقدم له عند مثوله امامه خبز الموت

بين التحول والبعث في اساطير بلاد وادي الرافدين

وماء الموت وان عليه ان يرفضهنا. ولكن عندما يقدم له انو رداء فعله ان يلبسه وزيتا يمسح به جسده (١٦).

صعد ادبا الى السماء وممر بالحارسين عند بوابة انو فجرى بينه وبينهما سؤال وجواب على النحو الذي توقعه اله الحكمة ، ثم جيء به ليمثل اما الاله انو فسأله عن السبب الذي دفعه الى كسر جناح ريح الجنوب (١٧) فاجابة ادبا قائلاً :

كنت اصطاد السمك وسط البحر لعائلة سيدي (أيا)

وكان البحر (صافيا) كالمرآة

لكن ريح الجنوب هبت واغرقتني ...

وفي سورة الغضب انزلت بها اللعنة).

هنا تدخل الحارسان دموزي وكيزيدا، اللذان سبق وان اعجبا بعواطف ادبا نحوهما ، فالتمسا من الاله انو ان يعفو عنه، فأستجاب انو لطلبهما وخاطبهما قائلاً:

لماذا كشف أيا للبشر، خطط السماء والأرض

وجعل صدورهم شيقة منقبضة ؟ ، انه هو الذي فعل ذلك

، فماذا باستطاعتنا يا ترى ان نفعل له ؟

اجلبوا له خبز الحياة الازلية ودعوه ياكل منه (١٨)

ولكن ما الذي حدث فقد كان من الطبيعي ان يتمسك ادبا بوصايا سيده أيا اله الحكمة ، فجلبوا له خبز الحياة الازلية لكنه لم ياكل وطلبوا له ماء الحياة الازلية لكنه لم يشرب وطلبوا له ثوبا فلبسه وطلبوا له زيتا فدهن به جسده كان انو يراقبه فضحك منه وقال : تعال يا ادبا ، وقل لي لماذا لم تاكل او تشرب الا تريد ان تكون مخلدا واسفاه على الناس المسحوقين ، هنا ادرك ادبا بانه فوت على نفسه الفرصة في الحصول على الخلود (١٩)، فاراد ان يستدرك الامر ويوضح للاله انو بانه تصرف بناء على نصيحة من اله الحكمة أيا:

انه أيا الهي ، الذي قال لي لا تأكل ، لا تشرب

فليأخذ اذن "قال انو" وليعد الى الارض (٢٠).

بالرغم من ان نهاية القصة مفقودة بسبب تهشم اللوح فان مغزاها واضح وهو ان الخلود لا يمكن ان يكون من نصيب البشر لان الالهة احتفظت به لنفسها وقدر بالموت من نصيب الانسان . لكن ما حدث لأدبا ، يثير تساؤلات عديدة عند الباحثين لعل من ابرزها هل ان اله الحكمة خدع ادبا عن قصد عندما اوصاه بان لا ياكل او يشرب مما يقدم له انو في السماء ليفوت عليه فرصة الخلود ام ان توقعات أيا بالرغم من كونه الها للحكمة، كانت حقا قاصرة عن ادراك نوايا اله السماء انو بمعرفة خطئه (٢١).

مردوخ والعالم الأسفل Marduk

كان المعتقد بان الاله الرئيس في المدينة يواجه الموت لمدة معينة ضمن الطقوس التي تقام في أعياد راس السنة (الاكيتو Akitu) تتحدد فيها المصائر للسنة الجديدة، ثم يقوم مرة ثانية للحياة بعد ان يجري تحديد تلك المصائر، التي لم يكن تقديرها يستغرق اكثر من يوم او يومين (٢٢) .

ضمن هذا الموضوع نجد ان الاله مردوخ اله مدينة بابل يؤسر سنويا لمدة من الزمن في العالم الأسفل فيما يندبه الناس ويبحثون عنه ، كما يبحث عنه ابنه الاله (نابو Nabu) وزوجته أي زوجة مردوخ الالهة (بيليت - بابيلي Belit-Babili) وهو لقب الالهة (صربانيتم Serpanit) (٢٣) .

وتذكر الأسطورة حول قيام احد رسل الالهة بالتجوال مناديا عن من يخرجها وبعدها يأتي الاله (نابو) من اجل انقاذ والده المحتجز ، ويقوم الناس بالتفتيش عن الاله مردوخ في المكان المحتجز فيه ، ثم تستجد زوجة الاله مردوخ بالاله سين (Sin) والاله شمش من اجل إعادة الحياة الى مردوخ الذي تسبب غيابه حالة من الفوضى والارتباك فيتقاتل الناس خلالها فيما بينهم ويبدو ان الاله مردوخ يتحرر من سجنه ، وبعد تحريره تبدأ تلاوة قصة الخليقة كما يبين النص المذكور ان احتفالات راس السنة البابلية كانت تشتمل في فقراتها على تمثيلية اخراج الاله نابو لوالده الاله مردوخ من العالم الأسفل ، وان اليوم الذي تجري فيه هذه التمثيلية اليوم الرابع من عيد الاكيتو ويكون يوما عصيبا على السكان اذ يحزن فيه الناس ، ويتضاربون فيما بينهم ، حتى تسيل دماؤهم مثلما سال دم الاله مردوخ عندما اخذ الى العالم الأسفل (٢٤) .

بين التحول والبعث في اساطير بلاد وادي الرافدين

ان المراد من اختفاء الاله مردوخ في بدء السنة الجديدة كان تجسيدا لفترة انتقال حالة الكون من مقادير سنة سابقة الى مقادير سنة قادمة ، بكل ما تمثله فترة الانتقال تلك من تداخل في المصائر واضطراب في الكون (٢٥).

الإله نكشزير Ninkhashzira

من خلال الاساطير السومرية ذكر ان هذا الاله قد اخذ بالقوة الى العالم الأسفل مما أدى الى موت الهة النبات (٢٦) ، معنى الاسم السومري غير واضح ربما (سيد شجرة العدل) او كان المقصود (شجرة الحياة) وهو اسم اله سومري من الهة العالم السفلي ويلقب في المدائح الإلهية بخادم الأرض الواسعة (حرفيا : محرك الأرض الواسعة) المقصود بالأرض الواسعة العالم السفلي (٢٧).

ذكر اسم الاله نكشزيردا في مراثي موت الاله (دموزي) ، وفي اسطورة (ادابا) الحكيم الذي صعد الى السماء و يقابل ادابا الاله دموزي واله اخر اسمه كشزيردا وهو بالتاكيد اختصار لـ نكشزيردا ، وقد اخبر ادابا بانه يجب ان يقول في اجابته عن أسئلة الاله (انو) انه في حداد على الالهين اللذين اختفيا من الأرض واسمهما دموزي ونكشزيردا ، وفي مراسيم الصلوات الخاصة بالاله (دامو Damu) صور نكشزيردا مثل (الطفل) على الرغم من انه صور في مكان اخر كراشد ومتزوج ، وربما كان هذا ليعرف انه اكثر قربا من الاله (دامو Damu) الذي يعني اسمه (طفل) (٢٨).

وفي اساطير أخرى تتعلق بالاله نكشزيردا ، يذكر لنا نص سومري عن موت هذا الاله او اسره الى العالم الأسفل، ومن هناك يرسل رسولا الى زوجته (ازيما Azema) يستفسر منها عن مصير ممتلكاتهم ، ومن ضمنها بيوت والديه وعندما استلمت (ازيما Azema) الرسالة بكت وطلبت من الرسول ان يرجع الى الاله نكشزيردا ويخبره ان بيته وممتلكاته وقطيع الغنم وزرائب البقر والقنوت والطرق والابار كلها دمرت ، وعندما سمع نكشزيردا ذلك قام يالبكاء ، ويرسل جوابا مختصرا جدا يرثي فيه عجزه وضعفه قائلاً (انه لبس نبات صحراوي ولايستطيع العودة مع الربيع)) ، وفي ادناه مقاطع من ترتيلة رثاء الاله نكشزيردا:

الرجل الذي كبني ، يبحر معي ،نهر العالم الأسفل لا يحمل مياها ، لا مياه شربت منه
حقول العالم الأسفل لا تحمل غلة ، لم يطحن منه طحين

بين التحول والبعث في اساطير بلاد وادي الرافدين

الأغنام في العالم الأسفل لا تحل صوفاً لا ملابس تحاك منه
الملك الناحب لم يعد يحتمل النحيب بالدموع
المبتهج والمسرور القلب ، سوف يجفف دموعه على انفه
لأجل صائد الطير في بيته المجهز سيكون رثاؤك
لأجل صياد السمك في بيته المجهز سيكون رثاؤك
لأجل المتوفى الممسوح بالزيت ، في كيبارو سيكون رثاؤك سيدي
لأجل الام الكاهنة العليا التي تركت كيبارو سيكون رثاؤك سيدي مليكي ،
رأسك غسل بالماء ، تدرج في التراب ^{٢٩}.

نركال و العالم الأسفل Nergal

تتناول أحداث هذه الأسطورة حول نزول الإله نركال الى العالم الأسفل مكرهاً بصحبة مجموعة من الشياطين .

حيث يشير النص الى إن الآلهة العظام اقاموا وليمة كبرى لكن الآلهة (ايريشكيال) لم تتمكن من الحضور، فهي بحكم كونها ملكة العالم السفلي لا تستطيع الصعود الى السماء من ارض الالعودة فطلب ابوها إله السماء (انو) من رسوله (كاكا Kakka) ان ينزل الى هناك ويسأل (ايريشكيال) ان تبعث رسولا يأخذ حصتها من تلك الوليمة ^(٣٠) ، بناءً على ذلك ارسلت رسولها (نمتار) ^(٣١) لينوب عنها وعندما ظهر بين الآلهة قام الجميع احتراماً لسيدته بأستثناء الإله (نركال) وعندما رجع نمتار الى سيدته شكى اليها هذه الالهانة فأرسلته مرة ثانية الى السماء وهو يحمل امراً بوجوب تسليمه الإله الذي لم يقم احتراماً لها وحذرت الآلهة العظام الإله (نركال) من عدم نزوله الى العالم السفلي ^(٣٢).

هنا تأتي الاسطورة على ذكر وصيا الاله (ايا) اله الحكمة لابنه الاله (نركال) وهو على وشك النزول مكرها الى عالم الاموات بأن لايجلس على كرسي يقدم له ولا يأكل الخبز او يشرب من شراب ولا يغسل قدميه واوصاه في النهاية ان يحرص على تجاهل كل اغراءات الآلهة (ايريشكيال) ^(٣٣) ، فنزل الى العالم السفلي برفقة عدد من شياطين العالم السفلي ماراً بالابواب السبعة حتى وصل حيث كانت تجلس الآلهة (ايريشكيال) فسجد

الاله وقبل الارض امامها ثم وقف وقال لها ان اباها (انو) ارسله ليجلس على العرش وليقضي في قضايا الالهة العظام الذين يعيشون في (ايركالا Irkalla) (٣٤) فقدم له مقعد للجلوس عليه لكنه رفض متذكرا وصايا الإله (ايا) له ثم جلب له خبزا ولم يأكل وجلب له الجعة ولم يشرب ورفض غسل رجليه أنذاك دخلت الآلهة (ايريشكيال) وكشفت له عن جسدها وتمكنت من اغراءه وبقي معها ستة أيام (٣٥) ، ربما هنا اراد العودة الى العالم العلوي واستطاع الخروج من العالم السفلي دون علم الالهة ولذلك عندما اخبرها وزيرها نمطا بنباً خروجه وقع عليها الخبر كالصاعقة فأطلقت صرخة عالية ووقعت من عرشها على الارض وامرت وزيرها ان ينطلق الى السماء ويبلغ الالهة العظام بوجوب عودة حبيبها اليها وان ينذرهم في حالة عدم الاستجابة لطلبها فأنها سوف تطلق الموتى الموجودين في العالم السفلي ليلتهموا الاحياء (٣٦) فتوجه نمتار الى السماء واخبر الالهة العظام عن تحذيرها اياهم فطلبوا منه ان يفتش عن الاله المطلوب لكنه لم يتعرف عليه لان الاله (ايا) قد قام بتغير شكله ومظهره جعله (اصلع واحول واكسح) وهو يجلس في مجمع الالهة العام فعاد الى سيدته واخبرها انه لم يتمكن من التعرف على الاله المطلوب وانه رأى الها ذو مظهر غريب على حسب تعبير النص البابلي (٣٧) فأدركت الالهة (ايريشكيال) انه الإله (نركال) متذكرا بهيئة مسكين فذهب نمتار مرة اخرى الى العالم العلوي وجاء به الى سيدته مرة اخرى وهنا ينخرم النص البابلي (٣٨)

ونسترسل في ذكر تفاصيل الأسطورة ، حيث جاء فيها فيها ان الإله (نركال) عندما توجه الى العالم السفلي برفقة العفاريث مجتازا الابواب السبع وعند وصوله هاجم الالهة ايريشكيال جارا اياها من شعرها ثم سحبها من فوق عرشها وتظاهر انه يريد ان يقتلها اثناء ذلك تلاشى كل غرور الالهة واخذت تتوسل به لكي يبقي على حياتها وعرضت عليه الزواج (٣٩) ، سمع الاله (نركال) كلامها احتضنها ومسح دموعها وقال لها " ما ارتي مني في الاشهر الماضية سيتحقق لكى الان (٤٠) ، وهكذا نرى ان الاسطورة تنتهي بزواج الاله (نركال) من الالهة (ايريشكيال) وتوجيه ملكا على العالم السفلي (٤١) .

الالهة كشتن - انا Geshtin - an

تكتب بصيغة " Geshtin - an - na " ومعنى اسمها (نبيذ السماء) وهي نفسها الالهة التي عرفت بلقب (بعله - صيري Baal - Sire) كاتبة العالم الاسفل وبعله - صيري اسم ذو صيغة اكدية يعني حرفيا " سيدة الارض " وهذين اللقبين يرد احيانا في النصوص المسمارية بهيئة " من - كشتن - انا " بمعنى (سيدة دالية الكروم) وحيانا يعني (سيدة دالية الكروم السماوية) ومن القابها الاخرى (ادن - نا Adn a) اي (سيدة السهل) وبعله كيكالي (Kikali Baal) اي (سيدة القصر) والمقصود بالقصر هنا هو قصر العالم السفلي والذي يدخل هنا في اسم الهة ذلك العالم (ايريشكيكال) ومن القابها ايضا " بعله مات موتى " اي (سيدة بلاد الموتى) ولقبت ايضا (بأم النبيذ ama - gestin^(٤٢))

وقد اتخذت الالهة (ايريشكيكال) من الالهة (كشتن - انا) كاتبة تدون لها كل ما يخص العالم الاسفل كأسماء القادمين الجدد او غير ذلك لما اشتهرت به من معرفة واسعة اطلاع اضافة الى المامها الجيد بالكتابة وبذلك يتحقق من نزولها امران :

الاول : تواجد الهة كاتبة تكون بخدمة حاکمة العالم السفلي فهي الوحيدة كانت الكاتبة في ذلك العالم ولا يوجد اي نص مسماري يشير الى وجود الهة او الهه سواها للقيام بهذه المهمة

الثاني : تحقق من نزولها هو تنفيذ رغبتها في اللحاق باخيها والمكوث بالقرب منه لتعلقها الشديد به^(٤٣).

هنا نذكر ارتباط حياة الراعي دموزي بالمروج والعشب والمياه ويتضح من خلال النص ان الاله الراعي اخذ يتحسس بأن مكروها ما سيقع به وان نهاية حياته اصبحت وشيكة فتملكه حزن شديد وهم بالبكاء وهويجول السهول ويناشد المروج والاشجاروالجداول ان تبكي معه^(٤٤) كما في النص : -

وعلى السهل كأمي لتذرف عيناى الدموع

وعلى السهل كأختي الصغرى لتذرف عيناى الدموع^{٤٥}

وفي خضم من الحزن العميق جلس دموزي ليسترخ من العناء بين العشب والاشجار، وغلبه النعاس اثناء نومه رأى حلمًا أفزعهُ ، واستفاق مذعورا فهرع على الفور إلى أخته (

كشتن - انا) مفسرة الاحلام يسألها عن مغزى حلمه وكان ملخص حلمه ((انه رأى نفسه تحيط به سيقان طويلة من نبات القصب ورأى ان هناك قصبة كانت تقف لوحدها وقد طأطأت رأسها له وبينما كانت الاغصان تقف زوجا زوجا فأنا غصنا واحدا منها سرعان ما ابعد عن الغصن الذي بجانبه ثم رأى اشجارا ترتفع من حواليه بشكل مخيف وصقرا يمسك حملا في مخالبه وقدحا يسقط من وتد حظيرة الماشية فيتهشم على الارض ثم رأى اغنامه وعنزاته في حالة مزرية وهي تطأطأ رؤوسها واخيرا شاهد ريحا عاصفة تهب على حظيرته فلم تبق لها اثرا)) ، وبعد ان قص رؤياه على اخته ادركت ما ينطوي عليه حلمه من نذر الشر فواسته وفسرت عن رؤياه ان سيقان القصب التي شاهدها معناه ان اشرارا سيهاجمونه وان القصبة الوحيدة التي انحنت تعني امه التي تحول درأ الشر عنه واما عن ابتعاد احد ازواج القصب عن زوجه الاخر فقالت اننا الاثنان سيفترق احدا عن الاخر ، وحذرت (كشتن - انا) في نهاية تفسيرها ان الجناة هم الشياطين من العالم الاسفل الذين يطلق عليه " الكالا" ثم تذكر الاسطورة ان رؤيا (دموزي) قد تحققت كما بينا اعلاه.(٤٦)

وننتقل الى موت الاله (دموزي) وانه ليس من المعقول ان يبقى محتجزا عالم الاموات الى الابد فهو الاله الراعي ورمز الخصب والتكاثر .

اذ يتضح لنا من خلال النصوص السومرية التي عرضناها بأنه كان في كل مرة يضيق فيها الشياطين عليه يلوذ بمسكن اخته المخلصة فتبذل كل ما في وسعها لانقاذه وبعد ان اخفقت كل محاولاته في الخلاص من المصير الذي تقرر له واخذ الى العالم الاسفل فكان امام الالهة (كشتن - انا) المعروفة بحبها الشديد لاختها ، ان تقوم بالبحث عنه فأتجهت الى العالم الاسفل للعثور عليه هناك فيبدوا من النصوص انها تمكنت من اللحاق بأختها ووصلت اليه وهي تحمل الطعام والشراب وعنما رأتها خاطبته بشوق ولهفة (٤٧)

من اختك - انا اختك

من امك - انا امك

اليوم الذي سيطلع لك سيطلع لي

اليوم الذي تراه سأراه انا ايضا (٤٨)

بين التحول والبعث في اساطير بلاد وادي الرافدين

وبما ان حضور الاله الراعي الى الارض كان ضروريا كما بينا سابقا انه رمز الخصب والتكاثر لذا قررت الاله (انانا) ان يبقى في العالم الاسفل نصف عام وان تأخذ اخته المولعة به مكانه في النصف الآخر

انت يادموزي لنصف عام

واختك كشتن - انا لنصف عام (٤٩)

وقد وردت اشارة في ملحمة كلكامش اللوح السابع الى وجود الالهة (كشتن انا) وهي تقوم بعملها ككاتبة في العالم الاسفل حين روى انكيديو حلمه لصديقه كلكامش كما جاء في النص :-

وتحكم " ايريش - كيكال " ملكة الارض السفلى

وبعلى - صيري تسجد امامها

وبيدها رقيم تقرأ منه ، ولما رفعت رأسها ابصرني فقالت
من الذي اتى بهذا الرجل الى هنا نحيه عني (٥٠) .

نزول الالهة انانا (عشتار) الى العالم السفلي وموت تموز

هناك نصين حول (عشتار) الى العالم السفلي النص الاول سومري وهو الاصل والاقدم مدون باللغة بالسومرية ، وقد عثر على الواح منها في مدينتي نمر واور ويعود زمن كتابتها الى النصف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد والنص الثاني هو النص الاشوري الذي يعود زمن كتابته الى نهاية الالف الثاني قبل الميلاد وعثر على الواح منها في العاصمة القديمة اشور وفي مكتبة اشور بانيبال في مدينة نينوى وتتشابه في حوادثها مع الرواية السومرية الى درجة اعتبرت معها من قبل المختصين مجرد ترجمة لها والحقيقة انها تتضمن اختلافات واضحة ويكمن هذا الاختلاف الجوهرى الى سيبين ادناه (٥١) ، ولم تزل الاسباب التي جعلت الالهة (عشتار) تقرر النزول الى العالم السفلي غامضة وغير واضحة وقد قيلت في ذلك جملة آراء منها الرأي الذي درج عليه قدماء الباحثين بأن عشتار ذهبت الى ذلك العالم من اجل استعادة زوجها " تموز " من اسر عالم الاموات كما ورد في النص الاشورية ولكن لا يوجد ما يؤيد هذا الرأي ، على اعتبار بأنه ليس فيها ما يشير الى ان تموز

كان موجودا هناك لكي تسترجعه بل ان الرواية السومرية تشير بشكل واضح الى ان عشتار نفسها هي التي كانت السبب وراء نزوله الى العالم السفلي وفي الرواية نفسها اشارة الى جواب الالهة عشتار على سؤال البواب لها عن سبب نزولها انها جاءت من اجل الاشتراك في شعائر الدفن الخاص بزواج اختها الالهة (ايريشكيكال) المسمى (كوكال انا) الذي قتل ولكن هذا السبب غامض بدوره ولا يوجد ما يوضحه في سياق الاسطورة ولا ينسجم مع لاقته عشتار على يد اختها ايريشكيكال (٥٢)

او ربما نزلت الى العالم السفلي في سبيل اطلاق ارواح الموتى المحتجزة هناك ويبدو ان هذا الرأي مستوحى بالاصل من بعض فقرات في النص الاشوري للاسطورة (٥٣) لكن هناك رأي ارجح هو ربما يكون سبب نزولها الى العالم السفلي هو رغبتها في السيطرة على ذلك العالم مساقاة وراء طموحها الغير محدود وهذا ما نتلمسه من خلال اسطورة " انا واني " من اجل نقل فنون الحضارة الى الوركاء واسطورة " جبيل ابيخ " وهذا الافتراض تبين من خلال رفض الاله انليل والاله ن نار من تقديم يد العون اليها (٥٤) ، وفيما يلي الروايتين السومرية والاشورية

الرواية السومرية

يرجع تاريخ كتابة هذه الاسطورة الى النصف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد (٥٥) ، والتي تبدأ بعزم الالهة على النزول الى العالم السفلي بعد ان هجرت معابدها وجمعت كل القوى الالهية وارتدت لباس الملوكية وزينت عنقها بالقلائد ومعصمها بالاساور وعلى رأسها التاج ولما كانت تخشى من ان تميتها اختها الكبرى (ايريشكيكال) ملكة العالم الاسفل فقد احتاطت للامر فأوصت وزيرها " ننشوبر " وامرته ان هي لم تعد بعد ثلاثة ايام وثلاث ليالي عليه ان يذهب الى معبد ايكور معبد الاله (انليل) في مدينة نفر لكي يعيد الالهة الى الحياة ويخلصها من عالم الاموات واذا رفض الاله (انليل) فعليه ان يقصد مدينة اور حيث مدينة اله القمر (ن نار) وان رفض طلبها اوصته عند ذاك ان يذهب الى اريدو ويتقدم الى الهها (انكي) بالاستغاثة نفسها (٥٦) .

نزلت الالهة الى العالم الاسفل وعندما اقتربت من قصر (ايريشكيكال) اللازوردي طلبت من البواب فتح الباب لها فسألها عن تكون وعن سبب نزولها فأجابته بأنها ملكة

السماء وقدمت له عذرا كاذبا عن مجيئها حول حضورها لشعائر دفن زوج اختها فطلب منها ان تنتظر حتى يخبر سيده بالامر فأخبرته ان يفتح البواب لها وان يأتي بها ذليلة امام عرشها فقادها من سبعة ابواب^(٥٧) وصاروا ينزعون عنها عند دخولها من كل باب قسما من لباسها حسب قوانين العالم الاسفل على الرغم من اعتراضها وبعد مرورها من الباب السابع عروها من لباسها وحليها واحضروها عارية ذليلة امام عرش اختها وامرت ان تسجد امام اختها وامام الانوناكي وهم القضاة السبعة الخاصون بالعالم الاسفل فصبوا اليها نظرات الموت وتحولت الى جثة هامدة^(٥٨).

هنا بدأت مساعي انقاذ الالهة (انانا) عشتار على يد رسولها ننشوبر الذي بقي بانتظارها ثلاثة ايام وليالي فقام بتنفيذ ما اوصته بها سيده فذهب في بادئ الامر الى الاله (انليل) في معبده في نيبور طالبا منه مساعدته الا انه رفض ثم توجه الى الاله (ن نار) اله القمر ايضا رفض واخيرا ذهب الى مقابلة الاله (انكي) واخبره بمحدث للاله (انانا) فأستجاب لتضرع ننشوبر وقرر مساعدتها وانقاذها فتروي الاسطورة ان الاله (انكي) خلق من قذارة ظفره مخلوقين هما " كر - كارا " (kur - garra) و " كلا - ترو " (kala - turru) وامرهما بالنزول الى العالم السفلي بعد زودهما بطعام الحياة وماءها لينثرانها ستين مرة على جسد (انانا) لكي تقوم من موتها^(٥٩) وفعلا بما امرهما الاله فعادت انانا الى الحياة وقادها حارس العالم السفلي من ابوابها السبعة وكان يعيد اليها ما سلبه منها عند كل باب ولكن صاحبها في قيامتها وصعودها عدد كبير من شياطين ذلك العالم وهي تجول من مدينة الى اخرى من اجل تسلمهم بديلا عنها هذا كان شرط خروجها من العالم السفلي فكان اول من لاقت وزيرها ننشوبر وهو مرتدي ملابس الحداد فهم الشياطين بأخذه لكن الالهة حالت دون ذلك ثم قصدت مدينة " اوما " هنا رمى الهها (شارا)^(٦٠) بنفسه امامها على الارض وتمرغ في التراب في ثياب الحداد فحالت الالهة دون اخذ الشياطين له بديلا عنها^(٦١)

بكت اينانا وقالت ، لا ليس شارا

هو ابني الذي يغني التراتيل والانايد لي

هو ابني الذي يقص اظافري ويصفف شعري

ثم توجهت نحو مدينة باد تبيرا الى معبد الهها (لتراك) الذي اظهر عند رؤيته للالهة الحزن كما فعل الالهان فحالت كذلك دون اخذ الشياطين له (٦٣) ، واخيرا وصلت الالهة ومعها شياطين العالم الاسفل الى مدينة " كولا ب " وهي بالقرب من مدينة الوركاء وجدت زوجها الاله " دموزي " جالسا على العرش مرتديا افخر الثياب فأثار ذلك غضب الالهة لانها وجدته غير مكترث بما حصل لها فصوبت نظرات الموت اليه وأشارت الى شياطين العالم الاسفل ان يأخذوه بديلا عنها وبالفعل القى الشياطين عليه وشدوا الحبال حول قدميه ويديد ورقبته ثم انهالوا عليه ضربا انذاك تملك الاله (دموزي) الرعب وحاول ان يستعطف الشياطين لكن دون جدوى فرفع يديه باكيا متوسلا الى صهره الاله (اوتو) ليخلصه من قبضتهم وقد طلب منه ان يحول قدمه الى قدم افعى ويده الى يد افعى وان يحمل روحه الى بيت اخته (كشتن - انا)، فأستجاب الاله (اوتو) الى طلبه وتمكن من الهرب الى هناك وحالما رأته اخته اخذت تبكي وتتوح لكن الشياطين لم يتركوه بل لحقوا به الى هناك واخذوا يضربونه (٦٤) ثم يذكر النص ان دموزي اخذ يبكي ويتوسل الى الاله (اوتو) ليخلصه مرة اخرى من شر اولئك الشياطين ويدعوه في هذه المرة ان يحول يديه ورجليه الى غزال ليستطيع الهروب منهم فلما سمع الاله بكاءه اشفق عليه وحوله الى غزال فتمكن الهرب منهم غير ان الشياطين سرعان ما لحقوا به فأمسكو به وانهاالوا عليه ضربا ويستغيث الاله (دموزي) مرة اخرى بالاله (اوتو) ويطلب منه ان يحول روحه الى بيت (بيليلي) وهي الهة عجوز تتصف بالحكمة ويستجيب الاله الى طلبه وعندما وصل الى بيتها لم تعرفه اول الامر فعرفها بنفسه قائلا (انه ليس من البشر وانه زوج الالهة انا يريد ماءا ليشرب ودقيقا لياكل) قدمت له العجوز ما اراد وفي تلك الاثناء اطبق عليه الشياطين من كل جانب ويستجد الاله (دموزي) بالاله (اوتو) فيستجيب له ويحوله الى غزال ليهرب هذه المرة الى حظيرة الماشية في بيت اخته (كشتن - انا) (٦٥) ولكن الشياطين لاحقوه الى بيت اخته واكرهوها على ان تبوح بموضع مخبئه في حظيرة الماشية فكرروا ضربه وتعذيبه واخذوه الى عالم الاموات (٦٦)

وهكذا نرى في الرواية السومرية ان الالهة (انانا) عشتار كانت هي السبب المباشر في مأساة حبيبها وزوجها دموزي " تموز " .

الرواية الاشورية

تبدأ الرواية الاشورية كما في الرواية السومرية بعزم الالهة (عشتار) ابنة الاله (سين) على النزول الى العالم الاسفل الى البيت المظلم مسكن الكالا الى البيت الذي لا رجعة منه ، فيه يحرم النور على من دخله حيث التراب طعامهم والطين قوتهم وتذكر الاسطورة ان ساكني العالم الاسفل يلبسون الريش كالطيور ، عندما وصلت الى باب ذلك العالم طلبت من بوابها ان يفتح لها الباب والا فأنها ستحطم الباب والمزلاج وتجعل الموتى يقومون فيأكلون مثل الاحياء وتجعل الموتى اكثر عددا من الاحياء فرجا البواب من الالهة ان تتمهل عليه حتى يذهب الى سيدته لاعلامها بالامر^(٦٧) فلما سمعت الالهة (ايريشكيكال) ذلك شحب وجهها وصار مصفرا واسودت شفتاها وقالت (ما الذي حمل قلبها ان تأتي الي وما الذي قاد روحها الى هنا هل سأشرب الماء مع الانوناكي واكل الطين خبزا واشرب عكر الماء جعة وهل سيقع علي ان اندب الرجال الذين تركوا زوجاتهم خلفهم وهل سأنوح على العذارى اللاتي انتزعن من احضان احبائهن) فقالت لحاجبها اذهب وفتح لها الباب وعاملها وفق القواعد القديمة ففتح له الباب ونزع عند الباب الاول تاجها العظيم فأحتجت على ذلك فأجابها ان هذه نواميس سيدة العالم الاسفل^(٦٨) وعندما ادخلها الباب الثاني انتزع قرطبيها واخذها من اذنيها وعند الباب الثالث انتزع القلائد من جيدها وعند الباب الرابع انتزع الحلي من صدرها وعندما ادخلها لباب الخامس انتزع حزام احجار الولادة واخذها من خصرها وعند الباب السادس انتزع الاساور من يديها ورجلها وعند الباب السابع انتزع منها ثيابها ووقفت امام اختها عارية انذاك امرت الالهة (ايريشكيكال) (نمتار) ان يسحبها ويسلط عليها ستين نوعا من الامراض والابوئة فغلبها الموت ووقعت جثة هامدة^(٦٩).

وقد كان لنزول الالهة الى العالم الاسفل وغيابها عن الارض اثره العظيم في الاحياء وهي الالهة الخاصة بالخصب والحب والزواج فبطلت جميع عمليات التناسل والاخصاب وصار الرجل يضطجع وحده في حجرته والمرأة اخذت تنام وحدها فهنا بدأت الالهة تتدخل

في الامر فأن وزيرها المسمى في هذا النص (بابسوكال) قد اصابه حزنا شديدا فلبس ثياب الحداد واطال شعره وقصد الاله (سين) والاله (ايا) من اجل انقاذ الالهة واخبرهما بما حل في الارض فتصورا لاله (ايا) الامر فخلق مخلوقا اسمه (اصو شو - نامر) " Asushunamir ومعنى اسمه " طلوعه بهي " (٧٠) كناية عن جماله وحسن مظهره من اجل ان تتجذب اليه الالهة (ايريشكيكال) حالما تراه (٧١) وكانت مهمته ان يرفع يد الالهة (ايريشكيكال) عن الالهة (عشتار) بقوة كلام السحر واعطى الاله (ايا) الاوامر الى (اصوشو - نامر) بأن يضغط عليها بعبارة :

بأسم السماء تطردن

بأسم الارض تطردن (٧٢)

وطلب منه ان يكلمها بعد ان يهدأ قلبها ويتلطف مزاجها بأن يجعلها تنطق بقسم الالهة العظام ثم يطلب منها بزق ماء الحياة (٧٣) وكان ذلك ما حدث بالفعل عندئذ افادت الالهة من ذهولها وادركت انها وقعت في خدعة مرسومة وتكشف لها السبب في مجيئه الى مملكتها وهو الحصول على ماء الحياة ليعيد بها الالهة (عشتار) الى الحياة مجددا لذلك تملكها الغضب (فراحت تضرب على فخذيها وتعض على اصابعها) وتوعدت (اصو شو - نامر) وتكيل له اللعنات :

لقد طلب مني شيء ما كان ينبغي ان يطلب

تعال يا اصوشو - نامر، سألغتك لعنة كبرى

عسى ان تكون فضلات المدينة طعامك

وليكن مافي قنوات المدينة شرابك

وظلال الحيطان مأواك ، وعتبات الابواب مسكنك (٧٤)

ولكن مع غضبها لم تستطع عصيان امر الآلهة بأرجاع الالهة (عشتار) الى الحياة لذلك امرت وزيرها (نمتار) بأن يحضر (عشتار) امام (الانوناكي) قضاة العالم الاسفل وان يرش عليها ماء الحياة ويخرجها من العالم الاسفل ، هنا يشير النص الاشوري الى ان اخراج الالهة عشتار من العالم الاسفل لم يتم الا بعد ان تدفع الالهة عشتار الفدية (٧٥)، فأخرجها الوزير من ابواب العالم السفلي وارجع اليها في كل باب ما سلب منها من الحلي واللباس

بين التحول والبعث في اساطير بلاد وادي الرافدين

واعقب ذلك ان اطلق سراح الاله (تموز) بعد ان البسوه ازهى الثياب وضمخوه بالطيب ومسحوه بالزيت ففرحت الالهة (عشتار) بصعوده الى العالم العلوي وينتهي النص برغبة الالهة (عشتار) في ان يخرج الاموات ايضا ليشاركوها في افراحها بصعودها مع زوجها (تموز) (٧٦) .

الهوامش

- (١) لابات ، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ت: الاب البيرابونا ووليد الجادر ، (بغداد: مطبعة التعليم العالي ، ١٩٨٨) ، ص ٩٨ .
- (٢) الشواف ، قاسم ، ديوان الاساطير ، (بيروت: دار الساقى ، ١٩٩٧) ، ج ٤ ، ص ١٧٦ .
- (٣) كوريبو: بمعنى المبارك ، ينظر : الشواف ، ديوان الاساطير ، ج ٤ ، ص ١٧٦ .
- (٤) حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٦) ، ص ٣٣٦ .
- (٥) حنون ، عقائد ما بعد الموت ، ص ٣٣٦ .
- (٦) ايشوم : شفيع العالم الأسفل يتدخل لإنقاذ الحياة ، والشفاعة في العالم الأسفل ربما تعني الحساب والمحاكمة بعد الموت ، للمزيد ينظر: الشواف، ديوان الاساطير ، ج ٤، ص ١٧٩ .
- (٧) حنون ، عقائد ما بعد الموت، ص ٣٣٧ .
- (٨) لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص ١٠١ .
- (٩) حنون، عقائد ما بعد الموت، ص ٣٣٩ .
- (١٠) الشواف ، قاسم ، ديوان الاساطير ، (بيروت: دار الساقى ، ١٩٩٧) ، ج ٢ ، ص ٤٧٨ .
- (١١) عبد الواحد ، فاضل ، سومر اسطورة وملحمة ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ٢٠٠٠)، ص ٢٤١ .
- (١٢) هوك ، صموئيل هنري ، الاساطير في بلاد ما بين النهرين ، ت: يوسف داود ، (بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، ١٩٦٨)، ص ٥٠ .

(13) (Don Nardo , Ancient Mesopotamia,(America: Greenhaven,2006),p.18.

- (١٤) عبد الواحد، سومر اسطورة وملحمة ، ، ص ٢٤١ .
- (١٥) ادزارد ، قاموس الالهة والاساطير، ت: محمد وحيد خياط (بيروت: دار الشرق العربي، ب.ت)، ج ١، ص ٦٢ .

(١٦) عبد الواحد، سومر اسطورة وملحمة ، ص ٢٤١-٢٤٢ ؛

Sara J.Milstein,Tracking the Master Scribe Revision through Introduction in Biblical and Mesopotamian Literature(America :Oxford University Press,2016),p.90

- (١٧) هوك ، الاساطير في بلاد ما بين النهرين ، ص ٥١ .
- (١٨) عبد الواحد، سومر اسطورة وملحمة ، ، ص ٢٤٢ .
- (١٩) هوك ، الاساطير في بلاد ما بين النهرين ، ص ٥١ .
- (٢٠) الشواف، ديوان الاساطير ، ج٤، ص ٤٨٤ .
- (٢١) عبد الواحد، سومر اسطورة وملحمة ، ص ٢٤٣ .
- (٢٢) كريم ، السومريون ، ص٢٢٩
- (٢٣) الأسود ، حكمت بشير، ادب الرثاء في بلاد الرافدين ،(دمشق: دار الزمان ، ٢٠٠٨)، ص ١٢٤
- Gwendolyn Leick ,A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology(London: Routledge,1991),p.116.
- (٢٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .
- (٢٥) حنون ، عقائد ما بعد الموت ، ص ٦٩ .
- (٢٦) الأسود، ادب الرثاء في بلاد الرافدين ، ص ١٣٩ .
- (٢٧) ادزارد ، قاموس الالهة والاساطير ، ج١، ص ١٧١
- (٢٨) الأسود ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
- (٢٩) الأسود، ادب الرثاء في بلاد الرافدين ، ص ١٤١ .
- (٣٠) عبد الواحد ، سومر اسطورة وملحمة ، ص ١٣٥ .
- (٣١) نمتار : يعني اسمه بالسومرية " مقدر المصير " كان بيده زمام ستين نوعا من الامراض والابوئة ويعتبر بمثابة الوزير للالهة (ايريشكيال) والمنفذ لاوامرها وقد وردت الاشارة بأنه بإمكانه تسليط الابوئة على البشر والالهة كما حدث ذلك بالنسبة للالهة (عشتار) عند نزولها الى العالم السفلي ،ونسبت الالهة (خشبيشاك) زوجة له وورد اسمها احيانا بصيغة (نمتارتو) وهي الصيغة المؤنثة من اسمه وقد ذكر في بعض النصوص بأنها لابن المحبوب للاله (انليل) ويفترض بعض الباحثين ان امه هي الالهة (ايريشكيال) ، ينظر : حنون ، عقائد ما بعد الموت ، ص ٢٠٧ .
- (٣٢) كوننتيو ، جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ،ت: سليم طه وبرهان عبد ،(بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٦)، ص ٣٣٤ .
- (٣٣) عبد الواحد ، سومر اسطورة وملحمة ، ص ١٣٦ .
- (٣٤) ايركالا : وهي تسمية اخرى للعالم السفلي اي المكان او المسكن الذي لا يخرج منه احد، ينظر :
- الشواف ، ديوان الاساطير ، ج ٤ ، ص ١٥٦ .
- (٣٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٠ .
- (٣٦) عبد الواحد ، المصدر السابق .
- (٣٧) الشواف ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٦٦ .

- (٣٨) عبد الواحد ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ .
- (٣٩) كونتنو ، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ، ص ٣٣٥ .
- (٤٠) حنون ، عقائد ما بعد الموت ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .
- (٤١) عبد الواحد ، سومر اسطورة وملحمة ، ص ١٣٧ .
- (٤٢) حنون ، نائل ، موت الاله " دموزي " (تموز) في عقائد حضارة العراق القديمة ، مجلة ما بين النهرين (الموصل : د.مط ، ١٩٨١) العددان ٣٤ - ٣٥ ، القسم الثاني ، ص ١٦٧ ،
- (٤٣) المصدر نفسه .
- (٤٤) علي ، سومر اسطورة وملحمة ، ١٠٨ .
- (٤٥) الأسود ، ادب الرثاء في بلاد الرافدين ، ص ١٣٣ .
- (٤٦) علي ، سومر اسطورة وملحمة ، ١٠٨-١٠٩ .
- (٤٧) حنون ، موت الاله " دمزي " (تموز) في عقائد حضارة العراق القديمة ، القسم الثاني ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .
- (٤٨) علي ، سومر اسطورة وملحمة ، ١٠٨ .
- (٤٩) المصدر نفسه .
- (٥٠) باقر ، ملحمة كلكامش ، ص ١٢٤ .
- (٥١) علي ، سومر اسطورة وملحمة ، ص ١٠٣ .
- (٥٢) باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم ، ٢٣٧ ؛
- Sandra Tabatha Cicero, Babylonian Tarot (America: Llewellyn Publications, 2006), p9.
- (٥٣) علي ، عشتار ومأساة تموز ، ص ١١١ .
- (٥٤) كريم ، صموئيل نوح ، اينانا و دموزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين ، ت: نهاد الخياط ، ط ٢ (دمشق : دار علاء الدين ، ٢٠٠٧) ، ص ١٤٨ ؛
- Glenn S. Holland, Gods in the Desert Religions of the Ancient Near East, (America: Rowman Press, 2009), pp163-164.
- (٥٥) باقر ، طه و ، فرنسيس ، بشير ، عقائد سكان العراق القدماء في العالم الاخر ، مجلة سومر (بغداد : دائرة الآثار والتراث ، ١٩٥٤) مج ١٠ ، ج ١ ، ص ٨ .
- (٥٦) رشيد ، نشأة الميثولوجيا والادب ، ص ٨٤ .
- (٥٧) باقر وفرنسيس ، عقائد سكان العراق القدماء في العالم الاخر ، ص ٩ .
- (٥٨) كريم ، من الواح سومر ، ص ٢٦٥ .
- (٥٩) حنون ، نائل ، موت الاله " دموزي " (تموز) في عقائد حضارة العراق القديمة ، مجلة ما بين النهرين (الموصل : د.مط ، ١٩٨١) العدد ٣٣ ، القسم الاول ، ص ٢٣ .

بين التحول والبعث في اساطير بلاد وادي الرافدين

- (٦٠) شارا : اله مدينة اوما الواقعة جنوب بلاد الرافدين ويعتقد انه كان اله حرب بسبب وصفه في المدائنه
الالهية على انه بطل الاله (ان) وهو ابن الالهة (انانا) في اسطورة لوكال بندا. ينظر : ادزارد ، قاموس
الالهة والاساطير ، ص ١٤١ .
- (٦١) باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم ، ص ٢٤١
- (٦٢) ولكشتاين وكريم ، اينانا ملكة الارض والفردوس ، ص ١٤٤
- (٦٣) باقر ، المصدر السابق .
- (٦٤) علي ، عشتار ومأساة تموز ، ص ١١٩ - ١٢٠ .
- (٦٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .
- (٦٦) باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم ، ص ٢٤٢ .
- (٦٧) باقر وفرنسيس ، عقائد سكان العراق القدماء في العالم الاخر ، ص ١١ .
- (٦٨) باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم ، ص ٢٤٨ .
- (٦٩) حنون ، عقائد ما بعد الموت ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .
- (٧٠) باقر وفرنسيس ، عقائد سكان العراق القدماء في العالم الاخر ، ص ١٢ .
- (٧١) علي ، سومر اسطورة وملحمة ، ص ١٠٦ .
- (٧٢) شمار ، المسؤولية الجزائية في الاداب الاشورية والبابلية ، ص ٨٨ .
- (٧٣) حنون ، عقائد ما بعد الموت ، ص ٣٢٤ .
- (٧٤) علي ، سومر اسطورة وملحمة ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .
- (٧٥) باقر وفرنسيس ، عقائد سكان العراق القدماء في العالم الاخر ، ص ١٢ .
- (٧٦) المصدر نفسه .

قائمة المصادر والمراجع العربية والاجنبية

- ١- ادزارد ، قاموس الالهة والاساطير ، ت: محمد وحيد خياط (بيروت: دار الشرق العربي، ب.ت)، ج ١.
- ٢- الأسود ، حكمت بشير ، ادب الرثاء في بلاد الرافدين ، (دمشق: دار الزمان ، ٢٠٠٨).
- ٣- باقر، طه و، فرنسيس ، بشير ، عقائد سكان العراق القدماء في العالم الاخر ، مجلة سومر (بغداد : دائرة
الاثار والتراث ، ١٩٥٤) مج ١٠ ، ج ١.
- ٤- حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٦).
- ٥- حنون ، نائل ، موت الاله " دموزي " (تموز) في عقائد حضارة العراق القديمة ، مجلة مابين النهرين (
الموصل : د.مط ، ١٩٨١) العدد ٣٣ ، القسم الأول.
- ٦- حنون ، نائل ، موت الاله " دموزي " (تموز) في عقائد حضارة العراق القديمة ، مجلة مابين النهرين (
الموصل : د.مط ، ١٩٨١) العددان ٣٤ - ٣٥ ، القسم الثاني .
- ٧- الشواف ، ديوان الاساطير ، (بيروت: دار الساقى ، ١٩٩٧) ، ج ١.

بين التحول والبعث في اساطير بلاد وادي الرافدين

- ٨- الشواف ، قاسم ، ديوان الاساطير ، (بيروت: دار الساقى ، ١٩٩٧) ، ج ٤ .
- ٩- الشواف ، قاسم ، ديوان الاساطير ، (بيروت: دار الساقى ، ١٩٩٧) ، ج ٢.
- ١٠- عبد الواحد ، فاضل ، سومر اسطورة وملحمة ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ٢٠٠٠).
- ١١- كريم ، صموئيل نوح ، الاساطير السومرية ، ت: يوسف داود ، (بغداد : مطبعة المعارف ، ١٩٧١).
- ١٢- كريم ، صموئيل نوح ، السومريون تاريخهم وحضارتهم ، ت: فيصل الوائلي ، (الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٧٣).
- ١٣- كريم ، صموئيل نوح ، اينانا و دموزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين ، ت: نهاد الخياط ، ط ٢ (دمشق : دار علاء الدين ، ٢٠٠٧).
- ١٤- كريم ، صموئيل نوح ، اينانا و دموزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين ، ت: نهاد الخياط ، ط ٢ (دمشق : دار علاء الدين ، ٢٠٠٧).
- ١٥- كريم ، صموئيل نوح ، من الواح سومر ، ت: طه باقر ، (بغداد : مكتبة المتنبى ، ١٩٧٢)
- ١٦- كوننتيو ، جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ، ت: سليم طه وبرهان عبد ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٦).
- ١٧- لابات ، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ت: الاب البيرابونا ووليد الجادر ، (بغداد: مطبعة التعليم العالي ، ١٩٨٨).
- ١٨- هوك ، صموئيل هنري ، الاساطير في بلاد ما بين النهرين ، ت: يوسف داود ، (بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، ١٩٦٨).
- 19- Don Nardo , Ancient Mesopotamia,(America: Greenhaven,2006).
- 20- Sara J.Milstein,Tracking the Master Scribe Revision through Introduction in Biblical and Mesopotamian Literature(America :Oxford University Press,2016).
- 21- Gwendolyn Leick ,A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology(London: Routledge,1991).
- 22- Sandra Tabatha Cicero,Babylonian Tarot(America:Llewellyn Publications,2006).
- 23- Glenn S. Holland,Gods in the Desert Religions of the Ancient Near East,(America:Rowman Press,2009).

دور و مكانة الإله خالدي في حضارة ومملكة أورارتو

**The role and place of the immortal god in the
Urartu civilization and Kingdom**

م.م. خيرية عبد حمد

إعدادية زرقاء اليمامة

وزارة التربية

المديرية العامة لتربية بغداد / الرصافة 2

قسم الإعداد والتدريب

شعبة البحوث والدراسات التربوية

دور و مكانة الإله خالدي في حضارة ومملكة أورارتو

م.م. خيرية عبد حمد

ملخص

الأورارتيين هم السكان القدماء والأصليين لإقليم كردستان العراق ومناطق زغروس ، حيث كانت مملكة أورارتو في أقصى اتساعها تضم مناطق من سوريا غرباً حتى البحر الأسود في الشمال، وتمتد إلى إيران وأرمينيا في الشرق ، حيث استطع ملوك أورارتو أن يجعلوا منها مملكة ذات شأن في تلك الحقبة أدت دوراً مؤثراً في حضارات الشرق الأدنى القديم كان لها ثقافتها الخاصة و عقائدها الدينية التي تتشابه إلى حد كبير مع العقائد الدينية التي سادت مختلف مناطق الشرق الأدنى القديم في بلاد الرافدين وسوريا القديمة : فقد وجد في كل من تلك الحضارات مجمع ديني ضم العديد من الآلهة التي كانت تعبد والتي كانت في الغالب تمثل قوى الطبيعة المؤثرة تأثيراً مباشراً في حياة الإنسان كإله المطر والرعد وإله الشمس والقمر وغيرها، مثل هذا المجمع الديني وجد في مملكة أورارتو وعبدت فيه آلهة متعددة وكان الإله الأعلى يختلف من فترة إلى أخرى، فعندما بدأت تزداد أهمية القوة العسكرية للدولة نجد أن إله الحرب يصعد إلى المرتبة الأعلى في قائمة الآلهة حتى يقف إلى جانب الملك في حروبه ويمنحه النصر على أعدائه ، وعندما بدأت أورارتو بالتوسع يصبح الإله خالدي و إله الحرب هو الإله الوطني لمملكة أورارتو القديمة، التي حكمت الهضبة المحيطة ببحيرة فان، شرق تركيا حالياً، من حوالي ٩٠٠ إلى حوالي ٦٠٠ قبل الميلاد. تم تصوير خالدي كأرجل، بأجنحة أو بدونها، يقف على أسد، وفي غياب النصوص الدينية، لا تُعرف صفاته الأخرى.

summary

Kingdom of Urartu, researchers consider that the Urartians are the ancient and original inhabitants of the Kurdistan Region of Iraq and the Zagros regions. At its greatest extent, the Kingdom of Urartu included areas from Syria in the west to the Black Sea in the north, and extended to Iran and Armenia in the east. The kings of Urartu were

able to make it an important kingdom in that era. It played an influential role in the civilizations of the ancient Near East. It had its own culture and religious beliefs that were very similar to the religious beliefs that prevailed in the various regions of the ancient Near East in Mesopotamia and ancient Syria.

In each of these civilizations, there was a religious complex that included many gods that were worshiped, and who often represented the forces of nature that had a direct impact on human life, such as the god of rain and thunder, the god of the sun and the moon, and others. Such a religious complex was found in the Kingdom of Urartu, and multiple gods were worshiped in it. The supreme god varied from one period to another. When the importance of the military power of the state began to increase, we found that the god of war rose to the highest rank in the list of gods until he stood by the king in his wars and granted him victory over his enemies.

As Urartu began to expand, the immortal sun god and war god became the national god of the ancient kingdom of Urartu, which ruled the plateau around Lake Van, in present-day eastern Turkey, from about 900 to about 600 BC. Haldi is depicted as a man, with or without wings, standing on a lion; In the absence of religious texts, his other qualities are not known.

مقدمة :

نشأت المملكة الأورارتية في القرن التاسع ق.م لتصبح قوة هامة قادرة على مواجهة عدوها الأول الدولة الآشورية الحديثة. وبعد أن ركز ملوك أورارتو سلطتهم حول حوض بحيرة فان، بدءوا بتوسيع سيطرتهم واتخذوا من إله الحرب خالدي معينا لهم حسب المعتقدات الدينية لسكان أورارتو آنذاك ، في القرن الثامن ق.م أصبحت المملكة الأورارتية تمتد بين الأناضول وضايف بحيرة أرومية.

كما كان التنظيم السياسي للمملكة يقوم في البداية على تحالف بين عدة قبائل اتحدت حول أسرة حاكمة من بينها وكان الجيش نواة هذا التنظيم كان الملك يترأس الحروب التي اتبعت سياسة عسكرية توسعية جعلت حدود المملكة تتسع إضافة إلى المنافع الاقتصادية الكبيرة التي حصلت عليها وساهمت في حركة العمران والنشاط الاجتماعي والديني ، فبنيت القصور والمعابد وجددت المعابد القديمة ، وعندما وصل الإله خالدي إلى

منصب الإله الأعلى للمملكة الأورارتية قامت حركة عمرانية نشطة لتجديد معابد وبناء معابد جديدة ولا شك ساهمت حالة الرخاء الاقتصادي للمملكة الأورارتية في هذا الاهتمام بمعابد الإله خالدي.

الهدف من البحث:

يهدف هذا البحث إلى الاطلاع على العقائد الدينية للمملكة الأورارتية، خصوصا أن المعلومات المتوفرة عن الموضوع قليلة ومشتتة بشكل عام ، لذلك سنحاول جمع المعلومات المتعلقة بالموضوع ووضعها في إطارها الصحيح حتى نحصل على معلومات ذات قيمة عن العقائد الدينية لواحدة من الممالك التي نشأت وأثرت في تاريخ حضارات الشرق الأدنى القديم.

أهمية البحث:

تعود أهمية البحث إلى قلة الأبحاث بشكل عام التي تناولت موضوع أهمية الإله خالدي في حضارة مملكة أورارتو .ولتسليط الضوء على تلك الحضارة التي شغلت حيزا مهما من تاريخ منطقة غربي آسيا القديمة.

لمحة تاريخية وجغرافية عن مملكة أورارتو :

مملكة أورارتو الاسم الذي استخدمه الآشوريون على بلاد نائيري. ففي كتابات ملك آشورشلمنصر الأول (١٢٧٤ - ١٢٤٥)، تم استخدام مصطلح "أورارتي" للدلالة على الأراضي الواقعة في الأناضول الشرقي والتي تجمع بين المرتفعات والقمم الجبلية وبعض السهول وعدد كبير من البحيرات . هذه المناطق كانت تسمى "نائيري" في الكتابات المسمارية التي ترقى إلى الألف الثاني ق. م^(١).

تأتي كلمة "أورارتو" من كلمة "أوراشتو"، وهي كلمة آشورية تعني المملكة، وتعني "المكان المرتفع"، وربما تشير إلى المنطقة الجبلية أو بناء التحصينات على نتوءات صخرية.و بالنسبة للبابليين كانوا يطلقون عليها اسم "أوراتري"، و أطلق الأورارتيون على أنفسهم اسم "بباينا" ودولتهم "بباينيلي".^(٢)

ومملكة أورارتو أو مملكة فان، حضارة ازدهرت وتطورت في العصر البرونزي^(٣) والحديدي^(٤) في أرمينيا القديمة وشرق تركيا وشمال غرب إيران منذ القرن التاسع قبل

الميلاد. وسعت مملكة أورارتو سيطرتها على الأراضي من خلال القوة العسكرية وبناء الحصون، لم تصمد المملكة إلا لقرنين من الزمان، ثم اختفت بشكل غامض في القرن السادس قبل الميلاد، ولم يُعاد اكتشافها كثقافة قديمة متميزة ويمكن التعرف عليها إلا من خلال الحفريات التي أجريت في القرن التاسع عشر الميلادي.

يظل تاريخ أورارتو مجزأً بسبب عدم وجود مصادر مكتوبة موسعة والاعتماد على مصادر من نقوش الدول المعادية لأورارتو والمعاصرة لها مثل آشور^(٥). ومع ذلك، فإن النقوش والهندسة المعمارية والمصنوعات اليدوية الباقية، جنباً إلى جنب مع التنقيبات الأثرية المستمرة، ساعدت في إعادة تشكيل تاريخ منطقة أورارتو بشكل مقبول إلى حد ما، يمكننا معها القول بأهمية الحضارة والثقافة الأورارتية كواحدة من أكثر الثقافات القديمة تأثيراً في المنطقة^(٦).

وأول ذكر لمملكة أورارتو جاء في النصوص العائدة لعهد الدولة الآشورية وبالتحديد إلى فترة حكم الملك شلمنصر الأول (١٢٧٣ - ١٢٤٤ ق.م.)، حيث ورد في حوليات هذا الملك أنه حارب ثمانية مدن في مملكة أورارتو، وهذا يدل أن أورارتو لم تكن مملكة موحدة آنذاك، بل عبارة عن مجموعة من دويلات المدن الصغيرة على النمط الذي كان سائداً قبل ذلك التاريخ في بلاد عيلام القديمة^(٧).

وفي منتصف القرن التاسع ق.م، أشارت النصوص الآشورية إلى وجود مملكة أورارتية موحدة، على رأسها ملك يطلق عليه اسم أرامي (Arame) وعاصمة مملكته أرزاسكون (Arzascun). وكان الملك الآشوري شلمنصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ ق.م.) أول من توجه لحرب هذه المملكة الموحدة في أثناء حملة قام بها عام ٨٥٦ ق.م، ونجح في احتلال عاصمتها وتدميرها. ويبدو أن انتصار شلمنصر الثالث هذا لم يكن حاسماً. بدليل أن حملته الثانية ضد أورارتو عام ٨٣٢ ق.م قد اخفقت^(٨).

وقد استغل الأورارتيون الضعف الذي حل بالآشوريين نتيجة الحرب الأهلية في آشور في أواخر حكم شلمنصر الثالث^(٩)، ليعيدوا بناء مآدمته الحروب مع الآشوريين، وأخذوا في التوسع خارج حدود مملكتهم. وبدأت المرحلة الجديدة من تاريخ أورارتو بالظهور في عهد

الملك ساردوري الأول (Sarduri I) الذي اتخذ من مدينة توشپا Tushpa في موقع مدينة فان (وان) Van التركية اليوم عاصمة له^(١٠).

ومن خلال ما ذكرته المصادر الآشورية أن المملكة برزت لأول مرة من حوالي ٨٣٠ قبل الميلاد في عهد الملك ساردوري الأول (حكم ٨٣٥-٨٢٥ قبل الميلاد) الذي حكم أحفاده لمدة قرنين من الزمان. في عام ٧٧٦ قبل الميلاد، أسس أرجيشتي الأول (حكم ٧٨٥-٧٦٠ قبل الميلاد) مدينة جديدة، أرجيشتيهينيلي (rajishatihinili)، على سهل أرارات، لتصبح فيما بعد المدينة الثانية للمملكة وأعيدت تسميتها بأرمفير (armafir). بعد ذلك، حوالي عام ٦٨٥ قبل الميلاد، أسس الملك روسا الثاني (حكم ٦٨٥-٦٤٥ قبل الميلاد) مدينة تيشيبيني (tishibini) الشمالية المهمة (يريفان الحديثة)، أيضًا على سهل أرارات. كانت مراكز أورارتو المهمة الأخرى هي بسطام وكارمير بلور وأديلسيفاز وأيانس^(١١).

المبحث الثاني: المعتقدات الدينية في المملكة الأورارتية ومكانة الإله خالدي:

لم تكن العقاد الدينية لسكان أورارتو تختلف عن ما كان سائدًا بوجه عام في الشرق الأدنى القديم (سوريا_ بلاد الرافدين) حيث كان المجمع الديني الخاص بهم يحوي على مزيج من الآلهة مثل إله العواصف والرعد تيشيبا (Techeba) و الإله شيفيني (Cheveni) إله السماء ، والإله خالدي الذي ارتقى إلى مرتبة الإله الأعلى في الحضارة الأورارتية ، وقد قام الملك إيشبويني في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد بترقية هالدي (خالدي) إلى مرتبة الإله الأعلى وزعيم الآلهة، و الإله خالدي بالاصل كان إله محلي المدينة مصاصر^(١٢) ، على الرغم من أن دوره ووظيفته غامضان إلى جانب ارتباطه بالحرب. غالبًا ما يتم تصوير خالدي على أنه رجل يقف على ثور أو أسد، رمزًا للقوة^(١٣).

كانت مدينة مصاصر أحد أهم المراكز الحضارية التي تنتشر فيها عبادة الإله خالدي وقد أعطى الملوك الأورارتيين أهمية كبيرة لعبادة هذا الإله، وقد تخطت عبادة هذا الإله كل الآلهة الأخرى من حيث عدد المعابد المكرسة له أو من حيث عدد القرابين والتقدمات المخصصة لكل الإله^(١٤).

في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد كان الإله خالدي قد احتل مكانة عظيمة لدى سكان أورارتو ، حتى أن عبادته انتشرت خارج المملكة الأورارتية ،حتى أنهم في كتاباتهم ذكروا أنهم زاروا المعبد وعبدوا الإله الخالدي وقدموا القرابين للإله في المعبد^(١٥).

وكان ملوك أورارتو في كتاباتهم ينسبون انتصاراتهم العسكرية إليه ويقولون إنها كانت مدعومة من الإله الخالدي الذي كان بحمي الملك والجيش و ظهر في النقوش كإله محارب يحمل أسلحة لقيادة الجيش وبهذا نجد أن مكانة الإله خالدي كانت تعادل مكانة الإله آشور في الدولة الآشورية ، ومعبد الإله خالدي كانت مكانته تعادل مكانة معبد الإله آشور ، لذلك كان الآشوريين حريصين على تدميره عندما هاجموا أورارتو.والذي تم تدميره بمبادرات إلهية للأمة^(١٦).

قام الملك ساردور الأول الذي كان (كما ذكرنا سابقا) من أشهر ملوك أورارتو ببناء عاصمة جديدة تسمى توشيا، وهي تقع في الأجزاء الجنوبية الشرقية من بحيرة فان في منطقة جبلية صعبة لتجنب هجمات الأعداء . تم اكتشاف بقايا مدينة نستاي الواقعة في قرية مجلسار في منطقة سيدكان بودوست، كما تم اكتشاف أعمدة معبد الإله الخالدي هناك، والذي كان أقدم مقر للإله الخالدي في المنطقة^(١٧) .

فضلا عن ذلك هناك بعض الروايات التاريخية التي تذكر أن عبادة الإله خالدي أدخلت إلى المملكة الأورارتية في عهد الملك يشبويني (Išpuini) وأن هذا كان من أهم الأعمال السياسية لهذا الملك ، ويسوق أصحاب هذا الرأي دليلا على ذلك أن أقدم النقوش الأورارتية والتي تعود إلى عهد الملك ساردور والتي عثر عليه في قلعة ساردور^{١٨} لا تذكر الإله خالدي، كما يرد في النقوش ذكر مايسمى مدينة خالدي^(١٨) (hal -de-i pa-a-ta- re)، موثقة في نقوش الملك منوا Menua بالقرب من غوزاك Güzak على بحيرة وان^(١٩) جاء في أحد النقوش كان نيشبوني أول ملك أورارتي يرفع الإله خالدي فوق الآلهة ، ويوجد نص يعود تاريخه إلى أواخر القرن التاسع قبل الميلاد، يتحدث النص عن آلهة مملكة أورارتو ومما جاء فيها :

((عن سلالة آلهة مملكة أورارتو هي أسماء تسعة وسبعين إلهاً للأورارتو.)) ومنهم الإله خالدي فوق كل الآلهة ثم جاء الإله تيشيباتيشوب وهو إله العاصفة والبرق، وتلاه الإله

شيفيني الذي كان إله الشمس . وهناك أسماء عدة آلهة أخرى ينتمي كل منها إلى مدينة أو مملكة خاضعة لحكم مملكة أوراتونيرواي، وفي نفس النقش يذكر أنواع الحيوانات التي تقدم قرابين للآلهة، وكذلك ووقت التضحية التي تعطى للإله الخالدي بسبب مكانته في مملكة أوراتونيرواي (١٧ حيوانا و ٦ ماعز و ٣٤ بقرة ، ويرد : أنا عظمة الشباب وقوة الأسلحة والبوابات وقوى الخالدي تستحق العبادة كما لم يفعل أي إله آخر في معبد أورارتي) حيث قدم عدد كبير من الحيوانات له كذبائح مع مراعاة مكانة الإله و كان يتم التضحية حسب مكانة الآلهة، فمثلاً يحتاج الإله تيشبا للتضحية ب ٦ بقرات و ٨ خروف و الإله شيفيني يحتاج إلى بقرتين و ٤ خروف (٢٠).

وفقاً للنقش ، لا يوجد إله آخر في مملكة أورارتو يمكنه منافسة منصب الإله خالدي، الذي أصبح الإله الملكي في عبادات الأورارتيين، وإن المكانة والأهمية المعطاة لهذا الإله تظهر أنه كان أكثر من مجرد إله أعلى، ولكن بصفته حامي المملكة ورمز المملكة وهوية أورارتو أصبح الإله الخالدي ومعبده يعادل الإله القومي (٢١) لمملكة آشور (٢٢) .

مكانة الإله خالدي:-

الالهة الخالدي أحد أهم آلهة مملكة أورارتو الذي أصبح الإله الأعلى في المملكة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، تم تصويره كرجل يرتدي التاج. وفي بعض اللوحات، يقف على ظهر أسد بطريقة مجنحة لأنه كان إله الحرب، فعندما كان ملوك أورارتو يذهبون إلى الحروب ، يأتوا إلى المعبد و يصلوا من أجل أن تكون حياتهم محمية ومنتصرة لأن المهمة الرئيسية للآلهة كانت النصر العسكري في الحروب وهذه كانت مهمة الإله خالدي (٢٣) .

و بسبب مكانة الإله الخالدي القوية قاموا ببناء وتجديد المعابد وكرسوها لخدمة الآلهة وخاصة الإله خالدي ، بالإضافة إلى ذلك، كان ملوك أورارتو يقدمون دائماً القرابين للإله الخالدي خلال قيامهم بالأعمال الحربية وحتى الاقتصادية والعمرانية ويحتفلون بها ، ورد في نقش يدعى نقش مهيري دوردا: ((زرع إشبوني بن ساردوريومينواي بن إشبوني بستاناً جديداً لم يتم القيام به من قبل، ويجب التضحية بثلاثة أغنام للإله خالدي ويجب التضحية بثلاثة أغنام لجميع الآخرين)). وفيما يتعلق بنشاط التعمير، نص آخر يعود إلى الملك منوة

بن نيشبويني يذكر إنشاء القناة، والذي يذكر بفضل الإله خالدي منوة بن شبويني أنشأ القناة^(٢٤).

مركز عبادة الإله خالدي:

المصاصير أو قرية كانت أقدم مركز لعبادة الإله الخالدي عند الأورارتيين في الألف الأول قبل الميلاد. وتقع هذه المدينة على بعد حوالي ١٨ كم شمال وغرب منطقة راوندوز^(٢٥) الجزء الشمالي الشرقي من البلاد الجنوبية، و تمتد إلى راوندز في الجنوب، و تقع هذه المدينة خارج إقليم أورارتو ومملكة مستقلة مثل كل من الممالك المحيطة بها آنذاك. وجاء في نقش حجري في يازياي طاش Yazılıtaş والذي ينسب للملك منوايرد ذكر الإله خالديتشيرالنقوش إلى عظمة الإله خالدي، وأن الملك منوا أصبح ملكا قويا ملكا عظيما ملكا على بلاد بيانيلي مدينة توشبا العظيمة يقول من يدمر من يكسرها لا ينبغي أن يضحك في الليل أو يبشر ، وان القوة التي يتقرب منها سيدمرها الإله خالدي وتشيبا وشيفيني وجميع الآلهة^(٢٦).

وفي جميع أنحاء مملكة أورارتو ، حافظ الإله خالدي على مكانته الرفيعة وكان هؤلاء يظهرون امتنانهم من خلال التضحية المستمرة للآلهة، وخاصة الإله خالدي .

معبد الإله خالدي:

كان يقع في مدينة مصاصير (مجيسر الحالية) كان بمثابة معبد لعبادة الشمس ومحج لملوك شعب اورارتو تعرض للنهب أيام الملك الاشوري سرجون الثاني في حملته على بلاد مصاصير في ٧١٤ قبل الميلاد وقد تم اكتشاف قطع اثرية من المعبد في خورسباد^(٢٧)، عام ١٨٥٠ وحاولوا نقله عبر دجلة إلى أحد المتاحف في لندن إلا أن القافلة تعرضت للسلب من قبل البدو وغرقت القطع في دجلة وبقيت مدفونة في قعر النهر ولم يتم اكتشافها إلى اليوم^(٢٨).

وتعود شهرة (نارديني) إلى قدسية ومكانة الإله الخالدي. وقد حظيت عبادة هذا الإله بأهمية كبيرة عند ملوك أورارتو في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد لدرجة أن ملوك أورارتو يفتخروا بزيارة المصاصير حيث معبد الإله خالدي و تم بناء المعبد الواقع في وسط المصاصير على شكل مستطيل بقاعدة على شكل خيمة ولم تتمكن من إثبات هذه الحقيقة

باستثناء معبد الإله الخالدي في المصير لم يتم تصوير أي معبد آخر لأورارتو ، عثر في أنقاض المعبد على (١٧) عمود من طراز أورارتي ، و يعود تاريخها إلى حوالي العام (٨٠٩ ق.م) ، حيث لم يتم العثور على مثل هذه الأعمدة في موقع معابد أورارتية أخرى^(٢٩)،

و عثر على مسلة حجرية على بعد ٢٠٠ متر من حدود إقليم كردستان العراق، غرب الحدود بين العراق وإيران ، وهي من الحجر البازلتي المستطيل (شكل ٤) الجزء العلوي مقوس وعلى قاعدة مستطيلة ارتفاعها حوالي ٢ متر وعرضها ٦٠ سم وسمكها ٣٠ سم ، في عام ١٨٢٩ وزار عالم الآثار الألماني شولتز المنطقة ونسخ كتاباته. إلا أنه قتل على يد السكان المحليين و تم تدمير جميع الوثائق والنسخ الخاصة بنص المسلة^(٣٠) .

بعد ذلك عمل رولنسون على نشر نصوص المسلة على الرغم من أنها أصيبت بعدة أضرار لأسباب طبيعية وأخرى من صنع الإنسان بعد حوالي (٢٨٠٠) سنة من بقائها في مكانها خلال حرب الثماني سنوات بين العراق وإيران في منتصف الثمانينات وتم نقلها إلى المتحف الروسي حيث هي محفوظة الآن^(٣١).

وجاء فيها: ((كانياننیشبويني بن سردوري، ملك مدينة توشبا الكبرى، ومنوا بن تشبويني إلى الخالدي في مدينة نارديني، فوضع ابن سردوري نقشاً أمام المعبد. أحضر أسلحة جميلة، أحضر أواني نحاسية وأواني نحاسية مهربة، قدم عدة أدوات جديدة للخالدي كأضاحي: ١١١٢ رأساً جديداً، ٩٠٢٠ ماعزًا (٤) و ١٣٤٨٠ ماعزًا كبيرًا (٢) شجاعة مدينة توسيا هاني. أمام الخالدي بني هذا المعبد في مدينة نارديني بمباركة الخالدي وتم وضعه أمام أبواب الخالدي في مدينة نارديني عندما جاء إشبوني بن ساردوري (و) منوا بن نيشبوني قبل الإله خالدي في مدينة نارديني. نارديني قدموا القرابين للإله خالدي كل من ساعد غيره على أخذ الضحايا أو إخفاء الضحايا في مكان آخر بعيدا عن مرأى من أي شخص يسمع أن هناك من ضحية أخذ بئرهم أمام بوابة الخالدي أو من أعطاهم له مسح الإله نسله من الأرض ومن جعل ذرية إنسان يفعل ذلك أو لا يرجع فهو هلك^(٣٢))).

يعتبر هذا أهم مصدر أثري لمملكة أورارتو و يظهر البعد الديني لمملكة أورارتو وهو أن الإله خالدي هو الإله القومي لمملكة أورارتو ورئيس الآلهة عبر التاريخ.

في هذا النقش أيضا ذكر الملك نيشبويني وابنه مينوا أنهم بنوا معبداً للإله خالدي في نارديني ولم يكن المعبد موجوداً من قبل ولا المعبد نفسه تم تجديده وتوسيعه ولكن في نهاية الألف الأول قبل الميلاد ، دمرها الملك شلمنصر الأول (١٣٧٤-١٢٤٥ ق.م) و تصف مدينة المصاصير بأنها مدينة مقدسة، بمعنى أن المدينة كانت تعرف بالمدينة المقدسة حتى في الألف الثانية قبل الميلاد، ويشير نص مكتوب عن الإله الخالدي إلى أن الخالدي أصبح الإله القومي للأورارتيين وكانت زوجته الإلهة أرباني^(٣٣).

و في نقش "باب المهري"، يظهر بوضوح تفوق الإله الخالدي على باقي الإله ، بما في ذلك الآلهة المحلية للبلاد . وفي عهد إيشبويني أيضاً، بدأت عملية نشر عبادة الإله الخالدي، حيث وصلت عبادته إلى الأراضي التي تم فتحها حديثاً، بما في ذلك توشبا، والتي ربما فرضت على السكان المحليين^{٣٤} .

و من خلال تتبع المراحل الرئيسية لتطور العمارة عبر تاريخ أورارتو حتى القرن السادس قبل الميلاد. نجد إن السمات المميزة لهيكل المعابد، كانت في أبعاد المعبد وأنواع الأعمدة وإنشاءات السقف، كما يذكر أن المعابد الأورارتية ومن ضمنها معبد الإله خالدي كانت في الوقت نفسه مراكز مهمة لتصنيع المعادن ،وقد أدى معبد الإله خالدي دوراً أساسياً في هذا كونه المعبد الرئيسي في أورارتو ،حيث وجدت فيه عناصر ضخمة لصب المعادن، وورش لتصنيع الأدوات النحاسية والبرونزية ،ومعادن أخرى^(٣٥)،

عثر أيضا في قرية توبزاوا التي تبعد حوالي ٧ كم عن ناحية سيدكان^(٣٦) على مسلة حجرية وهي محفوظة في متحف أربيل على أساس حجري مثبت في نقش نوع الحجر المصنوعة منه . - ارتفاع (١٣٣) طول القاعدة ١٦ سم والعرض ٩٢ سم والسمة ٣٣ سم، قام عدد قليل من الناس بدراسة المسلة في عام ١٨٤١، وبعد ذلك قام عالم الآثار الفرنسي (دي مورغان) بالاطلاع على المسلة في عام ١٨٩٤ ودرسها مرة أخرى. وخرج بالنتائج التالية:

ويعود تاريخ المسلة إلى عهد الملك روسا الأول (٧٣٤-٧١٤ ق.م)، أي قبل حملة سرجون الثاني الثامنة على مملكة أورارتو بوقت قصير جدا ، وتوجد على جانبي الميل

نصوص مسمارية مكتوبة على جانب واحد باللغة الجنوبية ب ٣٧ ديراً والوجه الآخر مكتوب باللغة الأورارتية في ٣٨ ديراً مما سهل معرفة النص وفهمه^(٣٧).

يوضح النقش الموجود أهمية ومكانة الإله الخالدي الذي استطاع أن يعيد الأيام السعيدة إلى مصاصير ، طلب تورزانا ملك مصاصير من روساي ابن الملك أورارتو ملك ساردور أن يتحالف معه لحماية حياته وإنقاذه من حكم الآشوريين، فاستمع إلى كلام الإله الخالدي وجاء لنجدة روسا، قبل روسا معاهدة تورزانا وعينه ملكاً على مصاصير وذهبوا إلى معبد الآلهة ووقف تورزانا أمامه وأقسم الولاء لملك أورارتو روسا وقدم القرابين وسكب الماء على معبد الإله خالدي. خلق الإله خالدي في مصاصير، صلى نورزانا مع جيشه أمام المعبد، وبعد حلول الظلام، أخضع أورزانا جميع قواته لسلطة الملك روسا^(٣٨). ينتهي النص الموجود في هذه الصفحة على النحو التالي

«أنا روسا عبد الإله خالدي الراعي الحقيقي للشعب بعون الإله خالدي لم أخاف من الحرب الإله خالدي أعطاني القوة والسعادة أعطاني أياماً سعيدة نشر السعادة في قلبي»، وخلال حكم «روسا» الثاني (٦٨٠ - ٦٥٤ ق.م) عاشت أورارتو حقبة جديدة من الازدهار كانت الأخيرة في تاريخها. ساد فيها السلام مع الدولة الآشورية. وتركز اهتمام روسا الثاني في هذه المرحلة على مناطق ماوراء القوقاز بسبب وصول مجموعات القبلية البدوية الجديدة من القبائل «السكيثية»^(٣٩) (Scyths). وفي عهد الملك ساردوري الثالث بلغت أورارتو درجة من الضعف دفعته إلى الاعتراف بالسيادة الآشورية على بلاده، ويدعو نفسه في رسالة وجهها إلى (اشور - باني - ابلي) ب (ابن ملك آشور). بعد سقوط الدولة الآشورية نحو عام ٦١٠ ق.م خضعت أورارتو للميديين الذين أبقوا عليها دولة تابعة لهم حتى الأعوام ٥٩٣ - ٥٩١ ق.م حيث قضوا على استقلالها نهائياً. ومنذ نهاية القرن السادس ق.م، بدأت القبائل الأرمنية بالدخول إلى بلاد أورارتو، قادمة من الأناضول لتعطي المنطقة اسم أرمينيا^(٤٠).
نهاية أورارتو:

هاجم جيش الآشوري المدينة واستولى على الكثير من معبد الإله الخالدي وقصر الملك، أما حاكم المدينة تورزانا، هرب للنجاة بحياته، وأسر الآشوريون عدداً كبيراً من السكان

ومن بينهم عائلة تورزانا، بعد أن خضعت المدينة وعين ملك آشور حاكما اشوريا للإشراف على المدينة وأصبحت مدينة مصاصير جزءاً من المملكة الآشورية^(١) بعد مهاجمة أورارتو ونهب المدينة، كتب سرجون الثاني: "المصاصير لقد دمرت واحتلت مقر الإله الخالدي، حيث لديه ٦١٧٠ ابنًا وبناتًا وأسرت ٦٩٠ شخصا و ٩٢٠ عنزًا و ١٠٠٣٢٥ خروفاً وأحضرت لهم ٣٤ وزنة و ١٨ مينا، لقد أحضرت عددًا كبيرًا من الأحجار الكريمة..... وأبقار برونزية، والعديد من الأشياء الثمينة الأخرى إلى بلاد آشور ، وبعد عام من هذا النهب، في عام ٧١٣ قبل الميلاد، أعيد تمثال الإله خالدي إلى المصاصير نتيجة اتفاق كان الغرض من هذا الاتفاق بين الآشوريين والاورارتيين فقط استعادة تمثال الإله خالدي وكان للإله خالدي مكانة بارزة في مملكة أورارتو، لدرجة أن الاتفاق كان على إعادة تمثال الإله بسبب قدسيته^(٢))).

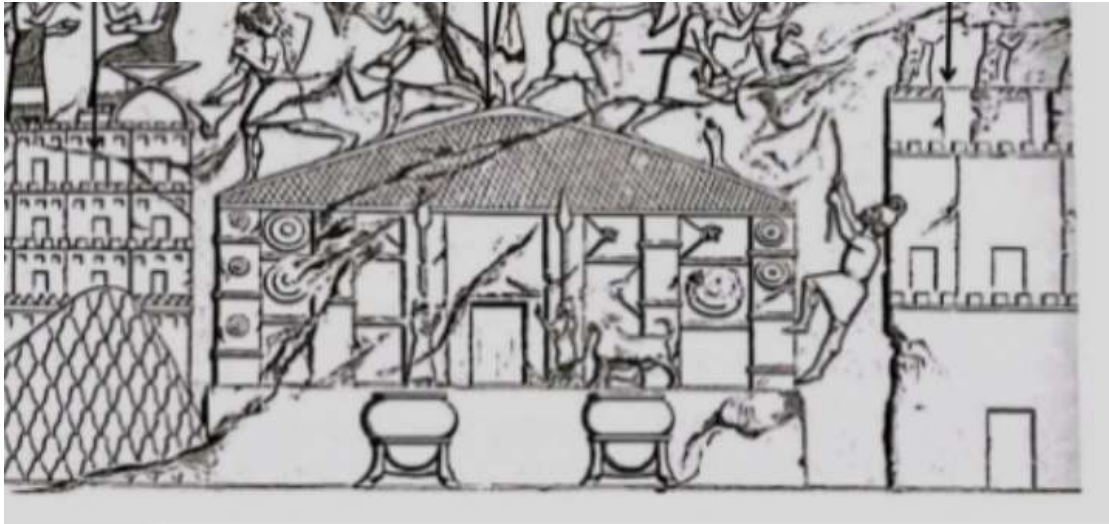
خاتمة :

من خلال دراسة أهمية عبادة الإله خالدي في حضارة ومملكة اورارتو ، نجد أن ثقافة وأفكار الشعب الأورارتي كانت تتشابه إلى حد كبير مع ثقافة ومعتقدات باقي شعوب المنطقة القديمة في كل من بلاد الرافدين وسوريا القديمة ، وهذا دليل على الانخراط الحضاري والتلاقي الثقافي بين تلك الشعوب ، فلم تمنع الصراعات التي كانت تنشأ بين الحين والآخر من تبادل الأفكار والثقافات بين مختلف الشعوب والأعراق التي كونت ممالك وحضارات الشرق الأدنى القديم.

و كانت عبادة الإله خالدي تشبه إلى حد كبير مع عبادة الإله التي وجدت آنذاك في ممالك بلاد الرافدين وسوريا مثل الإله آشور الإله الأعلى للمملكة الآشورية و إله الحرب فيها . في النهاية نتمنى أن تمدنا المصادر الأثرية في المستقبل بمعلومات أكثر عن هذه المملكة وحضارتها التي كانت واحدة من حضارات الشرق الأدنى القديم أثرت وتأثرت بمختلف الحضارات التي كانت سائدة ومنها بالدرجة الأولى الحضارة الآشورية التي عاصرتها



صورة تمثل الإله خالدي متطيا ظهر أسد، نقش نافر محفوظة الآن في متحف تريبوني في باريكان
ينظر: صلاح رشيد الصالحي، مملكة أورارتو، العلاقات الآشورية الأورارتية، مصدر سابق، ص 7



صورة مثل مشهد لنهب واحتلال مدينة المصاصير ومعبد الإله خالدي من قبل الآشوريين
حيث توجد قلعة من طابقين وعلى سطح القلعة عدة أشخاص يرفعون أيديهم إلى السماء ولا يصلون هرباً
من هجوم الغزاة الآشوريين ، لكن وجوههم غير مرئية، لكن لا بد أنهم نساء أورارتو. وهناك تل صغير
على يسار المعبد، وخلفه بيوت المدينة مبنية على ارتفاع الجبال

The Eastern provinces of Urartu and the beginning of History in “, (Salvini, M., (2009
Iranian Azerbaijan Altan Çilingiroğlu and Armağan, Istanbul pp.497



(صورة لمسلة في متحف أربيل المدني)

ويعود تاريخه إلى عهد الملك روسا الأول (٧٣٤-٧١٤ قبل الميلاد)، أي قبل عام من حملة سرجون الثاني الثامنة على مملكة أورارتو. وتوجد على جانبي الميل نصوص مسمارية مكتوبة على جانب واحد والوجه الآخر مكتوب باللغة الأورارتية

(¹) Grayson, A.K. 1991: Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC 'I: 1114–859 , S.Royal Inscriptions of Mesopotamia, 1990,p163

(²) Marriott, J. and Radner, K. 2015: 'Sustaining the Assyrian army among friends and enemies in 714 BCE'. Journal of Cuneiform Studies 67, 127–43, 2013,p321

(³) مراحل هذا العصر تتوزع كالتالي : المرحلة الأولى من ٣٤٠٠-٢٩٠٠ ق.م، المرحلة الثانية من ٢٦٥٠-٢٩٠٠ ق.م، المرحلة الثالثة من ٢٣٥٠-٢٦٥٠ ق.م، والمرحلة الرابعة من 2000_2350 ق.م. للمزيد ينظر:

Joffe, A., H., "Settlement and Society in the Early Bronze Age I and II, SouthernLevant". Complementary and Contradiction in a Small-Scale Complex Society,1993, p98

(⁴)العصر الحديدي: بدأت فيما بين ١٥٠٠ و ١٠٠٠ ق.م. حيث انتشر استخدام الحديد في صناعة الأدوات والأسلحة، وبدأ التشكيل الحقيقي للحديد في آسيا الصغرى وانتشر في أجزاء كثيرة من آسيا وإفريقيا وأوروبا. وكان الحديد يتميز في رخصه؛ وانتشار خاماته على نطاق واسع . وفي ذلك العصر ، تولى الصناع عن أدوات العصر البرونزي المتواضعة وغير المصقولة، بعد أن أصبح استخدام الحديد شائعاً بقوة. للمزيد ينظر: علا المهدي التونسي، المسلات والتماثيل في منطقة شمالي سورية وجنوب شرقي الأناضول (عصر الحديد الأول والثاني: ١٢٠٠-٧٠٠ ق.م) مجلة دراسات تاريخية، العدد 140، دمشق، 2020، ص44

(⁵)الآشوريون هم من شعوب وادي الرافدين ،سكنوا المنطقة الشمالية من حوض نهر دجلة،بعد الهجرة من منطقة بابل خلال العهد الأكدي .اختلط الآشوريون مع الشعوب الجبلية مثل الحيثيين والهوريين،كان الظهور السياسي بالنسبة للآشوريين، قد وضح في الخضوع لسيطرة أسرة أور الثالثة، والتي ما إن بدأ سلطانها بالزوال، حتى تطلع الملك «بوزور آشور الأول» لإعلان الاستقلال والعمل على تأسيس الحكم الآشوري خلال العام ٢٠١٢ ق.م. للمزيد

ينظر: هاري ساكز، قوة آشور، ترجمة، عامر سليمان، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1999، ص25

(⁶) رشيد الصالحي، مملكة أورارتو العلاقات الآشورية _ الأورارتية من القرن التاسع إلى القرن السادس ق.م. ، بغداد، 2020، ص 68_70

(⁷) Badalyan, M., "The Urartian Weather God Teišeba", Armenian Journal of Near Eastern Studies Vol.IX, Armenia, 2015 p.154-.

(⁸) علي قاسم محمد ، سرجون الآشوري (705 _ 721 ق.م) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة بغداد، 1983، ص78

(⁹) شلمنصر الثالث وهو ابن الملك آشور ناصربال الثاني. حكم مدة طويلة بلغت خمسة وثلاثين عاما، دون أعماله خلال مدة حكمه على مسلة كبيرة من الحجر الأسود (الديوريت) وهي موجودة اليوم في المتحف البريطاني ، وقد اتخذ شلمنصر مدينة كلخو (النمرود) عاصمة له وكانت عاصمة لأبيه من قبله رفع مكانة الإله آشور وجعله فوق بقية الآلهة في بابل و آشور، للمزيد ينظر: سليم أحمد أمين: دراسات في حضارات الشرق القديم، حضارة مصر القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص98 .

(¹⁰) سليمان، توفيق : دراسات في حضارات غرب آسيا، من أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م. دار دمشق ، دمشق، 1985، ص122

(¹¹) Suny, Ronald Grigor. Armenian Genocide, Turkish-Armenian History, Encyclopedia Britannica, July 20, 1998, p105 .

(¹²) مصاصر مدينة أثرية قديمة في مملكة أورارتو، ورد ذكرها في النصوص الآشورية التي تعود إلى القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد. وقعت تحت سيطرة الملك إشبويني حوالي 800 قبل لميلا . وكان الإله خالدي يعد حارسا للمدينة موقع المدينة غير معروف على وجه اليقين، وهناك عدة فرضيات منها ما قال به العالم فرانسوا ثورو-دانجين ، حيث ذكر أن موقع المدينة يمكن أن يكون على بعد ١٠ كم إلى الغرب من مدينة طوبزواه في شمال العراق. فيما افترض عالم الآثار رضا حيدري أن المدينة هي اليوم مدينة ربط الواقعة بالقرب من مدينة سردشت ، للمزيد ينظر: بشير يوسف فرنسيس ، موسوعة المدن والمواقع في العراق ، تقديم الاي البير، لندن، 2017، ج2، ص185

(¹³) بلال زبير ، تاريخ مصاصير ، (برادوست) وأهميتها الأثرية العدد 2، مطلة هيفي ، 2013، ص155_160

(¹⁴) رشيد، فوزي، الرشائع العراقية القديمة، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1973، ص77
(¹⁵) Marf, Dshad A.op,cit,p97
(¹⁶) , C. W., “ The Urartian– Assyrian Inscription of Kelishin”, Journal of the American Oriental Society(JAOS) 1961, Vol.81,No.4,pp.359.
(¹⁷) Işık, K. and Bülent G, “ The location of UruTušpa and a New inscribed column base belonging to Işpuini, King of Urartu”, Armenian Journal of Near Eastern Studies=(AJNES) 2012, Vol. VII/I, PP.7279

(¹⁸) قلعة ساردور وتعرف أيضا باسم قلعة فان، وهي من أقدم القلاع المعروفة في تلك المنطقة ، بنيت في عهد الملك ساردور الأول ، وجدد في عهد الملوك اللاحقين وكانت من أهم القلاع الدفاعية في المملكة الاورارتية ، للمزيد ينظر ، مقصود سامع سردوري، جمال ثلاثة آلاف عام، نشر اختر ، 1395هـ ش، ص105

(¹⁹) بحيرة وان: وتقع في منطقة شرق الأناضول وتعد أكبر بحيرة في تركيا ، وتطل على البحيرة عدة مدن، منها مدينة وان ومدينة خلاط، وقد عرفت البحيرة قديما باسم بحيرة أرجيش ، للمزيد ينظر: طلال سعود الدعجاني، موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، 2004، ص154

(²⁰) Işık, K. and Bülent G , “ op,cit ,pp72_ 79’

(²¹) الإله القومي الآشوريين وهو يحمل اسم مدينة آشور، وقد أصبح إله الدولة الآشورية الرئيس عندما تعظم نفوذها واتسعت أركانها وتوسع نفوذها السياسي، وكان آشور إله الحرب عند الآشوريين حلّ محل مردوك في مجمع الآلهة كسيد وحاكم وزعيم الآلهة وخالق لكل شيء، كان يُوصف بـ«إنليل الآشوري»، وله في المدائح الإلهية ألقاباً عديدة، منها: الجبل الكبير، وسيد الجبال، وأبو الآلهة، وهذه الألقاب كانت في الأصل تخص إنليل الإله السومري القديم والذي عبد في أكاد وبابل واشور ، للمزيد ينظر ، ادزارد ، ه ، بوب، رولينغ، قاموس الآلهة والأساطير «في بلاد الرافدين: السومرية والبابلية، في الحضارة السورية: الأوغاريتية والفينيقية»، ترجمة : محمد وليد خياطة ، دار

الشرق العربي، دمشق ، 2000، ج1، ص68

(²²) Koroğlu, K., "Conflict and Interaction in the Iron Age: The Origins of Urartian – Assyrian Relation", European Journal of Archaeology, Vol.18, pp. 111 _ 127

(²³) Badalyan, M., op, cit, p125_140

(²⁴) Benedict, C. W, op, cit, p 385

(²⁵) قضاء راوندوز، اسم راوندوز يتألف من لفظين. (روان) اسم عشيرة كردية و (دز) التي تعني القلعة في اللغة الكردية القديمة، من أقضية محافظة أربيل في العراق، وتقع راوندوز عند سفح صخري يحيط بها واديان عميقان والمنطقة عموماً تحيط بها سلاسل جبال شاهقة، للمزيد انظر: اسماعيل زبير بلال، أربيل في أدوارها التاريخية، مطبعة النعمان، النجف الأشرف 1971، ص 88،

(²⁶) Miroslav Salvini: Die Einwirkung des Reiches Urartu auf die politischen Verhältnisse auf dem Iranischen Plateau in : Ricardo Eichmann/Hermann Parzinger (Hrsg.), Migration und Kulturtransfer , Bonn 2001, p 345

(²⁷) خورسباد هي منطقة عراقية تقع في محافظة نينوى، وساد اعتقاد أن خورسباد هي آشور حيث بدأت التنقيبات، واستمرت للأعوام ١٨٥٢-١٨٥٥ وقد فقد عدد كبير من الآثار التي عثر عليها المنقبون الفرنسيون في دور شروكين وقيل إنها غرقت أثناء نقلها عن طريق النهر، أعيد تنقيب موقع خورسباد في عام ١٩٢٨-١٩٣٥ من قبل علماء الآثار من الولايات المتحدة الأمريكية و من معهد الدراسات الشرقية في شيكاغو. تعرضت القرية للدمار والتخريب بسبب النزاعات المسلحة التي حدثت على أرضها، للمزيد ينظر: Arno Poebel, The Assyrian King-List from Khorsabad, Journal of Near Eastern Studies, vol. 1, no. 3, 1942, pp. 247-306,

(²⁸) Arno Poebel, op, cit, p249

(²⁹) Işık, K. and Bülent G., op, cit, p75_79

(³⁰) محمود الأمين، مسلّتا طوبزاة وكيلاه شين، مجله سومر، مج 8، ج 2، بغداد، 1952، ص 53_77

(³¹) Çifçi, A., op, cit, p120_140

(³²) Salvini, M., “ Archaeology and Philology: Reconstructing the History of Northwest Iran in

the Urartian period(9th–7th Centuries B.C.)”, Proceeding of the

International Symposiumon Iranian

Archaeology: Northwestern Region, Iranian Center for Archaeological

Research, Tehran, pp.63

(³³) Salvini, M.,op,cit,p73_79

(³⁴) Işık, K. and Bülent G.,op,cit,p75_77

(³⁵)مجلة الحوليات الأثرية السورية ، المجلد 43، العدد الصادر في 12حزيران،

2010،ص213،

(³⁶) سيدكان القديمة كانت تقع قرب قرية مجيسر (مصاصير) التي كانت قديما تضم

معبدالعبادة الاله خالدي في الحضارة الاورارتية وهو اله الشمس وذكر اسمها بصورة

(مصاصيى في النقوش القديمة الموجودة على لوح حجري يخلد ذكرى انتصار ملك أورارتو

اوزانا في حربه ضدالاشوريين في القرن الثامن ق.م. في العصر الحديث جعلت الدولة

العراقية لموقع الواقع تحت قدمات جبل كوشينه ل يكون مقر ناحية سيدكان.للمزيد

ينظر:دليل آثار إقليم كردستان لعام 2017م ،ص100وما بعدها.

(³⁷) .Salvini, M.,“ Archaeology and Philology: Reconstructing the History of Northwest Iran in the Urartian period(9th–7th Centuries B.C.)”,

Proceeding of the International Symposiumon Iranian Archaeology:

Northwestern Region, Iranian Center for Archaeological Research,

Tehran, 2004, pp.67

(³⁸) Wright, E .M,(1943), “The Eighth Campaign of Sargon II of Assyria (714 B.C.)”, Journal of Near Eastern

Studies=(JNES),Vol.2, No.3, Chicago, pp.173

(³⁹) السكوثيون، شعب بدوي ينحدر من أصول إيرانية وهم من مملكة سكيثيا حلوا محل السيريين الذي كانوا قد جاؤا من سهول روسيا، وقد نزح السكوثيون من سهول أوراسيا إلى جنوبي روسيا في القرن 8 ق.م.، واستقروا بغرب نهر الفولجا شمال البحر الأسود لم يكن للسكوثيين لغة مكتوبة، فلا يمكن جمع ثقافتهم غير المادية إلا من خلال كتابات من قبل مؤلفين غير سكوثيين ، ومجموعة من الأدلة الأثرية، وما نعرفه اليوم عن تاريخ القبائل السكوثيين يأتي من الروايات التي دونها المؤرخ اليوناني القديم هيرودوتس، والذي زار بلادهم، كان السكوثيين يحكمون من قبل ملك تنتقل سلطته بعد الوفاة إلى ابنه، و يذكر هيرودوتس أن العائلة الملكية السكوثية قد تزوجت مع اليونانيين، للمزيد ينظر:

KaziLaypanov / İsmail Miziyeve Türk Halklarının kökeni Selengeyainları 2008

syf p 77-101

(⁴⁰) Wright, E .M, op,cit , p286 .

(⁴¹) Lanfranchi, G. B, and Parpola, S. "The Correspondence of Sargon II, Part II: Letters from the Northern and Northeastern Provinces, State Archives of Assyria V=(SAA, Vol.5), Helsinki University Press 1990, p177,

الدكتور سندر سن وجهوده في فكرة استحداث
وتأسيس كلية الطب الملكية العراقية ١٩٢٧

مهدي عبدالحسين عطية

mahdiadb21@gmail.com

أ.د. صباح مهدي رميض

Sabahrmaid1962@Yahoo.com

كلية التربية ابن رشد - جامعة بغداد

الدكتور سندرسن وجهوده في فكرة استحداث وتأسيس كلية الطب الملكية العراقية ١٩٢٧

مهدي عبدالحسين عطية

أ.د. صباح مهدي رميض

الملخص

كانت فكرة تأسيس كلية الطب في العراق خطوة مهمة في بدايات تأسيس الدولة العراقية الحديثة، وسعى الدكتور هاري سندرسن، الى أنضاج هذه الفكرة وجعل الملك فيصل الأول يقتنع بها، وبعد مداولات ونقاشات أقتنع الملك بذلك وأصدرت الإرادة الملكية في عام ١٩٢٦ لتأسيس الكلية، وبدأت الدراسة فيها رسميًا عام ١٩٢٧ ومن هنا كانت البداية وأنطلقت في مسيرتها العلمية الأكاديمية وظلت متواصلة حتى اليوم.

Summary

The idea of establishing a medical college in Iraq was a significant step during the early years of the modern Iraqi state. Dr. Harry Sanderson played a crucial role in refining this idea and persuading King Faisal I of its importance. After deliberations and discussions, the king was convinced, and a royal decree was issued in 1926 to establish the college. Official studies commenced in 1927, marking the beginning of its academic journey. From that point forward, the college's scientific and academic mission took off and has continued uninterrupted to this day.

مقدمة

تعدّ كلية الطب واحدة من الصروح العلمية الرائدة في العراق، وأحد أهم الإنجازات التي شهدتها الدولة العراقية الحديثة. في مرحلة التأسيس وكان لإنشاء هذه الكلية ضرورة ملحة فرضتها الأوضاع الصحية المتدهورة، والحاجة الماسة لسد النقص الكبير في أعداد الأطباء لتلبية احتياجات المجتمع العراقي.

تابعت هذه الدراسة مراحل وظروف استحداث الكلية، وبدأت أولى المبادرات ومنها إسهامات الجمعية الطبية البغدادية، ودور الملك فيصل الأول في دعم هذا المشروع الوطني.

وصولاً الى الدور الرئيسي والمحوري للدكتور هاري سندرسن، الذي حول الفكرة إلى واقع، وتولى الإشراف على تأسيس الكلية ووضع مناهجها وتنظيم مرافقها العامة.

استهدفت الدراسة متابعة المراحل المختلفة التي مر بها مشروع إنشاء كلية الطب، بما في ذلك الصعوبات والمعوقات، والمناقشات التي دارت في الأوساط الحكومية والشعبية حول جدوى المشروع. وبينت الدراسة كذلك دور الكلية في إرساء أسس النهضة العلمية والطبية في البلاد، وتجاوز العقبات، سواء كانت مالية أو إدارية.

أولاً: فكرة استحداث كلية الطب

أعد تأسيس كلية الطب من الأمور المهمة خلال العقد الأول من عمر تأسيس الدولة العراقية، ولا يمكن تناول هذا الموضوع بمعزل عن بيان دور الدكتور هاري سندرسن^(١) بهذا الشأن ويقول الدكتور هاشم مكي الهاشمي "ليس من المروءة والضمير الحي والعرفان بالجميل وكمال الرجولة أن اكتب عن كلية الطب العراقية، فكرة، ونشأة، وطفولة وصبا، واشتداد ساعدها، دون أن أعرج على ذكر رجل له اليد البيضاء عليها ألا وهو الأستاذ الدكتور هاري سندرسن"^(٢).

يتضح أن فكرة تأسيس كلية الطب في بغداد تعود إلى العهد العثماني الأخير، إذ قدم الشاعر جميل صدقي الزهاوي^(٣) عضو مجلس المبعوثان العثماني عام ١٩١٤ طلب يروم فيه تأسيس كلية للطب في بغداد كما في دمشق وبيروت، ألا أن طلبة رفض من السلطات العثمانية بسبب ظروف ولاية العراق، بالرغم من الحاجة الملحة لها^(٤). وزادت تلك الحاجة بعد الاحتلال البريطاني للعراق^(٥)

في أعقاب الحرب العالمية الأولى صرح الكولونيل لين (Lynn) قائلاً "يخال للناس ان التقدم في مصلحة الصحة بطيئاً في السنوات الأولى وكان الواجب ان يتم تأسيس المدارس والمعاهد التدريبية التي يتخرج فيها أبناء البلاد ولكن لم يتم ذلك والسبب قلة المال والرجال"^(٦). وعليه

تأسست في الرابع عشر من آب ١٩٢٠ الجمعية الطبية البغدادية، بجهود مشتركة من عدد من الأطباء العراقيين والبريطانيين، ودعت الجمعية إلى تأسيس كلية للطب في بغداد مع توفير احتياجاتها كافة^(٧)، وكان الدكتور سندرسن من أعضائها البارزين^(٨) ودافع بشراسه

لأنشاء الجمعية الطبية قائلاً " بقيت أدافع طويلا دون جدوى عن فكرة تأسيس جمعية مشابهة لوظيفة المجلس الطبي العام في بريطانيا، وقد تم التغلب على المصاعب القائمة في هذا الشأن فظهرت هذه الجمعية إلى حيز الوجود"^(٩).

عقدت الجمعية الطبية البغدادية اجتماعات عدة بهدف مناقشة مشروع الكلية الطبية في حزيران عام ١٩٢١ في مستشفى العزل^(١٠) وحضر الاجتماع عدد من الأطباء العراقيين والأجانب، وأشار المجير هكس (Hex) فيه إلى تأسيس كلية طبية في بغداد، لحاجة العراق لها، بعد أن وصل عدد سكان العراق ثلاثة ملايين نسمة وهم بحاجة إلى (١٢٠٠) طبيب، ولا يمكن تجهيز هذا العدد ألا بافتتاح كلية للطب وأيد أغلب الحضور المقترح، مقابل معارضة عدد قليل منهم وبرر المعارضون رفضهم بأن مالية الدولة لا تتحمل تكلفة إنشاء الكلية، وأن الأفضل ان يتم إرسالهم إلى الخارج للدراسة، ألا ان دكتور سامي شوكت^(١١) قام برد عليهم وأوضح لهم بأن إدارة الدولة باستطاعتها تحمل تكاليف الكلية، وبعد التدقيق والمراجعة أتضح أن أغلب المعارضين هم من خريجي مدارس الطب في دمشق وبيروت، وكانوا يخشون فقدان فرص عملهم بعد تأسيس الكلية الطبية في بغداد^(١٢) ألا انه وبعد مداولات بين أعضاء الجمعية قدمت مقترحات عدة إلى الحكومة ومنها إلى الراي العام وهي^(١٣):

- ١- أن السبيل الوحيد لسد حاجة البلاد من الأطباء هو تأسيس كلية للطب في بغداد.
- ٢- الإفادة من المستشفيات الطبية في العراق وأعدادها بأنها المكان الأمثل لتعليم الطلاب و اطلاعهم على الأمراض بشكل مباشر.
- ٣- ان تأسيس كلية طبية في العراق تعطي مؤشر على رقية وتقدمه.
- ٤- يتم إيضاح المشروع وتقديمه للحكومة عن طريق لجنتين من وزارتي المعارف والصحة.

أرسلت رئاسة الجمعية نسخة من هذا المشروع إلى جلالة الملك فيصل الأول^(١٤) والمندوب السامي برسي كوكس^(١٥) و ورئيس الوزراء عبد الرحمن النقيب^(١٦) ووزير الصحة والمعارف^(١٧).

رد الملك فيصل الأول بانه يشارك الجمعية الفكرة مع دراستها بدقة، وأما المندوب السامي فكان متحمساً لها موضحاً ان العراق لن يكتفي من الأطباء ألا بتأسيس كلية للطب، وأما رئيس الوزراء فلم يعلق على الموضوع^(١٨). ولربما كان ينتظر رد كل من جلالة الملك فيصل الأول والمندوب السامي.

توقف المشروع مؤقتاً بسبب أن الملك فيصل الأول تداول مع كبار مستشارية في ميدان التعليم ومنهم ساطع الحصري^(١٩) المتوجس من البريطانيين ألا ان الجمعية الطبية لم تتوقف عن طموحها في تحقيق مشروع الكلية الطبية^(٢٠).

نشرت جريدة العراق مقالات عدة تناولت أهمية مشروع تأسيس كلية للطب، فقد جاء في العدد الثامن عشر من نيسان ١٩٢١ مقالاً بعنوان ((المدارس التي تتقصنا)) جاء فيه أهمية دراسة افتتاح مشروع كلية الطب وتأكد ذلك في مقالها المنشور في العدد الخامس والعشرين من آب ١٩٢٣ مقالاً بعنوان ((المدرسة الطبية)) بقلم الدكتور صائب شوكت أوضح فيه أن الطالب العراقي هو أعرف بالأمراض التي تصيب سكان بلده، على عكس الطالب المتخرج في كليات أجنبية، فأنهم درسوا تحت ظروف ونمط حياة مختلف، فيما عارضت صحيفتا الاستقلال والعالم العربي فكرة تأسيس الكلية مبررة ذلك بسبب تكاليفها العالية^(٢١).

أرسلت مديرية المعارف العامة كتاباً إلى رئاسة مجلس الوزراء في الثامن من تشرين الثاني ١٩٢٤ بينت فيه المعوقات التي كانت تقف أمام افتتاح كلية الطب وتعزز ذلك في عام ١٩٢٥ بعد استكمال المستشفى الملكي، ويمكن الاستفادة منه بانه مستشفى تعليمي، كما أن رئاسة مصلحة الصحة بينت بان هناك إمكانية توفير عدد من الأطباء عن طريق البعثات ألا انها وجدت عائق الكلفة المادية، ولذا أصرت رئاسة مصلحة الصحة على تأسيس كلية للطب، ويفرض على الأطباء المتخرجين العمل لمدة سنتين في المستشفيات الحكومية وبراتب ثلاثمائة روبية شهرياً^(٢٢).

تدارس مجلس الوزراء المعوقات التي تقف أمام تأسيس كلية الطب، ففي السابع والعشرين من نيسان ١٩٢٥ أرسلت كتاباً إلى وزارت الداخلية والأشغال والمواصلات والمعارف بأن تشكل لجنة لدراسة المشروع ووضع توصيات لانجازه^(٢٣).

ثانياً: الدكتور سندرسن واستثمار توجيهات الملك فيصل الأول في استحداث الكلية

وأستدرك الدكتور سندرسن حاجة العراق الماسة وعزز هذه الإجراءات للعديد من الأطباء بسبب الأمراض المنتشرة، وضعف الثقافة الصحية بين المواطنين، لذا كان من أشد المتحمسين لتأسيس الكلية الطبية وله الفضل في أقناع الملك فيصل الأول والمسؤولين الكبار في الدولة على إيضاح مشروع افتتاح الكلية الطبية في العراق^(٢٤).

بينت الدكتورة سائحة أمين زكي^(٢٥) دور الدكتور سندرسن في تأسيس الكلية الطبية قائلة "أن إصراره هو السبب في فتح الكلية الطبية، إذ لم يجد الأخير من يقف معه سوى الملك فيصل الأول الذي دعم افتتاح هذا الصرح العلمي الكبير"^(٢٦).

إمر الملك فيصل الأول رئيس الديوان الملكي بأرسال كتاب إلى مجلس الوزراء بتاريخ السادس من تشرين الثاني ١٩٢٦^(٢٧) جاء فيه^(٢٨) "أمرني حضرة صاحب الجلالة بأن أخطب فخامة رئيس الوزراء في موضوع المدرسة الطبية، بعد ان اطلع جلالتة على التقارير المبينة ضرورة الاعتناء بأنشاء مدرسة طبية في العاصمة وعلم أن فخامة رئيس الوزراء مهتم بالقضية اشد الاهتمام ومع هذا كله فقد رأي بالنظر لما لهذا المشروع من التأثير الحيوي على مستقبل البلاد مؤكداً رغبته في لزوم مطاعمة العناية وتهيئة الأسباب العاجلة لإخراجه من حيز التفكير إلى العمل وأن الأسباب الموجبة لإنشاء المدرسة الطبية في وقت قريب جدا لا تخفى على فخامة الرئيس و هي موضحة توضيحا تاما. لذا فأن جلالة الملك يدعو لدراسة التقارير التي قدمتها مديرية الصحة العامة، لاسيما ان البلاد دخلت في طور التجديد و التقدم يبقى العراق دون البلاد المجاورة له ففي سوريا ثلاثة مدارس طبية ولذا ليس من الأنصاف أن تكون محرومين من وجود بيئة صالحة لمكافحة الأمراض و نشر المعلومات الصحية بين طبقات الشعب"^(٢٩).

ويظهر ذلك مدى اهتمام الملك فيصل الأول بالمسائل الصحية والعلاجية التي يجب تقديمها لأبناء الشعب ومنها تأسيس كلية طبية، قامت وزارة الداخلية بناء على أوامر الملك فيصل الأول برصد مبلغ (٧٢,٢٣٠) روبية بهدف أنشاء الكلية الطبية^(٣٠).

وأوضح الدكتور سندرسن في طلب التماس إلى جلالة الملك فيصل الأول في عام ١٩٢٦ بالحصول على إجازة لمدة ستة أشهر، وابلغ المندوب السامي هنري دوبس بالأمـر

كذلك^(٣١)، ثم توجه إلى مديرية الصحة العامة وإبلاغ الدكتور هالينان برغبة تلك وربما لن يعود للعراق فأخبر هالينان الدكتور حنا خياط بالأمر وبدورة، ذكر لسندرسن قد انتهت فكرة إنشاء الكلية الطبية وانك مرشح عميداً لها، مع ذلك تمتع سندرسن مع زوجته بالإجازة لمدة ستة أشهر^(٣٢).

ويظهر أن سندرسن كان متضجوراً من عمله في دائرة السكك الحديدية وهو لايلبي طموحه، ألا أن وصول أربع رسائل له وهو في أجازته، كانت الأولى من الملك فيصل الأول يطلب عودته للعراق، واثنان من مديرية الصحة العامة بتوقيع الدكتور هالينان والدكتور حنا خياط، كانتا رسالتين وديتين تحملاً معنى واحد تؤكدان على ترشيحه بأن يكون عميداً لكلية الطب، وأما الرسالة الرابعة فكانت من عمادة كلية الطب الملكية في جامعة أدنبره فحوها اختياره زميلاً في الكلية الطبية الملكية^(٣٣). وهكذا أصبحت الأجواء العامة مهيأة أمام سندرسن كي يتولى منصب اكاديمي رفيع هو عمادة كلية الطب.

اختير الدكتور سندرسن عميداً لكلية الطب قبل مراسيم الافتتاح الكلية بسنة كاملة، وقام الأخير خلال هذه المدة بزيارة العديد من المراكز الطبية في بريطانيا من أجل الاستعداد وتجهيزه مستلزمات الكلية من المناهج الدراسية ومعدات المختبرات ولذلك اطلع على أحدث ما توصلت اليه المراكز الطبية من معلومات^(٣٤)، وفي الأخير أختار الدكتور سندرسن مناهج جامعة أدنبره، لأن أغلب المتخصصين من الأطباء البريطانيين هم من خريجي جامعة أدنبره^(٣٥)، وكان هناك موضوع شاغله وقد وضعة في حسابه عند أفتتاح كلية الطب وهو كيفية المحافظة على جنث الموتى والمخصصة لقضايا تعليم التشريح ولاسيما أن أجواء العراق حارة لذلك التقى برئيس قسم التشريح جماليسن (Jamalisen) في الكلية الطبية في جامعة أدنبره وزوده بالمعلومات لحل هذه الإشكالية^(٣٦).

عاد الدكتور سندرسن من أجازته وجلب معه عدد من العينات النباتية والحيوانية المختلفة وتحمل مصاريف شحنها إلى العراق، ومن بعد وصوله إلى بغداد قدم طلب إلى مدير الصحة العامة وقام الأخير بإحالة طلبة إلى وزارة المالية، التي أوضحت ان الدكتور سندرسن لم يكن لديه تخويل بجمع العينات و أرسلها إلى العراق، كما أن الأخير لم يكن يأمل بالحصول على المبالغ التي صرفها بسبب ضعف ميزانية مديرية الصحة العامة، ولذا

قدم مدير الصحة العامة كتاب شكر للدكتور سندرسن، وأصبحت هذه العينات هي نواة المتحف الطبيعي^(٣٧).

صدرت الإرادة الملكية في الخامس من تشرين الثاني ١٩٢٦ بأفتتاح كلية الطب على أن يبدأ الدوام الرسمي في تشرين الثاني ١٩٢٧^(٣٨).

دفع الموقف المتحمس للملك فيصل الأول لمشروع الكلية الطبية مجلس النواب إلى عقد جلسة غير عادية في العاشر من أيار ١٩٢٧ برئاسة عبد المحسن السعدون، وناقش وبأستفاضة مشروع الكلية، وأنقسم أعضاء المجلس بين معارض ومؤيد، فقد أعترض النائب عن لواء الموصل ثابت عبد النور^(٣٩) قائلاً "أنا لا أرحب بفتح الكلية الطبية وأفضل إرسال البعثات إلى الخارج، أو اتخاذ الحكومة التدابير بزيادة المخصصات المالية الكافية"^(٤٠).

شاركه الرأي النائب زامل المناع عن المنتفك وسعيد الحضر عن الكوت ولم تكن المعارضة تسند إلى أسس منطقية في معارضتها وأنها مجرد اعتراض على أي مقترح بريطاني إلا أن المؤيدين كانوا أكثر منطقية في طرحهم إذ شرح النائب عن بغداد محمد رضا الشبيبي^(٤١) وضع العراق الصحي وما يعاني منه من أمراض ونقص في أعداد الأطباء، أنه لا يمكن سد العجز بأرسال البعثات إلى الخارج أيده النائب عبد المحسن شلاش^(٤٢) من كربلاء، انتهت المناقشات بعد أن تدخل وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني^(٤٣) الذي انتفض غاضباً وأوضح أن العراق مستنقع للأمراض والأوبئة، وعدم معرفة الأهالي بطرق الوقاية والعلاج، أدى هذا إلى انتشار السحرة والدجالين بين عامة الشعب وأن المسألة متعلقة بصحة الشعب، وأيد رأيه وزير المالية ياسين الهاشمي^(٤٤) وبذلك انتهت المناقشات لصالح مقترح تأسيس الكلية الطبية^(٤٥).

وبدأ الدكتور سندرسن بوضع الخطط المناسبة لإنشاء بناية كلية الطب، ومرافقها الرئيسية، في ظل ظروف وتحديات كثيرة^(٤٦).

بذل الدكتور سندرسن ما بوسعة من جهد من أجل إنشاء المتحف الطبيعي وإيداع العينات فيه، فقد نشر إعلان في الصحف للبحث عن متبرعين بعينات نباتية وحيوانية، وبالنسبة للعينات النباتية قامت مديرية الزراعة بتزويد المتحف بها، فيما تبرع العديد من

أصدقاء الدكتور سندرسن بالعينات الحيوانية، إذ قام احد المرضى بتعريفه على قس كلداني لدية مجموعة حيوانات محنطة تم الاستفادة منها^(٤٧).

منح الدكتور سندرسن صلاحيات واسعة بوصفه عميد كلية الطب، وكانت مفتوحة في جوانب عدة، ألا انها محدودة في موضوع جلب أساتذة من الخارج إذ فرض عليه عدم استقدام أي أستاذ ألا بعد اثني عشر شهراً من افتتاح الكلية، ولا يتم ذلك ألا بموافقة مجلس الوزراء، وهذا الأمر كان بسبب شكوك بعض الوزراء في نوايا سندرسن أو أن هناك جهات أخرى ضاغطة عليه لترويج هذا الطلب، ولذا فأن البديل هو إرسال الطلاب إلى الخارج للدراسة، وبذلك وضعت الكلية تحت التجربة لمدة سنة كاملة بعدها يتخذ القرار بشأن استمرارها من عدمه^(٤٨).

ثالثاً: سندرسن وظروف افتتاح الكلية الطبية الملكية في العراق

أعلنت مديرية الصحة العامة افتتاح الكلية الطبية وقبول طلبات المقدمة للانتساب^(٤٩) وأبدى سندرسن أمله في نجاح هذا المشروع، وبعدها بدأت الاستعدادات لأجراء متطلبات الاستحداث وأعداد الشروط الفنية والعلمية، وشكل لجنة لهذا الغرض^(٥٠) وضعت شروطها بالانتساب والدراسة في الكلية وهي الآتية^(٥١):

- ١- أن يكون الطالب المتقدم عراقي الجنسية.
- ٢- أن يكون حائزاً على شهادة الدراسة الثانوية البكالوريا من الفرع العلمي أو ما يعادلها من الشهادات الأجنبية، ويجيد اللغة الإنكليزية.
- ٣- يتراوح عمر الطالب المتقدم بين (١٧ و ٢٥ سنة)
- ٤- يتعهد الطالب الذي يتخرج من الكلية كطبيب بالخدمة في المستشفيات والمراكز الحكومية لمدة لا تقل عن أربع سنوات وبراتب مقدار ٣٠٠ ربية وفي الأماكن التي تحددها مديرية الصحة وفقاً لمتطلبات الحاجة^(٥٢).
- ٥- الالتزام بأتباع الأوامر والنظم والتعليمات المقررة، والامتناع عن الإخلال بالنظام العام.
- ٦- الامتناع عن الانخراط في الأنشطة السياسية أو الأمور التي تمس المعتقدات الدينية أو التعليمات الإدارية.

٧- أن يكون الطالب المتقدم حسن السلوك والسمعة، مع تقديم شهادة تثبت ذلك من مديرية الأمن.

٨- النجاح في الفحص الطبي.

٩- اجتياز المقابلة الشخصية بنجاح^(٥٣).

وصف عدد من الأطباء العراقيين تعين سندرسن عميداً للكلية^(٥٤) بأنه مغامر، لاسيما أن عدد من الأطباء العراقيين وبعض الأطباء البريطانيين لم يظهروا ارتياحهم له^(٥٥)، وكان الملك فيصل الأول على تواصل مع سندرسن في إنجاز مشاريع ومرافق الكلية وسير العمل فيها^(٥٦).

وبدأت خطوات الدكتور سندرسن التنظيمية لمفاصل الكلية على الصعيدين العلمي والإداري، فعلى الصعيد العلمي أقدم على تشكيل مجلس للدراسات، وكان هدف وضع خطط وأستراتيجيات الدراسة، وكان المجلس كون من موظفين ذوي الخدمة الدائمة في مصلحة الصحة^(٥٧).

أصدرت عمادة الكلية تعليمات بشأن سياقات الدراسة في الكلية وحددتها بمدة خمس سنوات^(٥٨).

حدد الدكتور سندرسن اثنتان من غرف بناية المستشفى الملكي وهما العاشرة والحادية عشرة وهما ردهتان طبيتان مقرأ مؤقتاً للكلية الطبية، وكتب على لأفة بيضاء كتب عليها بدهان الأبيض باللغتين العربية والإنكليزية الكلية الطبية الملكية، وتم تجهيز بعض الغرف كي تكون قاعات للمحاضرات أو أجزاء منها إلى مختبرات احدها للكيمياء والفيزياء والآخر للعلوم الحياتية والثالث لعلوم لتشريح، وغرفتين على شاطئ نهر دجلة وأخذت مقر للإدارة والثانية مكتب للعميد الدكتور سندرسن والأخرى لمكتب السكرتاريه والطابعة^(٥٩).

الخاتمة والاستنتاجات

الخاتمة:

لم يكن مشروع تأسيس وأفتتاح كلية الطب في العراق أمراً يسيراً بسبب وجهات النظر المختلفة البعض مؤيد وبشدة وفي مقدمتهم الملك فيصل الأول وجهات معارضة لأسباب مالية لاسيما مجلس النواب الا أن الحاجة والظروف الصحية المتردية والنقص الحاد في أعداد الأطباء المحليين، يلزم تبني هذا المشروع وقد خرج الى النور.

قدم الدكتور هاري سندرسن جهود استثنائية في تأسيس هذه الكلية، وساهم بشكل كبير في التخطيط لها، ووضع مناهجها، واستقدام المعدات اللازمة من المراكز الطبية المتقدمة. وعزز جهوده بحماسة كبيرة رغم الصعوبات التي واجهها، وأظهر رؤية ثاقبة في إدراكه لأهمية هذا الصرح العلمي في تحقيق تقدم العراق صحياً وتعليمياً.

الاستنتاجات

- ١- ادرك الدكتور سندرسن بضرورة افتتاح هذه المؤسسة، لغرض التوافق مع التطور العالمي في مجال الطب والصحة العامة والدراسة الأكاديمية.
- ٢- أهمية التخطيط الاستراتيجي والتعاون بين الخبرات المحلية والأجنبية لتحقيق أهداف وطنية كبيرة وأثبتت الوقائع دقة هذا التوجه فيما بعد.
- ٣- توصلت الدراسة بأن قيادات السلطات التنفيذية عند ما تكون مستوعبة لأهمية المشاريع العلمية وأسنادها المادي والمعنوي تكون النتائج ايجابية وهذا ما حصل في أسناد الملك فيصل الأول في تأسيس الكلية الطبية الملكية.
- ٤- القدرة على مواجهة التحديات والصعوبات، وعدم الاستسلام لها بما فيما التحديات المالية والادارية وقد تفاعل معها الدكتور سندرسن بمرونة عالية.
- ٥- دقة المخطط العلمية واختيار الكفاءات التدريسية وفي كل الاقسام والفروع العلمية كانت من أسباب نجاح هذا الصرح العلمي الرصين.

المصادر

أولاً: الوثائق المنشورة

- ١- محاضر مجلس النواب العراقي، الجلسة الثامنة، الاجتماع غير الاعتيادي، ١١ ايار ١٩٢٧.

ثانياً: الكتب

- ١- إبراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢، ط١، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة، البصرة، ١٩٨٢.
- ١- إبراهيم طاهر معروف الربا، معجم أطباء محافظة أربيل الاطباء-اطباء الأسنان-الصيدلة، ج١، ط١، مطبعة اربيل، اربيل، ٢٠٠٤.
- ٢- رجاء حسين الخطاب، عبد الرحمن النقيب حياته الخاصة وآراءه السياسية وعلاقته بمعاصريه، منشورات المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٨٥.
- ٣- سائحة أمين زكي، ذكريات طبية عراقية، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٥.
- ٤- صباح مهدي رميض، سامي شوكت وفكره الاصلاح في العراق، فصل من كتاب أعلام وشخصيات عراقية وعربية معاصرة سيرة وتراجم، دار ابن السكيت، الديوانية، ٢٠١٦.
- ٥- ظافر إبراهيم الياسين، سرمد سامي خوند، كلية طب بغداد في ثمانية عقود أول كلية طب إنشاءت بعد تأسيس الدولة العراقية، ط١، شركة دار الأحمدي للطباعة الفنية الحديثة، ٢٠١٢.
- ٦- عبد الحميد العلوجي، تاريخ الطب العراقي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٧.
- ٧- علي عبد شناوة، محمد رضا الشبيبي ودوره الفكري والسياسي ١٩٣٣-١٩٦٥، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣.
- ٨- قيس جواد علي الغريزي، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢-١٩٦٥، شركة الحوراء للتجارة والطباعة، بغداد، ٢٠٠٦.
- ٩- كمال السامرائي، حديث الثمانين سيرة وذكريات، ج١، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة افاق عربية، بغداد، ١٩٩٧.

- ١٠- نجدة فتحي صفوة، أدباء ودبلوماسيون وعلماء أجلاء عرفتهم عن كثب، ساطع الحصري، دارالفكرة للنشر والتوزيع، لندن.
- ١١- هاري سندرسن، مذكرات عشرة آلاف ليلة وليلة، ت. سليم طه التكريتي، ط١، مكتبة المثنى، ١٩٨١.
- ١٢- هاشم الوتري، معمر خالد الشابندر، تاريخ الطب في العراق مع نشوء وتقدم الكلية الطبية الملكية العراقية، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٣٩.
- ٢- هاشم مكي الهاشمي، تاريخ ومحطات سيرة ذاتية تؤرخ لكلية الطب العراقية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ٢٠٠٩.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية غير المنشورة

- ٣- أسامة مهدي ابراهيم جاسم، ثابت عبد النور سيرته ودوره السياسي في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، ٢٠١٥.
- ٤- أسماء مهدي كيطان، عبدالامير علاوي ودوره الإداري والسياسي في العراق ١٩١٣-١٩٩٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة العراقية، ٢٠٢٤.
- ٥- امير احمد رحيم الشمري، عبدالمحسن شلاش ١٨٨٢-١٩٤٨ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٢.
- ٦- جمال حسين جابر محمد ، جميل صدقي الزهاوي حياته وشعره، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة النيلين، ٢٠٠٦.
- ٧- متعب خلف جابر الجابري، تاريخ التطور الصحي في العراق للفترة من عام ١٩١٤-١٩٣٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٨٩.
- ٨- محمد بشير محمد عبد المحسن، اثر القومية في الأفكار التربوية عند ساطع الحصري دراسة نقدية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٩٩١.
- 9- Sarah Farhan, Iraqi Doctors Syndicate Reproduction in medical education in modern Iraq, 1869-1959, unpublished doctoral dissertation, Graduate School, York University Toronto, Ontario, 2019.

رابعاً: الأبحاث والدراسات

- ١- الجمعية الطبية البغدادية، التقرير السنوي السادس للجمعية الطبية البغدادية لسنة ١٩٢٥-١٩٢٦، المجلة الطبية البغدادية، العدد ٤، كانون الأول ١٩٢٦.
 - ٢- سعد الفتال، دراسات في تاريخ العراق المعاصر.
 - ٣- كمال السامرائي، تأسيس الكلية الطبية في بغداد، مجلة افاق عربية، العدد ١٠، ١٩٨٩.
 - ٤- مؤيد شاكر كاظم و أسيل نجم محمد، جامعة آل البيت في العراق مبررات التأسيس والنشأة، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، العدد ١٣، ٢٠٢٢.
- خامساً: الدوريات الاجنبية:

1- Ali Jawad, Harry Sanderson, physician, medical teacher, and royal companion, Royal College of Physicians in Edinburgh, Britain, 2013.

سادساً: شبكة المعلومات الدولية

رحيم احمد قادر، الطبية سانحة امين زكي كفاءة عراقية نادرة، موقع زمان، وعلى الرابط التالي

<https://www.azzaman.com/>

(١) ولد في ويست ليندسي في إنكلترا في ٩ حزيران ١٨٩١، درس في كلية الطب الملكية في جامعة ادنبره شارك في الحرب العالمية الاولى على عدة سفن بصفته طبيب نقل الى العراق ١٩١٨ وعمل الحلة ثم بغداد، أكمل دراسته العليا في كلية الطب بجامعة ادنبره، وعند قيام الحكم الوطني بالعراق برئاسة الملك فيصل أصبح طبيباً خاصاً بالعائلة المالكة، وتولى عمادة كلية الطب وهو اول عميد لها عام ١٩٢٧ واستمر بممارسة مهمة الملقاة على عائلة حتى عام ١٩٣٤ لكنه عاد إلى منصبه مرة اخرى عام ١٩٤١ لغاية ١٩٤٥، غادر العراق عام ١٩٤٦ وتوفي في منزله في فورست رو ساسكس في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٤؛ للمزيد ينظر:

Ali Jawad, Harry Sanderson, physician, medical teacher, and royal companion, Royal College of Physicians in Edinburgh, Britain, 2013.

(٢) هاشم مكي الهاشمي، تاريخ ومحطات سيرة ذاتية تؤرخ لكلية الطب العراقية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ٢٠٠٩، ص ٣٧.

(٣) وُلد جميل صدقي الزهاوي في بغداد الثامن عشر من حزيران ١٨٦٣، درس على يد والده وعدد من علماء عصره، عيّن مدرساً في مدرسة السليمانية ببغداد عام ١٨٨٥، ثم عضواً في مجلس المعارف عام ١٨٨٧، وبعدها مديراً لمطبعة الولاية ومحرراً لجريدة زوراء عام ١٨٩٠، سافر إلى إسطنبول عام ١٨٩٦ وبعد إعلان عودة العمل بالدستور العثماني عام ١٩٠٨، عاد إلى بغداد ليعمل أستاذاً في مدرسة الحقوق، وانضم إلى حزب الاتحاد والترقي، وانتخب عضواً في مجلس المبعوثان مرتين، وعند تأسيس الحكومة العراقية، عُين عضواً في مجلس الأعيان، نظم الشعر بالعربية والفارسية، وأتقن عدة لغات منها العربية، التركية، الفارسية، الكردية، ومن أبرز أعماله الشعرية دواوينه: الكلم المنظوم، ديوان اللباب، ديوان الأوشال، الثمالة، ورباعيات الزهاوي التي ترجم فيها رباعيات الخيام، توفي ١٩٣٦م ودُفن بمشهد حافل في مقبرة الخيزران في الأعظمية؛ للمزيد ينظر: جمال حسين جابر محمد، جميل صدقي الزهاوي حياته وشعره، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة النيلين، ٢٠٠٦.

(٤) متعب خلف جابر الجابري، تاريخ التطور الصحي في العراق للفترة من عام ١٩١٤-١٩٣٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٨٩.

(٥) محمد عبدالله كاكه سور، لإحتلال البريطاني للعراق دراسة في تطوره السياسي ١٩١٧-١٩٢٧، مجلة الأستاذ، العدد ٢٠١٧، ٢٢١، ص ٢٥٤.

(٦) كمال السامرائي، تأسيس الكلية الطبية في بغداد، مجلة افاق عربية، العدد ١٠، ١٩٨٩، ص ٥٤.

(٧) إبراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢، ط ١، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٢، ص ٢٤٦.

(٨) الجمعية الطبية البغدادية، التقرير السنوي السادس للجمعية الطبية البغدادية لسنة ١٩٢٥-١٩٢٦، المجلة الطبية البغدادية، العدد ٤، كانون الاول ١٩٢٦، ص ص ١٦٣-١٦٦؛

Sarah Farhan, Iraqi Doctors Syndicate Reproduction in medical education in modern Iraq, 1869-1959, unpublished doctoral dissertation, Graduate School, York University Toronto, Ontario, 2019, p159.

(٩) إبراهيم طاهر معروف الربا، معجم أطباء محافظة أربيل الاطباء-اطباء الأسنان-الصيدلة، ج ١، ط ١، مطبعة اربيل، اربيل، ٢٠٠٤، ص ٧٩.

(١٠) مؤيد شاکر کاظم و أسيل نجم محمد، جامعة آل البيت في العراق مبررات التأسيس والنشأة، مجلة ابن خلدون للدراسات والابحاث، العدد ١٣، ٢٠٢٢، ص ١٠٩، Sarah Farhan, OP, Cit, pp165-166.

(١١) ولد سامي شوكت رفعت في بغداد عام ١٨٩٥ في الأعظمية في أسرة معروفة بمواقفها القومية والوطنية ومكانتها الاجتماعية والسياسية والعلمية، عمل طبيب عيون واعتز بمهنة الطب كثيراً واعدها من المهن الإنسانية والاجتماعية المؤثرة في المجتمع، عين وزيراً لشؤون الاجتماعية، وله أفكار واتجاهات أصلحية عديدة، لمزيد من التفاصيل ينظر: صباح مهدي = رميمض، سامي شوكت وفكره الاصلاح في العراق، فصل من كتاب أعلام وشخصيات عراقية وعربية معاصرة سيرة وتراجم، دار ابن السكيت، الديوانية، ٢٠١٦، ص ص ٦٧، ٤٣.

(١٢) متعب الجابري، المصدر السابق، ص ص ٨٣-٨٤.

(١٣) عبد الحميد العلوجي، تاريخ الطب العراقي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٧، ص ٢٩٠.

(١٤) فيصل الأول: ولد في الحجاز عام ١٨٨٣، ثم انتقل إلى القسطنطينية برفقة عائلته ودرس العلوم والمعارف فيها، وخلال الثورة العربية الكبرى نصب فيصل الأول ملكاً على سوريا في عام ١٩٢٠، بعد ذلك رشح لعرش العراق ونصب ملك في ١٩٢١، اما وفاته فكانت في عام ١٩٣٣. للمزيد من التفاصيل ينظر : عبد المجيد كامل التكريتي، الملك فيصل الأول ودوره في تأسيس الدولة العراقية

الحديثة ١٩٢١ ١٩٣٣، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩١، سندس جمال شمال، قضاء الكاظمية في تقارير التفتيش الاداري ١٩٣٤-١٩٣٧، دراسة تاريخية، مجلة الأستاذ، العدد ٢، المجلد الأول، ٢٢٤، ص ٢٤٠.

(١٥) ولد برسي زكريا كوكس في بريطانيا في ٢١/١١/١٨٦٤ وتلقى تعليمه الأولى في مدرسة هارو ، ثم التحق بكلية ساندهيرست العسكرية فخرج منها برتبة ملازم ، التحق بعد تخرجه بجيش حكومة الهند ، التحق بالحملة البريطانية على العراق ، وظل فيه كرئيس للدائرة السياسية حتى سنة ١٩١٨ ، اذ انتدب للعمل في طهران بصفة وزير مفوض ، ثم عاد الى العراق في تشرين أول ١٩٢٠ بصفة مندوب سامي ، وبقي فيه حتى احواله على التقاعد في سنة ١٩٢٣ ؛ للمزيد ينظر: يسار أحمد يوسف، الحراك السياسي العراقي في عصبة الامم من سنة (١٩٢١-١٩٣٢)، مجلة الأستاذ، المجلد الثاني، العدد ٢٢٢، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، ٢٠١٧، ص ٤٩٨.

(١٦) ولد عام ١٨٤١ في بغداد لعائلة هاشمية مرموقة يعود نسبها إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني وتلقى تعليمه في المدارس التقليدية ببغداد، أذ درس العلوم الشرعية واللغة العربية، وشغل منصب نقيب أشرف بغداد، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ واحتلال بريطانيا للعراق واندلاع ثورة العشرين عام ١٩٢٠، وتولى رئاسة أول حكومة وطنية مؤقتة في العراق عام ١٩٢٠، ساند انتخاب الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق عام ١٩٢١، وشكّل ثلاث وزارات بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٢، كانت مهمتها الأساسية وضع الأسس الأولى للحكومة العراقية الحديثة من وزارات ودوائر الحكومية وتنظيم الإدارة العامة، توفي في ١٣ حزيران ١٩٢٧، ودُفن في الحضره القادرية في بغداد؛ للمزيد ينظر: رجاء حسين الخطاب، عبد الرحمن النقيب حياته الخاصة وآراؤه السياسية وعلاقته بمعاصريه، منشورات المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٨٥.

(١٧) ظافر إبراهيم الياسين، سرمد سامي خوند، كلية طب بغداد في ثمانية عقود أول كلية طب إنشأت بعد تأسيس الدولة العراقية، ط١، شركة دار الأحمدي للطباعة الفنية الحديثة، ٢٠١٢، ص ١٤.

(١٨) متعب الجابري، المصدر السابق، ص ٨٥.

(١٩) ولد عام ١٨٠٠ في صنعاء لأسرة سورية. تلقى تعليمه في إسطنبول وتخرج من المعهد الملكي عام ١٩٠٠ وشغل مناصب تعليمية وإدارية مهمة في الدولة العثمانية، ثم انضم إلى حكومة الملك فيصل الأول في دمشق عام ١٩١٩، وساهم في تعريب المناهج وتطوير النظام التعليمي وانتقل إلى العراق بعد سقوط الحكومة السورية، وأسهم في تأسيس كلية الحقوق ببغداد ووضع مناهج

قومية، ركز في فكره على اللغة والتاريخ كعناصر للهوية القومية، ودعا إلى فصل الدين عن الدولة ومن مؤلفاته آراء وأحاديث في القومية العربية ومحاضرات في نشوء الفكرة القومية، توفي في بغداد عام ١٩٦٨؛ للمزيد ينظر: محمد بشير محمد عبد المحسن، اثر القومية في الأفكار التربوية عند ساطع الحصري دراسة نقدية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٩٩١؛ نجدة فتحي صفوة، أدباء ودبلوماسيون وعلماء أجلاء عرفتهم عن كثب، ساطع الحصري، دارالفكرة للنشر والتوزيع، لندن، ص ٢٣٥.

(٢٠) كمال السامرائي، المصدر السابق، ص ٥٦.

(٢١) نقلاً عن متعب الجابري، المصدر السابق، ص ص ٨٥-٨٧.

(٢٢) هاشم الوتري، معمر خالد الشابندر، تاريخ الطب في العراق مع نشوء وتقديم الكلية الطبية الملكية العراقية، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٣٩، ص ١٠٧.

(٢٣) كمال السامرائي، المصدر السابق، ص ٥٦.

(٢٤) سعد الفتال، دراسات في تاريخ العراق المعاصر، المصدر السابق.

(٢٥) ولدت في بغداد عام ١٩٢٠ ابنه المؤرخ الكردي محمد أمين زكي احد الضباط المؤسسين للجيش العراقي، التحقت بالمدرسة الابتدائية عام ١٩٢٤ في الموصل وبعد انتقال أسرته الى بغداد التحقت بمدرسة البارودية، ثم بعد إكمال الثانوية التحقت بالكلية الطبية الملكية وتخرجت عام ١٩٤٣ وكانت أول فتاة مسلمة تتخصص في الطب أكملت دراستها العليا في جامعة لندن عام ١٩٦٥، وكانت من قادة الحركة النسائية في العراق توفيت في عام ٢٠١٧؛ للمزيد ينظر: سانحة أمين زكي، ذكريات طبيبة عراقية، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٥؛ رحيم احمد قادر، الطبيبة سانحة امين زكي كفاءة عراقية نادرة، موقع زمان، وعلى الرابط التالي تاريخ الدخول على الرابط ٢٠٢٤/١٢/٢٢ <https://www.azzaman.com/>

(٢٦) سانحة امين زكي، المصدر السابق، ص ٢٤٣.

(٢٧) كمال السامرائي، المصدر السابق، ص ٥٦-٥٧.

(٢٨) هاشم الوتري، معمر خالد الشابندر، المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٢٩) ظافر إبراهيم الياسين، سرمد سامي خوند، المصدر السابق، ص ١٥.

(٣٠) كمال السامرائي، المصدر السابق، ص ٥٧.

(٣١) هاري سندرسن، مذكرات عشرة آلاف ليلة وليلة، ت. سليم طه التكريتي، ط ١، مكتبة المثنى، ١٩٨١، ص ١٢٩-١٣٠.

(٣٢) سعد الفتال، دراسات في تاريخ العراق المعاصر.

(٣٣) سندر سن، المذكرات، ص ص ١٣٠-١٣١.

(٣٤) Sarah Farhan, OP, Cit, pp201-202.

(٣٥) مؤيد شاكركاظم و أسيل نجم محمد، المصدر السابق، ص ١١١.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ص ١٣١-١٣٢.

(٣٧) سعد الفتال، دراسات في تاريخ العراق المعاصر، المصدر السابق.

(٣٨) سهير هاتف محمد الجشعي، تطور التعليم الصحي في العراق الكلية الطبية الملكية العراقية أنموذجاً ١٩٢٧-١٩٥٨ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠١٢، ص ص ٣٣-٣٦.

(٣٩) ولد ر عام ١٨٩٠ في مدينة الموصل لعائلة مسيحية عريقة وتلقى تعليمه ثم اكمل دراسته في إسطنبول فقد التحق بكلية الحقوق ، وتأثر بالحركة القومية العربية وانخرط في جمعيتي العلم والعهد السريتيون بعد إعلان الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ شارك فيها وبعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة، انتُخب مرتين لعضوية مجلس النواب العراقي ممثلاً عن المكون المسيحي في الموصل، وشغل هذا المنصب من عام ١٩٢٥ إلى ١٩٢٨، ومرة أخرى من عام ١٩٣٠ إلى ١٩٣١ وعُرف بمواقفه الوطنية، ومنها اعتراضه على تمرير معاهدة مع بريطانيا دون مناقشة كافية. وشغل مناصب عدة منها مدير شؤون النفط في وزارة الاقتصاد والمواصلات، وعمل دبلوماسياً في لندن وجدة وصنعاء وتوفي في بغداد عام ١٩٥٧؛ للمزيد ينظر: أسامة مهدي ابراهيم جاسم، ثابت عبد النور سيرته ودوره السياسي في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، ٢٠١٥.

(٤٠) محاضر مجلس النواب العراقي، الجلسة الثامنة، الاجتماع غير الاعتيادي، ١١ ايار ١٩٢٧، المجلد الثاني، ص ٩٥٩.

(٤١) ولد عام ١٨٨٩ في النجف، تلقى تعليمه في النجف، سافر الى عدة بلدان منها الحجاز وسوريا ومصر وشغل عدة مناصب منها وزير للمعارف ١٩٢٥ و ١٩٣٥ ومن ١٩٣٧ الى ١٩٤١ و ١٩٤٨ وتولى منصب نائب في مجلس النواب عام ١٩٢٥ و ١٩٣٣ و ١٩٣٤ ثم رئيساً لمجلس = الأعيان عام ١٩٣٥ ورئيساً لمجلس النواب عام ١٩٤٤ وكان له دور مهم في صياغة الدستور العراقي لعام ١٩٢٥ كان مدافعاً عن الاستقلال الوطني وحقوق المواطن العراقي، وعُرف بمواقفه القوية ضد الهيمنة البريطانية. كما كان له تأثير كبير في تطور النظام القانوني في العراق من

خلال تشريعاته وأعماله البرلمانية، وظل له دور بارز في تاريخ العراق حتى وفاته في عام ١٩٧٤؛ للمزيد ينظر: علي عبد شناوة، محمد رضا الشبيبي ودوره الفكري والسياسي ١٩٣٣-١٩٦٥، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣.

(٤٢) ولد في ٢٢ كانون الأول ١٨٨٢ في النجف تعلم في الكتاتيب وتعلم القراءة والكتابة، كان يتمتع بشخصية مرحة وبسيطة اهتم بعمارة مدينة النجف اذ شكلت بلدية النجف برئاسة لجنة لاعلان مناقصة إكساء السوق الكبير، شغل عدة مناصب وزارية منها وزارة المالية ١٩٢٣ ووزارة الأشغال والمواصلات ١٩٢٨ ووزارة الاقتصاد ١٩٤٢، توفي عام ١٩٤٨؛ للمزيد ينظر: امير احمد رحيم الشمري، عبدالمحسن شلاش ١٨٨٢-١٩٤٨ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٢.

(٤٣) ولد في ديالى عام ١٨٩٢، حصل على شهادة في الحقوق عام ١٩٥١، ترأس حكومات عدة أولها في ٢٠ آذار ١٩٣٣ ثم قدم استقالته اثر وفاة الملك فيصل وتنصيب الملك غازي الذي قبلها وكلفه بتشكيل وزارة جديدة شكلها ألا انها لم تدم طويلا لعدم موافقة الملك الطلبة بجل مجلس النواب فقدم استقالته في ٢٨ تشرين الأول ١٩٣٣ واصبح رئيس للوزراء مرة أخرى في آذار ١٩٤٠ إذ قام بحركة مايس ١٩٤١ والتي فشلت وادت الى احتلال بريطانيا للعراق مره ثانية وهربة توفي عام ١٩٦٥؛ للمزيد ينظر: قيس جواد علي الغريزي، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية ١٨٩٢-١٩٦٥، شركة الحوار للتجارة والطباعة، بغداد، ٢٠٠٦، علياء محمد حسين من ملفات الحركة الوطنية في الناصرية دراسة في وثائق انتفاضه مايس ١٩٤١، مقتل جعفرز انموذجاً، مجلة الأستاذ، العدد، ٢٠١٧، المجلد الأول، ٢٠١٦، ص ١٦٧.

(٤٤) محاضر مجلس النواب العراقي، المصدر السابق، ص ص ٩٦٠-٩٦٣.

(٤٥) متعب الجابري، المصدر السابق، ص ص ٩٠-٩١.

(٤٦) Sarah Farhan, OP, Cit, p200 & Ali Jawad , OP, Cit, 2013, p3.

(٤٧) سندر سن، المذكرات، ص ١٣٣.

(٤٨) Sarah Farhan, OP, Cit, pp203-205.

(٤٩) كمال السامرائي، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٥٠) صائب شوكت، تاريخ المعاهد الصحية في بغداد، منشورات دار الجنائن، بغداد، ١٩٧٤، ص ٣٢.

(٥١) هاشم مكي الهاشمي، المصدر السابق، ص ٢٦.

(٥٢) متعب الجابري، المصدر السابق، ص ٩١.

(٥٣) هاشم مكي الهاشمي، المصدر السابق، ص ٢٦.

(٥٤) أسماء مهدي كيطان، عبدالامير علاوي ودوره الإداري والسياسي في العراق ١٩١٣-١٩٩٨، رسالة

ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة العراقية، ٢٠٢٤، ص ٢٣.

(٥٥) المصدر نفسه.

(٥٦) سندر سن، المذكرات، ص ١٣٤.

(57) Sarah Farhan, OP, Cit, p205.

(٥٨) هاشم مكي الهاشمي، المصدر السابق، ص ٢٢.

(٥٩) كمال السامرائي، حديث الثمانين سيرة وذكريات، ج ١، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة افاق عربية،

بغداد، ١٩٩٧، ص ٢٨٤؛ متعب الجابري، المصدر السابق، ص ٩٣.

الملابس والزينة السائدة في العهد النبوي
في ضوء مسند الحميدي

محمد احمد عبد
أ.د. زكية حسن ابراهيم
كلية الاداب / جامعة بغداد

الملابس والزينة السائدة في العهد النبوي في ضوء مسند الحميدي

محمد احمد عبد

أ.د. زكية حسن ابراهيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات والأرض وما بينهما، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فمن هذه الكتب التي عنت بنقل السنة النبوية، ورواية الحديث الشريف كتاب (مسند الحميدي) للإمام أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي (٢١٩هـ/٨٣٤ م).

وقد انتهج الحميدي فيه منهجاً علمياً رصيناً، كما أنه ذيل كثيراً من الأحاديث بما يخدم الحديث رواية ودراية، وقد قسم الحميدي مسنده على حسب مرويات الصحابة (رضي الله عنه)، وقد أشارت الأحاديث التي وردت فيه إلى حوادث مهمة، في بعضها إشارات اقتصادية ومالية واجتماعية .

وهذا البحث المستل الموسوم: (الملابس والزينة السائدة في العهد النبوي في ضوء مسند الحميدي).

يسلط الضوء على بعض الأحاديث التي تكشف جانباً من جوانب الواقع الاجتماعي في العهد النبوي.

وكان منهج البحث:

١ - ذكر الحديث الذي رواه الحميدي بذكر اسم الصحابي راوي الحديث، ومتمه، وإن روي الحديث من طرق أخرى أثبت ذلك في الهامش.

- ٢ - تخريج الحديث من كتب الحديث الأخرى، ولكثرة هذه الكتب، فقد اتبعت المنهج الحديثي في تخريج الأحاديث، وكالاتي:
- أ - إن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بهما، إلا في حالات قليلة بسبب اختلاف ألفاظ المرويات.
- ب - إن لم يكن الحديث في الصحيحين، فقد خرجته من سائر الكتب التسعة مع بيان حكم الحديث.
- ت - إن لم يكن الحديث في الكتب التسعة، خرجته من كتب الحديث الأخرى، مع ذكر حكمه إلا في مواضع قليلة لم أقف على من تكلم في حكم الحديث.
- ٣ - بينت غريب الألفاظ بالاعتماد على كتب غريب الحديث، وكتب اللغة، واستعنت أحياناً بكتب الشروح لتوضيح معنى المفردة ضمن سياق الحديث.
- ٤ - لم أترجم للصحابة لشهرتهم، ولمحدودية حجم البحث.
- ٥ - التعريف بالمواضع والقبائل الواردة فيه.
- ٦ - بينت الدلالات والفوائد الاجتماعية والاقتصادية المستنبطة من الحديث، وقد اكتفي بذكر الحديث مع تعليق بسيط إن كان الحديث ظاهر الدلالة. واشتملت خطة البحث بعد المقدمة على مبحثين:
- المبحث الأول: حياة الحميدي.
- المبحث الثاني: الأحاديث الواردة حول الأظعمة والأشربة.
- ثم الخاتمة، وأهم النتائج التي توصلت إليها، وقائمة المصادر والمراجع.
- وفي الختام أسأل الله العليم رب العرش العظيم أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير.
- وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

حياة الحميدي

هذا تعريف موجز بالإمام الحميدي (رحمه الله تعالى):

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته:

هو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله بن أسامة بن عبد الله ابن حُمَيْد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، القُرَشِيّ الأسديّ المكيّ الحميدي^(١).

أما كنيته، فهي: أبو بكر^(٢).

ثانياً: شيوخه:

سمع الحميدي الحديث عن عدد من الشيوخ، ذكر الحافظ المزي منهم (٢٣) شيخاً^(٣)، أذكر أبرزهم بحسب سنين وفياتهم:

١ - مسلم بن خالد الزنجي: بن سعيد بن جرجة، أبو خالد المخزومي، مولاهم المكي المعروف بالزنجي، والزنجي لقبه، كان أبيض مليحاً، وكان عابداً مجتهداً (ت ١٧٩هـ/٧٩٦م)^(٤).

٢ - الفضيل بن عياض: بن مسعود بن بشر، أبو علي التميمي ثم اليربوعي، خراساني سكن مكة وهو إمام الحرم. كان عالماً إماماً في الزهد والعبادة (ت ١٨٧هـ/٨٠٣م)^(٥).

٣ - وكيع بن الجراح: بن مليح الرواسي، أبو سفيان، الكوفي ولد سنة (١٢٨هـ/٧٤٦م). محدث العراق في عصره، حافظ ثبت حجة، فقيه، عابد كبير القدر، كبير القدر، قال أحمد: ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ ولا رأيت معه كتباً قط ولا رقعة؛ قال ابن معين: ما رأيت أفضل منه، ثقة حافظ عابد من كبار الطبقة التاسعة (ت ١٩٦هـ/٨١٢م)^(٦).

رابعاً: تلامذته:

روى عن الحميدي عدد من الشيوخ، ذكر الحافظ المزي منهم (٢١) شيخاً^(٧)، أذكر أبرزهم بحسب سنين وفياتهم:

١ - البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزنه، أبو عبد الله الجعفي مولاهم البخاري، الإمام الحافظ الثقة صاحب التصانيف (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)^(٨).

٢ - الذهلي: محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن زئيب، أبو عبد الله الذهلي النيسابوري، ثقة حافظ جليل توفي سنة (٢٥٨هـ/٨٧٢م) وله (٨٦) سنة^(٩).

٣ - أبو زرعة: هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء، أبو زرعة الرازي، ولد سنة (٢٠٠هـ/٨١٥م) من الأئمة حفاظ الحديث من أهل الري. زار بغداد، وحدث بها، وجالس أحمد بن حنبل. كان يحفظ مئة ألف حديث، ويقال: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل، إمام حافظ ثقة مشهور من الحادية عشرة، توفي بالري سنة (٢٦٤هـ/٨٧٨م)^(١٠).

خامساً: مؤلفاته: ألف الحميدي كتابين، هما:

الأول: مسنده^(١١)، وقد ضم (١٣٣٧) حديثاً، وهو موضوع هذا البحث.

الثاني: أصول السنة^(١٢).

ونسب له كتابان، مفقودان، ذكرهما بعض من ترجم له، هما^(١٣):

الأول: الرد على النعمان.

الثاني: كتاب التفسير.

سادساً: وفاته:

توفي الإمام الحميدي (رحمه الله) في مكة في شهر ربيع الأول سنة (٢١٩هـ/٨٣٤م)، وهو قول أغلب من ترجم له^(١٤).

المبحث الثاني

الأحاديث الواردة حول الملابس والزينة

من الجوانب الاجتماعية المهمة التي تتفرد كتب السنة النبوية عامة وكتب السنن خاصة ذكر الملابس، إذ تذكر كتب السنن تفاصيل عديدة حول ما كان يلبس من ملابس في العهد النبوي، وهو جانب ذا أهمية كبيرة، إذ إنه يستكمل الملامح العامة في المجتمع.

على العموم، كانت ملابس العرب في الجزيرة بسيطة، تتناسب مع الأجواء السائدة آنذاك، واتصفت الحياة في المدينة في العصر النبوي بالبساطة والزهد والاقتصاد، وعدم السعي وراء نعيم الدنيا وبهجرتها طمعاً في ثواب الآخرة ونعيمها.

١ - ما ينهى عنه من اللباس والزينة:

ورد النهي عن ارتداء بعض أنواع الملابس والزينة، منها ما رواه الحميدي، ((عن ابن أبي موسى، قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا وَبَعَثَ أَبَا مُوسَى وَأَمَرَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَاجَتِهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يَا عَلِيُّ سَلِ اللَّهَ الْهُدَى وَالسَّادَاتِ، وَأَعْنِي بِالْهُدَى هِدَايَةَ الطَّرِيقِ، وَالسَّادَاتِ تَسْدِيدَكَ لِلِسَّهْمِ قَالَ: وَنَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنِ الْقَسِيِّ^(١٥)، وَالْمِثْرَةِ الْحَمْرَاءِ^(١٦)، وَأَنْ أَلْبَسَ خَاتَمِي فِي هَذِهِ أَوْ فِي هَذِهِ، وَأَشَارَ إِلَى السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى))^(١٧).

في هذا الحديث النهي عن بعض الثياب المعمولة من الحرير، وهي القسي، وكذلك النهي عن بعض السروج المعمولة من الحرير أيضاً، وهي الميثرة.

ويفسر هذين ما جاء في بعض روايات الحديث: ((قال أبو بردة: فقلنا لعلنا: ما القسيّة؟ قال: ثياب تأتينا من الشام أو من مصر مزلّعة فيها أمثال الأثرج، قال: والميثرة: شيء كانت تصنعه النساء لبُعُولَتِهِنَّ))^(١٨).

وكذلك النهي عن التختم بالوسطى والسبابة، وأنا ألبس خاتمي في السبابة والوسطى، أي يلبسهما في "الخنصرين اليمنى أو اليسرى كان يلبس الخاتم فيه"^(١٩).

وقال النووي: "وأجمع المسلمون على أن السنة جعل خاتم الرجل في الخنصر، وأما المرأة فإنها تتخذ خواتيم في أصابع، قالوا: والحكمة في كونه في

الخنصر: أنه أبعد من الامتهان فيما يتعاطى باليد؛ لكونه طرفاً؛ ولأنه لا يشغل اليد عما تتناوله من أشغالها، بخلاف غير الخنصر، ويكره للرجل جعله في الوسطى والتي تليها لهذا الحديث، وهي كراهة تنزيه، وأما التختم في اليد اليمنى أو اليسرى، فقد جاء فيه هذان الحديثان وهما صحيحان^(٢٠).

٢ - النهي عن الديباج^(٢١) والحرير:

روى الحميدي عن حذيفة (رضي الله عنه)، قَالَ: ((إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَامَ فِينَا فَقَالَ: لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، وَلَا تَلْبَسُوا الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ؛ فَإِنَّهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ))^(٢٢).

وهذا النهي يتوافق مع منهج الإسلام، فهو "لا يدعو إلى الفقر، بل يدعو إلى العمل والكفاح، والعمل والكفاح لا يتفق مع التمتع والتخلف، بل يحتاج الخشونة والرجولة والشهامة والقوة"^(٢٣).

٣ - النهي عن الوشم:

روى الحميدي، عَنْ عَلْقَمَةَ^(٢٤): ((أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَتَتْ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَتْ لَهُ: بَلَّغْنِي أَنَّكَ لَعَنْتَ ذِيْتَ وَذِيْتَ وَالْوَأَشِمَةَ^(٢٥)، وَإِنِّي قَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ فَلَمْ أَجِدِ الَّذِي تَقُولُ، وَإِنِّي لَأُظُنُّ عَلَى أَهْلِكَ مِنْهَا، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللَّهِ: فَادْخُلِي وَانْظُرِي، فَدَخَلَتْ وَنَظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ شَيْئًا قَالَ: فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللَّهِ: أَمَا قَرَأْتَ ﴿يُرِيزُ يَمِينُ يَبِيْ يَبِيْ جُنْدٍ﴾^(٢٦)؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَهُوَ ذَلِكَ))^(٢٧).

يشير الحديث إلى النهي عن بعض أنواع الزينة المعروفة بين النساء، وهو الوشم، الذي شاع الآن بين الرجال والنساء، والمرأة التي من بني أسد ذكرت لابن مسعود (رضي الله عنه) أنها قرأت المصحف، فلم تجد فيه النهي عن الوشم، فأخبرها ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه أمر الرسول (ﷺ)، وبين لها أن طاعته (ﷺ) هي موافقة لما أمر به الله تعالى بطاعة نبيه (ﷺ)^(٢٨).

٤ - النهي عن كشف الفخذ:

روى الحميدي عن جرهد (رضي الله عنه)، قَالَ: ((مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ، وَعَلَيَّ بُرْدَةٌ، وَقَدْ انْكَشَفَتْ فَخْذِي، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): غَطِّ فَخْذَكَ يَا جَرَهْدٍ، فَإِنَّ الْفَخْذَ عَوْرَةٌ)) (٢٩).

هذا الحديث يبين بعض ما عليه الإسلام من أخلاق في العهد النبوي، وهو نهى الرجل عن إبراز فخذه، وبطبيعة الحال النهي شامل للنساء بطريق أولى (٣٠).
فقد بين رسول الله (ﷺ) لجرهد (ﷺ) السبب المقتضي لتغطية الفخذ بأنها من عورة الرجل، وهذا أوفق بالإقناع، وفيه احترام للمنصوح وتوقير له، فهو ليس نكرة تملى عليه الأوامر فحسب.

٥ - الغسل في الإسلام:

الغسل في اللغة: "غَسَلَ الشَّيْءَ يَغْسِلُهُ غَسْلًا وَغُسْلًا. وَقِيلَ: الْغُسْلُ الْمَصْدَرُ مِنْ غَسَلْتُ وَالْغُسْلُ بِالضَّمِّ الْأَسْمُ مِنَ الْاِغْتِسَالِ وَهُوَ تَمَامُ غَسْلِ الْجَسَدِ كُلِّهِ" (٣١).
واصطلاحًا: هو إزالة الوسخ ونحوه بإجراء الماء عليه (٣٢).

إن غسل البدن هو من أهم وسائل الطهارة الشخصية، وقد روي الحميدي عدة أحاديث تشير إلى الغسل الذي شرعه الإسلام، ولشهرة الغسل في الإسلام، ولاشتهار هذه الأحاديث أذكر مجملها بما يأتي:

أ - الحث على الغسل في يوم الجمعة (٣٣).

ب - كيفية الاغتسال (٣٤).

ت - الاغتسال من الجنابة (٣٥).

ولا يجهل إنسان اليوم منافع الغسل الأسبوعي، إذ إنَّ جسم الإنسان ولاسيما جلده الخارجي مكوّن من آلاف المسام التي تغطيه، والتي تفرز مادّة العَرَق التي ترطب الجسم وتعطيه شيئاً من الحيوية عند اشتداد الحرارة. وتكاثر هذه المادّة وتجمعها فوق الجلد مع ما في الجوّ من غبار وغيره، يؤدي إلى انسداد هذه المسام بصورة جزئية، أو كلية مما يحتاج معه الإنسان بين فترة وأخرى إلى إجراء غسل لسائر جسده ليستعيد هذا البدن قوّته ونشاطه، ويستمر في عطائه وحيويته فوق هذا الأرض (٣٦).

٦ - الوضوء في الإسلام:

الوضوء: لغة: بضم الضاد على وزن فعول مشتق من الوضاءة وهي الحسن والنقاوة. وأما بفتح أولها الوضوء: فهو بمعنى الماء الذي يتطهر به^(٣٧).

واصطلاحاً: هو غسل الأعضاء الثلاثة: الوجه، واليدين، والرجلين. ومسح عضو مخصوص هو الرأس وقيل: إيصال الماء إلى الأعضاء الأربعة مع النية^(٣٨).

إن الأحاديث التي تأمر بالوضوء وأنه شرط وجوب لصحة الصلاة كثيرة جداً، وقد رتبت الشريعة السمحة الثواب الجزيل على الوضوء حثاً للعباد عليه، ولاشتهار الوضوء، أذكر مجمل ما أورده الحميدي في وجوب الوضوء وكيفيته بما يأتي:

أ - موجبات الوضوء وأسبابه^(٣٩).

ب - كيفية الوضوء^(٤٠).

ت - تخليل اللحية^(٤١) في الوضوء^(٤٢).

ث - إسباغ^(٤٣) الوضوء^(٤٤).

ج - استعمال السواك^(٤٥) في الضوء وفي غيره^(٤٦).

ح - التطهر من النجاسات^(٤٧).

٧ - سنن الفطرة:

من مزايا الإسلام سنن الفطرة، والفطرة لغة: من مادة فطر. والفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه، وتأتي بمعنى الشق، والخلق، والابتداء والاختراع^(٤٨).

وجمعت سنن الفطرة في الحديث الذي رواه الحميدي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه): ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَالَ: الْفِطْرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: الْخِتَانُ^(٤٩)، وَالْإِسْتِحْدَادُ^(٥٠)، وَتَقْلِيمُ الْأُظْفَارِ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ))^(٥١).

إن لسنن الفطرة على العموم، منافع كثيرة، منها: تحسين الهيئة وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً، والاحتياط للطهارتين، والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف

ما يتأذى به من رائحة كريهة، ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان، وامتنثال أمر الشارع، وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة وعلى التآلف المطلوب لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل قوله ويحمد رأيه، والعكس بالعكس^(٥٢).

٨ - الملابس:

أورد الحميدي عدة أحاديث تبين ما كان يرتديه النبي (ﷺ) وأصحابه (رضي الله عنهم) من الملابس وما يتعلق بها، ومن الملابس التي ذكرها مرتبة على حسب حروف الهجاء:

الإزار^(٥٣): ذكره الحميدي عشر مرات^(٥٤).

البردة^(٥٥): ذكرها الحميدي ست مرات^(٥٦).

البرنس^(٥٧): ذكره الحميدي أربع مرات^(٥٨).

الجبة^(٥٩): ذكرها الحميدي ثلاث مرات^(٦٠).

الحلة^(٦١): ذكرها الحميدي مرة واحدة^(٦٢).

الخف: ذكره الحميدي اثنا عشر مرات^(٦٣).

الخمار^(٦٤): ذكره الحميدي مرة واحدة^(٦٥).

الخميصة^(٦٦): ذكرها الحميدي مرتين^(٦٧).

الدرع: ذكره الحميدي مرتين^(٦٨).

السراويل: ذكرها الحميدي أربعة مرات^(٦٩).

العمامة: ذكرها الحميدي مرتين^(٧٠).

القميص^(٧١): ذكره الحميدي خمس مرات^(٧٢).

المغفر^(٧٣): ذكره الحميدي مرة واحدة^(٧٤).

المنديل: ذكره الحميدي مرة واحدة^(٧٥).

النعل: ذكره الحميدي ست مرات^(٧٦).

النمرة^(٧٧): ذكرها الحميدي مرة واحدة^(٧٨).

وقد أورد بعض الآداب والأحوال المتعلقة باللباس، وتتمثل بما يأتي:

أ - ضيق ثياب الرجال:

روى الحميدي عن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ (رضي الله عنهما) قالت: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنَاتِ لَا تَرْفَعَنَّ امْرَأَةٌ مِنْكُمْ رَأْسَهَا قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ الْإِمَامُ رَأْسَهُ؛ مِنْ ضِيقِ ثِيَابِ الرِّجَالِ))^(٧٩).

والحديث يبين الضيق المعاشي الذي كان عليه الصحابة (رضي الله عنهم)، وقد تمثل هذا بضيق ملابسهم، ويؤيد هذا ما جاء في رواية أخرى لهذا الحديث عن أسماء (رضي الله عنها): ((وذلك أن أزهرهم كانت قصيرة، مخافة أن تتكشف عوراتهم إذا سجدوا))^(٨٠).

ب - المخالفة بين طرفي الثوب:

روى الحميدي عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ (رضي الله عنها) قَالَتْ: ((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمَ الْفَتْحِ صَلَّى ثَمَانِ رَكَعَاتٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ مُخَالَفاً بَيْنَ طَرَفَيْهِ))^(٨١)، وفي رواية: ((مُشْتَمِلاً بِهِ))^(٨٢).

وهذا يتعلق بصلاة من ليس له إلا ثوب واحد، وقوله: (مخالفاً بين طرفيه) أو (مشتملاً به)، يعني: "أن يأخذ طرف الثوب الذي ألقاه على منكبه الأيمن من تحت يده اليسرى ويأخذ طرفه الذي ألقاه على الأيسر من تحت يده اليمنى ثم يعقدهما على صدره"^(٨٣).

ت - لبس الثياب البيضاء:

روى الحميدي، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما): ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: خَيْرُ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضُ لِيَلْبَسَهَا أَحْيَاؤُكُمْ وَكَفَنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ، وَخَيْرُ كَحَالِكُمُ الْإِثْمَدُ؛ إِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ، وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ))^(٨٤).

واختص البياض؛ لأنها لنقائها يطهر ما يخالطها من الدنس، ولسلامتها غالباً عن الخيلاء الذي يكون في لبس الملونات^(٨٥).

ث - عدم إسبال الإزار خيلاء:

ورد النهي عن إسبال الإزار؛ لأنه من الخيلاء، ومن ذلك ما رواه الحميدي، عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال لابنه: ((أَيُّ بَنِي أَرْفَعُ إِزَارَكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ

رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا))^(٨٦).

بين الحديث أن المستحب أن يكون الإزار إلى نصف الساق، والجائز بلا كراهة هو ما تحته إلى الكعبين، وما ينزل عنهما فيه منع تحريم للخيلاء، وإلا فممنوع تنزيهه^(٨٧).

٩ - التزين والزينة:

من المواضيع ذات الصلة بالحياة الاجتماعية التزين والزينة وأشكالها وأساليبها، وهي تسلط الضوء على جانب مهم من الجوانب الاجتماعية في العهدين المكي والمدني، ومما وردت الإشارة إليه أذكرها بحسب الحروف الهجائية:

أَنِيةِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ: ذكرهما الحميدي مرة واحدة^(٨٨).

الخرص^(٨٩): ذكره الحميدي مرة واحدة^(٩٠).

الخواتم: ذكرهما الحميدي أربع مرات^(٩١).

الكحل والمكحلة: ذكره الحميدي مرة واحدة^(٩٢).

الميل^(٩٣): ذكره الحميدي مرة واحدة^(٩٤).

وقد روى الحميدي صفة خاتم رسول الله (ﷺ) في الحديث الذي رواه عن ابنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما)، قَالَ: ((اتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ، ثُمَّ أَلْقَاهُ وَاتَّخَذَ مِنْ فِضَّةٍ فَصَّةً مِنْهُ، وَجَعَلَ فَصَّهُ مِنْ بَاطِنِ كَفِّهِ، وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَنَهَى أَنْ يَنْقُشَ أَحَدٌ عَلَيْهِ، فَهُوَ الَّذِي سَقَطَ مِنْ مُعَيْقِبٍ فِي بئرِ أُرَيْسٍ))^(٩٥).

وروى عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه)، وقد سئل: ((هَلِ اتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَاتَمًا؟ قَالَ: نَعَمْ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَرِيْقِهِ فِي يَدِهِ فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ))^(٩٦).

وقد وري عن اتخاذ النساء وصلات الشعر قول ((مُعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَهُوَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَقَدْ أَخْرَجَ مِنْ كُمِهِ فَصَّةً مِنْ شَعْرٍ، فَقَالَ: أَيَنْ عُلَمَاؤُكُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ، وَقَالَ: إِنَّمَا هَلَكْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ))^(٩٧).

بين الحديث أن بعض النساء كن يصلن شعرهن بشعر غيرهن من النساء، وقد حرم الإسلام هذا^(٩٨)، وسبب الحرمة أن الأدمي مكرم، فلا يجوز استعمال شيء من أجزاء الإنسان ومنه الشعر مهاناً مبتذلاً، وهذا الوصل ليس من التكريم، وأن "وصل المرأة شعرها بشعر نجس أو بشعر آدمي حرام قطعاً، لأنه يحرم الانتفاع بشيء منه لكرامته، بل يدفن شعره وغيره"^(٩٩).

ومن علامات التزين في الإسلام الخضاب، وروى الحُمَيْدِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): إِنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى لَا يَصْبِغُونَ فَخَالِفُوهُمْ))^(١٠٠).

ومن الطبيعي أن لا يقتصر الخضاب على الرجال، فمع أنه لم يرد في (مسند الحميدي) ما يشير إليه، إلا أنه أمر شائع ومعروف.

الخاتمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه.

أما بعد:

في خاتمة هذه الرسالة أخص أهم النتائج التي توصلت إليها: الحميدي من علماء الحديث المتقدمين في جمع السنة النبوية، وبلغ عدد الأحاديث التي ضمها مسند الحميدي (١٣٣٧) حديثاً، وقد انفرد برواية عدد من الأحاديث، وقد اتصفت أغلب أحاديثه بالصحة، كما اتفق البخاري ومسلم على عدد كبير منها.

يعد مسند الحميدي وثيقة تاريخية مهمة لمجريات العهد النبوي فقد شملت مروياته جوانباً مهمة في السيرة النبوية، وحفلت الأحاديث التي أوردتها بإشارات اقتصادية ومالية واجتماعية أرسى أسسها رسول الله (ﷺ).

نهى الإسلام عن الحرير والذهب للرجال، والوشم، وكشف الفخذ. وحث على الغسل في يوم الجمعة، والاغتسال من الجنابة، وإسباغ الوضوء،

واستعمال السواك، والتطهر من النجاسات، والمحافظة على سنن الفطرة.
الملابس التي كانت شائعة في العهد النبوي: الإزار، والبردة، والبرنس،
والجبة، والحلة، والخف، والخمار، والخميصة، والدرع، والسرّاويل، والعمامة،
والقميص، والمغفر، والمنديل، والنعل، والنمرة.
من الأحوال المتعلقة باللباس، غلبت ضيق ثياب الرجال، والمخالفة بين
طرفي الثوب، ولبس الثياب البيضاء، وعدم إسبال الإزار خيلاءً، والتزين والزينة.
والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م).
- ١. النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: زاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، ط ١، (بيروت - ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م).
- ٢. مسند أحمد، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط ١، (بيروت - ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م).
- ٣. تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط ١، (بيروت - ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م).
- ٤. التاريخ الأوسط، تح: محمود إبراهيم زايد، ط ١، (حلب - دار الوعي، والقاهرة - مكتبة دار التراث - ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).
- ٥. التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، ط ١، (حيدر آباد/الدكن - بلا تاريخ).

٦. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه - صحيح البخاري**، تح: محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، (بيروت - ١٤٢٢هـ/٢٠٠٣م).
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م).
٧. **معرفة السنن والآثار**، تح: عبد المعطي أمين قلجعي، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق - بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م).
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م).
٨. **الجامع الكبير - سنن الترمذي**، تح: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، (القاهرة - ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
- الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بالسيد الشريف (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م).
٩. **التعريفات**، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت - ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م).
١٠. **صفة الصفوة**، تح: أحمد علي، دار الحديث، ط١، (القاهرة - ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٣م).
١١. **الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٢، (بيروت - ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي (ت ٣٢٧هـ/٩٣٩م).
١٢. **الجرح والتعديل**، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت - ١٢٧١هـ/١٩٥٢م).

- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م).
- ١٣. الثقات، دائرة المعارف العثمانية، ط ١، (حيدر آباد، الدكن/الهند- ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
- أبو حبيب، سعدي.
- ١٤. القاموس الفقهي، دار الفكر، ط ٢، (دمشق- ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).
- ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكفائي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).
- ١٥. تقريب التهذيب، تح: محمد عوامة، دار الرشيد، ط ١، (دمشق- ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- ١٦. تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، (الهند- ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م).
- ١٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، ط ١، (بيروت- ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م).
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م).
- ١٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط ١، (بيروت- ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- الخليلي، أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد القزويني (ت ٤٤٦هـ/١٠٥٤م).
- ١٩. الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تح: محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، ط ١، (الرياض- ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).
- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر البغدادي (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م).
- ٢٠. العلل الواردة في الأحاديث النبوية المعروف بعلل الدارقطني، تح: محفوظ الرحمن الله السلفي، دار طيبة، (الرياض- ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م).
- ٢١. سنن أبي داود، تح: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط ١، (بيروت - ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري بن دريد (ت ٣٢١هـ/٩٣٣م).
- ٢٢. جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط ١، (بيروت - ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م).
- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
- ٢٣. تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت - ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- الربيعي، محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر (ت ٣٩٧هـ/١٠٠٧م).
- ٢٤. تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تح: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة، ط ١، (الرياض - ١٤١٠هـ/١٩٨٩م).
- رضا، صالح أحمد.
- ٢٥. الإعجاز العلمي في السنة النبوية، مكتبة العبيكان، (الرياض - ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- الزبيدي، محيي الدين أبي الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩١م).
- ٢٦. تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، (الكويت - ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).
- الزيات، أحمد حسن الزيات، وآخرون.
- ٢٧. المعجم الوسيط، دار الدعوة، ط ٣، (تركيا - ١٤١٠هـ/١٩٨٩م).
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م).

٢٨. الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت - ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
- الصنعاني، عز الدين أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني (ت ١١٨٢هـ/١٧٦٨م).
٢٩. التنوير شرح الجامع الصغير، تح: الدكتور محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط١، (الرياض - ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ/٩٧١م).
٣٠. المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، (الموصل، مكتبة العلوم والحكم، ٩٨٣م).
- أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي البغدادي (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م).
٣١. غريب الحديث، تح: محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، ط١، (بيروت - ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م).
- ابن علان، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، (١٠٣٣هـ/١٦٢٤م).
٣٢. دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين، اعتنى بها خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، (بيروت - ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- العيني، بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م).
٣٣. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت - ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٥٩هـ/١٠٠٤م).
٣٤. حلية الفقهاء في شرح غريب ألفاظ مختصر المزني، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، الشركة المتحدة للتوزيع، ط١، (بيروت - ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

- الفيروزآبادي، أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الصديقي الشيرازي (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م).
- ٣٥. **القاموس المحيط**، تح: مكتب تح: التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، (بيروت - ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م).
- ٣٦. **المصباح المنير**، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت - بلا تاريخ).
- القونوي، قاسم بن عبد الله بن أمير علي (ت ٩٧٨هـ/١٥٧١م).
- ٣٧. **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**، تح: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت - ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
- لاشين، الدكتور موسى شاهين.
- ٣٨. **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، دار الشروق، ط١، (بيروت - ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
- المزي، أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن المزي عبد الرحمن المزي (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م).
- ٣٩. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١، (بيروت - ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٥م).
- ٤٠. **صحيح مسلم**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت - بلا تاريخ).
- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت ٨٠٤هـ/١٤٠٢م).
- ٤١. **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، دار الفلاح للبحث العلمي وتح: التراث، ودار النوادر، ط١، (دمشق - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت ٧١١هـ/١٣١١م).
- ٤٢. لسان العرب، دار صادر، ط ١، (بيروت - ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م).
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م).
- ٤٣. روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، ط ١، (بيروت - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- ٤٤. شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، (بيروت - ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م).
- ٤٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، (القاهرة - ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

الهوامش:

- (١) المزي، أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن المزي عبد الرحمن المزي (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط ١، (بيروت - ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ج ١٤، ص ٥١٢؛ ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، (الهند - ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، ج ٥، ص ٢١٥.
- (٢) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، ط ١، (حيدر آباد/الدكن - بلا تاريخ)، ج ٥، ص ٩٦؛ ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م)، الثقات، دائرة المعارف العثمانية، ط ١، (حيدر آباد، الدكن/الهند - ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ج ٨، ص ٣٤١.
- (٣) المزي، تهذيب الكمال، ج ١٤، ص ٥١٢ - ٥١٣. وينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٢١٥.

- (٤) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي (ت ٣٢٧هـ/٩٣٩م)، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، ط ١، (بيروت - ١٢٧١هـ/١٩٥٢م)، ج ٨، ص ١٨٣؛ ابن حبان، الثقات، ج ٧، ص ٤٤٨.
- (٥) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م)، صفة الصفوة، تح: أحمد علي، دار الحديث، ط ١، (القاهرة - ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ج ١، ص ٤٢٨؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط ١، (بيروت - ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ج ٤، ص ٤٧.
- (٦) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت - ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ج ٦، ص ٣٦٥؛ الربيعي، محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر (ت ٣٩٧هـ/١٠٠٧م)، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تح: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة، ط ١، (الرياض - ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ج ١، ص ٤٠٤.
- (٧) المزي، تهذيب الكمال، ج ١٤، ص ٥١٢-٥١٣. وينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٢١٥.
- (٨) الخليلي، أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد القزويني (ت ٤٤٦هـ/١٠٥٤م)، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تح: محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، ط ١، (الرياض - ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)، ج ١، ص ١٦٦؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٢٩.
- (٩) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٨، ص ١٢٥؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٦، ص ٦١٧.
- (١٠) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ١، ص ٣٢٨؛ ابن حبان، الثقات، ج ٨، ص ٤٠٧.
- (١١) الذهبي، الكاشف، ج ٢، ص ٣٩٤.
- (١٢) طبع ملحفاً بمسنده بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، وطبع بتحقيق مشعل محمد الحدادي، دار ابن الأثير، الكويت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، وطبع بتحقيق عبد الله بن سليمان الغفيلي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠١م.
- (١٣) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٨، ص ٤٠؛ ابن حبان، الثقات، ج ٩، ص ١٩.
- (١٤) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، التاريخ الأوسط، تح: محمود إبراهيم زايد، ط ١، (حلب - دار الوعي، والقاهرة - مكتبة دار التراث - ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ج ٢، ص ٣٣٩؛ الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت - ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج ٢، ص ٣.
- (١٥) القسي: "ضرب من ثياب كتان مخلوط بحرير، يؤتى به من مصر، نسب إلى قرية على ساحل البحر، يقال لها: القس، قريبة من تَيْس". ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: زاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، ط ١، (بيروت - ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج ٤، ص ٥٩.

- (^{١٦}) الميثرة الحمراء: وهو ما كانوا يضعونه على الرحال فوق الجمال، كالقطنائف ويدخل في معناه: مياثر السروج؛ لأن المنهي عنه يشمل كل ميثرة حمراء، سواء كانت على رحل أو سرج، وهي من مراكب العجم تعمل من حرير أو ديباج. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ٥٩.
- (^{١٧}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ١٨٠، رقم (٥٢). والحديث رواه مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٥م)، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط ١، (بيروت - بلا تاريخ)، كتاب اللباس والزينة، باب في النهي عن التختم في الوسطى والتي تليها، ج ٣، ص ١٦٥٩، رقم (٢٠٧٨).
- (^{١٨}) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرناؤوط، ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط ١، (بيروت - ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، كتاب الخاتم، باب في خاتم الحديد، ج ٦، ص ٢٨٢، رقم (٤٢٢٥). قال الشيخ شعيب: "إسناده قوي".
- (^{١٩}) ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، ط ١، (بيروت - ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، ج ١٠، ص ٣٢٤.
- (^{٢٠}) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، (بيروت - ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ج ١٤، ص ٧١.
- (^{٢١}) الديباج: فارسي معرب يجمع على دبابيج، أو دبابيج إن جعل أصله مشدداً. وهو الثياب المتخذ من الابرسم معرب. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٩٧.
- (^{٢٢}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٤٠٨، رقم (٤٤٤) (٤٤٥). والحديث رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، ج ٣، ص ١٦٣٧، رقم (٢٠٦٧).
- (^{٢٣}) لاشين، الدكتور موسى شاهين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، ط ١، (بيروت - ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج ٨، ص ٣٠٧.
- (^{٢٤}) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك أبو شبل النخعي، فقيه العراق في زمانه، من أكبر أصحاب ابن مسعود، ومن كبار التابعين (ت ٦٢٢هـ/٦٨٢م). ينظر: ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، تقريب التهذيب، تح: محمد عوامة، دار الرشيد، ط ١، (دمشق - ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص ٣٩٧.
- (^{٢٥}) الواشمة: فاعلة الوشم، وهي أن تغرز إبرة أو مسلة أو نحوهما في ظهر الكف أو المعصم أو الشفة من البدن حتى يسيل الدم، ثم تحشو ذلك الموضع بالكحل أو النورة فيخضر، وقد يفعل ذلك بدارات ونقوش وقد تكثره وقد تقلله، وفاعلة هذا واشمة وقد وشمتم تشم وشما والمفعول بها موشومة فإن طلبت فعل ذلك بها فهي مستوشمة، وهو حرام". النووي، شرح صحيح مسلم، ج ١٤، ص ١٠٦.

- (٢٦) سورة الحشر: من الآية ٧.
- (٢٧) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٢٠٧، رقم (٩٧). والحديث متفق عليه. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه - صحيح البخاري**، تح: محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، (بيروت - ١٤٢٢هـ/٢٠٠٣م)، كتاب تفسير القرآن، باب {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ} [الحشر: ٧]، ج ٦، ص ١٧، رقم (٤٨٨٦)، كتاب اللباس، باب المتعلجات للحسن، ج ٧، ص ١٦٤، رقم (٥٩٣١)، باب المتمصّات، ج ٧، ص ١٦٦، رقم (٥٩٣٩)، باب الموصولة، ج ٧، ص ١٦٦، رقم (٥٩٤٣)، باب المستوشمة، ج ٧، ص ١٦٧، رقم (٥٩٤٨)؛ صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتمصّصة والمتعلجات والمغيرات خلق الله، ج ٣، ص ١٦٧، رقم (٢١٢٥).
- (٢٨) العيني، بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، ط ١، (بيروت - ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ج ٢٢، ص ٦٦.
- (٢٩) الحميدي، مسند الحميدي، ج ٢، ص ١٠٧، رقم (٨٨٠) (٨٨١). الحديث رواه أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م)، **مسند أحمد**، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط ١، (بيروت - ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج ٢٥، ص ٢٨٠، رقم (١٥٩٣٢) (١٥٩٣٣). قال الشيخ شعيب: "حسن بشواهد"؛ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، **الجامع الكبير - سنن الترمذي**، تح: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، (القاهرة - ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، أبواب الأدب، باب ما جاء أن الفخذ عورة، ج ٥، ص ١١١، رقم (٢٧٩٨). قال الترمذي: "حديث حسن". قال الهيثمي: "رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو ضعيف". الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، (القاهرة - ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج ٢، ص ٥٢.
- (٣٠) الصنعاني، عز الدين أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح بن ممد الحسن، الكحلاني (ت ١١٨٢هـ/١٧٦٨م)، **التنوير شرح الجامع الصغير**، تح: الدكتور محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ١، (الرياض - ١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ج ٧، ص ٤٣٣.
- (٣١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، دار صادر، ط ١، (بيروت - ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م)، مادة (غسل)، ج ١١، ص ٤٩٤.
- (٣٢) القونوي، قاسم بن عبد الله بن أمير علي (ت ٩٧٨هـ/١٥٧١م)، **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**، تح: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت - ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ص ٥٠.
- (٣٣) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٢٢٨، رقم (١٣٨)، ج ١، ص ٢٤٧، رقم (١٧٨)، ج ١، ص ٥١٣، رقم (٦٢٠) (٦٢١) (٦٢٢)، ج ٢، ص ٧، رقم (٧٥٣).

- (٣٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٢، رقم (١٦٣)، ج ١، ص ٣٢٩، رقم (٣٣٣)، ج ٢، ص ٢٠٠، رقم (١٠٠٧)، ج ٢، ص ٣٤٢، رقم (١٣٠١).
- (٣٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١٩، رقم (٣١٨)، ج ٢، ص ٣٤٢، رقم (١٣٠١).
- (٣٦) رضا، صالح أحمد، الإعجاز العلمي في السنّة النبوية، مكتبة العبيكان، (الرياض - ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج ١، ص ٤٨٨.
- (٣٧) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ/٧٩١م)، العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، ط ١، (بغداد - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، مادة (وضاً) ج ٧، ص ٧٧؛ الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ (ت ٧٧٠هـ/٣٦٨م)، المصباح المنير، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت - بلا تاريخ)، ج ٢، ص ٦٦٣.
- (٣٨) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٥٩هـ/١٠٠٤م)، حلية الفقهاء في شرح غريب ألفاظ مختصر المزني، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، الشركة المتحدة للتوزيع، ط ١، (بيروت - ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ٤٠؛ الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بالسيد الشريف (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م)، التعريفات، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت - ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ٢٥٣؛ القنوي، أنيس الفقهاء، ص ٦.
- (٣٩) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٤٣١، رقم (٤٨٤) (٤٨٥)، ج ١، ص ٥٣٤، رقم (٦٧٢)، ج ٢، ص ١٨٦، رقم (٩٨١) (٩٨٢)، ج ٢، ص ٢١١، رقم (١٠٢٦).
- (٤٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٣٧، رقم (٣٤٥)، ج ١، ص ٣٩٢، رقم (٤٢١)، ج ١، ص ٤٢٨، رقم (٤٧٧) (٤٧٨) (٤٧٩)، ج ٢، ص ٢٢، رقم (٧٧٥)، ج ٢، ص ١٠٦، رقم (٨٧٩)، ج ٢، ص ١٩٠، رقم (٩٨٧).
- (٤١) التخليل في اللغة: يأتي بمعان، منها: تقريق شعر اللحية وأصابع اليدين والرجلين، يقال: خَلَّلَ الرجل لحيته: إذا أوصل الماء إلى خلالها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلل) ج ١١، ص ٢١٣؛ الزبيدي، محيي الدين أبي الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩١م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، (الكويت - ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، مادة (خلل) ج ٧، ص ٣٠٧.
- (٤٢) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٢٣٣، رقم (١٤٦).
- (٤٣) إسباغ: مصدر الفعل أسبغ: أي: وسع، وإسباغ الوضوء المبالغة فيه حتى يبلغه جميع مواضعه في كل عضو. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سبغ) ج ٨، ص ٤٣٣؛ الفيروزآبادي، أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الصديقي الشيرازي (ت ٨١٧هـ/٤١٤م)، القاموس المحيط، تح: مكتب تح: التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٨، (بيروت - ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، مادة (سبغ) ١٣١١.
- (٤٤) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٢٤١، رقم (١٦١).

- (^{٤٥}) السواك والمِسْوَاك: هو ما تُدلك به الأسنان من العيدان، والجمع سُوك. ينظر: الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت - ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م): مادة (سوك) ١٧٤/١٠.
- (^{٤٦}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٢٣١، رقم (١٤١)، ج ١، ص ٢٤٢، رقم (١٦٢)، ج ١، ص ٤٠٨، رقم (٤٤٦)، ج ٢، ص ١٩٣، رقم (٩٩٥).
- (^{٤٧}) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٢، رقم (١٦٤)، ج ١، ص ٢٥١، رقم (١٨٦)، ج ١، ص ٣٣٨، رقم (٣٤٦)، ج ١، ص ٣٩٨، رقم (٤٣٢)، ج ١، ص ٤٠١، رقم (٤٣٦) (٤٣٧)، ج ٢، ص ١٠٦، رقم (٨٧٩)، ج ٢، ص ١٨٦، رقم (٩٨١)، ج ٢، ص ١٩٠، رقم (٩٨٧)، ج ٢، ص ١٩٥، رقم (٩٩٧) (٩٩٨) (٩٩٩)، ج ٢، ص ١٩٦، رقم (١٠٠٠)، ج ٢، ص ٢٠٤، رقم (١٠١٨).
- (^{٤٨}) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري بن دريد (ت ٣٢١هـ/٩٣٣م)، جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، (بيروت - ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م)، مادة (فطر) ج ٢، ص ٧٥٥؛ الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٣م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٢، (بيروت - ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، مادة (فطر) ج ٢، ص ٧٨١.
- (^{٤٩}) الختان والختانة: الاسم من الختن، وهو قطع القلفة من الذكر والنواة من الأنثى، كما يطلق الختان على موضع القطع. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ختن) ج ٣، ص ١٣٨.
- (^{٥٠}) وَتَسْتَحْدُّ: مِنَ الاسْتِحْدَادِ، وَهُوَ حَلْقُ الْعَانَةِ بِالْحَدِيدِ، وَهُوَ اسْتَقْعَلَ مِنَ الْحَدِيدِ، كَأَنَّهُ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى طَرِيقِ الْكُنَايَةِ وَالتَّوْرِيَةِ. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٣٥٣.
- (^{٥١}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ٢، ص ١٧٧، رقم (٩٦٥). والحديث متفق عليه. البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب قص الشارب، ج ٧، ص ١٦٠، رقم (٥٨٨٩)، باب تقليم الأظفار، ج ٧، ص ١٦٠، رقم (٥٨٩١)، كتاب الاستئذان، باب الختان بعد الكبر ونتف الإبط، ج ٨، ص ٦٦، رقم (٦٢٩٧)؛ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ج ١، ص ٢٢١، رقم (٢٥٧).
- (^{٥٢}) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٠، ص ٣٣٩.
- (^{٥٣}) الإِزَارُ: المُنْتَرُ والإِزَارُ: الملحفة، واصلها من الأَزَرِ: وهو الإِحاطة بالشيء، وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن يذكر ويؤنث. ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (أزر) ج ٤، ص ١٦ - ١٧.
- (^{٥٤}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٢٠١، رقم (٨٩)، ج ١، ص ٤١٠، رقم (٤٥٠)، ج ١، ص ٤٢٧، رقم (٤٧٤)، ج ١، ص ٥٢٤، رقم (٦٥٠)، ج ١، ص ٥٢٤، رقم (٦٥١)، ج ١، ص ٥٣٠، رقم (٦٦٤) (٦٦٥)، ج ٢، ص ٨، رقم (٧٥٤)، ج ٢، ص ٥٤، رقم (٨٢٩)، ج ٢، ص ٢٨٥، رقم (١١٨٣).
- (^{٥٥}) البرد: من الثياب جمعه برود و أبراد؛ والبردة كساء أسود مربع فيه صغر تلبسه الأعراب والجمع برد بفتح الراء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (برد) ج ٣، ص ٨٧؛ الفيومي، المصباح المنير، ج ١، ص ٤٢.

- (^{٥٦}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٢٣٩، رقم (١٥٧)، ج ١، ص ٣٥٢، رقم (٣٦٢)، ج ٢، ص ٩٧، رقم (٨٧٠)، ج ٢، ص ١٠٧، رقم (٨٨٠) (٨٨١)، ج ٢، ص ٢٨١، رقم (١١٧٦).
- (^{٥٧}) البرنس: كل ثوب رأسه منه ملتزق به، دراعة كان أو م-مطرا أو جبة. وجمعه برانس ابن منظور، لسان العرب، مادة (برنس) ج ٦، ص ٢٦.
- (^{٥٨}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٥٢٠، رقم (٦٣٩) (٦٤٠)، ج ١، ص ٥٥٦، رقم (٧١٢)، ج ٢، ص ١٣٦، رقم (٩٠٩).
- (^{٥٩}) الجبة: ثوب سابغ واسع الكمين مشقوق المُقَدَّم يلبس فوق الثَّيَّاب والدرع. ينظر: الزيات، أحمد حسن الزيات، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ط ٣، (تركيا - ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ج ١، ص ١٠٤؛ أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي، دار الفكر، ط ٢، (دمشق - ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص ٥٧.
- (^{٦٠}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ٢، ص ٢٢، رقم (٧٧٥)، ج ٢، ص ٤٣، رقم (٨٠٨)، ج ٢، ص ٣١١، رقم (١٢٣٧).
- (^{٦١}) الخلَّة: إزار ورداء، ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين. الرازي، مختار الصحاح، مادة (حل) ٦٣؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (حل) ج ١١، ص ١٧٢.
- (^{٦٢}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٥٤٧، رقم (٦٩٦).
- (^{٦٣}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ١٧٥، رقم (٤٦) (٤٧)، ج ١، ص ٢٣٦، رقم (١٥٠)، ج ١، ص ١٠٤، رقم (٤٣٨)، ج ١، ص ٤٠٩، رقم (٤٤٧)، ج ١، ص ٤٢٧، رقم (٤٧٤)، ج ١، ص ٥٢٠، رقم (٦٣٩)، ج ٢، ص ٢٢، رقم (٧٧٥) (٧٧٦)، ج ٢، ص ٤٧، رقم (٨١٥)، ج ٢، ص ١٣٠، رقم (٩٠٥)، ج ٢، ص ٢٧٦، رقم (١١٦٩).
- (^{٦٤}) الخمار: ما تغطي به المرأة رأسها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خمر) ج ٤، ص ٢٥٧.
- (^{٦٥}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٢٣٦، رقم (١٥٠).
- (^{٦٦}) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان، فإن لم يكن مُعلماً فليس بخميصة وهو ثوب يصنع من الخز أو الصوف عادة، وجمعا خمائن. ينظر: الفراهيدي، العين، مادة (خمص) ج ٤، ص ١٩١؛ الجوهري، الصحاح، مادة (خمص) ج ٣، ص ١٠٣٨.
- (^{٦٧}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٢٤٥، رقم (١٧٢)، ج ١، ص ٣٣٣، رقم (٣٣٩).
- (^{٦٨}) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧١، رقم (٣٨)، ج ٢، ص ٢٤٢، رقم (١٠٩٥).
- (^{٦٩}) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠١، رقم (٨٩)، ج ١، ص ٤٢٧، رقم (٤٧٤)، ج ١، ص ٥٢٠، رقم (٦٣٩) (٦٤٠).
- (^{٧٠}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٤٨٣، رقم (٥٧٦)، ج ١، ص ٥٢٠، رقم (٦٣٩).

- (٧١) القميص: هو ثوب مخيط بكمين غير مخرج يلبس تحت الثياب، ولا يكون إلا من قطن أو كتان، وأما الصوف فلا، وجمعه: قُمَصٌ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قمص) ج ٧، ص ٨٢؛ الزبيدي، تاج العروس، مادة (قمص) ج ١٨، ص ١٢٦.
- (٧٢) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٢٠١، رقم (٨٩)، ج ١، ص ٢٩٤، رقم (٢٧٠)، ج ١، ص ٥٢٠، رقم (٦٣٩)، ج ٢، ص ٣٣٣، رقم (١٢٨٤) (١٢٨٥).
- (٧٣) المغافر: واحدها المغفرة، والأصل في الغفر التغطية، ومنه سمي المغفر؛ لأنه يغفر الرأس، أي: يلبسه ويغطيه، والمغفرة: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة. ينظر: أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي البغدادي (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م)، غريب الحديث، تح: محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، ط ١، (بيروت - ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ج ٣، ص ٣٤٨.
- (٧٤) الحميدي، مسند الحميدي، ج ٢، ص ٣١٤، رقم (١٢٤٦).
- (٧٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣١١، رقم (١٢٣٧).
- (٧٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٨، رقم (٢٢٥)، ج ١، ص ٢٩٧، رقم (٢٧٤)، ج ١، ص ٤٢٧، رقم (٤٧٤)، ج ١، ص ٥٢٠، رقم (٦٣٩) (٦٤٠)، ج ٢، ص ٢٧٦، رقم (١١٦٩).
- (٧٧) كساء ملون فيها خطوط بيض وسود من الصوف تلبسه الأعراب. ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (نمر) ج ٥، ص ٤٨٠؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة ٤٨٧ (نمر).
- (٧٨) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٢٣٨، رقم (١٥٥).
- (٧٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٢٦، رقم (٣٣٩). الحديث رواه احمد، مسند أحمد، ج ٤٤، ص ٥١٥، رقم (٢٦٩٥١). قال الشيخ شعيب: "حديث صحيح لغيره"؛ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ/٩٧١م)، المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، ط ٢، (الموصل، مكتبة العلوم والحكم، ١٩٨٣م)، ج ٢، ص ٩٨، رقم (٢٦٢)؛ الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر البغدادي (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م)، العلل الواردة في الأحاديث النبوية المعروف بعلل الدارقطني، تح: محفوظ الرحمن الله السلفي، دار طيبة، (الرياض - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج ١٥، ص ٢٩٥، رقم (٤٠٤١).
- (٨٠) أحمد، مسند أحمد، ج ٤٤، ص ٥١٥، رقم (٢٦٩٥٠). قال الشيخ شعيب: "حديث صحيح لغيره".
- (٨١) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٣٢٩، رقم (٣٣٤) (٣٣٥). والحديث رواه أحمد، مسند أحمد، ج ٤٤، ص ٤٧٤، رقم (٢٦٩٠٣). قال الشيخ شعيب: "حديث صحيح".
- (٨٢) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٤٨٦، رقم (٥٨١) من حديث عمر بن أبي سلمة (رضي الله عنه). والحديث متفق عليه. والحديث متفق عليه. البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتفا به، ج ١، ص ٨٠، رقم (٣٥٦)؛ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة في ثوب واحد وصفة لبسه، ج ١، ص ٣٦٨، رقم (٥١٧).
- (٨٣) النووي، شرح صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٣٣.

- (^{٨٤}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٤٥٣، رقم (٥٣٠). روى الحديث أحمد، مسند أحمد، ج ٤، ص ٩٤، رقم (٢٢١٩)، ج ٤، ص ٢٨٢، رقم (٢٤٧٩)، ج ٥، ص ٣٥٢، رقم (٣٣٤٢)، ج ٥، ص ٣٩٨، رقم (٣٤٢٦). قال الشيخ شعيب: "إسناده صحيح"؛ أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الأمر بالكل، ج ٦، ص ٢٧، رقم (٣٨٧٨). قال الشيخ شعيب: "إسناده قوي"، كتاب اللباس، باب في البياض، ج ٦، ص ١٦٨، رقم (٤٠٦١)؛ الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الجنائز، باب ما يستحب من الأكفان، ج ٣، ص ٣١٠، رقم (٩٩٤). قال الترمذي: "حديث ابن عباس حديث حسن صحيح"؛ سنن ابن ماجه، أبواب الجنائز، باب ما جاء فيما يستحب من الكفن، ج ٢، ص ٤٥٣، رقم (١٤٧٢)، أبواب اللباس، باب لبس البياض من الثياب، ج ٤، ص ٥٧٩، رقم (٣٥٦٦)، قال الشيخ شعيب: "إسناده قوي".
- (^{٨٥}) ابن علان، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، (١٠٣٣هـ/١٦٢٤م)، دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين، اعتنى بها خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤، (بيروت - ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ج ٥، ص ٢٥٩.
- (^{٨٦}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٥٢٤، رقم (٦٥٠) (٦٥١)، ج ١، ص ٤١٠، رقم (٤٥٠)، ج ١، ص ٥٣٠، رقم (٦٦٤) (٦٦٥)، ج ٢، ص ٨، رقم (٧٥٤)، ج ٢، ص ٥٤، رقم (٨٢٩). والحديث متفق عليه. متفق عليه. البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً، ج ٥، ص ٦، رقم (٣٦٦٥)، كتاب اللباس، باب منه، ج ٧، ص ١٤١، رقم (٥٧٨٣)، باب من جر إزاره من غير خيلاء، ج ٧، ص ١٤١، رقم (٥٧٨٤)؛ صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم جر الثوب خيلاء وبيان حد ما يجوز إرخاؤه إليه وما يستحب، ج ٣، ص ١٦٥١، رقم (٢٠٨٥).
- (^{٨٧}) ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت ٨٠٤هـ/١٤٠٢م)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، دار الفلاح للبحث العلمي وتح: التراث، ودار النوادر، ط ١، (دمشق - ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ج ٢٧، ص ٥٩١ - ٥٩٢.
- (^{٨٨}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٤٠٨، رقم (٤٤٤).
- (^{٨٩}) الخرص: حلقة الذهب والفضة، أو حلقة القرط، أو الحلقة الصغيرة من الحلّي، وجمعها: خرصان. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٢٢؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (خرص) ج ٧، ص ٢١.
- (^{٩٠}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٤٣٠، رقم (٤٨٢).
- (^{٩١}) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٩، رقم (٥٢)، ج ١، ص ٤٣٠، رقم (٤٨٢)، ج ١، ص ٥٤٦، رقم (٦٩٢)، ج ٢، ص ١٧٠، ج ٢، ص ٣١٥، رقم (١٢٤٨).
- (^{٩٢}) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥٢، رقم (١٣٣١).
- (^{٩٣}) هو أداة الاكتحال، ويسمى المملول. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ميل) ج ١١، ص ٩٣٦.
- (^{٩٤}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ٢، ص ٣٥٢، رقم (١٣٣١).

- (^{٩٥}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٥٤٦، رقم (٦٩٢). والحديث رواه البخاري، كتاب اللباس، باب فص الخاتم، ١٥٦/٧، رقم (٥٨٧٠).
- (^{٩٦}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ٢، ص ٣١٥، رقم (١٢٤٨). والحديث رواه البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، معرفة السنن والآثار، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق - بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، ج ١٤، ص ٤٨٥، رقم (٢٠٨٦٢).
- (^{٩٧}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ١، ص ٥٠٩، رقم (٦١١). والحديث متفق عليه. البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ج ٤، ص ١٧٣، رقم (٣٤٦٨). كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، ١٦٥/٧، رقم (٥٩٣٢)؛ مسلم، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمنتمصّة والمتفلجات والمغيرات خلق الله، ج ٣، ص ١٦٧٩، رقم (٢١٢٧).
- (^{٩٨}) النووي، شرح صحيح مسلم، ج ١٣، ص ١٠٨؛ ابن حجر، فتح الباري، ج ١٠، ص ٣٧٥.
- (^{٩٩}) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، ط ١، (بيروت - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج ١، ص ٣٨١.
- (^{١٠٠}) الحميدي، مسند الحميدي، ج ٢، ص ٢٦٣، رقم (١١٣٩). والحديث متفق عليه. البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج ٤، ص ١٧٠، رقم (٣٤٦٢)، كتاب اللباس، باب الخضاب، ج ٧، ص ١٦١، رقم (٥٨٩٩)؛ مسلم، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب في مخالفة اليهود في الصبغ، ج ٣، ص ١٦٦٣، رقم (٢١٠٣).

الاسهامات الفقهية لبني عقامة باليمن من القرن
(٥-٧هـ / ١١-١٣م)

Jurisprudential contributions of Banu Uqama in
Yemen from the century (5-7 AH / 11-13 AD)

كاظم جواد كاظم

أ.د. وسن سمين محمد امين

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية / قسم التاريخ

Kadhum.Jawad2205m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

07506842258

07865026488

الاسهامات الفقهية لبني عقامة باليمن من القرن (٥-٧هـ / ١١-١٣م)

كاظم جواد كاظم

أ.د. وسن سمين محمد امين

الملخص

كان لأسرة بني عقامة اسهامات كبيرة في الحياة الفكرية باليمن فظهر منهم فقهاء وعلماء ومحدثين نالوا مكانة علمية كبيرة لاسيما علم الفقه فقد عُرف اعلام هذه الاسرة بالفقهاء الشافعية لأنهم درسوا علوم الفقه الشافعي واخذوا يُعلمونها للناس ويعملون على نشرها في زبيد ومنطقة تهامة عن طريق المساجد التي كانت تُعقد فيها حلقاتهم الدراسية وعلى رأسها مسجدي الاشاعر والكبير فكانت تلك الحلقات تستقطب الكثير من طلبة العلم من جميع انحاء اليمن ومن خارجها , فضلاً عن المؤلفات الكثيرة التي كتبوها منها ما هو خاص بالمذهب الشافعي مثل كتاب (احكام الخنثي) لابي الفتح بن ابي عقامة وغيرها من المؤلفات التي شملت علوم كثيرة منها علم المساحة وعلم الجواهر والحساب والميراث وغيرها, كما تولى ابناء هذه الاسرة الخطابة في مساجد زبيد واشتهرت عنهم الخطب العقامية نسبة الى الحسن بن ابي عقامة الذي تميّز بأسلوب الارتجال على المنبر .

Summary :

The Bani Uqama family had great contributions to the intellectual life in Yemen. Jurists, scholars, and hadith scholars emerged from them who attained great scholarly standing, especially the science of jurisprudence. The prominent figures of this family were known as the Shafi'i jurists because they studied the sciences of Shafi'i jurisprudence and began to teach them to the people and worked to spread them in Zabid and the Tihama region through the mosques that were held. They held their study circles, most notably the Al-Ash'ar and Al-Kabir Mosques. These circles attracted many students from all over Yemen and from outside it.

In addition to the many books they wrote, some of which were specific to the Shafi'i school of thought, such as the book "Ahkam al-

Khanthi” by Abu al-Futuh ibn Abi Uqama, and other books that included many sciences, including surveying, gemology, arithmetic, inheritance, and others. The members of this family also took up oratory in the mosques of Zabid and became famous for them. Al-Aqama sermons are named after Al-Hasan bin Abi Uqama, who was distinguished by his style of improvisation on the pulpit.

المقدمة وعرض المصادر

ان الدراسات الفكرية خلال المدة من القرن ٥ - ١١هـ / ١٣ - ١١م هي من الدراسات المهمة نظراً لتعدد المذاهب والفرق الدينية عند المسلمين واختلافها بالافكار والمعتقدات لا سيما في بلاد اليمن التي شهدت ظهور مختلف المذاهب على ارضها منذ القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد وما صاحبها من صراعات داخلية تسببت باضطراب الاوضاع الداخلية وعدم استقرارها ، اضافة الى الصراعات السياسية التي شهدتها بلاد اليمن في تلك الحقبة ، وتعاقب الدويلات المختلفة على حكم البلاد وكانت كل دولة تدين بمذهب معين وتعمل على نصرته واطهاره على المذاهب الاخرى وجعله مذهب الاغلبية ، اما اهمية الدراسات الفكرية فتظهر من خلال التعرف على تلك المذاهب التي كانت سائدة والافكار التي جاءت بها وبيان اثر الدولة و الاسر العلمية في نصره تلك المذاهب ونشر افكارها ومعرفة الوسائل المُتبعة التي يتم من خلالها نشر تلك الافكار بين الناس ، ومن هذه الاسر العلمية التي كان لها شأن كبير باليمن هي اسرة بني عقامة التي حظيت بنصيب وافر في هذا المجال .

اما سبب اختيار موضوع البحث فكان لما له من اهمية بالدراسات الاسلامية والفكرية لاسيما في بلاد اليمن وحاجته الى الدراسة والبحث والاستقصاء ومكانة اسرة بني عقامة باليمن واسهاماتها الفعالة في هذا المجال .

اما الصعوبات والمشاكل التي عانى منها الباحث خلال مدة الدراسة فهي تشابه اسماء علماء بني عقامة وعدم ذكر تواريخ وفياتهم وتضارب المعلومات وتداخلها عند بعض المؤرخين سبب مشكلة كبيرة فكان لابد من التمييز بينهم بالرجوع الى المصادر القريبه زماناً ومكاناً من هذه الاسره والمقارنة مع المصادر الاخرى التي فيها التباس من اجل الوصول الى

الحقيقة التاريخية ، اضافة الى ندرة المصادر اليمنية وصعوبة الحصول عليها فضلاً عن المادة المتناثرة في ثنايا تلك المصادر المتعلقة ببني عقامة .

منهجية الدراسة

تطلبت هذه الدراسة ان نتبع المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي اعتماداً على مصادر ومراجع من اجل الوصول الى المطلوب من النتائج وابتعدنا عن الاسهاب او الاطالة التي قد تؤدي الى الإملال وكذلك اقتضت هذه الدراسة ان نُقسّمها الى مبحثين تسبقهما المقدمة وتسبقهما الخاتمة كان المبحث الاول بعنوان (الفقه في الاسلام) تحدثت فيه عن التعريف اللغوي والاصطلاحي للفقه ثم نبذة تاريخية عن تطور الفقه الاسلامي اما المبحث الثاني فكان عن اسهامات اسرة بني عقامة في الفقه والخطابة .

عرض المصادر

اعتمدت في كتابة هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع التي كان لها اهمية كبيرة في انجاز هذا البحث نذكر اهمها :-

اولاً : كتب التاريخ

١- عمارة اليمني ، نجم الدين محمد (ت٥٦٩هـ / ١١٧٣م) وكتابه تاريخ اليمن المسمى المفيد في اخبار صنعاء وزبيد . يُعدّ هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ اليمن بشكل عام وقد اورد معلومات قيمة عن اوائل بني عقامة الذين عاشوا في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

٢- ابن الديبع ، أبو الضيا عبد الرحمن بن علي (ت: ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) وكتابه قرة العيون بأخبار اليمن الميمون . وهو من المصادر المهمة في تاريخ اليمن السياسي تناول الاحداث منذ بداية العهد الإسلامي إلى سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ، كما ذكر بعض من اخبار اسرة بني عقامة .

ثانياً : كتب التراجم والطبقات

١- ابن سمرة ، عمر بن علي الجعدي (ت٥٨٧هـ / ١١٩١م) وكتابه طبقات فقهاء اليمن ، يُعدّ من اهم المصادر التي تحدثت عن فقهاء اليمن بشكل عام وقد امدّنا بمعلومات مهمة عن فقهاء بني عقامة كونه من المؤرخين المعاصرين لهذه الاسرة .

٢- الجندي ، محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) وكتابه السلوك في طبقات العلماء والملوك ، وهو من اكثر المصادر التي تحدثت عن اسرة بني عقامة كونه عاصر الابناء المتأخرين لهذه الاسرة لذلك اورد اخبار من سبقوه نقلاً عن المؤرخين السابقين واخبار المعاصرين له من ابناء هذه الاسرة فكان من اكثر المصادر المعتمدة بالبحث

اما اهم المراجع المعتمدة فنذكرها حسب الترتيب الهجائي وهي :

- ١- الحضرمي ، عبد الرحمن بن عبد الله ، وكتابه زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ ، وهو من اهم الكتب الحديثة التي اعتمدت عليها لما فيها من مادة علمية مهمة تتعلق بابناء هذه الاسرة كون المؤلف من ذات المدينة التي اشتهر منها بني عقامة اضافة الى اهمية الكتاب للتعريف بالمدارس والمساجد اليمنية وما يتعلق بها
- ٢- السائيس ، محمد علي وكتابه تاريخ الفقه الاسلامي الذي امدني بمعلومات قيمة عن تاريخ الفقه الاسلامي .

المبحث الاول

الفقه في الاسلام

اولاً : التعريف اللغوي والاصطلاحي للفقه

الفقه لغة : هو الفهم او العلم او معرفة قصد المتكلم (الجراعي، شرح مختصر اصول الفقه، ١٤٣٣هـ، ج ١، ص ٥٧) ويقال فقهت الشيء اي عرفته (ابن منظور، لسان العرب، ١٤١٤هـ، ج ١٥، ص ٣١٠) ، قال نبي الله موسى (عليه السلام) حين دعا ربه بعد ان كلفه بالرساله : **سَمِّحْ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مَنْ لِسَانِي ٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ٢٨ سَجَى** (سورة طه الآية (٢٧ ، ٢٨)) اي بمعنى يفهموا قلبي ، قال قوم شعيب (عليه السلام) : **سَمِّحْ قَالُوا يُشْعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ سَجَى** (سورة هود ، الايه (٩١)) اي لا نفهم ما تقول ، وقال الله سبحانه وتعالى : **سَمِّحْ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ سَجَى** (سورة التوبة ، الايه (١٢٢)) اي ليكونوا علماء به (الاشقر، تاريخ الفقه الاسلامي، ١٤١٠هـ، ص ٩) .

الفقه اصطلاحاً : هو العلم باحكام الشريعة الاسلامية العملية المكتسب من ادلتها التفصيلية (الكوراني، الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، ١٤٢٩هـ، ج ١، ص ٢٠٧) ، وهو علم الدين

دون غيره من العلوم وكان هذا العلم يتمثل بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) (الاشقر، تاريخ الفقه الاسلامي، ١٤١٠هـ، ص ١١) ويتم من خلاله التعرف على الحلال والحرام المتعلق بامور الشريعة الاسلامية (ابن منظور، لسان العرب، ١٤١٤هـ، ج ١٥، ص ٣١٠)، اما اصول الفقه فهي ما تبنى عليه الاحكام الفقهية من خلال الادلة بمختلف انواعها (ابو الوفا بن عقيل، الواضح في اصول الفقه، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص ٨) .

ثانياً : نبذة تاريخية عن تطور الفقه الاسلامي

كان الصحابة (رضي الله عنهم) في عهد النبي محمد (ﷺ) مقيدين بالقرآن الكريم والسنة النبوية عملاً بقوله تعالى سَمَحَ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَطِيعُوا اللَّهَ وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاُولِي الْاَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ سَجَى (سورة النساء ، الايه (٥٩))، فلم يجوز لهم الاجتهاد واستعمال الرأي والقياس بوجود النبي محمد (ﷺ) وانما كانوا مقيدين بالقرآن الكريم والسنة النبوية (الجصاص، احكام القرآن، ١٤١٥هـ، ج ٢، ص ٢٦٥-٢٦٦)، كان الاجتهاد في عهد الرسول (ﷺ) يتم بحالتين الاولى هي في حال عدم وجود النبي (ﷺ) كأن يكونوا في مناطق بعيدة عنه وهذا ما حصل مع الصحابي الجليل معاذ بن جبل (رضي الله عنه) (ت ١٨هـ/٦٣٩م) حينما بعثه الرسول محمد (ﷺ) الى بلاد اليمن سنة ٩هـ/١٥م (ابن سعد، الطبقات، ١٤٢١هـ، ج ٣، ص ٤٥٠) لِيُعَلِّمَهُمْ وَيَقُومَ فِيهِمْ قَالَ لَهُ : "كيف تقضي إن عرض القضاء؟" قال: قلت: أقضي بما في كتاب الله. قال: "فإن لم يكن في كتاب الله؟" قال: قلت: أقضي بما قضى به رسول الله (ﷺ) . قال: "فإن لم يكن قضى به الرسول؟" قال: قلت: أجتهد رأيي ولا آلو. قال فضرب صدري وقال: " الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله (ﷺ) لما يرضي رسول الله (ﷺ) " (الدارمي، مسند الدارمي، ١٤١٢هـ، ج ١، ص ٢٦٧) ، اما الحالة الثانية التي يجوز فيها الاجتهاد هو ان يأمر الرسول (ﷺ) اصحابه بالاجتهاد في امر معين ليستبرئ في اجتهادهم وليعلم مدى قدرتهم على الاجتهاد ويتضح ذلك من قول النبي محمد (ﷺ) لعقبة بن عامر (رضي الله عنه) (ت ٥٨هـ/٦٧٧م) عندما جاءه خصمان : "أقضي بَيْنَهُمَا يَا عُقْبَةُ" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْضِي بَيْنَهُمَا وَأَنْتَ حَاضِرٌ قَالَ: "أَقْضِي بَيْنَهُمَا فَإِنْ أَصَبْتُ فَلَاكَ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَلَاكَ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ" (الجصاص، احكام القرآن، ١٤١٥هـ، ج ٢، ص ٢٦٦-٢٦٧) .

وفي العصر الراشدي (١١ - ٤١هـ / ٦٣٢ - ٦٦١م) اجتهد الصحابة ببعض المسائل التي لم يرد فيها نص بالقرآن ولا بالسنة معتمدين على القياس ومن ذلك قول ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) بوجوب قتال مانعي الزكاة معتمداً على حكم قتال تارك الصلاة ، كذلك جمع القرآن وكتابته في مصحف واحد جاء من اجتهاد الصحابة بعد ان خشوا عليه من الذهاب والضياح بعد ذهاب حفظته ، كذلك اجتهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعد فتح الامصار في مسألة الاراضي التي فتحوها على ان تكون مصدراً لبيت مال المسلمين في حين كان رأي الصحابة ان توزع على المقاتلين الذين فتحوها (الاشقر، تاريخ الفقه الاسلامي، ١٤١٠هـ، ص ٧٨-٧٩) .

وخلال المدة من القرن (٢ - ٤هـ / ٨ - ١٠م) ظهر نشاط كبير في علم الفقه فشهدت هذه المدة ظهور ثلاثة عشر مجتهداً اسسوا مذاهب فقهية (السايس، تاريخ الفقه الاسلامي، د.ت، ص ٩٤)، كما تم تدوين الحديث في هذا العصر فأستقل عن الفقه ، وظهرت المصطلحات الفقهية كالقياس والاحسان واشتدت المنافسة حول اصولها العقلية (الكروي، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية، ٢٠٠٨م، ص ٢٣٧) ، وبعد منتصف القرن ٤هـ / ١٠م حتى سقوط بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م كان العلماء قد الزموا انفسهم اتباع امام معين في قضاياها وما يُفتي به في امور الشريعة الاسلامية ولم يقتصر دور هؤلاء العلماء على التقليد فحسب بل قاموا بجمع الآثار والروايات ورجحوا بينها واستخرجوا من شتى المسائل اصول ائمتهم وقواعدهم التي بنوا عليها فتاويهم والفوا كتباً في الفقه وافتوا في مسائل لم يكن لائمتهم نص فيها ، وكان عمل العلماء يتوقف على ثلاثة اشياء هي : تعليل الاحكام ، والترجيح بين الاراء ، والانتصار للمذهب (السايس، تاريخ الفقه الاسلامي، د.ت، ص ١٣٠) .

كانت اهم المراكز الفقهية في الدولة الاسلامية تتوزع ما بين المدينة ومكة والبصرة والكوفة ودمشق واليمن والفسطاط وخراسان ، انتجت هذه المراكز اربع وثمانون شخصاً في مجال الفقه وساهم كل مركز بعدد من الفقهاء فكان في مقدمتها مركز المدينة الذي بلغ عدد فقهاء اثنا عشر و عشرون فقيهاً ، لأنها موطن الرسول الاعظم (ﷺ) وعاصمة الدولة الاسلامية الاولى التي اسسها النبي محمد (ﷺ) ، عاش فيها الصحابة من المهاجرين والانصار فكان

علماءها ورثة العلم النبوي فمن الطبيعي ان تكون في مقدمة المراكز الفقهية (الاشقر، تاريخ الفقه الاسلامي، ١٤١٠هـ، ص ٤٨) وفي الكوفة عشرون فقيهاً ، والبصرة سبعة عشر ، ودمشق تسعة ، ومكة سبعة ، واليمن خمسة ، والفسطاط ثلاثة ، وواحد من خراسان (حلاق، نشأة الفقه الاسلامي وتطوره، ١٤٢٧هـ، ص ١٠٥) .

المبحث الثاني

اسهامات بني عقامة بالفقه والخطابة

اولاً : اسهامات بني عقامة بالفقه

كانت اسرة بني عقامة قد اشتهرت في عدة ميادين من العلم والمعرفة ومنها علم الفقه حتى تسموا به ونالوا شهرتهم من خلاله فقليل عنهم الفقهاء بني عقامة (ابن الاهدل، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، ١٤٢٥هـ، ج ١، ص ١٨١) لاشتغالهم بالعلم (الاصفهانى، خريدة القصر وجريدة العصر، ١٣٨٣هـ، ج ٣، ص ٢٣٨) وظهر منهم فقهاء وعلماء ومحدثين نالوا مكانة علمية كبيرة في اليمن (حماد، مظاهر الحضارة الاسلامية في اليمن، ١٤٢٥هـ، ص ٦٠١) واصبحوا من ابرز علماء عصرهم وكانت لهم الرياسة في انواع العلوم (ابن الاهدل، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، ١٤٢٥هـ، ج ١، ص ١٨١)، وحتى خلال مدة سيطرة بني الصليحي على اليمن (٤٣٩-٥٣٢هـ/١٠٦٦-١١٣٨م) الذين تميزوا بأهتمامهم بالحركة العلمية وانشائهم العديد من المراكز الخاصة بالمذهب الاسماعيلي (هندي، اثر الخلافة الفاطمية في العلوم الاجتماعية، ٢٠٢١م ، ص ٢١) فقد كان لبني عقامة اسهامات في مجال التدريس والحديث والافتاء وهذا كله يدل على مدى اهتمام هذه الاسرة بالعلم والفقه والدرجة العلمية التي بلغوها في ذلك العصر ومنذ ذلك الوقت اصبحت زبيد من المدن المشهورة بالعلم والعلماء وصارت مقصدا لطلاب العلم من جميع نواحي تهامة نظرا لما فيها من العلماء والمدرسين والاماكن الدراسية (الدجيلي، الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري، ١٤٠٥هـ، ص ٥٥) ، كان اهل اليمن ينشدون ابيات شعرية وينسبونها الى احد ابناء البيت العقامي يمدح فيها نفسه لمعرفته عشرين علما ولكن لم يحددوا اسمه (العراقي، طرح التثريب في شرح التثريب، لات ، ج ٢، ص ٢٤٥) وهذا يدل على غزارة علمهم وعلو همتهم ومكانتهم في اليمن .

كانت جل نشاطاتهم الفكرية مرتبطة بالمساجد لأنها تُعد من اقدم المؤسسات التعليمية في الاسلام فلم تقتصر على العبادة واداء الطقوس الدينية فحسب بل كان لها اثر كبير في نشر العلوم بمختلف انواعها قبل ظهور المدارس نهاية القرن ٣ الهجري / ٩ الميلادي وحتى بعد ظهورها بقيت المساجد محتفظة باهميتها الدينية والعلمية (الجبوري، المراكز الفكرية خلال العهد البويهي، ٢٠١٨م ، ص٢٦٨) ومنهم :

الحسن بن ابي عقامة (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م)، كان اول من اشتهر من هذه الاسرة علماً وفقهاً فكان اماما في علوم مختلفة (ابن الاهدل، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، ١٤٢٥هـ، ج ١، ص ١٨١)، اضافة الى كونه محققا في كثير من العلوم والفنون (ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ١٤٠٩هـ، ص ٢٤٦)، كان كبير القدر في بيتهم فقيها (عمارة، تاريخ اليمن، ١٣٩٦هـ، ص ٢٨٨) من العلماء البارعين المجتهدين الذين نالوا شهرة كبيرة في اليمن ، شارك في علوم كثيرة (الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ١٣٨٣هـ، ج ٣، ص ٢٥١-٢٥٢) ولم يقتصر علمه في الامور الدينية فحسب بل كان اماما في العربية واللغة (عمارة، تاريخ اليمن، ١٣٩٦هـ، ص ٢٨٨) لذلك اعتلت قيمته وارتفعت منزلته حتى بلغ مرتبة الوزارة وذوي الرياسة العليا (ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ١٤٠٩هـ، ص ٢٤٦) واثى عليه اسعد بن شهاب الصليحي (ت حوالي ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م) ثناء مرضيا لعلمه وتوليه الامور الدينية وادارتها قائلاً : " اقام الحسن عني بأمور الشريعة قياما يؤمن عيبه ويحمد غيبه"(عمارة، تاريخ اليمن، ١٣٩٦هـ، ص ١٢٣) وهذا الثناء يدل على العمل الكبير الذي قام به الحسن بن ابي عقامة في مجال الشريعة وعلوم الدين على الرغم من اختلاف المذاهب فيما بينهم فدائماً ما يحصل التنافس والعداء بين المذاهب المختلفة وهذا ما حصل في زمن ابن نجيب الدولة (ت ٥٢٢هـ / ١١٢٨م) قائد الجيش الفاطمي الذي عزم على غزو زبيد مركز الشافعية عندما كان فيها الوزير من الله الفاتكي سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م (سمين، الموفق في الدين ابن نجيب الدولة، ٢٠١٦م، ص ٤٩٢).

ولسعة علمه ومكانته العالية وتفقهه بأمور الدين نال اكراما واجلالاً وتعظيماً من جياش بن نجاح (ت ٤٩٨هـ / ١١٠٤م) الذي لقبه بـ (مؤتمن الدين) وهو احق واجدر ان

يطلق عليه مثل هذا اللقب (بامخرمة، قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر، ١٤٢٨هـ، ج ٣، ص ٥٢٢) وقيل لقّبه بالنصير (الشامي، تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٩م، ١٤٠٧هـ، ج ٢، ص ٨٥)، وقصيدته (النونية) الشهيرة التي سنّأتها على ذكرها ان شاء الله تدل على سعة علمه وعلو همته (الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ٢٥٢)، فضلاً عن ذلك كان من العلماء البلغاء الذين قاموا بالخطابة والتدريس في مساجد زبيد في عهد بني نجاح وبني الصليحي (الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، ١٤٢١هـ، ص ٥٠-٥٢)، وله مؤلفات شملت مختلف العلوم منها الفقه ، علم المساحة ، علم الفرائض والحساب ، علم الموارث وفي احكام الجنائيات وله مجلدات ادبية ، ومن هذه المؤلفات هي :-

- ١- كتاب نوادر مذهب ابي حنيفة : وهو من الكتب التي فيها تعصب للمذهب الشافعي ، بحث فيه عن المسائل التي استشنعها الشافعي واصحابه على ابي حنيفة فقام الحنفية بجمع نسخه واتلافها لذلك قل وجوده في اليمن (حميد الدين، الروض الاغن في معرفة المؤلفين باليمن ومصنفاتهم في كل فن، ١٤١٥هـ، ج ١، ص ١٥٣).
- ٢- مختصر في علم الموارث وهو ما يتعلق في تركة المتوفى (الاصفهانى، خريدة القصر وجريدة العصر، ١٣٨٣هـ، ج ٣، ص ٢٥١).
- ٣- الملطف في المساحة خاص بعلم المساحة وما يتعلق بها (حاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ١٣٦٠هـ، ج ٢، ص ١٨٢١).
- ٤- مصنف جواهر الاخبار : يسمى جواهر الاخبار وملح الاشعار وهو مجلد تأريخي ادبي من جزأين مرتب على شكل اخبار ضم تسع وتسعون خبرا كان اول خبر هو عن قدوم الامام الحسين (عليه السلام) الى العراق وانتهى بخبر عن حسان بن ثابت وهذا المجلد ممزوج بأبيات وقصائد شعرية تتوافق مع الاحداث التاريخية او مأخوذة من اصحابها وجاء في نهاية المجلد كلمات او امثال قالها العرب وفسرها الحسن بن ابي عقامة اضافة الى التذكير ببعض منازل الاخرة ومشاهدها وعدد من الوصايا التي اوردها المؤلف (حاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ١٣٦٠هـ، ج ١٥، ص ٢٧٨) .

٥-نقد الشعر تكلم فيه عن الشعراء وبيان عيوبهم في الشعر (بن ابي عقامة، مخطوطة جواهر الاخبار وملح الاشعار، ج ١، و ٦٢) .

٦-مختصر في علم الفرائض والحساب (الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ٢٥٢) هو ايضا خاص بأمر الميراث

بعد قتل الحسن بن ابي عقامة سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م انتقلت رئاسة هذه الاسرة حكما وعلما الى عبد الله بن محمد بن ابي عقامة المعروف بـ(ابو الفتوح) (ت ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) (الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ٢٦٠) فأصبح عالما من علماء اليمن البارزين خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، و من الفقهاء الشافعية (الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ١٣٨٥-١٤٢٢هـ، ج ٣٣، ص ١٢٠)، اماما عالما كان له ظهور كبير في المذهب الشافعي (الاكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ١٤١٦هـ، ج ١، ص ٥٢) اكثر علماء عصره اشتغالا في العلم(عمارة، تاريخ اليمن، ١٣٩٦هـ، ص ٢٨٩) انتهت اليه رئاسة المذهب الشافعي في اليمن (الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ١٣٨٥-١٤٢٢هـ، ج ٣٣، ص ١٢٠) قيل عنه انه "كان امام دهره واوحد عصره في العلم" (الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ٢٦٠) وهذا يدل على سعة علمه وعلو مكانته ومنزلته والدرجة العلمية التي بلغها في ذلك العصر ، تفقه على جده ابي الحسن علي بن عبد الله بن ابي عقامة الكذرائي (من اعلام القرن ٥هـ / ٧م) (السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ١٤١٣هـ، ج ٧، ص ١٣٠-١٣١) اخذ الفقه في الحديث والتفسير عن الفقيه ابي الغنائم الفارقي (ت ٤٩٢هـ/١٠٩٨م) عن ابي حامد الاسفراييني (ت ٤٠٦هـ/١٠١٥م) تخرج على يديه عدد من العلماء والفقهاء (الملك الافضل، العطايا السنية، ١٤٢٥هـ، ص ٣٧١)، ومنهم الفقيه عبد الله بن محمد المطراني الذي اخذ عنه علوم الفقه (الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١٤١٤هـ، ج ٢، ص ٤١٠) .

نقل عنه عدد من العلماء والفقهاء والمؤرخين الكثير من المسائل الفقهية ومنهم الياضي (ت ٥٥٨هـ/١١٦٢م) في كتابه (البيان) ونقل عنه النووي (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) من "زوائده" في أوائل الزواج في الكلام على ما إذا عقده بشهادة خنثيين ثم بانا رجلين (الاسنوي،

المهمات في شرح الروضة والرافعي، ١٤٣٠هـ، ج ١، ص ٢٨٥) ونقل عنه كذلك فيما ينقض
الوضوء في كتابه (شرح المذهب) (الاسنوي، المهمات في شرح الروضة والرافعي،
١٤٣٠هـ، ج ٣، ص ٢٨٧) ونقل عنه الرافعي (ت ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م)، في كتابه (الديات)
(ابن شهبه، طبقات الشافعية، ١٤٠٧هـ، ج ١، ص ٣٠٥) ولابي الفتوح ابناء واحفاد توارثوا
علمه فاصبحوا علماء وفقهاء كبار اخذ عنهم كثير من علماء اليمن وممن اخذ عنهم
القلعي(ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) صاحب احترازاات المذهب (ابن الملتن، العقد المذهب في طبقات
حملة المذهب، ١٤١٧هـ، ص ١٩٣) ، ولابي الفتوح عدد من المؤلفات التي نقل عنها
مجموعة من العلماء منها ما هو خاص بفقه المذهب الشافعي ومنها ما هو خاص في احكام
الجنايات و احكام الخنثي وغيرها من العلوم الاخرى وكان لتلك المؤلفات فوائد جلية في ذلك
العصر لاعتماد اهل اليمن عليها في التفقه بالدين واخذ علوم الشريعة الاسلامية الخاصة
بالمذهب الشافعي وغيرها من العلوم الاخرى حتى طغت على غيرها من الكتب خلال تلك
الحقبة لاسيما في مجال الدراسة والتعليم حتى قيل عنها : " لم يتفقه احد من اهل عصره بعد
تصنيفها الا منها " (الاكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ١٤١٦هـ، ج ١، ص ٥٢)، ومن
هذه المؤلفات :

- ١-كتاب الخناثي : هو من انفس مؤلفاته واغربها واحسنها ، مجلد لطيف فيه نفائس جميلة
حسنة ، لم يسبقه احدا من المؤلفين بمثله (النووي، تهذيب الاسماء واللغات، لا.ت، ج ٢،
ص ٢٦٢).
- ٢-كتاب التحقيق : هو الكتاب الذي نقل عنه العمراني في البيان الكثير من المسائل الفقهية
في المذهب الشافعي (ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، د.ت، ص ٢٤٠) .
- ٣-كتاب الخبايا والخبائي (اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ١٤١٧، ج ٣، ص ٣٢٢) .
- ٤-كتاب احكام الحسان (كحالة، معجم المؤلفين، د.ت، ج ٨، ص ٥٤) .
- ٥-كتاب المختصر في احكام الجنايات (الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك،
١٤١٤هـ، ج ١، ص ٢٦٠) .
- ٦-كتاب التبصرة : خاص في اصول الدين اخذه شيوخ الشافعية عن يحيى بن ابي الخير
العمراني (الفقي، اليمن في ظل الاسلام، ١٤٠١هـ، ص ٣٢١) .

ومن فقهاء هذه الاسرة ابو الحسن علي بن عبد الله بن ابي عقامة الكذرائي (من اعلام القرن ٥هـ / ٧م) من الفقهاء الشافعية كان اماما كاملا فاضلا (الملك الافضل، العطايا السنية، ١٤٢٥هـ، ص٤٤٣)، من الشيوخ الحُفَاط يقرأ على تلامذته مما يحفظه قال عنه هبة الله الشيرازي (ت ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م) : اسمعنا ابو الحسن بكذراء املاء من حفظه (السمعاني، الانساب، ١٣٨٢هـ، ج١١، ص٥٧) اخذ عن الفقيه عمر بن محمد السجستاني (ت بعد ٤٠٣هـ / ١٠١٢م) ومن تلامذته ابو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي (ت ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م) (السمعاني، الانساب، ١٣٨٢هـ، ج١١، ص٥٧) وحفيده ابو الفتوح (ت ٥٠٠هـ / ١١٠٦م) الذي اخذ عنه علوم الفقه (ابن شهبه، طبقات الشافعية، ١٤٠٧هـ، ج١، ص٣٠٥)، ومن علماء بني عقامة عبد الله بن علي بن ابي عقامة (ت حوالي ٥٢٥هـ / ١١٣٠م) والد القاضي الحفائي (ت ٥٥٤هـ / ١١٥٩م) كان فقيها فاضلا (بامخرمة، قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر، ١٤٢٨هـ، ج٥، ص٤٩٢) عالما محققا في الفقه (الاكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ١٤١٦هـ، ج١، ص٥٢) ، وبما ان ابناء هذه الاسرة قد توارثوا العلم والفقه عن ابائهم واسلافهم لذلك ورث ولده محمد بن عبد الله الحفائي علوم الفقه فكان في مقدمة اهل العلم بزبيد (عمارة، النكت العصرية في اخبار الوزراء المصرية، ١٤١٣هـ، ص٢٨) فقيها متكلم فصيحا فاضلا نبيا ممدحا (الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١٤١٤هـ، ج١، ص٣٨١) واسع الاطلاع في الفقه والكلام (الدجيلي، الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري، ١٤٠٥هـ، ص١٧٨) كبير الجاه غزير العلم تفقه بأهل بيته (ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، د.ت، ص٢٤٠) تعلم كثير من العلوم منها علم الفقه واصوله والعربية والاتها والقران وعلومه وكذلك علم التفسير وعلم الفرائض وغيرها من العلوم ، ومن الفقهاء الذين اخذ عنهم هذه العلوم هما ابو محمد عبد الله بن ابي القاسم بن الابار (ت بعد ٥٠٠هـ / ١١٠٦م) ونصر الله الحضرمي (الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، ١٤٢١هـ، ص١٤٩-١٥٠)، ترأس طبقة فقهاء المذهب الشافعي في اليمن خلال عصر دولة بني نجاح (السروري، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن، ١٤١٧هـ، ص٧٣٦) .

ومن فقهاء بني عقامة محمد بن علي بن ابي عقامة (من اعلام ق ١٢هـ / ١٢م) الذي اشتهر بلقب الخطيب وهذا مايدل على علمه ومكانته وفضله فربما كان خطيبا معروفا في مساجد زبيد لذلك غلب عليه لقب الخطيب وقد عرف انه كان ذا جاه كبير وعلم غزير (اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ١٤١٧، ج ٣، ص ٣٢٢) مما اهله ان يكون خطيباً بالمساجد لأن الخطابة لا يقوم بها الا العلماء المشهورين بالفقه ولديهم معرفة بالعلوم الدينية ، ومنهم عثمان بن ابي الفتوح (ابو الغز) (ت حوالي ٥٥٤هـ / ١٠٥٩م) كان من الفقهاء الشافعية نبيها عارفا بامور الشريعة محققا للروايات والنصوص التاريخية (الاصفهانى، خريدة القصر وجريدة العصر، ١٣٨٣هـ، ج ٣، ص ٢٤٧) بارزا في الفقه (ابن الاهدل، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، ١٤٢٥هـ، ج ١، ص ١٨٩) عارفا متقنا لشتى انواع الفنون والعلوم جوادا مَداحا ممدحا (عمارة، تاريخ اليمن، ١٣٩٦هـ، ص ٢٨٩)، ومنهم عبد الله بن محمد بن ابي الفتوح (ت حوالي ٥٨٠هـ / ١١٨٤م) كان فقيها عارفا من فقهاء زبيد تفقه على يد علمائها و فقهاؤها واخذ عنهم علوم الشريعة الاسلامية واصبحت له معرفة بالحديث والتفسير (ابن سمره، طبقات فقهاء اليمن، د.ت، ص ٢٤١) ، ومن الفقهاء الذين اخذ عنهم اصول الفقه هو حسن الشيباني (ت ٥٨٣هـ / ١١٨٧م) ، وكان لتولييه القضاء نتيجة لما عُرف عنه من الفقه والدين، وفي عهد سيطرة بني ايوب على اليمن سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م اصبح حاكما لمدينة زبيد (الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ٣٨١) .

ومنهم حسين بن ابي الغز (ت في ق ١٣هـ / ١٣م) الذي كان فقيهاً جليل القدر وكان الامام احمد بن عجيل يثني عَلَيْهِ ثناءً مرضيا ، وَ لحسين اخاً فاضلاً معروفاً بالفقه اسمه احمد كَانَ ذَا فنون كَثِيرَةٍ ، وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ بن حسين بن ابي الغز (ت ق ١٣هـ / ١٣م) ، وعبد الله بن حُسَيْن بن عَلِيّ الفحيش (ت ق ١٣هـ / ١٣م) ، وابو بكر بن عبد الله حُضُور بن اَحْمَد (ت ق ١٣هـ / ١٣م) ، ظهوروا خلال القرن ١٣هـ / ١٣م في منطقة ابیات القضاء بمحل الدارية ، كانوا مشهورين بالفقه معروفين بالفضل ، تولوا الخطابة بمدينة الكدرا (الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١٤١٤هـ، ج ٢، ص ٣٥٨-٣٥٩) ، ومن فقهاءهم ايضا عبد الله بن ابي الغز (ت ق ١٣هـ / ١٣م) وهو من قرابة القاضي الحفائي

(ت٥٥٤هـ/١١٥٩م) اخذ علم الفقه عن علي الحكمي (ت٦٩٩هـ / ١٢٩٩م) في مدينة شجينة فاصبح من الفقهاء الفضلاء في اليمن (الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ١٤١٦هـ، ج١، ص٥٤)، كان ثقةً له حلقات دراسية بعلم الفقه في منطقة ابيات القضاة (الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١٤١٤هـ، ج٢، ص٣٥٩)، ومنهم ابراهيم بن ابي عقامة (ت اواخر ق ٨هـ/١٤م) هو اخر من اشتهر بالعلم من بني عقامة خلال القرن ٨هـ/١٤م ، كان فقيها بعلم الفرائض او ما يسمى علم المواريث وما يتعلق بتركة الميت ، من اهل الدين والورع ادركه ابن الاهدل بمحل الداربية وكان يعمل بالفقه (ابن الاهدل، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، ١٤٢٥هـ، ج١، ص٣٠٨) ، اما ذريته فليس منهم احد مشغل بالعلم والفقه بل توجهوا الى الزراعة وعملوا بها (الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١٤١٤هـ، ج١، ص٣٨٢) .

ثانياً : اسهامات بني عقامة بالخطابة

كان لبني عقامة اسهامات كبيرة بمجال الخطابة خلال المدة من القرن ٥ - ١١هـ / ١١ - ١٣م لانهم كانوا فقهاء ولهم معرفة بأمور الدين فكان لابد ان يظهر منهم ائمة وخطباء في مساجد زبيد او خارجها واصبح لهم دور كبير في هذا المجال ، فقد ورثوا هذه المهام عن جدهم محمد بن هارون الذي كان اماما لمسجد الاشاعر (الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، ١٤٢١هـ، ص٦٢)، فهم احفاده وورثته فظهر منهم في كل عصر عالم جليل و خطيب مصقع وامام مدرس (عمارة، تاريخ اليمن، ١٣٩٦هـ، ص٢٨٨)، ويرجع سبب اهتمامهم وتوجههم الى المساجد لانها نالت اهتمام الناس واقبالهم عليها واحترامهم وتقديسهم لها والمكانة الكبيرة التي حظيت بها عند المسلمين لدورها العلمي المثمر فهي لم تقتصر على العبادة فقط وانما كانت تعقد فيها حلقات دراسية لتعليم الناس علوم الدين وغيرها من العلوم الاخرى عن طريق القراءة والسماع (المنصوري، علم القراءات في اليمن، ١٤٢٥هـ، ص٧٨) ، فوجدوها من اهم الوسائل التي تساعدهم على نشر المذهب الشافعي وتعليم الناس علوم الفقه واللغة والحساب وغيرها من العلوم الاخرى .

كان الحسن بن ابي عقامة (ت ٤٨٣هـ/١٠٩٠م) من افضل واشهر خطباء هذه الاسرة ، ذاع صيته في زبيد واليمن بشكل عام لما كان يتميز به من قدرة كبيرة على تنظيم الخطب

على المنبر او ما يعرف باسلوب الارتجال حتى انه تلقب بـ (الخطيب) فكان ذو ثقافة وفصاحة وبيان (ابن سمره، طبقات فقهاء اليمن، د.ت، ص ٢٤٢)، كما وصف بانه كان خطيباً مصقعا (الاكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ١٤١٦هـ، ج ١، ص ٥٠)، تولى امر الخطابة في الجامع الكبير اضافة الى دوره في النصيح والارشاد (الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، ١٤٢١هـ، ص ٥٢) وهو كذلك من ائمة وخطباء مسجد الاشاعر (الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، ١٤٢١هـ، ص ٦٢)، كانت خطبه مشهورة ومميزة تعرف بالخطب العقامية (عمارة، تاريخ اليمن، ١٣٩٦هـ، ص ٢٨٨) نسبة اليه، ومن خطبائهم ابو الفتوح عبد الله بن محمد (ت ٥٠٠هـ / ١١٠٦م) كان من اشهر خطباء الجامع الكبير تولى امر الخطابة والحديث والارشاد في علوم القرآن (الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، ١٤٢١هـ، ص ٥٢) فضلا عن كونه اماما في المذهب الشافعي (الملك الافضل، العطايا السنية، ١٤٢٥هـ، ص ٣٧١)، ولم يقتصر دوره على الجامع الكبير بل كان اماما وخطيبا في مسجد الاشاعر (الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، ١٤٢١هـ، ص ٦٢).

اما محمد بن عبد الله الحفائي (ت ٥٥٤هـ / ١١٥٩م) فكان من كبار الائمة والخطباء في الجامع الكبير (الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، ١٤٢١هـ، ص ٥٢) لما عرف عنه من الفصاحة والترسل في الكلام (الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ١٣٨٣هـ، ج ٣، ص ٢٤٢)، كما تولى الامامة والخطابة بمسجد الاشاعر في عهد بني نجاح، ومنهم ابو بكر بن ابي عقامة (ت مطلع ق ١٧هـ / ١٣م) الذي تولى الامامة والخطابة في الجامع الكبير (الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، ١٤٢١هـ، ص ٦٣) ربما في عهد بني نجاح لأنه كان معاصراً لهم قبل زوال ملكهم على يد علي بن مهدي (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٤م) سنة ٥٥٤هـ / ١١٥٩م، وعهد بني ايوب الذي شهد اهم انجازاته العمرانية ببنائه المسجد المصلى او ما يعرف بمسجد ابن عقامة قبل سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م (الشرجي الزبيدي، طبقات الخواص اهل الصدق والاخلاص، ١٤٠٦هـ، ص ٣٣٨)، اما عهد بني مهدي الذي يتوسط ما بين عهدي بني نجاح وبني ايوب فلم يشهد نشاطاً ملحوظاً لبني عقامة بل العكس من ذلك قام ابن مهدي (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٤م)

بأبعادهم عن المناصب وزال ملكهم بعد دخوله زبيد سنة ١١٥٩هـ / ١١٥٩م (عمارة، تاريخ اليمن، ١٣٩٦هـ، ص ٤٥).

لم يقتصر لقب الخطيب على الحسن بن محمد بن ابي عقامة (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) وإنما اشتهر بهذا اللقب ايضا محمد بن علي بن ابي عقامة (من اعلام ق ١٢هـ / ١٢م) فلعله كان خطيبا في احد مساجد زبيد او خارجها لذلك غلب عليه لقب الخطيب فقد عرف عنه انه كان غزير العلم (اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ١٤١٧، ج ٣، ص ٣٢٢) ، ومنهم عبد الله بن محمد بن القاضي ابي الفتوح (ت حوالي ٥٨٠هـ / ١١٨٤م) الذي تولى امامة مسجد الاشاعر (الحضرمي، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، ١٤٢١هـ، ص ٦٢) وهو ايضا من المعاصرين للدولتين النجاشية والايوبية فلعل امامته لمسجد الاشاعر كانت خلال عهدي تلك الدولتين اللتين منحتهم حرية كبيرة لتشابههم بالمذهب ، وَمِنْهُمْ من ظهر في مساجد مدينة الكدرا وهو ابو بكر بن عبد الله خُصُور بن احمَد (ت ق ١٣هـ / ١٣م) الذي كَانَ خطيبا تولى امر الخطابة في تلك المدينة(الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١٤١٤هـ، ج ٢، ص ٣٥٩)، اضافة الى ذلك احمد بن ابي عقامة (ت ق ١٣هـ / ١٣م) الذي كان احد خطباء مسجد الشيخ مرزوق بن حسن الصريفي (ت ٦١٩هـ / ١٢٢٢م) (الشرجي الزبيدي، طبقات الخواص اهل الصدق والاخلاص، ١٤٠٦هـ، ص ٥٢) .

لم تتوقف اسهامات بني عقامة في المساجد عند القرن ١٣هـ / ١٣م بل ظلت ذريتهم تتوارث الامامة والخطابة في المساجد فظهر منهم في القرن ١١هـ / ١٧م عبد الباقي بن عبد الله العدني (ت ١٠٢٧هـ / ١٦١٧م) الذي نال شهرته من خلال مسجد ابي الضياء (المسجد العدني) (الحبشي، مصادر الفكر الاسلامي في اليمن الحبشي، ١٤٢٥هـ، ج ١، ص ٣٢) ، يتضح مما سبق مدى اهتمام هذه الاسرة وتعلقها بالمساجد وكذلك اسهامهم في مجال الامامة والخطابة والحديث والنصح والارشاد وقدرتهم الكبيرة على ذلك ومدى سيطرتهم على اهم مساجد زبيد وهما الجامع الكبير ومسجد الاشاعر اضافة الى انهم كانوا يتوارثون هذه المهام عن اسلافهم ويورثونها الى اعقابهم لذلك ظهر منهم في كل عصر علماء دين وخطباء مشهورين تميزوا بإجادتهم لكثير من العلوم والفنون ونالوا شهرة كبيرة في تهامة اليمن لاسيما

الحسن (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) الذي كان اكثرهم علماً وفقهاً ، وكانت اغلب اعماله مرتبطة بالمساجد .

الخاتمة

وفي الختام نذكر اهم النتائج التي توصلنا اليها من خلال دراستنا لموضوع البحث (الاسهامات الفقهية لبني عقامة باليمن من القرن ٥-٧هـ / ١١-١٣م)

١- ان هذه الاسرة تركت اثر كبير في الحياة العلمية باليمن من خلال نشاطاتها واسهاماتها الفكرية .

٢- كان لهذه الاسرة مكانة متميزة في اليمن لكونهم فقهاء وعلى قدر كبير من العلم والفهم .

٣- هم من علماء المذهب الشافعي قاموا بنصرته ونشر تعاليمه بين ابناء المجتمع اليمني لاسيما في منطقة تهامة .

٤- تقريبهم من الملوك والحكام ويتضح ذلك من علاقة الحسن بن ابي عقامة بجيـاش بن نجاح ملك اليمن .

٥- تأليفهم للكتب والمصنفات في مختلف انواع العلوم وهو ما يدل على انهم لم يقتصروا على العلوم الدينية فحسب بل كانت لهم معرفة في علوم شتى .

٦- كانت لهم حلقات دراسية لأقراء الفقه وتعليم الناس الفقه الشافعي .

٧- تولوا امر الخطابة في مساجد زبيد وخارجها لكونهم خطباء تميزوا بالفصاحة والبلاغة والترسل في الكلام والقدرة الكبيرة التي تمتعوا بها ويتضح ذلك من الخطب العقامية التي تميّز بها الحسن بن ابي عقامة .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة

- ❖ ابن ابي عقامة ، ابو محمد الحسن بن محمد (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م)
مخطوطة جواهر الاخبار وملح الاشعار ، (نسخة مصورة عن معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ف ٦٦ ، ل ٣٩٦ ، تاريخ التصوير ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م)

ثانياً : المصادر المطبوعة

- ❖ الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن حسن ابو محمد (ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م)
١-المهمات في شرح الروضة والرافعي ، اعتنى به ابو الفضل الدمياطي ، احمد بن علي ، ط ١ ، (مركز التراث الثقافي المغربي - الدار البيضاء ، دار ابن حزم - بيروت ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م)
❖ الاصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد صفي الدين ابو عبد الله (٥٩٧هـ / ١٢٠١م)
٢-خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام، تح: د.شكري فيصل ، (المطبعة الهاشمية بدمشق، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م)
❖ انس ، مالك بن انس (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م)
٣-الموطأ، تح: محمد مصطفى الاعظمي ، ط ١ ، (مؤسسة زايد بن سلطان ال نهيان للاعمال الخيرية والانسانية - ابوظبي ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)
❖ ابن الاهدل ، بدر الدين ابو عبد الله حسين بن عبدالرحمن الاهدل (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م)
٤-تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، تح: عبد الله محمد الحبشي ، (المجمع الثقافي - ابوظبي، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)
❖ بامخرمة ، ابو محمد الطيب بن عبد الله بن احمد الحضرمي (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م)
٥-قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر، عني به: ابو جمعه مكري، خالد زواري ، ط ١ ، (دار المنهاج - جدة ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م)
❖ الجراعي ، تقي الدين ابي بكر بن زايد الجراعي (ت ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م)
٦-شرح مختصر اصول الفقه ، تح : عبد العزيز محمد عيسى القايدي واخرون ، ط ١ ، (لطائف لنشر الكتب والرسائل العلمية - الشامية ، الكويت ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م)

- ❖ الجصاص ، احمد بن علي ، ابو بكر الرازي (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م)
- ٧- احكام القرآن ، تح : عبد السلام محمد علي شاهين ، ط ١ ، (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م)
- ❖ الجندي ، محمد بن يوسف بن يعقوب اليمني (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
- ٨- السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تح: محمد بن علي الاكوع ، ط ١ ، (مكتبة الارشاد - صنعاء ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)
- ❖ ابن حبان ، محمد بن حبان بن احمد ، ابو حاتم التميمي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م)
- ٩- الثقات ، ط ١ ، (طبع بعناية وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن - الهند ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م)
- ❖ الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)
- ١٠- تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام واخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير اهلها ووارديها) ، تح : د. بشار عواد معروف ، ط ١ ، (دار الغرب الاسلامي - بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)
- ❖ الدارمي ، ابي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)
- ١١- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) ، تح : حسين سليم اسد الداراني ، ط ١ ، (دار المغني للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية ، ١٤١٢هـ / ٢٠٠٠م)
- ❖ ابن الديبع ، ابو الضيا عبدالرحمن بن علي الشيباني (ت ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م)
- ١٢- قرة العيون باخبار اليمن الميمون ، حققه وعلق عليه : محمد بن علي الاكوع ، ط ٢ ، (مكتبة ابو ذر الغفاري ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م)
- ❖ السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠م)
- ١٣- طبقات الشافعية الكبرى ، تح: د. محمود محمد الطناحي ، د. عبدالفتاح محمد الحلو ، (هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)
- ❖ ابن سمرة ، عمر بن علي بن سمرة الجعدي (ت ٥٨٧هـ / ١١٩١م)
- ١٤- طبقات فقهاء اليمن ، تح: فؤاد السيد ، (دار القلم - بيروت ، لا.ت)
- ❖ السمعاني ، ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م)

- ١٥- الانساب ، تح : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، ط١ ، (مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد الدكن الهند، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)
- ❖ الشرجي الزبيدي ، ابو العباس احمد بن احمد بن عبد اللطيف (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م)
- ١٦- طبقات الخواص اهل الصدق والاخلاص ، ط١ ، (الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)
- ❖ ابن شهبه ، ابو بكر بن احمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبه (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م)
- ١٧- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ، تح : د. الحافظ عبد العليم خان ، (عالم الكتب بيروت - ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)
- ❖ الشيرازي ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي الفيرزبادي (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م)
- ١٨- طبقات الفقهاء ، تح : احسان عباس ، (دار الرائد العربي - بيروت، بدون ذكر المطبعة ، لا.ت)
- ❖ العراقي، ابو الفضل، زين الدين عبدالرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن (ت ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م) واكمله ابنه احمد بن عبدالرحيم ، ابو زرعة (ت ٨٢٦هـ/١٤٢٢م)
- ١٩- طرح التثريب في شرح التقریب ، (الطبعة المصرية القديمة وصورتها دور عده منها دار احياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، دار الفكر العربي ، لا.ت)
- ❖ عمارة ، نجم الدين عمارة بن علي اليمني (ت ٥٦٩هـ/١١٧٤م)
- ٢٠- تاريخ اليمن المسمى المفيد في اخبار صنعاء وزيد وشعراء ملوكها واعيانها وادبائها، تح: محمد بن علي الاكوع ، ط٢ ، (مطبعة السعادة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)
- ٢١- النكت العصرية في اخبار الوزراء المصرية ، صححه : هرتويغ درنبرغ ، (مطبعة مرسو بمدينة شالون - باريس ، ١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م)
- ❖ الكوراني ، شهاب الدين احمد بن اسماعيل (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م)
- ٢٢- الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع ، تح : سعيد بن غالب ، كامل المجيدي ، (الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)
- ❖ ابن الملقن ، سراج الدين عمر بن علي (ت ٨٠٤هـ/١٤٠١م)

٢٣- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب ، تح : ايمن نصر الازهري وسيد مهني ، ط١ ، (دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)

❖ الملك الافضل ، العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر الرسولي (ت ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م)

٢٤- العطايا السننية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، دراسة وتحقيق: عبدالواحد عبدالله احمد الخامري ، (اصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)

❖ ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)

٢٥- لسان العرب ، ط٣ ، (دار صادر - بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)

❖ النووي ، ابو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م)

٢٦- تهذيب الاسماء واللغات، (عنيت بنشره والتصحيح عليه ومقابلة اصوله: شركة العلماء بمساعدة ادارة الطباعة المنيرية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لا.ت)

❖ ابو الوفا بن عقيل ، علي بن عقيل بن محمد البغدادي الظفري (ت ٥١٣هـ / ١١١٩م)

٢٧- الواضح في اصول الفقه ، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط١ ، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)

❖ اليافعي ، ابو محمد عفيف الدين عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)

٢٨- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه : خليل منصور ، ط١ ، (دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)

❖ اليعمري ، الفقيه ابو اسحاق ابراهيم بن علي ، برهان الدين (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م)

٢٩- الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ، تح : محمد الاحمدي ابو نور ، (دار التراث - القاهرة، لا.ت)

ثالثاً : المراجع الحديثة

❖ الاشقر ، عمر سليمان

١- تاريخ الفقه الاسلامي ، ط٢ ، (مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع - الكويت ، دار النفائس للنشر والتوزيع - الكويت ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م)

❖ الاكوع ، اسماعيل بن علي

٢- هجر العلم ومعاقله في اليمن ، ط١ ، (دار الفكر المعاصر - بيروت ، دار الفكر - دمشق ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)

❖ حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، (مؤسسة التاريخ العربي - دار احياء التراث العربي - بيروت ، ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م)

❖ الحبشي ، عبدالله محمد

٣- مصادر الفكر الاسلامي في اليمن الحبشي ، (المجمع الثقافي - ابوظبي ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)

❖ الحضرمي ، عبدالرحمن بن عبدالله

٤- زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ ، (المركز الفرنسي للدراسات اليمنية بصنعاء ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)

❖ حلاق ، وائل

٥- نشأة الفقه الاسلامي وتطوره ، ترجمة : رياض الميلادي ، مراجعة : د. فهد بن عبد الرحمن الحمودي ، ط١ ، (دار المدار الاسلامي - بيروت ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م)

❖ حماد ، اسامة احمد

٦- مظاهر الحضارة الاسلامية في اليمن في العصر الاسلامي (عصر دولتي بني ايوب وبني رسول) ، ط١ ، (مركز الاسكندرية للكتاب - الاسكندرية ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)

❖ الدجيلي ، د. محمد رضا حسن

٧- الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري ، (منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة شعبة دراسات العلوم الاجتماعية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)

❖ الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي

٨- تاج العروس من جواهر القاموس ، تح: جماعة من المختصين، (وزارة الارشاد والانباء في الكويت ، ١٣٨٥-١٤٢٢هـ/١٩٦٥-٢٠٠١م)

❖ السائيس ، محمد علي

٩- تاريخ الفقه الاسلامي ، (دار الكتب العلمية - بيروت ، لا.ت)

❖ السروري ، محمد عبده محمد

١٠- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م الى ٦٢٦هـ/١٢٢٨م ، ط١، (بدون اسم مطبعة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)

❖ الفقي ، د. عصام الدين عبد الرؤوف

١١- اليمن في ظل الاسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول ، (دار الفكر العربي - صنعاء ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)

❖ كحالة ، عمر رضا

١٢- معجم المؤلفين ، (مكتبة المثنى - بيروت ، دار احياء التراث العربي - بيروت ، لا.ت)

❖ الكروي ، ابراهيم سلمان

١٣- المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ، (مركز الاسكندرية للكتاب ، ٢٠٠٨م)

❖ المنصوري ، د. عبد الله عثمان علي

١٤- علم القراءات في اليمن من صدر الاسلام الى القرن الثامن الهجري ، (سلسلة اصدارات جامعة صنعاء - صنعاء ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)

رابعاً : البحوث والدوريات

❖ الجبوري ، د. نعمة شكر محمود

١-المراكز الفكرية خلال العهد البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ / ٩٤٥-١٠٥٥م)، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد ٢٢٤، العدد ٢، سنة ٢٠١٨م

❖ سمين، د. وسن

٢-الموفق في الدين ابن نجيب الدولة (ت٥٢٢هـ/١١٢٨م) دوره ونشاطه الاداري والسياسي في اليمن، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد ٢، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الرابع، سنة ٢٠١٦م

❖ غني، د. اسماء عبد الله

٣-ابو محمد الجويني الاصولي دلائل من سيرة حياته ومصنفاته ومواقفه السياسية، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد ٦٠، العدد ٣، سنة ٢٠٢١م

❖ هندي ، د. حازم وطن

٤-اثر الخلافة الفاطمية في العلوم الاجتماعية، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد ٦٠، العدد ٢، سنة ٢٠٢١م

التعليم في عهد المملكة الأفغانية الحديثة
(١٩٠٤-١٩٧٣)

أ.د. مي فاضل مجيد الربيعي

وزارة التربية - بغداد

d.mai.Fadhil@gmail.com

أ.د. مي فاضل مجيد الربيعي

المقدمة:

بسبب العزلة الجغرافية وواقع التخلف الاجتماعي والاقتصادي الذي عاشته أفغانستان والذي القى بها في اعماق التقاليد والتراث ، ومن خلال التعاليم الدينية المتوارثة ومشكلات التخلف، لم تختلف حياة البشر في شمال البلاد عنها في الجنوب، فالأمية منتشرة في البلاد، وحالها حال الدول الإسلامية الأخرى انتشرت الكتاتيب او مدارس القرية الدينية في كل القرى والمدن الافغانية وفي العاصمة كابل ، وشكل التعليم والثقافة الدينية قيمه لم تهتز في أفغانستان عبر العقود التي حكم فيها الأمراء الأفغان الذين حاولوا تطوير التعليم للنهوض بالبلاد.

يسلط هذا البحث الضوء على بدايات التعليم في أفغانستان ومساعي الامراء الافغان لنشر التعليم الحديث في البلاد، وأصلاحات الأمير أمان الله خان في مجال التعليم وأستحداث أول وزاره للمعارف في عهده، ومن ثم التطورات التي مرت بها المؤسسة التعليمية في عهد المملكة الافغانية الحديثة في عهد الملك محمد نادر شاه، وابنه محمد ظاهر شاه حتى عام ١٩٧٣.

Due to geographical isolation and the reality of social and economic backwardness experienced by Afghanistan, where illiteracy was widespread in the country and religious education constituted a great value throughout the decades in which the Afghans who tried to develop education for the Afghans ruled the country. The research sheds light on the beginnings of education in Afghanistan, the efforts of the princes to spread modern education in the country, the reforms of Prince Amanullah Khan, and the creation of the first Ministry of Knowledge during his reign, and then the developments that the educational institution went through during the era of the modern

Afghan kingdom during the reign of King Muhammad Nader Shah and his son Muhammad Zahir Shah up to a year 1973.

بدايات التعليم في أفغانستان:

بدأ التعليم في أفغانستان في مسجد القرية، إذا نشأت حلقات دراسية سميت بالكتاب، وكان الطفل الأفغاني يذهب إليها في سن السابعة، يدرس فيها القرآن الكريم والدين ومبادئ الحساب واللغة وآدابها، أما العائلات الغنية فكانت تتخذ لأبنائها مدرسين خاصين، وإذا أتم دراسته في الكتاب ينتقل إلى مدرسة المدينة التي كانت تهتم بالدراسات الدينية والفلسفية وآداب اللغة والشعر ولاسيما أشعار المتصوفين، وساهمت هذه المدارس الدينية في تخريج اعداد من أئمة المساجد المختصين في علوم الدين والفلسفة^(١).

شعر الأمراء الأفغان بأهمية التعليم الحديث وعدم كفاية تعلم علوم القرآن والدين لأبناء الأسرة الملكية، فأتخذ الأمير علي (١٨٦٣ - ١٨٧٩) الخطوة الأولى بهذا الاتجاه فقام بتأجير معلمين أجانب ومستشارين عسكريين لتعليم أبناء الأسرة الحاكمة العلوم الحديثة المدنية والعسكرية^(٢).

عندما تولى الأمير حبيب الله خان (١٩٠١ - ١٩١٩) الأمانة أدرك أهميه النهوض بالبلاد وضرورة وجود طبقه متعلمه، فانشأ أول مدرسة ابتدائية نظامية هي المدرسة (الحبيبة) عام ١٩٠٤، وأستعان بمدرسين هنود للتدريس بها، وكانت تتبع النظام الهندي في التعليم، وساهمت هذه المدرسة في تخريج الكثير من الأمراء والموظفين الكبار في الحكومة الأفغانية^(٣)، وبعدها بثلاث سنوات تم افتتاح أول مدرسة ثانوية في البلاد على نسق المدارس الإسلامية في الهند، وادخلت اللغة الإنكليزية كأول لغة اجنبية لتدرس في هذه المدارس، ولتنظيم امور التعليم النظامي الحديث انشئ أول مجلس تعليمي لدراسة وتنظيم وتطوير التعليم الابتدائي والثانوي والاشراف على أمور المدارس الانفة الذكر^(٤). وتكون المجلس من عشرة أعضاء من رجال الفكر الأفغان مع بعض الاختصاصيين الهنود والأتراك الذين يعملون في خدمه الحكومة الافغانية، وأجتمع أعضاء المجلس مرتين في الاسبوع، وأدى أعضاء هذا المجلس دوراً في وضع مجموعة من القوانين والتشريعات لتنظيم التعليم ووضع المناهج المناسبة لوضع البلاد ونظم الامتحانات وكل ما يتعلق بتنظيم المدارس وأدارتها، وحث أعضاء المجلس الاهالي للعمل على فتح المدارس على النمط الجديد، وتم فعلاً أنشاء عدد

من المدارس، كما أعدت وترجمت بعض الكتب اللازمة لدراسة المواد الحديثة، وحددت مدة الدراسة في المدارس الابتدائية بخمس سنوات، ولم يكن هناك شروط خاصة لسن الالتحاق بالمدرسة، فظهرت الحاجة إلى معلمين للتدريس في تلك المدارس، وفي عام ١٩١٢ أفتتحت أول مدرسة لتخريج معلمين للتدريس في المدارس الابتدائية (٥).

التعليم في عهد الأمير آمان الله خان (١٩١٩ - ١٩٢٩) وأستحداث أول وزاره للمعارف في البلاد: -

عندما تولى الامير آمان الله خان السلطة عام ١٩١٩، استطاع الحصول على استقلال البلاد التام من التبعية البريطانية، تبنى برنامجاً أصلاحياً شاملاً للنهوض بالبلاد وتحديثها بتنفيذ برامج شمل كل جوانب الحياة في البلاد (الادارية والاقتصادية والاجتماعية)، ولتنفيذ ذلك تطلب ايجاد طبقه مثقفه تأخذ على عاتقها مهمة تنفيذ خطوات البرنامج الاصلاحى الذي تبناه الأمير، وكانت اولى الخطوات في هذا المجال هو أستحداث وزارة المعارف عام ١٩١٩. والتي أخذت على عاتقها مهمه دراسة وسائل التوسع في إنشاء المدارس وتطوير نظم التعليم ومناهجه، وفي عام ١٩٢٢ أفتتحت مدرستان ابتدائيتان احدهما أستخدمت اللغة الفرنسية كلغه أجنبيه والثانية أستخدمت اللغة الالمانية، وأستعانت بمدرسين فرنسيين وألمان للتدريس فيهما، ثم وسعت المدرسة لتشمل التعليم الابتدائي والثانوي، وأستبدلت أسم المدرسة الأولى إلى (ليسيه الاستقلال) أي ثانوية الاستقلال والثانية (ليسيه نجاه) ثم فتحت مدرسه (ليسيه غازي) لتكون الإنكليزية هي اللغة الأجنبية الأولى فيها، وأستعانت بمدرسين بريطانيين للتدريس فيها^(٦).

كانت إحدى أهم خطوات حكومة الأمير الاصلاحية في مجال التعليم هي جعل تعليم البنين اجبارياً، وعلى نفقه الدولة والتوسع في إنشاء المدارس ، وخصص قسم منها لتعليم البنات تولت أدارتها إحدى أميرات الأسرة الحاكمة، كما أرسلت البعثات الدراسية إلى المانيا وايطاليا وفرنسا وبريطانيا ، وقد بلغ عدد طلاب البعثات عام ١٩٢٢ حوالي ٩١ طالباً هادفاً من وراء ذلك ايجاد طبقه مثقفه يستعين بها على إدارة شؤون الدولة وتطبيق برنامجه الإصلاحى^(٧). كما حاول ادخال تغيرات دستورية في البلاد لاستبدال النظام السياسى القديم بنظام دستوري يتخلص فيه من النظم القبلية الموروثة التي لم تعد تتناسب مع اصلاحاته

الاجتماعية والاقتصادية ، فأصدر في نيسان عام ١٩٢٣ دستور حديث للبلاد جعل فيه التعلم علمانياً، وأوكل أمر التعليم النسوي الى الملكة ثريا زوجته التي قسمت العاصمة كابل إلى اقسام وعهدت هذه الاقسام الى نساء متعلمات^(٨)، فافتتحت عدداً من المدارس الابتدائية ، ثم توسعت وضمت أقساماً للدراسة الثانوية وأطلقت عليها أسماء المجاهدات الافغانيات مثل (أدى غازي وملالي) وغيرها. كما أرسلت بعثة مكونة من ٢٥ فتاة أفغانية إلى تركيا للدراسة وتلقي العلوم فيها^(٩).

وضعت وزاره المعارف الافغانية أول نظام حديث للتربية والتعليم في تشرين الأول عام ١٩٢٨ ، جعل فيه التعليم الزامياً في البلاد للذكور والاناث، وقررت إنشاء جامعة في كابل، وتأسيس معاهد علميه وفنية وصناعية للذكور والاناث في جميع المدن الافغانية، وأرسال البعثات العلمية والفنية والعسكرية إلى البلاد الأجنبية، ولا سيما جامعه الاستانة ومعاهد تركيا المدنية والعسكرية، كما ارسلت بعض الطلبة إلى فرنسا والمانيا^(١٠). الا أن هذا البرنامج الاصلاحى قوبل بالرفض من قبل رجال الدين ورؤساء القبائل المستفيدين من اوضاع البلاد والرافضين لخطوات الاصلاح، الامر الذي أدى إلى اندلاع ثوره ضد الملك الذي لم يستطع اخمادها، فأضطر إلى التنازل عن العرش ومغادرة البلاد في ١٤ كانون الثاني ١٩٢٩، وتوقف البرنامج الإصلاحي^(١١).

سيطر على السلطة رجل طاجيكي يدعى باشا سقا في ١٧ كانون الثاني ١٩٢٩، وأعلن نفسه ملكاً على أفغانستان ونشر برنامجاً حكومياً هاجم فيه سياسة أمان الله الإصلاحية، ووعد الشعب الافغانى بالعودة إلى العادات والتقاليد القديمة فيما يتعلق بالزواج وحقوق المرأة والتعليم، واصدّر اوامر بإلغاء جميع الاجراءات التي اتخذتها الحكومة السابقة فاغلق المدارس الحديثة، واستدعى بعثه البنات الدراسية في تركيا، والغى وزارتي المعارف والعدل، وأغلق المدارس الاجنبية وسفر مدرسيها، ولإرساء دعائم حكمة شكل حكومة ، ووزع الحقائق الوزارية على اقاربه واصدقائه ولم يكن هؤلاء من اصحاب الخبرة السياسية والادارية، مما أدى إلى تدهور الوضع الاقتصادي ، وانقطاع طرق التجارة وشحه المواد الغذائية وارتفاع أثمانها، وتدني العملة الافغانية، مما أدى إلى حالة من الفوضى والارتباك السياسي في البلاد، وظهور مقاومه شعبيه ضد حكومة باشا سقا ، مما اضطر الملك امان الله إلى

الغاء تنازله عن العرش ، وقاد صفوف المقاومة ضد باشا سقا، واستدعى وزير الحربية السابق الجنرال محمد نادر خان واخوته والذي وصل إلى بومباي في شباط عام ١٩٢٩^(١٢) ، وألف تحالف قبلي بين قبائل البشتون، وأعلنت قبائل جنوب وغرب افغانستان دعمها لمحمد نادرخان في اجتماع عقد في حزيران عام ١٩٢٩، وبهذا استطاع تشكيل جيش قبلي عهد قيادته إلى أخيه شاه ولي خان، وبدأ بالزحف نحو العاصمة كابل في ٢٥ آب عام ١٩٢٩، وخاضت القوات خمس معارك اثناء الزحف للوصول الى العاصمة كابل، واستطاعت فيها قوات محمد نادر خان من دخول العاصمة كابل في ١٠ تشرين الأول عام ١٩٢٩ والقي القبض على باشا سقا، وأعدم في ٢ تشرين الثاني عام ١٩٢٩^(١٣).

التعليم في عهد الملك محمد نادر شاه ١٩٢٩ - ١٩٣٣:

بعد أن أستتبت الامور إلى محمد نادر خان أستدعى شيوخ القبائل والاعيان وممثلي الدول الذين ساندوه وانتخبوه ملكاً على البلاد لخدماته الجليلة، وقدموا له الخضوع التام في ١٦ تشرين الثاني عام ١٩٢٩، وبهذا استطاع تأسيس أسره ملكيه جديده بمساعده القبائل البشتونية، وتبنى سياسه أصلاحيه حذرة للنهوض بالبلاد وإعادة بناء الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وحرص في التشكيية الوزارية على أن يكون هناك وزارة للمعارف أسندها إلى علي محمد خان لادارة شؤون التعليم في البلاد ، والتي أصدرت أولى قراراتها بأن عدت جميع المدارس والمساجد تابعه لها، فكانت النواة الأولى لبداية تنظيم التعليم في البلاد^(١٤).

توسع نفوذ القادة الدينيين في جميع مرافق الحياة في البلاد بسبب الاوضاع التي مرت بها، واتسعت سلطتهم اذ سيطروا على مساحات واسعه من الأراضي الزراعية ، واسسوا جمعية سميت (بمجلس العلماء) ضمت خمسة عشر إلى عشرين من القادة الدينيين ومهمتها كانت الاشراف على نشاطات المجالس الدينية والتعليم الديني في الولايات الأفغانية، فضلاً عن متابعة التطبيق القانوني للشريعة الاسلامية في البلاد، في الوقت الذي لم تتجاوز نسبة المتعلمين الذكور ٢٠% من السكان وهي نسبة قليلة بالنسبة لعدد الذكور في البلاد^(١٥)، وبهذا فإن التعليم بقي بيد رجال الدين ومقتصراً على تعليم الكتاتيب التقليدي في معظم أرجاء البلاد، ورجال الدين في افغانستان درجتان (الملا) وهو الذي تلقى تعليماً دينياً متوسطاً وهو من الشباب غالباً، ثم (المولدي) وهي المرتبة الاعلى التي لا يبلغها إلا المتمرسون من كبار

السن أو الحاصلون على شهادات عليا من المعاهد الدينية في مصر والسعودية أو كلية الشريعة في جامع كابل^(١٦).

شجع الملك محمد نادر شاة التعليم، وخصصت له فقرة اساسيه في الميزانية المالية الحكومية من واردات الدولة^(١٧)، متبعاً نفس السياسة التعليمية السابقة للتعليم وتطوير المناهج، وقر البرلمان الأفغاني قانون التعليم المجاني والاجباري للمرحلة الابتدائية وفقاً لمواد (٢٠ و ٢١) من دستور عام ١٩٣١، على أن تخضع المدارس للرقابة الحكومية وتكون مناهجها ملائمة للعقيدة الاسلامية ومقتصرة على الادب و العلوم، ولم تسمح المادة الحادية والعشرين من الدستور للأجانب بفتح المدارس باستثناء تلك التي تعلم الآداب واللغات الأجنبية، ولم يكن من السهولة تنفيذ ما ورد في هذه المواد بسبب قلة الموارد المالية للبلاد، الامر الذي ادى بالحكومة الافغانية إلى الاعتراف بمدارس المساجد التقليدية (الكتاتيب) الموجودة في كل المدن والقرى الافغانية ومعلموها من الماللي (جمع المله) ومستواها التعليمي الذي لا يصل إلى مستوى التعليم الابتدائي^(١٨).

وكانت قناعه الملك محمد نادر شاة بأن البلاد لا تستطيع أن تخطو إلى الامام بدون التعليم وعده الطريق لتقبل الشعب الافغاني للإصلاحات الاجتماعية، ولهذا فقد أعاد فتح المدارس الثانوية الاجنبية الالمانية والفرنسية، ونظم الإدارة في وزاره المعارف، وشكل مجلس التربية والتعليم من سته أعضاء للأشراف على عمليه التعليم في البلاد، وأعضاءه تمتعوا بسلطات قضائية وأداريه، وكانت في كل ولاية وحده أدارية تدار من قبل المدير، اما الولايات الثانوية فكانت تحت اداره المأمور، وكان كلا من مدير الوحدة الادارية والمأمور خاضعين لسيطرة وزارة المعارف، وكانت المدارس الابتدائية تستقبل الطلبة من عمر السادسة يتعلم التلميذ فيها القراءة والكتابة ومعلومات عن الحياة اليومية^(١٩).

لم يكن من الممكن تطبيق الزامية التعليم الابتدائي بسبب قلة المعلمين والمدارس والاموال، وفي المناطق التي كانت تفتقر إلى التعليم الابتدائي كانت مدارس القرية توفر التعليم الابتدائي، وكان لكل مدرسه معلم واحد فقط وبرنامج من ثلاث سنوات ويقتصر المنهاج التعليمي على تعليم القراءة والكتابة وعلوم دينيه ولغة التعليم هي اللغة البشتونية والفارسية، وساهمت المدارس الأربعة الثانوية (الاستقلال وتدرس اللغة الفرنسية والنجاه وتدرس اللغة

الالمانية ومدرسة الحبيبة وتدرس اللغة الإنكليزية وغازي) في العاصمة كابل في توفير الكوادر اللازمة لتشغل الوظائف الحكومية في الوزارات الحكومية ، وكان اهمها وزارة الخارجية والجيش الافغاني والخدمات العامة، وتم ارسال عدد من الطلبة المتخرجين من المدارس الثانوية، واغلب هؤلاء كان من اولاد العائلات النخبة الحاكمة ومن ذوات النفوذ لإكمال دراستهم في كل من فرنسا والمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة وتركيا واليابان^(٢٠).

وعلى الرغم من شحة الموارد المالية للحكومة الافغانية، الا انها كانت المسؤولة عن دعم المدارس بالأموال اللازمة، فالمدارس الأولية في المساجد كانت تمول من اموال المتبرعين وجزئاً منها من الأموال الحكومية، اما المدارس الثانوية في كابل فقد كانت وزاره المعارف مسؤوله عن تجهيز تلك المدارس بالكتب واللوازم المدرسية وحصه للغداء والسكن، فضلاً عن دفع رواتب للطلبة المستحقين تشجيعاً للطلبة للاستمرار في الدراسة وكان الطلبة يتقاضون راتباً شهرياً قدره ٢٠ أفغانياً في السنة الاولى و ٣٠ أفغانياً في السنة الثانية و ٤٠ أفغانياً في السنة الثالثة. كما اعاد الملك محمد نادر شاه افتتاح مدرسه (دار المعلمين) في كابل لتقبل الطلبة المتخرجين من المدارس الثانوية ليدرس فيها لمدة سنتين يتدرب فيها ليكون مؤهلاً كمعلم في المدارس الابتدائية، اما الطلبة الذين ينهون سنتين إضافيتين فيكونون مؤهلين للتدريس في المدارس الثانوية^(٢١).

تبنى الملك محمد نادر شاه برنامجاً إصلاحياً اجتماعياً للنهوض بالواقع الصحي للبلاد، وكان لابد من توفير كوادر طبيه لتلبية الاحتياجات الطبية للبلاد ، فأُسست كليه للطب عام ١٩٣٢ لتكون النواة الأولى لتأسيس جامعة كابل، وكان البرنامج الدراسي فيها مؤلف من سبع سنوات ، ولم يكن الطلبة ملتزمين بدفع الأجور الدراسية ، وكانوا يجهزون بالكتب والمستلزمات والملابس والوجبات الغذائية مجاناً، وكان ٢٠% من الطلبة يتقاضون راتباً قدره (٥٠ أفغانياً) والدراسة في الكلية كانت تحت إشراف أساتذة أجانب من فرنسا وتركيا^(٢٢).

سمح الدستور الافغاني بتوظيف الخبراء والتقنيين الاجانب من قبل الحكومة في الوظائف التدريس والتدريب بسبب افتقار البلاد لهذه الخبرات ، فاضطرت إلى توظيف مدرسين من الهند وفرنسا والمانيا في المدارس الثانوية، وتم اعادة افتتاح مدرسه الفنون

التطبيقية، وتم توسعتها لتشمل تعلم الفنون والحرف الوطنية، كما تم تأسيس مدارس مهنية تقنيه لتعليم التجارة والحياكة والبناء والحرف الأخرى.

اما المناهج التعليمية الأفغانية فقد ادخلت عليها تعديلات بما يتناسب مع اوضاع البلاد ، أذ تم تقليل المناهج التقليدية في المدارس الابتدائية ووضعها في مناهج الدراسة الثانوية، وكان التاريخ الاسلامي وسيرة الرسول (صل الله عليه وسلم) جزء من منهج التاريخ العام، وهكذا فقد تم وضع المناهج التقليدية في مختلف مستويات التعليم في البلاد، وكانت العلوم والمناهج المحافظة هي السائدة فضلاً عن أن القرآن الكريم كان المنهج الاساسي في اغلب تلك المدارس، ورغم ذلك كان الطلبة يواجهون صعوبات في التعلم بسبب التنوع العرقي في البلاد، ولاسيما عند انتقال الطلبة من المرحلة الابتدائية إلى المدارس الثانوية ،اذ كانت اللغة العربية والبشتونية هي اللغة المستخدمة في المناهج المقتبسة من الثقافة الوطنية^(٢٣).

لتشجيع الشباب على ممارسة النشاطات الاجتماعية ، أصدر الملك محمد نادر شاه إعلاناً عام ١٩٣١ لتأسس جمعيه الكشافة الافغان في كابل ، وأسند أدارتها الى الامير محمد ظاهر خان وضمت حوالي الف عضو، كما شجع ممارسه الرياضة وضمها إلى المناهج الدراسية للمدارس الثانوية. وفي عام ١٩٣٢ تم تأسيس الجمعية الاولمبية الوطنية الأفغانية. تحت رئاسة اخو الملك شاه محمود خان، اما في ميدان الادب والفنون، فكان هناك تطورات قليلة ، اذ تم افتتاح متحف كابل ، كما تم تأسيس مكتبات عامه وجمعيات ادبية في كل من كابل وقندهار وهرات والتي حاولت تشجيع تطور الادب الافغاني باستحداث جوائز في الشعر والنقد الادبي واللغات ، وكانت أهم خطوه في مجال الصحة وتلبية لحاجات البلاد الطيبة تم تبني مناهج كلية الطب التعليمية بما يتفق مع جامعه ليون بفرنسا، وربطت مستشفيات العاصمة بالكلية ، وأستخدمت مختبراتها لأغراض التشخيص ، وخلال تلك السنوات تم تحقيق خطوات تقديمية ، اذ تم فتح مؤسسة للأشعة والعلاج الكهربائي ، ومؤسسه للصحة العقلية وعيادات لطب الاسنان ومستشفيات نسائية ، وتم تحويل مدرسة الفتيات (ملالي) إلى مكان لفتح دورات في التمريض، كما شجعت الحكومة الأفغانية على انشاء منظمات جديدة كالمعهد التاريخي (باشتو تولاتي) وهي اكااديمية ادبية

من أجل دراسة وتصنيف التراث الأفغاني ودراسة لغة البشتو ونشر المعرفة حول أفغانستان وثقافتها في الخارج^(٢٤).

اغتيال الملك محمد نادر شاه على يد أحد طلابه مدرسة النجاة في كابل أثناء حضوره الحفلة الرياضية السنوية للطلبة لتوزيع الجوائز عليهم في ٧ تشرين الثاني عام ١٩٣٣ في قصر دلكشاه^(٢٥).

التعليم في عهد وزارة محمد هاشم خان ١٩٣٣ - ١٩٤٦:

تولى الملك محمد ظاهر شاه العرش الأفغاني في ٨ تشرين الثاني عام ١٩٣٣، وأعلن في يوم توليه العرش أنه سينتهج سياسه والده نفسها والعمل على استكمال منهاجه الاصلاحى ، الا أنه كان صغير السن لا يتجاوز التاسعة عشره ، فتولى اعمامه محمد هاشم خان وشاه محمود خان الهيمنة على الأمور السياسية والاجتماعية ، وأستمر محمد هاشم خان رئيساً للوزراء من عام ١٩٣٣ إلى عام ١٩٤٦ الذي واصل مسيرة الاصلاح والتحديث، واسند وزاره المعارف إلى أحمد علي سلمان الذي عمل على تنظيم إدارة الوزارة ، اذ ضمت ثلاثة معاونين وأستعان بمستشارين اترك ومدير للتعليم الخاص ، وقسم الوزارة إلى مديريات ضمت (رؤساء التربية والتدريسات والتفتيش والرياضة وحفظ الصحة ، وتوسع المعارف ثم إلى مديريات ومأمورين إجراءات وكنترول وتنظيمات ومتحف وحفريات وأوراق الشعب)^(٢٦). هادفاً من وراء ذلك ضمان أشرف الوزارة على التعليم في كافة أنحاء البلاد.

أولى رئيس الوزراء محمد هاشم خان عناية كبيرة للتعليم الحديث ، وخصص عام ١٩٣٧ ميزانية للتعليم تعادل نصف ميزانية الحربية، مبرراً ذلك "وبهذا نحن نخلق رجالاً سيكونون في المستقبل عليهم أن يسهروا على استقلال بلادهم وعلينا أن نشكل افكار الافغان قبل أن يكون بإمكاننا بناء رأسمال"، وعُد الارتقاء بمستوى التعليم في البلاد أمر مهم ليتماشى مع المصلحة الوطنية وليسائر النهضة العالمية ، ولهذا بدأ التركيز على انشاء المدارس الابتدائية، وبدأت الوزارة بأعداد دراسة شاملة لجميع المناهج الدراسية لتعديلها بما يتفق مع السياسة الجديدة للحكومة، ووضعت منهاجاً شاملاً للمرحلة الابتدائية عام ١٩٣٧، مدعومة من الملك محمد ظاهر شاه الذي أكد "أن إنشاء نظام مدرسي جيد وحده يمكنه أن يدعم المملكة بقيادة صلبه للتحديث" ، ولم يكن التحديث هو هدف التعليم الوحيد، فالتعلم يمكن أن

يعمل كقاعدة أساسية لتحقيق الوحدة الوطنية ويدعم الوعي الوطني، والهدف الآخر هو جعل لغة البشتو لغة رسمية في البلاد بعيداً عن الفارسية، الأمر الذي أكدته رئيس الوزراء محمد هاشم خان "بأن لغة البشتو هي لغة أساطيرنا وقصائدها مفهومه من قبل الجميع وهي فخر ثقافتنا الماضية التي ستوحدنا"^(٢٧). وفي الواقع أن هدف الحكومة الأفغانية هو جعل لغة البشتو هي لغة الوطنية في البلاد لتقوية الروابط القبلية بين قبائل البشتون الحدودية مع الهند البريطانية، وأعلنت الحكومة الأفغانية بأن لغة البشتو هي اللغة الرسمية في البلاد عام ١٩٣٧، وبدأ العمل على جعل مناهج المدارس الأفغانية بلغة البشتو، وهيأت ونشرت الكتب والقواعد الخاصة بهذه اللغة، ودرب المعلمون في المدارس للتدريس بهذه اللغة، وأجبر الموظفون الحكوميون على الدخول بدورات مسائية لإتقان اللغة الوطنية الرسمية (البشتو)، إلا أن هذا الأمر ولد مشاكل عده للحكومة الأفغانية وهي نقص المدرسين وغياب التقنيات الحديثة في التعليم وهيمنة اللغة الفارسية في أغلب مراكز المدن المهمة في البلاد، على الرغم من سعي وزاره المعارف الأفغانية إلى توسيع القاعدة الاجتماعية وزيادة عدد المدارس، إلا أنها لم تكن قادرة على تنفيذ بنود دستور عام ١٩٣١، الذي يدعو إلى التعليم المجاني الإلزامي التام في جميع أنحاء المملكة الأفغانية، وبهذا فإن التعليم بين سنوات ١٩٣٣ - ١٩٤٦ لم يكن إلزامياً بسبب الظروف الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، وقله الموارد المالية للدولة، ونقص المدارس والمدرسين والصفوف، هذا فضلاً عن معارضة العناصر المحافظة لتعليم الأطفال وكل تلك العوامل منعت تحقيق هذا الهدف، هذا فضلاً عن وجود ما يقدر بمليون أو أكثر من البدو الرحل في البلاد.

ونظراً لموقع أفغانستان الجغرافي على هضبه تتخللها سلسلة من الجبال الشاهقة فلم يكن هناك عمران في كثير من المناطق، وكانت القرى الالهة بالسكان على مسافات متباعدة، الأمر الذي أدى إلى صعوبة إنشاء مدارس ابتدائية ذات السنوات الست في مناطق عدة، وكان من المستحيل أيضاً أن تترك تلك المناطق والقرى دون أن تكون بها مدرسه يؤمها ابنائها، وأستطاعت وزارة المعارف إيجاد حل لهذه المشكلة بأنشاء مدارس القرية التي روعي في انشائها توافر عدد معين من التلاميذ ووضع لها نظامها الخاص، وتختلف عطلتها السنوية تبعاً للبيئة والظروف التي توجد فيها المدرسة ويدير مدارس القرية معلم

كفاء، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات هدفها مكافحه الامية والتزود بالمعلومات التربوية الأساسية والشعائر الدينية، وكان باستطاعة أي تلميذ اتم دراسته في مدرسة القرية أن يلتحق بالسنة الرابعة الابتدائية دون قيد او شرط، والدراسة في مدارس القرية مجانيه وزود التلاميذ بالكتب والمستلزمات التربوية.

كان هدف وزاره المعارف الأفغانية هو القضاء على الأمية وایجاد قاعده معرفيه اساسيه لكل الأطفال لتهيئتهم للتعليم الثانوي وجعلهم عناصر مفيدة وفعاله في المجتمع الافغاني، لهذا عملت على تحديث المناهج الدراسية ، وادخال مواد جديده عليها لتضم مواد من علوم القرآن والفكر الاسلامي، ثم تم أضافه موضوعات اخرى مثل الحساب والجغرافية والتاريخ والعلوم الطبيعية الأساسية والفيزياء والرسم والخط^(٢٨).

بُني نظام التعليم الافغاني العام حتى عام ١٩٤٠ على برنامج مدته ١٠ سنوات، الاربعة الأولى منها للتعليم الابتدائي وثلاث للتعليم المتوسط وثلاث سنوات الأخرى للتعليم الثانوي، ثم وجدت وزارة المعارف بأن المدة غير كافيه لتأهيل الطلبة في المرحلة الابتدائية، فقررت تمديد مدة الدراسة وجعلها ست سنوات لتحسين جودة التعليم والتأهيل لامتحانات المرحلة الابتدائية ودخول المدرسة المتوسطة والتي هي الاخرى تهيء الطالب للدخول إلى المدرسة الثانوية، اذ تمنحهم اجازة ممارسه المهنة او العمل في الوظائف الحكومية. وبعض الطلبة المتخرجين كانوا يدخلون مدارس كابل المهنية مثل مدرسة الزراعة ومدرسه اعداد معلمي المدارس الابتدائية او مدرسه الفنون التطبيقية والمدرسة الصناعية او مدرسة الدراسات العربية، أو المدارس الجديدة التي انشأت من قبل ادارة وزاره محمد هاشم خان ومنها المدرسة الميكانيكية ومدرسه السكرتارية والمدرسة التجارية ومدرسة المعلمين المسائية عام ١٩٤٢، ومعهد تدريب المدرسين للمدارس المتوسطة عام ١٩٤٣ والمدرسة التكنولوجية، واستعانت الحكومة الأفغانية بمدرسين المان للتدريس فيها^(٢٩). والواقع أن الهدف من فتح هذه المدارس هو ايجاد طبقه من الفنيين المؤهلين للعمل في المصانع والمعامل والمؤسسات الحكومية التي انشأتها الحكومة الأفغانية لا يجاد صناعات وطنيه.

أشرفت وزارة المعارف على توجيه الثقافة في جميع انحاء البلاد هادفه إلى اعداد جيل افغاني مثقف، فأصدرت تشريعات لتنظيم التعليم الثانوي عام ١٩٤٢، وعدلت مناهجه

وأصبح مجانياً ولكنه لم يكن إجبارياً ، وقسمت المدارس الثانوية الى مدارس مهنية اختصت بالتعليم المهني الصناعي الحرفي وتدرّس علوم الكهرباء والميكانيك وغيرها، أما القسم الآخر من المدارس الثانوية فهي مدارس ثانوية علمية تعد الطلبة للتعليم الجامعي بفرعيه العلمي والادبي^(٣٠).

أولت الحكومة الافغانية اهتماماً بتوسيع نظام التعليم الثانوي وزيادة عدد المدارس الثانوية خارج العاصمة كابل، اذ افتتحت مدارس ثانوية في قندهار وهرات وفي شمال افغانستان وضمت هذه الثانويات من ١٠-١٢ صف وهي مصنفة على طراز المدارس الثانوية الألمانية والفرنسية وهدفها رفع مستوى التعليم لطلبة الثانويات وتهيئتهم للتعليم الجامعي وشمل منهاجهم الدراسي على فصول دراسية الزامية والمواد دراسية مثل الرياضيات والكيمياء والفيزياء والاحياء والجيولوجيا واللغات الأجنبية والتاريخ والمنطق والجغرافية والرياضة البدنية، وحتى عام ١٩٤٢ وصل عدد المدارس الابتدائية إلى (٥٣) مدرسه ابتدائية في كابل و(٢٩) مدرسه في قندهار و (٣٩) مدرسة في هرات و(٣٤) مدرسه في مزار الشريف و(٣١) مدرسه في باديشكان وبحلول عام ١٩٤٥ وصل عدد المدارس إلى ٣٤٦ مدرسة وعدد الطلبة ٩٣ ألف طالب^(٣١).

اما التعليم الجامعي فكان مطلب الشباب الافغاني المثقف ممن لا يمكنهم السفر إلى الخارج لإكمال الدراسة الجامعية، وبهذا فتحت الحكومة الأفغانية جامعته كابل (يوهنتون كابل) رسمياً عام ١٩٤٦، وأصبحت تضم كلية الطب ومجموعه اخرى من الكليات من بينها كلية القانون التي أنشأت عام ١٩٣٨ وتدرس مناهج تعليمية مشابهه لمناهج جامعة باريس، وكلية العلوم التي انشأت عام ١٩٤٢، ومناهجها تشابه مناهج جامعته بون في المانيا الغربية، فضلاً عن كلية الآداب والهندسة، وكانت للجامعة ادارة مستقلة يرأسها مدير للجامعة الذي كان ينتخب من بين الاساتذة والعمداء ويكون مسؤولاً أمام وزير المعارف، والتعليم الجامعي في أفغانستان كان مجاناً وكان هناك اقسام داخلية للطلبة^(٣٢). وقام بالتدريس فيها أساتذة من مختلف الجنسيات العالمية ساعدهم في هذه الادارة الاساتذة المعيدون من الافغان بدرجة استاذ معيد في مختلف فروع الدراسة الجامعية، والدراسة في هذه الجامعة ومختلف فروعها سواء كانت علمية او مهنية هي دراسة مجانية وكان حوالي ١٠% من الطلبة

يتقاضون مساعدات مادية، كما أن وجبات الطعام اليومية والألبسة الشتوية والصيفية كانت تمنح لطلاب الكليات مجاناً. أما تعليم الكبار فكان تحت إشراف هيئة خاصة بتعليم الكبار والتي تألفت من صفوف عدة ، وانتشرت في جميع أنحاء البلاد وقامت هذه الهيئة بالتعاون مع الجامعة الأفغانية ومديرية المعارف العامة بتوفير المدرسين للتدريس للشباب المشمولين بالخدمة العسكرية ، وقد حقق هذا العمل ارتفاع نسبة المتعلمين في البلاد من الشباب الذين تجاوزت أعمارهم سن المدرسة (٣٣).

التوسع في التعليم بين عامي ١٩٤٦ - ١٩٦٣:

تولى عم الملك شاه محمود خان رئاسة الوزراء بين عامي (١٩٤٦-١٩٥٣) بعد استقالة أخيه محمد هاشم خان، فاسند وزاره المعارف إلى نجيب الله خان وهو شاب تمتع بخبرة في مجال التعليم^(٣٤)، فوضع هدفاً في برنامجه الحكومي هو التوسع في التعليم، ولا سيما أن نسبة كبيره من السكان كانوا أميين، فأتخذت حكومته خطوات لتغيير الوضع من خلال تنظيم التعليم في المدارس ومنها مدارس القرية ، إذ أستعانت بأئمة المساجد للتدريس في هذه المدارس طبقاً للمنهج الذي وضعته الوزارة ، وقد ساعد ذلك كثيراً في التوسع في تطبيق قانون الزامية التعليم ، وتم فتح مدارس ابتدائية وثانوية في المدن الكبرى. كما أولت وزاره المعارف الافغانية عناية بتعليم البنات فأعيد النظر بنظام التعليم للبنات عام ١٩٤٦، وتألفت لجنة خاصه لرسم برنامج تعليمي تربوي يجري تطوير البلاد ونهضتها وبعد دراسات وأبحاث قررت اللجنة أن تعليم البنات يختلف في بعض المواد عن تعليم البنين ، وأن الطالبات التي تحصل على الشهادة المتوسطة فيإمكانها مواصلة دراستها الثانوية للحصول على شهادة تؤهلها للالتحاق بكلية البنات وهما كليتان هي كلية الآداب والتي ضمت اقسام الآداب والتاريخ والجغرافية وعلوم الدين والشريعة وكلية العلوم واقسامها الطبية والكيمياء والبيولوجيا والرياضيات ومدة الدراسة فيها اربع سنوات وتعين خريجات هذه الكليات كمدرسات في المدارس الاعدادية في البلاد. من جانب آخر يحق للطالبات الخريجات المتوسطة اكمال دراستها بدار المعلمات لمدة سنتين لتقوم بعد التخرج بالتدريس في المدارس الابتدائية. وأن تلتحق الطالبة بمعهد التدبير المنزلي لمدة سنتين ايضاً لدراسة التدبير المنزلي كالرسم والاشغال اليدوية والحياكة والطهو والحساب والكيمياء والدين^(٣٥).

وقد اوضح تقرير منظمة التربية والعلم والثقافة التابعة للأمم المتحدة (اليونسكو) لعام ١٩٤٨ مدى التطور في التعليم وأن نسبة المتعلمين في البلاد هي ٨% (٣٦)، وأن هناك ٢٧٥٨ معلم و ٩٨٦٦٠ طالب، كما افتتحت أول كلية للبنات لتخريج مدرسات للتدريس في مدارس البلاد، وعلى الرغم من ذلك فإن نسبة الفتيات الافغانيات المتعلمات كانت قليلة لا تتجاوز ١٠% من عمر الفتيان في المدرسة يدرسن في المدارس الافغانية.

كانت نتيجة الاهتمام الحكومي بنشر التعليم في البلاد بأن ارتفع عدد الطلبة إلى حوالي (٧٧٤٢٦٦) طالب في المرحلة الابتدائية والثانوية، وقد شكل هؤلاء حوالي ٤,٥% من مجموع الاطفال البالغ عددهم ٢ مليون طفل بعمر المدرسة في الوقت الذي كان هناك ١٣ مدرسة ابتدائية ومدرسة متوسطة واحده ومدرستان ثانويتان للبنات وكانت جميعاً في العاصمة كابل(٣٧).

هذا التوسع في التعليم ادى إلى اعادة النظر في المناهج الدراسية في البلاد في ضوء التجارب التي مرت منذ وضع أول منهاج للمرحلة الابتدائية عام ١٩٣٧، وقد استعانت وزارة المعارف بخبراء من منظمة اليونسكو وشكلت لجان عدة لأجراء تعديلات عليه هافه من وراء ذلك جعل المناهج اكثر ارتباطاً بالبيئة الافغانية، وادخلت وسائل التدريس الحديثة واجرت تعديلات جوهرية على المناهج منها: ادخلت مادة الزراعة العملية في عام ١٩٥٢ في مناهج المدارس الريفية لكي تتماشى مع احتياجات افغانستان واقتصادها الذي يعتمد اساساً على الزراعة، إذ أن الأغلبية الساحقة من السكان يعملون بالزراعة ، والحقت بكل مدرسة قطعه من الأرض ليقوم المدرسون والطلبة بزراعتها ليتعلم الطالب فيها أحداث وسائل الزراعة. كما أضيفت مادة الزراعة التعليمية في مناهج معاهد المعلمين ، وذلك للمساهمة في تطوير وسائل الزراعة المحلية وكجزء من برنامج تطوير المجتمع الريفي. وأضيفت مجموعة من مواد الصناعات الريفية اليدوية لتنمية القدرة اليدوية عند الطفل ورفع مستوى هذه الصناعات فنياً. وطلبت الحكومة الأفغانية عام ١٩٥٢ الدعم من مسؤولي برنامج الدعم الفني التابع لمنظمة الامم المتحدة في (قرية شواكي) بالقرب من العاصمة كابل، وبناءً على ذلك أوفدت الامم المتحدة فريقاً من المتخصصين لتنفيذ برنامج دعم كان عباره عن خطه للرعاية

الصحية والتنمية في مجال الزراعة والتعليم والصناعات اليدوية وذلك لتحسين المستوى المعاشي وتدريب المعلمين والمسؤولين في إدارة القرى.^(٣٨)

عندما تولى رئاسة الوزارة أبْن عم الملك محمد داود خان عام ١٩٥٣، اسند وزارة المعارف إلى الدكتور عبد المجيد خان^(٣٩). وكانت أولى خطواته هي تنظيم التشكيلة الادارية للوزارة، اذ ضمت التشكيلة الادارية الجديدة لوزارة المعارف

أولاً : المجلس الاعلى للتعليم وتألّف من كبار موظفي وزارة المعارف كأعضاء دائمين وعدد من رجال الفكر الافغاني وعينوا لمدة ثلاث سنوات، وكان المجلس يجتمع لمناقشة الامور التعليمية وقراراته قانونيه وملزمه للجميع.

ثانياً: المجلس الوزاري: وتألّف من جميع مديري الادارات المختلفة بالوزارة برئاسة وزير المعارف وتعرض عليه الاقتراحات التي تقدمها ادارات الوزارة وقراراته نافذه . ثالثاً: الادارات العامة : وترأس كل منها موظف بدرجة مدير عام وتتولى هذه الادارة الاشراف على المدارس التابعة لها من حيث وضع البرامج والاشراف على تنفيذها والاشراف على الامتحانات ومنح الشهادات النهائية ومنها رئاسات التعليم الثانوي والابتدائي والفني والبنات. رابعاً : أداره التفتيش وتولت الاشراف والتفتيش على جميع المدارس بأنواعها المختلفة في البلاد، وكان هناك جهاز للمفتشين القدامى، كما يوجد بكل محافظة مفتشون مقيمون، وخصص لكل عشرة مدارس مفتش واحد تولى رئيس المفتشين مساعدة مديرية التربية في حل مشاكلها ، يوجه المفتشين المحليين الاهتمام بالنواحي الصحية في المدارس، وأختار المفتشون من بين المدرسين الاكفاء وذوي الخبرة ، والحقت بوزارة المعارف إدارة التأليف والترجمة والنشر ويديرها مدير وضمت عدد كبير من الاعضاء والفنيين والاختصاصيين والموظفين، وبهذا فقد اثمر هذا التنظيم إلى زيادة عدد المدارس وانشاء ٤٥٧ مدرسة ريفيه أربعة منها فقط للبنات و٣٣٣ مدرسة ابتدائية منها ١٨ مدرسة للبنات^(٤٠)، يلاحظ من اعداد المدارس أن التوسع قد أقتصر على مدارس الطلبة الذكور فيما لم تحض الاناث الا بنسبة قليلة من المدارس، ويرجع ذلك الى قلة الاقبال على تعليم الفتيات.

وقد حظيت العاصمة كابل بالنصيب الأكبر من الجهود لنشر التعليم في البلاد والتي قدر عدد سكانها عام ١٩٥٩ بـ ٣٤٥، ٢٧٣ نسمة ، وأن ٧٣,٨% من المدارس كانت في

العاصمة كابل وأشارت التقديرات إلى مشاكل التي عانى منها التعليم في افغانستان لأسباب اقتصادية واجتماعية ومنها قلة عدد الطلبة الملتحقين بالمدارس المهنية والتعليم الثانوي والجامعي رغم الحاجة الماسة لهم لتأسيس قاعده صناعيه في البلاد لتحقيق الاكتفاء الذاتي ، هذا فضلاً عن قلة اعداد المعلمين الكفاء. اذ كان هناك ٣٠٠٧ معلم ونصف هؤلاء لا يتمتعون بخبرات كافية للتعليم ، رغم التسهيلات التي منحتها وزارة المعارف لأعداد المعلمين، اذ كان يحق للطلبة الحاصلين على شهادة التعليم الابتدائي الالتحاق بمعاهد اعداد المعلمين، ويحق للخريجين من المراحل التسعة أن يدخلوا برنامج اعداد المعلمين لمدة ثلاث سنوات ، وعلى الرغم من ذلك لم يتجاوز اعدادهم ٢٥٠٠ معلم حتى عام ١٩٥٩، وذلك لصعوبات ماليه وسياسيه بعد الحرب العالميه الثانيه، فضلاً عن عدم وجود اعداد كافيه من الصفوف اللازمة لأعداد الطلبة ، ولهذا لم تكن الحكومة الافغانية قادرة على اطلاق حملته واسعه لتوسيع نظام التعليم في البلاد وتقوية قاعدته الاجتماعيه (٤١).

وضعت الحكومة الأفغانية خطه خمسيه أولى في اذار ١٩٥٦ لتطوير التعليم في البلاد استمرت لخمس سنوات إلى اذار ١٩٦١، هدفها انحسرت في محو الأميه في جميع انحاء البلاد والتوسع في انشاء المدارس الريفيه والابتدائية ومدارس المرحلتين المتوسطة والثانوية ، هذا فضلاً عن اعداد وتدريب الفنيين اللازمين لبرامج التنمية المختلفه ، وخصص لها ميزانيه قدرت ب ٨٨٠'٣١ مليون أفغاني ، وذلك لإنشاء ٥٠٠ مدرسة قرويه و ٩٠٠ مدرسة ابتدائية و ٥٠ برنامجاً لمكافحة الأميه بين الكبار و ١٢ مدرسة ثانويه وكليتين بجامعة كابل . ورغم الجهود التي بذلتها الحكومة الافغانية بقيت الحاجه إلى خدمات مدارس القرية ، ففي نهاية عام ١٩٥٩ كان هناك ٥٠٤ مدرسة قرية في جميع انحاء البلاد والتي استمرت الدراسة فيها لمدته ثلاث سنوات الا أن ٩٠% منها كانت مخصصة للأولاد فقط والباقي للفتيات ، ولهذا لجأت الحكومة الافغانية إلى خبراء الامم المتحدة في مجال التربية والتعليم لوضع خطة خمسيه ثانيه من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٦٦ خصصت لها ميزانيه قدرت ب ١٩١,٨ مليون افغاني ، لنشر التعليم في البلاد ليشمل عدد الطلبة الذين سيلتحقون بالتعليم ١٩٢ الف طالب وطالبه في المرحلة الابتدائية والثانوية وقدّر عدد المدرسين اللازمين ٤,٣٤٠ مدرس ومدرسه (٤٢).

أدركت الحكومة الأفغانية حاجة البلاد لخدمات العنصر النسائي ، فاتخذت قراراً بالسماح للفتيات بالدراسة الجامعية عام ١٩٦١ وكانت أولى الكليات التي استقبلت الفتيات هي كلية الطب لإيجاد كوادر طبية نسائية ، كما أفتحت عدد من الكليات مثل كلية الاقتصاد المنزلي وكلية التربية عام ١٩٦٢ ، لتخريج المدرسين التعليم الثانوي ، وكلية للهندسة عام ١٩٦٣ ، وكلية الصيدلة التي أنشأت عام ١٩٦٣ ، وضمت إلى كلية الطب ^(٤٣). وفي عام ١٩٦٣ ، افتتحت جامعته ننجرهار في ولاية جلال آباد. والواقع كانت هناك صعوبات اعترضت التعليم في البلاد ومنها حاجتها الى المدارس الريفية في المناطق النائية والنقص في عدد المدرسين اللازمين لمواجهة التوسع السكاني ، وعلى الرغم من انها خصصت الميزانية اللازمة للتوسع في المباني في مشروع السنوات الخمس الأولى والثانية ، أما النقص في عدد المدرسين فقد أنشأت ثلاثة معاهد لأعداد المعلمين احدها من هرات والدراسة فيها بالفارسية واثنان في قندهار وجلال آباد والدراسة فيها باللغة البشتو ^(٤٤).

لجأت الحكومة الأفغانية عام ١٩٦٣ إلى الوكالات الدولية لطلب مساعدتها لأعداد برامج متطورة لأعداد المعلمين ، وقدمت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية ، فارسلت مجموعه متخصصه في اعداد المعلمين من جامعة كولومبيا الأمريكية ، كما قدمت خلال تلك السنوات مساعدات من مثل توفير الكتب واجهزه عرض الافلام والورق وسائر اللوازم والادوات المطلوبة، ووافدت الحكومة الأفغانية الكثير من الافغان إلى الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على التخصص في مجالات التربية والتعليم ^(٤٥).

فرض النظام التعليمي في افغانستان على السكان المختلفي الاعراق تعلم القراءة والكتابة بلغتين الرسميتين البشتو والداري على الاوزبكيين والطاجيك والأقليات الاخرى من غير البشتون، كما أن الكتب الدراسية كانت باللغتين الرسميتين في المناطق غير البشتونية وقدم التعليم الابتدائي باللغات المحلية ولكن واجه هؤلاء الطلاب مشكلة التعلم باللغتين الرسميتين، ومن ثم الحصول على تعليم الثانوي لتأهيلية للجامعة وهذه عوامل اعاقت السكان من غير البشتون في الحصول على الوظائف الحكومية. فمثلاً كانت نسبة المتعلمين والفرص التربوية في منطقة الأوزبك واطئة ، وفي منطقه مزار الشريف كانت نسبة المتعلمين ٣,٤% وهي أقل بكثير من المعدل المطلوب ، وكانت طيلة السنوات مقصوره على المدارس

الدينية تديرها الدوائر المحلية، ولذلك عانى النظام التعليمي في البلاد من التقدم البطيء بسبب المشاكل الاقتصادية الناجمة عن تمويل نظام تربوي حديث في بلد متخلف^(٤٦).

دستور عام ١٩٦٣ وتطور المؤسسة التعليمية في أفغانستان إلى عام ١٩٧٣:

أعيد النظر بالتنظيم الإداري للدولة وقسمت الدولة إلى تسع وعشرين وحدة إدارية، وذلك لتحسين وتنظيم العمل الإداري وترافق ذلك مع تغييرات سياسية واجتماعية وصدر مرسوم ملكي بالمصادقة على دستور عام ١٩٦٤، ليكون للبلاد نظاماً حكومياً ديمقراطياً يتناسب مع متطلبات العصر، وللوصول إلى مرحلة تتوفر فيها جميع التسهيلات المناسبة للتعليم لجميع افراد شعب افغانستان طبقاً لأحكام القانون، ألزمت المادة (٣٤) من الفصل الثالث حقوق الشعب وواجباته الأساسية من الدستور الدولة "بأن يكون التعليم حق لجميع افراد شعب افغانستان وتوفره الدولة له بالمجان، وألزم الدستور الحكومة الأفغانية بوضع وتنفيذ برنامج مؤثر لأجل تعميم متوازن للمعارف بكل افغانستان، وجعل التوجيه والإشراف على التعليم والتربية من وظيفة الدولة، وجعل التعليم الابتدائي إجباري، وتأسيس مؤسسات التعليم العالي وأدارتها ومكافحة الأمية^(٤٧). وبهذا فقد كفلت مواد الدستور توفير التعليم لجميع افراد الشعب الافغاني وبالمجان في جميع مراحل التعليم وفي المرحلة الابتدائية اجبارياً، وهدفت السياسة التعليمية إلى خلق جيل صالح نافع لوطنه ومجتمعه، وتنمية قدرات الاطفال ومواهبهم، وبحلول عام ١٩٦٥ ارتفع عدد الطلبة في المرحلة الابتدائية إلى ٢٨٥,٤٠٣ طالب^(٤٨).

استعانت الحكومة الافغانية بفريق استشاري من الجامعة الهندية في ايار عام ١٩٦٦ لتطوير التعليم الجامعي والنظام الإداري لجامعة كابل لتكون مؤسسه تعليميه بمناهج مطورة، وادخلت على مناهجها نشاطات واهداف منهجية، وما يقارب من نصف طلابها من جميع انحاء افغانستان يعيشون في اقسام داخلية، وادخلت عليها نشاطات اجتماعية كالنوادي الاجتماعية والرياضية، بلغ عدد الطلاب فيها عام ١٩٧٠ حوالي ٦١٠٠ طالب وطالبة، وشكلت الطالبات نحو ١٥٠٠ طالبة من المجموع الكلي. وعموماً كانت نسبة تعلم الأولاد مقابل الفتيات خمس إلى واحد، وبلغ عدد التلاميذ المرحلة الابتدائية ٤٩٠,٠٠٠ طالب، وعد هذا الرقم متضاعفاً ثلاث مرات لما كان عليه عام ١٩٦٠، كما ارتفع عدد الطلبة في المرحلة المتوسطة عام ١٩٧٠ إلى ٧٨٥٠٠ طالب وطالبة^(٤٩).

ولتفعيل البرامج المعدة للتطوير الاجتماعي، فقد تم تأسيس هيئة تنمية القرى التابعة لوزارة الداخلية وحتى عام ١٩٧١ انجزت ما يقرب من مائه مشروع لتطوير القرى من بين هذه البرامج بناء المدارس الابتدائية في القرى ومحو الأمية وتجهيز مراكز التنمية الاجتماعية ، وأتت هذه المشروعات ثمارها على المواطنين من سكان القرى الافغانية مع تقدم اساليب مناهج التعليم الزراعي الحديثة ومتابعة الاطفال خلال المراحل التعليمية، وفي أواسط سنة ١٩٧٠ كان طلبة دار المعلمين يقضون شهرين من دورة تدريبية ضمن خطه تنمية القرية ، وذلك لتحسين مستوى معيشة أهالي القرية الافغان وتوفير احتياجاتهم ، ووضعت خطة للقضاء على الأمية بين المواطنين^(٥٠).

ومما تقدم يتضح أن مشكله التعليم في البلاد كانت واحده من المعوقات التي تحول دون تقدم التنمية في افغانستان، وعلى الرغم من أن الحكومة الافغانية بعد الحرب العالمية الثانية طبقت خطتين خمسينيتين استهدفت تطوير النظام التعليمي وتوفير المتطلبات وتقديم التسهيلات اللازمة، وعلى الرغم من أن دستور عام ١٩٦٤ ضمن تقديم مجانية التعليم واجبارية من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية، وتخصيص عشرة في المائة من الميزانية العامة للتعليم فلم يبلغ الحد الأعلى من المتعلمين الافغان نحو عشرة في المائة من السكان في البلاد.

الهوامش:

١. جامعة الشعوب الاسلامية والعربية، أفغانستان في مواجهه الغزو الروسي، دراسات في الاسلام العدد ٢٤٧، السنة الحادية والعشرين شباط ١٩٨٢، ربيع الآخر ١٤٠٢، ص ٦٠.
2. Nancy peabody Newell Richard S. Newell, The struggle for Afghanistan, Cornell University Press- Ithaca and London, 1981,p. 35.
٣. د. صباح محمود محمد، دراسات في افغانستان، بغداد، ج ١، ١٩٨٠، ص ٩٣.
٤. جامعة الشعوب الاسلامية والعربية، المصدر السابق، ص ٦٠ - ٦١.
٥. ابو العينين فهمي محمد ، افغانستان بين الامس واليوم، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٦٩، ص ٣٣٩ - ٣٤٠.
٦. المصدر نفسه، ص ٣٤٠.

٧. جريدة العالم العربي (بغداد)، العدد ٦٩٥، ٢٤ حزيران ١٩٢٦.
٨. جريدة الاستقلال (بغداد) العدد ٢٧، ١٢٨٧، آب ١٩٢٨.
٩. ابو العينين فهي محمد، المصدر السابق، ص ٣٤٠.
١٠. جريدة الاستقلال (بغداد)، العدد ١٣٥٩، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٨.
١١. د. مي فاضل مجيد الربيعي، أفغانستان من عهد الملك محمد ظاهر شاه، بيت الحكمة، لندن، ٢٠١٧.
١٢. فريتز غروبا، رجال و مراكز قوى في بلاد الشرق، ترجمه فاروق الحريري، مطبعة عصام ج ١، بغداد ١٩٧٩، ص ٦٩.
13. Vartan Gregorian, the Emergence of Modern. Afghanistan 1880-1946, Stanford university Press, stand ford, California, 1969, p.284-285
١٤. محمود شاكر، أفغانستان، مواطن الشعوب الإسلامية في اسيا -١١- المكتب الاسلامي، بيروت- دمشق الطبعة الخامسة ١٩٨٠، ص ٧٦.
١٥. اكرم عبد الله صالح، المؤسسة الدينية في أفغانستان، الجامعة المستنصرية، معهد الدراسات الاسيوية والافريقية ، سلسلة الدراسات الافغانية رقم (٦)، ص ٢٧ .
١٦. فهمي هويدي، حدث في افغانستان، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط ١، ١٩٧٩، ص ١٢٤-١٢٥.
17. Ronald M. Morrison, H. M. King Mohammad Nadir Shah -I.Ghazi of Afghanistan Niji -i- Millat Journal of the Royal Asian Society, Vol .XXI January 1934 part 1.
18. O.S.S. State Department Intelligence and Research Reports Part VII. The Middle East Report on the strategic Survey of Afghanistan, No. 720 March 1942, Film No. 38, p. 13.
19. Vartan Gregorien, op. cit. p. 307.
20. Ibid, p. 308.
21. Ibid, p.308.
22. Ibid, p.309.
23. Ibid, p. 309.
24. Ibid, p. 310.
٢٥. د. مي فاضل مجيد الربيعي، المصدر السابق، ص ٩٨.
٢٦. ملفات البلاط الملكي ٣١١/٧٤٥ تقرير المفوضية الملكية العراقية في كابل الرقم ٨٩/٢٨٥/١/٢ في ١٩٤١/٨/٢٧، و ٧ ص ٧.

27. Vartan Gregoriens op. cit, p.351-352.
28. Ibid, p. 353. مكتب الصحافة والاستعلامات بالسفارة الملكية الأفغانية أفغانستان، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٢٣.
29. Ibid, p. 354.
٣٠. عبد الوهاب العسكري، النهضة الأفغانية الحديثة، ج ٣ مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٥١، ص ٦١.
31. Vartan Gregorien, op.cit, p. 355.
٣٢. ابو العينين فهمي محمد المصدر السابق، ص ٣٤٢.
٣٣. د. عبد الوهاب العسكري، المصدر السابق، ص ٦١.
34. prince peter, post war Developments in Afghanistan, Journal of the Royal Central Asian Society Vol. XXXIV, July- oct, 1947, parts III-IV. P. 283.
٣٥. مكتب الصحافة والاستعلامات بالسفارة الملكية الأفغانية، ص ١٣٠-١٣١.
36. Akhramovich, out Line History of Afghanistan, after the second World War, Translated From The Russian by C.J. lambkin, Moscow, 1966, P. 118.
37. Vartan Gregorie op .cit, p. 356.
- حسن محمد جوهر، عبد الحميد بيومي، أفغانستان، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٨، ص ٣
٣٨. ماري لويس كليفورد، أفغانستان أرضاً وشعباً، تعريب سامي محمد المرسي، دار العالم العربي، يناير، ط ١، ٢٠١٣، ص ١٠١.
٣٩. ملفات البلاط الملكي ٣١١/٤٩٤٧، تقرير المفوضية الملكية العراقية في كابل المرسل إلى وزارة الخارجية بغداد المرقم ٤٨/٤/٢ والمؤرخ في ٢٤ ايلول ١٩٥٣، و ٤٨ ص ١٠٠.
٤٠. ابو العينين فهمي محمد، المصدر السابق، ص ٣٤٧؛ صباح محمود محمد، دراسات عن أفغانستان، المصدر السابق، ص ٩٣.
41. Vartan Gregorien, op.cit, p.357.
٤٢. ابو العينين فهمي محمد، المصدر السابق، ص ٣٦٧ - ٣٧١.
43. Louis Dupree, Afghanistan, Princeton, 1973, P.598.
٤٤. جامعة الشعوب الاسلامية والعربية، المصدر السابق، ص ٦٢؛ ابو العينين فهمي محمد المصدر السابق، ص ٣٥٣.
٤٥. ماري لويس كليفورد، المصدر السابق، ص ٩٩.

٤٦. مركز البحوث والمعلومات ، سلسلة الكتب المترجمة، الحدود العرقية الاسيوية السوفيتية، تأليف نخبه من الأساتذة الباحثين، مطبوعات بيرني مون/ الولايات المتحدة، ١٩٧٩، ص ٢٧٩.

٤٧. الموسوعة العربية للدساتير العالمية، الجمهورية العربية المتحدة، مجلس الامه، الادارة العامة للتشريع والفتوى، مصر، ١٩٦٦، ص ٧٨٩ - ٨٠٩.

48. Sadhan Mukherjee, Afghanistan, From Tragedy to Triumph, New Delhi, 1984, p.74.

٤٩. ماري لويس كليفورد، المصدر السابق، ص ٩٦ - ٩٨.

٥٠. المصدر نفسه، ص ٩٨ - ١٠١.

المصادر:

الوثائق غير المنشورة:-

١. ملفات البلاط الملكي ٧٤٥/ ٣١١ تقرير المفوضية الملكية العراقية في كابل المرسل الى

وزارة الخارجية بغداد المرقم ٨٩/٢٨٥/١/٢ في ١٩٤١/٨/٢٧ و ٧ ص ١٧.

٢. ملفات البلاط الملكي ٤٩٤٧/ ٣١١ تقرير المفوضية الملكية العراقية في كابل المرسل الى

وزارة الخارجية بغداد المرقم ٤٨/٤/٢ والمؤرخ في ٢٤ أيلول ١٩٥٣ و ٤٨ ص ١٠٠.

3. O.S.S state Department Intelligence and Research Reports part VII. The Middle East Report on the strategic Survey of Afghanistan, No.720 March 1942, Film No.38, p.13.

الكتب العربية والمعرّبة:

١. ابو العينين فهمي محمد، افغانستان بين الأمس واليوم، دار الكتاب العربي، مصر ١٩٦٩.

٢. اكرم عبد الله صالح، المؤسسة الدينية في أفغانستان، الجامعة المستنصرية، معهد الدراسات الاسيوية والأفريقية، سلسلة الدراسات الأفغانية رقم (٦) ص ٢٧.

٣. جامعه الشعوب الاسلامية والعربية، أفغانستان في مواجهة الغزو الروسي، دراسات في الاسلام، العدد ٢٤٧، السنة الحادية والعشرين شباط ١٩٨٢.

٤. حسن محمد جوهر، عبد الحميد بيومي، أفغانستان، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٦٨.

٥. د. صباح محمود محمد، دراسات في أفغانستان، ج ١، بغداد ١٩٨٠.

٦. عبد الوهاب العسكري، النهضة الافغانية الحديثة، ج ٣، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٥١.

٧. فريتز غروبا، رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق، ترجمة فاروق الحريري، ج ١، مطبعة عصام، بغداد، ١٩٧٩.
٨. فهمي هويدي، حدث في أفغانستان، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط ١، ١٩٧٩.
٩. ماري لويس كليفورد، أفغانستان أرضاً وشعباً، تعريب سامي محمد المرسى، دار العالم العربي، ط ١، يناير ٢٠١٣.
١٠. محمود شاكر، أفغانستان، مواطن الشعوب الإسلامية في اسيا - ١١ - الكتب الإسلامية، بيروت. دمشق، ط ٥، ١٩٨٠.
١١. المكتب الصحافة والاستعلامات بالسفارة الملكية الأفغانية، أفغانستان، القاهرة، ١٩٦٠.
١٢. د. مي فاضل مجيد الربيعي، أفغانستان في عهد الملك محمد ظاهر شاه، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٧.
١٣. مركز البحوث والمعلومات، سلسلة الكتب المترجمة، الحدود العرقية الآسيوية السوفيتية، تأليف نخبة من الأساتذة الباحثين، مطبوعات ببرني مون، الولايات المتحدة، ١٩٧٩.

الكتب الأجنبية:

1. Akhramovich, out Line History of Afghanistan, after The second World war, Translated from The Russian by C.J.lambkin, Moscow 1966.
2. Louis Dupree, Afghanistan, Princeton, 1973.
3. Nancy Peabody Newell Richard S.Newell, The struggle For Afghanistan, Cornell University press. Ithaca and London, 1981.
4. prince peter, post war Developments in Afghanistan, Journal of The Royal Central Asian Society Vol. XXXIV, July_oct, 1947, Parts 3-4.
5. Ronald M. Morrison, H. M. King Mohammad Nadir shah-1-Ghazi of Afghanistan an Niji-i- Millat Journal of the Royal Asian Society, Vol.XXI, January 1934 Pant 1.
6. Sadhan Mukherjee, Afghanistan, From Tragedy to Triumph, New Delhi, 1984.
7. Vartan Gregorian, The Emergence of Modern Afghanistan 1880-1946, Stanford University Press, standford, California, 1969.

الموسوعات:

الموسوعة العربية للدراسات العالمية، الجمهورية العربية المتحدة، مجلس الأمة، الإدارة العامة للتشريع والفتوى مصر ١٩٦٦.

الصحف:

١. جريدة الاستقلال (بغداد) العدد ١٢٨٧، ٧ آب ١٩٢٨.
٢. جريدة الاستقلال (بغداد) العدد ١٣٥٩، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٨.
٣. جريدة العالم العربي (بغداد)، العدد ٦٩٥، ٢٤ حزيران ١٩٢٦.

النظام البرلماني العراقي في العهد الملكي
(١٩٥٨_١٩٢١)

م.د. رحيم خلف كاظم الشرع

جامعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

كلية الآداب _ قسم التاريخ

E .mail: raheem.kalaf@sadiq.edu.iq

رقم الموبايل : ٠٧٧٢٦٢٠٧٤٤٩

The Iraqi parliamentary system during the
monarchy (1921_1958)

Dr. Raheem Kalaf Kazem

Imam Jaafar Al-Sadiq University (peace be upon
him).

Faculty of Arts_Department of History

E .mail: raheem.kalaf@sadiq.edu.iq

Mobile number : 00967726207449

النظام البرلماني العراقي في العهد الملكي (١٩٢١-١٩٥٨)

م.د. رحيم خلف كاظم الشرع

الملخص

يعد النظام البرلماني شكل من أشكال الحكومة الديمقراطية النيابي ، وهو وليد ظروف سياسية اجتماعية اقتصادية ، وأن قيام النظام البرلماني العراقي وفق ما جاء في النظام الدستوري الذي أكدته المجلس التأسيسي العراقي حيث وضع هذا المجلس الأسس الأولى لقيام أول حياة برلمانية عراقية ، ويكون شكل الدولة العراقية ذات حكومة ملكية وراثية وشكلها نيابي ووفق النظام البرلماني العراقي توجد هناك ثلاث هيئات تسهم في السلطة هي : (الملك ، الوزارة ، البرلمان) .

الكلمات المفتاحية : (الحكومة ، الدستورية ، النيابية ، البرلمانية ، الديمقراطية).

The Iraqi parliamentary system during the monarchy (1921_1958)

Dr. Raheem Kalaf Kazem

Imam Jaafar Al-Sadiq University (peace be upon him).

Faculty of Arts_Department of History

E .mail: raheem.kalaf@sadiq.edu.iq

1445AH _ 2024 AD

Baghdad

Mobile number : 00967726207449

Abstract

The parliamentary system is a form of representative democratic government, and it is the result of political, social and economic conditions, and the establishment of the Iraqi parliamentary system is in accordance with what was stated in the constitutional system confirmed by the Iraqi Constituent Assembly, as this council laid the first foundations for the establishment of the first Iraqi parliamentary life, and it will be in the form of an Iraqi state with A hereditary monarchy with a parliamentary form. According to the Iraqi parliamentary system, there are three bodies that contribute to power: (the king, the ministry, and parliament)

Keywords:(Government , constitutional, representative, parliamentary, democracy).

المقدمة

لم يكن وصول المفاهيم الدستورية إلى أذهان المثقفين العراقيين حديث العهد ، بل إنهم أصروا على عدم تجاهلها منذ زمن بعيد ، في حين تعمقت تلك المفاهيم لديهم بتأثير عوامل عدة منها ، الثورة الروسية عام ١٩٠٥ ، والثورة الدستورية الإيرانية ١٩٠٥-١٩١١ ، فضلاً عن تجربة الدستور العثماني وتأسيس مجلس المبعوثان ، وبرزت الأفكار الدستورية الأكثر وضوحاً في نضال ثورة العشرين وأدبياتها في العراق وجاءت بطروحات جديدة تماماً ، فالحكومة الديمقراطية في نظر متتوري العراق هي الحكومة التي لها برلمان والبرلمان هو المعبر الحقيقي عن حكم الشعب ، ويعد النظام البرلماني شكل من أشكال الحكم الديمقراطي النيابي وهو وليد ظروف سياسية اجتماعية اقتصادية ، وإن قيام النظام البرلماني العراقي وفق ما جاء في النظام الدستوري الذي أكدته المجلس التأسيسي حيث وضع هذا المجلس الأسس الأولى لقيام أول حياة برلمانية عراقية ، ويكون شكل الدولة العراقية ذات حكومة ملكية وراثية ، وشكلها نيابي ووفق النظام البرلماني العراقي ، وتوجد هناك ثلاث هيئات تسهم في السلطة هي (الملك ، الوزارة ، البرلمان) ونجح المجلس التأسيسي بوضع أسس دولة عراقية لكنه فشل في تحقيق المطامع الوطنية في تبني الأسس الديمقراطية الصحيحة ، ولكن مرحلة الانتداب البريطاني على العراق وقفت حائلاً دون تحقيق ذلك مما جعل إرادة المعتمد السياسي البريطاني صاحبة الخطوة الأولى وأبقت الحياة البرلمانية حبيسة نفسها.

المبحث الأول :

أولاً : مفهوم النظام البرلماني

ثانياً : العراقيون والتجربة البرلمانية في العهد العثماني

أولاً : مفهوم النظام البرلماني

هو نظام سياسي يخص شعوباً وصلت إلى مرحلة معينة من التطور الاجتماعي والاقتصادي، ويتكون من ثلاثة هيئات تساهم في ممارسة السلطة ، وهي: (رئيس الدولة، الوزارة، والبرلمان) يمكن أن يتألف البرلمان من مجلس واحد أو مجلسين ، ويفترض وفقاً لمبدأ الديمقراطية التمثيلية أن يكون منتخباً، وأن يتم تجديد انتخاب أعضائه بشكل دوري لضمان الرجوع إلى آراء الناخبين. كما يجب أن تكون أوقات انعقاده محددة وثابتة ، وإن

رئيس الدولة في النظام البرلماني لا يمارس سلطات شخصية أو فعلية بشكل منفرد، بل يتطلب الأمر أن يقوم الوزير المختص بتغطية تصرفاته وتوقيعها إلى جانب توقيعه، مما يجعله مسؤولاً أمام البرلمان ، وبالتالي، فإن أي إجراء يُتخذ باسم رئيس الدولة يُعتبر في الواقع من اختصاص الوزارة. ومع ذلك، لا يعني ذلك أن دور رئيس الدولة غير موجود تماماً، إذ يلعب دوراً مهماً في اختيار رئيس الوزراء ، مع مراعاة رأي الأغلبية البرلمانية. كما يمكنه أن يسهم بشكل غير مباشر في توجيه الوزارة من خلال إبداء رأيه لرئيس الوزراء بشأن أعمال الوزارة، حتى وإن لم يكن رأيه ملزماً ، كما وإن التعاون والتأثير المتبادل بين الوزارة والبرلمان يشكلان الأساس الذي تُبنى عليه العملية البرلمانية، حيث يُعتبران جوهرها. فالتعاون يعني أن أيًا من هاتين المؤسستين الدستوريتين لا يمكنها ممارسة سلطاتها بشكل منفرد تماماً. على الرغم من أن الوزارة تتولى مهامًا تنفيذية، إلا أنها تساهم بشكل فعال مع البرلمان في المهام التشريعية، مثل اقتراح القوانين. من جهة أخرى، رغم أن البرلمان مختص بممارسة التشريع، فإنه يشارك أيضًا مع الوزارة في بعض الأعمال التنفيذية، مثل اعتماد الميزانية. (فائز عزيز أسعد ، انحراف النظام البرلماني في العراق ، قدم له : منذر الشاوي ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ ، ص ٢١-٢٣).

تتطلب فكرة النظام البرلماني وجود تأثير متبادل بين المؤسستين، حيث تقوم كل منهما بدور الرقابة على الأخرى. يحق للوزراء حضور جلسات البرلمان والتحدث فيها، كما يمكن للوزارة التأثير على عمل البرلمان من خلال تأجيل دوراته أو تعطيلها. بالمقابل، يمتلك البرلمان الحق في توجيه الأسئلة للوزراء واستجوابهم وإجراء التحقيقات معهم. إذا نشأ خلاف بين الهيئتين ولم تتمكن الوسائل التقليدية من حسمه، تلجأ كل هيئة إلى استخدام وسائل استثنائية لمواجهة الأخرى. فقد تقرر الوزارة حل البرلمان وإجراء انتخابات جديدة، بينما يملك البرلمان حق سحب الثقة من الوزارة مما قد يضطرها للاستقالة. هذه هي المسؤولية السياسية للوزارة، والتي غالباً ما تكون جماعية. إن الحل والمسؤولية السياسية هما ما يحققان التوازن بين الوزارة والبرلمان في النظام البرلماني. كما أن شخصية رئيس الدولة، وطريقة توليه الرئاسة، وعدد الأحزاب وقوتها، ومستوى الوعي الديمقراطي لدى الشعب، تلعب جميعها دوراً في توجيه النظام نحو اتجاه معين، مما قد يؤدي إلى هيمنة إحدى الهيئات

بشكل فعلي، مما يخرج النظام عن الشكل الذي يحدده الدستور. (فائز عزيز أسعد ، المصدر السابق ، ص ٥٤)

ثانياً :_ العراقيون والتجربة البرلمانية في العهد العثماني

خاض العراقيون أول تجربة برلمانية شكلية بعد إعلان الدستور العثماني في ٢٣ ديسمبر ١٨٧٦، حيث تم اختيار أعضاء مجلس المبعوثان (النواب) على مرحلتين وبالاقتراع السري. وقد تم انتخاب ستة نواب من الولايات الثلاث: ثلاثة عن بغداد، واثنان عن البصرة، وواحد عن الموصل. شارك هؤلاء النواب في دورتي مجلس المبعوثان الأولى التي انعقدت في ١٩ مارس واستمرت حتى يوليو ١٨٧٧، والثانية التي بدأت في ١١ ديسمبر ١٨٧٧ واستمرت حتى فبراير ١٨٧٨. لكن بعد ذلك، استغل السلطان عبد الحميد الثاني هزيمة قواته أمام القوات الروسية، فعلق الدستور وأوقف جلسات البرلمان إلى أجل غير مسمى. (حسين جميل ، الحياة النيابية في العراق ١٩٢٥-١٩٤٦ موقف جماعة الأهلالي منها ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ١٥ ؛ علاء حسين الرهيمي ، المعارضة البرلمانية في العراق في عهد الملك فيصل الأول ، بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٨)

اقتصرت صدى هذه التجربة القصيرة على مجموعة محدودة من الوجهاء والنخبة، دون أن يمتد تأثيرها إلى الفئة المثقفة الحديثة التي كانت تمر بمرحلة التكوين. أما بالنسبة للعوام ، فلم يكن لديهم نظرة لأعضاء البرلمان تتجاوز اعتبارهم موظفين لا فائدة منهم سوى تحميل خزينة الدولة نفقات إضافية.

بعد ثورة الاتحاديين في عام ١٩٠٨، أصدرت الإدارة السلطانية قرارًا بإجراء انتخابات جديدة لمجلس المبعوثان خلال الفترة من ٢٤ تشرين الثاني حتى أواخر كانون الأول من نفس العام. وقد مارس العراقيون حق الترشيح للانتخابات بطريقة غير مسبقة، حيث وصل إلى بغداد عدد من المراقبين للإشراف على الانتخابات ونتائجها بطرق متعددة. ومع ذلك، لم يحققوا النجاح بسبب قوة المعارضة لسياساتهم. ستظل هذه التدخلات بأنواعها من السمات البارزة للحياة البرلمانية في العراق خلال عهد الملك فيصل الأول لاحقًا. وقد تكررت هذه التجربة الجديدة في الحياة السياسية العراقية بشكل مشابه في العهد الملكي فيما بعد.. (علاء حسين الرهيمي ، المصدر السابق ، ص ٤٠)

على الرغم من أن ميزان القوى في الصراع الانتخابي الذي شهدته أواخر العهد العثماني كان يميل لصالح المعارضة على حساب الاتحاديين، كما تجلّى في الانتخابات الثانية عام ١٩١٢ والثالثة عام ١٩١٣، فإن هذا الواقع أثار استياء الاتحاديين بشكل كبير. كذلك، خلال الانتخابات الرابعة والأخيرة التي جرت في عهدهم في أواخر ١٩١٣ وأوائل ١٩١٤، قاموا بإرسال أربعة وستين ضابطاً إلى العراق للإشراف على تلك الانتخابات بهدف تعزيز سيطرتهم عليها. ورغم أن جهود الاتحاديين أثمرت هذه المرة بحصولهم على أغلبية المقاعد البرلمانية المخصصة للعراق في مجلس المبعوثان، إلا أن ذلك أثار استهجان العراقيين، حيث تم تمثيلهم في تلك الانتخابات بعدد من النواب غير العرب الذين لم يكونوا يتحدثون حتى اللغة العربية. (المصدر نفسه ، ص ٤٢)

فيما يتعلق بتأثير هذه التجربة البرلمانية على العراقيين، يمكن الإشارة إلى أن غالبية سكان الولايات العراقية الثلاث (بغداد، الموصل، البصرة) كانوا غير متعلمين وأميين. لذا، كان اختيار النواب يعتمد بشكل كبير على الروابط العائلية والقبلية، (محمد مظفر الأدهمي ، العراق تأسيس النظام الملكي وتجربته البرلمانية تحت الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢ ، بغداد ، ٢٠٠٩ ، ص ٣٤) على الرغم من أن مدن العراق شهدت تأثير الحياة البرلمانية، إلا أن ذلك كان مقتصرًا على ما تنشره الصحف من أخبار عامة، نظرًا لبعدها عن الاستانة، عاصمة الدولة العثمانية. ومن جهة أخرى، كانت عمليات التداخل والتزوير في الانتخابات النيابية مستمرة خلال فترة هيمنة الاتحاديين وإرهابهم. ولم تكن انتخابات المجالس البلدية بعيدة عن هذه الممارسات، بغض النظر عن الظروف. وقد شهد العراق لأول مرة تجربة انتخابية نيابية، لكنها جاءت مشوهة وبعيدة عن الممارسة الشعبية الحقيقية المدعومة برأي عام واعٍ. (محمد مظفر الأدهمي ، المجلس التأسيسي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٢٩)

المبحث الثاني : الأسس الدستورية في الحياة النيابية العراقية

أولاً :_ القانون الأساسي العراقي

ثانياً :_ لمحة موجزة عن آلية الانتخابات والتوضيح للانتخابات النيابية في العهد الملكي

ثالثاً :_ اختصاصات البرلمان العراقي

أولاً :_ القانون الأساسي العراقي

في ٢١ مارس ١٩٢٥، تم إصدار القانون الأساسي العراقي، الذي نص على أن السلطة التشريعية تتولى مسؤوليتها مجلس الأمة بالتعاون مع الملك. يتكون مجلس الأمة من مجلسي الأعيان والنواب، ويحق للسلطة التشريعية وضع القوانين وتعديلها وإلغائها. يتألف مجلس الأعيان من عدد لا يتجاوز عشرين عضواً يتم تعيينهم من قبل الملك. وفي تعديل الدستور عام ١٩٤٣، تم تحديد عدد أعضاء مجلس الأعيان ليكون ربع مجموع النواب، مع استمرار تعيينهم من قبل الملك. مدة العضوية في مجلس الأعيان هي ثماني سنوات، ويجوز إعادة تعيين الأعضاء السابقين.

ينص الدستور على أن مجلس النواب يتكون من "انتخاب واحد من كل عشرين ألف نسمة من الذكور". وتحدد طريقة انتخاب النواب بقانون خاص يضمن الالتزام بأصول التصويت السري وضرورة تمثيل الأقليات غير الإسلامية. يعقد مجلس النواب أربعة اجتماعات سنوية، حيث يستمر كل اجتماع لمدة ستة أشهر. كما يجتمع مجلس الأعيان بالتزامن مع اجتماعات مجلس النواب ويتوقف عن العمل في نفس الوقت.

من صلاحيات الملك حل مجلس النواب. وعند حل المجلس، يتعين إجراء انتخابات جديدة، ويُدعى المجلس الجديد للاجتماع بشكل غير اعتيادي خلال فترة لا تتجاوز أربعة أشهر من تاريخ الحل. إذا تم حل المجلس لأسباب معينة، فلا يجوز حل المجلس الجديد بسبب تلك الأسباب. الملك هو الجهة التي تدعو المجلس للاجتماع، ولا يمكن للمجلس الاجتماع دون دعوة من الملك. (حسين جميل ، المصدر السابق ، ص ٥٢ ؛ رعد ناجي الجدة ، التطورات الدستورية في العراق ، ٢٠٠٤ ، ص ٦١-٦٢)

وفقاً للدستور، لا يمكن أن يكون الشخص عضواً في مجلس الأعيان أو مجلس النواب إلا إذا كان قد حصل على الجنسية العراقية، وألا يتجاوز عمره الثلاثين عاماً في مجلس النواب والأربعين عاماً في مجلس الأعيان. كما يجب ألا يكون قد حُكم عليه بالسجن بسبب جرائم مثل السرقة أو الرشوة أو الخيانة أو التزوير أو أي جرائم أخرى تمس بالشرف. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يكون الوزير عضواً في أحد المجلسين. تُتخذ القرارات بناءً على أغلبية آراء الأعضاء الحاضرين، ما لم ينص الدستور على خلاف ذلك. لكل عضو الحق

في التعبير عن رأيه، وتُرفع اللوائح القانونية إلى أحد المجلسين، وإذا تم قبولها، تُرفع إلى المجلس الآخر. (حسين جميل ، المصدر السابق ، ص ٥٣-٥٤)

يُحدد النظام البرلماني مسؤولية الوزارة أمام مجلس النواب المنتخب من قبل الشعب، وذلك وفقاً للمادة (٦٦) من الدستور العراقي، التي تنص على ما يلي: "يتحمل وزراء الدولة المسؤولية بشكل تضامني أمام مجلس النواب عن الأمور المتعلقة بالوزارات، كما يتحمل كل وزير المسؤولية بشكل فردي عن الإجراءات المرتبطة بوزارته والدوائر التابعة لها. في حال قرر مجلس النواب سحب الثقة من الوزارة بأغلبية الأعضاء الحاضرين، يتعين على الوزارة الاستقالة. وإذا كان القرار يتعلق بإحدى الوزارات، يجب على الوزير المعني الاستقالة أيضاً. يحق للمجلس تأجيل التصويت على سحب الثقة لمرة واحدة، لمدة لا تتجاوز ثمانية أيام، إذا طلب ذلك رئيس الوزراء أو الوزير المختص، ولا يتم حل المجلس خلال هذه الفترة." (نقلاً عن : رعد ناجي الجدة ، المصدر السابق ، ص ٦٥)

أما تكوين مجلس النواب عن طريق الانتخابات من قبل الشعب فتتص عليه المادة (٣٦) من الدستور ، وقصرت حق الانتخاب على الذكور ، ويأخذ الدستور العراقي بالفصل بين السلطات ، وهي فيه ثلاث ، تشريعية ، تنفيذية ، قضائية. (حسين جميل ، المصدر السابق ، ص ٧٣)

نلخص مما تقدم ، بأن النظام الملكي في العراق قد قام على أساس النظام النيابي ، فالمادة (٢) من الدستور نصت على أن "العراق دولة ذات سيادة وهي مستقلة حرة ملكة لا يتجزأ ولا يتنازل عن شيء منه ، وحكومته وراثية وشكلها نيابي" (نقلاً عن : رعد ناجي الجدة ، المصدر نفسه ، ص ٦٦)

ثانياً :- لمحة موجزة عن آلية الانتخابات والترشيح للانتخابات النيابية في العهد الملكي
تعد الحياة النيابية عنصراً أساسياً في نظم الحكم الديمقراطية الحديثة، حيث تستمد شرعيتها من الانتخابات الحرة. وقد جاء النظام المؤقت لانتخاب المجلس التأسيسي مشابهاً في أسسه لقانون انتخاب مجلس النواب العثماني (المبعوثان)، من خلال اعتماد أسلوب الانتخاب غير المباشر. يُعرف هذا الأسلوب بأسلوب "الدرجتين"، حيث يقوم الناخبون الأوائل

بانتخاب الناخبين الثانويين، الذين يتولون بدورهم انتخاب أعضاء المجلس التأسيسي في مرحلة لاحقة. (محمد مظفر الأدهمي ، المصدر السابق ، ص ٣٨)

نص القانون الأساسي لعام ١٩٢٥ ينص على أن مجلس النواب يتكون من خلال الانتخاب وفقاً لقانون خاص. وقد أعد المستشار البريطاني لوزارة العدلية لائحة قانون انتخاب مجلس النواب، والتي تم إحالتها إلى وكيل المندوب السامي ومجلس الوزراء. استمرت مناقشات قانون انتخاب النواب في المجلس التأسيسي على مدى ثماني جلسات من ٢١ يوليو ١٩٢٤ إلى ٢ أغسطس ١٩٢٤. وفي ١٨ أكتوبر ١٩٤٢، قرر مجلس الوزراء نشر قانون الانتخاب لأول مجلس نواب في العراق.

تتضمن المبادئ الأساسية لنظام الانتخاب ما يلي: الانتخاب يتم على درجتين، والناخبون هم من الذكور فقط، ولا يحق للجنود وأفراد الشرطة المشاركة في الانتخابات طالما أنهم في الخدمة العسكرية. يجب أن يكون المرشح قد أتم الخامسة والعشرين من عمره، ويكون لكل مائتين وخمسين ناخباً مرشح واحد. المرشحون هم الذين ينتخبون النواب. الدائرة الانتخابية هي اللواء، حيث يكون لكل عشرين ألف ذكر في اللواء نائب واحد. وقد تم تقسيم العراق إلى ثلاث مناطق، بينما تم تخصيص مقاعد للأقليات المسيحية، حيث يوجد مقعد واحد في لواء الموصل، ومقعدين في بغداد، ومقعد واحد في البصرة. (مجيد خديوي ، نظام الحكم في العراق ، بغداد ، ١٩٤٦ ، ص ٥٠ ؛ حسين جميل ، المصدر السابق ، ص ٥٦)

في نفس السياق، أصدرت الجهات المعنية تعليمات خاصة بالانتخابات، حيث يتعين على الناخب أن يحضر ويصوت بنفسه، ولا يُسمح له بتوكيل شخص آخر للتصويت بدلاً عنه. وفي حال كان الناخب أمياً، يمكنه الاستعانة بشخص آخر لكتابة اسم المرشح الذي يختاره. ومن المهم أن نلاحظ أن الناخب ليس ملزماً بالمشاركة في الانتخابات، فذلك يعود له، وإذا لم يحضر فلن يتعرض لأي عقوبة. (عادل تقي عبد البلداوي ، الانتخابات النيابية في العراق انتخابات حزيران عام ١٩٤٨ و ١٩٥٤ ، مراجعة : كمال خضر، بغداد ، ٢٠١٢ ، ص ١٤-١٥)

يتناول القانون الثاني رقم (١١) لسنة ١٩٤٦ التعديلات التي أُدخلت على أحكام الانتخابات لعام ١٩٢٤، حيث لم يعد من الضروري أن يكون الناخب من الذين يدفعون الضرائب للحكومة. كما تم تحديد أن لكل مائة ناخب منتخب نائب واحد، وأصبح القضاء هو الدائرة الانتخابية بدلاً من اللواء كما كان في القانون السابق. تُجرى الانتخابات بناءً على الترشيح، حيث يتعين على المرشح إيداع مبلغ مائة دينار. ويعتبر جميع المرشحين منتخبين بالتركية إذا لم يتجاوز عددهم عدد النواب المطلوب انتخابهم في الدائرة.

أما القانون الثالث، وهو مرسوم انتخاب النواب رقم (٦) لسنة ١٩٥٢، فيتميز بجعل عملية الانتخاب مباشرة.

إما القانون الرابع، وهو قانون الانتخاب رقم (٥٣) لسنة ١٩٥٤، لم يشهد تغييرات ملحوظة في أحكام القانون الصادر في عام ١٩٥٢. ويعود سبب صدور هذا القانون إلى أن القانون السابق كان مرسوماً بقانون أصدرته السلطة التنفيذية خلال فترة عطلة مجلس النواب، بينما صدر هذا القانون عن سلطة تشريعية. (حسين جميل، المصدر السابق، ص ٥٧-٥٨)

ثالثاً : اختصاصات البرلمان العراقي

إن الدستور العراقي لا يخصص السلطة التشريعية للبرلمان فقط، بل يتيح للحكومة إصدار مراسيم لها قوة القانون في حال تعطيل البرلمان. كما أن حق اقتراح القوانين في العراق يعود إلى الحكومة ومجلس النواب، بينما يُحرم مجلس الأعيان من هذا الحق.

أما بالنسبة للاختصاصات الحكومية، فإن النظام البرلماني يعتمد على التعاون والتواصل المستمر بين الحكومة والبرلمان. ويعكس هذا التواصل نشاط المجلس في مراقبة الأداء الحكومي من خلال آليات مثل طرح الأسئلة، والاستيضاح، والاستجواب، ورفض الثقة بالوزارة، والتحقيق، بالإضافة إلى مناقشة الإيرادات والنفقات العامة، والمصادقة على المعاهدات..

والاختصاصات القضائية، تظهر ممارسة البرلمان للوظيفة القضائية في حالتين :

١- فانتخابات أعضاء مجلس النواب لا تبحث أمام المحاكم بل أمام المجلس نفسه

بـ لمجلس النواب الحق في إصدار القرار النهائي بشأن الوزارة وأعضاء مجلس الأمة ،
وحكام محكمة التمييز ، وإحالتهم للمحاكمة أمام المحكمة العليا التي تؤلف بمعرفة مجلس
الأعيان.

تتمثل الاختصاصات الانتخابية لكل من مجلسي النواب والأعيان في اختيار أعضاء
ديوانه وانتخاب لجانه المختلفة. بالإضافة إلى ذلك، يحق للمجلسين تعيين الشخص الذي
يشغل أعلى منصب في الدولة، وهو الوصي على العرش. وفي حال عدم موافقة مجلس
الأمة على تعيين الوصي الذي اختاره الملك السابق، أو في حال عدم تعيين الملك السابق
لوصي، فإن المجلس هو الجهة المسؤولة عن تعيين الوصي. (محمد عزيز ، النظام
السياسي في العراق ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ص ٢٧٩-٢٩٢)

المبحث الثالث :

أولاً : هيمنة الملك على السلطة التشريعية

ثانياً : تدخل الحكومة في الانتخابات البرلمانية

أولاً : هيمنة الملك على السلطة التشريعية

في النظام الديمقراطي النيابي، الذي يعد أحد أشكال البرلمانية، يُعتبر الشعب هو من
يختار ممثليه في البرلمان. يُعد هذا المبدأ أساسياً، حيث لا يمكن أن يُقام نظام نيابي دون أن
يستند إلى حق الشعب في انتخاب ممثليه. وبالتالي، يرتبط هذا المبدأ ارتباطاً وثيقاً بفكرة
الديمقراطية النيابية. (فائز عزيز سعد ، المصدر السابق ، ص ١٢٧)

في دستور العراق لعام ١٩٢٥، نصت المادة (٣١) فقرة (١) على أن يتكون مجلس
الأعيان من عدد لا يتجاوز ربع مجموع النواب، يتم تعيينهم من قبل الملك ممن نالوا ثقة
الجمهور وحققوا إنجازات في خدمة الدولة والوطن.

وبما أن النظام البرلماني يقوم على مبدأ عدم مسؤولية الملك، وأنه لا يمارس حقوقاً
شخصية إلا تلك التي تتطلب ذلك بطبيعتها، فإن المادة (٢٧) من الدستور لعام ١٩٢٥
تنص على أن "الملك يستخدم سلطته من خلال إرادات ملكية تصدر بناءً على اقتراح
الوزير أو الوزراء المسؤولين وبموافقة رئيس الوزراء، ويوقع عليها هؤلاء الوزراء".

لذا، يمكن الاستنتاج بأن حق الملك في تعيين الأعيان هو حق اسمي، حيث تمارسه الوزارة بشكل فعلي، بينما يقتصر دور الملك على إصدار إرادة التعيين بناءً على طلب الوزارة.

وقد ساد الاتجاه في المجلس التأسيسي العراقي خلال مناقشة المواد المتعلقة بتكوين مجلس الأعيان، بأن الملك هو الذي يقوم بتعيين أعضاء هذا المجلس.. (فائز عزيز السعد، المصدر نفسه ، ص ١٣٣)

كان الملك أحياناً يفضل اختيار مرشحين مرتبطين به شخصياً في المجالس النيابية. ففي بعض الحالات، مثل انتخابات عام ١٩٢٥، كان يصر على إضافة أسماء مرشحين حكوميين يرغب في انتخابهم، بينما يقوم بشطب أسماء آخرين لا يرضى عنهم شخصياً. (عباس عطية جبار ، الحياة البرلمانية في العراق (١٩٣٢-١٩٣٩) ، ١٩٧٢ ، ص ١٩)

إذا كان الدستور يقيد الوزارة في مسألة حل مجلس النواب بشرط الحصول على موافقة مجلس الأعيان وإصدار إرادة ملكية، فإن الملك يتمتع بامتياز حل المجلس في أي وقت يراه مناسباً. وقد أدى ذلك إلى تكرار ممارسة هذا الحق، مما جعله يتحول إلى ظاهرة تراقب الساحة السياسية العراقية، متجاوزاً الغرض الحقيقي من وجوده كأداة استثنائية. (رياض مهدي محمد ، سياسة العراق الخارجية في ضوء محاضر مجلس النواب العراقي ١٩٢٥-١٩٣٩ ، بغداد ، ٢٠١٦ ، ص ٦٥)

لم يتمكن المجلس النيابي من الإفلات من سيطرة الملك ووزرائه، الذين لجأوا إلى اختيار أعضائه، مما أدى إلى تحوله من مجلس منتخب إلى مجلس معين، ومن هيئة تمثل الشعب إلى آلية تعبر عن إرادة الملك ووزرائه. وقد كان للملك دور بارز في إعداد ضمانات المرشحين والمصادقة عليها، حيث كانت إرادته هي السائدة في هذا الاختيار، دون تدخل من أي سلطة أجنبية في هذه العملية. (عبد الوهاب حميد رشيد ، العراق المعاصر ، دمشق ، ٢٠١٢ ، ص ١١٥)

استمتع الملك بصلاحيات واسعة، حيث منح الحق في إصدار المراسيم بموافقة مجلس الوزراء. كما يقوم الملك باختيار رئيس الوزراء بناءً على ترشيح الرئيس، ويعين الوزراء،

بالإضافة إلى تعيين أعضاء مجلس الأعيان. ويمتلك الملك القيادة العامة لجميع القوات المسلحة. في عام ١٩٤٣، تم تعديل الدستور ليمنح الملك حق إقالة الحكومة بأكملها. هذه الصلاحيات الواسعة التي تمتع بها الملك تتعارض مع ما ورد في الباب الثاني من الدستور الذي ينص على أن "الملك مصون وغير مسئول". (فاضل حسين ، الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤-١٩٥٨ ، ١٩٨٤ ، ص ٧٠)

في انتخابات عام ١٩٢٨، دعا الملك فيصل الأول متصرف لواء بغداد، ناجي شوكت، وطلب منه دعم كل من ياسين الهاشمي، ونوري السعيد، ورشيد عالي الكيلاني في الانتخابات التي كانت تنظمها وزارة عبد المحسن السعدون. كما طلب منه استغلال علاقته برئيس الوزراء لمساندة هؤلاء المرشحين. وقد تعهد المتصرف بإقناع السعدون لتحقيق رغبة الملك. (فائز عزيز اسعد ، المصدر السابق ، ص ١٨٧)

ينص الدستور على أن "سلطة الأمة هي وديعة الشعب للملك"، مما يجعل من الصعب اعتبار هذا الدستور ديمقراطياً حقاً. فسلطات الأمة هي حقوق وواجبات في آن واحد، ولا يحق لأحد التنازل عنها. إذا كانت هذه السلطة وديعة، فيجب أن تُودع للشعب وليس للملك. وبالتالي، فإن هذا يعني أن الشعب ليس لديه أي حق في ممارسة سلطاته لمراقبة وتوجيه الأمور التي تتطلبها الحياة الديمقراطية، مما يجعل من الصعب القول إن هذه دولة نيابية وديمقراطية. (توفيق السويدي ، مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العراقية ، ٢٠١٠ ، ص ١٠١).

تدخل الوصي عبد الإله أيضاً في الانتخابات التي جرت بتأثير من الحكومة العراقية لانتخابات مجلس النواب عام ١٩٤٣. وقد منح الأمير عبد الإله نوري السعيد، عندما كلفه بتشكيل الوزارة مرة أخرى، قائمة تضم عشرة أسماء ليختار منها الوزراء. (نقلاً عن : حسين جميل ، المصدر السابق ، ص ٦٧)

إذا كان مجلس النواب خاضعاً لسلطة الوزارة، فإن هذه الأخيرة كانت بدورها تحت سيطرة الملك. يتضح ذلك من أن قرارات مجلس الوزراء كانت تحتاج إلى مصادقة الملك، الذي كان له الحق في الموافقة أو التعديل أو الرفض لهذه القرارات التي تعكس السياسة العامة للدولة. وهذا يعني أن مفهوم الوزارة ككيان مستقل قد اختفى في العراق في ظل النظام

البرلماني، حيث كان الملك يتدخل في قرارات الوزارة. وبالتالي، لم تعد الوزارة أكثر من هيئة استشارية للملك تتخذ فيها القرارات التي تحدد سياسة مملكته. لهذا السبب، تصرف الملك بشكل يتعارض مع النصوص القانونية والمنطق، حيث كان للنظام البرلماني دور حاسم في اختيار الوزراء، وقد وصل الأمر إلى أن الملك اختار جميع الوزراء، كما حدث مع عبد الإله في عام ١٩٢٥ عندما اختار وزارة نور الدين محمود.

نتيجة لذلك، أدى غياب الوزارة وضعف مجلس النواب إلى تركيز السلطة في يد الملك، مما أسفر عن ظهور نوع من البرلمانية ضمن نظام يركز السلطة. ومع ذلك، لا يمكن تحقيق النظام البرلماني إلا في إطار نظام توزيع السلطة أو "فصل السلطات"، الذي يفترض وجود علاقة أفقية بين الهيئات التي تمارس السلطة في الدولة. أما في العراق، فقد كانت العلاقة بين الهيئات التي تمارس السلطة عمودية، حيث يتواجد الملك في قمة الهرم، يليه الوزارة، ثم مجلس النواب في الأسفل. (فائز عزيز أسعد ، المصدر السابق ، ص ١٠-١١)

أن النظام البرلماني الذي عرفه العراق منذ عام ١٩٢٥ وإلى عام ١٩٥٨ هو انحراف دستوري وفعلي حقق فيه الملك هيمنته على الوزارة وعلى مجلس الأمة. (فائز عزيز أسعد ، المصدر نفسه ، ص ٣٢)

ثانياً : تدخل الحكومة في الانتخابات البرلمانية

بعد أن قامت السلطة التنفيذية بإعداد قائمة مرشحيها، اعتمدت على أساليب متنوعة للتأثير على الانتخابات بهدف ضمان فوز مرشحيها وإفشال مرشحي المعارضة الذين لم تتمكن من إبعادهم في مرحلة الترشيح. لا شك أن نظام الانتخاب غير المباشر الذي تم تطبيقه بموجب قانون انتخاب عام ١٩٢٤ وقانون عام ١٩٤٦ قد ساعد السلطة التنفيذية في ممارسة تأثيرها على العملية الانتخابية، حيث أتاح لها التأثير المباشر على عدد محدد من الناخبين المعروفين بـ "المنتخبين الثانويين". كما أن الإشراف الواسع الذي منحه قوانين الانتخابات للإدارات كان له دور كبير في تمكينها من التدخل في مراحل مختلفة من الانتخابات. فقد منح رؤساء الوحدات الإدارية، مثل المتصرف والقائمقام ومدير الناحية، دوراً في إعداد وتنظيم وتصحيح قوائم الناخبين، وبالتعاون مع المختارين، كانوا مسؤولين عن

مراقبة وإعلان انتهاء الانتخابات، حيث كان المتصرف هو من يوقع على محاضر الانتخابات. (فائز أسعد ، المصدر السابق ، ص ١٩٣)

إما قانون الانتخاب رقم (١١) لسنة ١٩٤٦ فقد منح وزير الداخلية والأجهزة التابعة له إعداد قوائم الناخبين الذكور، كما أتاح للإدارة فرصة جديدة للتدخل من خلال منحها صلاحية قبول طلبات الترشيح واستلام التأمينات خلال فترة زمنية محددة. أما قانون الانتخاب رقم (٥٣) لسنة ١٩٥٤، فقد ألزم هيئة التفتيش، التي تُعتبر الهيئة المشرفة على الانتخابات، بالاستناد إلى رأي الموظف الإداري، بل تجاوز الأمر إلى منحها السلطة في تشكيل لجان التفتيش. بالإضافة إلى ذلك، قام متصرف لواء بغداد في انتخابات عام ١٩٥٤ باستدعاء بعض المختارين إلى ديوانه الرسمي، حيث أخذ منهم أختامهم وتركهم في انتظار، ثم استخدم أختامهم لتوقيع قوائم تضم خمسة عشر عضواً من كل محلة كما يشاء. (فائز أسعد ، المصدر نفسه ، ص ١٩٥-١٩٦)

تدخلت الحكومة العراقية في الانتخابات من خلال فرض الأحكام العرفية، مما أدى إلى تقييد حرية المرشحين والناخبين. وفي هذا السياق، قدم الحزب الوطني الديمقراطي مذكرة إلى رئيس الوزراء بشأن الانتخابات البرلمانية التي جرت في ٢٢ يونيو ١٩٤٨، حيث قال فيها: "منذ أن أعلنت الأحكام العرفية في العراق فرضت الرقابة على وسائل النشر في ١٥ مايس ١٩٤٨ ، وأخذت بعض السلطات الحكومية تستغل المجالس العرفية في وجهة هي غير الوجهة التي أنشأت هذه المجالس من أجلها ، فقد - استغلتها لتوجيه الانتخابات النيابية توجيهاً خاصاً لا يتفق مع حرية الانتخابات ومع المصلحة العامة بل تخالف الأنظمة والقوانين". (فاز عزيز أسعد ، المصدر السابق ، ص ١٩٨)

لم تخلُ معظم الانتخابات التي أُجريت في ظل النظام البرلماني العراقي من استخدام السلطة التنفيذية للتزوير كوسيلة رئيسية للتأثير على نتائج الانتخابات. وقد اتخذ هذا التزوير أشكالاً متنوعة، حيث تم رصد حالات من التلاعب أو التغيير في أعداد الناخبين. ومن الأمثلة على ذلك ما أدلى به الشاهد أمام المحكمة العسكرية العليا الخاصة : "رشت نفسي في الانتخابات الأخيرة في الموصل وكان هناك ثمانية عشر شعبة انتخابية كنت ناجحاً في خمسة منها ، فلما تبين ذلك للحكومة اضطرت أن تحشد التزييف في ثلاثة مناطق بحيث

يجعل عدد الناخبين فيها أكثر من نفوس البلد" ،في بعض الأحيان، يقوم موظفو الإدارة والهيئات المشرفة على الانتخابات بكتابة أوراق الاقتراع بأنفسهم عندما يمتنع الناخبون عن ممارسة حقهم الانتخابي، وذلك وفق التعليمات الواردة من الوزارة لاختيار أشخاص محددين. والأسوأ من ذلك، قد تُكلف الجهة المشرفة على الانتخابات بإتلاف أوراق الاقتراع الأصلية واستبدالها بأوراق أخرى تحتوي على أسماء مرشحي السلطة التنفيذية في صناديق الاقتراع. (فائز عزيز اسعد ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٢-ص ٢٠٣)

تدخلت السلطة التنفيذية في أكثر من صورة في الانتخابات البرلمانية ، وساهمت في مرحلة ترشيح للانتخابات ، وكان مرشحوها "قائمة مرشحي الحكومة(عبد الوهاب حميد رشيد ، المصدر السابق ، ص ١١٥) ،" كان يتم الاتفاق على تعيينهم من قبل الملك دون الحاجة إلى وزير الداخلية، وبمساعدة المستشار البريطاني ورئيس الوزراء. وكانت قائمة المرشحين تبقى محفوظة حتى يوم الانتخابات، حيث يتم إبلاغ المقصرين عبر الهاتف ويُطلب منهم بذل جهدهم لإنجاحها. (توفيق السويدي ، المصدر السابق ، ص ١٠٣) .

نستعرض هنا بعض الآراء التي أدلى بها عدد من السياسيين العراقيين، بما في ذلك الوزراء والنواب والشخصيات الوطنية، حول واقع الانتخابات البرلمانية العراقية خلال الفترة من ١٩٢٥ إلى ١٩٥٨، وهي فترة البحث ، ذكر محمد مهدي البصير حول موضوع الانتخابات كونه يعبر عن آراء أهم جناح من أجنحة المتفقين المجددين في أول تجربة برلمانية ، يقول البصير : "إن الحكومة اتخذت تدابير صارمة مكنتها من القيام بالمهمة ، فجرت الانتخابات والناس عنها لاهون معرضون" . (عبد الرزاق أحمد النصيري ، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٣٢، بغداد ، ، ٢٠١٢ ، ص ٣٤٧).

ومن جانب آخر ، أشار توفيق السويدي عن التزوير الذي حصل في الانتخابات البرلمانية وتدخل الحكومة في عام ١٩٢٥ ، وقال ما نصه : "الانتخابات انتهت بانتخاب المرشحين كانوا يتفق على تعيينهم الملك ووزير الداخلية ومن ورائه المستشار البريطاني ورئيس الوزراء ، وكانت قائمة الترشيح هذه تبقى مكتوبة حتى يوم الانتخابات إذ تبلغ بالتلفون إلى المتصرفين ويطلب منهم أن يبذلوا جهدهم لإنجاحها ، حتى إنه وقع أكثر من

مرة أن طلب من المرشح أن يعطي تعهداً خطياً يحفظ لدى رئيس الوزراء بأنه إذا انتخب نائب كمرشح من الحكومة إن يؤازر الحكومة ويبقى مؤزراً لها إلا إن استقالت فحينئذ يؤازر أية حكومة يأتي بها الملك" (نقلاً عن : حسين جميل ، المصدر السابق ، ص٦٣-٦٤) ، وإضافة إلى ذلك ياسين الهاشمي بقوله : "متى كانت الأمة حرة في إبداء رأيها في أي قضية من قضاياها المهمة" وأيد عطا الخطيب نائب الكوت وقوع تدخل من الحكومة في انتخاب النواب حيث قال : "أنا لا أعرف شخصياً واحداً في الكوت فإذا لم يقع تدخل من قبل الحكومة في انتخابي فمالي والكوت ، ومن أين يعرفني أهل الكوت" . (حسين جميل ، المصدر نفسه)

إن سمة التزوير ظلت ملازمة للدورات الانتخابية وهذا ما أكده جعفر أبو التمن في مذكرته عن انتخابات مجلس النواب عام ١٩٣٠ ، كانت كاذبة وصورية ، وقال : "إن الشعب أكثر أنحاء البلاد قد قاطع الانتخابات" وذلك تضافرت الحكومة جمهورها من أجل التصديق على معاهدة ١٩٣٠ ، وأكد ناجي شوكت في حديث له حول الانتخابات التي أجراها أن تأخذ الحكومة تعهدات من المرشحين والنواب وبالفعل أخذنا منهم تعهداً يقضي بتأييد الحكومة وإسنادها قدمه جميع النواب (حسين جميل ، المصدر نفسه ، ص٦٥)، وكذلك تحدث علي جودت الأيوبي عن تدخل الحكومة في الانتخابات ، وقال : "إن النيابات كانت أقرب إلى التعيين منها إلى الانتخابات" . (عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص٣٦)

ذكر نوري السعيد في خطابه الذي ألقاه على مسامع مجلس النواب بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٤٤م ، مذكراً إياهم بأنهم جاؤوا إلى هذا المكان بمباركة الحكومة قائلاً لهم " أناشدكم الله أن يخرج أحد نائباً مهما كانت منزلته في البلاد ، ومهما كانت خدماته في الدولة ما لم تأت الحكومة وترشحه ، فأنا أراهن كل شخص يدعى بمركزه ووطنيته فليستقل الآن ويخرج ونعيد الانتخاب ولا ندخله في قائمة الحكومة ، ونرى هل هذا النائب الرفيع المنزلة ، الذي وراءه ما ووراءه من المؤيدين يستطيع أن يخرج نائباً . (سعاد رؤوف شبر محمد ، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٤٥ ، مراجعة كمال مظهر أحمد ، ١٩٨٨ ، ص١٧٧).

لعبت وزارة الداخلية ومستصرفوا (ومحافظو) الأولوية دوراً بارزاً في تزوير سير العملية الانتخابية لصالح قوائم وأفراد مثلت الحكم ، إذ تدخل مصطفى العمري وزير الداخلية ، وأصدر إيعازاته إلى المتصرفين في الأولوية ، الموظفين الإداريين في الأقضية والنواحي بتأييد مرشحي الحكومة ، وحين بلغت الشكوى رئيس الوزراء اصدر أوامره هاتفياً بحضور رئيس الوزراء محمد الصدر إلى المتصرفين ، وقال لهم : "إني أتكلم وبحضور فخامة رئيس الوزراء وانكر لكم أوامري السابقة بضرورة ترك الانتخابات تجري بكل حرية" وقد فهم المتصرفون إن وزير الداخلية لا يزال الرجل القوي ، فطبّقوا الخطة التي أرادها الوزير . (عقيل الناصري ، الجيش والسلطة في العراق الملكي ١٩٢١-١٩٥٨ ، دمشق ، ٢٠٠٠ ، ص ١٦٤)

ومن أوجه تدخل الحكومة في الانتخابات ، هو طريقة صعود النواب بالتركية الذي يعد انتهاجاً صارخاً للمبادئ الديمقراطية في العراق ، وعَلّق أحد الأكاديميين على موضوع التركيبة بهذا الشكل ، وكلنا نذكر مجالس التركيبة التي عرفها العراق في السنوات الأخيرة من العهد السابق (العهد الملكي) تلك التركيبة التي لم تكن وليدة ثقة الشعب بالمرشحين للنياحة ، بل كانت سببها تدخل الحكومات في الانتخابات واضطهادها مرشحين المعارضة وإرهابهم بكل الطرق الغير مشروعة ، لإجبارهم على سحب ترشيحاتهم وبذلك يخلوا الجو لأنصارها للفوز بالتركية. (نقلاً عن : عادل تقي عبد البلداوي ، المصدر السابق ، ص ١٨)

ينبغي أن نشير إلى أن الانتخاب غير المباشر (الانتخاب على مرحلتين) ، قد سوغته السلطة الحاكمة في حين نتابع ما قاله أحمد مختار بابان الذي يعد واحداً من أبرز أقطاب النظام الملكي في العراق بهذا الشأن : "ولا ينكر أن الانتخابات على درجتين كانت طريقة قديمة أخذت من الأسلوب التركي العثماني ، لكنني سمعت مراراً من المرحوم نوري السعيد ومن غيره من كبار المسؤولين أيضاً ، القول : نحن واجبنا في فترة من الزمن أن نعلم الشعب العراقي الحياة الديمقراطية ، أو نعوّده عليها ومن ثم يترك حراً" ، إلا أن هذا التسويغ لم تقتنع به المعارضة الوطنية أبداً فقد انتقد كامل الجادرجي العمل بطريقة انتخاب غير المباشر أي انتخابات على درجتين ، لأن العمل بها يفسح المجال بطبيعة الحال للتلاعب والغش والإغراء. (عادل تقي البلداوي ، المصدر السابق ، ص ٢٠)

ذكر أحد مرشحي انتخابات عام ١٩٥٤ وقال نوري جعفر المرشح عن حزب الأمة الاشتراكي "إن الحكومة التي تعاقب بعض أفراد الشعب لقيامهم بعمليات تزوير تافه وخيانة بسيطة للأمانة والشرف تسمح لنفسها أن تقوم بعملية تزوير على نطاق كبير من أخطر قضايا الحكم في البلاد" ، ويذكر إنه رفع مذكرة إلى مجلس النواب بتاريخ ١٥ تموز ١٩٥٤م كان عنوان المذكرة "وقائع تزوير انتخابات النواب في القرنه" (عادل تقي البلداوي ، العراق دراسة تاريخية وثائقية في الفكر السياسي المعاصر ، مراجعة كمال مظهر أحمد ، سوريا ، ٢٠١٤ ، ص ١٢٧)

ويقول عبد المجيد الجميلي أحد مرشحي الجبهة الوطنية في انتخابات عام ١٩٥٤ "إن الأوراق التي كانت تحمل اسمي واسم غيري أفرغت أو ملئت الصناديق بأوراق تحمل اسم خليل كنه ، وعبد العزيز العريم" (فائز عزيز أسعد ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣) وكذلك وحف مجلس النواب في وثيقة رسمية عراقية مجلس مزور . (عبد الله شاني عهول ، دراسات تحليلية في تاريخ العراق المعاصر ، تقديم كمال مظهر أحمد ، بغداد ، ٢٠٠٩ ، ص ٧٢)

المبحث الرابع : ضعف دور المجلس النيابي في العهد الملكي ١٩٢١-١٩٥٨

ضعف دور المجلس النيابي

أن وجود تأثير متبادل بين الوزارة والبرلمان هو جوهر النظام البرلماني إذ به تتحقق حاله التوازن بين هاتين المؤسستين الدستوريين ، وقد أوجد دستور ١٩٢٥ العراقي وسائل مختلفة لتحقيق التوازن بين الوزارة ومجلس الأمة (مجلس الأعيان ومجلس النواب) منحت أولهما إلى الوزارة ، والأخرى إلى مجلس النواب دون مجلس الأعيان ، وهما حق الوزارة في حل مجلس النواب وقدرة مجلس النواب على حجب الثقة عن الوزارة ، عن طريق ممارسة المسؤولية السياسية التضامنية "وأحياناً الفردية" مما يؤدي إلى استقالة الوزارة.

إلا أن التطبيق العملي للنظام البرلماني العراقي عكس حالة اختلال التوازن في ممارسة هاتين الوصيلتين ، ففي حين غالت الوزارة في حل مجلس النواب ، وعجز هذا الأخير عن ممارسة المسؤولية السياسية للوزارة . (فائز عزيز أسعد ، المصدر السابق ، ص ٢٠٦-٢٠٧)

تألف في العهد الملكي مذ اجتمع أول مجلس النواب في بغداد في ١٦ تموز ١٩٢٥ إلى ١٤ تموز ١٩٥٨ ستة عشر مجلساً ، وقامت ثلاثة وخمسون وزارة ، وإن مجالس النواب الستة العشر لم تقرر مرة واحدة حجب الثقة عن وزارة من الوزارات في العهد الملكي ، ولا عن وزير واحد من الوزراء الذين تألفت منهم تلك الوزارات. (حسين جميل ، المصدر السابق ، ص ٧٤)

وفق الدستور العراقي حل مجلس النواب ، حق الملك من خلال المادة (٢٧) منه التي نصت "يستعمل الملك سلطته بإرادات ملكية تقرر بناءً على اقتراح الوزير أو الوزراء المسؤولين وبموافقة رئيس الوزراء ويوقع عليها من قبلهم" (فائز عزيز أسعد ، المصدر السابق ، ص ٢١٢)

حين نرى أن الكثير من رؤساء الوزراء موافقة الملك فيصل الأول مسبقاً على حل مجلس النواب كشرط لقبوله تأليف الوزارة الجديدة ، مثل ما فعل عبد المحسن السعدون في تشكيل وزارته في ١٤ كانون الثاني ١٩٢٨ (عبد الرزاق الحسني ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٤) ، وايضاً حل مجلس النواب في ٨ تشرين الثاني ١٩٣٢ بناءً على رغبة شخصية الملك فيصل الأول ، وقد اظهر هذه الرغبة لرئيس الوزراء ناجي شوكت قبل تبليغه له بتأليف الوزارة بحوالي ثلاثة أشهر ، وكذلك الحالة حل مجلس النواب العاشر فقد حل في ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٦ تنفيذاً لفكرة عبد الإله الوصي على العرش ، لذلك فإن الوزارة التي تشكلت برئاسة نوري السعيد ٢١ تشرين الثاني لم تمارس في الحقيقة إلا عملاً شكلياً عندما قررت في يوم تأليفها حل مجلس النواب وكذلك الحال ، في حل مجلس النواب الثالث عشر في ٢٩ نيسان ١٩٥٤ ففكرة الحل كانت مقررة من قبل الملك فيصل الثاني قبل تأليف وزارة أرشد العمري ، التي كانت قد تألفت في اليوم نفسه الذي أصدرت فيه قرار الحل. (فائز عزيز أسعد ، المصدر السابق ، ص ٢٢٣)

أن فكرة تحديد أو تعدد أسباب حل مجلس النواب لم تكن قابلة لأن يؤخذ بها ، وهذا ما مكن الوزارة من المغالاة بل التعسف في استعمال حق الحل ، حيث لم تعدم اختلاف الأسباب التي تبرر بها لجوءها إلى حل مجلس النواب ، وهكذا تمكنت من حل اثني عشر مجلساً استناداً إلى "فكرة التوازن بين الوزارات ومجلس النواب" ، فكانت تعلن في إرادات

لحل هذه المجالس من أسباب ظاهرية ، كالرجوع إلى رأي الأمة ، أو لفقدان التآزر بين الوزارة ومجلس النواب ، لقد حلت ثمانية مجالس استناداً إلى سبب الرجوع إلى رأي الأمة ، وهي المجلس الأول والثاني ، والثالث والرابع ، والسابع والعاشر ، والحادي عشر والرابع عشر ، أما المجالس الأربعة الأخرى وهي المجلس الخامس والسادس ، والثامن والثالث عشر ، فقد حُلت لأن الوزارة شعرت بانعدام التآزر بينها وبين هذه المجالس.

لجأت بعض الوزارات إلى حل مجلس النواب بقصد تكوين أغلبية للوزارة ، مثلما فعلت وزارة **علي جودة الأيوبي** التي حلت المجلس الرابع في ٤ أيلول ١٩٣٤ من أجل تكوين أغلبية مؤيدة لها في مجلس النواب ، لأنها تألفت في ظل مجلس يضم بقايا أو شتات كتلة **ناجي شوكت** رئيس الوزارة السابقة لها.

بل حل مجلس النواب من قبل الوزارة ، من أجل التخلص من معارضة بعض النواب ، وهذا ما حدث في حل مجلس الرابع عشر من قبل وزارة **نوري السعيد** المؤلفة في ٣ آب ١٩٥٤ في يوم تأليفها ، مع إن المجلس لم يكن قد اجتمع غير مرة واحدة في ٢٦ تموز ١٩٥٤ فكان السبب الحقيقي لحل مجلس النواب هو التخلص من أحد عشر نائباً من أعضاء الجبهة الوطنية الذين تمكنوا من الفوز في الانتخابات ، واصبحوا أعضاء في مجلس الرابع عشر مما أثار استياء البلاط وغضب **نوري السعيد** الذي رغم حيازته (٥١) مقعداً من أصل (١٣٥) ، لم يكن مطمئناً من وجود هذه العناصر الوطنية. (فائز عزيز أسعد ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤-٢٢٩)

أما مجلس النواب العراقي فقد عجز عن استعمال حق دستوري اتجاه الوزارة ، وبتعبير آخر إن المسؤولية السياسية تعني إن الوزارة إذا ما اتجهت في سياستها اتجاهاً مغايراً لرغبة البرلمان ، فإن للأخير القدرة على حجب ثقة عنها ، فتضطر إلى الاستقالة.

ويوجب دستور ١٩٢٥ العراقي أخذ بفكرة المسؤولية السياسية للوزارة الفردية والتضامنية ، وحصر استعمالها لمجلس النواب فقط دون الأعيان ، إلا أن الواقع أظهر عجز هذا المجلس عن استعمالها في الوقت ذاته الذي تمكن فيه كل من الملك ومجلس الأعيان من جعل الوزارة مسؤولة من الناحية الواقعية أمامها فالمسؤولية السياسية تحولت من

يد مجلس النواب إلى يد الملك ومجلس الأعيان. (فاز عزيز أسعد ، المصدر المصدر نفسه ، ص ٢٣٢)

على الرغم من أن المادة ٦٦ من دستور ١٩٢٥ وقفت مجلس النواب ، عن تحريك المسؤولية السياسية للوزارة ، إلا أن التاريخ في العهد الملكي في العراق لم يقدم لنا أية ممارسة لهذه المسؤولية ، وإذا كانت الوزارة في العراق قد غالت في حل مجلس النواب ، فإن الأخير لم يحجب ثقته من ايه وزارة ولكن استطاع أحياناً أن يسهم في إضعاف الوزارة ومثال على ذلك ، عندما قدم **عبد المحسن السعدون** استقالة وزارته في تشرين الثاني ١٩٢٦ بعد أن انتخب مجلس النواب مرشح المعارضة **رشيد عالي الكيلاني** لرئاسة المجلس بدلاً من **حكمت سليمان** مرشح الوزارة ، إذ اعتبر **عبد المحسن السعدون** موقف مجلس النواب نوعاً من عدم الثقة بوزارته.

لم يكن عجز مجلس النواب عن تحريك المسؤولية السياسية راجعاً إلى حله باستمرار فحسب ، بل هناك سبب آخر ، وهو إسناد الملك للوزارات وما نتج عنه من تهيب مجلس النواب من حجب الثقة عن الوزارة المتمتعة بثقة الملك. (فاز عزيز أسعد ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢)

ولقد كان هناك اتجاه عام مسيطر على القوى السياسية المختلفة ، بقاء أية وزارة تستند أساساً إلى ثقة الملك ، فعلى الرغم من إن أكثرية أعضاء مجلس النواب عارضت وزارة **ياسين الهاشمي** المؤلفة في ٧ آذار ١٩٣٥ وأعلنت عدم تأييدها لها بصورة مطلقة ، فإنها لم تحاول ممارسة حقها الدستوري في حجب الثقة عن هذه الوزارة بل ذهبت إلى الملك **غازي** وطالبته بإقالتها ، في وقت لم يكن فيه هذا الحق ، إلا أن الملك رفض إقالتها ، ووافق على حل مجلس النواب. (فاز عزيز أسعد ، المصدر نفسه ، ص ٢٤٢)

إلا أن مجلس الأعيان مارس مسؤولية الوزارة أمام مجلس الأعيان ، والنموذج على ذلك هو قدرة مجلس الأعيان على مواجهة الوزارة والإسهام في إسقاطها ، هو ذلك الموقف الذي وقعه سبعة من أعضاء هذا المجلس ضد وزارة **توفيق السويدي** المؤلفة في ٢٣ شباط ١٩٤٦ عندما قاطعوا حضور جلسات مجلس الأعيان للإخلال بنصاب الاجتماع ،

وتعطيل أعمال الوزارة مما إضطرها إلى الاستقالة ، إلا أننا يجب أن لا نغفل إسناد عبد الإله الوصي على العرش لهؤلاء الأعيان.(فائز عزيز أسعد ، المصدر السابق ، ص ٢٤٤) ونورد هنا بعض ما قاله نواب ووزراء ورؤساء وزارات ينعون على المجالس النيابية تقصيرها في تقرير المسؤولية الوزارية أمامها ، وضعف في المجالس النيابية وعجزها عن القيام بمهامها الدستورية ، ومن ذلك فرض رقابتها الجدية على السلطة التنفيذية وتقرير مسؤولية الوزارة والوزراء أمامها ، وأشار الشيخ حسن السهيل نائب بغداد في هذا الخصوص بقوله : "جرت مخالفات دستورية وعندما تأتي هذه الحكومة بهذه المخالفات إلى مجلس النواب يصوت عليها النواب بالعفو ، فهذا أضعف فلا تلوموني إذا قلت حاسبوا الوزراء واسحبوا الثقة منهم ، لأن كل عمل إذا لم يحاسب عليه فاعله ولا يعاقب عليه فيصبح أمراً اعتيادياً" (نقلاً عن : حسين جميل ، المصدر السابق ، ص ٨٧) ، وفي هذا المضمون قال توفيق السويدي وهو نائب ورئيس وزراء في العهد الملكي "اصبحنا نعتقد أنها متآتية من الدستور، ولكن أشار إلى أن الحقيقة أتت من سوء التطبيق ، وضياح مراقبة المجلس ، وعدم استعمال سلطاته وأضعافه بشكل لا يمكنه عن محاسبة الحكومة" ، وأضاف إلى ذلك عبد الكريم الآزري وهو نائب مجلس النواب في جلسة المنعقدة في ١٧ تشرين الأول ١٩٤٣ "إن الصلاحية التي كانت لهذا المجلس في إقالة الوزراء اوسحب الثقة عنها كانت حبراً على ورق"

وقال النائب محمد رضا الشبيبي "هزلت الأوضاع التشريعية منذ سنة ١٩٣٠ وذلك بسبب كثرة عوامل الحل والتأجيل وتعدد الانتخابات بدون التفات إلى القواعد الدستورية ، إلا إنه عجزت المجالس عن أداء وضعف وظائفها حسبما عينها القانون الأساسي وحسبما تفعله مجالس العالم في مقارعة رجال الحكم ومحاسبتهم ونزع الثقة منهم إذ بدرت منهم بوادر الاستئثار والطغيان" ، ولولا ضعف هذه المجالس لما تأمر الجيش على رجال الحكم ولما تعددت حوادث التمرد ، ولولا هزال الأوضاع التشريعية لما وجد النفعيون سبيلاً إلى اقتناء الثروات الطائلة من وجوه غير مشروعة قط ، ولما انتشر البؤس والفاقة"

وقال محمد حديد نائب في مجلس النواب في جلسته ٢١ كانون الأول ١٩٤٨ عن الأوضاع السياسية وسلطات المجالس حيث قال : "الأوضاع السياسية التي تسود البلد

ناشئة عن فقدان الرقابة والسيطرة على السلطة التنفيذية من قبل مجلس ينتخب انتخاباً صحيحاً" (نقلا عن : حسين جميل ، المصدر السابق ، ص ٩٠-٩١)

أدت العوامل المذكورة ، إلى إضعاف وانحطاط الحياة البرلمانية في العراق ، فلم يعد البرلمان مركز الثقل في الدولة والإدارة المهيمنة على السلطة التنفيذية ، كما هو الحال في البلدان البرلمانية الديمقراطية بل صار بفعل تلك العوامل مؤسسه سياسية ثانوية شبه حكومية. (عباس عطية جبار ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤)

أهم المظاهر السلبية والمعوقة للعملية الديمقراطية في العراق خلال العهد الملكي ذاكراً منها على سبيل المثال لا الحصر مسألة تزوير الانتخابات النيابية وضعف السلطة التشريعية أمام السلطة التنفيذية وهيمنة الملك على مجلس الأمة. (نوري عبد الحميد وآخرون ، التجربة الديمقراطية والبرلمانية في العهد الملكي ، بغداد ، العدد ٢١ ، ٢٠٠٩ ، ص ١٢٠)

إن ضعف مجلس النواب أدى إلى تركيز السلطة الفعلية في يد الملك وهيمنته على السلطات الثلاث في سياق انحراف النظام البرلماني العراقي دستورياً وعملياً ، مؤدية هذه الظاهرة إلى خلق ملكية شبه مطلقة لا تختلف عن الملكية المطلقة سوى بوجود برلمان مزيف. (عبد الوهاب حميد رشيد ، المصدر السابق ، ص ١١٦)

الخاتمة

كان للملك هيمنة واضحة على مجلس النواب ، وعلى الرغم من أن مجلس النواب كان يتكون عن طريق الانتخاب ، إلا إن الانتخاب كان شكلياً ظاهرياً لإضفاء الطابع الديمقراطي على تكوين المجلس ، ولكن في حقيقة الأمر إن السلطة التنفيذية "الملك والوزارة" كانت تختار النواب عن طريق ما سمي بقوائم الترشيح الحكومية التي كان فوزها مضمون بفعل أساليب التأثير المختلفة التي مارسها الحكومة العراقية في الانتخابات النيابية.

لم يشهد التاريخ البرلماني العراقي أية محاولة لتحريك المسؤولية السياسية للوزارة أمام مجلس النواب ، بل على العكس من الوزارة التي أكترت في حل مجلس النواب ، وبالتالي كانت من الأسباب التي عجزت هذا المجلس عن أداء وظيفته الرقابية ، أو محاسبة الوزارة ، على أن أكثر الوزارات عمدت إلى حل مجلس النواب أما تنفيذاً لرغبة الملك ، أو لتكوين أغلبية خاصة في مجلس النواب ، أو للتخلص من المعارضة في هذا المجلس.

أصبحت المجالس النيابية خاضعة للوزارة وباتت تبحث كسب رضا الوزارة بدلاً من محاسبتها ، ووفق ما جاء في الدستور العراقي ، وإن النظام البرلماني العراقي أقام علاقة متدرجة في التنمية بين هيئاته الثلاثة ، فهناك مجلس النواب مسؤول أمام الوزارة ، وهناك وزارة مسؤولة أمام الملك الذي ركز السلطة بين يديه ، وإن النظام البرلماني العراقي ١٩٢٥-١٩٥٨ فيه انحراف دستوري فعلي حقق الملك فيه هيمنته على الوزارة وعلى مجلس الأمة.

قائمة المصادر

أ_ الكتب العربية

١. توفيق السويدي ، مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٠.
٢. حسين جميل ، الحياة النيابية في العراق ١٩٢٥-١٩٤٦ موقف جماعة الأهالي منها ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٩٨٣ .
٣. رعد ناجي الجدة ، التطورات الدستورية في العراق ، بيت الحكمة ، ٢٠٠٤.
٤. رياض مهدي محمد ، سياسة العراق الخارجية في ضوء محاضر مجلس النواب العراقي ١٩٢٥-١٩٣٩ ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ٢٠١٦ .
٥. سعاد رؤوف ستير محمد ، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٤٥ ، مراجعة : كمال مضر أحمد ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ .
٦. عادل تقي عبد البلداوي ، الانتخابات النيابية في العراق انتخابات حزيران عامي ١٩٤٨-١٩٥٤ ، نموذجاً دراسة وثائقية جديدة ، مراجعة : كمال مضر أحمد ، بغداد ، ٢٠١٢ .
٧. عادل تقي عبد البلداوي ، العراق دراسة تاريخية وثائقية في الفكر السياسي المعاصر ، مراجعة : كمال مضر أحمد ، سوريا ٢٠١٤ .
٨. عبد الرزاق أحمد النصيري ، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٣٢ ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ٢٠١٢ .
٩. عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، الجزء الرابع ، الطبعة السابعة ، دار الشؤون الثقافية العام ، بغداد ، ١٩٨٨.
١٠. عبد الوهاب حميد رشيد ، العراق المعاصر ، دمشق ، ٢٠١٢.
١١. عبد الله شاني عجول ، دراسات تحليلية في تاريخ العراق المعاصر ، تقديم : كمال مضر أحمد ، بغداد ، ٢٠٠٩ .

النظام البرلماني العراقي في العهد الملكي (١٩٢١-١٩٥٨)

١٢. عقيل الناصري ، الجيش والسلطة في العراق الملكي ١٩٢١-١٩٥٨ ، الطبعة الأولى ، دمشق ، ٢٠٠٠ .

١٣. علاء حسين الرهيمي ، المعارضة البرلمانية في العراق في عهد الملك فيصل الأول دراسة تحليلية ، بغداد ، ٢٠٠٧ .

١٤. فائز عزيز أسعد ، انحراف النظام البرلماني في العراق ، قدم له : منذر الشاوي ، الطبعة الثانية ١٩٨٤ .

١٥. فاضل حسين ، الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤-١٩٥٨ ، جامعة بغداد ، ١٩٨٤ .

١٦. محمد عزيز ، النظام السياسي في العراق ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٤ .

١٧. محمد مظفر الأدهمي ، العراق تأسيس النظام الملكي وتجربته البرلمانية تحت الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢ مكية الذاكرة ، بغداد ، ٢٠٠٩ .

١٨. محمد مظفر الأدهمي ، المجلس التأسيسي العراقي ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٨٩ .

١٩. مجيد خدوري ، نظام الحكم في العراق بغداد ١٩٤٦ .

ب_ الرسائل والأطاريح الجامعية

١. عباس عطية جبار ، الحياة البرلمانية في العراق ١٩٣٢-١٩٣٩ ، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٢ .

ج_ البحوث المنشورة

١_ نوري عبد الحميد وآخرون ، التجربة الديمقراطية البرلمانية في العهد الملكي ، دراسة تاريخية ، مجلة ، بغداد ، العدد ٢١ ، ٢٠٠٩ .

"تلال الفردوس في مصر القديمة"

يوسف ابراهيم عباس سلمان
أ.م.د. بشرى عناد محمد الخليلي
قسم التاريخ / كلية الآداب
جامعة بغداد

" تلال الفردوس في مصر القديمة "

يوسف ابراهيم عباس سلمان

أ.م.د. بشرى عناد محمد الخليلي

الملخص:

أن الفكر المصري القديم تميز بنظره ثاقبة حول العالم السفلي الذي سينضم إليه بعد موته، ولهذا أبدع في تدوين نوع من النصوص الجنائزية وعمل على إدراج أفكاره عن ما هي طبوغرافية العالم السفلي وأقسامه وسكانه، وجاء تقسيم هذه الأقسام الطبوغرافية في العالم السفلي إلى التلال وتعلل النصوص بأنها جزء من الفردوس (الجنة)، ويكمن أهمية الموضوع في طيات نصوص (الأهرامات) وكتاب (الموتى)، لكونها نصوص وضعت من أجل أرشاد الموتى لطرق والمسالك في العالم السفلي، فالوصف الدقيق لهذه التلال والطبيعة الطبوغرافية في الفردوس هي الصورة الحية التي عكست ما ابدعته العقلية المصرية، وهذا الوصف يكاد يكون مطابق لما هي عليه الطبوغرافي لسطح مصر، المتمثلة بأراضي خصبة تمثلت بمصر العليا (الوجه القبلي) والجزء الثاني عرف بمصر السفلى (الوجه البحري) ومن خلاله يجري نهر النيل، وعلى جانبي النهر فاضت الأراضي بالزراعة التي لم يتغافل عنها الفكر المصري، فضلاً عن طبيعة التلال المتواجدة بكثرة في مصر العليا.

الهدف من هذه الدراسة "تلال الفردوس في مصر القديمة" هي الإطلاع الكامل على قسم من أقسام الفردوس المتمثلة بالتلال التي جاء ذكرها في نصوص (الأهرامات)، فضلاً عن الفصل ١٤٩ من كتاب (الموتى) الذي يعود تدوينه إلى عصر الدولة الحديثة (١٥٨٠ - ١٠٨٥ ق م)، تم تدوين فيه أربعة عشر من التلال وما يحتويه.

الكلمات الإفتاحية: التلال، نصوص (الأهرامات)، كتاب الموتى، الفردوس، الإيثارو، الحتب، العالم السفلي.

" Paradise Hills in ancient Egypt"

Yosuef Ibrahim Abbas

youseflbrahim33300@gmail.com

Asist.Prof.Bushra Enad Mohammed

Bushra.m@cort.uobaghdad.ed.iq

DEPARTMENT OF HISTORY /COLLEGE OF
ARTS/UNIVERSITY OF BAGHDAD DOI:

Abstract:

Ancient Egyptian thought was distinguished by its insight into the underworld that he would join after his death, and for this reason he was creative in creating a type of funerary texts and worked on writing down his listed ideas about what the topographic underworld is, its sections, and its inhabitants. These topographical sections of the underworld were divided into hills and the texts explain it. It is part of Paradise (Paradise), and the importance of the topic lies in the texts of the Book of the Dead, as they are texts for guiding the dead on the paths and paths in the underworld. The precise description of these hills and the topographical nature in Paradise reflected the living image of what the Egyptian mentality created, and this description is almost identical to what the topography of the surface of Egypt is, represented by fertile lands from Upper Egypt (Upper Egypt) to Lower Egypt (Upper Egypt), with the Nile River flowing through it. On both sides of the river are crops that Egyptian thought did not ignore, in addition to the hills that are abundant in Upper Egypt.

The aim of this study, "Paradise Hills in Ancient Egypt," is to examine the hills that constitute the topographical component of Paradise's sections. They were mentioned in Chapter 149 of the Book of the Dead, whose recording dates back to the era of the New Kingdom (1580-1085 BC), in which four were recorded. Ten of the hills and what they contain.

Keywords : Hills, Book of the Dead, Paradise, Iaro, Hotep, Underworld.

المقدمة:

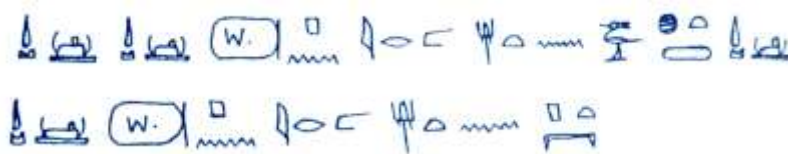
من اجل الإطلاع على البنية التحتية الطبوغرافية الفردوس (الجنة)^(١) في العقلية المصرية القديمة، لا بد من التوغل في النصوص المصرية القديمة ومنها متون (الأهرامات) ومتون (التوابيت) وكتاب (الموتى) والاستدلال عن مفهوم الفردوس في النصوص المصرية القديمة جاءت بصيغة متعارف عليه  (shṭ-i3rw) (سخت-إيارو) وترجمته بـ(حقل المستنقع) وهذه الترجمة أطلقت على مستنقعات الخصبة الوفيرة النماء الواقعة على ضفاف نهر النيل للأعتقاد المصري القديم بأن الفردوس تقع في الدلتا (الوجه البحري)^(٢).

هناك رأي يرجح (shṭ-i3rw) تعني (حقل السمار) الذي يعتقد بأنه مركز الفردوس في العالم السفلي لكون هذا المدلول جاء بناءً على أسم نبات (السمار) الذي يكثر زراعته في الدلتا (الوجه البحري) فهو عبارة عن وادٍ تخيله المصري القديم بأن الأرواح الموتى (الأبرار) يكون مستقرها الأبدي في هذا الحقل^(٣).

البديهي في الأمر، هناك مصطلح آخر يدل على الفردوس جاء تدوينه في النصوص المصرية القديمة ويعرف بـ(shṭ-htp) (حقل حتب) ويترجم بـ(حقل القرايين)^(٤).

وهناك اختلافات عدة في الآراء حول موقع لهذين الحقلين (الإيارو) و(الحتب) منفصلان أو مسمى لمكان واحد، فهناك رأي يفسر بأن حقل (إيارو) و(حتب) يمثلان المركز الرئيسي لـ(فردوس)، و يسعى إليه المصري القديم بمعنى أنهما بمكان واحد، ويكمل رأيه بأن حقل (الحتب) هو الأسم الثاني لـ(حقل الإيارو) ويوثق ذلك من خلال النص الآتي: "حقل الإيارو مفاض، حقل الحتب المملوء بالمياه"^(٥) على ما يبدو أنه أعطى الكشف عن طبيعة حقلين (إيارو) و(حتب) وجُد في النص ما يستدل على وجود القنوات المائية^(٦) إلا أن النص لم يحدد موقع لهذين الحقلين (إيارو) و(حتب).

على العموم هناك نص يستدل على موقع لهذين الحقلين في تعويذة المرقمة بـ(٢٦٣) من نصوص (الأهرامات) يذكر موقع حقل (الإيارو) على الجهة الشرقية من السماء السفلية، كما جاء في النص التالي:



"d3d3 w pnjr gs j3bt n 3ht d3d3 w pn jr gs j3bt npt"^(٧).

ترجمته: "من المؤكد أوناس^(٨) سينتقل إلى الجهة الشرقية من السماء السفلية، من المؤكد سينتقل إلى الجهة الشرقية"^(٩).

وبمقابل يظهر الموقع الطبوغرافي حقل (حتب) على جهة الجنوبية من السماء السفلية، ويؤكد ذلك النص إدناه:



"šspj .f n. f nst. f jmjt šht j3rw h3.f rf jr c rs (j) n šht htp"^(١٠).

ترجمته: "بعد أخذ عرشي في حقل القصب الأيارو، سأنزل إلى الجهة الجنوبية من السماء السفلية من حقل القرايين الحتب"^(١١).

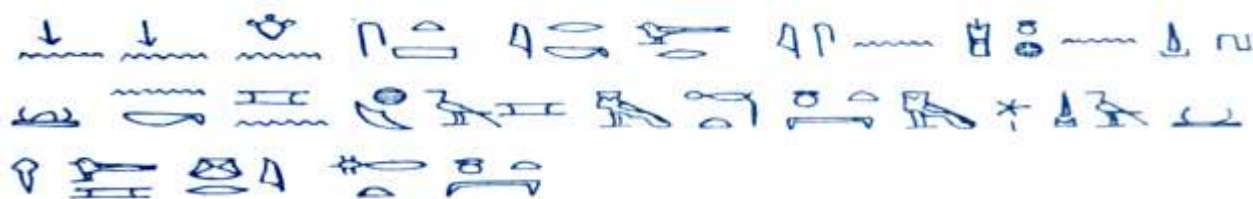
وطبقاً لما جاء في بعض نصوص (الأهرامات) تذكر بأن حقول (الأيارو) تقع بالقرب من القناة المائية أطلق عليه بـNh3 على جانب الشرقي منه^(١٢) كما جاء في النص، الآتي:



"ntrw jpw d33w tp dnh Dhwtj jrpj gs n mr Nh3 ir gs j3bt n pt"^(١٣).

ترجمته: "يتم نقل هذه الآلهة على جناح تحوتي^(١٤) إلى الجانب الشرقي من القناة Nh3 المتعرج من السماء"^(١٥).

وتذكر النصوص المصرية القديمة القناة المائية Nh3 وجُد بأكثر من موضع، ويستدل ذلك من خلال النص الآتي:



"snsn.n st jr. K wr js n jwnw n nmj.n k mr Nh3 m mht nwt m dw3t d3
w3d- wr hrj -ht nwt"⁽¹⁶⁾ .

ترجمته: "ست يا عظيم هليوبوليس"⁽¹⁷⁾، لقد سافرت عبر الممر المائي المتعرج في شمال
نوت كالنجم الذي يعبر فوق المحيط الذي يقع تحت جسد نوت"⁽¹⁸⁾.

مما أعطى المصري القديم المبرر لإستكماله ولهذا نسبوا حقلين (الإيارو) و(حتب)
موطنهم هي مدينة هليوبوليس (آون) لكونها مركز عبادة الإله (رع) فهو يُعد من الحكام
الأوائل في مصر القديمة الذي أتم ملكه بالعدالة والمساواة إلا أنه تخلى عن حكمه وألتحق
بحقول (الإيارو) و(حتب) إلى العالم العلوي (السماوي) وهنا أصبح المكان هو السماء العلوي
(الفردوس) الذي يكون فيه الملك بأعتباره يمثل أبن الإله (رع)، أما عامة الشعب على
الأرض هي مدينة هليوبوليس (آون)⁽¹⁹⁾.

ويستدل حقيقة ذلك من الكتابات المادية ومنها نصوص لـ(الأهرامات) تُعلل مكانة
الحاشية الملكية في العالم السفلي بوصفهم أتباع الملك وأنتماءهم هو العالم العلوي
(السماوي) فالمتوفى من ملوك نهايته (الفردوس) في العالم السماوي لكونهم أبناء الآلهة
وبالمقابل كان عامة الشعب مأواهم الأرض⁽²⁰⁾.

وهذه العقيدة أرتبطت مباشرة بالإله (رع) كان ظهورها في عصر الدولة القديمة عهد
الأسرة الخامسة (٢٥٦٠-٢٤٢٠ ق.م)⁽²¹⁾ وجاءت هذه العقيدة أن أرواح الموتى (الملوك)
تمر بسلام إلى العالم السفلي من خلال التراتيل السحرية وهي مناشدة الطاعة وخضوع
للآلهة⁽²²⁾ من أجل السماح لهم بصعود إلى مركب الإله (رع) ومرافقته بالعالم السفلي، معللاً
ذلك دخولهم إلى مروج السماء والتنعم بالخلود (الفردوس) مع الإله (رع) وبمقابل جاءت
مفاهيم تلك العقيدة للأسرة الملكية وأتباعهم وحاشيتهم حصراً⁽²³⁾.

ويمكن تُعليل تلك العقيدة من خلال النصوص المصرية القديمة في عصر الدولة القديمة
ومحتوائها عن الملك (المتوفى) لديه القدرة على الولادة من جديد بهيئة النجوم، لكونها يُعدها
المصري القديم بأنها من الرموز المقدسة والثابتة لإعتقادهم أن النجوم متواجدة بكثرة في
السماء بهيئة ملوكهم وانهم أنتقلوا إلى السماء بشكل النجوم بعد الموت⁽²⁴⁾ ومكان الذي
يقيمون فيه هو الجهة الشرقية من السماء وملاحظتهم هذه الجهة فيها مجموعة من النجوم

الثابتة فأطلقوا عليه بـ(النجوم الخالدة) مُعللين مكان النعيم (الفردوس)، إذ يعيش الملوك مع الآلهة^(٢٥) على غرار ذلك تم تصويرها بأعداد كبيرة لقد وُجِدَت مرسومة على أسقف جدران حجرة الدفن في الأهرامات^(٢٦).

مما دفعت هذه الدراسة على استطلاع وملاحظة تقديم الفنان المصري القديم وإبداعه بمهارة فائقة في الفن التصويري من خلال تصاوير الهة السماء (نوت) بفرشاته وإلوانه على أسقف المقابر الملكية في وادي الملوك على هيئة إمراة ويخترق جسدها مجموعة كبيرة من النجوم.

ما يهم هذه الدراسة هو التوثيق، إذ وُجِدَت ضمن نصوص (الأهرامات) في التعويذة المرقمة برقم بـ(٤٨٨)، كالآتي:

"أنت ماء الملك تيتي في السماء والشعب فمأواهم الأرض".

فضلاً عن تعويذة المرقمة بـ(٦٥٥) من نصوص (الأهرامات):

"إنك تدخل أبواب السماء حرمت على عامة الشعب"^(٢٧).

أما تعويذة المرقمة بـ(٨١٥) من نصوص (الأهرامات)، وهي:



"Wn n.k ʕ3 wj pt jsnš ʕ3 wj qbhꜥ ts.k ḥpt r šḥt j3rw sk3.k jt 3sh.n.k
btjj jr rnpwt.k jm mj ḥr s3 itm".

ترجمته: "هل تريد أن تحيا يا حورس يا من تسيطر على حربه الصدق، هنا الحربة لا تسمح لأحد دخول الفردوس معبر الأبرار"^(٢٨).

وهناك نص يذكر ما يتمناه المتوفى مع الإله (حورس) في حقل (الإيارو)، كالآتي:



"jw P. pn hnc.tn sbnpnw p. P.pn hnc. tn m sht j3rw
.mnj f mj mnjw. tn m sht mfk3t".

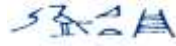
ترجمته: "سيأتي هذا الملك بيبى^(٢٩) معك ويتجول معك في حقل الإيأرو وسيكون بمثابة حقل الفيروز"^(٣٠).

ومن الشواهد الكتابية على انتقال الموتى إلى (الفردوس) ويظهر ذلك في نصوص (الأهرامات) في التعويذة المرقمة ب(٨٨٩):

"إني أمنحك منطقتك وجسدك لتتخذ شكل إله ويجعل جسده يضى كاجساد أهل السماء"،
وتعويذة المرقمة ب(٧١١)، كالآتي: "ثم يدعه يجدف في سفينته الخاصة أن يهيئ له مكاناً في مقدمها ويبحر به القائمين على الدفة يبحرون بمركب رع".

والتعويذة المرقمة ب(٩٢٣) من نصوص (الأهرامات)، كالآتي:

"هكذا يبحر عبر السماء رفيقاً لإله الشمس رع، فيبتهج كل إله عندما يدنو"^(٣١).

آمن المصري القديم ألحقاقه بهذه حقول بعد الموت وآمن بأن الروح (با) وصعوده إلى السماء مرتكزة على أربعة أعمدة ومؤلفة من أبناء الإله (حورس)^(٣٢) من خلال  M3qt ترجمته (السلم) ويسلك المتوفى الطرق والممرات المائية السماوية وبعد التجديف يصل إلى حقول (الإيأرو) كان عليه إختراق قناة Knst والإطلاع التام بهذه الطرق وبعد ذلك يتوجب عليه الركوب في قارب ويظهر له قبطان M3-h3.f (ما-حا-إف) في تعويذة المرقمة (٣٥٩) من نصوص (الأهرامات) كما جاء في النص الآتي:



"Rs.k m htp M3.h3.f m htp rs.k m htp jmj-hn nwt mhntj n m r Nh3
jdd rn w. n R^c swjw w. n. R^c".

ترجمته: "انهض في سلام يا قبطان ما-حا-إف، في سلام انهض في سلام يا من في السماء في سلام يا قبطان مركب المجرى المائي المتعرج اخبر رع بأسمي امامه"^(٣٣).

بعد المسيرة الطويلة يدخل المتوفى البوابات في حقل (الإيارو) ومقر الإله (أوزيريس) كما في النص:



"q r sbhwt sht h3rw r pr wsr jn šš inn3 m3c-hrw".

ترجمته: "دخول المتوفى المبرر إلى حقول الإيارو إلى مقر الإله أوزيريس إلى حقل الحق" (٣٤).

منظر إدناه يَصور حالة دخول (المتوفى) إلى حقول (حتب) جاء في بردية (آني) من كتاب (الموتى) كالآتي:



في خبايا كتاب (الموتى) (٣٥) وجُدت نص ينادي فيه (المتوفى) الآلهة المتواجدة في حقل (الإيارو)، كالآتي:



"wsr. Kwj m šw hw sht j3rw".

ترجمته: "أتمنى أن أكون القوي والراضي في الممرات المائية في حقل الإيارو" (٣٦). وفي طيات كتاب (الموتى) الفقرة (١٤٩) الوصف الدقيق لـ (الإيارو)، كالآتي: "أنا الغني بالأرزاق في حقل الإيارو، ذو الجدران العالية من النحاس، ويبلغ ارتفاع حنطته ٥ أذرع ولها السنابل البالغة ذراعين والسيقان البالغة ٣ أذرع، فالأبرار فيها يبلغون ٩ أذرع هم من سيقومون بالحصاد في هذه الحقول أنا أعرف الباب الأوسط من الحقل حيث يخرج الإله رع

من جهة الشرقية من السماء وإلى الجنوب منه بحيرة الأوز وكذلك في الشمال بحيرة أوز ويبصر الإله رع المسؤول عن الأحبال في مركب الخاص بالآلهة أنا من يقوم بالعمل في المركب التابع للإله رع^(٣٧).

ويظهر في كتاب (الموتى) الفصل (١١٠) جملة يرددها المتوفى عند وصوله إلى حقول (الفردوس)، كالآتي: "التحية لكم، يا سيادة الأرزاق لقد حضرت في تنسيق جيد إلى حقولكم لكي أحصل على الغذاء، أجعلوني أصل إلى الإله العظيم وأحصل على القرابين الغذائية التي يعطيها باستمرار لقرينه من الخبز والجة والطيور"^(٣٨).

وفي ختام جاء تفسيره عن حقول (الإيارو) هي (الفردوس) على أنه مكان واسع تحيطه مجموعة من مزروعات مثل أشجار السنوبر ومنها تعويذة المرقمة بـ(١٣٠) من نصوص (الأهرامات)، كالآتي:



"Sh n w sht m j3rw"⁽³⁹⁾.

ترجمته: "مكان راحة أوناس تحيطه أشجار السنوبر"^(٤٠).

ويتضح مما تقدم المعنى الحقيقي لـ(حقول) من وجه نظر المصري القديم هي حقول السرمدية من أجل خلود الروح فيها ومكان تحيا فيه الأرواح وضُورت تلك الحقول على صورة مشابهة لواقع الحياة المصرية القديمة^(٤١) كما كان هناك نظرة التفاؤل والتشاؤم، إذ نظرة التفاؤلية مصير الملك المتوفى وأنضمامه بكل يُسر في مملكة الموتى ومرافقته الإله (رع) أما النظرة السلبية فهي كانت كيف يمكن التخلص من المكان المظلم والخفي^(٤٢) لهذا يسعى المصري القديم بتدوين تلك النصوص على جدران المقابر الملكية ومجموعة من البرديات وغيرها لتكون مرشد للمتوفى في هذا العالم المظلم وتجاوزه بسلام برفقة الإله (رع)^(٤٣).

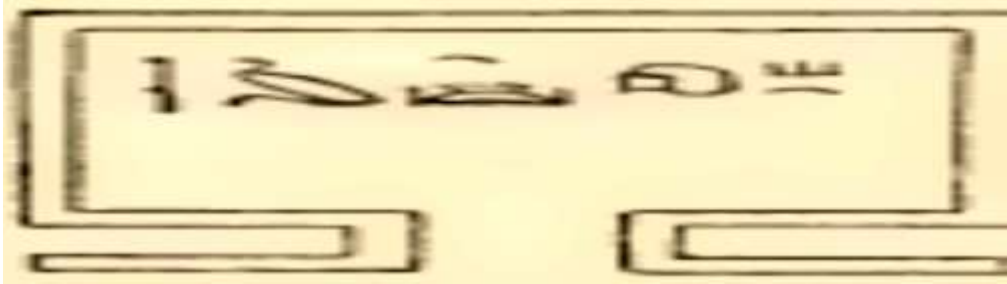
ويستكمل هذه الدراسة التقسيم الطبوغرافي لـ(فردوس) من خلال النصوص المصرية القديمة، ولا سيما كتاب (الموتى) بتحديد الفصل (١٤٩) أسردت عن مجموعة من التلال

البالغ عددها أربعة عشرة وجاء تدوينه على وفق ما يتعلق بهذه التلال من حراسه وأرقامه وأسمائه وألوانه.

التلال:

١ - التل الأول (نحب كاو):

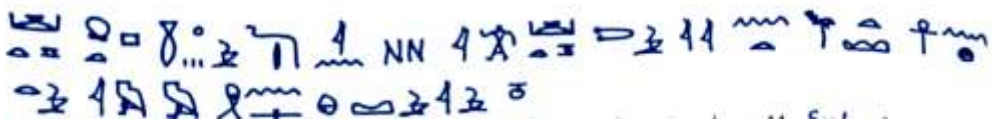
جاءت الصيغة التعريفية لـ (تلال) في كتاب (الموتى) الفصل (١٤٩)، بهيئة (i3wt) وعلى ما يبدو أنها من مناطق العالم السفلي ومسكن الموتى (الأبرار) وخلال الرسم إدناه المصاحب لهذا (التل الأول)، يمكن التعرف على الهيئة الذي جاء بالشكل المستطيل وعلى المحور العمودي الموازي بالمحور على طول المستطيل وبعد ذلك ينتهي بامتداد آخر على المحور ذاته بطول المستطيل وهذا يفسح مجال الفتحة المكشوفة من الأسفل، كما في الشكل إدناه^(٤٤):



هناك مجموعة من النصوص جاءت في كتاب (الموتى) الفصل (١٤٩) ما يتعلق بهذا التل ومنها، كالاتي^(٤٥):

"J jzt nt jmntt cnhw jm.s m Šns tp-srw kfz cfnt .tn m hsfw j twt js n wr jmj .tn tsw.f qsw j smnd.f cwt j jn n.j jhj nb-jbwf sqd.f qsw j mj smnd .f wrt Jtm smn n.j nhb-kzw mh smn bqsw .(j) hqz .k m ntrw mjn qdw".

ترجمته، : "يا تل الغرب، حيث يحيا على أكل الخبز، وجرار الجعة، أرفعوا الأغشية عن رؤوسكم عند وصولي لأنني الكبير بينكم الذي عاد جميع عظامي وقوى أعضائي لقد أحضرت إحيى سيد القلوب لكي يعيد بناء عظامي، ليثبت التاج الأبيض آتوم ثبت رأسي، نحب-كاو، أتوسل إليك وبناء التل على يد الإله مين"^(٤٦).

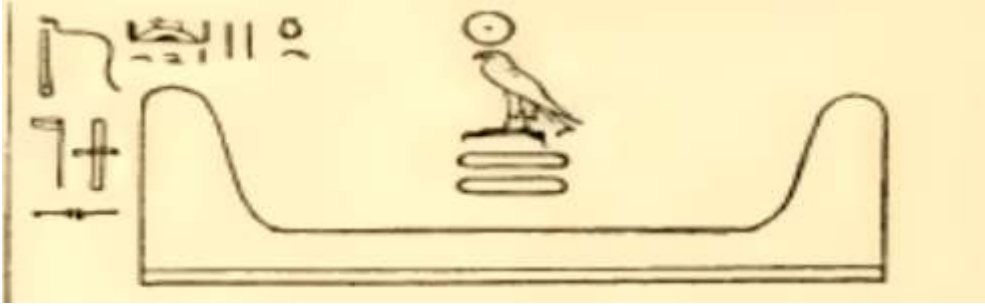


"i3t tpt w3d dd- mdw in NNi i3t nt im ntt 'nh tw im m šns dwjw".

ترجمته: "تل الأول: أخضر قول الكلام كلمات بوساطة المتوفى يا أيها التل المنتمي للغرب الذي يحيا المتوفى فيه على الطعام والشراب والخبز šns وأواني البيرة"^(٤٧).

٢- التل الثاني (الإله حور آختي):

يمكن معرفة (تل الثاني) من خلال كتاب (الموتى) الفصل المرقم بـ(١٤٩)^(٤٨):



إعلاه يظهر الربوة أستخدمت للدلالة على (الأفق)^(٤٩) ويظهر فوقها الإله R^c_Hr_3hty (رع- حور- آختي) الإله المؤكل في حراسة (تل الثاني) على الجهة اليسرى من التل يظهر نقش بقرب منها، كالاتي: لونها الأخضر، ورقمها (٢) كما جاء في النص:



"i3t 2-nwt w3d ntr rim.s R^c - hr- 3hty in k wr hrt sht - i3rw".

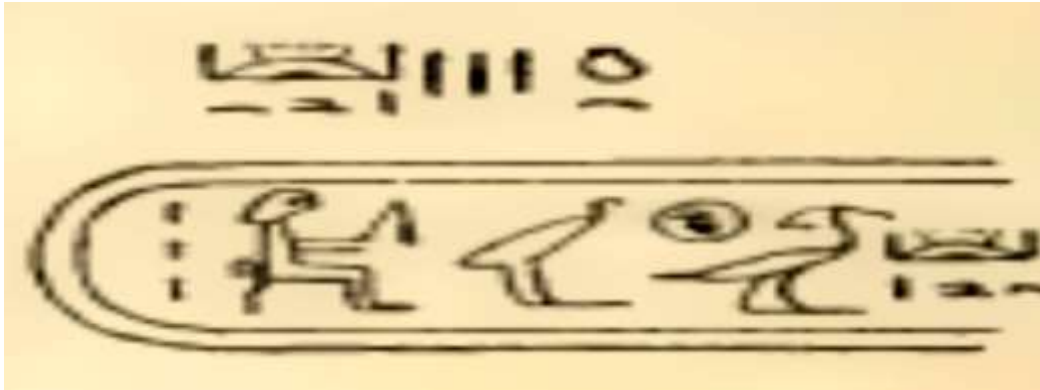
ترجمته: "تل الثاني: صاحب اللون الأخضر، الإله الذي فيه هو حور آختي أنني الغني في حقل الإييارو"^(٥٠).

فضلاً عن نص ورد فيه: "أنا غني بالأرزاق في حقل الإييارو، ذو جدران من النحاس بينما يبلغ ارتفاع حنطته ٥ أذرع ولها سنابل تبلغ ذراعين وسيقان من ٤ أذرع، والشعير ارتفاعه ٧ أذرع، وسنابله طوله ٣ أذرع أنهم أبرار يبلغ ارتفاع كل منهم ٩ أذرع هم من سيقومون بالحصاد إلى حور آختي"^(٥١) أنا اعرف الباب الأوسط من حقل الإييارو، إذ يخرج رع من شرق السماء إلى جنوبه بحيرة الأوز - خار ومن الشمال بحيرة الأوز - رو، المكان الذي يبحر الإله رع في عاصفة عاتية، أنا المسؤول عن الأحبال في المركب الشرعي الإلهي، أنا

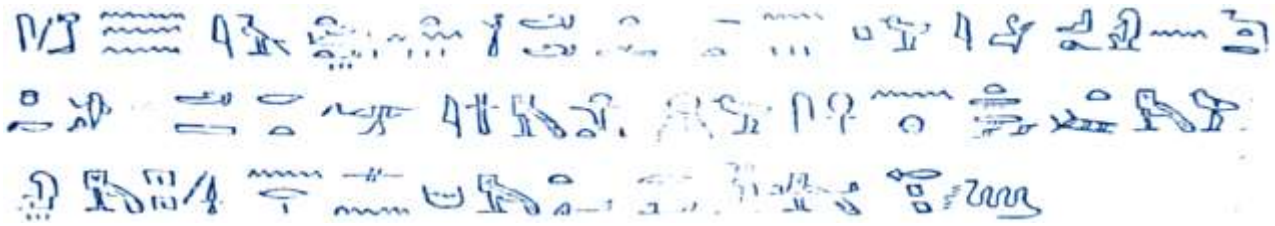
الذي يجدف من دون كلل في المركب الشراعي للإله رع، أنا أعرف هاتين الجميزتين الفيروزيتين يخرج من بينهما الإله رع ويعبر إرتفاعات الإله شو عند البوابة الشرقية"^(٥٢).

٣ - التل الثالث (تل الأرواح):

يظهر في المنظر إدناه (التل الثالث) الذي جاء بهيئة حرف (U) معكوس وإعلاه نقش لرقم الربوة المرقم (٣) واللون وهو الأخضر، فضلاً عن نقش لأسم الربوة ويُعرف بـ(الأرواح)^(٥٣) كالآتي^(٥٤):



وجاء نصاً:



"j jzt twjj nt 3hw jwtt sqd.t(w) hr.s jw.s hr 3hw jw nsr.s m 3ht nt bs j jzt twjj nt 3hw hrw.tn m-hrw dsrw w3wt tn swcb j3wt tn wdd.t jr tn pw jn wsjr n dt jnk dŠrt jmjt wpt j3hw scnḥ t3wjj tmwj m hh n r.s nḥm.t(w) R° m °pp"

ترجمته: "كلمات يرددها المتوفى، يا أيها التل، تل الأبرار الذي لا يمكن أنه نجر عليه إنه مكان الأبرار ولهيبه نار محرقة، يا أيها التل الأبرار انتم يا من وجوهكم إلى الأسفل قدسوا طرقكم طهروا تلالكم، هذا ما قضى به أوزيريس افعلوا انتم من أجلي للأبد لأنني صاحب التاج الأحمر الكبير، التاج الذي يزين جبهة متلألي الذي يحيى الأرض والرجال بنفسه ملتهب ينقذ الإله رع من عابب"^(٥٥).

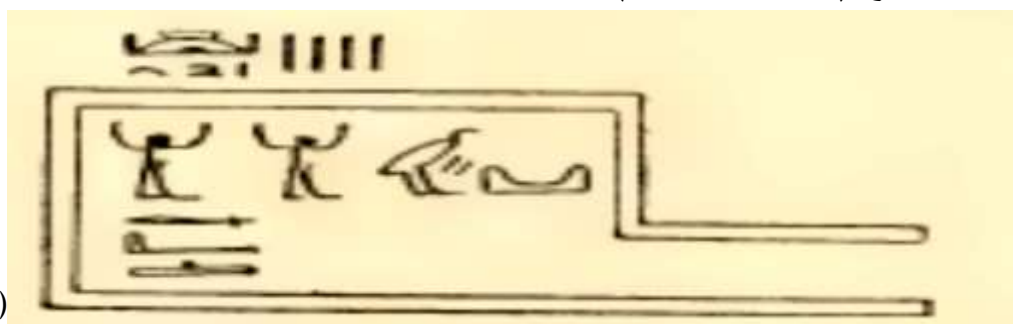
فضلاً عن نص آخر:



"i izt twy ht 3hw iwtt sqdj tw hr.s iw.s hr 3hw iw nsr.s m 3ht nt bs".

ترجمته: "يا أيها تل الآخو^(٥٦) الذي لا يستطيع المرء أن يبحر عبره فيه اشباح ونيرانه من أشد النيران توجهاً"^(٥٧).

٤ - التل الرابع (الجبليين العاليتين):



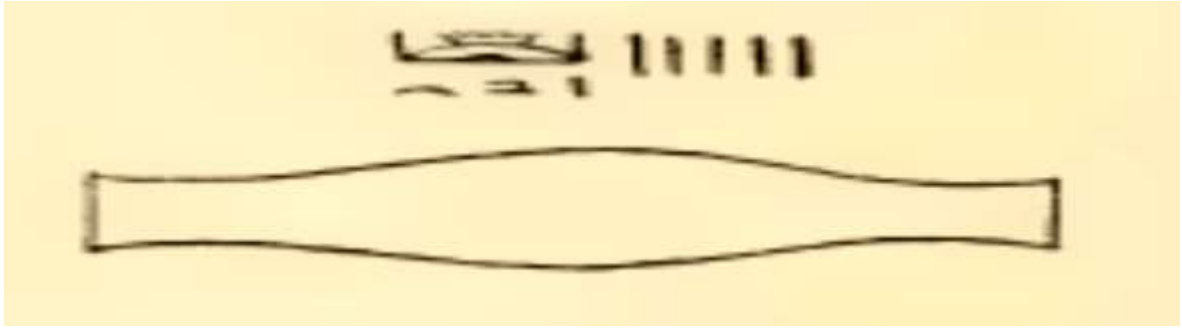
إعلاه يظهر هذه الربوة أخذت الشكل المستطيل بداخله أسم الربوة وهي
dwj q3wy-3wj، وتترجم بـ "الجبليين العاليتين" ونقش في أعلى الشكل رقم الربوة (الرابعة)
جاء لونها الأخضر^(٥٩) ونص مرافق لهذا التل هو كالتالي:



"i hrj tp izt s3tj-dsmwj pwj q3j 3 imj hrt-ntr hnnj pt hr.f nj-sw ht 300
m m 3w.f ht 230 m wsh.f iw hf3w hr.f iw hf3w hr.f stjt dsw rn.f nj -
sw mh 70m sin.f nh.f m hsq 3hw mtw m hrt-ntr"⁽⁶⁰⁾.

ترجمته: "يا من يهيمن على التل الغامض يا أيها الجبل الشاهق في مملكة الموتى يا
من تستقر السماء عليه طوله ٣٠٠ ذراع وعرضه ٢٣٠ فوقه شعبان، أسمه s3tj-dsmwj
المسلح بالسكاكين عند ركضه يصبح طوله ٧٠ ذراعاً، يعيش على قطع رؤوس الأبرار في
مملكة الموتى"^(٦١).

٥ - التل الخامس (تل الآخو):



فهو عبارة عن مستطيل كما في إعلاه^(٦٢) يظهر كالمعتاد تدوين معلومات تعريفية لهذا التل المشمول بالرقم الخامس، فضلاً عن تدوين لونه بالأخضر وأطلق على هذا التل بـ(تل الآخو) / تـ ١١ (٦٣) / ملاحظة النص: الآخو .

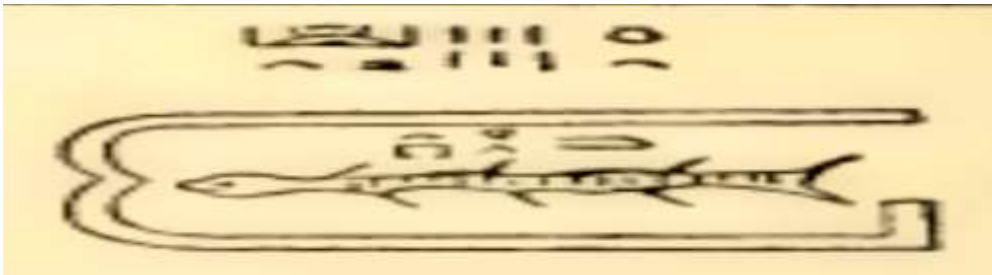


"i izt t̥wy nt 3h̥w wn n.i wzwt. tn r swzj.i hr. tn h̥pj.i r immtt nfrt"

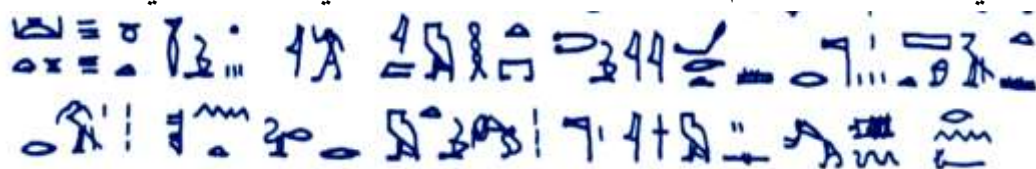
ترجمته: "أيها التل الخاص بالآخو، افتحو لي طرقكم حتى اتمكن من العبور عليها وأصل إلى الغرب الجميل"^(٦٤).

وتشير النصوص بأن سيد التل الخامس هو الإله (أوزيريس)، كما في النص الآتي: "يا تل الأبرار هذا لا يمكن أن يمر عليه أحد وفيه الأبرار ذو قياس ٧ أذرع يا تل الأبرار هذا افتح لي طرقك لأمر نحو الغرب الطيب هذا ما أمر به أوزيريس، المبرأ سيد الأبرار لكي أعيش بوساطه قواي السحرية، المتوفى يحتفل بعيد آخر الشهر ويثبت كل عيد نصف الشهر عين حورس تتجول تحت رعايتي من أجلي في حضور جحوتي لكل إله ولكل متوفى يلتهب فمه ضدي في هذا اليوم سيقع في الهاوية"^(٦٥).

٦ - التل السادس (imht) (إيمحت):



يفسر إعلاه^(٦٦) عن منظر لـ"تلل السادس" الذي جاء على هيئة حوض الماء بشكل حرف U المعكوس، كما يُلاحظ على جانبه فتحة وبداخله سمكة imht ويظهر تدوين معلوماته التعريفية في أعلى الشكل الرقم "تلل السادس"^(٦٧) كما جاء في النص التالي:

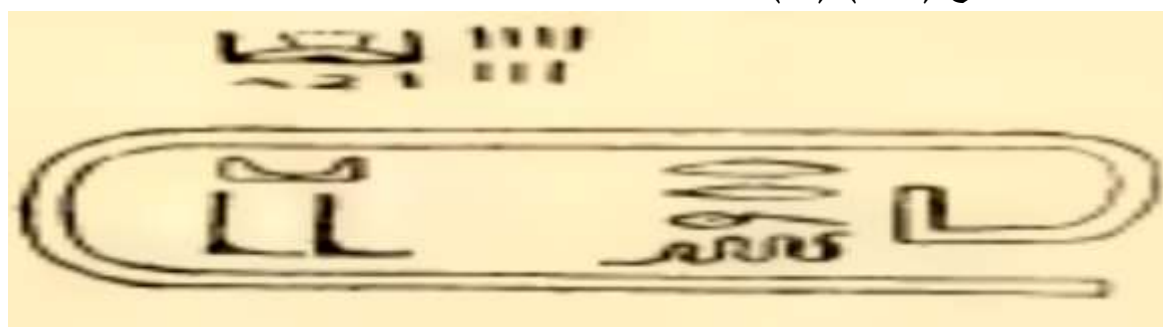


"igt 6-nwt w3d i imht twy dsrt r ntrw Št3t r

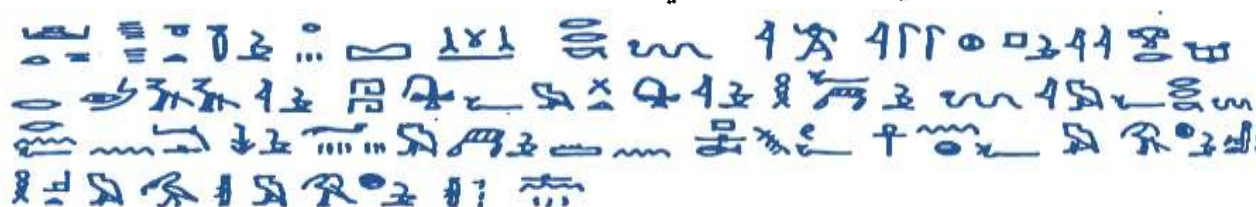
3hw qsnt r mtw ntr im.s shry ʿd rn.f".

ترجمته: "تلل السادس: أخضر، التحية لـ imht إيمحت، المقدسة أكثر من الآلهة الخفية عن الآخو والصعبة الوصول للموتى الإله الذي فيه أسمه الذي يصطاد الأسماك"^(٦٨).

٧- التل السابع (Rrk) (رك):



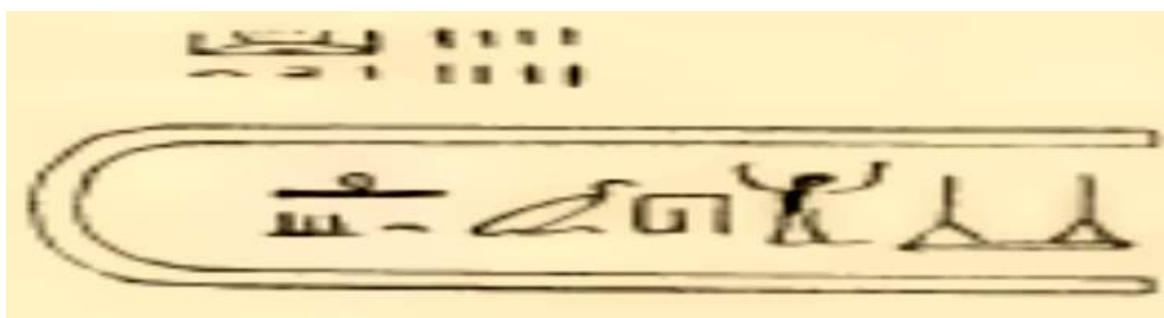
إعلاه^(٦٩) يظهر التل بالشكل المربع ومفتوح من جانبيه وبداخله الكتابة الهيروغليفية يترجم لـ"الثعبان رك"، فضلاً عن رقم "تلل السابع"، أما اللون الذي تميز هذا التل هو اللون الأخضر^(٧٠) ويرافقه نصاً، كالاتي^(٧١):



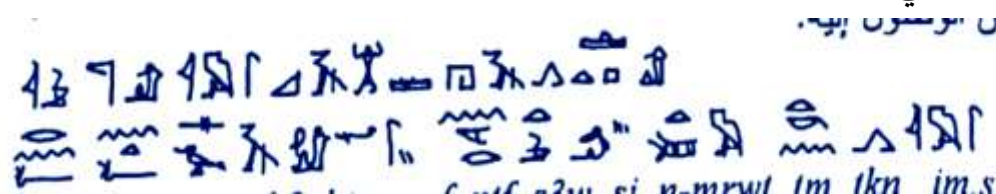
"igt 7-nwt w3d dw mnht Rrk i lss pwj hrj R m33 iw hh.f m sdt iw hf3w im.f Rrk rn.f nj-sw wh 7m 3w n psd.f ʿnh.f m 3hw htmw m 3hw. Sn".

ترجمته: "التل السابع، تل الخاص بـ Rrk يا مدينة أيزيس البعيدة عن النظر" (٧٢) إن لهيبها هي النار فإن الثعبان الذي فيها اسمه Rrk وطول ظهره سبعة أذرع هو يحيا على الآخو المسلحين بقواهم السحرية" (٧٣) لقد سقط ثوره بفعل الثعبان ووقع ثعبانه بفعل ثوره أنا الحامي والإلهة مافدت (٧٤) ستقطع رأسك" (٧٥).

٨- التل الثامن (q3-h3-htp) (قا-حا-حتب) (٧٦)



يظهر (٧٧) إعلاه هيئة التل على حرف U المعكوس مفتوح على الجانب الأيمن تم تدوين بداخله اسم التل بالخط الهيروغليفي، يأتي ترجمته كالتالي: "q3 h3 htp" "قا-ها حتب" ويُعرف هذا الإله بحارس لـ (تل الثامن)، فضلاً عن رقم التل ولونه كالمعتاد اللون الأخضر (٧٨) فهناك نص يفسر المهام الوظيفية لهذا الإله بوصفه مهاجم كل من يقترب منه، كما في النص الآتي:



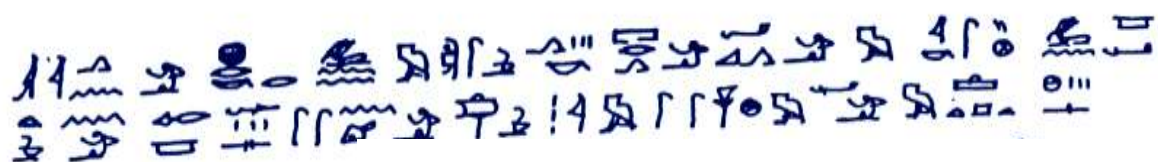
"iw ntr im.s q3 h3 htp rn.f ntf szw sj n-mrwt tm ikn im.s"

ترجمته: "الإله q3 h3 htp، حامي وحارس التل الثامن ممنوع الاقتراب منه" (٧٩).

٩- التل التاسع (lksy) (إكسي) (٨٠):



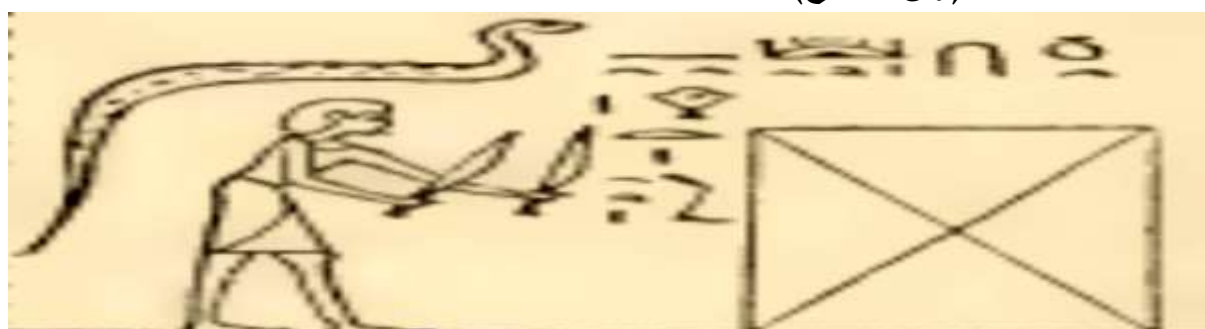
ويشاهد إعلاؤه^(٨١) حيوان (التمساح) مستقر على التل وبقرب من فكه هناك كتابة بالخط الهيروغليفي، كالآتي: **٥٤٢١** يحمل فيه مجموعة من المعلومات التعريفية عن رقم التل "التاسع" ولونه "الأصفر"^(٨٢) ويرافقه نصاً، كالآتي:



"I3t 9-nwt qnjt i lksy twj Št3t r ntrw snd n.s 3hw r rh rn.s iwt prt °qjw r.s iw wn.s m sdt iw t3w.s htm r fndw r3w".

ترجمته: "التل التاسع أصفر يا منطقة lksy تلك الخفية على الآلهة^(٨٣) يخشى الآخو معرفة أسمها لا يخرج منها الذين يدخلون إليها فوهتها من النار، هواءها محطم للأنوف والأفواه لقد أتيت إلى مركبك دعني أدخل وأخرج من lksyك فلتفتح لي الأبواب للأستنشاق الهواء فيها اسمحو لي الأكل من قربينها"^(٨٤).

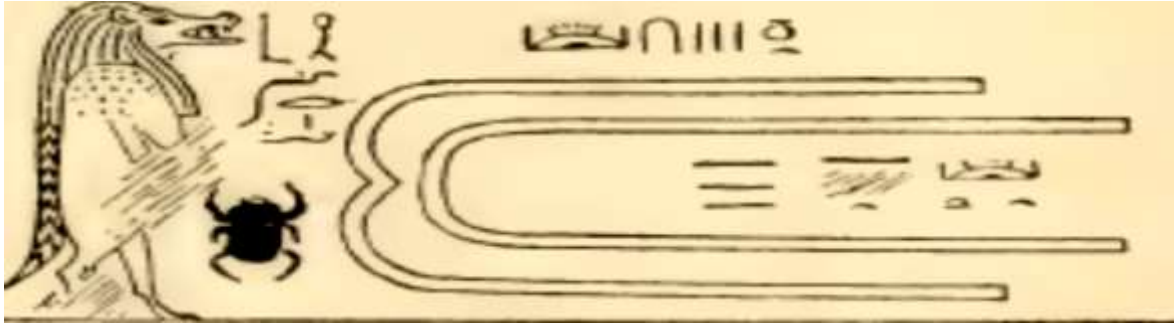
١٠ - التل العاشر (q3h-كاح)^(٨٥):



ويظهر هنا^(٨٦) إختلاف عما سبقه في هذا التل رجلاً بهيئته الكاملة ويرتدي (تنورة قصيرة) يحمل في يده أداة حادة السكين على رأسه أفعى والتل بشكله المعتاد عن باقي التلال فهو المستطيل جاء بالرقم "العاشر" كما تم تدوين أسم مدينته بـ "q3h" كاح، فضلاً عن لون التل فعرف باللون "الأصفر"^(٨٧) ويرافق هذا منظر نصاً، كالآتي:



١٣ - التل (الثالث عشر hbd-r3.f حيج - را - إف):



إعلاه التل^(٩٩) عبارة عن حوض مائي على هيئة حدوة الفرس يظهر خلفه حيوان (فرس النهر) برأس السمك ونسقى عليه بـ ويترجم إلى (مفتوح الفم) ويشاهد بقرب منه صورة جعران، وبطبيعة الحال هناك جملة من معلومات التعريفية عن هذا التل الأسم واللون^(١٠٠) ويرافقه نصاً، كالاتي:



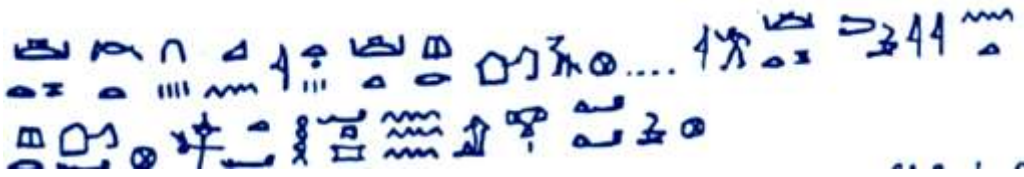
"igt mht 13 wzd hbd r3.f w'rt ht mw.i igt twy nt zhw iwtt shm'jw im.s iw mw.s m ht iw wzw.s m ht iw hh.s m zht nt bs n-mrwt tm swrj Mw.s r hm itw. Sn ... h-mrwt tm tkn im.sn mh.t (w) itrw zhj shm.i m mw swrj.i m nnwj mi ntr pwj Imj igt ht mw".

ترجمته: "التل الثالث عشر: أخضر، يا تل الأبرار هذا حيث لا سلطان لهم حيث مأوها كتلة من النار المشتعلة وأمواجها وأنفاسها شعلة من النيران ليتعذر عليهم شرب مائها وإطفاء ظمئهم من كثرة الخوف الناجم عنها من شدة الخوف والرغبة الناتج عنها^(١٠١) ذلك من أجل لا يشرب أحد الماء لأطفاء ظمأهم.... حتى لا يقترب أحد منهم فالنهر مليء بالبردي ليتني أسيطر على الماء حتى أشرب من الفيضان مثل هذا الإله الموجود في تل المياه"^(١٠٢).

١٤ - التل (الرابع عشر hr-h3 - غر - عا):



وجاء أسم هذا التل بصيغة hr-ḥ3 "غر-عح^(١٠٣)" من خلال النص المدون كما تم تعريف عن الإله (حابي) وهيئة جاء بها التل عبارة عن سلسلة جبال أطلق عليه أسم (سخت - غر - عح^(١٠٤)) وبقرب منها هناك رجل يحمل العلامة "h3" ويلاحظ عن الإله (أنبو) فرس النهر وأمامه إله جالس يضع على رأسه التاج الأحمر dšr الملكي وأسد جالس بقرب منهم طائر الصقر وفوقه علامة القرص الشمس، أما السطر الثاني من منظر تظهر العلامة الهيروغليفية  وإسفله شكل الثعبان بجسده الملتوي بقرب منهم منظر حيوان (الأسد)^(١٠٥) ويرافقه نصاً، كالآتي:



"i3t mht 14 qnjt i3t hr-ḥ3... i3t twj nt hr-ḥ3 hsft h3pj hr ddw".
الذي يبعد مياه نهر النيل عند جدو^(١٠٦) hr-ḥ3 يا أيها تل لhr-ḥ3 ترجمته: "

الخاتمة:

لقد توصلنا من خلال البحث الموسوم بـ(تلال الفردوس في مصر القديمة)، إلى مجموعة من الاستنتاجات، وتقديم المنهج الوصفي من خلال أستعراض مجموعة من خلال النصوص الدينية، وهي كالآتي:

١. كشفت هذه الدراسة عن فكرة الخلود في أقسام الفردوس والتمتع بنعيمها ومنها التلال الذي كانت مقصورة على الأسرة المالكة، لكونهم من مصاف الآلهة والبقاء على وفق مستوى مكانتهم الدينية قبل مماتهم، إلا هناك يظهر الحد الفاصل وهو مالكين كتاب (الموتى) الذي أتسع مالكيه من الكهنة والنبلاء وحكام الأقاليم وغيرهم من الطبقة العليا أصبح من حقهم أمتلاك كتاب (الموتى) من أجل ضمان دخولهم إلى أقسام الفردوس وأهمها التلال.

٢. ما جاء في نصوص (الأهرامات) وكتاب (الموتى) هو الكشف عن سبر أغوار الطبيعة الطبوغرافية في العالم السفلي وأقسامه الذي يشمل الجحيم والفردوس، فالعقلية المصرية القديمة ألتجأ إلى طبيعة أرض مصر ومقارنتها بالعالم السفلي من حيث

الأراضي الخصبة من أجل الزراعة لاستمرار حياتهم، كذلك وجود المسطحات المائية والتلال.

٣. كما يظهر هناك الاختلافات في التلال التي وجدت في الفردوس من حيث وظيفتها المكاني والزمني التي تم تكليفها من قبل مجموعة من الآلهة المتواجدة فيها فعدت بمثابة الآلهة في حراسة هذه التلال، فضلاً عن وجود الأبرار الذين أجتازوا الاختبار في محكمة (الموتى) وكان مصيرهم الاستقرار في الفردوس.

الهوامش

- (١) هناك رأي يرجح على وفق المراجع اللغوية العربية بأن كلمة (الجنة) جمعها (جنان) لكونها أكثر فيها مجموعة من النخيل والأعشاب وبصورة عامة سميت بـ(الجنة) لتكاثر الأشجار، أما (الفردوس) تم تفسيره على أنه بستان أو حديقة في الجنة و(الفردوس) لفظ يوناني paradisos ترجمته بـ(حديقة) وعلى غرار هذا التقارب بين مفردتي (الجنة) و(الفردوس) فالجنة هي دار النعيم في الآخرة والفردوس حديقة من الجنة ويطرح هذا الرأي أن (الجنة) هي الأصل و(الفردوس) جزء منها يستدل ذلك استخدام مصطلح (الفردوس) دلالة على الجنة بشكل عام. (ينظر: الخفاجي، مزهر محسن: البحث عن جنة الفردوس "دراسة في أساطير الحضارات القديمة"، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٩م)، ص ١١-١٢).
- (٢) راشيه، جي: الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية، تر: فاطمة عبد الله محمود، مر: محمود ماهر طه، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦م)، ص ٥٢٣.
- (٣) ورداني، رؤوف أبو الوفا محمد المندوه: المعبودة شسمت ودورها في المعتقدات المصرية، إطروحة دكتوراة غير منشورة، قسم الآثار المصرية، (القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الآثار، ٢٠١٠م)، ص ٤٤٧-٤٤٨.
- (٤) ألفورد، آلان ف: شمس منتصف الليل "موت وأنبعاث الكون الإله في مصر القديمة"، تر: صفاء محمد، مر: باسم حلمي، (مكتبة إريدو، ٢٠٠٤م)، ص ٤٣-٤٤.
- (٥) نور الدين، الديانة المصرية القديمة، ج ٣، ص ٢٨٦-٢٨٧.
- (٦) ألفورد، شمس منتصف الليل، ص ٤٣-٤٤.
- (١) النصاري، أحمد علي محمد: حقول النعيم (الإيثار) في نصوص "الأهرامات ومتون التوابيت وكتاب الموتى"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار المصرية، (سوهاج: جامعة أسيوط، كلية الآداب، ١٩٩٤م)، ص ٢٦.

(٨) **آوناس:** من ملوك الأسرة الخامسة عصر الدولة القديمة حكم خلال السنوات (٢٣٤١-٢٣١١ ق.م) ويُعد من الأوائل الملوك الذين عملوا على إصدار الأوامر بتدوين مجموعة من النصوص الدينية على جدران حجرات الدفن في الأهرامات تم تدوينه بالمداد الأسود والأحمر وبالخط الهيروغليفى وجاء تطبيقه بـ(نصوص الأهرامات). (يُنظر: حسن، سليم: موسوعة مصر القديمة في عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العصر الإهناسي، (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م)، ج ١، ص ٢٦٥؛ علي، رمضان عبده: تاريخ مصر القديمة، (القاهرة: دار نهضة الشرق، ٢٠٠١م)، ج ١، ص ٥٦٥-٥٦٦؛ سمير، أديب، تاريخ وحضارة مصر القديمة، (الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ١٩٩٧م)، ج ١، ص ٩٢؛ ألدريد، سيريل: الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، تر: مختار السويفي، مر: أحمد قدرى، ط ٣، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٢٢م)، ص ١٦٤؛ جارجي، محمود مرسي محمد: مراحل تطور المقبرة الملكية في مصر القديمة "من الدولة القديمة إلى عصر الملك تحتمس الأول بالدولة الحديثة"، مجلة (العمارة والفنون)، جامعة حلوان، كلية الفنون الجميلة، ع ١٠، بلا. ت، ص ٥٣٠).

(٩) A.B.mercer, Samuel: The pyramid texts, (New york: Longmans, Greenandco, 1952) p.86.

(١٠) النصاري، حقول النعيم (الإيارو)، ص ٢٩-٣٠.

(١١) mercer, The pyramid texts, p.187-188.

(١٢) الفورد، شمس منتصف الليل، ص ٤٤-٤٥.

(١٣) النصاري، حقول النعيم (الإيارو)، ص ٢٧.

(١٤) **تحوتي:** يمكن التعرف عليه من خلال المدونات التاريخية التي وُجِدَت مدونة على جدران المقابر الملكية والبرديات عن طبيعة المهام الوظيفي لهذا الإله فكان دوره الفعلي المكاني والزمني في محكمة الإله (أوزيريس) هي استدعاء المتوفى إلى قاعة المحكمة وتسجيل أعماله الخيرة والشريرة من خلال تطبيق وضع قلبه وريشه العدالة (ماعت) على الميزان، ويقوم الإله "تحوت" بتسجيل النتائج سواء كانت واقعه السلبي أو الأيجابي. (يُنظر: رزق، سعد محمد سعد، معبودات العالم الآخر في مصر القديمة ومعبودات العالم السفلي في بلاد ما بين النهرين "دراسة تاريخية حضارية مقارنة"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، (القاهرة: جامعة عين الشمس، كلية الآداب، ٢٠٢٢م)، ص ٢٠٧؛ علي، علي بشير حسن: إلهة الشفاء في بلاد الرافدين ومصر

القديمة، "دراسة تاريخية مقارنة"، إطرحة دكتوراة غير منشورة، قسم التاريخ، (بغداد: جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٢٤م)، ص ١١٩-١٢٠).

(15) mercer, The pyramid texts, p.121.

(١٦) النصاري، حقول النعيم (الإيارو)، ص ٢٨.

(١٧) هليوبوليس: من المدن المصرية القديمة المقدسة جاء تدوينها في النصوص المصرية القديمة بصيغة (أون) تقع الجهة الشمالية الشرقية من مدينة (القاهرة) وتُعد مركز عبادة للإله (رع) وموطن أنصاره من طبقة الكهان. (يُنظر: بيكي، جيمس: الآثار المصرية في وادي النيل، تر: لبيب حبشي وشفيق فريد، مر: محمد جمال الدين مختار، (القاهرة: بلا. مط، ١٩٩٣م)، ص ٢٢٣؛ البربري، أحمد محمد: تاريخ مصر القديمة ومواقعها الأثرية، (الإسكندرية: الحضري للطباعة، ٢٠٠٥م)، ص ٢٤٤؛ شعلان، محمد إسماعيل كمال وآخرون: أسطورة (أيونو) هليوبوليس لخلق الكون، جامعة عين شمس، كلية البنات، مجلة (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، مج ١، ع ٦٤، ٢٠٢١، ص ١٢٤؛ شكري، العمارة في مصر القديمة، ص ٦٩).

(18) mercer, The pyramid texts, p.150.

(١٩) حسن، سليم: موسوعة مصر القديمة "الأدب المصري"، (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م)، ج ١٧، ص ٤٨٦-٤٨٧.

(٢٠) حسن، سليم وآخرون: تاريخ الحضارة المصرية "العصر الفرعوني"، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، بلا. ت)، مج ١، ص ٢١٧-٢١٨.

(٢١) الماجدي: خزعل، ميثولوجيا الخلود "دراسة في أسطورة الخلود قبل الموت وبعده في الحضارات القديمة"، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م)، ص ٣٨.

(٢٢) عويس: سيد، الخلود في التراث الثقافي المصري، (القاهرة: مكتبة الأسرة، ١٩٩٩م)، ص ٦٩-٧٠.

(٢٣) لامياء، العالم الآخر، ص ٣٩٢.

(٢٤) الماجدي، ميثولوجيا الخلود، ص ٣٨.

(٢٥) لامياء، العام الآخر، ص ٣٩٢-٣٩٣.

(٢٦) الزراعي، أحمد علي الطيب، المعبودات الكونية في كل من مصر واليمن القديم، إطرحة دكتوراة غير منشورة، قسم التاريخ، (سوهاج: جامعة أسيوط، كلية الآداب، ٢٠٠٩م)، ص ٤٠٧.

(٢٧) حسن، موسوعة مصر القديمة، ج ١٧، ص ٤٨٧.

(٢٨) النصاري، حقول النعيم (الإيارو)، ص ٦٣.

(٢٩) **الملك بيبي:** فهو من ملوك الدولة القديمة الأسرة السادسة سنوات حكمه ما بين (٢٢٩٤-٢٢٥٢ ق. م) أبرز أعماله العسكرية هي إطلاقه مجموعة من الحملات ضد بلاد النوبة ومناطق الصحراوية في سيناء ضد البدو وأما أعماله العمرانية قيامه ببناء عدة من المعابد في أرجاء البلاد. (ينظر: علي، تاريخ مصر القديمة، (القاهرة: دار النهضة، ٢٠٠١م)، ج ١، ص ٥٧٢-٥٧٣، إديب، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص ٩٥؛ لازم، الملوكية في مصر القديمة، ص ٤١).

(٣٠) **النصاري، حقول النعيم (الإيارو)،** ص ٦٤.

(٣١) **مرزوق، سهى محمود أحمد مكي:** حقول القرابين في المصادر المصرية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار المصرية "دراسة لغوية دينية أثرية"، (سوهاج: جامعة جنوب الوادي، كلية الآداب، ٢٠٠٢م)، ص ٩٤.

(٣٢) **أبناء الإله حورس:** هم أربعة من الالهة يمكن تعليل مهام الوظيفي لهؤلاء أبناء الإله (حورس) هي حراسة الأعضاء الداخلية المتوفى بداخل الأواني (الكانوبية) التي جاءت على هيئة أبناء الإله (حورس) يتم إدراجها على النحو التالي،  imsty إيمستي، الوظيفة المستندة إليه هو محافظة على الكبد المتوفى ويمثل الجهة الجنوبية وحاميته الإلهة (إيزيس)، أما الثاني فهو  hpy حابي، الوظيفة المستندة إليه هو محافظة على القلب والرئة ويمثل الجهة الشمالية وحاميته الإلهة (نبت حتب)، والإله  mwt.f-dw3w موف. إف-دواو الوظيفة المستندة إليه هو محافظة على المعدة ويمثل الجهة الشرقية وحاميته الإلهة (نيت)، والإله  kbh-snw.f قبح-سو. إف الوظيفة المستندة إليه هو حماية الإمعاء والإحشاء ويمثل الجهة الغربية وحاميته الإلهة (سرقت). (ينظر: الجبوري، آلهة العالم الأسفل، ص ٢٤٣-٢٤٤؛ بلال، التوابيت في العصر المتأخر، ص ١٦٧-١٦٨).

(٣٣) **صابر، متون الأهرام،** ص ١٩٣-١٩٤.

(٣٤) **النصاري، حقول النعيم (الإيارو)،** ص ٤٤.

(٣٥) E. Naville, D.C.L.: the Egyptian book of the Daed, (London: the society and Illustrations, 1904), p.424.

(٣٦) **النصاري، حقول النعيم (الإيارو)،** ص ٦٦.

(٣٧) Allen, Thomas george: The Book of The dead (The University of Chicago, No.D), p.142.

(٣٨) **بارجيه، كتاب الموتى،** ص ١٢٣.

(٣٩) **النصاري، حقول النعيم (الإيارو)،** ص ٢٠-٢١.

(40) mercer, The pyramid texts, p.57.

(٤١) سبنسرن، أ.ج: الموتى وعالمهم في مصر القديمة، تر: أحمد صليحة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م)، ص ١٧١-١٧٢.

(٤٢) لامياء، العالم الآخر، ص ٣٨٩.

(٤٣) راشيه، الموسوعة الشاملة، ص ٥٢٣.

(44) Naville, the Egyptian book of the Daed, p.442; Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. I, p.345.

(٤٥) النصاري، حقول النعيم (الإليارو)، ص ١١٩-١٢٠-١٢١.

(٤٦) بارجية، كتاب الموتى، ص ١٧٨؛

Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. III, p.346.

(47) عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣١٨.

(48) Naville, the Egyptian book of the Daed, p.442.

(٤٩) **t3h الأفق**: تفسيره حسب ما جاء في ميثلوجيا المصرية القديمة بأنه يمثل جبلين متلاصقين أولها، الجبل الغربي M3NW (مانو) ترجمته "غروب الشمس"، والثاني فهو الجبل الشرقي BAhW (باخو) ترجمته "شروق الشمس" وجاء في النصوص تعريفه بأنه مسكن الشمس تشرق وتغرب من خلاله في العالم السفلي، (ينظر: إديب، سمير: مسارات الأجرام والأفلاك الكونية المفهوم والدلالة والمغزى "دراسة مقارنة بين المفهوم العلمي والمعتقد الديني للمصريين القدماء"، ص ٧؛ الحناوي، كمال الدين: أساطير فرعونية، (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، بلا.ت)، ص ١٣١).

(50) عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣١٨؛

Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne Vol III, p.346.

(٥١) ويلاحظ هنا ارتباط الإله (رع) بالإله (رع حور آختي) معنى الأسم هي اندماج الإلهين (رع - حورس) كان مركز عبادة الإله (رع) في مدينة هليوبوليس (مصر السفلى) ومركز عبادة الإله (حورس) مدينة إدفو (مصر العليا) ويمكن معرفة على ضوء التنقيبات الأثرية عن الدلائل الأولية لاندماج الإلهين (رع - حورس) عصر الدولة القديمة (رع حور آختي) وبين (حورس) و(رع). وللمزيد عن المعلومات التفصيلية عن الإله (رع حور آختي)، (ينظر: محمد، محمد أحمد عبد

الرحمن: عبادة رع حور آختي في عصر الدولة الحديثة، "دراسة تحليلية للمناظر والنصوص"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار، (سوهاج: جامعة سوهاج، كلية الآداب، ٢٠١٤م)، ص ١٣٢؛

Hafez, Noha Mohamed: The Deity R^c-ḥr-ḏḥty at Memphis, Faculty of Tourism, Suez Canal University, (Journal of Association of Arab Universities for Tourism and Hospitality), Vol. 22, No. 2, 2022, p.31.

(٥٢) بارجيه، كتاب الموتى، ص ١٧٨-١٧٩؛

Badge, Book of the dead, p.264; Rourke, Book of Dead, p.90 Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. I, p.474.

(٥٣) النصاري، حقول النعيم (الإيثار)، ص ١٢٤.

(54) Naville, the Egyptian book of the Daed, p.442.

(٥٥) بارجيه، كتاب الموتى، ص ١٧٩؛ الصيفي، كتاب الموتى، ص ٣٣٠؛ النصاري، حقول النعيم (الإيثار)، ص ١٢٤؛

Badge, Book of the dead, p.265; Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. I, p.477.

(٥٦) **الآخو:** ترجمته بـ"ضوء الشمس" فالآخو هي أحد مكونات الإنسان يكتسبه بعد وفاته ودخوله إلى العالم السفلي وترجمته بـ"النورانية" فهذه النورانية كانت سمة المميّزة للآلهة والملوك والأبرار في العالم السفلي وجاء ذكر (الآخو) في متون (الأهرامات) من خلال التعويذة المرقمة بـ(٣٠٥)، كالآتي: "يقول الإله رع الآخو إلى السماء والجسد إلى الأرض"، (ينظر: صالح، عبد العزيز: ماهية الإنسان ومقوماته في العقائد المصرية القديمة، مجلة (حوليات الآداب)، جامعة القاهرة، ١٩٦٩م، مج ٢٧، ص ١٩٤-؛ صابر، متون الأهرام، ص ١٦٧).

(٥٧) عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣١٩.

(58) Naville, the Egyptian book of the Daed, p.442.

(٥٩) النصاري، حقول النعيم (الإيثار)، ص ١٢٥؛

Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. III, p.350.

(٦٠) الصيفي، كتاب الموتى، ص ٣٣٣.

- (٦١) بارجيه، كتاب الموتى، ص ١٧٩؛ عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣١٩-٣٢٠؛ Rourke, Book of Dead, p.91.
- (٦٢) Naville, the Egyptian book of the Daed, p.442.
- (٦٣) النصاري، حقول النعيم (الإيارو)، ص ١٢٧.
- (٦٤) عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣٢١؛ Rourke, Book of Dead, p.91.
- (٦٥) بارجيه، كتاب الموتى، ص ١٧٩؛ الصيفي، كتاب الموتى، ص ٣٣٤؛ Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. I, p.352-353.
- (٦٦) Naville, the Egyptian book of the Daed, p.442.
- (٦٧) النصاري، حقول النعيم (الإيارو)، ص ١٢٩؛ Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. III, p.353.
- (٦٨) عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣٢١-٣٢٢؛ بارجيه، كتاب الموتى، ص ١٨٠-١٢٥؛ Badge, Book of the dead, p.267.
- (٦٩) Naville, the Egyptian book of the Daed, p.442.
- (٧٠) النصاري، حقول النعيم (الإيارو)، ص ١٣١؛ Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. I, p.481.
- (٧١) عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣٢٢.
- (٧٢) الصيفي، كتاب الموتى، ص ٣٣٥؛ Rourke, Book of Dead, p.92.
- (٧٣) عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣٢٢-٣٢٣؛ Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. III, p.355.
- (٧٤) **الإلهة مافدت**: تم إدراجها بقوائم الآلهة المصرية القديمة مهامها الوظيفي المستندة إليها هي تجسيدها السلطة القضائية، فضلاً عن حماية الموتى من (الثعابين) في العالم السفلي بوساطة سلاحها (šmst) فهي آله الأعدام أستخدمته الإلهة (مافدت) ضد الموتى (المذنبين) من أجل عقابهم في العالم السفلي ولهذا كان لـ(مافدت) ظهور في محكمة الموتى، إذ ظهرت بصورة الإلهة

المعاقبة للموتى (المذنبين). (ينظر: ورداني، رؤوف أبو الوفا محمد المندوه: المعبودة مافدت في المعتقدات المصرية القديمة حتى نهاية التاريخ المصري القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار المصرية، (القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الآثار، ٢٠٠٦م)، ص ١٣٣-١٣٥-١٣٧).

(٧٥) بارجيه، كتاب الموتى، ص ١٨٠؛ Rourke, Book of Dead, p.92.

(٧٦) الصيفي، كتاب الموتى، ص ٣٣٥؛

Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. I, p.483.

(٧٧) Naville, the Egyptian book of the Daed, p.442.

(٧٨) النصاري، حقول النعيم (الإيارو)، ص ١٣٣؛ Badge, Book of the dead, p.268.

(٧٩) عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣٢٣.

(٨٠) الصيفي، كتاب الموتى، ص ٣٣٦.

(٨١) Naville, the Egyptian book of the Daed, p.442.

(٨٢) النصاري، حقول النعيم (الإيارو)، ص ١٣٥؛

Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. I, p.357.

(٨٣) عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣٢٤.

(٨٤) بارجيه، كتاب الموتى، ص ١٨٠؛ Badge, Book of the dead, p.268.

Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. I, p.358.

(٨٥) الصيفي، كتاب الموتى، ص ٣٣٧.

(٨٦) Naville, the Egyptian book of the Daed, p.442.

(٨٧) النصاري، حقول النعيم (الإيارو)، ص ١٣٧؛

Milde, the rignettes in the Book of Dead, p.117; Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. III, p.359.

(٨٨) عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣٢٥.

(٨٩) بارجية، كتاب الموتى، ص ١٨١؛

Badge, Book of the dead, p.269; Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. III, p.360.

- (90) Naville, the Egyptian book of the Daed, p.442.
- (91) النصاري، حقول النعيم (الإيارو)، ص ١٣٨؛ Milde, the rignettes in the Book of Dead, p.118 Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. I, p.487.
- (92) عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣٢٦.
- (93) بارجيه، كتاب الموتى، ص ١٨١؛ Davis, the Egyptian Book of the Dead, p.175; Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. III, p.362.
- (94) Naville, the Egyptian book of the Daed, p.442.
- (95) النصاري، حقول النعيم (الإيارو)، ص ١٤١؛ Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol. III, p.363.
- (96) عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣٢٧.
- (97) الصيفي، كتاب الموتى، ص ٣٣٩.
- (98) بارجيه، كتاب الموتى، ص ١٨١؛ Allen, The Egyptian Book of the Dead, p.263 ; Badge, Book of the dead, p.270.
- (99) Naville, the Egyptian book of the Daed, p.442.
- (100) النصاري، حقول النعيم (الإيارو)، ص ١٤٣.
- (101) بارجيه، كتاب الموتى، ص ١٨١-١٨٢؛ Badge, Book of the dead, p.271 ; Allen, the Egyptian Book of the Dead, p.264; ٣٢٨؛ عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣٢٨.
- (102) Allen, the Egyptian Book of the Dead, p.264; ٣٢٨؛ عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣٢٨.
- (103) Naville, the Egyptian book of the Daed, p.442.
- (104) بارجيه، كتاب الموتى، ص ١٨٢.
- (105) النصاري، حقول النعيم (الإيارو)، ص ١٤٦؛ Carrier, Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne Vol I, p.493, Badge, Book of the dead, p.271.
- (106) عبد الهادي، العالم الآخر، ص ٣٢٩.

المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم، محمد عبد المنعم: معتقدات قدماء المصريين وآدابهم، (القاهرة: مطبعة البلاغة، ١٩٢٥م).
- ٢- أديب، سمير: تاريخ وحضارة مصر القديمة، (الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ١٩٩٧م)، ج ١.

- ٣- أديب، سمير: مسارات الأجرام والأفلاك الكونية المفهوم والدلالة والمغزى "دراسة مقارنة بين المفهوم العلمي والمعتقد الديني للمصريين القدماء".
- ٤- ألفورد، آلان ف: شمس منتصف الليل "موت وأنبعاث الكون الإله في مصر القديمة"، تر: صفاء محمد، مر: باسم حلمي، (بلا.مك: مكتبة إريدو، ٢٠٠٤م).
- ٥- بارجيه، بول: كتاب الموتى للمصريين القدماء، تر: زكية طبوزاده، (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م).
- ٦- بدوي، إيمان السعيد علي مصطفى: وصف العالم الآخر على توابيت ملوك الدولة الحديثة، إطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الآثار، (المنصورة: جامعة المنصورة، كلية الآداب، ٢٠٢٣م).
- ٧- البربري، أحمد محمد: تاريخ مصر القديمة ومواقعها الأثرية، (الإسكندرية: الحضري للطباعة، ٢٠٠٥م).
- ٨- بلال، أحمد علي برقي: التوابيت في العصر المتأخر، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، (الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، ٢٠١٥م).
- ٩- بوجناح، مصطفى: عالم الجنة والخلود في معتقدات بلاد الرافدين ومصر القديمة، مجلة (العلوم الانسانية والطبيعية)، مج ٢، ١١٤، ٢٠٢١م.
- ١٠- بيكي، جيمس: الآثار المصرية في وادي النيل، تر: لبيب حبشى وشفيق فريد، مر: محمد جمال الدين مختار، (القاهرة: بلا. مط، ١٩٩٣م).
- ١١- جارجي، محمود مرسي محمد: مراحل تطور المقبرة الملكية في مصر القديمة "من الدولة القديمة إلى عصر الملك تحتمس الأول بالدولة الحديثة"، مجلة (العمارة والفنون)، جامعة حلوان، كلية الفنون الجميلة، ع ١٠، بلا. ت.
- ١٢- الجبوري، الجبوري، علي أحمد عبد الكريم: آلهة العالم الأسفل في بلاد الرافدين ومصر القديمة "دراسة تاريخية مقارنة" إطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، (بغداد: جامعة بغداد كلية الآداب، ٢٠٢٢م).
- ١٣- حسن، سليم وآخرون: تاريخ الحضارة المصرية "العصر الفرعوني"، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، بلا. ت)، مج ١.
- ١٤- حسن، سليم: موسوعة مصر القديمة في عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العصر الإهناسي، (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م)، ج ١.
- ١٥- الحناوي، كمال الدين: أساطير فرعونية، (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، بلا. ت).

- ١٦- الخفاجي، مظهر محسن: البحث عن جنة الفردوس "دراسة في أساطير الحضارات القديمة"، (القاهرة: مكتبة مديبولي، ٢٠٠٩م).
- ١٧- الدريد، سيريل: الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، تر: مختار السويقي، مر: أحمد قدي، ط٣، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٢٢م).
- ١٨- راشيه، جي: الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية، تر: فاطمة عبد الله محمود، مر: محمود ماهر طه، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦م).
- ١٩- رزق، سعد محمد سعد، معبودات العالم الآخر في مصر القديمة ومعبودات العالم السفلي في بلاد ما بين النهرين "دراسة تاريخية حضارية مقارنة"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، (القاهرة: جامعة عين الشمس، كلية الآداب، ٢٠٢٢م).
- ٢٠- الزراعي، أحمد علي الطيب، المعبودات الكونية في كل من مصر واليمن القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، (أسيوط: جامعة أسيوط، كلية الآداب، ٢٠٠٩م).
- ٢١- سبنسرن، أ. ج: الموتى وعالمهم في مصر القديمة، تر: أحمد صليحة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م).
- ٢٢- سليم، حسن، موسوعة مصر القديمة "الأدب المصري"، (مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م)، ج١٧.
- ٢٣- شعلان، محمد إسماعيل كمال وآخرون: أسطورة (إيونو) هليوبوليس لخلق الكون، جامعة عين شمس، كلية البنات، مجلة (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، مج١، ع٦، ٢٠٢١م.
- ٢٤- شكري، شكري، محمد أنور: العمارة في مصر القديمة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م).
- ٢٥- صابر، حسن: متون الاهرام المصرية القديمة، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م).
- ٢٦- صالح، عبد العزيز: ماهية الإنسان ومقوماته في العقائد المصرية القديمة، مجلة (حوليات الآداب)، جامعة القاهرة، ١٩٦٩م.
- ٢٧- الصيفي، شريف: الخروج في النهار "كتاب الموتى" ط٢، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩م).
- ٢٨- عبد الهادي، ماجدة السيد جاد: العالم الآخر ومكانه في المفهوم المصري القديم، أطروحة دكتوراه غير منشور، قسم الآثار، (القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الآثار، ٢٠٠٢م).
- ٢٩- علي، رمضان عبده: تاريخ مصر القديمة، (القاهرة: دار نهضة الشرق، ٢٠٠١م)، ج١.
- ٣٠- علي، علي بشير حسن: إلهة الشفاء في بلاد الرافدين ومصر القديمة، "دراسة تاريخية مقارنة"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، (بغداد: جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٢٤م).

- ٣١- عويس: سيد، الخلود في التراث الثقافي المصري، (القاهرة: مكتبة الأسرة، ١٩٩٩م).
- ٣٢- لازم، أحمد عبد الرضا: الملوكية في مصر القديمة دراسة في قدسية العائلة الحاكمة (٣٢٠٠-١٠٨٥ ق.م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، (بغداد: جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٢٠م).
- ٣٣- لامياء، تايحي: العالم الآخر في مصر خلال عهد الدولة القديمة، مجلة (تاريخ المغرب العربي)، ٩٤، ٢٠١٨.
- ٣٤- الماجدي: خزعل، ميثولوجيا الخلود "دراسة في أسطورة الخلود قبل الموت وبعده في الحضارات القديمة"، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م).
- ٣٥- محمد، محمد أحمد عبد الرحمن: عبادة رع حور آختي في عصر الدولة الحديثة، "دراسة تحليلية للمناظر والنصوص"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار، (سوهاج: جامعة سوهاج، كلية الآداب، ٢٠١٤م).
- ٣٦- محمود، مروى حلمي عبد الحميد: مناظر البقرة في الكتب الجنائزية في مصر القديمة في الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار (القاهرة : جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، ٢٠٢٢ م).
- ٣٧- مرزوق، سهى محمود أحمد مكي: حقول القرايين في المصادر المصرية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار المصرية "دراسة لغوية دينية أثرية"، (سوهاج: جامعة جنوب الوادي، كلية الآداب، ٢٠٠٢م).
- ٣٨- النصاري، احمد علي محمد: حقول النعيم (الإيثار) ، في نصوص الاهرامات، ومتون التوابيت، كتاب الموتى، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار المصرية، (سوهاج: جامعة اسيوط كلية الآداب، ١٩٩٤ م).
- ٣٩- نور الدين، عبد الحليم: الديانة المصرية القديمة "الفكر الديني"، (القاهرة: بلا مط، ٢٠٠٩م)، ج٣.
- ٤٠- ورداني، رؤوف أبو الوفا محمد المندوه: المعبودة مافدت في المعتقدات المصرية القديمة حتى نهاية التاريخ المصري القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار المصرية، (القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الآثار، ٢٠٠٦م).
- ٤١- ورداني، رؤوف أبو الوفا محمد المندوه: المعبودة شسمتت ودورها في المعتقدات المصرية، أطروحة دكتوراه غير منشورة قسم الآثار المصرية، (القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الآثار، ٢٠١٠م).

- 42- A.B.mercer, Samuel:The pyramid text, (New York :Longmans, Greenandco, 1952).
- 43- Allen, Thomas Georg: The Egyptian Book of the Dead Documents in the orlental Institute musevm at the University of Chlcago, (Chicaco: the University of Ghlcago press, 1960).
- 44- Allen, Thomas yeorge: The Book of The dead (The University of Chicago, 1976).
- 45- Badge, EA Wallis: Book of the dead the Chapters of coming forth by day, (London: Kegan paul, 1898).
- 46- Carrier, Claude: Serie des Papyrus du Livre des Morts de l Egypte ancienne, Vol.I, Le Papyrus de Nouou, (BM AE 10477), (Paris: Editions Cybele).
- 47- _____: Série des Papyrus du livre des morts de l'Egypte ancinne, Vol.III, le Papyrus de Nebseny, (BMEA 9900), 1957.
- 48- Davis: Chales Egyptian Book of the Dead, (London: Dbe Rnicrerborer dress, 1895)
- 49- E. Naville, D.C.L.: the Egyptian book of the Daed, (London: the society and Illustrations, 1904).
- 50- Hafez, Noha Mohamed: The Deity R^c-h^r-z^hty at Memphis, Faculty of Tourism, Suez Canal University, (Journal of Assocation of Arab Universities for Tourism and Hospitality), Vol. 22, No. 2, 2022, p.31.
- 51- Milde:the vicnettes in the Book of the Dead of Neferrenpet ,(leiden:Nederlands instituut voor het nabue oosten leiden,1991)
- 52- Rourke, paul.f: Ancient Egyptian Book of Thr Dead The papyusof Sobekekmose,(New york: thames and Hudson,2016)

ازدهار الحركة العمرانية في عهد الخليفة
العباسي المستضيء بأمر الله ٥٦٦هـ -
٥٧٥هـ / ١١٧٠ - ١١٨٠م

هشام علي عباس

أ.د. عثمان عبد العزيز صالح

كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة الأنبار

ازدهار الحركة العمرانية في عهد الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله ٥٦٦-

٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٨٠م

هشام علي عباس

د. عثمان عبد العزيز صالح

الملخص:

هدفت الدراسة الى بيان ازدهار الحركة العمرانية في عهد الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله من خلال ذكر المنشآت التي بنيت في عهده من قصور ومساجد ومدارس فضلا عن تجديد وتوسعة الابنية المختلفة فضلا عن الحديث عن اثر تلك الاعمال في تلك المدة ،وتم التطرق ايضا الى سيرة الخليفة وبيان ابرز المحطات فيها من ولادته وزوجاته واولاده وتولييه الخلافة ووفاته ،وخلصت الدراسة ان الخليفة المستضيء بأمر الله تميزت بأنه شخصية قوية لها ثقل تاريخي من خلال فكره الثاقب في التعامل مع بعض الصعاب واثبات نجاحه العسكري في بناء دولة قوية. وكشفت لنا الدراسة اهتمام الخليفة بالجانب العمراني ،وظهر هذا واضحا من خلال اهتمامه بتوسعة وبناء المساجد والمدارس فضلا عن قيام الوزراء والعلماء ببناء المساجد والمدارس.

The study aimed to demonstrate the prosperity of the urban movement during the reign of the Abbasid Caliph Al-Mustadi' bi-Amr Allah by mentioning the facilities that were built during his reign, including palaces, mosques, and schools, in addition to the renovation and expansion of various buildings, as well as talking about the impact of those works during that period. The biography of the Caliph was also addressed, and the most prominent stations in it were stated, including his birth, wives, children, assuming the caliphate, and his death. The study concluded that the Caliph Al-Mustadi' bi-Amr Allah was distinguished by being a strong personality with historical weight through his insightful thinking in dealing with some difficulties and proving his military success in building a strong state. The study revealed to us the Caliph's interest in the urban aspect, and this appeared clearly through his interest in expanding and building

mosques and schools, in addition to the ministers and scholars building mosques and schools.

أولاً: سيرة الخليفة المستضيء بأمر الله

١- اسمه وكنيته ونسبه:

أبو محمد الحسن المستضيء بأمر الله بن (١) المستجد بالله أبو المظفر يوسف بن محمد المقتفي لأمر الله أبي عبدالله محمد بن أحمد المستظهر بالله (٢) أبي عبدالله أحمد بن المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبدالله محمد القائم بأمر الله أبي جعفر عبدالله بن أحمد القادر بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي أحمد بن محمد المتوكل أبي جعفر عبدالله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن اسحاق المقتدر بالله بن أحمد المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق بن محمد المتوكل جعفر بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله (٣) ويكنى أبا محمد (٤) ويرجع نسبه إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (٥).

٢- ولادته:

ولد الخليفة أبا محمد الحسن المستضيء بأمر الله العباسي السادس من شعبان سنة ٥٣٦هـ/١١٤٢م (٦).

٣- صفاته:

وصف العديد من المؤلفين الخليفة المستضيء بأمر الله بالكثير من الصفات فقد وصفه ابن الجوزي بانه "أظهر العدل والكرم مالم نره في أعمارنا" (٧) أما ابن الأثير اثنى عليه قائلاً "انه كان عادلاً حسن السيرة في الرعية كثير البذل للأموال وكان الناس يحبونه وكان حليماً قليل المعاقبة على الذنوب محباً للغفو والصفح عن المذنبين فعاش حميداً ومات سعيداً" (٨) أما سبط ابن الجوزي فوصفه قائلاً "كان [جواداً] عادلاً، شريف النفس، حسن السيرة، ليس للمال عنده قدر، حليماً، مشفقاً على الرعية، أسقط المكوس والضرائب، وكان متواضعاً" (٩) و ابن كثير ذكر بانه " كان من خيار الخلفاء أزال المكوس عن الناس والضرائب مبطلاً للبدع وكان حليماً وقوراً" (١٠) وقال عنه الذهبي " أنه كان رحيماً شقيقاً ليناً كريماً" (١١).

٤- والدته:

والدة الخليفة المستضيء بأمر الله كان اسمها غضة وهي ارمنية الأصل^(١٢).

٥- اخوته

لم تشر المصادر إلى اخوته الا اشارات قليلة سيما عن اخيه ابو القاسم وذكر بان ابن الخشاب عبد الله بن أحمد بن أحمد كان معلما ومؤدبا لأولاد الخليفة المستجد المستضيء بأمر الله واخيه الامير ابو القاسم و كان شديدا في تعليمهم^(١٣).

وله اخت اسمها عائشة بنت الخليفة المستجد وكانت صالحة ولها كثير من اعمال الخير، وبنت لها رباط في بغداد يعرف باسمها، كما انها كانت معمرة اذ رأت العديد من الخلفاء هم اباها وأخاها المستضيء وابن أخيها الخليفة الناصر لدين الله وابنه الخليفة الظاهر بأمر الله ٦٢٢-٦٢٣هـ/١٢٢٥-١٢٢٦ وابنه الخليفة المستنصر بالله ٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م ، توفيت السيدة عائشة سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م^(١٤).

٦- زوجاته:

أ- زمرد خاتون ٥٩٩هـ/١٢٠٣:

والدة الخليفة الناصر لدين الله تركية الأصل عاشت أربع وعشرون سنة في خلافة أبنها الناصر وقفت العديد من المدارس والربط والمساجد فضلاً عن ذلك لديها أوقاف كثيرة في القربات أنشأت رباط المأمونية^(١٥) وكانت امرأة صالحة كثيرة الصدقات^(١٦)، وصفت بأنها كثيرة المعروف وأنشأت مدرستين الأولى مدرسة الأصحاب أي أصحاب الشافعية في بغداد وتقع المدرسة عند قبر الشيخ بشر بن الحارث^(١٧)، والثانية سميت باسمها^(١٨) توفيت السيدة زمرد خاتون سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٣م^(١٩)، وقبرها موجود الآن والذي يطلق عليه خطأ قبة السيدة زبيدة بالقرب من قبر معروف الكرخي .

ب- السيدة بنفشة:

بنفشاً بنت عبدالله زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي إنشأت الكثير من المدارس والربط والمساجد منها مسجد الذي سمي بإسمها ويقع بسوق الخفاقين ويعرف بسوق الثلاثاء عند العقد الجديد^(٢٠) في بغداد وعمر عمارة فائقة وكسي بفرش جيدة افتتح هذا المسجد في النصف من شعبان سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م^(٢١) وكان أول اماماً يأم بهذا المسجد الشيخ عبد الوهاب بن العيبي^(٢٢) زوج أبنه الشيخ العلامة أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ٥٩٧هـ/١٢٠٠م وكان هذا المسجد قد لاقى اهتماماً كبيراً من قبل السيدة بنفشاً بنت عبدالله وذلك بتعيينها شيخ يؤم بالناس ويقرأ القرآن^(٢٣).

ج- شرف خاتون التركية

عتيقه الخليفة المستضيء بأمر الله وام ولده الامير ابي منصور كانت امراً صالحة وتوفيت سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ هـ وصل عليها بصلح السلام ودفنت بتربة الرصافة^(٢٤).

٧- أولاده:

أ- الناصر لدين الله:

أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن أبي محمد الحسن المستضيء بأمر الله بن أبي المظفر يوسف المستجد بالله بن أبي عبد الله محمد المقتفي بأمر الله بن أبي العباسي العباس أحمد المستظهر بالله بن أبي القاسم عبدالله المقتدي بالله بن محمد بن أبي جعفر عبدالله القائم بن أبي العباس أحمد القادر بالله^(٢٥).

وتسلم الناصر لدين الله الخلافة بعد أن عهد لها له أبيه الخليفة المستضيء بأمر الله قبل يوم واحد من وفاته سنة ٥٧٥/١١٨٠م^(٢٦) ونهج سياسة ابيه المستضيء بأمر الله في إزالة المكوس والضرائب عن كاهل الناس وكان حليماً كريماً وقوراً^(٢٧).

وقد واصل الخليفة العباسي الناصر لدين الله جهود والده في القضاء على السلاجقة إذ سار على نهج أسلافه في التصدي والقضاء على سلطانهم وذلك عندما أرسل السلطان طغرلبيك الثالث بعد أن قوي أمره رسوله قزل إلى الخليفة الناصر لدين الله يستجده ويحذره من طغرلبيك الثالث وأنه يريد أن يتقدم إلى الديوان ليعمر دار السلطنة ليسكنها وقد جاء رد الخليفة الناصر قوي جداً ضد السلاجقة إذا أمر بهدم دار السلطنة نهائياً ومسح أثرها وقد

ازدهار الحركة العمرانية في عهد الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله

٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٨٠م

استجاب الخليفة الناصر لنجدة قزل أرسلان وجهز جيشا بقيادة وزيرة جلال الدين عبيد الله بن يونس سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م ووصل قرب همذان لكن تأخر قزل وجيشه أدى إلى هزيمة جيش الخليفة وأسر الوزير جلال الدين من قبل عسكر السلطان طغرل بك واستولوا على الغنائم^(٢٨)

وتعد سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م بداية نهاية الحكم السلجوقي بعد أن طلب الخليفة الناصر من سلطان الخوارزميين خوارزم شاه أن يعاونه للقضاء عليهم واستجاب علاء الدين تكش ٥٩٦هـ/١١٩٩م^(٢٩) لطلب الخليفة الناصر لدين وخرج على رأس جيش، ووصل إلى الري ودارت معركة بينهما، قتل فيها طغرل بك الثالث آخر سلاطين السلاجقة، وبذلك انتهى حكمهم^(٣٠).

وكان الخليفة الناصر لدين الله قد تسلم في ربيع الأول سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م حديثة وعانة بعد أن سير لها جيش وحاصرها سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م^(٣١).

توفي الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م بعد أن استمر بالحكم ثمان واربعين سنة وتولى الخلافة ولي عهده ابنه الظاهر بأمر الله^(٣٢).

ب- أبو منصور هاشم:

أبو منصور هاشم بن أبو محمد الحسن المستضيء بأمر الله ، والدته شرف خاتون ، أما عن اخباره فان المصادر لم تشر اليها الا بالنزر القليل منها ان الخليفة اراد ان يجعله وليا للعهد إلا أن السيدة بنفشأ استطاعت من تغيير رأي الخليفة بان يجعل ولي عهده ابنه أبو العباس أحمد الذي أصبح الخليفة الناصر لدين الله ، وحفظ لها هذا الامر اذ كان يكرمها ويجلها وعندما توفيت حزن عليها ودفنها في تربة امها زمردة خاتون^(٣٣) ، توفي ابو منصور سنة ٥٧٨هـ ودفن بالقرب من ابيه^(٣٤).

٨- توليه الخلافة:

وتولى الخلافة الخليفة المستضيء لأمر الله أبو محمد الحسن بعد مقتل والده الخليفة المستجد سنة في ثمان ربيع الآخر ٥٦٦هـ/١١٧٠م اذ تذكر المصادر انه تأمر على قتله كل من أستاذ الدار عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء، وقطب الدين قايمارز المقتفوي، وطبيب ابن صفية على قتله اذ ان الخليفة المستجد بالله وهو في مرضه كتب إلى وزيره أبا جعفر بن البلدي عن طريقه طبيب ابن صفية يأمره بالقبض على أستاذ الدار وقطب الدين وصلبهما، إلا أن ابن صفية أعلمهم بكتاب الخليفة لذا قرروا قتله فحملوه إلى الحمام واغلق الباب عليه فمات، عندئذ احضروا ولده ايو محمد الحسن فبايعوه ولقب المستضيء لأمر الله^(٣٥)، الا انهم اشترطوا عليه أن يكون عضد الدين وزيراً، وابنه كمال الدين أستاذ الدار، وقطب الدين أمير العسكر، فوافقهم إلى ذلك^(٣٦).

وبعد ذلك بايعه أهل بيته وكبار رجال دولته، ثم بايعة العامة وقد نشر العدل بين الناس وفرق المال عليهم^(٣٧) ورد مظالم الناس ونادى برفع المكوس وفرق المال على العلماء الهاشميين والعلويين^(٣٨).

أما وزير الخليفة المستجد أبا جعفر بن البلدي فقتل شر قتله اذ بعد قدومه إلى دار الخلافة لتقديم العزاء والتهنئة للخليفة، لكن بعد خروجه قتل وقطع إلى قطعاً ثم رميه في دجلة، ومصادرة بيته وأمواله، لكنهم وجدوا في بيته كتب بخط الخليفة يأمره بقتلهم لكنه طلب منه العفو عنهم فوافق في ذلك، فندما على قتله بتلك الطريقة البشعة^(٣٩).

ومما يشار إليه أنه لم يتول الخلافة من اسمه الحسن وكنيته أبو محمد غير الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما والمستضيء بأمر الله، وبذلك اتفقا في الاسم والكنية والكرم^(٤٠).

وهناك من المصادر تذكر ان لقبه كان المستضيء بنور الله^(٤١)، الا ان المتفق عليه هو المستضيء بأمر الله .

وأنشد الشاعر الحيص بيص أبياتا في الثناء على الخليفة ومدحه عند توليه الخلافة بقوله^(٤٢):

أَقُولُ وَقَدْ تَوَلَّى الْأَمْرَ حَبْرٌ وَلِيٍّ لَمْ يَزَلْ بَرًّا تَقِيًّا

وقد كُشِفَ الظَّلَامُ بِمُسْتَضِيٍّ غَدَا بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ حَفِيًّا

بَلَّغْنَا فَوْقَ مَا كُنَّا نَرْجِي هَنِيئًا يَا ابْنِي الدُّنْيَا هَنِيًّا

سَأَلْتُ اللَّهَ يَرْزُقْنَا إِمَامًا نُسَرِّ بِهِ فَأَعْطَانَا نَبِيًّا^٣

واستقبل الخليفة العديد من الرسل من مختلف البلاد الاسلامية لتقديم التهنئة ومبايعته مثل الرسل الذين اتوا من همدان في سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م فبايعوه بالخلافة ، وكذلك في سنة ٥٦٧هـ قدمت رسل ملك البحرين الى بغداد لمبايعة الخليفة المستضيء ومعهم الهدايا التي كانت ألواح صندل وآبنوس وطيب وناب فيل^(٤٣)

٩ - نقش خاتمه:

وكان نقش خاتم الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي "من فكر في المال عمل للانتقال"^(٤٤)

١٠ - وفاته:

توفي الخليفة المستضيء بأمر الله سنة ٥٧٥/١١٨٠م^(٤٥) وتحدث الملك المنصور عن وفاته قائلاً "وفيها مرض المستضيء بأمر الله واشتد به المرض وكثرت الأراجيف بموته ولم يتحقق الناس ذلك وكانت الأسواق تغلق في أكثر الأوقات لا يجسر أحد أن يبيع ويشترى فكانت وفاته أول ليلة من ذي القعدة من السنة وكانت خلافته تسع سنين وستة أشهر وأحدًا وعشرين يومًا"^(٤٦) توفي وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وتولى الخلافة ولي عهده ولده ابو العباس أحمد الذي تلقب بالناصر لدين الله^(٤٧)، ودفن في داره، ثم نقل بعد ذلك إلى تربته المجاورة لجامع فخر الدولة^(٤٨). وذكر قبره ياقوت الحموي قائلاً "وأما المستضيء فعليه تربة مفردة في ظاهر محلة قصر عيسى بالجانب الغربي من بغداد معروفة"^(٤٩)

ثانيا :الحركة العمرانية في عهد الخليفة المستضيء بأمر الله

ازدهرت الحركة العمرانية في عهد الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله سواء الابنية التي امر بإنشائها الخليفة او التي بنيت من قبل زوجات الخليفة والوزراء والقادة وكانت متنوعة هذه الابنية سواء كانت قصور او مساجد او مدارس وهي كالاتي :

اعادة بناء ما تهدم من مجلس التاج^(٥٠) في قصر الخلافة ،اذ تعرض المجلس إلى صاعقة في عهد الخليفة المقتفي سنة(٥٤٩هـ/١١٥٤م) فتأجبت فيه النار مع القبة وما حولها من بناء واستمرت النار تسعة أيام مشتعلة فيها ، إلى ان أنطفئت بعد ان تحولت إلى رماد ، ثم أمر الخليفة المقتفي بإعادة بناء القبة على الصورة الأولى ولكن بالجص والآجر دون الأساطين الرخام ولكنه لم يتمه فتوفي سنة ٥٥٥هـ^(٥١)، وبعد تولي الخليفة المستضيء الخلافة امر في سنة(٥٧٤هـ/١١٧٨م) بإعادة بناء مجلس التاج على ما كان عليه ، بين ذلك ياقوت الحموي قائلاً " وبقي كذلك إلى سنة(٥٧٤هـ/١١٧٨م) " مجلس التاج " فتقدم أمير المؤمنين المستضيء بنقضه وإبراز المسناة التي بين يديه إلى أن تحاذى به مسناة التاج فشق أساسها ووضع البناء فيه على خط مستقيم من مسناة التاج، واستعملت أنقاض التاج مع ما كان أعد من الآلات من عمل هذه المسناة ووضع موضع الصحن الذي تجلس فيه الأئمة للمبايعة، وهو الذي يدعى اليوم التاج " ^(٥٢)

وأيضاً بنى الخليفة قصر جديد ، ودعا إليها رجال دولته وذلك في سنة(٥٧٠هـ/١١٧٤م) بعد ان قدموا إليها لتهنئة بقدوم شهر رجب اذ كان الخليفة يعمل مجلس علم وعظ بمناسبة قدوم شهر رجب المبارك وقال عن ذلك ابن الجوزي "في أول يوم من رجب: حضر أرباب الدولة للهناء بباب الحجرة ثم انصرفوا إلى الدار الجديدة التي عمرها المستضيء مقابلة المخزن وحضر العلماء والمتصوفة والقراء واستدعيت مع القوم فقرأوا ختمة وأكلوا طعاما وانصرف قاضي القضاة في جماعة من الأكابر وانصرفت معه وبقي المتصوفة فباتوا على سماع وخلعت على الكل خلع وفرق عليهم مال"^(٥٣).

وكذلك بني للخليفة المستضيء كشك^(٥٤) خارج أسوار دار الخلافة، وقيل انه تم تجديده ، وكان الخليفة يخرج إليه للاستراحة أو لاستقبال الناس و أرباب الدولة ، وفي بعض الأحيان ينام فيه ويخرج منه للصيد ^(٥٥).

ومن أعمال الخليفة المستضيء أنه أمر بعمل دكة^(٥٦) في جامع القصر بدار الخلافة وذلك لالقاء الدروس العلمية والوعظ للشيخ أبي الفتح بن المنى الحنبلي^(٥٧).

وقام الخليفة ببناء دارا لزوجته بنفسها ووصفت بأنها كانت من أجمل الأبنية والإتقان والتي اكتمل بنائه سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م) وذكر ذلك ابن الساعي قائلا "وبنى لها دارا مجاوره لباب الغربية الشريفة على شاطئ دجلة فجاءت عالية البناء واسعه الفناء تشتمل على مقاصير وحجرات ومناظر ومنتزهات ويجاور هذا الباب أربعة دواليب تستقى الماء من دجله إلى دار الخلافة المعظمة كل واحد منها أعلى من الآخر فيأخذ الأول من دجلة والثاني من الأول والثالث من الثالث والرابع من الثالث ولما تمت هذه الدار امرت بإنشاء جسر جديد ينصب بين يدي هذه الدار إلى باب الرقة في الجانب الغربي فصار ذلك فرجه الانام ومنتزه الخاص والعام"^(٥٨)

وفي عهده تم عقد جسر جديد على نهر دجلة قامت بعملها على نفقتها زوجة الخليفة بنفسها وبذلك أصبح على نهر دجلة جسرين فتم التخفيف على الناس وأصبحوا أكثر ارتياحا في عبور النهر، كما انها اقامت قنطرة على نهر عيسى^(٥٩).

ومما يدل على ان الخليفة المستضيء بأمر الله كان مهتماً بالجوانب العمرانية عندما تمكن نور الدين محمود من السيطرة على الموصل وامر ابن اخيه سيف الدين بعد ان سلمه الموصل بعمارة الجامع النوري ومنارته وولي الشيخ عمر الملا^(٦٠) واكتمل بنائه سنة (٥٨٦هـ/١١٧٣م)^(٦١).

كما امر الخليفة المستضيء بعمارة الميل في مكة المكرمة ووصف ابن جبير ذلك قائلا "والميل سارية خضراء، وهي خضرة صباغية. وهي التي إلى ركن الصومعة التي على الركن الشرقي من الحرم على قارعة المسيل إلى المروة وعن يسار الساعي اليها. ومنها يرمل في السعي إلى الميلين الأخضرين، وهما أيضا ساريتان خضراوان على الصفة المذكورة، الواحدة منها بإزاء باب علي في جدار الحرم وعن يسار الخارج من الباب، والميل الآخر يقابله في جدار دار تتصل بدار الأمير مكثر. وعلى كل واحدة منهما لوح قد وضع على رأس السارية كالتاج ألفيت فيه منقوشا برسم مذهب: "إن الصفا والمروة من شعائر الله"

وبعدها أمر بعمارة هذا الميل عبد الله وخليفته أبو محمد المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين، أعز الله نصره، في سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة^(٦٢)

وكان الخليفة المستضيء بأمر الله أول من أمر بكسوة الحجرة النبوية الشريفة من الخلفاء والسبب في ذلك أن الحسين بن أبي الهيجاء صهر الصالح طلائع بن رزيق وزير الخليفة العاضد الفاطمي عمل كسوة الحجرة النبوية الشريفة وأرسلها إلى المدينة المنورة إلا أن أمير المدينة قاسم بن مهنا رفض تعليقها حتى يأذن له الخليفة بذلك فجاءه الأذن بتعليقها، ووصف السهمودي الكسوة قائلاً: "ستارة من الديبقي الأبيض، وعليها الطروز والجامات المرقومة بالأبريسم الأصفر والأحمر، ونيطها وأدار عليها زناراً من الحرير الأحمر، والزنار مكتوب عليه سورة" يس" بأسرها"^(٦٣) وبقيت هذه الستارة معلقة لمدة عامين إلى أن أمر الخليفة المستضيء بأمر الله. بعمل ستارة جديدة للحجرة النبوية الشريفة فبعد أن اكملت أرسلت إلى المدينة المنورة فعلمت على الحجرة، وذكر لنا القلقشندي ذلك قائلاً " ثم جاءت من الخليفة ستارة من الإبريسم البنفسجي عليها الطرز والجامات البيض المرقومة وعلى دوران جاماتها مكتوب بالرقم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعلى طرازها اسم الإمام المستضيء بأمر الله، فشيلت تلك ونفذت إلى مشهد علي بن أبي طالب بالكوفة، وعلمت هذه عوضها، فلما ولي الإمام الناصر لدين الله نفذ ستارة أخرى من الإبريسم الأسود، وطرزها وجاماتها من الإبريسم الأبيض، فعلمت فوق تلك، فلما حجت الجهة أم الخليفة وعادت إلى العراق عملت ستارة من الإبريسم الأسود أيضاً على شكل المذكورة ونفذتها فعلمت على هذه، ففي يومنا هذا على الحجرة ثلاث ستائر بعضهن على بعض"^(٦٤).

وأيضاً بني في عهده العديد من المساجد ومنها المسجد الذي أمر ببنائه في السوق عند العقد الجديد تميز بأنه كان كبيراً وتميزت عمارته كانت عمارة فائقة ثم كساه، وعين له عبد الوهاب بن العيبي زوج بنت ابن الجوزي إماماً يؤم بالناس وتميز المسجد كان مزدحماً بالمصلين^(٦٥).

وبنت أيضاً السيدة نفشا مسجداً كبيراً في السوق الخبازين^(٦٦) والتي أمرت بإنشائه بسوق الخفاقين والذي يعرف بالسوق الثلاثاء عند العقد الجديد^(٦٧)، وكذلك بني أبو الحسن

علي بن أحمد بن محمد بن عمر بن الحسين العلوي الزيدي مسجداً في درب دينار في بغداد وسبب بناء المسجد ان عضد الدين ابن رئيس الرؤساء نذر، إذ رجع إلى الوزارة يبعث إليه بألف دينار، فاعلم الخليفة بذلك والذي ارسل اليه ألف دينار، وارسلت له بنفشاً أيضاً بألف دينار، إلا أنه لم يتصرف فيها، فاشترى بها داراً بدرب دينار الصغير وبناها مسجداً، واشترى بالبقية كتباً، ووقفها في المسجد لطلبة العلم، توفي ابو الحسن في سنة (٥٧٥هـ/١١٨٠م) ودفن في المسجد^(٦٨).

فضلاً عن هذا فقد ذكر ابن الجوزي ان الخليفة المستضيء امر في سنة (٥٧٤هـ/١١٧٩م) بتجديد قبر الإمام أحمد بن حنبل قائلاً: "وفي اوائل جمادي الاولى تقدم امير المؤمنين بعمل لوح ينصب على قبر الإمام أحمد بن حنبل فعمل ونقضت السترة جميعها وبنيت بأجر مقطوع وبنيت لها جانبان وكتب ووقع اللوح الجديد وفي رأسه مكتوب هذا امر بعمله سيدنا ومولانا المستضيء بأمر الله امير المؤمنين وفي وسطه: هذا قبر تاج السنة وحيد الامة العالي الهمة العالم العابد الفقيه الزاهد الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رحمه الله وقد كتب تاريخ وفاته وآية الكرسي حول ذلك"^(٦٩).

وكذلك اهتم في عهد الخليفة ببناء المدارس او تجديدها وهذا كان له الاثر الكبير في ازدهار الحركة العلمية ومن هذه المدارس مدرسة التي أنشأت بباب الأزج في سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م)، من قبل السيدة بنفشاً زوجة الخليفة المستضيء وأوقفتها على أصحاب الامام أحمد بن حنبل، وفوضت أمرها إلى الامام ابن الجوزي، وأوقفت عليها قرية كاملة لمصروفاتها^(٧٠) وفي سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م) كتب على حائط المدرسة بخط القطاع في الأجر "وقفت هذه المدرسة الميمونة الجهة المعظمة الشريفة الرحيمة بدار الرواشني في أيام سيدنا ومولانا الإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين على أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وفوضت التدريس بها إلى ناصر السنة أبي الفرج ابن الجوزي"^(٧١) وتعرف هذه المدرسة باسم مدرسة بنفشاً او المدرسة الشاطئية^(٧٢).

كما بنيت السيدة بنفشاً رباطاً للصوفيّات في سوق المدرسة واكتمل بناءه في أول رجب من سنة (٥٧٣هـ/١١٧٦م) وعملت فيه دعوة وفرقت عليهم اموالاً^(٧٣).

الخاتمة

- كشفت لنا الدراسة أموراً وحقائق عدة، ورؤى فكرية تاريخية يمكن أن نجملها بالاتي :
- ١-تميز الخليفة المستضيء بأمر الله بأنه شخصية قوية لها ثقل تاريخي من خلال فكره الثاقب في التعامل مع بعض الصعاب واثبات نجاحه العسكري في بناء دولة قوية من بعد الضعف وعدم الاستقرار التي كانت تمر بها الدولة العباسية , وتمكنه من القضاء على كافة التمردات والتحديات التي واجهته .
 - ٢-كشفت الدراسة اهتمام الخليفة بالجانب العمراني ,وظهر هذا واضحاً من خلال اهتمامه بتوسعة وبناء المساجد والمدارس فضلاً عن الوزراء والعلماء الذين اهتموا ببناء المساجد والمدارس .
 - ٣-الاهتمام الواسع الخليفة بالعلم والعلماء من خلال بناء أماكن العلم ومساجد و مدارس فضلاً عن الربط العديدة وأقام لها الأوقاف الكافية لها.

قائمة المصادر

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن عبد الواحد الشيبانيت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م
٢. الأصبهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن صفى الدين بن نفيس الدين حامد بن الهت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م، البرق الشامي، ط١، تح: فالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان، الأردن، ١٩٨٧م .
٣. الملك المنصور، محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه الأيوبي ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م ، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تح: الدكتور حسن حبشي، عالم الكتب ، القاهرة ، بلا.
٤. بامحزمة، الطيب بن عبدالله بن أحمد بن علي ت ٨٧٠هـ / ٩٤٧م، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ط١، تح: خالد زواري ، مج١، دار المنهاج ، بيروت ، بلا .
٥. ابن تغرى بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي ت ٨٤٧هـ / ١٤٦٩م، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب، مصر ، بلا .
٦. ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمدت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م، المصباح المضيء في خلافة المستضيء ، ط١، شركة المطبوعات للنشر، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٠م / ١٤٢١م .
٧. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ط١ ، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ط١، بيروت ، دار الأرقم ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
٨. ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الأشبيليت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة ، ط٢، بيروت ، دار الفكر، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

٩. ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أبراهيمت ٦٨١ هـ / ١٢٨٣م، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
١٠. ابن الديبشي ، أبي عبدالله محمد بن سعيد ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م، ذيل تاريخ مدينة السلام ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .
١١. الذهبي ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمانت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م . .
١٢. ابن الساعي ، أبي طالب علي بن انجب تاج الدين ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تح: مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، ١٣٥٣/ ١٩٣٤م .
١٣. ابن الساعينساء الخلفاء، تح: مصطفى جواد، دار المعارف، مصر، بلا
١٤. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزا ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: كامل سلمان، دار الكتب العلمية، لبنان
١٥. السمهودي، علي بن عبدالله بن أحمد الحسني ٩١١هـ / ١٥٠٥م، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م،
١٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرت ٩١١هـ / ١٥٠٥م، تاريخ الخلفاء، تح: حمدي الدمرداش ، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
١٧. ابن العبري، غريغوريوس ابن هارون بن توما الملطي ٦٨٥هـ / ١٢٨٤م، تاريخ مختصر الدول، ط٣، تح: أنطون صالحاني اليسوعي ، دار الشرق ، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ..
١٨. ابن العمراني، محمد بن علي بن محمدت ٥٨٠هـ / ١١٨٤م، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، ط١، القاهرة ، دار الآفاق العربية ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

١٩. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمدت ٧٣٢هـ/١٣٣١م، المختصر في اخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، مصر ، بلا .
٢٠. ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشيت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .
٢١. ابن الفوطي، كما الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابونيت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تح: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، لبنان ، بلا .
٢٢. ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغداديت ٦٩٧هـ / ١٣٠٠م، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تح: مصطفى جواد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .
٢٣. ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي ٦٣٧هـ/١١٣٩م، تاريخ اربل، تح: سامي بن سيد خماس، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٠م .
٢٤. المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادرت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م، السلوك لمعرفة دول الملوك، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .
٢٥. ابن النجار، محب الدين أبي عبدالله محمد بن محمود ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م، ذيل تاريخ بغداد، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .
٢٦. ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م، تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بلا .
٢٧. اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبدالله بن أسعد ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تح: خليل المنصور، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

ازدهار الحركة العمرانية في عهد الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله

٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٨٠م

٢٨. ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت: ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م، معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥م .

الهوامش:

^١ ابن الجوزي، المصباح المضيء في خلافة المستضيء، ص٤٩٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٣٢.

^٢ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٥٨.

^٣ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٠٦.

^٤ ابن الجوزي، المنتظم، تلقيح فهم أهل الأثر في عيون التأريخ والسير، ج١، ص٧٠.

^٥ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٠٦.

^٦ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٣٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٤٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٠، ص١٦٥.

^٧ المنتظم، ج١٠، ص٢٣٣.

^٨ الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٥٨.

^٩ سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزلا ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: كامل سلمان، دار الكتب العلمية، لبنان، ج٢١، ص٢٦٣.

^{١٠} البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٠٤.

^{١١} تاريخ الإسلام، ج٤٠، ص١٦٥.

^{١٢} ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٣٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٤٢؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك ٧٦٤هـ/١٣٦٢م، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، دار احياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج١، ص٣٧١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٦، ص٤٤٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٠، ص١٦٦، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١، ص٣١٥.

^{١٣} ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلافي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي ٧٩٥هـ/١٣٩٢م، ذيل طبقات الحنابلة، ط١، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ج٢، ص٢٥٢؛ ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج٦، ص٣٦٧؛ العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشيت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج٩، ص٤٤٢.

- ^{١٤} الفوطي، كمال الدين ابي الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن أحمد الشيباني ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تح: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، لبنان، ص ١٤٣.
- ^{١٥} المأمونية: وهي محلة طويلة وعريضة تقع في بغداد بين نهر المعلى وباب الازج سميت بهذا الاسم نسبة إلى الخليفة المأمون بن هارون الرشيد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٤.
- ^{١٦} ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ١٨٢.
- ^{١٧} بشر بن الحارث: هو الزاهد بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المرزوي ويكنى بشر الحافي اسلم على يد الخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ولد في بغداد سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م سمع الحديث من حماد بن زيد عبدالله بن المبارك وغيرهم ثم اشتغل بالعبادة واعتزل الناس وكان معروف بزهده وعبادته، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٩٧.
- ^{١٨} أبي طالب علي بن انجب تاج الدين ٦٧٤هـ/١٢٧٥م، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تح: مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، ١٩٣٤، ١٣٥٣م، ج ٩، ص ١٨٩.
- ^٣ ابن الفوطي، كما الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، تلخيص مجمع الآداب، ج ٤، ص ٤٩٧-٤٩٨؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ج ٩، ص ٨٩.
- ^{٢٠} ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج ٤٩٧-٤٩٨؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ج ٩، ص ٨٩.
- ^{٢١} ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢٧٢؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ج ٩، ص ٨٨-٨٩.
- ^{٢٢} العيبي: هو ابو الفتح عبد الوهاب بن العيبي المعروف بقطينة قرأ القرآن على يد ابي الحسن بن عساكر وابي الفتح عبد الوهاب بن محمد المالكي وسمع الحديث من ابي الوقت السجزي وكان من الموصوفين بالتجويد والمعرفة والاتقان، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤٤، ص ١١٢-١١٣.
- ^{٢٣} ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢٧٢.
- ^{٢٤} ابن الديلمي، ذيل تاريخ مدينة السلام، ج ٤، ص ٨٤؛ ابن الساعي، تاج الدين أبي طالب علي بن أنجب البغدادت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م، نساء الخلفاء، تح: مصطفى جواد، دار المعارف، مصر، ص ١١٨.
- ^{٢٥} الملك المنصور ، مضمار الحقائق وسر الخلائق، ج ١، ص ٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٠٦.
- ^{٢٦} أبي شامة، عيون الروضتين وأخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج ٣، ص ٥٣.
- ^{٢٧} ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣٧٤.
- ^{٢٨} ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤٤، ٦٢.

٢٩ علاء الدين تكش: هو علاء الدين تكش بن ارسلان بن اتسز بن محمد وهو من نسل طاهر بن الحسين مؤسس الأمانة الطاهرية وكان شجاعا وأزال دولة السلاجقة،الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٣٣٠-٣٣١ .

٣٠الذهبي ، تاريخ الإسلام، ج٤١، ص٩٣.

٣١أبو الفداء، المختصر في تاريخ البشر، ج٨٩، ٣-٩٠.

٣٢ابن نضيف الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف ،التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق أبو العبد دودو، مطبعة الحجاز، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص١١٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٢٦٢.

٣٣ ابن الديلمي، ذيل تاريخ مدينة السلام، ج٤، ص٨٤؛ ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١١٨.

٣٤ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٦٩؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص ٨٤.

٣٥الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٥٨.

٣٦ العلّمي ،عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي٩٢٨هـ/١٥٢١م، التاريخ المعتبر في أنباء من غير، تح: لجنة مختصة من المحققين، دار النوادر، سوريا، ٢٠١١م، ج١، ص٤٠٠.

٣٧ ابن العبري، غريغوريوس ابن هارون بن توما الملطي٦٨٥هـ/١٢٨٤م، تاريخ مختصر الدول، ط٣، تح: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢١٤.

٣٨ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٠، ص١٦٦.

٣٩ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٢٣٣؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٥٨.

٤٠ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٢١، ص١٦٤.

٤١المقريزي ، احمد بن علي بن عبد القادر٨٤٥هـ/١٤٤١م، السلوك لمعرفة دول الملوك، ط١، تح:

محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١، ص١٥٠؛الدميري ،حياة الحيوان الكبرى ، ج١، ص١٤١.

٤٢ ابن العماد الاصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء العراق ، ج١، ص ٣٦٦.

٤٣ ابن الجوزي ،المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،ج١٨، ص ١٩٤، ١٩٧.

٤٤ ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي٦٩٧هـ/١٣٠٠م، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تح: مصطفى جواد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص٢٣٨.

- ^{٤٥} أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٣، ص ٤٦؛ الياضي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج ٣، ص ٣٠٤؛ المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص ١٨٠.
- ^{٤٦} الملك المنصور، مضمار الحقائق وسر الخلائق، ص ٤.
- ^{٤٧} ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص ٢٠٠؛ غريغوريوس، تاريخ مختصر الدول، ص ٢١٦.
- ^{٤٨} سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج ٢١، ص ٢٦٥.
- ^{٤٩} معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٦.
- (^{٥٠}) مجلس التاج: هو كالرواق بدار الخلافة ببغداد على أساطين رخام وخمس طاقات، بين كل طاقين منها خمس أساطين، أربعة والخامس في الوسط في غاية من العلو والارتفاع، ابن عبد الحق البغدادي، مرصد الاطلاع، ج ١، ص ٢٤٨.
- (^{٥١}) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥.
- (^{٥٢}) معجم البلدان، ج ٢، ص ٥.
- (^{٥٣}) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢٥٢.
- (^{٥٤}) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٨، ص ٢١٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤٠، ص ٧.
- (^{٥٥}) الكشك: بناء يقام في حديقة البيت أو في حديقة عامة يكون لاستقبال الضيوف أو يستخدم للراحة وهو على شكل شبه رواق، غالب، عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، دار جرس برس، بيروت، ١٩٨١، ص ٣٢٤.
- (^{٥٦}) الدكة: مقعد ثابت مبني كالمصطبة تكون مبنية من الحجر أو الرخام تقام في المساجد أو القصور أو الأماكن العامة تستخدم لإلقاء المحاضرات أو في الجلوس، غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص ١٨٩.
- (^{٥٧}) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢٨٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤٠، ص ٢٥.
- (^{٥٨}) ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١١٢.
- (^{٥٩}) ابن الساعي، جامع المختصر، ج ٩، ص ٨٩؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٤، ص ١١٢.
- (^{٦٠}) عمر الملا: وهو من كبار الشيوخ الصالحين الذي عمر الجامع النوري في الموصل وأنفق فيه أموالاً كثيرة،
- الصفدي، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٠٣.
- (^{٦١}) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣٦٢.

(٦٢) الرحلة، ص ٧٥.

(٦٣) السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني (٩١١هـ/١٥٠٥م)، وفاء الوفاء بأخبار دار

المصطفى، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج ٢، ص ١٣٨.

(٦٤) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٤، ص ٣٠٧.

(٦٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢٧٢.

(٦٦) ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١١٢.

(٦٧) ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، تلخيص مجمع

الآداب، تح: محمد الكاظم، ط ١، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج ٤،

ص ٤٩٧-٤٩٨؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ج ٩، ص ٨٩.

(٦٨) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢١، ص ٢٦٥.

(٦٩) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢٨٣.

(٧٠) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج ٢١، ص ٢٢٥.

(٧١) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢٥٠.

(٧٢) ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص ١١٢.

(٧٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٠، ص ٢٧١.

عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ) وكتابه مرآة

الجنان وعبرة اليقظان

**Abdullah bin Asaad Al-Yafei (768 AH) and
his book, Mirror of Heaven and Lesson for
the Vigilant**

بشرى أحمد جواد عبد الحليم جلعوط

Bushra Ahmed Jawad Abdul halim Jalaout
جامعة الأنبار – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم التاريخ
**University of Anbar - College of Education for
Humanities Department - of History**
Bus22h6005@uoanbar.edu.iq

أ.د. عثمان عبد العزيز صالح

Prof. Dr. Othman Abdul Aziz Saleh
جامعة الأنبار – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم التاريخ
**University of Anbar - College of Education for
Humanities Department - of History**
ed.othman.abdalazez@uoanbar.edu.iq

عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ) وكتابه مرآة الجنان وعبرة اليقظان

بشرى أحمد جواد عبد الحليم جلعوط

أ.د. عثمان عبد العزيز صالح

الملخص

يهدف البحث إلى دراسة حياة عبد الله بن أسعد اليافعي، ومنهجه في كتابة كتابه (مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان) وتأتي أهمية الدراسة في أنها تلقي الضوء على سيرة الإمام اليافعي من ولادته إلى وفاته، والقيت الضوء الى أهمية كتابه ومنهجه التاريخي في كتابة مرآة الجنان ، وقسمت الدراسة الى محورين:

تضمن الأول: اسمه، نسبه، نشأته، أسرته، سيرته العلمية ورحلاته، شيوخه، ووفاته.

اما الثاني: تحدثنا فيه (مرآة الجنان وعبرة اليقظان) من حيث: التسمية ، تاريخ تأليفه وترتيبه وأهميته من بين المصنفات التاريخية .

Abstract

This research aims to study the life of Abdullah bin Asaad Al-Yafei, and his approach in writing his book (Mirror of Heaven and Lesson of the Vigilant in Knowing What is Considered from the Incidents of Time). The importance of this study lies in the fact that it sheds light on the biography of Imam Al-Yafei from his birth to his death, and sheds light on the importance of his book and his historical approach in writing this work. The research plan was divided into two sections: The first section included: his name, lineage, upbringing, family, scientific biography and travels, sheikhs, and death. The second section included an introduction to the book (Mirror of Heaven and Lesson of the Vigilant) in terms of: its name, date of composition, edition of the book, arrangement of the book, and importance of the book.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اجمعين. أما بعد:

يهدف هذا البحث إلى دراسة حياة الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي (ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٧م)، ومعرفة كتابه (مرآة الجنان وعبرة اليقظان).

يعد اليافعي من اهم العلماء فهو باحث، مؤرخ، أديب، وشاعر شارك مشاركة فعالة في حوادث عصره، وكانت له مكانته الهامة، ووصف بأوصاف عديدة منها شيخ الحجاز، شيخ الصوفية، فكان سبب شهرته يعود إلى نشأته في اسرة علمية اهتمت بتلقين اولادها العلوم المختلفة.

اذ كان اليافعي ملازماً بيته لدراسة العلم والقرآن، لاسيما عندما رأى عليه والده اثار الصلاح فأهتم به كثيراً، اذ عمل على ارساله الى مدينة عدن لأخذ العلم من علمائها ومنهم العالم علي الطواشي، برع اليافعي في العلوم الدينية حج سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م، وبقي في مكة عشرون عاماً متردداً بين مكة والمدينة المنورة ملازماً الأهل العلم لينهل من علومهم المختلفة.

اما فيما يتعلق عن كتابه (مرآة الجنان وعبرة اليقظان) ومنهجه في كتابه مؤلفه هذا، اهتم الإمام اليافعي بكتابه اذ اختصره ولخصه بذكر أهل التواريخ والسير اولو الحفظ والالتقان في التعريف بوفيات بعض المشهورين والأعيان، واختص اليافعي في كتابه بذكر السيرة النبوية سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فذكر غزواته، وشيء في معجزاته وشمائله، ومناقب اصحابه وامور الخلفاء والملوك وحدثها في الازمان، بدأ الإمام اليافعي بترتيب كتابه بذكر حوادث السنين بالتاريخ الهجري من السنة الأولى للهجرة الى سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٧م، ويعد كتاب الإمام اليافعي موسوعة في التاريخ والأدب والتراجم.

أولاً: سيرة اليافعي الشخصية والعلمية

١- سيرته الشخصية

اسمه ونسبه:

عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي اليمني المكي الشافعي^(١)، وسمي باليافعي نسبة إلى قبيلة يافع والتي ترجع إلى قبيلة حمير في اليمن^(٢).

ولادته:

اختلف المصادر في تحديد ولادة اليافعي فمنهم من قال في سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م هي الأرجح^(٣)، وقيل في سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م^(٤) وقيل ولد قبل السبعمئة بسنتين أو ثلاث^(٥) وكانت ولادته في اليمن^(٦).

نشأته:

نشأ اليافعي في أسرة علمية اهتمت بتعليم أولادها العلوم الشرعية ، ولم يكن اليافعي كبقية الاطفال مهتماً باللعب بل كان ملازماً بيته يتعلم العلوم الدينية سيما القرآن الكريم^(٧)، وعندما رأى والده عليه ذكاءه واهتمامه بالتعلم فضلاً عن آثار صلاحه فاهتم به كثيراً، إذ عمل على إرساله إلى مدينة عدن لأخذ العلم من علمائها إذ قرأ القرآن على الفقيه الصالح محمد بن أحمد الله محمد بن أحمد البصال المعروف بالذهبي، قال اليافعي: هو أول من انتفعت به وقرأت عليه التنبيه وأولم البصال عن ختمي وليمة كبيرة^(٨)، وأخذ من علي الطوشي الذي صحبه وأخذ علمه ثم ذهب معه إلى الحج سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م وبقي هناك عشرون عاماً متردداً ما بين مكة والمدينة المنورة ملازماً لأهل العلم لينهل من علومهم المختلفة^(٩).

وحضر مجالس الفقيه حسن بن أبي السرور و القاضي أبي بكر بن أحمد الأديب وأخذ من الشيخ عمر الصفار في أواخر أيامه في عدن^(١٠).

سنتحدث عن أبرز شيوخه الذين نهل العلم منهم لاحقاً الذين كان لهم أثر في تكوينه العلمي والفكري .

برع اليافعي في الفقه والعربية والأصليين واللغة والفرائض والحساب والتصوف وله نظم جيد وتصانيف عديدة^(١١)، وحفظ الحاوي الصغير والجمل وسمع العلم والحديث من الرضي الطبري وعاد إلى اليمن

سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م لزيارة شيخه علي الطواشي^(١٢) وذكره الاسنوي في طبقات الشافعية كان كثير التصانيف وله قصيدة تشمل على عشرون علماً، وكان اغلب تصانيفه صغيرة الحجم معقود بمسائل منفردة

وأن بعض تصانيفه كانت مداخل كالتصريف مع النحو والقوافي مع العروض وكان يصرف أوقاته في وجوه البر واغلبها في العلم^(١٣).
أسرته:

لم تذكر لنا المصادر عن والدته واخوته أي معلومات ، الا انها وضحت لنا بان اليافعي تزوج في مكة سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م^(١٤)، كانت له عدة زوجات هن شريفة بنت الشريف شهاب الدين أبي المكارم أحمد بن الشريف أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسنى الفاسى المكية ، و تزوج بالمدينة المنورة في سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م الحرة الصالحة العابدة ستيت أم محمد ابنة علي اليماني ، وكذلك له زوجتين اسمهما زينب وخديجة احدهما ابنت القاضي نجم الدين وأم أولاده الشهاب ذهبا معه الى المدينة المنورة وتوفيتا في عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤م^(١٥) ، شيء في أي سنة تم زواجه إنما زودتنا بمعلومات عن أولاده وبالتفصيل وكالاتي:

١- عبد الرحمن بن عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي نزيل الحرمين ولد في ليلة الخميس سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م في مكة وسمع من ابيه ورحل إلى دمشق وسمع ابن اميلة ورحل إلى القاهرة وسمع من الشيخ عبد الله بن خليل المكي وحفظ القرآن وبرع في علم الفقه وصحب الصالحين ببلاد كثيرة وانقطع اليهم وعظم أمره وقدره وله كرامات كثيرة^(١٦).

قال الشيخ تقي الدين الفاسي في تاريخه: "ومن احواله الجميلة بلغني انه كان جالساً في الدكة التي بجانب كتاب القروي بالجانب الشامي في المسجد الحرام فذكر له شخص كان عنده شيئاً من كرامات الصالحين واحب أن يرى منه شيئاً فقال الشيخ عبد الرحمن صاحب الترجمة ومنهم من يقول لهذا القنديل وأشار إلى قنديل امامه في الرواق إنزل فنزل القنديل

إلى أرض المسجد الحرام ومنهم من يقول له اطلع فأرتفع القنديل حتى صار معلقاً في موضعه والشيخ عبد الرحمن جالس في الدكة ولم يتحرك من مكانه^(١٧) عمل عبد الرحمن بفنون العلم وكانت تعتريه حدة وفيه صلاح وله شعر ومن شعره -

ألا أن امرأة الشهود اذا انجلت أرتك تلاشي الصد والبعد والقرب

وصانت فؤاد الحب من ألم الأسى وعن ذلة الشكوى وعن منه الكتب^(١٨)

توفي عبد الرحمن ابن الامام اليافعي غريفاً سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م في الرحبة^(١٩) بين الشام والعراق وكان عمره ست وأربعين سنة^(٢٠).

٢- عبد الوهاب بن عبد الله بن اسعد بن علي اليافعي المكي الملقب بتاج الدين الشيخ ابن الشيخ عفيف الدين اشتغل بالفقه وأذن له شيخ الأبناسي^(٢١) ودرس بالحرم^(٢٢) ورحل إلى دمشق فسمع من ابن أميلة وتفقه بالأمبوطي^(٢٣) وكان عابداً، خيراً، ورعاً قليل الكلام فيما لا يعنيه وسمع منه ابن حجر^(٢٤) وسمع من أبيه اليافعي وحدث عنه بـ «صحيح البخاري»^(٢٥).

وسمع على الزين العراقي مؤلفه في قصر الشارب^(٢٦) وله من الابناء الذين عرفوا بعلمه ومن ابناؤه فاطمة التي ولدت في ربيع الأول سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م في مكة، واجاز لها الصلاح العلائي وابن الذهبي وابن ابي المجد وتزوجها ابو الخير بن ابي اليمن محمد بن احمد بن الرضى بن ابراهيم الطبري فولدت له ام الحسين توفيت في ربيع الآخر سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م في مكة^(٢٧) عائشة ام كمال ابنة تاج الدين عبد الوهاب اليافعي ولدت في رجب سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م في مكة واجاز لها التتوخي وابن الذهبي وأبي العلائي وآخرون وتوفيت في سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١م في مكة رحمها الله^(٢٨) ومن بناته أم كلثوم^(٢٩) وام هانئ ابنه عبد الوهاب^(٣٠) وتوفي وعمره خمس وأربعين سنة^(٣١) ودفن في المعلاة^(٣٢).

٣- زينب بنت عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان بن فلاح ام المساكين ابنة الولي عفيف الدين ابي محمد اليافعي اليمني ثم المكي الشافعي اخت عبد الوهاب وعبد الرحمن ولدت في جمادى الأولى سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م في المدينة النبوية واجاز لها ابن أميلة والصلاح ابن ابي عمر وابن السوقي وابن النجم وابن الصل وابن قاضي الزيداني والاذرعي والأسنوي وابو البقاء السبكي وابن القاري والتقي البغدادى والنشاوري وآخرون وخرج لها النجم

بن فهد مشيخة بها وبغيرها اخذ عنها الفضلاء وكانت جليلة توفيت في جمادي الأول سنة ست وأربعون في مكة ودفنت قرب أبيها رحمهما الله^(٣٣).

٢- سيرته العلمية ورحلاته:

لليافعي العديد من الرحلات العلمية اذا بدأ بهذه الرحلات لتلقي العلم عندما حج سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م ثم رجع إلى بلاده اليمن، ثم عاد سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م إلى مكة وجاور بها مدة وبدأ رحلاته وأسفاره اذ سافر إلى الشام وزار القدس والخليل التي مكث فيها نحو مائة يوم ثم قصد الديار المصرية مخفياً أمره فزار قبر الشافعي وغيره من المشاهير وأقام بالقرافة في مشهد ذي النون المصري وحضر عند الشيخ حسين الحاكي في مجلس وعظه وهو الجامع الذي يخطب فيه بظاهر القاهرة وعند الشيخ عبد الله المنوفي في المدرسة الصالحية^(٣٤) ثم قصد الوجه القبلي وسافر إلى الصعيد الأعلى ثم عاد إلى الحجاز وجاور بالمدينة مدة ثم عاد إلى مكة ولزم العلم والعمل فيها، إلا أنه سافر إلى اليمن سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م لزيارة شيخه الطواشي وغيره من العلماء والصالحين وسع كثرة أسفاره ورحلاته ألا أنه لم تقته حجة في هذه السنين^(٣٥) ثم عاد إلى مكة^(٣٦) والانقطاع للخلوة والسياحة في المناطق الجبلية وتردد هل ينقطع إلى العلم أم للعبادة وقد هداه الله إلى ملازمة العلم والتصنيف^(٣٧)، وبرع في العديد من المصنفات و انشد قائلاً^(٣٨).

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالأباب المسافرين^(٣٩)

بعدها عكف اليافعي على التصنيف والاقراء والاسماع وبرع كذلك في الشعر ومن شعره^(٤٠).

ألا أيها المغرور جهلاً بعزلتي	من الناس ظناً أن ذاك صلاح
تيقن بأنني حارس شر كلبه	غفور لها في المسلمين نباح ^(٤١)
وناد بنادي القوم باللوم معاناً	على يافعي لا عليم جناح
وقائله مالي أراك مجانباً	أموراً وفيها للتجارة مريح
فقلت لها مالي بربحك حاجة	فنحن أناس بالسلامة نفرح ^(٤٢)

شيوخه:

سمع اليافعي من كبار علماء عصره في الفقه والحديث والأدب والنحو التاريخ، ومن ابرزهم

١- صفي الدين أحمد بن علي بن أحمد بن الحسن أبو العباس الحراري ولد سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م^(٤٣)، واخذ الفقه من عبد الرحمن الابيبي وغيره،م واخذ علم القراءات السبع عن عبد الله ابن عمر النكزاي ولما قدم إلى عدن قرأ عليه بالحروف السبعة واخذ كذلك عن المقرئ سبأ وأخذ عنه البهاء الجندي^(٤٤) ولازمه الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي وأخذ عنه الفقه والقراءات^(٤٥) وغيره وانتفع به جمع كثير وكان اماماً عالمًا عاملاً وفقياً نحويًا لغويًا مقرناً أصولياً متقن في علوم عديدة ووصف بأنه كان حسن الأخلاق سليم الصدر محبباً إلى الناس وكانت إقامته في مدينة عدن اذ كان قاضيها ومفتيها وتوفي لسبع بقين في رجب سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م^(٤٦).

٢- أحمد بن أبي بكر بن علي بن عبد الله المكي المعروف بالطواشي ولقب بشهاب الدين كان يتعبد ويتقشف في لباسه^(٤٧)، وكان الطواشي متواضع فمال اليه جماعة من الناس وكان علما بعلومه هذه الحديث والفقه والتصوف^(٤٨).

أخذ عنه الكثير من طلبة العلم ومنهم الامام عبد الله اليافعي الذي اخذ من علومها ومن ابرزها التصوف اذ اسلكه الطريق و قال: " وترددت هل انقطع إلى العبادة ام إلى العلم؟ وحصل لي من اجل ذلك هم كثير وفكر شديد ففتحت كتاباً على قصد التبرك والتفأل فرأيت فيه ورقة لم اراها من قبل على الرغم من كثرة نظري فيه وفيها أبيات وهي:

كن عن همومك معرضاً	وكل الأمور إلى الفضا
فلربما أتسع المضيق	وربما ضاق الفضا
ولرب أمر متعب	لم في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء	فلا تكن معترضا

قال: فسكن ما عندي وشرح الله صدري لملازمة العلم^(٤٩).

توفي الشيخ الطواشي سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م^(٥٠).

٣- الشيخ الولي الصالح ابو عبدالله محمد بن احمد الذهبي كتصغير الذهب المعروف بالبصال بالموحدة والصاد المهملة المشددة كان فقيهاً نبياً صالحاً ناسكاً عابداً ورعاً وزاهداً صاحب مكاشفات ومشاهدات ومقامات وكرامات وله احوال فائقة وأقوال صادقة تفقه بالإمام المعروف بعبيد بن علي بن سفيان،^(٥١) واخذ عنه جماعة منهم الامام عبد الله

بن اسعد بن سليمان اليافعي قال: وهو اول من انتفعت به، وقرأت عليه القرآن الكريم، وقرأت عليه التنبيه^(٥٢).

وأثنى عليه اليافعي قائلًا وجمع شيخنا البصال كتاباً ألفه في الفقه ينتفع به الفقيه وغيره، يتعلق بشرح التنبيه وفيه فوائد عديدة ونكت مفيدة^(٥٣) وهو اول من ألبسه خرقة التصوف وذكره الاسنوي أنه كان صاحب كشف ومشاهدات^(٥٤)، توفي سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م^(٥٥).

٤- ابو محمد عبدالله بن محمد بن سليمان المنوفي ولد سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م الفقيه الإمام الجامع بين العلم والعمل مع الصلاح^(٥٦)، اخذ من شيوخ مصر منهم زكي الدين محمد بن الفوبيع والشرف الزداوي وأبي عبدالله بن الحاج صاحب المدخل، وأخذ عنه اليافعي أحمد بن هلال الربيعي و خليل بن إسحاق الذي ألف في مناقبه وكرماته كتاباً، توفي في رمضان سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٧م^(٥٧).

٥- الحافظ رضي الدين الطبري ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن محمد الشيخ العالم ابو اسحاق الشافعي المكي ولد سنة ٦٣٦هـ وتفرّد في أواخر ايامه برواية صحيح البخاري^(٥٨). اخذ العلم منه العلامة عبد الله اليافعي ولازمه فقرأ عليه الحاوي الصغير وسمع عليه بمكة الكتب الستة "خلا سنن ابن ماجه" وسمع "مسند الدارمي" و"مسند الشافعي"، صحيح ابن حبان "سيرة ابن اسحاق"، "عوارق السهرودي"، "علوم الحديث لابن الصلاح"^(٥٩).

قال اليافعي رحمه الله "فهو احد شيوخي الذين انتفعت بهم وكانت قراءتي عليه في اول سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م إلى ان اشتد به مرض موته في شهر صفر سنة مع اثنتين وعشرين وسبعمائة فقال لي "يا ولدي لقد حصلت في هذه السنة ما لم يحصله غيرك في سنين، وقال محدث القدس صلاح الدين العلائي^(٦٠) رحمه الله شيخك هذا يعني الطبري، وبلغني عن امام اليمن وبركة الزمن الشيخ الكبير أحمد بن موسى بن عجيل الله كان اذا سأله اهل مكة الدعاء يقول عندكم ابراهيم يعني الطبري وكان له نظر جيد وتصانيف وتواليف"، وتوفي الشيخ رضي الدين الطبري سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م^(٦١).

٦- الشيخ نجم الدين الطبري محمد بن جمال الدين كان من علماء الحرم المكي ولد سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م ومن كبار فقهاء الشافعية^(٦٢).

واخذ منه اليافعي عندما كان مجاوراً في مكة اذ قرأ عليه الحاوي الصغير ولما فرغ من قراءته قال نجم الدين الطبري لحاضري الختم: "إشهدوا علي أنه شيعي فيه"، وقرأ عليه كذلك "مسند الشافعي" و"فضائل القرآن" لأبي عبيد و"تاريخ مكة للأزرقي"^(٦٣) توفي سنة ٧٣١هـ/١٣٣٠م^(٦٤)، وقيل سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م^(٦٥).

تلاميذه:

روى عن اليافعي الكثير من طلبة العلم الذين رحلوا من كل حذب وصوب لينهلون من علومها سواء في الفقه والحديث والعربية والأصليين والفرائض والحساب والتصوف بالتاريخ وغيره، ومن ابرز تلاميذه:

١. محمد بن فهد المصري الشيخ شمس الدين المغربي نشأ في خدمة الصالحين ولازم الشيخ عبد الله اليافعي وخدمة بمكة وكان كثير الحج والمجاورة وكان حسن العشرة كثير المخالطة لأبناء الدنيا وله مع أهل الحرمين مواقف، مات في جمادى الآخرة وقد جاوز الستين سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م^(٦٦).

٢. علي بن زيد بن علوان بن صبرة بن مهدي بن حريز يكنى أبا زيد الردماوي الزبيدي وقد تسمى بأخرة عبد الرحمن، ولد بردما وهي مشارف اليمن دون الأحقاف في جمادى سنة إحدى وأربعين ونشأ بها وجال في البلاد، ثم حج وجاور مدة وسكن الشام ودخل العراق ومصر، وسمع من اليافعي والشيخ خليل وابن كثير وابن خطيب بيروذ، وبرع في فنون من حديث وفقه ونحو تاريخ وأدب، وكان يستحضر من الحديث كثيراً ومن الرجال ويذكر من كتاب سيبويه ويميل إلى مذهب ابن حزم، ثم تحول إلى البادية فأقام بها يدعو إلى الكتاب والسنة، فاستجاب له حيار بن مهنا والد نعيم فلم يزل عنده حتى مات. واستمر ولده نعيم على إكرامه فكانت إقامته عندهم نحو عشرين سنة، فلما كانت وقعة ابن البرهان وبيدمر وقرط خشي على نفسه فاختلف بالصعيد ثم قدم القاهرة وقد ضعف بصره، ومات في أول ذي القعدة وكان شهماً قوي النفس له معرفة بأحوال الناس على اختلاف طبقاتهم، وكان كثير التطور يتزيا في كل قليل بزي غير الزي الذي قبله ومن شعره^(٦٧).

٣. أحمد بن يحيى بن عبد الله الحموي الرواقي الصوفي شهاب الدين أبو العباس، ولد سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، وذكر أنه سمع بمكة على العفيف عبد الله اليافعي في سنة ٥٥٥هـ

، وتلقن الذكر ولبس خرقة التصوف من الشيخ يوسف بن عبد الله بن عمر بن خضر الكوراني^(٦٨).

٤. أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الوهاب، المرشدي المكي ، ولد سنة ستين وسبعمائة، وسمع من عبد الرحمن بن عل التغلبي ابن القارئ جره ابن الطلبة أنا الأبرقوهي، ومن محمد بن أحمد بن عبد المعطي صحيح ابن حبان أنا الرضي والصفى الطبريان، ومن عبد الله بن أسعد اليافعي صحيح البخاري، ومن عز الدين ومن غيرهم^(٦٩).

٥. الغماري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق، أخذ عن أبي حيان، وغيره، وسمع من اليافعي والشيخ خليل المالكي، وحدث. وكان عارفاً باللغة العربية واسرارها ، كثير المحفوظ للشعر، حتي قيل تفرد على رأس الثمانمائة خمسة بخمسة: البلقيني بالفقه، والعراقي بالحديث، والغماري بالنحو، وصاحب القاموس باللغة، وابن الملن بكثرة التصانيف، فضلا عن علمه والأصول والتفسير والفروع ولد في ذي القعدة سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م ، وتوفي في شعبان سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م^(٧٠).

٦. مُحَمَّد بن عبد الله بن ظهيرة بن أَحْمَد بن عَطِيَّة بن ظهيرة بن مَرْزُوق بن مُحَمَّد بن سُلَيْمَان بن عَلِيّ بن عليان بن قَاسم القُرَشِي المَخْزُومِي المَكِّي القَاضِي العَالِم قَاضِي مَكَّة وخطيبها وفقهه الحجاز ومفتيه وحافظها وسمع الحديث من الشَّيْخ عبد الله اليافعي و الشَّيْخ خَلِيل المَالِكِي وَعَلَى وَعَلَى القَاضِي عز الدِّين ابْن جَمَاعَة ورحل إِلَى القَاهِرَة^(٧١).

٧. أحمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي القاضي والشهاب أبو العباس بن النور بن القدوة أبي عبد الله الحسني الفاسي ثم المكي المالكي والد الحافظ التقي محمد ولد في ربيع الأول سنة أربع وخمسين وسبعمائة بمكة وسمع بها من العز بن جماعة والموفق الحنبلي مسند عبد يغوث من أوله وجزء ابن نجيد ومن اليافعي الصحيحين^(٧٢).

آراء العلماء فيه:

يعد اليافعي واحدا من العلماء البارزين الذين انجبتهم المائة الثامنة، إذ بلغ بعلمه وذكائه وجده منزلة فريدة ومكانة محسودة، وأشاد به كبار علماء عصره ومن بعدهم ،الا ان هناك من ذمها الا ان المادحين اكثر ،ومنهم

الأسنوي الذي اثنى عليه قائلًا " كان اماماً يسترشد بعلومه ويقتدى به وعلماً يستضاء بأنواره ويهتدى و صنف تصانيف كثيرة في شتى العلوم... صرف أوقاته في وجوه البر واغلبها في العلم كان كثير الأيثار والصدقة مع الاحتياج متواضعاً مع الفقر مترفعاً عن ابناء الدنيا معرضاً عما فنec بهم غراب التفريق وشتت سالكي الطريق^(٧٣).

وقال السبكي عنه "الرجل الصالح صاحب المصنفات الكثيرة والنظم الكثير إجتمعت به في منى سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م" ^(٧٤).

وذكره القاضي ابن شهبة بانه " الشَّيْخُ الإِمَامُ الْقُدْوَةُ الْعَارِفُ الْفَقِيهِ الْعَالِمُ شَيْخُ الْحِجَازِ"^(٧٥)

ووصفه ابن تغري بردي قائلًا " الشيخ الإمام العالم المسلك العارف بالله تعالى وشيخ الحرم وإمام المساكين وشيخ الصوفية"^(٧٦). وذكره ايضاً "وكان الشيخ عبد الله اليافعي إماماً فقيهاً عارفاً بالعربية، واللغة، والأصليين، والفرائض، والحساب، والتصوف، والتسليك، وغير ذلك من فنون العلم... وكان كبير الشأن، كثير العبادة والورع، وافر الصلاح والبركة، والإيثار للفقراء"^(٧٧)

اما ابن الملقن فذكره قائلًا: " كان أماً مفتياً عاملاً ممن تنزل الرحمة عند ذكره"^(٧٨).
غيرهم الكثير من اثنى عليه وعلى علمه ،اما من ذمه بسبب ذلك تعصبه للاشعرية وذهبه لابن تيمية في بعض الامور ولذلك تكلم عليه الحنابلة ، زايضا كانت علاقته مع علية القوم غير جيدة اذ كان يعمل دائماً الحط منهم كل ما اتاحت له الفرصة والانكار عليهم بما يقومون به من اعمال منافية للشريعة ،لذلك عماوا على الحط من قيمتهم واتهامهم بحب الظهور وسيمما قوله من قصيدة التي مطلعها :

ويا ليلة فيها السعادة والمنى ... لقد صغرت في جنبها ليلة القدر^(٧٩)

وقد كفره الضياء الحموي^(٨٠) لذلك الا انه فيما بعد حاول الاجتماع به والاعتذار منه الا ان اليافعي طلب منه الاعتذار في يوم الجمعة بعد الخطبة ، وبعض العلماء اولوا له ذلك ان يحب الظهور ويصف نفسه باوصاف كبيرة^(٨١).

مؤلفاته:

انصرف الامام عبدالله بن أسعد اليافعي إلى التصنيف والتأليف بعد عودته من اليمن واستقراره في مكة سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م إلى أن توفي ٧٦٨هـ/١٣٦٧م وصنف تصانيف كثيرة في شتى أنواع العلوم وكان أغلبها صغيرة الحجم لكنها تتحدث بمسائل منفردة ومهمة^(٨٢). ذكر البغدادي ان من مصنفاته بلغت أكثر من ٣٧ مؤلفاً^(٨٣)، ومن أهم مؤلفاته.

- ١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان
- ٢- الدرر النظيم في خواص القرآن العظيم:
- ٣- روض الرياحين في حكايات الصالحين
- ٤- مرهم العلل المعضلة في الرد على ائمة المعتزلة:
- ٥- نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية واصحاب المقامات العالية:
- ٦- خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبدالقادر
- ٧- الارشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز
- ٨- الأنوار اللائحة في اسرار الفاتحة
- ٩- بهجة البدور في وصف الحور
- ١٠- ترياق العشاق في مدح حبيب الخلق والأخلاق
- ١١- تاج الرؤوس في الذيل المأنوس على سوق العروس ذكره البغدادي
- ١٢- نفحات الأزهار ولمعات الأنوار وأسمه في هدية العارفين للبغدادي لمعات

وفاته:

عاني اليافعي قبل وفاته من اسقام في جسمه وبدأ عليه ألوجاع تزداد، إذ اشتكى من الام في رأسه وأقام ايام قلائل، الى ان توفي في ليلة الأحد من عشرين جمادى الآخر سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م في مكة المكرمة وتم دفنه في مقبرة المعلاة مجاوراً للفضيل بن عياض^(٨٤).

اما السبكي فانه ذكر انه توفي سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م^(٨٥)، الا ان المتفق عليه ان وفاته كانت سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م.

ثانيا :أهمية كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان ومكانته في المكتبة التاريخية تسميته:-

ذكر اليافعي في مقدمه كتابه تسمية كتابه قائلا "وسميته مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان وتقلب أحوال الإنسان وتاريخ موت بعض المشهورين والاعيان مرتبا على سنة الهجرة النبوية " (٨٦).

تاريخ تأليفه:-

لم نتمكن من تحديد التاريخ والوقت الذي بدأ به اليافعي في تأليف هذا الكتاب لكن أشارت المصادر بشكل عام ان اليافعي بدء بتأليف مؤلفاته بعد ان عاد من رحلاته من مصر و اليمن بعد التقاءه بشيخه الطواشي ثم عاد إلى مكة سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م، استقر وفيها وترك الترحال وعكف بعد ذلك إلى التصنيف (٨٧)، فألف العديد من المؤلفات منها: مرآة الجنان وعبرة اليقظان (٨٨)، ونشر المحاسن الغالية، كتاب الارشاد والتطريز، مرهم العلل المعضلة في الرد على ائمة المعتزلة وغيرها الكثير من المؤلفات (٨٩).

أما عن سبب تأليفه لهذا الكتاب فإنه ذكر في مقدمة كتابه بأنه لخصه واختصر ما ذكره أهل التواريخ والسير والتعريف بوفيات بعض المشهورين والاعيان فلم يقتصر فقط على ذكر احداث وعلماء اليمن بل شمل مختلف البلدان، واطهار منزلتهم بين المدن الاسلامية (٩٠).

طبع الكتاب:-

لقي كتاب اليافعي مرآة الجنان وعبرة اليقظان إقبالاً واسعاً في الهند ومصر وبيروت، إذ طُبِعَ لأول مرة في الهند وصدر بأربع أجزاء ، بحيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٨م، وطبع في مؤسسة الرسالة ببيروت، بتحقيق الدكتور عبد الله الجبوري ، و طبع ايضا في بيروت في مؤسسة الأعلمي سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م. اما الطبعة التي اعتمدنا عليها في رسالتنا ،هي التي في دار الكتب العلمية، بيروت في سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م والذي حققه ووضع حواشيه خليل المنصور باربعة اجزاء،الجزء الاول ٣٥٣ صفحة اما الثاني ٣٤٢ صفحة والثالث من ٣٧٨ صفحة والرابع ٢٧١ صفحة (٩١).

ترتيب الكتاب :-

بدأ اليافعي بترتيب كتابه بذكر حوادث السنين بالتاريخ الهجري من السنة الاولى للهجرة^(٩٢)، إلى السنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م^(٩٣)، ويعد هذا الكتاب موسوعة في التاريخ والادب والتراجم، أرخ اليافعي الاحداث حسب التاريخ الحولي، اذ جمع مختلف الحوادث التاريخية في كل سنة تحت عنوان السنة المحددة^(٩٤)، فيبدأ بالأحداث السنة بقوله فيها^(٩٥)، وقيل في التي قبلها^(٩٦)، وقيل في السنة التي بعدها^(٩٧)، إذ شمل كتابه احداث تاريخ العالم الاسلامي مبتدئاً من السنة الاولى للهجرة، بذكره أحداث السيرة النبوية، كبيان هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، غزواته وفتوحات المسلمين إلى وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم^(٩٨)، و ذكر صفاته وتواضعه، اذ روى الترمذي ان النبي محمد صلى الله عليه وسلم "كان يعلف البعير ويقيم البيت ويخصف النعل ويرقع الثوب ويعلف الشاة ويأكل مع الخدم"^(٩٩)، وذكر نسب النبي محمد صلى الله عليه وسلم^(١٠٠)، وبين بشيء يسير مما جاء في عبادته صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم من الليل فليفتح صلاته بركعتين خفيفتين^(١٠١).

وذكر شيء من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وسلم منها:- انشقاق القمر، ومنها نبع الماء من بين اصابعه، وتكثير الطعام لبركة دعائه صلى الله عليه وسلم وكلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة^(١٠٢)، وذكر شيء مما ورد في صفة خاتمه بقوله كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلبس خاتمه باليد اليمنى، وكان خاتمه صلى الله عليه وسلم من ورق وكان من فص حبشياً^(١٠٣)، و خصص اليافعي في احداث السنة الحادية عشرة للهجرة ما ورد عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم إلى وفاته صلى الله عليه وسلم^(١٠٤).

وتحدث اليافعي عن قيام الخلافة الراشدة سنة ١١هـ/٦٣٢م وخلافة ابو بكر الصديق رضي الله عنه^(١٠٥)، وبين قيام الدولة الاموية سنة ٤١هـ/٦٦١م^(١٠٦)، ووضح قيام دولة بني العباس سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م^(١٠٧)، أما فيما يتعلق بالأندلس فذكر اليافعي في كتابه عدد كبير من علماء الأندلس وهو محور دراستنا^(١٠٨)، وذكر بعض من الأحداث السياسية والعسكرية فيها^(١٠٩)

أما عَنْ تاريخ اليمن فقد اهتم بها باعتباره موطنه ، اذ تطرق في نهاية مؤلفه بذكر الجوانب السياسية في بلاده اليمن وذكر الآفات العظيمة والفتن في اليمن منها فتنة القرامطة وسيطرتهم على بلاد اليمن مثل مدينة صنعاء، زبيد، عدن، وتعز في سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م^(١١٠).

وذكر اليافعي الكثير من العلماء اليمنيين^(١١١) ، الا انه وَضَعَ في كتابه تنبيه إنه لم يدون العلماء اليمنيين المتأخرين مع كثرتهم معللاً ذلك بقوله " لأنه لم يظفر بتاريخ يكون جامعاً لا واقفاً عليه ولا سامعاً، ولا بذكر المتقدمين منهم وذكر فقهاءهم وشيوخهم"^(١١٢). وواهتم بذكر مذاهب العلماء الذين ترجم لهم بقوله الشافعي^(١١٣)، الحنبلي^(١١٤)، المالكي^(١١٥)، والحنفي^(١١٦).

وابرز في كتابه اخبار العلماء المتصوفة ، اذ افرد لهم صفحات كثيرة بايراد اخبارهم وكراماتهم والعلوم التي برعوا فيها ،وسبب ذلك لان اليافعي ا كان يعد من كبار العلماء الصوفية في وقته .

وقد أوردَ اليافعي في منهجه بإيضاح اللبس الذي يقع فيه البعض وخاصةً في تشابه أسماء الأشخاص الذين ترجم لهم مثل ذكره لوفاة ابن القسطلاني الشيخ تاج الدين علي بن ابي العباس احمد بن علي المصري المالكي ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م.

كتب اليافعي يقول: قلت "هذا المُلقَّب بتاج الدين كما ترى وليس هو قطب الدين بن القسطلاني وقد يشتبه ذلك على مَنْ ليس لديه علم فهما مشتركان في أوصاف متعددة، وكلاهما ابن القسطلاني وأبويهما اسمه احمد وابو العباس كنيته وكلاهما زاهد وعالم ومصري ومالكي وكلا الوالدين عالم ومدرس ومفتي والشيخ الحديث ولكن قطب الدين متأخراً يأتي ذكره في سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م، فهو مِنْ أَجَلِّ الرجلين قدراً وأشهرهما ذكراً"^(١١٧).

إضافةً إلى أن منهج اليافعي في كتابه انه بذكره للسنة والأحداث التي جرت فيها فهناك سنوات تطول الأخبار فيها كما في ذكره لسيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم شغلت ما يزيد عَنْ خمسين صفحة^(١١٨)، وبعض السنوات لم تتل إلا أسطر قليلة مثل أحداث سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م^(١١٩).

وحرص اليافعي على تقديم آراء المُخالفين لِرأيه والموافقين له في الأحداث، ومنه أحداث سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م وفاة السيدة الولية ذات المقامات العالية السيدة رابعة ابنة اسماعيل العدوية الشهيرة الفضل البصرية، فذكر ابن الجوزي في شذور العقود في تاريخ العهود وتحيره أنها توفيت سنة ١٨٥هـ/٨٠١م ^(١٢٠)، فَرَدَّ الإمام اليافعي على ذلك بقوله: "ليس صحيحاً قول من ذكر لها حكاية مع السري السقطي ^(١٢١)، فانه عاش حتى نيف على خمسين ومائتين للهجرة" ^(١٢٢).

وقال ابن خلكان ان قبر رابعة العدوية على رأس جبل يسمى الطور بظاهر القدس ^(١٢٣)، ويرد الإمام اليافعي ويقول: "سمعت من بعض أهل بيت المقدس يذكر ان المدفونة في الجبل المذكور رابعة أخرى غير العدوية" ^(١٢٤).

وَلَمْ يخلُ منهج اليافعي من المقارنة بين الأحداث التاريخية ففي سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م. قارن الإمام اليافعي، الغلاء الذي كان في الشام ^(١٢٥)، إذ بلغت الغرارة ^(١٢٦)، ازيد من مائتي درهم ثم جلب القمح من مصر بالزام السلطان لأمره فنزل إلى مائة وعشرين درهماً ثم بقي أشهراً ونزل السعر بعد شدة وأسقط الأقوات بالشام بكتاب سلطاني وكان على الغرارة ثلاثة ونصف.

وقارن اليافعي هذا الغلاء بالغلاء بالحجاز "قلت هذا الغلاء المذكور في الشام هو عندنا في الحجاز رخص ولقد بلغ ثمن الغرارة الشامية في مكة وقت كتابتي لذكر هذا الغلاء المذكور في هذا التاريخ فوق ألف وثلاث مائة درهم" ^(١٢٧).

اما موارد التي اعتمد عليها اليافعي في كتابه ، فهي كثيرة سواء من المؤلفات التي سبقته والتي ذكر منها في مقدمة الكتاب قائلاً "معتمدا على الشمائ والمناقب على افصح به كتاب الشمائ ^(١٢٨)، للترمذي ^(١٢٩)، وعلى الصحيحان في التواريخ على ما اقطع به الذهبي او أوله وصححه ومودعه اشياء من الغرائب والنوادر والظرف والملح ملتقطا ذلك من نفساء الجواهر نوادر الفضلاء من تاريخ، الامام ابن خلكان ^(١٣٠)، وشيئاً من تاريخ ابن سمره ^(١٣١) في قديماء علماء اليمن اولى الفقه والحكمة والبيان ^(١٣٢)، مختصراً في جميع ذلك على الاختصار بين التفريط المخل والافراط الممل محافظاً على لفظ المذكورين في غالب

الافاق حازقاً للتطويل وما يكره المتدين ذكره من الخلاعات على حسب ما أشار إليه اليافعي في هذه الأبيات^(١٣٣):-

أيا طالباً على التواريخ لم تشن
تلف كتاباً قد اتى متوسطاً
تجلى بأشعار زهت ونوادر
وملاق من اثبات ذكر واسأقاط^(١٣٤)

ومن الكتب الأخرى التي اخذ منها اليافعي ، كتاب المغازي للواقدي حوالي عشرين رواية^(١٣٥) وتاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك اذ اخذ منه الكثير من الروايات^(١٣٦) منها حديثه زواج الخليفة المأمون من بوران قال اليافعي " قال الطبري: دخل المأمون على بوران الليلة الثالثة من وصوله، فلما جلس نشرت عليها جدتها ألف درة، وكانت في طبقة ذهب..."^(١٣٧) وحوى كتابه العديد من الروايات التي اخذها من كتب ابن الجوزي والتي بلغت اكثر من ٤٠ رواية^(١٣٨)، اما ابن خلكان اعتمد عليه اليافعي كثيراً اذ بلغت الروايات التي اخذها من كتاب وفيات الاعيان حوالي ١٥٠ رواية^(١٣٩)، اما من الاندلسين فانه اخذ من ابن الفرضي^(١٤٠) وابن الابار^(١٤١)، وغيرها الكثير من المؤلفات التي اخذ منها اليافعي، فضلاً عن ذلك ان روي الكثير من الاحداث التي عاصرها باعتبارها شاهد عيان عليها .

خامساً: أهمية الكتاب:

يعد كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان من أشهر مؤلفات الإمام اليافعي رحمه الله وبما حواه من معلومات مهمة والتي لم تقتصر على جانب واحد فقط إذ شملت العديد من الجوانب سواء كانت السياسية والعسكرية، الثقافية والفكرية، الإدارية، اقتصادية، واجتماعية، وبذلك يعد كتابه من الكتب الموسوعية، إذ ينتقل القارئ من تاريخ إلى فقه وإلى شعر وإلى أحداث سياسية واجتماعية قال ابن العماد الحنبلي " وقد قامت شهرة اليافعي على كتابه المشار إليه مرآة الجنان وعبرة اليقظان"^(١٤٢).

ولذلك اختصر ابن الاهدل ت: ٨٥٥هـ/٤٥١م^(١٤٣)، كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان وسماه " غرباء الزمان المفتوح بسيد ولد عدنان في مختصر مرآة الجنان في التاريخ"^(١٤٤)،

واختصره ايضا بن سيدي ت ٩٣١هـ/١٥٢٤م^(١٤٥)، وسماه مختصر مرآة الجنان وعبرت اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان وتقلب احوال الانسان^(١٤٦).

ولاهميته فقد كان مصدر مهما للعديد من المؤرخين الذين اخذوا العديد من مروياته وضمنوه في كتبهم منهم تقي الدين الفاسي في كتابه العقد الثمين في اخبار البلد الامين اذ اخذ منه اكثر ٣٠ رواية^(١٤٧) منها ما ذكره عن الشيخ رض الدين الطبري "قال اليافعي: وكان مع اتساعه في رواية الحديث، له معرفة بالفقه والعربية وغيرهما. انتهى"^(١٤٨).

وايضا اخذ منه ابن تغري بردي العديد من الروايات في مولفاته^(١٤٩) منها عند حديثه عن الشيخ عبدالله بن محمد التونسي المعروف بالمرجاني قائلا " قال اليافعي رحمه الله: قلت: إنه كان يتكلم بالأسرار عن مدرس الأنوار، فلما انقطع المدد بالنور الممدود انقطع النطق بالكلام، انتهى"^(١٥٠) اما السخاوي فانه اخذه عدة روايات في كتابه التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة منها في ما قاله في مقررء مكة عبد الله بن عبد الحق أبو محمد المخزومي المصري الدلاصي بقوله " وقال عنه اليافعي: كان من ذوي الكرامات العديديات والمناقب الحميدات يقال إنه سمع رد السلام من النبي صلى الله عليه وسلم وساق له عدة كرامات"^(١٥١) الا ان ابن العماد الحنبلي في كتابه شذرات الذهب في اخبار من ذهب اعتمد عليه كثيرا اذ اخذ منه من ٥٠ رواية في احداث مختلفة^(١٥٢)، منها عند ترجمته للفقيه نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم بن عبد الغفار القزويني الشافعي المتوفي سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م اذ قال "قال اليافعي: سلك في «حاويه» مسلكا لم يلحقه أحد ولا قاربه"^(١٥٣).

النتائج

وتوصلنا في البحث الى عدة نتائج ابرزها :

١. يعد الإمام العلامة عبد الله بن أسعد اليافعي، علم بارز من اشهر علماء عصره (القرن الثامن الهجري)، فهو باحث، مؤرخ، شاعراً، وأديب.
٢. نشأ الإمام اليافعي في بيئة علمية في أسرة اهتمت بتلقين وتعليم اولادها العلوم المختلفة.

٣. برع الإمام اليافعي في الفقه، العربية، التصوف، والشعر، وتصانيف عديدة في شتى العلوم.

٤. بدأ اليافعي بتأليف الكتاب بعد عودته الى مكة سنة (٧٣٨هـ/١٣٣٧م) اذ ترك الترحال وعكف بعد ذلك الى التصنيف فألف العديد من المؤلفات منها نشر المحاسن الغالية، كتاب الارشاد والتطريز، كتاب مرهم العلل المعضلة في الرد على ائمة المعتزلة وغيرها من المؤلفات.

٥. ودون اليافعي لأحداث عصره في كتابه بصفته شاهد لتلك الاحداث

٦. قسم اليافعي كتابه إلى عدة اقسام اذ شمل مختلف الأحداث التاريخية، منها السيرة النبوية، والخلافة الراشدة، والأموية، والعباسية، واختص ايضا بذكر حوادث اليمن، و بذلك تضمن كتابه احداث سياسية، وعسكرية، وفكرية، وثقافية، وادارية، واجتماعية.

الهوامش:

(١) الأسنوي، عبد الرحيم جمال الدين، ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م ، طبقات الشافعية، تح: كمال يوسف الحوت، ط١، دار المتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٢ / ٣٣٠ ؛ ابن حجر العسقلاني ، ابو الفضل أحمد بن علي ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضيان، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد/ الهند، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ٣ / ١٨؛ الشوكاني، محمد علي بن محمد بن عبد الله اليمني، ت ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ت، ١ / ٣٧٨.

(٢) ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن أحمد ابو الفلاح ، ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٠٤٦هـ/ ١٩٨٦م، ١ / ٦٥.

(٣) ابن الملقن. سراج الدين ابو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ت ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م، طبقات الأولياء، تح: نور الدين شريعة من علماء الأزهر، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ١ / ٥٥٥-٥٥٦؛ ابن فهد ،ابوالفضل محمد بن محمد بن محمد تقي الدين المكي الشافعي، ت: ٨٧١هـ/١٤٦٦م، لحظ الألاحظ بذيّل طبقات الحفاظ ، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ١٠٢، ابن تغري بردي ،ابو المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله الظاهري، (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تح: محمد أمين ،تقديم الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، د. ط، الهيئة المصرية للكتاب، د. ت، ٧ / ٧٤.

- (٤) ابن شاهين الظاهري، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل الملطي القاهري، ت: ٩٢٠هـ/١٥١٤م، نيل الأمل في ذيل الدول، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ١/ ١٣٦.
- (٥) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٣/ ١٨.
- (٦) ابن فهد، لحظ الألفاظ بذيّل طبقات الحفاظ، ص ١٠٢.
- (٧) السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ٢/ ١٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ١/ ٦٥؛ الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ١/ ٣٧٨.
- (٨) ابن قاضي شهاب، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م، طبقات الشافعية، تح: الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ٣/ ٩٥.
- (٩) اليافعي، عفيف الدين عبد الله بن أسعد، ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٧م، الإرشاد والتطريز، تح: محمد أديب الجادر، ط١، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٦-٧.
- (١٠) اليافعي، الإرشاد والتطريز، ص ٦-٧.
- (١١) ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف الظاهري الحنفي ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، ١١/ ٩٣.
- (١٢) ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٣/ ١٨-١٩.
- (١٣) الأسنوي، طبقات الشافعية، ٢/ ٣٣١.
- (١٤) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٣/ ١٨.
- (١٥) تقي الدين الفاسي، محمد بن أحمد الحسن المكي، ت: ٨٣٢هـ/١٤٢٨م، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ٦/ ٤٠٧؛ السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ٢/ ١٨.
- (١٦) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م، إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي، د. ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٣٨٩هـ/١٩٩٦م، ١/ ٤٩٩.
- (١٧) ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ٧/ ١٨٧.
- (١٨) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٨/ ٥٩٥.

(١٩) الرحبة: وهي ناحية بين المدينة والشام من وادي القرى. ابن عبدالحق البغدادي، صفى الدين عبد المؤمن ابن شمائل القطيعي الحنبلي، ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٨م، مرصد الاطلاع على أسماء الامكنة والباق، ط١، دار الجبل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ٢/ ٦٠٨.

(٢٠) ابن حجر، انباء الغمر بأبناء العمر، ١/ ٤٩٩.

(٢١) الابناسي، ابو اسحاق برهان الدين ابراهيم بن موسى بن ايوب المصري الشافعي ولد سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م، وهو احد اعيان شيوخ الشافعية في القاهرة سمع بمكة على الفقيه خليل بن عبد الرحمن المالكي صحيح البخاري، رحل إلى دمشق فقرأ بها على عمر بن الحسين بن اميلة جامع الترمذي، كان بارعاً في الفقه والعربية، توفي سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، تقي الدين الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والاسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ١/ ٤٥٦-٤٥٧؛ ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية، ٤/ ٥٦.

(٢٢) ابن حجر، انباء الغمر بأبناء العمر، ٢/ ٢٤٥.

(٢٣) الأمبوطي: شهاب الدين احمد بن اسد بن عبد الواحد، ولد سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، من العلماء المقرئين تلا على ابن الجوزي وبرع في القراءات وكان اقرأ زمانه، توفي بعد عودته من الحج سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر: ٩١١هـ/١٥٠٥م، نظم العقيان في اعيان الاعيان، تح: فليب حتي، د. ط، المكتبة العلمية، بيروت، د. ت، ١/ ٣٦.

(٢٤) ابن العماد، شذرات الذهب، ٩/ ٨٠.

(٢٥) تقي الدين الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والاسانيد، ٢/ ١٥٨.

(٢٦) السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ٢/ ٢٢٢.

(٢٧) السخاوي، شمس الدين ابو الخير محمد بن عبد الرحمن، ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، د. ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ١٢/ ٩٦.

(٢٨) السخاوي، ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢/ ٧٧.

(٢٩) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢/ ١٥٠.

(٣٠) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢/ ١٥٦.

(٣١) العسقلاني، انباء الغمر بأبناء العمر، ٢/ ٢٤٥؛ السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٥/ ١٠٢؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ٩/ ٨٠.

(٣٢) المعلاة: وهي مقبرة في مكة سميت بالمعلاة، فهي بين مكو وبدر. ياقوت الحموي، شهاب الدين ابوعبد الله بن عبد الله الرومي، ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، معجم البلدان، ط٢، دارصادر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٥/

١٥٨؛ ابن شراب، محمد بن محمد حسن، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ١/ ٢٧٦.

(٣٣) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢/ ٤٣؛ كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي ت ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، معجم المؤلفين، د. ط، مكتبة المفنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ٤/ ١٩٨.

(٣٤) المدرسة الصالحية: وهي المدرسة التي أنشأها الملك صالح نجم الدين أيوب بن الكامل بن محمد بن العادل أبي بكر أيوب، في القاهرة سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م ورتب فيها دروساً للفقهاء المنتمين إلى المذاهب الأربعة في سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م وهو أول من عمل في بديار مصر دروساً أربعة في مكان واحد. المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ٤/ ٢١٧.

(٣٥) الأسنوي، طبقات الشافعية، ٢/ ٣٣١؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ٣/ ١٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ٧/ ٧٤؛ أبي مخرمة، أبي محمد عبدالله الطيب بن عبد الله بن أحمد، تاريخ ثغر عدن، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ١/ ١١٠-١١١.

(٣٦) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٨/ ٣٠٣.

(٣٧) الأسنوي، طبقات الشافعية، ٢/ ٣٣١؛ العسقلاني، الدرر الكامنة، ٣/ ١٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ٧/ ٧٤؛ الشوكاني، البدر الطالع، ١/ ٣٧٨؛ أبي مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ١/ ١١٠-١١١.

(٣٨) ابن قاضي شعبة، طبقات الشافعية، ٣/ ٩٥.

(٣٩) اليافعي، الإرشاد والتطريز، ص ٩.

(٤٠) ابن رافع، تقي الدين محمد بن هجرس السلامي ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م، الوفيات، تح: صالح مهدي عباس و د. بشار عواد مروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ٢/ ٣١٤؛ طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ١/ ٢٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١١/ ٩٣.

(٤١) أبي مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ١/ ١١٠-١١١.

(٤٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ١/ ٦٥.

(٤٣) العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٣/ ١٨.

- (٤٤) باخرمه، ابو محمد الطيب بن عبد الله الحضرمي الشافعي، ت: ٨٧٠هـ/٩٤٧م، قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر، عني به: بوجمعة مكري خالد زواري، ط ١، دار المنهاج، جدة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ٦ / ١٠٢.
- (٤٥) ابن حجر، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، ٣ / ١٨.
- (٤٦) الشافعي، قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر، ٦ / ١٠٢.
- (٤٧) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ١ / ٥٥٥.
- (٤٨) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ٣ / ١٢.
- (٤٩) اليافعي، الإرشاد والتطريز، المقدمة ص ٧.
- (٥٠) ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ٨ / ٢٢٧.
- (٥١) ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية، ٣ / ٥٧؛ باخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ٦ / ٢٦٣.
- (٥٢) ابي مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص ١١٠.
- (٥٣) الشافعي، قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر، ٦ / ٢٦٣.
- (٥٤) ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية، ٣ / ٥٧؛ العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٥ / ١١٢.
- (٥٥) ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ٨ / ٢٧٠.
- (٥٦) ابن حجر، الدرر الكامنة، ٣ / ١٨.
- (٥٧) السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ٢ / ٢٠؛ مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم ت ١٣٦٠هـ/١٩٤١م، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خياكي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ١ / ٢٩٤.
- (٥٨) ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ١٢ / ١٦٣.
- (٥٩) تقي الدين الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، ٢ / ٣٠؛ ابن رافع السلامي، الوفيات، ٢ / ٣١٣؛ أبي مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص ١١٠.
- (٦٠) صلاح الدين العلائي، وهو خليل بن كيكلي بن عبد الله العلائي الشافعي، ولد سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، حافظاً ثقة عارفاً فقيهاً، سمع على شرف الدين الفزاري وبرهان الدين الذهبي، رحل إلى الاقطار وتولى تدريس الحديث بالناصرية ثم الصالحية بالقدسوحج مراراً وله عدة تصانيف منها جامع التحميل في احكام المراسيل، توفي صلاح الدين العلائي سنة ٧٦١هـ/١٢٦٢م. القشيري، مسلم بن الحجاج ابو الحسن النيسابوري، ت: ٢٦١هـ/٨٧٤م الكنى والاسماء، تح: عبد الرحيم محمد احمد القشيري، ط ١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،

- ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ٢/ ١٠٢٦؛ الأدنة وي، أحمد بن محمد، ت: ق ١١هـ، طبقات المفسرين، تح: سليمان بن صالح الخزي، ط ١، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ١/ ٢٨٨؛ الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ١/ ٢٤٥.
- (٦١) ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الصافي، ١/ ١٦٣.
- (٦٢) ابن شاعر، صلاح الدين محمد بن شاعر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاعر بن هارون، ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، ط ١، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ٣/ ٢٣٩.
- (٦٣) ابن حجر العسقلاني، للدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٣/ ١٩؛ السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ٢/ ١٩.
- (٦٤) ابن شاعر الكتبي، فوات الوفيات، ٣/ ٢٣٩.
- (٦٥) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م، الوفاي بالوفيات، تح: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ١/ ١٨٢.
- (٦٦) ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، ٢/ ٣٧٤؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ١/ ٥٣٧ - ٥٣٨.
- (٦٧) ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، ٢/ ٤٧٢؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، د. ت، ١٦٧/٢.
- (٦٨) ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، ٣/ ٣٨٦.
- (٦٩) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢/ ٤٣.
- (٧٠) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١١/ ٩٣.
- (٧١) ابن قاضي شهاب، طبقات الشافعية، ٤/ ٥٤؛ ابن فهد، لحظ الألفاظ بذيّل طبقات الحفاظ، ص (٧٢) السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ١/ ١٢٣.
- (٧٣) طبقات الشافعية، ٢/ ٣٣١.
- (٧٤) تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، ت: ٧٧١هـ/١٣٩٦م، طبقات الشافعية، تح: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، ط ٢، هجر للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ٤/ ٥٤.
- (٧٥) طبقات الشافعية، ٣/ ٩٥.
- (٧٦) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١١/ ٩٣.
- (٧٧) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ٧/ ٧٩.

(٧٨) طبقات الأولياء ، ١/ ٥٥٥.

(٧٩) السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ٢/ ١٩؛ الشوكاني، البدر الطالع، ١/ ٣٧٨.

(٨٠) الضياء الحموي، هو محمد بن عبد الله بن محمد بن الضياء محمد بن عبد الله يكنى أبا الخير، ويعرف بابن الضياء الحموي الأصل، المكي سمع من زين الدين بن حسين المراغي وكان عالما بالفقه والحديث توفي سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م. تقي الدين الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ٢/ ٢٢٨.

(٨١) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ٧/ ٧٤.

(٨٢) الأسنوي، طبقات الشافعية، ٢/ ٣٣١؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ٨/ ٣٦٢.

(٨٣) اسماعيل بن محمد امين بن مير سليم الباباني، ت: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م، هدية العارفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية استانبول ١٤٤٦هـ/ ١٩٥١م، إعادة طبعه بالافست دار التراث العربي، بيروت، لبنان، ١/ ٤٦٥.

(٨٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ١٠/ ٣٣؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ٢/ ٣٣٢؛ ابن الملقن، طبقات الأولياء، ١/ ٥٥٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١١/ ٩٣؛ ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ١/ ٦٥؛ الشوكاني، البدر الطالع، ١/ ٣٧٨؛ طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة، ١/ ٢٤٥.

(٨٥) طبقات الشافعية الكبرى، ١٠/ ٣٣.

(٨٦) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١/ ٧.

(٨٧) السبكي، طبقات الشافعية ٣/ ٩٥؛ ابي محزمة، تاريخ ثغر عدن، ص ١١١.

(٨٨) الأذنوي، طبقات المفسرين ١/ ٢٨٣؛ ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، المنتظم في تاريخ الامم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ١/ ١٠٣.

(٨٩) ابن رافع، الوفيات، ٢/ ٣١٤، طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ١/ ٢٤٥؛ تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١١/ ٩٣.

(٩٠) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١/ ٣٠٢.

(٩١) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان.

(٩٢) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١/ ٤.

(٩٣) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٤/ ٢٧١.

(٩٤) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٣/ ١٠٢.

(٩٥) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٢/ ٧.

- (٩٦) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ١٦٠.
- (٩٧) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٢ / ٢٣.
- (٩٨) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ٥٩.
- (٩٩) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ٢٥.
- (١٠٠) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ١٧-١٩.
- (١٠١) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ٢٩-٣٠.
- (١٠٢) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ٣٢.
- (١٠٣) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ٣٩.
- (١٠٤) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ١٧-٦٢.
- (١٠٥) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ٥٨.
- (١٠٦) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ١ / ١١٩-١٢٠.
- (١٠٧) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ١ / ٢٧٦.
- (١٠٨) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٢ / ٧٤.
- (١٠٩) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٣ / ٩٩.
- (١١٠) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٤ / ٢٥٢.
- (١١١) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٢ / ٤٠.
- (١١٢) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٤ / ٢٤٩-٢٥٠.
- (١١٣) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٢ / ١٣٤.
- (١١٤) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٣ / ٤٩.
- (١١٥) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٢ / ٤٤.
- (١١٦) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٢ / ١٣٤.
- (١١٧) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٤ / ١٢٤؛ اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٤ / ١٥٢-١٥٣.
- (١١٨) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ١ / ٥٥.
- (١١٩) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٣ / ٦٢.
- (١٢٠) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ١ / ٢٨١.
- (١٢١) السري السقطي: وهو سري بن المغلس السقطي ابو الحسن وهو أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته، توفي سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م . السلمي، ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري ت:

- ١٤١٢هـ/١٠٢١م، طبقات الصوفية، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ١/ ٥١-٥٢.
- (١٢٢) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ١/ ٢٨١.
- (١٢٣) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ١/ ٢٨٢؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان وابناء الزمان، ٢/ ٢٨٥..
- (١٢٤) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ١/ ٢٨١.
- (١٢٥) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٤/ ٢٠٣.
- (١٢٦) الغرارة: وعاء من الصوف أو الشعر لنقل التبن وما أشبهه. الفارابي، ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم بن الحسين ت: ٣٥٠هـ، معجم ديوان الأدب، تح: دكتور احمد مختار عمر، مراجعة دكتور ابراهيم أنيس، د. ط، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٣/ ٩٦.
- (١٢٧) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٤/ ٢٠٣-٢٠٤.
- (١٢٨) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٤/ ٣٧٢.
- (١٢٩) الترمذي: الامام ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي؛ الترمذي الامام المقتدى به في علم الحديث وكان يضرب به المثل روى عن محمد بن المنذر شكر، والهيثم بن كليب، رحل إلى المشرق سمع من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين توفي في ترمذ سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م؛ اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٢/ ١٤٤؛ السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر، جلال الدين، ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م، طبقات الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ١/ ٢٨٢.
- (١٣٠) ابن خلكان: شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد الاربلي الشافعي، ولد سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م في اربل، سمع البخاري من ابن مكرم، اجاز له المؤيد الطوسي وتقفه بالموصل وبالشام لقي كبار العلماء وبرع في علم التاريخ والفضائل والادب، تولى القضاء في الشام، توفي سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م.، اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٤/ ١٤٥؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٣٢.
- (١٣١) ابن سمرة: هو عمر بن علي بن سمرة الجعدي ولد في اليمن سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م من العلماء الذي اهتم بالتاريخ فضلا عن انه كان فقيها، لذلك ألف كتابا بتراجم الفقهاء اليمنية سماه طبقات فقهاء اليمن وتوقف فيه الى سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م اما وفاته لم تشر لها المصادر. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جبلي القسطنطيني، ت: ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م، كشف الظنون، د. ط، مكتبة المثنى، ب غداد، د. ت. ١١٠٥/٢: باخرمة، تاريخ ثغر عدن، ١٧٩.
- (١٣٢) ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، بلا.
- (١٣٣) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١/ ٨.
- (١٣٤) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١/ ٣.

- (١٣٥) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ١٧٩/٩٩، ١ / ١٩٣/١، ١ / ٢٩٢/٢٩١.
- (١٣٦) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ٢٨٠، ٢٩١/١، ٢ / ٣٦، ٤٨/٢، ٢ / ١١٥، ١٦١.
- (١٣٧) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ٨.
- (١٣٨) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ١٥٤، ١٦٨، ٢٦٦، ٣٠٩، ٣٢٥.
- (١٣٩) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١ / ٢٧٦، ٢٧٣، ٣٠٨، ٣٠٠، ٣٢٥، ٤١/٢، ٤٢، ٧٩.
- (١٤٠) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٢ / ٣٠٦، ١٩٩، ١ / ١٩٩.
- (١٤١) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٣ / ٢٠٤، ٣٧٦، ٤ / ١٤، ٦٨.
- (١٤٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ١ / ٦٥.
- (١٤٣) ابن الاهدل: الحسين بن عبد الرحمن بن محمد الشافعي ولد سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م، وهو من مشاهير علماء اليمن، قرأ على الرضى الطبري برع في عدة علوم وله عدة تصانيف منها: تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، اللعة المقنعة في ذكر الفرق المبتدعة، وغيرها من المصنفات توفي سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م، الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١ / ٢١٨ - ٢١٩.
- (١٤٤) البغدادي، ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، ٤ / ١٤٣؛ كحالة، معجم المؤلفين، ٤ / ١٥.
- (١٤٥) يعقوب بن سيدي: وهو من القضاة والمدرسين ويعرف بالبروسوي تولى التدريس في بروسة ثم في ايدن وتولى القضاء في هذه البلدان ثم اعيد للتدريس وبعد مدة تقاعد عن العمل ومن مؤلفاته: مفاتيح الجنان في شرح شرعة الاسلام، شرح كلستان لسعدي الشيرازي بالعربية وغيرها من المصنفات توفي في مصر بعد عودته من الحج سنة ٩٣١هـ/١٥٢٤م حاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ٢ / ١٦٤٧؛ كحالة، معجم المؤلفين، ١٣ / ٢٥١.
- (١٤٦) كحالة، معجم المؤلفين، ١٣ / ٢٥١.
- (١٤٧) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ١ / ١٦٤، ٧ / ٢٨٨، ١٢٢.
- (١٤٨) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٧ / ١١٨.
- (١٤٩) ٢ / ٤٥١، ٣ / ٤٥٢، ٤ / ١٥١، ٣٧٧، ٤٢٦، ٥ / ٢٩، ٣٤٣.
- (١٥٠) العقد الثمين، ٣ / ١٥٣.
- (١٥١) ٢ / ٤٩.
- (١٥٢) ١ / ١٧٩، ٢ / ٥٦، ٧٢، ٣٥٠، ٤ / ٨٠، ٥ / ١٢٧، ٦ / ٢٧٧.
- (١٥٣) العقد الثمين، ٣ / ١٥٣.

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احو دامه
أنموذجاً
- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

أ.م.د رائد رحيم خضير

كلية الامام الكاظم (ع) للعلوم الجامعة/ العراق - بغداد

أ.د غسان عبد صالح

جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية.

Raed.raham@iku.edu.iq

٠٧٧١٦٥٢٢٧٢٢

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار اهودامه أنموذجاً

-دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

أ.م.د. رائد رحيم خضير

أ.د. غسان عبد صالح

الملخص:

تُعد دراسة أخبار حقبة ما قبل الاسلام بالاعتماد على المصادر الكنسية من الدراسات المهمة، لكونها تُسلط الاضواء على جوانب مُشرقة من تلك الحقبة، بحكم العلاقات المختلفة التي كانت قائمة آنذاك، وخاصة التي تتعلق بالجانب الديني وارتباطها بالجانب السياسية، لذلك جاء هذا البحث لدراسة شخصية تاريخية دينية (محل خلاف) نزلت أخبارها في مصنفات المؤرخين المسيحيين.

تهدف هذه الدراسة لعرض ومناقشة شخصية القديس (مار اهودامه) في مصادر التاريخ الكنسي التي ذكرته من القرن الخامس الميلادي ولغاية القرن الرابع عشر الميلادي، وبالتحديد اقلام كل من (يوحنا الافسسي/ ديونسيوس التلمحري/ مخطوطة ناو/ مار ميخائيل السرياني الكبير/ ابن العبري/ عبد يشوع الصوباوي)، حيث عُرضت رواياتهم بشكل كامل متسلسل مدعوم بالمصادر والمراجع، مع تحليل لأبرز ما ذكره، للوصول الى حقيقة نسبية تُثري البحث، وتُدور **مشكلة الدراسة** حول: كيف ذكرت مصادر التاريخ الكنسي القديسين؟ وكيف تناولت حياتهم؟ وهل أبرزت دورهم؟ باستخدام **فرضية** ذكرهم في المصادر الام، وباعتبارهم الحلقة التي أكملت سيرة سلفهم، من خلال تحديد **بُعد** الدراسة الزمكاني المرتبط ببلاد ما بين النهرين من القرن الرابع الميلادي لغاية الخامس عشر الميلادي، مُستخدمين **المنهج** (الاستعراضي التحليلي)، و**مناقشة** ما ذكر من مرويات واره، ثم **خاتمة** اشتملت على ابرز ما توصل اليه الباحث.

Historical Documentation in Church Writings: Saint Mar Ahudemme as a Model / A Historical Analytical Study from the 5th to the 14th Century AD

Dr. Raed Rahim Khudair / Imam Al-Kadhim College of Islamic Sciences /

Iraq - Baghdad

Raed.raham@iku.edu.iq

07716522722

Prof.Dr.Ghassan Abid Salih

Gassan.abad@gmail.com

Abstract:

The study of the pre-Islamic period based on church sources is considered an important field, as it sheds light on the bright aspects of that era, due to the various relationships that existed at the time, particularly those related to religion and its connection to political matters. This research aims to examine

the historical and religious figure (a controversial one) whose story has been mentioned in the writings of Christian historians.

This study aims to present and discuss the figure of Saint Mar Ahodame in church historical sources from the 5th century AD to the 14th century AD, specifically in the writings of (John of Ephesus, Dionysius of Tell Mahre, the Nou manuscript, Mar Michael the Great, Ibn al-'Abri, and Abduh Shua' al-Subawi), where their accounts are presented in full, sequentially, and supported with sources and references. The study also analyzes the most significant aspects of their narratives to reach a relative truth that enriches the research. The main issue of the study revolves around the following questions: how are saints mentioned in church historical sources? How are their lives depicted? And is their role highlighted? by using the hypothesis of their mention in primary sources, treating them as part of the continuum that completes the history of their predecessors. The study focuses on the historical and geographical context of Mesopotamia from the 4th century to the 15th century AD, using an analytical and descriptive approach, discussing the various narratives and opinions, followed by a conclusion that summarizes the most important findings of the researcher.

التمهيد:

أن الحديث عن دور القديسين الذين بشروا بالمسيحية في بلاد ما بين النهرين يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ نشر هذا الدين في تلك البلاد العظيمة، ومن غير الممكن التطرق لأي شخصية أخذت على عاتقها هذا الدور دون الرجوع الى بدايات دخول المسيحية الى تلك البلاد، وبالتالي لا مناص من الحديث عن بدايات دخول المسيحية الى بلاد ما بين النهرين (ولو بشكل مُختصر مُكثف) نستطيع من خلاله وضع القاعدة المناسبة للحديث عن موضوعنا.

يُعتبر دخول المسيحية الى بلاد ما بين النهرين موضوع بحث ونقاش واسع، بسبب عدم وجود براهين قاطعة تُثبت أو تنفي دخولها الى تلك المنطقة منذ القرن الميلادي الاول^(١)، وأن ما ذكره الانجيل عن دور المجوس القادمين الى بيت لحم في وقت ولادة السيد المسيح (ع)^(٢)، باعتبارهم ملوك كلدانيين أو فارسيين يعملون في الفلك^(٣)، وأنهم أصبحوا رُسلًا وبشروا برسالة السيد المسيح (ع) عند عودتهم لبلادهم^(٤)، لازال محط نظر واشكال، حيث يرد: " أن استعمال الكتاب المقدس كمصدر للمعلومات التاريخية هو أمراً يتطلب حذراً

ودقة بالغة، لأن هدف الكتاب المقدس هو الايمان لا العلم، ويجب أن لا يُخلط بين الحقلين^(٥)؛ كما ذكر الانجيل وجود أفراداً من بلاد ما بين النهرين وغيرهم في يوم العنصرة: "نحن من برثية ومادية وعيلام وما بين النهرين...وعرب...يقول بعضهم لبعض: ما معنى هذا؟"^(٦).

ومن ناحية التقليد الكنسي الشرقي فهو يعتبر أن توما الرسول هو المُبشر في بلاد ما بين النهرين، حيث أرسل تلامذته (أدي / ماري / احا-اجا) الى تلك البلاد للتبشير برسالة السيد المسيح(ع) منذ القرن الاول للميلاد، وبناءً على ذلك يتضح أن توما له جانب كبير من الاهمية تعزز بعد صعود السيد المسيح الى السماء، كونه عمل على نشر المسيحية في عدداً من البلدان اولها اليهودية^(٧)، ثم في بلاد ما بين النهرين حيث ورد: "والساكنون ما بين النهرين"^(٨)، منذ القرن الاول الميلادي بواسطة تلميذه (أدي وماري) المرسلين الى شمال ما بين النهرين (اسروينا - عاصمتها الرها/ اديسا/ أورفا)، وفي جنوبها (سلوقية/ طيسفون/ بابل/ البصرة)، وفي شرقها الدولة البارثية (٢٤٧ق.م - ٢٢٤م)^(٩)، ثم الى الجنوب من (بارثيا)^(١٠)، وتلك المناطق التي تبدأ من الساحل السوري أو من دمشق وتمتد في حلب وتصل الى الرها ثم نصيبين، كانت تؤدي إلى الشرق باتجاه الدولة البارثية، ونحو الشمال حيث مركز الاناضول، وعند قطع الطريق باتجاه الجنوب كانت تؤدي الى (نينوى/ أربيل/ سلوقية- طيسفون/ بابل)، وعند السير بمحاذاة نهر الفرات مروراً بمدينة (دورا أوريس) على حدود سوريا والعراق الحالية حيث الحدود بين الامبراطورية الرومانية والبارثية آنذاك كان بالإمكان الدخول الى بلاد ما بين النهرين من جهة الغرب باتجاه الجنوب ومن ثم الشرق^(١١)، ويُشير التقليد بأن توما وصل الى الموصل (حدياب) حيث توجد أقدم كنيسة فيها، والتي كانت أصلها لاحد الفرس الزرادشتيين، الذي آمن وحولها الى دار عبادة، وان توما حل في هذه الدار أثناء طريقه الى الهند^(١٢)، ثم توجه مار توما الى تكريت ومر بالكتيبة التي وصفها الملك اردشير المعروف بـ(الاسود)، حيث وجد بضعة اشخاص على دين المجوسية ونقل اليهم دعوة السيد المسيح، فأمن به عدداً منهم أبرزهم شخص يُدعى (عبد الاحد بن مهير فيروز طوس) وكافة افراد عشيرته^(١٣)، ثم توجه الى بلاد الهند في سنة (٥٢م)، ونزل اولاً في

مدينة (كود نكلور) وبشر اليهود القاطنين فيها، ثم الوثنيون، ثم توجه الى مدينة (ملبار) (ترا فنكور وكوجين وملبار) وبقي فيها نحو ثلاث سنوات، إذ أسس ثلاث كنائس في سبع اماكن هي: (مليانكرا، كولم، نيرنم، جابل، كوكمنكلم، برور-كوطا كاو، بالور)، ثم رسم قساً من اربع عائدات برهمية تدعى (يغلومتتم، شنكر بوري، كلسي، كلسيانكل) ^(١٤)، ثم توجه الى ساحل الهند الشرقي وملقا، كما زعم أنه كرز في (الصين)، وبحوالي سنة (٧٥م) بينما كان عائداً الى بلاد (باندي) ووصل الى مدينة (ميلابور) القريبة من مدارس هجم عليه الكهنة الوثنيون ومثلوا بجثمانه في اليوم الثامن عشر من شهر كان الاول، ليفارق الحياة في يوم ٢١ ويدفن في مدينة (ميلابور)، وفي ٣ تموز من سنة (٣٩٤م) تم نقل رفاتة الى مدينة الرها التي وصلها في ٢٢ آب سنة (٣٩٤م) وبُني على قبره كنيسة كبيرة ^(١٥).

اولاً: المسيحية في الموصل وتكريت:

بحسب التقليد المشرقي فإن المسيحية وصلت الى بلاد ما بين النهرين منذ ايام الرسل الحواريين، وان الموصل اتاها ما لا يقل عن ثلاثة من الرسل الاثني عشر (بطرس/توما/برتلماوس)، ومعهم اربعة من التلاميذ السبعين (ادي/ماري/بنيامين/سمعان) ^(١٦)، كما يرد أنه بعد صعود السيد المسيح (ع) الى السماء جاء (ادي) الى الموصل موفداً من قبل الرسول توما ^(١٧)، كما لعب خليفته التلميذ (أجي) دوراً مهم في نشر المسيحية في تلك البلاد حيث يرد: "وأخذ يمارس السلطة التي تلقاها من أدي، فيُرسَم كهنة ومُدبرين في بلاد ما بين النهرين كلها" ^(١٨)، واستمر (ماري) بالمهمة، إذ يُعتبر (رسول المشرق)، "فخرج مار ماري من الرها مُبشراً حتى وصل الى مدينة نصيبين... وخرج من هناك وجاء الى بيت زبدى.. ثم غادر الموضع متوجهاً الى بلاد بيت عرباي.. ومن هناك نزل الى اربيل واثور..." ^(١٩)، ويتضح من هذا النص أن المسيحية انتشرت في بلاد المشرق عن طريق الرها التي اجتازها الرسل: "وبشروا في العراق من شماله الى جنوبه.. وهناك ترابط كنسي وثيق بين الرها وما بين النهرين والعراق..." ^(٢٠).

أما بخصوص المسيحية في تكريت وانتشارها فأقدم نص مُدون يتعلق بهذا الموضوع يعود للعلامة ابن العبري الذي يقول: "إن القديس مار توما هو أول من نشر البُشرى

المسيحية في المشرق في السنة الثانية بعد صعود الرب، وفي طريقه الى الهند بشر شعوباً عدة، وثنيين وماديين وفرساً والهنود وسواهم، ومر بالكتيبة التي وضعها في تكريت الملك اردشير المعروف بالاسود، فوجد هناك بضعة أشخاص يدينون بالمجوسية، فنقل اليهم البشري، فامن بعضهم، بينهم عبد الاحد بن مهير فيرزطوس وكافة عشيرته^(٢١)، كما انه بشر جماعة اخريين في تكريت، ثم واصل مسيرته نحو مقصده بعد أن عبر دجلة^(٢٢)، وهناك من يُعلق على نص ابن العبري اعلاه بقوله: "وفي الواقع كما بالنسبة الى معظم مدن وقرى العراق فجهل متى قبل سكان تكريت المسيحية، في امكاننا ان نتصور بأن مصيرها الديني كما ومن المحتمل أيضاً مصيرها السياسي كان منوطاً بمصير الحضر-حطره- عاصمة الصحراء- الصحراء الداخلية، والواقعة على بعد ١٤٠ كم من هذه المدينة، والتي ملوكها يُسمون ملوك العرب"^(٢٣)، وبما أن "خط التبشير المسيحي آنذاك الذي يبدأ من الرها ويتبع الطريق الملوكي مروراً بنصيبين وباتجاه بانوهدر-دهوك- ومركا، حدياب، بيت كرما، بيت ارمايي وحتى سلوقيا- قطيسفون-، وربما هناك طرق اخرى باتجاه صحراء بيت عربايي كالطريق الذي يمر في الحضر والذي يبان اكثر منطقياً باعتبار الزمن من الخط الذي يأتي من الشمال ويتبع ضفة دجلة اليمنى، وليس من المستحيل التبشير قد عبر دجلة اتياً من بيت كرماي الواقعة على دجلة على الضفة الاخرى، وان هذا متعلق بالعلاقات المجهولة للأسف التي كانت لتكريت مع الحضر من جهة، ومع دولة فارس من جهة اخرى، إذا لم تكن موجودة فان المدينة كانت واقعة تحت تأثير الحكم الساساني عندما غزا شابور الحضر، فمن المحتمل انه في هذه الحقبة، وربما لاستعمالها كميناء سياسي ضد الحضر رفع شابور من قيمة قلعة تكريت فاشتهرت، فقصدها التجار النصارى هرباً من الحضر محطة القوافل الاولى لمواصلة اعمالهم التجارية"^(٢٤)، وهذا يعني ان انتشار المسيحية في تكريت يرتبط بالحضر التي تُشكل حدودها الطبيعية" دجلة شرقاً، والفرات غرباً وبالتحديد غرب مدينة نمت- عشتار - تل عفر-، حتى جبل سنجار من الشمال الغربي، ثم نينوى أو حصنا عبرايا شرقاً حتى دجلة، وشمالاً حتى حدود مملكة حدياب التي مركزها مدينة أربيل"، وقد نشأت تلك المدينة أو المملكة نتيجة الفراغ الذي تركته الامبراطورية البابلية الاخيرة، أذ بقيت

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احودامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

تحت سلطة الدولة السلوقية المتحضرة مع مملكة ميثان في الاحواز خلال منتصف القرن الثالث الميلادي، تبعتهما مملكة حدياب ثم مملكة سنكارا أو شنكارا حسب تسمية اليزيديون؛ وتبعد الحضر أو حطرا زهاء ١٠٠ كم جنوباً عن نينوى أو الموصل، وتشكل بذلك أحد مراكز التجارة لنقل البضائع العراقية والفارسية الى سوريا^(٢٥). وبناءً على ما تم ذكره تكون كنيسة الموصل وتكريت كنائس رسولية^(٢٦).

ثانياً: القديس مار احودامه في مدونات التاريخ الكنسي:

يرد ذكر القديس مار احودامه عند عدد محدود من مؤرخي الكنيسة، ولأجل توضيح الصورة عند القارئ سنورد ما ذكر عنه حسب الاقدمية في المصادر مُتبعاً المنهج التاريخي التحليلي من جهة، وتماشياً مع عنوان بحثنا من جهة اخرى.

يوحنا الافسسي (٥٧٠-٥٨٥م): وصف بأنه: "احد احبار عصره الاعلام، صاحب التصانيف الممتعة في التاريخ، كان من محاسن الزمان، كثيراً أجهاده، جزيلاً فضله، جماً علمه، بعيداً همه، وفوق ذلك من دعاة النصرانية ورُسُلها العاملين"^(٢٧)، حبر ومؤرخ سرياني، عُرف بالاسيوي بسبب اسقفيته في اسيا^(٢٨)، والافسوسي والافسسي لرسامته على مدينة أفسس سنة ٥٥٨م^(٢٩)، والامدي نسبة الى مدينة (امد)^(٣٠)، ولد في قرية (أجل) الواقعة بالقرب من مدينة امد (ديار بكر) حوالي سنة ٥٠٧م، وبعد سنتين تعرض الى مرض خطير كاد أن يفارق الحياة بسببه، وهو نفس المرض الذي أصاب اخوته الاثنين في سن الثانية^(٣١)، مما استدعى تدخل ناسك عمودي يدعى (مارون) يسكن في (دير ارعا ربتا/ الارض الكبرى) الذي شفاه بالأدعية^(٣٢)، وفي سن الثالثة^(٣٣)، وذكر الرابعة^(٣٤)، أرسل من قبل عائلته الى دير الارض الكبرى بناءً على طلب الناسك مارون، وبقي فيه حتى الخامسة عشر من عمره^(٣٥)، أو السابعة عشر^(٣٦)، وقيل الثامنة عشر يتمرس على الحياة النسكية والفضائل المسيحية تحت يد مارون^(٣٧)، وما أن حل الاضطهاد الذي شنه الامبراطور الروماني جستنيان الاول (٥١٨-٥٢٧م) على المعارضين لمجمع خلقدونية المنعقد عام ٤٥١م حتى لقي مارون حتفه^(٣٨)، ونتيجة لتلك الاحداث أنضم يوحنا الى رهبان دير (يوحنا الاورطي)، ودرس الكتب المقدسة، والسيرة الروحية، واتقن اللغتين السريانية واليونانية^(٣٩).

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احو دامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

وفي سنة ٥٢٩م تمت رسامته شماساً انجيلياً بواسطة (يوحنا) مطران مدينة تلاً^(٤٠)، وما أن حلت سنة ٥٣٠م حتى عادت نيران الاضطهاد مجدداً على يد (إفریم الامدي ٥٢٩-٥٤٤م) بطريرك انطاكيا، و (إبراهيم التلي ٥٢٠-٥٤٦م) أسقف امد ضد اصحاب مذهب الطبيعة الواحدة، ليهرب يوحنا الى فلسطين^(٤١)، ويبدو أن نيران الاضطهاد زالت ليعود في نهاية سنة ٥٣٠م الى دياره، فأخذ يطوف بالديارات والصوامع، ويلتقي مع النساك ويدون أخبارهم، فرحل الى انطاكية سنة ٥٣٢م، ثم الى مصر سنة ٥٣٤م^(٤٢)، وهناك من يذكر أنه في نفس سنة ٥٣٤م توجه الى فلسطين^(٤٣)، ثم توجه الى القسطنطينية سنة ٥٣٥م حسب اوامر جستنيان التي تنص على عودة زعماء المذهب المنوفرتي الى العاصمة لحجزهم، وكان عمره آنذاك نحو ثلاثين سنة^(٤٤)، وفي السنوات التالية طاله التشريد والتتكيل، لينتقل ويجد نفسه مرة اخرى في القسطنطينية سنة ٥٤٠ أو ٥٤١م، ثم الى بلاد ما بين النهرين^(٤٥)، التي زار فيها مدرسة جند نيسابور وطيسفون للاطلاع على مظاهر الفلسفة والثقافة السائدة فيها، وما أن حلت سنة ٥٤٢م حتى ظهرت بوادر الانفراج على يوحنا، أذ قام الامبراطور جستنيان بحملة يهدف من خلالها الى القضاء على بقايا الوثنية في اسيا الصغرى، وكلف يوحنا ببعثة دينية الى تلك المنطقة، وبأشر بجهوده من مدينة (تراليس) الجبلية، التي أقام فيها ديراً جعله مقراً لحملته التي نجح فيها، ثم توجه الى (فريجية) و (وليديا)^(٤٦)، حتى ذكر انه عمد سبعين ألفاً^(٤٧)، ودُعي (معلم الكفرة ومحطم الاوثان)^(٤٨)، و(عراف الكفرة)^(٤٩)، ويبدو ان هذا النشاط من قبل يوحنا حسب وجهة نظر الباحث يعود للمساندة الكبيرة من قبل (ثيودورة) زوجة الامبراطور جستنيان التي كانت تؤيد المذهب المنوفرتي^(٥٠)، وصادف في ذلك الوقت وجود (تيودوسيوس) بطريرك الاسكندرية في القسطنطينية^(٥١)، الذي سمحت له (ثيودورة) بتنظيم الكنيسة الارثوذكسية^(٥٢)، من خلال تنصيب (يعقوب البرادعي) زعيم المنوفرتية اسقفاً على بلاد الرها^(٥٣)، وبدوره أعجب بجهود يوحنا الافسسي ليُنصبه مطراناً على أفسس سنة ٥٥٨م^(٥٤)، شرع خلالها ببناء ما بين اثنتين وتسعين بيعة وعشرة اديار، أو تسعاً وتسعين بيعة واثنى عشر ديراً^(٥٥)، لكن الامور لم تبقى كما هي بالنسبة ليوحنا، بسبب وفاة (تيودوسيوس الاسكندري)، وتولي (يوحنا الاسكولاستيك)

بطريك القسطنطينية حملة ممنهجة ضد اتباع المذهب المنوفرتي^(٥٦)، وزعيمهم يوحنا الافسسي الذي قاسا ويلات تلك الحملة من اضطرابات ومحن انتهت بألقاء القبض عليه وزجه في السجن لمرتين، ثم أطلق سراحه لكنه بقي تحت المراقبة الشديدة، ليلقى حتفه خلال حكم الامبراطور موريق نحو سنة ٥٨٥م عن عمر ناهز الثمانين سنة^(٥٧).

ترك يوحنا الافسسي اثراً نفسية حيث ورد: "أظهر يوحنا نشاطاً كبيراً في حقل الكرازة والتبشير، ولكنه كما يظهر لم يترك لنا اي مصنف لاهوتي، ولم نقف له على خطب أو مقالات جدلية، وقد يعود السبب في ذلك إلى الاضطهاد وإحراق المؤلفات التي كانت مناوئة لمجمع خلقدونية"^(٥٨)، ولم يصلنا من مصنفاته سوى مؤلفين باللغة السريانية، ولكليهما صبغة تاريخية^(٥٩)، الاول بعنوان (تاريخ الكنيسة) الذي يُعتبر من أمهات المصادر التاريخية القديمة^(٦٠)، بثلاث مجلدات، يشتمل كل منهما على ستة أبواب أو أسفار، الاول والثاني من عهد يوليوس قيصر حتى سنة ٥٧١م، والثالث ضمنه اخبار الكنيسة والعالم من سنة ٥٧١م حتى ٥٨٥م مكون من ٤١٨ صفحة، الاول منه مفقود، والثاني نُقل برمته تقريباً الى التاريخ الذي ألفه الراهب (الزوقيني) عام ٧٧٥م، حيث نُشرت منه شذرات على حدة، والثالث وصل الينا لكن سقطت منه بضعة فصول، إذ ألفه عندما كان مُعتقلاً في خلقدونية، وتوجد منه نسخة فريدة تعود للقرن السابع الميلادي قام بنشرها أولاً (كورتن) سنة ١٨٥٣م، ونقله (ببان سميث) الى اللغة الانكليزية سنة ١٨٦٠م، و (شونفلدر) الى اللغة الالمانية سنة ١٨٦٢م، ثم نشره (تأنيه بروكس) ونُقل الى اللاتينية^(٦١)، والمؤلف الثاني تاريخياً جمع فيه (سير النُساك/ القديسين الشرقيين)، "ليس دون الاول خطورة ونفعاً"^(٦٢)، "يكاد يساوي في الاهمية كتاب التاريخ الكنسي"؛ يضم سيرة ٥٨ من "حياة أشخاص أتقياء من أساقفة ورهبان وراهبات.. كلهم ينتمون الى المذهب المنوفيزي، وهم من معاصري المؤلف، وأغلبهم من الذين عرفهم شخصياً"^(٦٣)، مكون من جزءان بواقع ٦١٩ صفحة، ضبط فيه السنين، وعقد فيه فصلاً شيق سرد فيه (تاريخ دير مار يوحنا الاورطي) الذي تخرج منه بين ٣٨٩-٥٦٧م، فضلاً عن اشتماله تفاصيل عن الحياة النسكية، والعادات الرهبانية، وسير الديارات في عصره، وأهم مميزاته انه لم يُدون فيه (إلا) ما شهدته أو سمعه بنفسه واختبره، أو انتهى

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احودامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

اليه عن رجال ثقات^(٦٤)، وقد نشر (لاند) هذا الكتاب سنة ١٨٦٨م، وقدم له (بروكس) طبعة جديدة مع ترجمة انكليزية سنة ١٩٢٣م، ثم قام (فان دوفن) بنقله الى اللاتينية سنة ١٨٨٩م، بعدها قام (القس يعقوب منا) بنشر فصلين من هذا الكتاب في كتابه (المروج النزهية)^(٦٥)، كما يرد ليوحنا الافسسي كتاباً ثالثاً في الاضطهاد الذي أثاره (الملكيون) على الكنيسة سنة ٥٣٧م، وقد ذكره في كتابه التاريخ الكنسي عند اول السيرة الخامسة والثلاثين منه (لكنه مفقود)، كما وضع (قصة الافة) حوالي سنة ٥٤١-٥٤٢م، وادخلها في المجلد الاول من تاريخيه (لكنها مفقودة هي الاخرى)، باستثناء ما نقل جزء منها (مار ميخائيل السرياني الكبير)؛ كما دون (احتجاجاً) ارسله الى المجمع الشرقي خلال احداث سنة ٥٧١م؛ وله رسائل عديدة الى انصاره ذكرها في تاريخه، شرح فيها ما اصابه من ظلم، كما أرسل عشرة رسائل الى (مار يعقوب) و (البطريك بولس) بعد الخلاف الذي وقع بينهما، ورسالة الى حزبه، واخرى جوابية الى رؤساء اديرة المشرق حول تنصيب (بطرس الثالث) سنة ٥٨١م^(٦٦).

وفيما يخص سيرة احودامه فقد كتب يوحنا عنه تحت عنوان (عهد كسرى لملك الفرس ووفاته) بقوله: "لا نرى غضاضة إن تحدثنا عن ذلك المجوسي العدو، لكي نعرف زمن وموت كسرى ملك الفرس، وقد شهدت أعماله بأنه رجلاً ماهراً وحكيماً، وقد ظل طوال حياته ممعناً في قراءة الفلسفة، وقيل إنه أراد جمع كتب الديانات كلها لكي يقرأها ويبحث فيها فيعرف أيها الثمين الصحيح، وإيها هو الغث المليء بالخرافات والاساطير والاباطيل، وبعدما قرأها كلها وبحث فيها قرظ كتب المسيحية وقال: إن هذه الكتب أكثر الكتب التي قرأتها صواباً وحكمة من كتب الديانات الاخرى، ولهذا حافظ عليها وقرأها وامن بصدقها، ولهذا لم يظهر أنه يكره المسيحيين، وايضاً عندما أثاره المجوس على المسيحيين لم يظهر أنه امر باضطهادهم؛ وذات مرة أثار جاثليق النساطرة في بلاطه الافتراءات بأن الاساقفة الارثوذكس هم قلة في فارس، في حين أن كل أساقفة فارس من النساطرة، وأن الارثوذكس قليلين بينهم، وبعدما اثاروا تلك الافتراءات الباطلة أمر كسرى بإحضار هؤلاء الاساقفة لكي يتباحثوا في مسائل ايمانهم مع بعضهم البعض، ولكي يعرف الحقيقة ويتأكد بنفسه مما يدور بينهم،

فيفصل بينهم في خلافاتهم، وعندما جاء الارثوذكس امر الملك الفريقين أن ينقسموا الى قسمين متواجهين أمامه؛ وهكذا وقف الفريقان متواجهين في حضرة الملك، وكان رئيس الاساقفة قديساً وهو الاسقف احودامه، وأمرهما الملك أن يبدأوا مناقشة قضية إيمانهم، ولما بدا الجاثليق النسطوري ومن معه بالكلام مع الارثوذكس، فتحدث بأفضل ما لديه وانتهى، ثم تحدث الارثوذكس وفندوا كلام النساطرة ومشاغباتهم، وترك الفريقان الحكم للملك، ولما لم يسهل تدوين ذلك الحوار أهملناه. وبعد ذلك قبل كسرى كلام الارثوذكس وأثنى عليه، وقال للجاثليق: إن هؤلاء يعرفون ما يتحدثون عنه، ويستطيعون إثبات صحة كلامهم، ويبدو لي صادقاً، أما كلامكم فمشوش ومتضارب ولا يستند إلى اساس، كما انكم لا تستطيعون إثبات صحة كلامكم، ولا يبدو لي صحيحاً مثل كلام الارثوذكس، ومن هنا اتضح لي أنكم اتهمتم الارثوذكس أمامي زوراً وبهتاناً، وبعدما سمعت أمركم بعدم التعدي عليهم ، أو الاضرار بهم؛ وبعدما أمر كسرى بذلك سجد له الارثوذكس جميعاً، وقبلوا حُسن صنيعه وقالوا له: مولانا إنهم يُطاردوننا وينقضون علينا وينهبوننا ويهدمون كنائسنا واديرتنا ولا يتركوننا نُقيم الصلوات والابتهالات لله لكي يُثبت مُلكك ويحفظ حياتك؛ وعندئذ قال لهم كسرى: اذهبوا إذاً وشيدوا كنائسكم واديرتكم فلن يتحكم فيكم أحد ثانية؛ وهكذا سجدوا له وباركوه، وعادوا الى منازلهم تحدهم فرحة غامرة، وصار الارثوذكس يتصرفون بحرية ولا خوف في الاراضي الفارسية؛ ثم قام الارثوذكس بعمل عظيم اخر؛ إذ أصبح الطوباوي مار يعقوب البرادعي اسقف الارثوذكس والمسؤول ايضاً عن تعيين الجاثليقة النساطرة منذئذ، وهذا لم يحدث في فارس من قبل مطلقاً، وقد صار يعقوب هو جاثليق المؤمنين منذئذ وحتى اليوم^(٦٧).

من خلال هذه الرواية تتضح عدة أمور أبرزها:

- أ- أن هذه الرواية دونت في أيام حياة يوحنا الافسسي، وكان على اطلاع تام بها.
- ب- تُشير الرواية الى دور الملك الفارسي كسرى انو شروان (٥٣٢-٥٧٩م)، في الشؤون الدينية وسعة اطلاعه، يعضدها ما ورد على لسان ارثر كرستنس بالقول: "يمتاز بين الساسانيين بأنه كان حر التفكير، وكانت نفسه قابلة لبحث الاراء المختلفة في

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احودامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

المسائل الدينية والطبيعية، ولم يكن يتردد في استخدام النصارى في الوظائف ذات النفع العام^(٦٨).

ت- منح الحرية للمسيحيين نتيجة معاهدة السلام المعقودة بين الفرس والروم سنة ٥٦٢م^(٦٩).

ث- اثبتت الرواية وقوع خصام بين النساطرة واليعاقبة في عهد كسرى انوشروان، وهذا يتفق مع مسار الاحداث، بدليل تمثيل الطرف الاول (النساطرة) الجاثليق (حزقيال ٥٧٠-٥٨١م)، واليعاقبة بقيادة مار احودامه^(٧٠).

ج- يظهر من سياق الحدث ان كسرى انوشروان لم يكن (يُجامل) المقربين منه في الامور العقديّة، بدليل العلاقة المتينة لكسرى مع جاثليق النساطرة (حزقيال)، لم تُثته من سمع اليعاقبة، حيث ورد عن علاقته بحزقيال: "وانفذ انوشروان حزقيال الى البحرين واليامة ومعه غواصون، فاستخرج له جواهرًا نفيساً فاخراً كثير القيمة فازداد فيه رغبة... واستصحبهُ الملك لمحبتِه له اينما ذهب، ولما تجددت الحرب بينهُ وبين الروم سنة ٥٧٣ رافقه الى نصيبين ودارا"^(٧١).

ح- قيام كسرى انوشروان بالأشراف بنفسه على خلاف الطرفين، واحضار الفريقين امامه ليقوم بالحكم بنفسه.

خ- دور احودامه وتقديمه من قبل انصاره لإدارة الحديث العقدي بين الطرفين.

د- قناعة كسرى انوشروان بحُجج اليعاقبة.

ذ- مطالبة اليعاقبة لكسرى أن يُزيد بحمايتهم من تنكيل النساطرة.

ر - استثمار اليعاقبة ود كسرى من خلال تكريس جهود يعقوب البرادعي الذي نُصب اسقفاً عاماً لهم.

تاريخ الزوقيني المنحول لديونسيوس التلمحري: كتاب منسوب لراهب سرياني يعقوبي من دير زوقين (القريب من امد/ ديار بكر)^(٧٢)، وهو تاريخ عام ديني مدني مُسهب^(٧٣)، ألفهُ سنة ٧٧٥م في مجلدين، مبتدأً من الخلق حتى زمنه^(٧٤)، عُثر على مخطوطته السريانية الوحيدة محفوظة في الخزانة الفاتيكانية بالرقم ١٦٣، ينقصها سبع ورقات (١-٧)، لكن

العلامة (اوجين تيسران) عثر على هذه الصفحات السبع في المتحف البريطاني بالرقم ١٤٦٦٥، وتضم النسخة الفاتيكانية ١٧٣ طليحة من الرق بقياس ٢٤٠ × ١٥٢ ملم، "ويلاحظ أن بعض هذه الرقوق كانت قد أُسْتُعِلت من قبل، ثم بشرت الكتابة الاولى، وعولجت الرقوق مرة اخرى، ودُون عليها جزء كبير من هذا التاريخ، وتشمل هذه الرقوق الصفحات ١-٦٥، ٦٧-١٢٠، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣؛ وقدم العلامة (اوجين تيسران) وصفاً لهذه المخطوطة النادرة عندما قام بإعداد الكتاب المقدس (العهد القديم) للنشر في مدينة روما سنة ١٩١١م، كما يوجد وصفان للمخطوطة اقدم من وصف اوجين، الاولى في Apographa Codicis Romae كتبها المستشرق (أوتو تولبرغ) في اوبالا سنة ١٨٤٨م قرء فيها الصفحات من ٢-٤٣ بشكل جيد، بدليل الملاحظات المكتوبة على هوامش هذا الجزء من المخطوطة، والثانية للاب (بول مارتن) كتبها في باريس حوالي سنة ١٨٦٧م، حيث قرء الصفحات من ٤٤-١٥٤، وقد تم حفظ صفحات هذه المسودات في خزانة المكتبة الوطنية في باريس تحت الرقم ٢٨٥-٢٨٤ Syr، وقال العلامة (شابو) ان هذه الملاحظات مكتوبة بالقلم الرصاص، وتمتاز بالوضوح بشكل كبير، لكنها لا تخلو من بعض الهنات^(٧٥)، واول من عمل في هذه المخطوطة العلامة (السمعاني)، حيث جلبها الى مدينة روما سنة ١٧١٧م من برية الاسقيط، زاعماً أنها كُتبت في (دير السيدة العذراء للسريان في مصر)، ثم وهم ان الكتابة الممسوحة على الرقوق كانت باللغة القبطية نتيجة قدم الرقوق ووجودها في مصر، لكن العلامة (ماي Maib) و (تولبرغ) و (رايت Wright) نقضوا ما ذهب اليه السمعاني بعد دراستهم بشكل دقيق لهذه الرقوق، وأثبتوا أن الكتابة الاصلية تحت السريانية كانت يونانية بلا شك^(٧٦)، ثم نسب السمعاني هذه المخطوطة الى البطريرك (ديونسيوس التلمحري ٨١٨-٨٤٥م)^(٧٧)، واقتفى اثره المستشرق الانكليزي (وليم رايت)^(٧٨)، و (الاب شابو) حسب ذكر الدكتور يوسف متي^(٧٩)، لكن الباحث وجد ان (شابو) أطلق عليه (المزيف/المنحول)^(٨٠)، والمطران صليباً شمعون^(٨١)، والاب جورج رحمة الانطواني^(٨٢)، ومؤلفي كتاب تاريخ الادب السرياني^(٨٣)، وغيرهم، لكن الالمانى (ثيودور نولدكة) و (وفرانسوا نو) رفضا هذا الرأي بذريعة عدم وقوفهم على دليل ثابت يُجيز النسبة الى ديونسيوس،

وأخذوا يبحثون عن ادلة من داخل نصوص الكتاب تُسعفهم في تحديد المؤلف، وخرجوا برأي مفاده أن هذا التاريخ (قد يكون) على الأرجح من تأليف (الراهب يشوع العمودي) بدليل وجود اسمه في تضاعيف المخطوطة^(٨٤)؛ وينقل الاب البير ابونا نفس التفاصيل، لكنه لا يذكر نسبة الكتاب الى (الراهب يشوع العمودي)، ويقول: "إلا أن النقد الصحيح دفع العالمين نو و نولدكه إلى القول إنه من وضع راهب عاش إلى سنة ٧٧٤ في دير زوقنين، وأهدى كتابه الى جرجس خور اسقف امد، وإلى أوتيليوس رئيس دير زوقنين، وإلى الفريادوط لعازر"^(٨٥)، ويبدو أن من ذكرهم الاب البير ابونا يتفق مع الذي ذكره (اغناطيوس افرام الاول) بالقول: "وكان اقدامه على التأليف باقتراح كوركيس خور فسقفوس امد و اوتيليوس رئيس دير و لعازر الزائر وانسطاس والرهبان قاطبة"^(٨٦)، وهنا لم يُستجد شيء مُغاير، لان (الاب بول مارتان) سبقهما الى هذا الاستنتاج، ولم يحظى بالقبول التام من قبل مؤرخي الادب السرياني^(٨٧)، وبالتالي أنقسم العلماء الى فريقين، الاول نسبه الى ديونسيوس التلمحري، والثاني الى يشوع العمودي، وكلاً له ما يدعمه من اراء وافتراسات مختلفة^(٨٨)، ومما زاد في نسبة الكتاب الى ديونسيوس التلمحري قيام (السمعاني) بنشر مقالة اضافية عن اكتشافه للمخطوط، وطرفاً من محتويات هذا الكتاب في موسوعته (المكتبة الشرقية)، فشاع منذئذ رأي السمعاني بين المؤرخين وعلماء الاستشراق^(٨٩).

اما عن طبع الكتاب فقد ذكرنا مسبقاً ان العلامة (السمعاني) جاء بمخطوطته الى روما سنة ١٧١٧م^(٩٠)، وقام بنقل جزء منها الى اللاتينية ونشرها مع الاصل السرياني، واعاد (كلازر/ جلازر) ترجمتها الى اللاتينية ونشرها عام ١٨٨٤م، وفي سنة ١٨٩٥م قام الفرنسي (الاب شابو) بترجمة الجزء الاخير من المخطوطة الى الفرنسية ونشره فور نقله^(٩١)، وفي أوائل سنة ١٩٧٠م دار حواراً بين الاب (سهيل بطرس قاشا والاب يوسف حبي) أسفر عن اقتراح الاخير ترجمة القسم الرابع من كتاب تاريخ الزوقنيني المنحول لديونسيوس التلمحري، وهنا وضع الاب سهيل امكانية وبراعة والده الشماس (بطرس متى قاشا) في الترجمة من السريانية الى العربية، وعليه وافق الطرفان، واستعار الاب يوسف حبي الكتاب من المطران (زكا عيواص) مطران بغداد والبصرة سابقاً، وسلمه للشماس (بطرس متى قاشا) الذي

ترجمه خلال بضعة أشهر كترجمة أولى، تلاها ثانية وثالثة حتى وصل الى الترجمة الاخيرة، وكان الاب (سهيل بطرس) يقرأ النص المترجم، ويقوم والده بمقابلته بالنص السرياني، بعدها تم ابلاغ الاب يوسف حبي بانتهاء الترجمة، فطلب بدوره أن يقوم بقراءتها ومراجعتها، ثم تحقيقها على المصادر الاجنبية، وبقيت المخطوطة زهاء السنة عند الاب يوسف حبي دون أن ينظر فيها، ثم أعادها الى الاب (سهيل بطرس قاشا) الذي قام بدوره بوضعها في درج مكتبته الخاصة حتى وفاة والده سنة ١٩٨٩م، ثم قام حسب ما ذكر: "عندئذ عرفانا بالجميل، وإحياء لذكراه العطرة تناولت المخطوطة من جديد، وشرعت أشذب بها واهذب، ومنثم أنعكفت على تحقيقها ما أستطيع اليه سبيلا على المصادر السريانية المترجمة من قبل الوالد... فأرتقى الكتاب الى هذه الصورة التي هي عليه الان"^(٩٢).

يُعتبر هذا التاريخ "من أهم التواريخ المحلية التي تناولت تاريخ الجزيرة وبلاد ما بين النهرين العليا في فترة كانت من أشد فترات التاريخ الاسلامي فعالية سياسياً ونشاطاً فكرياً، فقد أفرد المؤلف طرفاً كبيراً من تاريخه لتسجيل ردود الفعل السياسية لسكان البلاد... وتتنحصر أهمية كتاب الزوقيني..تقرده في مجموعة من أخبار لا ترد في المطولات التاريخية، لعدم تنبه المؤرخين الرسميين اليها من جهة، ولوقوعها في منطقة الثغور الداخلية حيث عاش المؤرخ من الجهة الاخرى، كما جمع طائفة من اخبار متفرقة ترتبط ارتباطاً مباشراً بالكنيسة المسيحية الشرقية وبخاصة السريانية.. الامر الذي يهيئ فرشاً تاريخياً للمؤرخ المعاصر الذي لا يستطيع ان يقف على ما يضارعه في التواريخ المماثلة"^(٩٣)، ورغم تلك الاهمية (إلا) أن الاب سهيل بطرش قاشا سجل عليه خمسة ملاحظات مهمة^(٩٤)، اتفق في الاغلب الاعم منها الاب الدكتور يوسف متى اسحاق^(٩٥)، كما اورد العلامة اغناطيوس أفرام الاول ملحوظة مهمة عن الكتاب نصها: "وكان الاولى به وبمن نقل عنه أن يفقهوا ان لغة التلمحري ليست من نمط انشاء هذا الراهب الذي لا يخلو من ضعف واخطاء والفاظ دخيل، وقد قعد به طبعه عن مجارة البلغاء، دع عنك اضطراب السنين..."^(٩٦).

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احودامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

وكل ما ذكرناه اعلاه يأتي نسقاً مع عنوان بحثنا، ورغم قصر الخبر الذي ذكره عن مار احودامه موضوع البحث لكنه مهم جداً حيث قال: "ثم كان احودامه كاثوليكاً مشهوراً رئيساً عند الفرس وشهيداً"^(٩٧).

ويتضح من هذا النص:

أ- أن صاحب هذا التاريخ ذكر احودامه.

ب- أشار الى عقيدة احودامه بأنها (كاثوليكية)، والغريب انه (ارثوذكسي)^(٩٨).

ت- بين المؤرخ ان احودامه كان موقراً (شهيداً) عند الفرس، وهذا يتفق والحادثة التي اوردها يوحنا الافسسي^(٩٩).

مخطوطة ناو: مخطوطة نشرها المستشرق (نو F. NAU) في سلسلة الباترولوجيا الشرقية^(١٠٠)، بحسب المخطوطة الوحيدة الموجودة في المتحف البريطاني المرقمة ١٤٦٤٥، والتي ترتقي الى سنة ٩٣٦م^(١٠١)، وقام بنشرها سنة ١٩٠٢م بعد أن نسخها في لندن، طُبع النص السرياني بالنسخة الحجرية، وكان العزم ربط الترجمة (لكن) أنطلاق الدوريات الشرقية أدى الى التخلي عن هذا العمل بشكل مؤقت^(١٠٢).

تشمل صفحات المخطوطة الخاصة (باحودامه) ٣٨ صفحة، فيها تسعة عناوانات رئيسة ضمنها المقدمة^(١٠٣)، ديباجتها (تاريخ القديس مار احودامه الرسول والقديس ماروثا)^(١٠٤)، ولأن كل قديس افرد له في هذه المجلة جزء محدد، ترك الباحث نصوص القديس ماروثا، كونها خارج موضوعنا المحدد.

في المقدمة التي تشمل الصفحات ١٥- السطر الاول من ص ١٩ دارت النصوص عن دور السيد المسيح (ع) في انقاذ البشرية من الخطيئة، وتكليفه لرسل يكملوا دوره، إلى أن وصل الدور الى القديس مار احودامه، الذي خشي كاتب المخطوطة أن يبخل حقه من خلال استعراض اعماله ودوره الرسالي، ثم شبهه بالرسول بولس وبطرس^(١٠٥).

ثانياً: بحسب المنشور في الباترولوجيا الشرقية تشمل الصفحات ١٩- ٢٠ وهي تتحدث عن مرحلة شباب مار احودامه وولادته في (بلد/ تكريت)، وتتلّمذه منذ نعومة اظافره على

دراسة الكُتب الالهية، وتعليمه بطبيعتين في السيد المسيح بعد الاتحاد (مذهب الطبيعة الواحدة اليعقوبي/ المنوفرتي)^(١٠٦).

ثالثاً: تشمل الصفحات ٢٠- الاسطر التسعة الاولى من ص ٢٦ (عنوان خدمة احودامه الرسولية في بلاد ما بين النهرين)، وفيها وصول احودامه الى مرتبة (الكمال) الاسقفية بواسطة من نصبه ليكمل دور السيد المسيح (ع)، ثم الحديث عن الشعوب الساكنة بين دجلة والفرات (الجزيرة بحسب تعبيره)، ووصفهم بالجهل لنور السماء، وصعوبة طبائعهم، لذلك اخذ احودامه دور الملاك الذي يروض الشيطان، واستعان باتباعه ليصلوا من اجل اهل هذه البلاد، لكنهم حاربوه بقوة شديدة، وقالوا له: "ما لنا ولك يا قدوس الله!!"، مما دفعه لمطاردتهم كالذباب!!، ولكن معسكراتهم قاومتهم، ولم تسمح له بالاقتراب، ولم تستمع لكلامه، مما دفعه للتضرع الى الله بحرارة، فتكسرت اصنامهم التي تحمل أسماء، واجرى معاجزة بينهم (طرد الشياطين، شفاء مرض البرص وغيره)، لكنهم هربوا من امامه، مما دفعه الى ان يتضرع لله من اجل هدايتهم، وظهر له ملاك الرب قائلاً: "ثق يا احودامه ولا تخف، العمل سينتهي بالفرح، وسيصغي اليك البرابرة، وسيعملون مثل الثيران تحت النور اللطيف والحفيف"، ثم يقص حادثة لفاتة من تلك القبائل تلبس بها الشيطان وأحضرت لاحودامه، وقالوا له "إن كنت عبد الله حقاً ضع يدك على هذه الفتاة لتشفى"، فشفيت من فعل احودامه، وقال هؤلاء "أرسل الله إلينا ملاكاً ولم نعرفه"، وطلبوا من احودامه ان يدخل معسكراتهم ليفعل ما يريد، وعمدهم، وساد الفرح والسرور ابتهاجاً^(١٠٧).

رابعاً: تشمل الاسطر الثمانية الاخيرة من ص ٢٦- الثلاث اسطر الاولى من ص ٣٣، وعنوانها (مؤلفاته بين العرب)، وفيها وصايا احوادمة لسكان تلك البلاد بالتعليم، والصعوبات المناخية التي واجهها، وصومه المتواصل، وكسبه للاتباع، واستخدامه لطرق الاقناع، وبناء الكنائس والاهتمام بها ومستلزماتها بشكل كامل، وقوله لهم: "يا أبنائي لا تتركوا الله لئلا يترككم وتقعوا في طريق مليء بالشُرور"، ثم توجه لمكان يُدعى (Ainqenoie)، وأقام مذبح أطلق عليه (مذبح القديس سرجيس الشهيد الجليل)، ويتضح من النص وجود مذبح بنفس الاسم لكنه يقع في الجانب الاخر من نهر الفرات

(الرصافة)، وهذا المذبح كان مميزاً ببنائه، مما أدى الى تجمع سكان تلك القبائل فيه لأداء الصلاة والمراسيم الدينية، ومكان جذب، لكنه فيما بعد تعرض للحرق، وتمت مطاردة اتباعه، بعدها جاء ملك لديه نية سليمة اعاد بناء هذا الدير (لم يُذكر اسم الملك)، ونتيجة لتلك الاحداث ازداد اعداد المنضمين لاحودامه الذي دعى رئيس تلك القبائل وقال له: "اعتني باخوتك في تقوى عظيمة، وصلي الى الله باستمرار من اجلهم، وأظهر لنفسك قدوة صالحة حتى يقلدوا بعضا مواظبين على الصلاة، واستقبلوا الغرباء بشكل صالح لئلا يذهب عملكم عبثاً"، ثم رسم عليهم من يقوم بشؤونهم، وتركهم لزيارة باقي الشعوب، تخلصها بناء الاديعة والكنائس في الاماكن التي تتوفر فيها المقومات الرئيسة، ثم بناء دير اسمه (de Ga tani) أو دير مار احودامه^(١٠٨).

خامساً من السطر الثالث ص ٣٣ - ٣٤ عنوانها (تعميد ابناء الملك كسرى)، وفيها هروب ابن الملك الفارسي كسرى وتحوله للدين المسيحي، وتعميده على يد مار احودامه، وارساله الى البلاد الرومانية^(١٠٩).

سادساً: من ص ٣٥ - سطر ١٣ من ص ٤٠ تحت عنوان (اعتقاله)، فيها يتحدث عن معرفة الملك الفارسي كسرى بهروب ولده مع جهل المنطقة التي توجه اليها، وأرساله لفرسان ماهرين على خيول سريعة للبحث عنه في البلاد المجاورة، لكنهم اخفقوا، مما دفع الملك الفارسي الى أن يأمر بأجراء تحقيق مع كل من قابل ولده، وخاصة اتباع الكنيسة، وهنا كان لاعداء المسيح دور في تعبئة الملك الفارسي، وتحريضهم لقتل القديس مار احودامه لأنه عمد ابن الملك، وبالفعل تألم الاخير بسبب فعل ولده " لأنه كان يُفضل وفاة ابنه على أن يعرف انه أصبح مسيحي"، وارسل على الفور من يعتقل القديس احودامه وأحضاره الى (ماهوذا/ Mahoza) حيث مقر الملك الفارسي، لكن من أرسلهم كسرى للاعتقال ما أن وصلوا الى احودامه حتى سجدوا له بكل احترام، واخبروه بأرادة الملك، ثم ركب (حماره) وتوجه الى مقصدهم، وما أن عرف العرب بما يجري من احداث مع احودامه تألموا للغاية، وعبروا عن غضبهم بأشعال النار وفكروا بإنقاذه، ويتضح أنهم التقوا مع احودامه وسألوه كيف ينقذونه بقولهم: " سنُعطي الملك بوزنك ثلاث مرات ذهب،

وأذا طلب الملك نقتل عشرين رجلاً بدلاً عنك"، فقال لهم: "ليس لائقاً ولا جميلاً أن أعطي طريقي للآخرين وأن أتعرض للأذى، بما أنني الذي أختار طريق الله لأسلك فيه، أريد أن أبذل نفسي للمسيح الذي فداننا من الخطيئة...."، ثم ودع اتباعه الذين رافقوه بجموع كبيرة بعد أن صلى معهم، وبعد ميلين وصل له اثنتان من سكان قبائل أخرى وطلبوا منه أن يُعَمدَهم، وأن يتدخل بسبب الموت المنتشر بين افراد قبيلتهم، فقام بأشعال مخمرة ووضع البخور فيها وصلى، فزال الخطر الي يهدد تلك القبيلة، وحال عودة الاثنتين الى قبائلهم وجدوا أن هذا الفرع المنتشر في قبيلتهم قد زال، ثم توجه نحو مقر إقامة الملك، وحال وصوله هدهد اتباع الملك بالموت نتيجة ما فعله^(١١٠).

سابعاً: من ص ٤٠ السطر ١٣ - السطر ٢ من ص ٤٤ وضعت تحت عنوان (أسره)، وفيها احضار احودامه امام الملك الفارسي كسرى بلا خوف او تردد، وسؤال الملك عن اسمه وبلاده، واجابه عن اسمه، وبين له عدم وجود بلد محدد له، لانه في خدمة رسالته يطوف البلدان، فضلاً عن كونه أسقف وقائد للمسيحيين، فأعجب الملك بلباقته، وسأله عن تعميده أبنة الذي اعترف به احودامه، مما اغضب الملك وأمر جنوده بسجنه وعدم تقديم الطعام له، وتطويق عنقه الحديد وختمه بختم الملك، ثم قُيدت أقدامه بالحديد، وتم تحذير حراس السجن من الاقتراب منه، وبعد مرور اثنتي عشر يوم توقع الحرس أن يجدوه ميتاً، لكنهم ذُهلوا عندما وجدوه بصحة جيدة ومظهراً جيداً، وانتشر خبر ما حصل مع احودامه، كما وصل الى مسامع الملك الفارسي الذي أمر بأن لا يُمنع من يُريد زيارة احودامه في السجن، وتوافد عليه الناس، وحصلت عدد من المعجزات على يديه لكل من زاره في سجنه^(١١١).

ثامناً: من السطر الثالث ص ٤٤ - السطر ١٣ من ص ٤٦ تحت عنوان (وفاته)، وفيها بيان المدة التي قضاها احودامه في السجن، وهي اثنتي عشر سنة، حصلت فيها الكثير من المعاجز على يديه، ثم اخبر اتباعه الموجودين معه في السجن باقتراب اجله، وحدده في يوم الجمعة بعد الساعة التاسعة مساءً، وبالفعل (بحسب المخطوطة المنشورة) وبعد

الساعة التاسعة من ذلك اليوم توفي الطوباوي مار اودامه في الثاني عشر من شهر اب يوم الجمعة سنة ٨٨٦ لليونانيين، ٥٧٥م^(١١٢).

تاسعاً: السطرين الاخيرين من ص ٤٦ - ٥١ (نهاية المخطوطة المنشورة)، وضع تحت عنوان (ترجمة اثاره)، وفيها محاولة انصار اودامه اخذ جثمان قديسهم، وتقديمهم الهبات لحراس السجن الذين كانوا يخافون من ملكهم، لكن تم اخراج جثة القديس، وقُطع رأسه، وأخذ ختم الملك، وفيها يقول مؤلف المخطوطة: " لا اريد أن أعتبر هذا حقيقة غير مهمة، لأنه كذلك ليست حقيقة غير مهمة أن رأس القديس قد قُطع، ولكن لأنه كان يشبه من ليس له مثل بين ابناء السماء، اريد أن اقول يوحنا المعمدان قُطع رأسه.."، ثم اللقاء جسد القديس مع عشرة من اتباعه للكلاب، لكن الحيوانات لم تقترب من جسده، وفي ليلة السبت ذهب اتباع اودامه وأخذوا جثمانه ووضعوه في الكنيسة (الربيبية) في ماهوزا، ثم قام احد تلامذة مار اودامه بأخذ الجثمان الى (دير أسا المقدس) الذي يرأسه (مار أيشو زكا) القريب من قرية (عفروتا)، ثم توجه رئيس هذا الدير الى تكريت وطلب من اهلها أن يكون رئيساً للدير، لكنهم طلبوا منه اول مرة أن يُخبرهم عن مكان دفن جسد اودامه، فآخبرهم وبين لهم ضرورة ذهاب مجموعة منهم معه ليتمكنوا من ارجاع جسد القديس، فأخذ معه عشرة من رجال (تكريت) المشهورين، وتوجهوا لدير اسا، وهناك رفض رئيس الدير في اليوم الاول اعطاء الجثمان، لكن مع الاصرار في اليوم الثاني حصلوا على مبتغاهم، وصنعوا طوافاً من القصب حملوا فيه الجثمان، وعند وصولهم قرب (عقرونا) ضربتهم رياح عاتية جنوبية أجبرتهم على الانتظار يوماً كاملاً على شاطئ دجلة، ثم دخلوا دار احد القرى المجاورة دون ان يعلم احداً بحملهم لجثمان اودامه، وقضوا فيها يومين، ثم عرف سكان قرية (عقرونا) امر الجثمان والرجال، ودخلوا للبيت وأخذوا الجثمان ونقلوه الى كنيستهم بكل اجلال، ثم طلب اهل تكريت من اهل (عقرونا) ان يُعطوهم قطع من جثمان القديس، فتم لهم ذلك، وفرحوا فرحاً شديدة، وحصلت المعاجز في تكريت بسبب الجثمان^(١١٣).

مار ميخائيل السرياني الكبير (ت ١١٩٩ م): مؤرخ سرياني ولد في سنة (١١٢٦ م) في مدينة غلاطية^(١١٤)، من عائلة تعرف بأسم (آل قنداسي)، عُرف ابوه بأسم (القس ايلي آل قنداسي)^(١١٥)، الكاهن المعروف، أما عمه فهو (اثاسيوس زكا) مطران منطقة (عين زرية- أنازرية)^(١١٦)؛ لُقّب بعدة ألقاب مثل السرياني لسريانيته، والكبير لتمييزه عن ابن أخيه الصغير (يشوع سفتاتا) الذي يعني (يشوع ذو الشفتين الكبيرتين)، فضلاً عن لقب (ميخائيل العظيم)^(١١٧)، أنتسب الى دير (مار برصوم) وترهب فيه وتروض ناهلاً من ينابيع العلوم اللغوية والادبية والتاريخية^(١١٨)، وفي سن الثلاثين أصبح مُشرفاً على نفس الدير^(١١٩)، بعدها رئيساً لمدة عشر سنوات^(١٢٠)، وفي سنة (١١٦٥ م) عُرضت عليه اسقفية (ديار بكر) لكنه رفضها مفضلاً خلوته الديرانية وحياة التأمل^(١٢١)، وفي سنة (١١٦٦ م) توفي البطريك (اثاسيوس الثامن) مما دفع الاساقفة للأجتماع في (دير فسقين)، من اجل اختيار بطريكاً للكرسي الرسولي، وتم ترشيح ثلاثة أسماء (الربان ابو غالب، الربان سهدو، الربان مار ميخائيل) وأجريت القرعة بينهم في يوم العنصرة، لتكون من نصيب مار ميخائيل الذي ما أن علم بالخبر حتى هرب وأختبأ بسبب علمه بالخلافات، لكنه رضخ للأمر الواقع ووافق مُشترطاً الالتزام والتمسك بقوانين الالباء القديسين^(١٢٢)، فتمت رسامته بطريكاً في الثامن عشر من تشرين الاول سنة (١١٦٦ م) وهو بعمر الحادي والثلاثون^(١٢٣)، وفي سنة (١١٦٧ م) قام برحلة الى عدد من المناطق ابرزها انطاكية التي بقي فيها لمدة سنة كاملة رسم خلالها ثلاثة اساقفة^(١٢٤)، ثم عاد الى دير مار برصوم وعقد مجمعاً سنة (١١٦٩ م) لاختيار أسقف^(١٢٥)، لمدينة جيحون، حيث وقع الاختيار على الربان (ابو غالب) لتولي تلك المهمة، فضلاً عن اتخاذ قراراً يمنع الاساقفة والرهبان من الاتصال بالنساء^(١٢٦)، وفي سنة (١١٧٠ م) تعرض مار ميخائيل الى مرارة شديدة بسبب خيانة تلميذه (ثيودوز بار وهبون) له^(١٢٧)، وفي سنة (١١٧١ م) عاد الى دير مار برصوم وبنى فيه صومعة للبطاركة ولإقامة القاصدين^(١٢٨)، كما عقد مجمعاً وجه فيه اللوم إلى عدداً من الاساقفة، ورسم (ايوانيس) أسقفاً لـ(سيسبارك)، ورسم أخاه (صليباً) مطراناً على ماردين وسماه (اثاسيوس)^(١٢٩)، كما تجدر الإشارة الى ان

مار ميخائيل عاصر ظهور صلاح الدين الايوبي، وكانت علاقته ودية مع مملكة بيت المقدس اللاتينية بخلاف موقف الارمن والموارنة، رافضاً الخضوع لسلطة كنيسة روما، وبقي متمسكاً بالمذهب اليعقوبي^(١٣٠)، كما ترك السرياني عدداً من المؤلفات التي وصفت بـ (المدهشة)^(١٣١)، أبرزها كتاب (تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير). توفي في عام (١١٩٩م) الموافق (٧ تشرين الثاني / ٥٩٥هـ)، عن عمر ناهز الثلاثة والسبعين، ودفن في كنيسة (دير برصوم) الجديدة في نفس المقبرة التي بناها لنفسه امام المذبح الشمالي^(١٣٢).

أما بخصوص مار احودامه فقد ذكر السرياني ما يلي: " كان كسرى ملك الفرس يُطالع كُتب الفلاسفة ويُقارن بين كافة الاديان، فامتدح كثيراً تعاليم المسيحية، فجمع بين النساطرة والارثوذكس، وتكلم جاثليق النساطرة مطولاً، فرد عليه رئيس الارثوذكسيين الاسقف احودامه، ولما وقف كسرى على تعليم الأرثوذكس استحسناها جداً وقال: هذا هو الحق، وسخفَ نسطور، ثم توجه القديس يعقوب الى فارس وزار كسرى، وأقام هناك جاثليقاً للارثوذكسيين، وشيدت كنائس في فارس". يُستفاد من النص بشكل عام حسب ما يرى الباحث (أنه أعادة شبهحرفية لما ذكره يوحنا الافسسي في تاريخه)، وبالتالي لا منفعة من اعادة تحليل سبقت الاشارة اليه في الصفحات السابقة.

غريغوريوس ابن العبري (ت ١٢٨٦م): مفران الشرق^(١٣٣)، ابو الفرج الملقب جمال الدين ابن الشمس تاج الدين هارون المتطبب ابن توما المكنى ابن العبري الموصوف بـ"علامة العلماء الاشهر، اية من آيات الله، وطرف عبادة نادرة العصور، واعجوبة من اجل اعاجيب الدهر، احد كبار فلاسفة الشرق ولاهوتييه، وحكماء الدنيا غير منازع، علم الهدى وكهف النقي، تاج الامة، وامام الائمة المطبوعين..."^(١٣٤)، المولد في سنة (١٢٢٦م) في بلدة ملطية (ارمينيا الصغرى)^(١٣٥)، والملقب بأبن العبري نسبة الى قرية (عبرا) الواقعة على الفرات بالقرب من ملطية (المصيصة)^(١٣٦)، ابوه الشمس (هرون الطبيب ابن توما الملطي الملقب بتاج الدين)، الموصوف بأنه حكيم زمانه ومن اعظم اهل عصره تقوى وورعاً وعلماً وفضلاً وثقافة، أما أخوته فهم (ميخائيل، موفق، دمنيا،

غريغوريوس، برصوم الصفي)، هاجروا من ملطية بسبب غارات التتر سنة (١٢٤٣م) الى انطاكية ومكثوا فيها لمدة ثلاث سنوات^(١٣٧)، ومن انطاكية ارسل هارون ولده أبو الفرج الى طرابلس لبنان مع رفيق اسمه (صليبي)، حيث درس علم الطب والبيان والمنطق على يد (يعقوب النسطوري)^(١٣٨)، وابدع الصديقان في تحصيل العلوم، ووصلت اخبارهم الى (البطريرك اغناطيوس سابا) الذي استدعاهم الى انطاكية ورقاهما كليهما الى درجة الاسقفية في يوم عيد الصليب سنة (١٢٤٦م)، ووكل لابن العبري رعاية بني ملته في (جوباس: مدينة صغيرة من اعمال ملطية) وهو في عمر يتجاوز العشرين سنة، ثم نُقل سنة (١٢٤٧م) الى بلدة (لاقين)، وبعد مرور خمسة سنوات نُقل الى مدينة (حلب) التي باشر فيها فعلياً في (١٩ كانون الثاني سنة ١٢٥٨م)، وفي سنة (١٢٦٤م) رُقي الى سدة المفريانية الشرقية التي تُعتبر ارفع مقام بعد مقام البطريرك، فأقام فيها لاثنتين وعشرين سنة متنقلاً بين نينوى ودير مار متلي وبغداد والموصل ومراغة وتبريز لإدارة شؤون طائفته^(١٣٩)، كما يُذكر أن أبن العبري باشر مهامه الجديدة بزيارة هولاء من اجل الحصول على البراءة الملكية التي تُعتبر على حد وصف احد الباحثين "وهي اليوم بمثابة مرسوم جمهوري"، وأكرمه هولاء بشكل كبير ومنحه ما أراد، فضلاً عن تسليمه كتاب توصية الى جميع المسؤولين ليكون المفريان موضع احترام وتقدير^(١٤٠)، وشرع بعدها ابن العبري بترسيم اثني عشر اسقفاً^(١٤١)، ضمن حدوده الجغرافية للمفريانية، وبنى علاقات متينة مع رجال دولة المسلمين خاصة ارباب العلم والثقافة^(١٤٢)، كما قام ببناء بيعتين وديراً وقلاتين، وزار غرب ارمينيا مرتين، وبغداد مرتين، وتفقد تكريت سنة (١٢٧٧م) حيث تم اسره فيها^(١٤٣)، بعدها تم فك اسره. وترك عدداً كبيراً من المؤلفات^(١٤٤)، ابرزها في مجال التاريخ كتاب (تاريخ مختصر الدول) الشامل الذي يبتدأ من الخلقه حتى عهده^(١٤٥). توفي ابن العبري في مدينة مراغة سنة (٦٨٥هـ/١٢٨٦م)^(١٤٦).

وقد ذكر أبن العبري القديس مار احودامه في كتابه التاريخ الكنسي تحت عنوان (بعد اضطهاد الارثوذكسيين في المشرق قام احودامه مطرانا للمشرق) حيث ورد: " رسمه يعقوب سنة ٨٧٠ي، قيل إن خريسطفورس جاثليق الارمن رسمه أسقفاً لباعربايا، وأعطاه

لقب مطران الشرق. فصبوب اتجاهه نحو الشعوب العربية التي تسكن الخيام، وعمد العديد منهم، وصنع الله على يديه قوات ومعجزات، وزاد في عدد الكهنة والرهبان، وابتنى لهم ديراً يُدعى عين قنا، وآخر بالقرب من تكريت يُدعى دير جعتي، حيث تلمذ عدداً من المجوس بينهم فتى من فروع ملوك فارس، فعمده وسماه جيورجي. فلدى سماع الملك ثار غضبه، فأرسل وقطع رأس احودامه يوم الجمعة ٢ اب سنة ٨٨٦، فطالب المؤمنون بجثمانه، فجنزوه، ودفنوه في كنيسة ماحوزا^(١٤٧).
من النص اعلاه يتضح:

- أ- تحديد زمن التنصيب لاحودامه باليوناني ٨٧٠ ي التي تعادل ٥٥٩ م.
- ب- النص يُشير بأن الذي قام بتنصيب احودامه (جاثليق الارمن خريستوفورس) وليس يعقوب البرادعي كما ذكرت المدونات التاريخية.
- ت- ان المنطقة التي نُصب عليها احودامه هي (باعربايا).
- ث- تلقيبه بلقب مطران الشرق.
- ج- بنائه عدداً من الاديرة.
- ح- جذبه عدداً من المجوس للدين المسيحي.
- خ- ذكر قصة تعميد ابن الملك الفارسي.
- د- ذكر قضية قطع رأسه، مع تحديد اليوم والشهر والسنة، ومطالبة انصاره بجثمانه، ودفنه في كنيسة(ماحوزا).

عبد يشوع الصوباوي ت ١٣١٨م: عبد يشوع مبارك بن يوسف بن داود الجزري، أبصر النور في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي^(١٤٨)، مطران نصيبين، وآخر كُتاب النساطرة حسب رأي احد المختصين^(١٤٩)، وصف بأنه الاسقف العالم الشاعر^(١٥٠)، تم تنصيبه أسقفاً على سنجار وبيت عربايي سنة ١٢٨٥م^(١٥١)، وبسبب جهوده في الادارة رفعه رئيسه البطريرك (مار يابالاها الثالث المغولي ١٢٨٣-١٣١٨م) الى كرسي مطرانية نصيبين وسنجار) التي تُعتبر الابرشية الثانية من حيث الاهمية والقدم في كنيسة المشرق) سنة ١٢٩٠م برتبة (مطران)، ومن هنا اكتسب لقبه (الصوباوي أو النصيبيني)^(١٥٢)، وبسبب رتبته

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احودامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

الانفة الذكر حضر مجمع انتخاب (طيمثاوس الثاني) جاثليق كنيسة المشرق في شهر شباط من سنة ١٣١٨م^(١٥٣)، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته بالخامس من تشرين الثاني سنة ١٣١٨م^(١٥٤)، ذكر بأنه " طائر الشهرة بقلمه، حائزاً أعلى مرتبة بين قومه وسائر السريان، حتى يقال أنه لا يضاهيه احدٌ في فصاحة الخطب التي كتبها بالسريانية نظماً ونثراً، وهم اشبه بملافة السريان افرام واسحق ويعقوب.." ^(١٥٥)، له عدد مميز من المؤلفات دفعت احد المختصين الى القول: " وكان من الائمة الاعلام في علم الكلام والمنطق وصناعة النظم والنثر السرياني والعربي، له المصنفات الكثيرة المستجادة .." ^(١٥٦)، ذكرها في جدولته^(١٥٧).

أما عن مار احودامه فقد ذكره بكتابه (فهرس المؤلفين) الذي تناول فيه الكتب الكنسية، منطلقاً من أسفار الكتاب المقدس، وابعاء الكنيسة من يونانيين ولاتين، كما ذكر كتبه السريانية من اتباع كنيسة المشرق (النسطورية كما عُرفت في التاريخ أو الاثورية والكلدانية حتى سنة طباعة الكتاب ١٩٨٦م)، وقد أُلّف هذا الكتاب سنة ١٢٩٨م، كما ذكر سنة ١٢٨٥م، وقد وضعه نظماً على البحر العثماني في ٥٩٥ بيتاً، ما يعادل ١١٩٠ شطراً، صدرت وعجزاً، بأستثناء الديباجة والذيل، تم نشره لأول مرة من قبل (ابراهيم الحاقلاي المتوفي ١٦٦٣م) في روما سنة ١٦٥٣م، مع ترجمة لاتينية وتعليقات مقتضبة، ثم توالى بعدها الترجمات والطبعات^(١٥٨).

ذكر احودامه بالقول: " وضع احودامه كتاباً ضد الفلاسفة، وكتاباً ضد المجوس، وتعريف قضايا شتى، وكتاب منطق، ومقالة في تركيب الاقانيم، وفيما اذا كان للإرادة سلطان على الطبيعة في مقالتين، وكتاباً في النفس، والانسان العالم الصغير، وله عظات أيضاً بكلام مسبوك شيق" ^(١٥٩).

يتضح من الذي ذكره الصوباي:

أ- أن الصوباي (نسطوري) ويذكر شخصية (يعقوبية/ منوفزيتية).

ب- ذكره لمؤلفات احودامه في تخصصات مختلفة.

ثالثاً: مار احودامه (تحليلاً) بعد الاستعراض:

بعد أن سبرنا الغور في المدونات التاريخية المسيحية التي تناولت القيس مار احودامه، نرسم الان الصورة التاريخية بشكل اوضح وادق.

من مفاخر بيعة المشرق^(١٦٠)، يُطلق عليه لقب (مار) بمعنى سيد^(١٦١)، ويعني اسمه (اخو أمه)^(١٦٢)، ولد في مدينة بلد^(١٦٣)، من عائلة نسطورية^(١٦٤)، في القرن السادس الميلادي^(١٦٥)، كُل ما ذُكر عن بدايات حياته أنه تغذى بمطالعة الكتب الالهية، وأختار المذهب المنوفزتي^(١٦٦)، الذي يُنادي بوجود طبيعة واحدة في السيد المسيح (ع) مُمثلة بالطبيعة الالهية^(١٦٧)، تم تنصيبه في سنة ٥٥٩م من قبل يعقوب البرادعي أسقفاً على تكريت^(١٦٨)، كما ذُكر ان تنصيبه جاء على يد (خريستوفورس) جاثليق الارمن سنة ٨٧٠ يونانية (٥٥٩م) برتبة أسقف على منطقة (باعربايا)^(١٦٩)، "فكان داعية الحل ومعلمهم ومنظم حياته"^(١٧٠). وهنا يجب الوقوف على ما ذُكر من خلال العودة الى بدايات دخول المسيحية الى تكريت، والتي بينا سابقاً ان زمن دخولها يعتمد على التقليد الرسولي الذي ينص على وصول مار توما الى تكريت^(١٧١)، وان مسيحيتها ترتبط بمنطقة (حطرة/ الحضر) التي تواجد فيها المسيحيين زمن المؤرخ يوسابيوس القيصري (٢٦٣-٣٤٠م)^(١٧٢)، كما ذُكرت تكريت خلال تولي (برصوما) لاسقفية نصيبين، وبما أنه على المذهب النسطوري فقد حاول نشره^(١٧٣)، متخذاً من الملك الفارسي فيروز (٤٥٩-٤٨٤م) سنداً له، "وغادر ساليق، واجتاز باجرمي، وسفك دماء المؤمنين هناك، ثم جاء ليدخل تكريت، فقاومه التكريتيون وهددوه بزيارة الملك فيروز وفضحه..^(١٧٤)"، ويتضح من هذا النص أن سُكان تكريت رفضوا المذهب النسطوري، وهددوه باللجوء الى الملك الفارسي فيروز لفضح نواياه.

ثم يرد ذكر تكريت مرة أخرى بالشكل التالي: "وجد في هذا الوقت قسيس يُدعى شمعون الارشمي من قرية أرشم القريبة من ساليق، وهو رجل ارثوذكسي، فلما ادرك هدف الملك قباد دخل إليه فأصدر أمراً يخوله أن يطوف في منطقة شنعار وسائر بلاد فارس مثبتاً الارثوذكس، ومانحاً الحرية لعقد اجتماعاتهم، ويُبعد عنهم ضغط النساطرة، وفعل هذا حيثما اجتاز، فجمع تواقيع من اليونان والارمن والسرمان النابذين لعقيدة نسطور، وقدم الوثائق

للملك فصادق عليها وختمها بأختام ملكية، فقرأت الكتب، ووضعت في تكريت التي نجت لوحدها من عبث برصوم^(١٧٥)، وتكمن خطورة هذا النص بذكر تكريت كمركز لحفظ هكذا وثيقة مهمة، لكن الغريب أن هذه الحادثة التي ذكرها ابن العبري المتوفي ١٢٨٦م وردت قبله عند مار ميخائيل السرياني الكبير بكافة تفاصيلها^(١٧٦)، لكنه لا يذكر تكريت لا من قريب ولا من بعيد!!، كما يذكر الاب اغناطيوس يعقوب الثالث في اخبار دير القديس مار متى العجيب هذه الحادثة ويذكر تكريت معتمداً على سيرة (مار شمعون الارشمي)^(١٧٧)، التي دونها المؤرخ (يوحنا الافسسي)^(١٧٨)، والتي للأسف لم يستطع مدون هذا البحث الوصول اليها، بسبب ندرة نسخها المطبوعة في منتصف القرن العشرين باللغة اللاتينية والفرنسية، ولم تُترجم للعربية.

ولتكتمل الصورة التي انطلقنا في رسمها عن القديس احودامه يجب أن نناقش قضية التنصيب، هل كانت من قبل يعقوب البرادعي؟ أم من قبل خريستوفورس؟ لتكون الاجابة ان كل من يوحنا الافسسي^(١٧٩)، وديونيسيوس التلمحري^(١٨٠)، ومخطوطة ناو^(١٨١)، ومار ميخائيل السرياني^(١٨٢)، لا يذكرون من نصبه ولا السنة، لكنهم يذكرون نُبذ من حياته، أما ابن العبري فيذكر ان احودامه رسمه يعقوب البرادعي سنة ٨٧٠ لليونان التي تعادل سنة ٥٥٩م، ثم يذكر في نفس الموضع عبارة (وقيل) إن "خريستوفورس جاثليق الارمن رسمه اسقفاً لباعربايا، وأعطاه لقب مطران الشرق"^(١٨٣)، وأذا رجعنا الى يوحنا الافسسي نجده يذكر قصة احودامه اثناء حديثه عن الملك كسرى انو شروان الذي تولى الحكم (٥٣٢-٥٧٩م)^(١٨٤)، فتكون المدة الزمنية منطقية، لكن السؤال الاخر: هل كانت لخريستوفورس الجاثليق الارمني زيارة للعراق قبل زيارته هذه ليقوم بعمل كهذا؟ وللإجابة نقول نعم، بدليل حضوره سنة ٥٤٠م الى جبل مقلوب، ومشاهدته لبعض الرهبان يعيشون في تجاويف الجبل "كأنهم حمامات تسكن أعشاشاً بنتها في شقوق الصخور"، وبعد اطلاعه على احوالهم قام برسامة (كرمان) بعنوان (ميترابوليت مار متى واثر ونيوى)^(١٨٥)، وبالتالي يكون الاول نصبه أسقفاً لباعربايا، ثم قام يعقوب البرادعي بتنصيب احودامه مطراناً للشرق بعد أن وسع جهوده الناتجة من دعم الامبراطورة ثيودورة^(١٨٦)؛ مع الاشارة الى وجود رواية (بلا مصدر) يذكرها

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احودامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

احد الباحثين تقول ان من نصب احودامه هو كسرى انو شروان بعد لقائه ببيعقوب البرادعي^(١٨٧)، ويستبعد الباحث هذه الرواية لعدم ذكرها في مصدر تاريخي.

ونعود للتساؤل مرة اخر ونقول: هل تم تنصيب احودامه لبلد الواقعة في تكريت؟ أم لبیت عربايا؟ لتكون الاجابة (بحسب وجهة نظر الباحث) ان من قال انه رُسم لتكريت^(١٨٨)، الموجودة اليوم (جانب الصواب)، لانهم اعتمدوا على تحديد بلد مركز الناحية التابعة لقضاء سامراء، والتي اصبحت في العصر الحديث تابعة لمحافظة صلاح الدين التي تكون تكريت مركزها منذ سنة ١٩٧٦م^(١٨٩)، بينما بلد التي ولد فيها احودامه هي نفسها (بلط) التي تقع على نحو اربعين كم شمال غرب الموصل، قرب ضفة دجلة اليمنى^(١٩٠)، والتي قال عنها ياقوت الحموي: "بلد.. وربما قيل لها بلط بالطاء، وهي مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل، بينها سبعة فراسخ، وبينها وبين نصيبين ثلاثة وعشرون فرسخاً.."^(١٩١)، ونستدل على استنتاجنا بالوقوف على تحديد جغرافية بيت عربايا التي تكون: "عربايا، وهي دولة الحضر، مركزها مدينة هاترا.. لكننا نرجح أن أصلها حوطرو أو حوطرا حسب اللهجة السريانية الشرقية، ومعناها في العربية العصا.. وقد عُرفت لدى السريان باسم عربايا..ويقصدون بها ربوع العرب.. ودُعيت بالعربية الحضر، وهي تحريف لكلمة حوطرا السريانية وهاترا الرومانية.. شيدها الفرثيون في القرن الاول قبل الميلاد مقابل قلعة شرقايط على نهر دجلة، وذلك للحد من التوسع الروماني، ثم امتد نفوذها ليشمل جزءاً كبيراً من محافظة الحسكة اليوم ممتدة ما بين المدائن وسنجار ونصيبين والخابور حتى ماردين.. أما اليوم فلم يتبقى منها سوى أنقاض جاثمة في بادية الموصل-العراق"^(١٩٢)، كما يدعم استنتاجنا ما ذكره المختص بالتاريخ الكنسي الاب البر ابونا^١ ولد احودامه من عائلة نسطورية في مستهل القرن السادس في بلد -أسكي موصل الحالي- الواقعة على نهر دجلة فوق الموصل..^(١٩٣).

ومن هنا يتضح أن احودامه سُيم زعيماً على بيت عربايا بحدودها الجغرافية الشاسعة التي ذكرناها اعلاه، والاشارة الى كونه اسقف تكريت جاءت نتيجة وجود كنيسة (مار احودامه) التي تم بنائها في تكريت^(١٩٤)، على عهد المفريان دنحا الثاني (٦٨٨-٧٢٨م)،

تيمناً باسم سالفه احودامه، ثم أطلق عليها اسم الكنيسة الخضراء^(١٩٥)، كما ذكر "من المحتمل ان ذلك الاعتقاد قد سببه خطأ في وجود بقايا رفات القديس في تكريت حسب تاريخه، يعود الامر الى تلميذ احودامه الذي هو من تكريت، وان محبة الرفات التي بعثها هذا الراهب في مواطنه بوسعها ان نشرحها ليس نسبة الى العلاقات الخاصة ما بين تكريت والحبر المتوفى، ولكن بسبب المحبة التي كانت آنذاك تجاه القديسين المتوفين.. كان كثير من المؤمنين يتمنون أن يأخذوا هذا الجسد.." (١٩٦).

وبعد أن استلم احودامه شؤون الرقعة الجغرافية التي اشرنا اليها اعلاه طفق يتجول في البلاد داعياً الناس للدخول في المسيحية من خلال بوابة مذهب (اليعقوبي)، وليشد الرحال الى بلاد ما بين النهرين التي واجه فيها صعوبة بدليل قول سكانها له: "ما لنا ولك يا قدوس الله؟ ليس لديك اي سلطة هنا"، لكنه لم يتراجع عن اداء مهمته رغم منعه من الاقتراب من مساكنهم، وعدم اصغائهم لكلامه، لكنه صلى من اجلهم، واستجاب الرب لدعائه (حسب المنقول)، وتكسرت اصنامهم التي كانت تحمل اسماء الهتهم، وعمل المعجزات من طرد الشياطين، وشفاء مرض البرص، ورغم ذلك استمر عداا السكان له، ووصل الامر الى رميه بالحجارة، وبعد اسبوعاً من هذه الحال خاطب الرب بالقول: "أيها الرب الاله القدير الرحيم المملوء رافة ونعمة، يا من بسطت شبكة المحبة على كل الشعوب، وانتزعت من كل العالم هاوية الشر، انزل رحمتك على نفوس هؤلاء من ضلال الشيطان"؛ فكان الرد من قبل الرب عن طريق وحي كلمه قائلاً: "ثق يا احودامه ولا تخف، العمل الذي بدأته سينتهي بالفرح، وسوف يُستمع اليك.." (١٩٧)، وصادف في ذلك اليوم أن تعرضت ابنة زعيم قبيلة الى مرض، فذهب اتباع الزعيم الى احودامه وقالوا له: "أن كنت عبد الله حقاً ضع يدك على هذه الفتاة فتبرأ"، فوضع يده وشفيت من مرضه، فقال اتباع الزعيم: "أرسل الله الينا ملاكاً ولم نعرفه"، ثم سجدوا له، وطلبوا منه أن يفعل ما يُريد معهم، وهنا احودامه كان ساعياً لتعميدهم من اجل ادخالهم في شراكة السيد المسيح (ع) (١٩٨)، وتم له ذلك، وعمل على احضار كهنة من بلدان اخرى ليقوموا بتنصيب الكهنة والشماسين، وزودهم بأسماء قبائل يذهبوا اليها، وقام ببناء عدد من الكنائس، ورتب الاديرة الموجودة^(١٩٩)، ويتضح أنه ارسل الى اتباعه أن يتبرعوا

لدعم الكنائس الموجودة في سائر البلاد، مثل كنيسة (دير مار متى القديس الالهي)، ودعاهم للصوم والحياة النسكية، ومساعدة الفقراء^(٢٠٠)، ثم توجه الى بناء pesilota في وسط Beit Arbaie في مكان يُدعى Ainqenoie، وشيد مذبحاً، واطلق على هذا البيت تسمية (القديس مار سرجيس الشهيد الجليل)، وسبب اختيار هذا الاسم يعود لمحبة سكان تلك البلاد لهذا الاسم، وقد تحول هذا البناء الى محطة جذب للأعمال العبادية، ومكان لتوفير العوامل الايجابية الدينية^(٢٠١)، لكن وجود عدد من المبغضين لاحودامه دفعهم لحرق هذا المكان، مما دفع ملك تلك البلاد (الذي لم يُذكر اسمه) الى اعادة اعمار هذا المكان وزينه بشكل جميل، وأصبح أفضل من ذي قبل^(٢٠٢)، ثم ذهب مار احودامه الى بلاد مختلفة لإكمال مهمته، وقام ببناء دور العبادة، أبرزها دير (مار احودامه)^(٢٠٣)، وهنا يرى الباحث انه من المحتمل أن تكون كنيسة (مار احودامه) الموجودة في الموصل^(٢٠٤)، التي يقول عنها احد الباحثين: "أسست هذه الكنيسة على اسم اول مفارنة المشرق في تكريت القديس الشهير مار احودامه، وتُسمى ايضاً كنيسة السعيد أو الكنيسة القديمة"^(٢٠٥).

ثم التقى احودامه بأبن الملك الفارسي كسرى الذي كان هارباً من سطوة ابيه، ليتحول من دين ابيه الى المسيحية^(٢٠٦)، وفرح بهذا اللقاء احودامه، وعمد ابن الملك، وارسله الى بلاد الرومان^(٢٠٧)، وبعد سماع الملك ما حصل، اخذ يبحث عن ابنه، ووصل الى مسامعه دور احودامه في ذلك^(٢٠٨)، وارسل من يحضر له القديس^(٢٠٩)، فسمع اتباع احودامه من العرب بما حصل، وحاولوا ان يقنعوا القديس بالتضحية من اجله لكنه رفض^(٢١٠)، وفي طريقه الى مدينة الملك عمل احودامه عدداً من المعجزات التي دفعت الحرس الذين كانوا بصحبته أن يتعاطفوا معه^(٢١١)، وحال وصوله تم اللقاء بالملك الذي بادر بطرح اسئلة على احودامه تتعلق باسمه وبلده، فأجابه الاخير أن اسمه احودامه، وبلاده كل الارض التي تشتمل على رسالته، ثم تأكد الملك من حقيقة تعميده لابنه، وقد اعترف بها صراحة مما ثار غضب الملك وامر بسجنه تحت مراقبة شديدة يُمنع من خلالها تزويده حتى بالطعام والشراب، ووضعت الاطواق في عنقه، وخُتم بختم الملك، وقُيدت اقدامه، وحُذر حرس السجن من الاقتراب منه أو مساعدته، وبعد مرور اثنتي عشر يوم بلا طعام أو شراب ظن الجميع

انه ومن معه فارق الحياة، لكنهم ذهلوا بعد مشاهدتهم له واتباعه بصحة جيدة، وشاع الخبر في كل البلاد، وأمر الملك أن يدخل الناس الى سجن احودامه واللقاء به، فحصلت عدد من المعاجز على يديه، وتوافد الناس بشكل كبير للقاء احودامه في السجن^(٢١٢)، وفارق الحياة مساء يوم الجمعة بعد الساعة التاسعة المصادف الثاني من شهر اب سنة ٨٨٦ لليونانيين، ٥٧٥م^(٢١٣)، وقد حاول اتباعه الحصول على جثمانه من خلال رشوة حراس السجن، لكنهم فشلوا بدليل خروج الجثمان بلا رأس، ثم أُلقي للكلاّب التي لم تقترب من الجثة^(٢١٤)، بعدها اخذ اتباعه الجثة الى (ماحوزا) ووضعوها في الكنيسة، ثم نُقل الى (دير بيت اسا) القريب من قرية (عفروتا)، بعدها ذهب رئيس هذا الدير المدعو (مار ايشو زكا) الى (تكريت)، وطلب من اهله أن يُسيم على مدينتهم، فأجابوه الى ذلك شريطة أن يخبرهم بمكان جثمان احودامه، وبالفعل اخبرهم، وطلب منهم أن يلحقوه بعشرة من رجال (تكريت) ليتمكن من اخذ جثمان احودامه، وبعد عدة محاولات نجحوا في اخذ الجثمان وقفلوا عائدين الى بلادهم عن طريق (عفروتا)، وحصلت لهم عدة مشاكل خلصت الى استيلاء اهل تلك المدينة على جثمان احودامه الذي نُقل الى الكنيسة، وهنا طلب اهالي تكريت من اهالي عفروتا جزءاً من عظام جثمان احودامه لينقلوها الى بلدتهم للتبرك، فتم لهم ما أرادوا، وحصلوا على عدد منها لتكون السبب في وقوع عدد من المعاجز لأهالي تكريت آنذاك^(٢١٥). ومن خلال هذه النصوص يتضح أن دائرة تبشير احودامه هي بلاد ما بين النهرين، وتحديداً المنطقة المحصورة بين (شمال العراق الى غاية تكريت).

ومن أجل تحليل النصوص بشكل تاريخي نُعالج مشكلة تحديد هوية (الملك) الفارسي المذكور، ونقول أنه أبْن الملك (كسرى انو شروان)، بدليل المحاورّة العلميّة التي جرت بحضوره بين احودامه وزعماء النساطرة، والتي استطاع فيها احودامه ان يقنع كسرى من خلال الاسلوب والدلائل التي قدمها، والتي أسفرت عن منحه واتباعه الحرية في بلاد فارس^(٢١٦)، وهنا لنا أن نتساءل عن كيفية التوفيق بين ما ذكره يوحنا الافسسي حول الملك الفارسي واحتضانه لاحودامه واتباعه، وبين ما ذكرته مخطوطة ناو حول اللقاء بين احودامه وملك الفرس، والاسئلة التي أُثيرت؟ والمصير الذي انتهى اليه احودامه؟ لتكون الاجابة

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احودامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

(بحسب قراءة الباحث)، ان احتضان احودامه واتباعه كان خلال سنوات الحكم الاولى للملك الفارسي كسرى الذي حكم بين ٥٣٢-٥٧٩م، وبما ان احودامه أستلم مقاليد تكليفه سنة ٥٥٩م، فهذا يعني أنه (على الاغلب) تعرض الى تلك النكبة بين سنوات ٥٧٠-٥٧٥م، فضلاً عن ذلك أن كسرى عُرف بتسامحه مع المسيحيين وتعاونهم، بدليل أسناد عدد من المناصب لهم^(٢١٧)؛ فضلاً عن ذلك أن تحول ولده الى المسيحية قد سبب له صدمة مذهلة بدليل ما ذكر " فتألم أكثر من كل شيء، لأنه كان يُفضل أن يعلم بوفاة ابنه على أن يعرف أنه اعتنق المسيحية"^(٢١٨).

تبقى هناك مشكلتين، الاولى تتعلق بوجود ذكر لعدد من الاشخاص يحملون اسم (احودامه)، الاول الذي نصبه الجاثليق الارمني، ثم يعقوب البرادعي اسقفًا على بلاد المشرق^(٢١٩)، والثاني شخص حضر مجمع (مار ابا الجاثليق) سنة ٥٤٤م بعنوان (احودامه أسقف نينوى)^(٢٢٠)، والثالث ذكرته مخطوطة ناو التي ترجع الى سنة ٩٣٦م^(٢٢١)، والرابع ذكره عبد يشوع الصوباي^(٢٢٢)، والسؤال هنا: هل كلهم يعودون لشخصية واحدة أم لا؟ وللإجابة أولاً نقول أن ادي شير أشار الى تلك القضية بقوله: " ان السمعاني والمستشرقين قالوا إن احودامه هذا الذي يذكره الصوباي هو أسقف تكريت اليعقوبي الذي مات سنة ٥٧٥م، أما نحنُ ففي مقالتنا الفرنسية في مؤلفي السريان الشرقيين ذهبنا انه غيره وهو نسطوري، واخص ادلتنا ان اليعاقبة لا ينسبون شيئاً من التأليفات الى احودامه اسقف تكريت، ولا بد ايضاً من ان الصوباي قرأ خطبه التي كانت في المعتقد وعرف انه نسطوري، اما الاب (نو) في المقدمة التي عملها لمقالة عن احودامه في تركيب الانسان فقد ذهب الى ان هذا الملفان كان نسطورياً ثم اعتنق المذهب اليعقوبي"^(٢٢٣)، ويرى الباحث أن الاشخاص الاربعة كلهم يعودون للشخص الذي نصبه البرادعي مطراناً للشرق، على قرينة أنه كان ينتمي لعائلة نسطورية كما قال الاب البير ابونا^(٢٢٤)، وفي بداية حياته لمع نجمه ليكون اسقفاً على نينوى بدليل حضوره في مجمع مار ابا الجاثليق المنعقد سنة ٥٤٤م^(٢٢٥)، ثم انتقل الى المذهب اليعقوبي بعد سنة ٥٤٣-٥٤٤م، التي شهدت تسلم يعقوب البرادعي مهمة أسقفية الرها^(٢٢٦)، سنة ٥٥٩م على يد زعيمها البرادعي^(٢٢٧)؛ بدليل استنتاجي من الباحث

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احودامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

مفاده (أن البرادعي لا يمكن أن يُسلم شخص مهمة كبيرة دون أن يكون على احاطة بتاريخه، واحودمة خبر الحياة الكنسية، ووضع بصمته في مؤلفاته). والمشكلة الثانية تتعلق بالمؤلفات التي ذكرها عبد يشوع الصوباوي لاحودامه^(٢٢٨)، واستغراب الاب البير ابونا لذكرها في كتاب لا يؤمن بعقيدة اليعاقبة "ونحن نعرف أن عبد يشوع لا يذكر الكتبة الارثوذكس"^(٢٢٩)، فيرى الباحث أن الصوباوي ذكرها من باب (التميز العلمي للنساطرة، وافتخاراً بما خطته يده من مآثر)، بقرينة أنه اكتفى بسرد المؤلفات دون أن يُعرف صاحبها بشيء واضح^(٢٣٠)، باعتباره انتقل الى المذهب اليعقوبي.

الخاتمة:

في نهاية تلك الدراسة المُضنية توصل الباحث الى عدد من النتائج ابرزها:

- ١- ان دخول المسيحية الى بلاد ما بين النهرين (تاريخياً) لا يزال محط اشكال ونظر.
- ٢- ان الموصول وتكريت وفق القراءة المتوافرة دخلتها المسيحية منذ القرن الميلادي الاول، لكن ليس بشكل قاطع بل نسبي.
- ٣- لأسباب لازالت مجهولة (شحت) المرويات عن شخصية احودامة في مصادر التاريخ الكنسي، ويُرجح الباحث سببها يعود للخصومة التاريخية بين الكنائس الشرقية والغربية وتفرعاتها.
- ٤- كل المصادر التي ذكرت احودامة (سريانية مشرقية) بحتة.
- ٥- كان لاحودامة دوراً مميزاً في نشر اليعقوبية في بلاد ما بين النهرين.
- ٦- اعتنق احودامة المذهب اليعقوبي، وبشر به في بلاد ما بين النهرين، ونجح وفق المعطيات التاريخية (والاثارية المادية) ببناء عدداً من الكنائس والاديرة.
- ٧- من خلال القراءة التي قدمها البحث يتضح أن الاربعة اشخاص الذين حملوا اسم احودامة (هم كلهم شخص واحد) بقرينة المناقشات التي اشار لها البحث.

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احودامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

الهوامش:

- (^١) البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية من انتشار المسيحية حتى مجيء الاسلام، ط ٢، مط: شركة التايمس للطبع والنشر، (بغداد: ١٩٨٥م)، ج ١، ص ٨.
- (^٢) متى، ٢: ٣-١٦.
- (^٣) ملطي، تادرس يعقوب، تفسير أنجيل متى- الانجيل بحسب القديس متى، بلا مط، (مصر: ١٩٨٢م)، ص ٤٥.
- (^٤) البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج ١، ص ٨.
- (^٥) اليسوعي، صلاح ابوجودة، أضواء على المسيحية في جنوب الجزيرة العربية قبل الاسلام، مجلة المشرق، (بيروت: ١٩٩٧م)، السنة الحادية والسبعون، كانون الثاني- حزيران، الجزء الاول، هامش ص ٨٨.
- (^٦) أع، ٢: ١-١٣.
- (^٧) مهني، حنا، شخصية توما الرسول، مراجعة وتقديم: القمص: باخوم حبيب، منشورات كنيسة القديس العظيم الانبا أنطونيوس بشبرا، (مصر: ٢٠١٦م)، ص ٥.
- (^٨) اعمال الرسل، ١: ٩.
- (^٩) فيلوني، الكردينال فرناندو، الكنيسة في العراق تاريخها ونموها ورسالتها من البدايات الى اليوم، مقدمة: لويس روفائيل ساكو، ترجمة: الاب ريبور عوديش باسه، مط: دار نجم المشرق، (بغداد: ٢٠١٧م)، ص ص ١٩-٢٠.
- (^{١٠}) يوسابيوس القيصري (٣٤٠م)، تاريخ الكنيسة، تعريب: القمص مرقس داود، ط ٣، مط: شركة تريكرومي، (مصر: ١٩٩٨م) ك ٣، ف ١، ص ٩٥.
- (^{١١}) فيلوني، المصدر السابق، ص ٢٠.
- (^{١٢}) البناء، يوسف اسطيفان، ذخائر مار توما في كاتدرائية مار توما الاثرية في الموصل، مط: شفيق، (بغداد: ٢٠١٠م)، ص ١٦.
- (^{١٣}) ابن العبري، غريغوريوس أبي الفرج بن هرون الطبيب الملطي (ت ١٢٨٦م)، التاريخ الكنسي، نقله عن السريانية: المطران: صليباً شمعون، مط: دار المشرق الثقافية، (دهوك: ٢٠١٢م)، ج ٢، ص ١.
- (^{١٤}) توما، مار سويريوس يعقوب، تاريخ الكنيسة السريانية الهندية، بلا مط، (بيروت: ١٩٥١م)، ص ص ١٦-١٧.
- (^{١٥}) م.ن، ص ص ١٧-٢٠.

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احودامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

- (^{١٦}) الدومنيكي، جان فييه، الاثار المسيحية في الموصل - بحث في تاريخ المباني المسيحية في الموصل وفي قدمها ووضعها الحالي، ترجمة: نجيب قاقو في الموصل عام ١٩٩٤م، راجعه ونقحه وصححه في بغداد عام ٢٠٠٠م: الاب البير ابونا، مط: الطيف، (بغداد: ٢٠٠٠م)، ص ١١.
- (^{١٧}) الدومنيكي، جان فييه، اشور المسيحية إسهام في دراسات التاريخ والجغرافية الكنسية والرهبانية في شمال العراق، ترجمة: نافع توسا، مراجعة وتدقيق: الاب: د. يوسف توما، مط: شركة الاطلس للطباعة المحدودة، (بغداد: ٢٠١٣م)، ج ٢، ص ٣٣٦-٣٣٧.
- (^{١٨}) البير ابونا، سير الشهداء والقديسين، ط ٣، مط: دار نجم المشرق، (بغداد: ٢٠١٥م)، ج ١، ص ٦٢.
- (^{١٩}) المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٢-٦٥.
- (^{٢٠}) حبي، كنيسة المشرق الكلدانية - الاثرية، مط: البولسية، (بيروت: ٢٠٠١م)، ص ١٧.
- (^{٢١}) ابن العبري، التاريخ الكنسي، ج ٢، ص ١.
- (^{٢٢}) الناصري، تاريخ تكريت في عصور ما قبل الاسلام، مط: تموز، (دمشق: ٢٠١٢م)، ص ٦٢.
- (^{٢٣}) قاشا، سهيل، تكريت حاضرة الكنيسة السريانية، نشره وكتب مقدمته: ثاوفيلوس جورج صليباً مطران جبل لبنان، مط: شركة الطبع والنشر اللبنانية، (بيروت: ١٩٩٤م)، ص ٣١.
- (^{٢٤}) المصدر نفسه، ص ٣٢.
- (^{٢٥}) قزانجي، فؤاد يوسف، الحضر أو حطرا: المدينة والمملكة ٤٥٧-٤٥٨، تموز، ت ١، ٢٠١٠م، بحث منشور في كتاب المدن والقرى والمواقع المسيحية في العراق، مقالات باب (بين الماضي والحاضر) في مجلة الفكر المسيحي من عام ١٩٨٦ ولغاية ٢٠١٢، مراجعة: الاب د. يوسف توما، مط: شركة الاطلس، (بغداد: ٢٠١٢م)، ص ٢٧٢-٢٧٥.
- (^{٢٦}) سعيد، سامر الياس، العمق التاريخي للمسيحية في مدينة الموصل، مط: دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد: ٢٠١٤م)، ص ٣.
- (^{٢٧}) اغناطيوس أفرام الاول برصوم (ت ١٩٥٧م)، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، قدم له ونشره: المطران غريغوريوس يوحنا ابراهيم، ط ٦، مط: إلف باء الاديب، حلب: ١٩٩٦م، ص ٢٦٤.
- (^{٢٨}) ادي شير (ت ١٩١٥م)، تاريخ كلدو واثر، مط: الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، (بيروت: ١٩١٢)، ج ٢، هامش ص ١٩٣.
- (^{٢٩}) مجموعة من المؤلفين، موسوعة من تراث القبط، رئيس التحرير: أ.د. سمير فوزي جرجس، مط: دار القديس يوحنا الحبيب، (مصر: ٢٠٠٤م)، مج ١، ص ٧٩.

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احو دامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

- (٣٠) اغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية، بلا ومط، (دمشق: ١٩٦٦م)، ص ٢٣.
- (٣١) البير ابونا، آداب اللغة الآرامية، ط ٢، مط: دار المشرق، (بيروت: ١٩٩٦م)، ص ٢٢٩.
- (٣٢) اغناطيوس أفرام الاول برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص ٢٦٤.
- (٣٣) البير ابونا، آداب اللغة الآرامية، ص ٢٢٩.
- (٣٤) اغناطيوس أفرام الاول، اللؤلؤ المنثور، ص ٢٦٤.
- (٣٥) المصدر نفسه.
- (٣٦) يوحنا الافسسي (ت ٥٧٨م)، تاريخ الكنيسة، ترجمة الشماس: بطرس قاشا، قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه: الاب سهيل بطرس قاشا، مط: توما، (بيروت: ٢٠٠٧م)، المقدمة، ص ١٨.
- (٣٧) البير ابونا، آداب اللغة الآرامية، ص ٢٢٩.
- (٣٨) المصدر نفسه.
- (٣٩) يوحنا الافسسي، المقدمة، ص ١٩.
- (٤٠) اغناطيوس افرام الاول، اللؤلؤ المنثور، ص ٢٦٤.
- (٤١) كامل، مراد، محمد حمدي البكري، زكية محمد رشدي، تاريخ الادب السرياني من نشأته إلى العصر الحاضر، مط: دار الثقافة للنشر والتوزيع، (القاهرة: ١٩٨٧م)، ص ٢٣٤-٢٣٥.
- (٤٢) اغناطيوس افرام الاول، اللؤلؤ المنثور، ص ٢٦٥.
- (٤٣) كامل (واخرون)، تاريخ الادب السرياني، ص ٢٣٤.
- (٤٤) البير ابونا، آداب اللغة الآرامية، ص ٢٢٩.
- (٤٥) اغناطيوس فرام الاول، اللؤلؤ المنثور، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.
- (٤٦) قرانجي، فؤاد يوسف، أصول الثقافة السريانية في بلاد ما بين النهرين، مط: دار جلة، (المملكة الاردنية الهاشمية: ٢٠١٠م)، ص ١٥١.
- (٤٧) عائشة، الامبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي (الاول الهجري) // دراسة في التطورات والتغيرات، ص ١٥٨.
- (٤٨) البير ابونا، آداب اللغة الآرامية، ص ٢٢٩.
- (٤٩) كامل (واخرون)، تاريخ اللغة الآرامية، ص ٢٣٤.
- (٥٠) الشيخ، محمد محمد مرسى، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، مط: دار المعرفة الجامعية، (مصر: ١٩٩٦م)، ص ٦٣.

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احو دامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

- (^{٥١}) للمزيد عن هذا الموضوع يُنظر: دوبراتشينسكي، يان، أوربا المسيحية الالفية الاولى، ترجمة: د. كبرو لحدو، مط: دار الحصاد، (سوريا: ٢٠٠٧م)، ج ١، ص ص ١٣٩-١٤٦.
- (^{٥٢}) البير ابونا، آداب اللغة الآرامية، ص ٢٢٩.
- (^{٥٣}) خضير، رائد رحيم، الحارث بن جبلة الغساني والمنوفزية دراسة تاريخية، مراجعة وتقديم: أ.د. غسان عبد صالح، (الاردن: ٢٠٢٤م)، ص ٨٢.
- (^{٥٤}) رستم، أسد، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، مط: هنداي، (المملكة المتحدة: بلا.ت)، ص ١٩٣.
- (^{٥٥}) يوحنا الافسسي، تاريخ الكنيسة، مقدمة المحقق ص ١٩.
- (^{٥٦}) رستم، كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، منشورات المكتبة البولسية، (بيروت: ١٩٨٨م)، ج ١، ص ص ٣٨٤-٣٨٩.
- (^{٥٧}) يوحنا الافسسي، تاريخ الكنيسة، ف ١٥، ص ص ٦٣-٦٤.
- (^{٥٨}) البير ابونا، آداب اللغة الآرامية، ص ٢٣٠.
- (^{٥٩}) يوحنا الافسسي، تاريخ الكنيسة، مقدمة المحقق ص ٢٤.
- (^{٦٠}) هافوري، جورج حبيب، السريان الاراميون من أمسهم الغابر إلى يومهم الحاضر، مط: ألف-باء الاديب، (دمشق: ١٩٩٨م)، ص ١١٣.
- (^{٦١}) اغناطيوس افرام الاول، اللؤلؤ المنثور، ص ص ٢٦٥-٢٦٦.
- (^{٦٢}) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.
- (^{٦٣}) البير ابونا، آداب اللغة الآرامية، ص ٢٣١.
- (^{٦٤}) اغناطيوس افرام الاول، اللؤلؤ المنثور، ص ٢٦٦.
- (^{٦٥}) البير ابونا، آداب اللغة الآرامية، ص ص ٢٣٣-٢٣٤.
- (^{٦٦}) اغناطيوس افرام الاول، ص ٢٦٨.
- (^{٦٧}) يوحنا الافسسي، تاريخ الكنيسة، ك ٣، ج ٦، ف ٢٠، ص ص ١٦٨-١٧٠.
- (^{٦٨}) إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، راجعه: عبد الوهاب عزام، مط: دار النهضة العربية، (بيروت: ١٩٨٢م)، ص ٤١٠.
- (^{٦٩}) كرستنس، ايران في عهد الساسانيين، ص ٣٥٧، ص ٤١١؛ صبرة، عفاف سيد، تاريخ الدولة البزنطية، مط: دار المسيرة، (عمان: ٢٠١٢م)، ص ١٣٠.
- (^{٧٠}) يوحنا الافسسي، تاريخ الكنيسة، ك ٣، ج ٦، ف ٢٠، ص ١٦٩.

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احودامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

- (٧١) ادي شير، تاريخ كلدو واثور، ج ٢، ص ٢٢٥.
- (٧٢) ديونسيوس التلمحري (ت ٧٧٥م)، تاريخ الزوقيني المنحول لديونسيوس التلمحري، ترجمه من السريانية: الشماس بطرس قاشا، قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه: الاب بطرس سهيل قاشا، م: منشورات المكتبة البولسية، (بيروت: ٢٠٠٦م)، المقدمة ص ٩.
- (٧٣) غزال، موسى يونان مراد، الفكر السرياني في سؤال وجواب، مط: مؤسسة خليفة للطباعة، (بيروت: ١٩٧٩م)، ج ٣، ص ١٢.
- (٧٤) اغناطيوس افرام الاول، اللؤلؤ المنثور، ص ٣٢٠.
- (٧٥) اسحاق، يوسف متي، التاريخ الزوقيني المنحول لديونسيوس التلمحري، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية، المجلد الثامن، (بغداد: ١٩٨٤م)، ص ٦٣ - ٦٤.
- (٧٦) ديونسيوس التلمحري، تاريخ الزوقيني، ص ١٩ - ٢٠.
- (٧٧) اسحاق، التاريخ الزوقيني، ص ٧.
- (٧٨) william wright, ll.d, a short history syriac literature, printed by c. J. Clay, m.a and sons at the university press, london: adam and charles black, 1894, p.200.
- (٧٩) اسحق، التاريخ الزوقيني، ص ٧.
- (٨٠) (J.B. CHABOT, litteratures chretiennes de lorient literature syriacque, copyright by Bloud et Gay, 1934, p.p 89-90.
- (٨١) ديونسيوس التلمحري (ت ٧٧٥م)، تاريخ ديونسيوس التلمحري، نقله عن السريانية: المطران صليبا شمعون، مط: دار المشرق الثقافية، (دهوك: ٢٠١١م)، المقدمة.
- (٨٢) فضل الحضارة الآرامية السريانية على التراث العالمي، مط: الحرية، (سوريا: ٢٠٠٧م)، ص ٢٩٧.
- (٨٣) كامل (واخرون)، ص ٣٠٩ - ٣١٢.
- (٨٤) اسحاق، التاريخ الزوقيني، ص ٧.
- (٨٥) آداب اللغة الآرامية، ص ٣٤٥.
- (٨٦) اللؤلؤ المنثور، ص ٣٢١.
- (٨٧) اسحاق، التاريخ الزوقيني، ص ٧.
- (٨٨) المصدر نفسه، ص ٨.
- (٨٩) المصدر نفسه.
- (٩٠) راجع من البحث ص ١٢.

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احودامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

- (٩١) اسحاق، التاريخ الزوقيني، ص ٦.
- (٩٢) ديونسيوس التلمحري، تاريخ الزوقيني، المقدمة ص ص ١٣-١٤.
- (٩٣) المصدر نفسه، المقدمة ص ص ١٠-١١.
- (٩٤) المصدر نفسه، المقدمة.
- (٩٥) التاريخ الزوقيني، ص ص ٦٣-٧٣.
- (٩٦) اللؤلؤ المنثور، ص ٣٢١.
- (٩٧) التاريخ الزوقيني، ص ص ٦٣-٧٣.
- (٩٨) البير ابونا، آداب اللغة الآرامية، ص ص ٢٣٥-٢٣٥.
- (٩٩) تاريخ الكنيسة، ك ٣، ج ٦، ف ٢٠، ص ص ١٦٨-١٧٠.
- (١٠٠) r.graffin- f.nau,histoires dahoudemmeh et de marouta metropolitains jacopites de tagrit et de lorient, suivies de traite dahoudemmeh sur lhomme, textes syriaques inedits publies,traduits et annotes, research published in patrologia orientalis, permis dimptimer: paris 1905, le 25 September, p.FAGES, v.g, 1 ere edition, Paris 1905, p.p 3-51.
- (١٠١) البير ابونا، آداب اللغة الآرامية، ص ٢٣٤.
- (١٠٢) F.NAU, HISTOIRES DAHOUEMMEH ET DE MAROUTA, p.13.
- (١٠٣) عثر كاتب هذا البحث على المجلة في مكتبة المجمع العلمي العراقي، وترجمها، ودقق عنواناتها، وصفحاتها.
- (١٠٤) F.NAU, HISTOIRES DAHOUEMMEH ET DE MAROUTA, p.15.
- (١٠٥) Ibid.,p. 15-19.
- (١٠٦) Ibid.,p . 15-19.
- (١٠٧) Ibid.,p. 20-26.
- (١٠٨) Ibid.,p. 26-33.
- (١٠٩) Ibid.,p. 33-34.
- (١١٠) Ibid.,p. 35-40.
- (١١١) Ibid.,p. 40-44.
- (١١٢) Ibid.,p. 44-46.
- (١١٣) Ibid.,p. 46-51.

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احو دامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

- (^{١١٤}) تولي، هرمان، التأريخ السرياني الرسمي، بحث منشور في كتاب ينابيع سريانية جذورنا مقدمات عامة، ط ٢، مط: المجموعة، (لبنان: ٢٠٠٥م)، ص ٣٢٠.
- (^{١١٥}) خضير، رائد رحيم، التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية/ الملكة ماوية العربية أنموذجاً/ دراسة تاريخية تحليلية ق ٢م-ق ٨م، مجلة ادب البصرة، (البصرة: ٢٠١٩م)، العدد ٩٠، ص ٣١٣ وما بعدها.
- (^{١١٦}) مار ميخائيل السرياني الكبير (ت ١١٩٩م)، تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، عربيه عن السريانية: مار غريغوريوس صليباً شمعون، أعدّه وقدم له: مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم، مط: ألف باء الاديب، (دمشق: ١٩٩٦م)، ج ١، المقدمة ص ١٢.
- (^{١١٧}) السعدي، فاطمة يوسف عباس، مار ميخائيل السرياني الكبير موارد ومنهجه في كتابة تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك انطاكية، بحث منشور في مجلة الباحث، (بغداد: ٢٠٢٢م)، المجلد ٤١، عدد ٢، نيسان، ج ١، ص ١١١.
- (^{١١٨}) خضير، التدوين التاريخي، ص ٣١٣.
- (^{١١٩}) عطية، سوريل عزيز، تاريخ المسيحية الشرقية، تج: اسحق عبيد، الناشر: المجلس الاعلى للثقافة، (القاهرة: ٢٠٠٥م)، ص ٢٤٥.
- (^{١٢٠}) مار ميخائيل السرياني، ج ١، ص ١٢.
- (^{١٢١}) عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ص ٢٤٥.
- (^{١٢٢}) ابن العبري، التاريخ الكنسي، ص ١٣٣-١٣٤.
- (^{١٢٣}) السعدي، مار ميخائيل السرياني، ص ١١١.
- (^{١٢٤}) المصدر نفسه.
- (^{١٢٥}) مار ميخائيل السرياني، ج ١، ص ١٣.
- (^{١٢٦}) السعدي، المصدر السابق، ص ١١١.
- (^{١٢٧}) عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ص ٢٤٥.
- (^{١٢٨}) السعدي، المصدر السابق، ص ١١٢.
- (^{١٢٩}) مار ميخائيل السرياني، ج ١، ص ١٥.
- (^{١٣٠}) عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ص ٢٤٥.
- (^{١٣١}) ابن العبري، التاريخ الكنسي، ص ١٤٩.
- (^{١٣٢}) مار ميخائيل السرياني، تاريخ مار ميخائيل، ج ١، ص ١٥.

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار اودامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

- (^{١٣٣}) الانطواني، فضل الحضارة، ص ٣٧٣.
- (^{١٣٤}) أغناطيوس أفرام الاول برصوم، اللؤلؤ المنثور، ص ص ٤١١-٤١٢.
- (^{١٣٥}) توزا، الاقودياقون زهير جورج، لمحات من حياة العلامة ابن العبري، بحث منشور في كتاب ابن العبري ذكرى وعبرة بمناسبة اليوبيل المئوي السابع لوفاة العلامة ابن العبري في العراق، اعداد وتنسيق: صليباً شمعون، مط: شفيق، (بغداد: ١٩٨٧م)، ص ٢٠.
- (^{١٣٦}) بواعنة، لؤي ابراهيم، محمد محمود العناقرة، عودة رافع الشرعة، ابن العبري السرياني مؤرخاً للحروب الصليبية في كتابه تاريخ الزمان ٤٩٠-٥٨٩هـ / ١٠٩٧-١١٩٣م، بحث منشور في مجلة اتحاد الجامعات العربية، المجلد ١٦، العدد الاول، (نيسان: ٢٠١٩م - ١٤٤٠هـ)، ص ٢٣٧.
- (^{١٣٧}) بهنام، المطران غريغوريوس بولس، يوحنا ابن العبري حياته وشعره، اصدار سلسلة دراسات سريانية، (حلب: ١٩٨٤م)، ص ص ٤-٨.
- (^{١٣٨}) الفغالي، بولس، ابو الفرج ابن العبري حياته واثاره، بحث منشور في مجلة دراسات في الآداب والعلوم الانسانية الصادرة عن كلية التربية في الجامعة اللبنانية ببيروت، (بيروت: ١٩٨٨م)، السنة الحادية عشرة، العدد ٨٨/٢٣، ص ١٣.
- (^{١٣٩}) م.ن، ص ص ١٣-١٥.
- (^{١٤٠}) توزا، لمحات من حياة العلامة ابن العبري، ص ٢٤.
- (^{١٤١}) ابن العبري، منارة الاقداس، عربيه عن السريانية في ايام رهبنته: مار ديونيسيوس بهنام ججاوي، أعده وقدم له: مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم، مط: دار مارين، (حلب: ١٩٩٦م)، ص ص ٢٦-٢٧.
- (^{١٤٢}) المصدر نفسه.
- (^{١٤٣}) الفغالي، ابو الفرج ابن العبري، ص ١٥.
- (^{١٤٤}) للمزيد يُنظر: المطران غريغوريوس بولس بهنام، يوحنا ابن العبري حياته وشعره، اصدارات سلسلة دراسات سريانية، (حلب: ١٩٨٤م).
- (^{١٤٥}) راجع كتاب تاريخ مختصر الدول لابن العبري.
- (^{١٤٦}) اتفقت كل المصادر التي ذكرته في سنة الوفاة.
- (^{١٤٧}) ابن العبري، التاريخ الكنسي، ج ٢، ص ص ٢٢-٢٤.
- (^{١٤٨}) عبد يشوع الصوباوي (ت ١٣١٨م)، الجوهر خلاصة لاهوتية، نقله من السريانية الى العربية وعلق عليه: الاب لويس ساكو، بلا مط، (بغداد: ١٩٧٨م)، المقدمة ص ٣.

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احو دامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

- (^{١٤٩}) كامل (واخرون)، تاريخ الادب السرياني، ص ٣٦٨.
- (^{١٥٠}) البستاني، بطرس، دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، مط: الهلال، (مصر: ١٩٠٠م)، ج ١١، ص ٦٥٦.
- (^{١٥١}) عبد يشوع الصوباوي (ت ١٣١٨م)، فهرس المؤلفين، حققه ونقله الى العربية وعلق عليه: د. يوسف حبي، مط: المجمع العلمي العراقي، (بغداد: ١٩٨٦م)، ص ٥.
- (^{١٥٢}) عبد يشوع الصوباوي، الجوهرة، المقدمة ص ٣.
- (^{١٥٣}) عبد يشوع الصوباوي، فهرس المؤلفين، ص ٥.
- (^{١٥٤}) عبد يشوع الصوباوي، الجوهرة، المقدمة ص ٣.
- (^{١٥٥}) الدبس، يوسف، تاريخ سورية الدنيوي والديني، مط العمومية، (بيروت: ١٩٠٢م)، مج ٦، عد ٩١٥، ص ٤٥٠.
- (^{١٥٦}) القرداحي، جبرئيل، كتاب الكنز الثمين في صناعة شعر السريان وتراجم شعرائهم المشهورين، بلا مط، (روما: ١٨٧٥م)، ص ص ٥٣-٥٤.
- (^{١٥٧}) المصدر نفسه.
- (^{١٥٨}) عبد يشوع الصوباوي، فهرس المؤلفين، ص ص ١٠-١٣.
- (^{١٥٩}) المصدر نفسه، ص ص ٩٦-٩٧.
- (^{١٦٠}) أغناطيوس افرام الاول، اللؤلؤ المنثور، ص ٢٥٩.
- (^{١٦١}) اللبناني، سعيد الخوري الشرتوني، أقارب الموارد في فصح العربية والشوارد، مط: مرسلّي اليسوعية، (بيروت: ١٨٨٩م)، ج ٢، ص ١٢٥١.
- (^{١٦٢}) jean- marle durand, andre lemaire, les inscriptions arameennes de sfire et lassyrie de shamshi-ilu , prefect de: maurice sznycer, librairie droz, geneve-paris, 1984.p:100.
- (^{١٦٣}) f.nau, histoires dahoudemneh et de marouta, p.19
- (^{١٦٤}) البير ابونا، ادب اللغة الآرامية، ص ٢٣٤.
- (^{١٦٥}) جبرائيل، يوسف، الياس ع هداية، ازخ احداث ورجال، تقديم: المطران يوحنا ابراهيم، مط: دار الرها، (حلب: بلا.ت)، ص ١٣.
- (^{١٦٦}) F.NAU, HISTOIRES DAHOUEMMEH ET DE MAROUTA, p.19
- (^{١٦٧}) خضير، الحارث بن جبلة، ص ٣٧.
- (^{١٦٨}) ادي شير، تاريخ كلدو واثور، ص ٢٢٣.

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احودامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

- (^{١٦٩}) ابن العبري، التاريخ الكنسي، ج ٢، ص ٢٢؛ يذكر الدكتور يوسف حبي ان احودامه هو من اختار تكريت لتكون مقراً للكنيسة السريانية في المشرق. (كنيسة المشرق، ص ١٣٨).
- (^{١٧٠}) نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا، العرب على حدود بيزنطة وايران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، أشرف على طبعه: قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (موسكو: ١٩٦٤م)، ص ٣٢٨.
- (^{١٧١}) راجع من البحث ص ٤ .
- (^{١٧٢}) قاشا، تكريت، ص ٣١.
- (^{١٧٣}) يبدو ان برصوما نجح في نشر مذهبه النسطور في بلاد فارس، بدليل مقررات مجمع ساليق المنعقد سنة ٤٨٦م، والذي اقر رسمياً النسطورية مذهباً رسمياً للفرس. للمزيد يُنظر: تاريخ المسيحية والكنيسة مناقصى العالم الى أقصاه، ترجمة بتصرف عن الايطالية: الاب يعقوب شحاتة الفرنسيكاني، منشورات الرهبان الفرنسيكان، (مصر: ٢٠١٧م)، ص ص ٩١-٩٢.
- (^{١٧٤}) ابن العبري، التاريخ الكنسي، ج ٢، ص ص ١٢-١٥.
- (^{١٧٥}) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨.
- (^{١٧٦}) تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ص ٤١-٤١.
- (^{١٧٧}) دفتات الطيب في تاريخ دير القديس مار متى العجيب، ص ص ٣١-٣٢.
- (^{١٧٨}) راجع من البحث ص ٨-١١ .
- (^{١٧٩}) تاريخ الكنيسة، ك ٣، ج ٦، ف ٢٠، ص ص ١٦٨-١٧٠.
- (^{١٨٠}) F.NAU, HISTOIRES DAHOUEMMEH ET DE MAROUTA, p12.
- (^{١٨١}) Ibid.,p. 15-54.
- (^{١٨٢}) تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٢٢٥.
- (^{١٨٣}) التاريخ الكنسي، ج ٢، ص ٢٢.
- (^{١٨٤}) راجع من البحث ص ٨-١١.
- (^{١٨٥}) الدومنيكي، جان فييه، اشور المسيحية إسهام في دراسات التاريخية والجغرافية الكنسية والرهبانية في شمال العراق، ترجمة: نافع توسا، مراجعة وتدقيق: الاب د. يوسف توما، مط: شركة الاطلس للطباعة المحدودة، (العراق: ٢٠١٣م)، ج ٢، ص ٢٤٣.
- (^{١٨٦}) لتفاصيل أكثر يُنظر: خضير، الحارث بن جبلة، ٨٣-٩٤.

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احودامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

- (^{١٨٧}) الحمد، محمد عبد الحميد، التوحيد والتثليث في حوار المسيحية والاسلام، مط: دار الطليعة الجديد، (سوريا: ٢٠٠٣م)، ص ٢٢٥.
- (^{١٨٨}) هنا نكتب الذين قالو انه نُصب لتكريت.
- (^{١٨٩}) بابان، جمال، اصول اسماء المدن والمواقع العراقية، ط ٢، مط: الاجيال، (بغداد: ١٩٨٩م)، ج ١، ص ٦٤.
- (^{١٩٠}) فرنسيس، بشير يوسف، موسوعة المدن والمواقع في العراق، ج ١، ص ١٤٨.
- (^{١٩١}) شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، قدم لها: محمد عبد الرحمن المرعشلي، مط: دار احياء التراث العربي، (بيروت: ٢٠٠٨م)، ج ٢، ص ص ٣٧٩-٣٨٠.
- (^{١٩٢}) اسحق، لحدو، السريان في أبرشية الجزيرة والفران تاريخ حضارة تراث، تقديم: مار أوسطانيوس متى روهوم، بلا.مط، (سوريا: ٢٠٠٦م)، ج ١، ص ص ٢٥٧-٢٥٨.
- (^{١٩٣}) آداب اللغة الآرامية، ص ٢٣٤.
- (^{١٩٤}) في العصر العباسي كانت تُسمى (هيكل مار احودامه)، وقد تعرضت سنة ١١٤٦هـ / ٨٣٥م الى تخريب نتيجة فتنة بين مسلمي حران والمسيحيين. مؤلف مجهول يُفترض انه توفي في ١٢٣٤م، تاريخ الرهاوي المجهول، عربه عن السريانية ووضع حواشيه: الاب البيير ابونا، مط: شفيق، (بغداد: ١٩٨٦م)، ج ٢، رأس ٢١٩/٣٠، ص ٤٤.
- (^{١٩٥}) دي طرازي، فيليب، عصر السريان الذهبي بحث علمي تاريخي أثري، مط: دار التنوع الثقافي، (دمشق: ٢٠٢٠م)، ص ٦٩.
- (^{١٩٦}) قاشا، تكريت، ص ص ٤٢-٤٣.
- (^{١٩٧}) F.NAU, HISTOIRES DAHOUEMMEH ET DE MAROUTA, p.23-24.
- (^{١٩٨}) Ibid.,p. 25.
- (^{١٩٩}) Ibid.,p. 28.
- (^{٢٠٠}) Ibid.,p.28.
- (^{٢٠١}) Ibid.,p. 29-30.
- (^{٢٠٢}) Ibid.,p. 31.
- (^{٢٠٣}) Ibid.,p. 32.
- (^{٢٠٤}) سعيد، سامر الياس، كنائس الموصل التاريخ والالم، مط: هاوار، (دهوك: ٢٠١٨)، ص ص ٨-١١.
- (^{٢٠٥}) شمعون، صليباً، تاريخ ابرشية الموصل السريانية، بلا.مط، (الموصل: ١٩٨٤م)، ص ٤٨.
- (^{٢٠٦}) F.NAU, HISTOIRES DAHOUEMMEH ET DE MAROUTA, p33.

التدوين التاريخي في الكتابات الكنسية القديس مار احو دامه أنموذجاً

- دراسة تاريخية تحليلية ق ٥ - ق ١٤ الميلادي

- Ibid.,p. 34.(٢٠٧)
- Ibid.,p. 35.(٢٠٨)
- Ibid.,p. 36.(٢٠٩)
- Ibid.,p. 37.(٢١٠)
- Ibid.,p. 37-39.(٢١١)
- Ibid.,p. 39-44.(٢١٢)
- Ibid.,p. 44-46.(٢١٣)
- Ibid.,p. 47.(٢١٤)
- Ibid.,p. 47-51.(٢١٥)
- (٢١٦) يوحنا الافسسي، تاريخ الكنيسة، ك٣، ج٦، ف٢٠، ص ص ١٦٨-١٧٠؛ مار ميخائيل السرياني، تاريخ مار ميخائيل السرياني، ج٢، ص ٢٢٥.
- (٢١٧) راجع من البحث ص ١٠.
- (٢١٨) F.NAU, HISTOIRES DAHOUEMMEH ET DE MAROUTA, p35.
- (٢١٩) ابن العبري، التاريخ الكنسي، ج٢، ص ٢٢.
- (٢٢٠) حبي، يوسف، مجامع كنيسة المشرق، مط: البولسية، (بيروت: ١٩٩٩م)، ص ٣١٣.
- (٢٢١) راجع من البحث ص ص ١٤-١٥.
- (٢٢٢) فهرس المؤلفين، ص ص ٩٦-٩٧.
- (٢٢٣) تاريخ كلدو واثور، ج٢، ص ٣١٧؛ يوسف، إفرام، الفلاسفة والمترجمون السريان، ترجمة: شمعون كوسا، مط: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (مصر: ٢٠٢٠م)، ص ١٠٥.
- (٢٢٤) آداب اللغة الآرامية، ص ٢٣٤.
- (٢٢٥) حبي، مجامع كنيسة المشرق، ص ٣١٣.
- (٢٢٦) خضير، الحارث بن جبلة، ص ٨٣.
- (٢٢٧) المصدر نفسه.
- (٢٢٨) راجع من البحث ص ٢٣.
- (٢٢٩) آداب اللغة الآرامية، ص ٢٣٥.
- (٢٣٠) فهرس المؤلفين، ص ص ٩٦-٩٧.

الزخارف الحيوانية والمركبة في السجاد الاسلامي

أ.م.د. سيماء السعدي

أ.د. حميد الياسري

جامعة الكوفة

الزخارف الحيوانية والمركبة في السجاد الاسلامي

أ.م.د. سيماء السعدي

أ.د. حميد الياسري

الملخص:

يتناول هذا البحث أهمية الزخارف الحيوانية الخرافية في الفن الإسلامي، مع التركيز على تصميمات السجاد كأحد أهم أشكال الفنون الزخرفية. يستعرض البحث تطور هذه الزخارف عبر العصور وتأثرها بالعديد من الحضارات، مثل الفارسية والبيزنطية والصينية، والتي أسهمت بشكل كبير في تشكيل الهوية الفنية الإسلامية. ويوضح البحث كيف استخدم الفنانون المسلمون أساليب التحوير والتجريد لتجنب محاكاة الكائنات الحية الحقيقية، بما يتماشى مع المبادئ الدينية، ما أدى إلى ابتكار تصاميم فريدة تعكس الإبداع والتفرد. كان لهذه الزخارف الحيوانية أدوار مختلفة، منها ما كان يعبر عن القوة والحماية مثل صور التنين، أو رمزاً للحكمة والخير مثل العنقاء، أو حتى رمزية دينية كما في بعض الزخارف التي تظهر الأسد أو الحصان المجنح. وقد شكلت هذه العناصر الفنية جزءاً من الثقافة الإسلامية، حيث انتشرت في جميع أنحاء العالم الإسلامي، بدءاً من إيران وتركيا والهند وحتى بلاد القوقاز والأندلس. يركز البحث أيضاً على تحليل تقنيات النسيج التي استخدمت في صناعة السجاد ذي الزخارف الحيوانية المركبة، مع الأخذ بعين الاعتبار التطورات التي شهدتها هذه التقنيات عبر الحقب الزمنية المختلفة. كما يسلط البحث الضوء على المدارس الفنية المختلفة التي ساهمت في تطوير هذه الفنون، مثل المدرسة الصفوية التي اشتهرت بإدخال تفاصيل دقيقة إلى الزخارف، والمدرسة العثمانية التي اعتمدت على الزخارف الهندسية مع التحوير في الأشكال الطبيعية. كما يبحث البحث في أهمية الحفاظ على هذا الإرث الفني المميز الذي يمثل تفاعلاً حضارياً وثقافياً بين مختلف الشعوب. فقد كان السجاد الإسلامي ولا يزال من أبرز الفنون الزخرفية التي تعكس القيم الجمالية والروحية للمجتمعات الإسلامية. ومع تطور العصر الحديث، أصبح هناك تحديات كبيرة تواجه هذا الفن، مثل الابتعاد عن الأساليب التقليدية لصالح الإنتاج الصناعي، وفقدان بعض التقنيات الحرفية التي كانت متوارثة عبر الأجيال. لذلك، يدعو البحث إلى ضرورة الحفاظ على هذا التراث الثقافي، ودعم الحرفيين التقليديين الذين ما زالوا يبدعون في هذا المجال.

ويختتم البحث بالتأكيد على الدور الذي تلعبه الزخارف الحيوانية في السجاد الإسلامي ليس فقط كعناصر جمالية، بل أيضًا كوسيلة للتعبير عن الهوية الثقافية الإسلامية، وإظهار التأثيرات الفنية المتبادلة بين الحضارات المختلفة.

Abstract

This research explores the significance of mythical animal motifs in Islamic art, particularly focusing on carpet designs as one of the most prominent decorative art forms. The study examines the historical development of these motifs and their influences from various civilizations, including Persian, Byzantine, and Chinese cultures, which significantly contributed to shaping Islamic artistic identity. It highlights how Muslim artists employed abstraction and transformation techniques to avoid realistic depictions of living beings under religious principles, leading to the creation of unique and innovative designs. These mythical motifs carried different meanings; for instance, dragons often symbolized strength and protection, while the phoenix represented wisdom and renewal, and certain motifs such as winged horses or lions had religious connotations.

The research also examines the various techniques used in weaving carpets with mythical animal motifs and how these techniques evolved over different historical periods. It delves into the artistic schools that contributed to the advancement of this decorative tradition, such as the Safavid school, known for its intricate detailing, and the Ottoman school, which often incorporated geometric patterns with abstracted natural forms.

Furthermore, the study emphasizes the importance of preserving this unique artistic heritage, which reflects a rich cultural and historical exchange between civilizations. Islamic carpets have long served as an essential element in expressing spiritual and aesthetic values. However, with modern industrialization, traditional carpet weaving faces significant challenges, including the loss of ancestral craftsmanship and the increasing preference for mass production. The research advocates for preserving this heritage and supporting artisans who continue to create these exquisite works using traditional methods.

Ultimately, this study affirms that mythical animal motifs in Islamic carpets serve not only as artistic elements but also as cultural symbols that demonstrate the dynamic interaction between different artistic traditions. These motifs continue to represent a fusion of aesthetics, spirituality, and history, preserving an invaluable aspect of Islamic visual culture.

تمهيد:

الفن الإسلامي هو نوع من الفنون التي ظهرت وتطورت في الحضارات الإسلامية منذ القرن السابع الميلادي، ويعبر عن قيم ومفاهيم ثقافية ودينية فريدة. يتسم هذا الفن بخصائصه المميزة التي

تتعرض في العمارة والزخرفة والخط العربي والفنون التطبيقية كالسجاد والمنسوجات وغيرها ، وتجلت في مجموعة متنوعة من الأنماط التي تشمل الأنماط الهندسية والزخارف النباتية و"الأرابيسك" والزخارف الحيوانية ، إضافة إلى فن المنمنمات الذي ازدهر في بلاد فارس والدولة العثمانية.

موقف الاسلام من فن التصوير:

كان لتعاليم الاسلام اثر مهم في كراهية الفنان المسلم وتحريمه للتصوير لذلك لم يلجأ الى التجسيم كالفنون المسيحية والفنون الاخرى^١ ، كما لجأ الفنان العربي المسلم الى التحوير والبعد عن الطبيعة ومحاكاتها حتى في الرسوم النباتية ، تأثر بذلك بالفن الساساني والبيزنطي^٢.

استخدام الفنان العربي المسلم لمبدأ التحوير في الفنون وكراهية تصوير الكائنات الحية من مبدأ التوحيد والالوهية ونبذ الشرك وتحطيم الاصنام^٣ ، فقد كان العرب اول ظهور الاسلام متشدين كثيرا فيما يخص الدين والعقيدة وحاربوا الشرب والرقص والغناء ومجالس اللهو ومن ضمنها التصوير وكل ما يؤدي الى الفساد ولكن بمرور الزمن هذا التشدد بالتحريم ما لبث ان لان وتراخى مع الزمن^٤. التحريم ورد صراحة في التوراة واليهودية فقد نصت الوصية الثانية من سفر الخروج (لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض) (لا تسجد لهن ولا تعبدن لاني انا الرب الهك اله غيور افتقد ذنوب الاباء في الابناء)^٥ ، اذن التحريم ورد نصا صحيحا في اليهودية وليس للإسلام دخل فيه^٦.

ولابد من الإشارة ان البيئة العربية لم تشمل على المسلمين فقط وانما هناك من يدينون الوثنية او المسيحية او اليهودية وان التحريم كان موجودا بشكل صريح عند الديانة اليهودية والواضح ان التحريم هنا جاء ايضا مخصص بشيء معين وهو التمثال وتصوير الالهة والثانية عبادته اما ما عدا ذلك فهو مباح^٧. وبهذا فقد انتقل هذا الفكر الاسلامي على ايدي رجال من اليهود الذين اسلموا فيما بعد وفي التحريم قال علماء الفقه : (انه لا حرام الا ما ورد نص صريح بتحريمه فاذا لم يكن النص صريحا بقي على اصل الاباحة) ، فموقف الدين عامة والقرآن خاصة في الفن ليس مطلقا فحيثما كان سبيلا للشرك بالله فهو حرام ويجب تجنبه اما ما عدا ذلك فلا تحريم له^٨.

هذا ما اكده الدكتور ثروت عكاشة ان التحريم غير مطلق في الاسلام فاذا كانت الصور تتوقف على احكام شرعية او معالجات طبيعية او كشف وسائل علمية كان اتخاذها ولا شك في المرغوب فيه شرعا وان كانت لمجرد الزينة واللهو فهي مباحة ولا تحريم لها الا اذا اتخذت للعبادة والتبرك^٩.

اما مصطفى عبده^{١٠} قال: (ان الاصل في الاشياء الاباحة معتمدا على ثلاث حقائق اصولية :

١- القاعدة الاولى الاصل في الاشياء والمعاملات الاباحة ما لم يرد نص بالتحريم.

٢- القاعدة الثانية التحريم لا يكون الا بنص من الله او بيان من الرسول (ص).

٣- الاحكام الاجتهادية لا توصف بالحل او الحرمة وانما بالمنع والحظر والاباحة .

في آيات القرآن الكريم ليس هناك تحريم قاطع على وجه الاجمال بخصوص التصوير انما التحريم جاء على ممارسة الطقوس الوثنية العربية على وجه التخصيص التي اتخذت للعبادة.^{١١}

اما الاحاديث المنسوبة للرسول (ص) في التحريم فهي نوعان نوع يفيد التحريم ونوع يفيد الاباحة ، النوع الاول جاء فيه حديث للرسول (ص) : (اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون) .^{١٢} وقد وردت جملة من الاحاديث الاخرى منها (من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة ان ينفخ فيها الروح وليس بنافخ)^{١٣} ، حديث اخر (اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون)^{١٤} ، وجاء في تفسير ذلك ان التحريم ينصرف الى التصوير الذي شاع في الوثنية وفيه تأليه بعض الشخصيات اما ما جاء لغرض المتعة والجمال فلا يحمل قول الرسول عليه .^{١٥}

من احاديث الرسول (ص) نستدل التي تفيد الاباحة او التحريم انها جميعا متناسقة وتخدم غرضا وموقفا واحدا مع القرآن الكريم هو نبذ كل ما يدعوا للوثنية والفجور وكل الدعاوى الهابطة التي تهبط بالقيم الانسانية وكرامة الانسان والتي تدعو للانحراف اما ما عدا ذلك فهو مباح .^{١٦} والدكتور القرضاوي يقول : ان كل امتهان للصورة يجعلها حلالا فكل تغيير في الصورة يجعلها ابعد عن التعظيم وادنى الى الامتهان ينقلها من دائرة الكراهة الى دائرة الاباحة .^{١٧} لو سلمنا بصحة الاحاديث فقد تكون الكراهية للتصاوير والمصورين اريد بها صرف الناس عن عبادة الله او ردهم الى الوثنية والشرك او تشبيههم الله في صور لا تليق بجلاله.^{١٨}

الدليل الاخر ان الكعبة المشرفة وهي اقدس المقدسات كانت قد ضمت جدرانها صور للأنبياء والشجر والملائكة ومنها صورة ابراهيم الخليل وصورة النبي عيسى (عليهم السلام) وامه مريم وصور للملائكة ، فلما تم فتح مكة امر الرسول (ص) بإزالة تلك الصور وابقى على صورة النبي عيسى وامه وقال (ص) : (امحو جميع الصور الا ما تحت يدي ونظر الى صورة النبي ابراهيم (ع) وقال : (قاتلهم الله جعلوه يستقسم بالأزلام) .^{١٩}

وفي روايات الازرق في كتابه اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار قال : (ان سادة قريش لما هموا بإعادة بناء الكعبة استعانوا بنجار اسمه (باخوم) او (باقوم) وانهم زوقوا اسقفها وجدرانها وجعلوا من دعائمها صور الانبياء والملائكة وكان من بين الصور صورة النبي ابراهيم والنبي عيسى وامه .^{٢٠} وبقيت تلك الصور داخل جدران الكعبة حتى ثورة عبد الله بن الزبير على الحكم الاموي سنة (٦٧هـ)^{٢١} ، وعند دخول سعد بن ابي وقاص المدائن بجيشه بعد معركة القادسية واتخذ الايوان مصلى كانت فيه لوحات مصورة فلم يحوها وظلت نحو قرنين لم يمسا احد كل هذه دلائل على ان الكراهية كانت خاصة تشمل جانب العبادة فقط .^{٢٢}

كذلك شاعت فكرة تحريم التصوير في كثير من المؤلفات بسبب بعض الاحاديث التي تدل على الكراهية (اشد الناس عذابا المصورون) وما يراه بعض العلماء ان التصوير وكراهيته وتحريمه انما امرا

اقتضته الحكمة في نشر العقيدة وحادثة المسلمين بالإسلام ، لكن بعد رسوخ الاسلام اصبح التصوير مباحا ، بدليل شيوع التصوير في العصر الاموي وحتى يومنا هذا .^{٢٣}

الاستحالة القول بوجود نص قرأني يقول بتحريم التصوير بشكل صريح وواضح اما بالنسبة للاحاديث النبوية الشريفة فان الفقهاء انفسهم اختلفوا فيما بينهم حول ذلك وهذه الاحاديث جاء الفقهاء بها بعد وفاة الرسول (ص) ب ٣٠٠ عام ومعظمهما يقع في كتب الادب او رسائل اخرى متفرقة بعيدة عن التخصص الديني .^{٢٤}

اذن جميع الآراء تجزم ان لا حرمة هناك للفن والتصوير الا فيما يتعلق الشيء بالعبادة فقط .^{٢٥}

نشأة التصوير :

اما عن بداية التصوير الاسلامي فهي تعود الى منتصف القرن الثامن للميلاد بالذات عام ٧٥١ م وترجع الى مجموعة فنانين اسرى سمرقند الذين حجزهم القائد زياد بن صالح بعد معركة تاليس واستقبال اختراع الورق الصيني وانتشاره ليؤسس المكتبات ودور الحكمة والعلم .^{٢٦}

استخدم الفنان الاشكال المحورة عن الطبيعة في التصوير الاسلامي ورسوم الاشكال المركبة التي تجمع حيوان ورأس انسان او تحوير اوراق الشجر لتكوين اشكال رمزية وغيرها من الاشكال هي مجموعة من الحيل التي استخدمها الفنان للابتعاد عن مضاهاة خلق الله او الابتعاد عن تمثيل الطبيعة^{٢٧} ، هي في الحقيقة لكي يجنبوا انفسهم الدخول في صراعات مع الآراء الدينية فأصبحت دراساتهم لا تتعدى الدراسة الوصفية دون الولوج بدراسة ما هيأتها وفلسفتها وبقي الفن الاسلامي حبيس آراء المتشددتين والمستشرقين^{٢٨} .

ولم تتضح معالم واضحة للفن الاسلامي الا بعد انتقال الخلافة الاسلامية الى خارج شبه الجزيرة العربية في عهد الخلافة الاموية في دمشق حيث بدأ اهتمام الحكام المسلمين بفنون البلاد التي تكونت منها امبراطوريتهم فنرى اهتمام الحكام بفن التصوير في العهد الاموي من خلال تصاوير قصير عمرة .^{٢٩}



وبذلك نجد ان المدارس الفنية الاسلامية قد مرت اول الامر بأدوار او عصور سياسية مختلفة بدأت بالخلافة الاموية ثم العباسية وتوالى خلفاء اسلامية مستقلة في الاندلس ومصر وايران وتركيا وأدت تلك الصلات التي عقدت بين الشعوب العربية وشعوب حضارية اخرى الى تأثيرات متبادلة والى نشأة المصورين العرب المسلمين الذين تتلمذوا على الفنون التصويرية لتلك الامم المختلفة مسيحية وبيزنطية وساسانية ، وازدهر الفن في فترة الخلافة العباسية عندما نقلت الخلافة الى بغداد وهنا بدأ التحلل من القيود ، وقام المصور الفارسي (جامي) بتزيين قصر الخليفة بفصول من قصة يوسف وزليخا .



كما زينت بعض الكتب التاريخية والادبية بالصور التوضيحية وامتد ذلك الى المصاحف فتبارى الفنانون في تزويقها بالزخارف المختلفة وكذلك الكتب المختلفة المزوقة منها كتاب الاغاني ومقامات الحريري وكليلة ودمنة والفرس وغيرها كثير^{٣٠} ، وكان الفنانون الفرس اسبق في التصوير خاصة بعد ان تيسرت لهم الموضوعات المتنوعة مثل الشاهنامة للفردوسي ورباعيات الخيام وغيرها وبهذا يتضح ان الفن نبت في الشرق وازدهر فيه وان العمارة والفن والنحت والتصوير كانت في العصور الاسلامية الاولى هي الاسس التي قام عليها الفن وعرف فيما بعد عند الاوربيين^{٣١}.

اختار الفنان العربي المسلم مبدأ التحوير في الزخرفة لكي يرتفع فوق مرتبة التقليد كما كانوا يكرهون تصوير الكائنات الحية^{٣٢}.

رمزية الاشكال الحيوانية :

عرفت رسوم الحيوان في الفنون السابقة للإسلام في وادي الرافدين وسوريا وايران وعند الحثيين وورث الفنان العربي المسلم تلك الرسوم بأنواعها سواء الحيوانات الطبيعية او الحيوانات الخرافية او المركبة^{٣٣}.

فقد عرف عن العرب انهم كانوا يتشبهون بأسماء الحيوانات مثلا (بنو اسد ، بنو فهد ، بنو ضبيعة ، بنو كلب) وبأسماء الطيور مثل (عقاب، نسر) وبقيت رمزية صور الحيوانات منذ عصور ما قبل التاريخ وصولا للعصر الاسلامي .^{٣٤}

ومن الحيوانات اسد مجنح برأس ادمي واذنان طويلتان ومن الامثلة عليها بلاطة حجرية مستطيلة على وجهها نحن بارز يجسد حيوان خرافي بجسم اسد ، الاسد المجنح برأس ادمي يظهر كثيرا في المنحوتات من العصر السابق للإسلام في اليمن من الجزيرة العربية .^{٣٥}

كذلك ظهر الثور المجنح والحصان المجنح والاسد المجنح بمؤخرة تتين واسد برأس طائر ، وثور مجنح بذيل سمكة وكذلك نقش امرأة لها اجنحة وارجل اسد كذلك حيوان خرافي مقدمة حصان ومؤخرة تتين وكذلك ظهرت انصاف اسود بمؤخرات نباتية كذلك مفترس بمؤخرة نباتية كما ظهر حيوان القنطور وهو يتكون من جسد حصان متصل عند الرقبة بنصف ادمي يشمل الرأس مع الصدر والايدي^{٣٦} ، هناك ايضا حيوانات خرافية تمثل ابو الهول الذي يتكون من جسد اسد ووجه انسان.^{٣٧}

الهدف الرئيس لهذه التماثيل قبل الاسلام هي كانت هدايا نذرية تهدى للالهة بهدف التقرب اليها طمعا في تلبية الطلبات المتمثلة في الشفاء والمعاواة من الامراض وتجنب الشرور للنفس والاهل والممتلكات وعلى رأسها الحيوانات والمحاصيل الزراعية والنصر في المعارك وكانت توضع في المعابد او تعلق على جدرانها ، ولهذه الحيوانات تأثيرات قادمة من بلاد الرافدين وخاصة الثور المجنح على بوابات بابل واشور وتأثيرات مصرية قديمة مثل ابو الهول .^{٣٨}

اما عن التحوير او (الاسلوب المحور) :

هو اسلوب زخرفي يستتبط زخافه من الطبيعة لكنه يقوم بتحويرها واخراجها عن حقيقتها بحيث يصعب نسبتها الى اصلها .^{٣٩}

اقدم النماذج الرافدينية التي وجدت تحمل نقوش الحيوانات تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد تمثل : (حيوانات -اسود - خيول -ماعز) وصلت الى حد الروعة عن الاشوريين ، من اللوحات المشهورة ما يسمى بلوحة سوسة القرن ١٢ قبل الميلاد والتي تمثل احد الالهة ، القسم الاسفل من البدن جسم ثور وكانت الخشونة والتخطيطية هما الصفتان الرئيستان المميزة لهذا العصر .^{٤٠}

وجدت ايضا رسوم حيوانات خرافية على الاختام في بلاد الرافدين منها ختم عليه نقش شخص راعع يمسك بين ذراعيه بمعبود يبرز من قرص مجنح يساعده في ذلك مخلوقان مركبان نصف الواحد منهما انسان والنصف الاخر ثور .^{٤١}

اما الاشوريين فكانت النقوش المرسومة على اختامهم الاسطوانية تحتوي على مزيج غريب بين الواقعية والخيال الاسطوري ، فقد كانت تلك النقوش بشكل عام وخاصة مناظر الصيد يمكن ان ينظر

اليها في الغالب من زاوية جديدة حيث نرى احيانا جنيا برأس ادمي وبزوجين من الاجنحة وهو يلعب مع ثورين مجنحين^{٤٢}.

من الحيوانات المركبة التي اقبل المسلمين على زخرفتها على جميع الاثار في العصر الاسلامي هي الفرس ذو الوجه الادمي الذي يتفق مع وصف براق النبي (ص) في الكتب الاسلامية والطيور الصغيرة ذو الوجه الادمي وغيرها^{٤٣}.

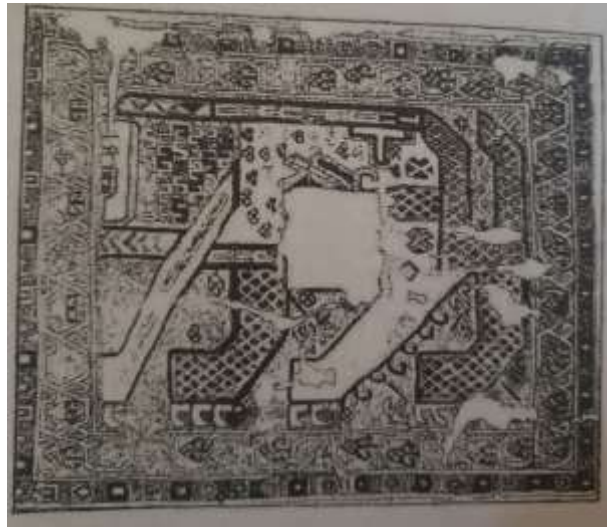
نماذج السجاد التي حملت الزخارف الحيوانية والزخارف المركبة:

من اقدم النماذج التي حملت الزخارف الحيوانية النماذج القوقازية المحفوظة في المتاحف وعند كبار الجامعيين وبعض كبار التجار هي من السجاد ذي التصميم التتيني (Dragon Carpet) الذي يرجح انه يعود الى القرن السابع عشر وعلى عكس السجاد الايراني والتركي لا يجزم الخبراء بالوضع الذي كانت عليه صناعة السجاد القوقازي ولا اصوله قبل مرحلة السجاد التتيني وان كانت ثمة تخمينات مبنية على بعض الرسوم القديمة والمنمنات من بين الافتراضات انه انطلق من ارمينيا او من كوبا (kuba) شمال اذربيجان المتاخمة لجمهورية داغستان التابعة لروسيا وان الارمن كانوا من اقدم رواد الصناعة^{٤٤}.

اقدم النماذج التي حملت الرسوم الحيوانية الاسطورية هي سجادتني الاولى ما تعرف لدى المختصين باسم (سجاج بخادار) وسجادة (بزيك) التي عثر عليها في منطقة جبال (الطاي) قريبا من قرية بزيك وعلى الرغم من ان سجادة بخادار اقدم عهدا من سجادة بزيك بنحو قرن او قرنين من الزمن وانها افضل حبا من الاولى واكثر كثافة من حيث عدد العقد في البوصة المربعة الواحدة نجد ان لسجادة بزيك شهرة عالمية فاقت شهرة سجادة بخادار بكثير^{٤٥} فلا نكاد نجد كتابا يبحث في السجاد القديم الا وفيه اشارة اليها السبب يعود الى الزخارف التي تغلب عليها رسوم ادمية وحيول وحيوانات اسطورية اضافة الى ما تضمنه من عناصر نباتية محورة ومع ذلك فهي لم تصل الينا بحالة جيدة من الحفظ بسبب عوادي الزمن ، سجادة بزيك مربعة الشكل طولها نحو مترين وعرضها ١,٨٠م يغلب على ألوانها في الوقت الحاضر الاحمر الداكن والبني وكذلك الاصفر التتيني اما الارضية اللون الاحمر تزين الساحة زخارف هندسية ونباتية قوامها اربع وعشرون حشوة مستطيلة شبه مربعة في داخل كل منها نجمة ثمانية الرؤوس محورة ترمز الى الالهة عشتار عند البابليين والاشوريين كذلك هناك عدة اطر تحيط بالساحة في واحد منها صف من حشوات مربعة في داخل كل مربع صورة لثور مجنح صغير يليه اطار يضم صفا من اربعة وعشرين من الايائل المرقطة من ذوات القرون الكبيرة المتشعبة وهناك اطار اخر من ثمانية وعشرون فارسا في صف طويل يدور حول ساحة السجادة بأكملها معظمهم يمتطون صهوة جيادهم اما الساحة تشغلها اربعة وعشرين حشوة مربعة في داخل كل منها عنصر يشبه زهرة مركبة من ثماني بتلات^{٤٦}.



اما النماذج التي تحمل الزخارف المحورة من العصر الاموي والعباسي والتي تم اكتشافها في خرائب الفسطاط وهي واحدة مهمة جدا من السجاجيد الممزقة محفوظة في متحف الفنن بسان فرانسيسكو في الولايات المتحدة الامريكية وهي سجادة صغيرة ممزقة شبه كاملة من الصوف الخالص (٩٥, ٩٠,٠×١ م) نسجت بالعقدة المتناظرة واثبت تحليل كاربون ١٤ المشع انها تعود الى الفترة الزمنية المحصورة بين القرنين الاول والثالث الهجري (٧-٩م) تظهر ساحتها رسم حيوان محور جدا ذي مخالب اشبه بمخالب الاسد زين جسمه بضروب مختلفة من الزخارف الهندسية البسيطة .



وان اطارها الرئيس يشغله غصن متموج تنبتق منه اوراق وعناقيد عنب فيها شبه من تفريعات العنب التي تظهر بكثرة ضمن زخارف الجص في كل من العراق وايران والتي تعود الى القرنين (٨-٩ م) غير انها في هذه السجادة اقل تطورا^{٤٧}.

نموذج اخر وهو عدة قطع ممزقة محفوظة في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة تعود الى حقبة زمنية مبكرة اكثرها اهمية ثلاث اجزاء من سجاجيد مختلفة بنسجها جميعا بالعقدة الاندلسية انها تعود اما الى اواخر العصر الاموي او العصر العباسي المبكر وان كان هناك من يرى من الاساتذة المصريين ان

الخط يدل انها صناعة اموية خالصة الاولى شبه مربعة (١٩×٢٢ سم) تجمع زخارف حاشيتها بين العناصر النباتية المبسطة والهندسية اما الساحة تضم رسم طاووس محور قد كتب محمد عبد العزيز مرزوق ان الطاووس في الفن البيزنطي يرمز الى الابدية^{٤٨}.

كما تضم بضع كلمات باقية بالخط الكوفي البسيط نقرأ (عبد الرحمن بن سديج)^{٤٩}.

السجاد العثماني التركي :

تعد السجاجيد ذات الرسوم الحيوانية من أقدم الأنواع العثمانية، ولها ظهور مبكر في الرسوم واللوحات الأوروبية. عدد هذه السجاجيد محدود للغاية، وجميعها صغيرة الحجم. من أبرزها "سجادة ماربي"، المحفوظة في متحف ستوكهولم، والتي سُميت نسبةً إلى قرية ماربي في السويد، حيث عُثر عليها في كنيسة صغيرة عام ١٩٢٥. تتميز السجادة بتصميم طيرين متقابلين تحت شجرة مزخرفة، وقد استخدم النساج اللون الأحمر على خلفية عاجية اللون، مع احتمالية أن الشجرة المرسومة كانت تهدف للزخرفة فقط دون أي رمزية محددة.^{٥٠}



في متحف المتروبوليتان، توجد سجادة صغيرة أخرى مصنوعة من الصوف الخالص بأبعاد (١,٣٨×١,٦٥م)، تعود إلى أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر. تتضمن هذه السجادة صورة لحيوان أسطوري بدائي يشبه الذئب أو الكلب، يتكرر أربع مرات في ساحة السجادة. يغلب على السجادة ألوان البرتقالي، البني، الأصفر، مع طيفين من الأزرق. يُعتقد أن التصميم يرمز إلى "شجرة الحياة"، وهو عنصر زخرفي قديم جداً يعود إلى عصور قديمة عُرف بها البابليون والآشوريون، وحتى في ثقافات الصين والهند..^{٥١}

توجد سجادة أخرى من هذا النوع تُعد الأشهر على الإطلاق، وهي محفوظة في متحف برلين. تم الحصول عليها من روما عام ١٨٨٦م بعد أن جاءت من كنيسة قديمة في وسط إيطاليا. السجادة غير مكتملة وتبلغ أبعادها (١,٧٢×٠,٩٠م)، وهي مقسمة إلى ساحة مركزية وأطر محيطية. تحتوي الساحة

على حشوتين مثنيتين، العليا أضيق من السفلى، وفي كل منهما رسم لنتين يصارع حيوانًا أسطوريًا آخر هو العنقاء. تُظهر الحشوتان اختلافات في المساحة والتفاصيل، حيث نُفذت الرسومات بخطوط مستقيمة، مما جعلها تبدو وكأنها مجموعة من الزوايا والأضلاع. وقد تم تحويل كلا الحيوانين الأسطوريين بشكل كبير مقارنةً بما هو موجود في المنمنمات الإسلامية.^{٥٢}



من المحتمل أن يكون مشهد الصراع بين اللتين والعنقاء مقتبسًا بشكل مباشر من المنسوجات الحريرية الصينية التي وصلت إلى المدن التركية عبر التجارة في القرن الرابع عشر. تتباعد العناصر الزخرفية في هذه السجادة الصغيرة عن زخارف السجاد العثماني الحضري، حيث تقترب أكثر من زخارف السجاد القبلي. يتجلى هذا ليس فقط في تحويل العناصر الزخرفية، بل أيضًا في استخدام الألوان القوية، وخاصة اللون الأصفر الفاقع. إذا كان الأمر كذلك، فإن هذا يعني أن علاقتها بالسجاد الحضري العثماني محدودة، وربما تكون من إنتاج القبائل التركية الرحالة التي صاحبت العثمانيين في هجرتهم من وسط آسيا إلى الأناضول. وينطبق هذا على جميع السجاجيد التي تحتوي على رسوم الحيوانات من هذا النوع، من بين النماذج التي تمثل السجاد العثماني ذي الرسوم الحيوانية، هناك قطعة محفوظة في المتحف المولي في قونية بأبعاد (٢×١م). تتميز هذه القطعة بسطح مزخرف بصفوف من الطيور المحورة التي قد ترمز إلى العنقاء الأسطورية أو الطواويس، مرتبة بأسلوب هندسي دقيق. يعكس هذا التصميم الجمالية الزخرفية والرمزية التي استخدمها النساجون العثمانيون، مما يظهر فنًا متقدمًا يمزج بين الأساطير والتصاميم الهندسية المتقنة.^{٥٣}

وقد تم العثور على جزء من سجادة صغيرة في موقع الفسطاط، وهي محفوظة الآن في متحف كوثنبرغ بالسويد. تتميز هذه السجادة بزخارف حيوانات محورة وتصميم هندسي صارم، ويُعتقد أنها تعود للقرن الخامس عشر، رغم أن دراسات من عام ٢٠١١ تشير إلى احتمال عودتها للقرن الرابع عشر. لم تخضع هذه السجاجيد لتحليلات دقيقة وتختلف في تصميمها عن السجاد الحضري العثماني. تظهر

سجادة مماثلة في منمنمة من "الشاهنامة" للفردوسي من عام ١٣٣٠م، وتُعد مثالاً مبكراً للسجاد الحيواني من العصر المغولي، مستنسخة على الأرجح في تيريز.^{٥٤}

كان السجاد التركي الثمين يحظى بتقدير كبير في أوروبا، حيث طلب البابا بندكت الثاني عشر في القرن الرابع عشر ألا تطأ الأقدام سجادة فاخرة أمام كرسي البابوية. تشير لوحة من القرن الرابع عشر محفوظة في متحف الفاتيكان تُظهر المسيح والعذراء، إلى أن السجاد التركي كان حاضراً في الرسوم الأوروبية منذ ذلك الوقت، مما يدل على أن تجارة السجاد التركي إلى أوروبا كانت قائمة حتى مع وجود الإمبراطورية البيزنطية، ومن المرجح أن السجاد ذو الزخارف الحيوانية ظهرت في الأناضول في الفترة المبكرة من العهد العثماني، بين ١٣٥٠-١٤٠٠م، قبل السيطرة على القسطنطينية. بعد القرن الخامس عشر، تحولت الزخارف في السجاد التركي إلى الطابع الهندسي والعناصر النباتية المحورة. بحلول القرن السادس عشر، أصبحت رسوم الحيوانات نادرة في السجاد التركي الذي مثلته الرسوم الأوروبية.^{٥٥}

السجاد الإيراني :

سجاد الحدائق:

يُعتبر من أقدم أنواع السجاد التي وصلت إلينا، ومن أشهر الأمثلة على ذلك سجادة كبيرة منسوجة في مدينة كرمان بأبعاد (٨,٤٠ × ٣,٧٠م). هذه السجادة محفوظة في متحف جايبور في الهند، ويُذكر أنها عُثِر عليها في حجرة مهجورة داخل قلعة عنبر في الهند. وُجدت على ظهر السجادة رقعة تُشير إلى أنها من صناعة أجنبية وتم اقتناؤها في ٢٩ أغسطس عام ١٦٣٢م، التقسيم الزخرفي في هذه السجادة يتبع تصميم الحدائق الإيرانية القديمة، كما أشار الأستاذ أردمان. يتمحور التصميم حول حوض كبير تتفرع منه أو تتدفق إليه أربعة جداول مستقيمة تسبح فيها أنواع مختلفة من الأسماك، وتحيط به أشجار مزهرة تتمايل أغصانها التي تقف عليها الطيور والعصافير المغردة. في مركز الحوض، يظهر بناء صغير مرتفع يعرف بـ"المنظرة"، وهو مجلس مرتفع يُستخدم للجلوس والاستمتاع بالمناظر المحيطة، وان المنظرة الممثلة في السجادة لها شكل مئمن تعلوه قبة بصلية الشكل، وجدرانها الثمانية والقبة مغطاة بالقراميد المزججة المزينة بنقوش زخرفية تذكرنا بالقصور والمباني التي ظهرت في تزاويق المخطوطات من العصر التيموري في إيران، والتي تعود إلى منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. كما يحتوي البناء على مدخل أو نافذة كبيرة بمصراعين، بينما يصور الحوض المحيط به مجموعة من الأسماك والحيوانات الأسطورية المتنوعة، وفي القرن الثامن عشر، شهد سجاد الحدائق المزيد من التبسيط والتحوير؛ حيث أصبحت العناصر النباتية أكثر ابتعاداً عن أشكالها الطبيعية. اختفت الحيوانات البرية من الزخارف، باستثناء الأسماك التي ظلت تسبح في القنوات التي خضعت هي الأخرى لتحوير كبير. استُبدلت البرك المركزية في معظم هذا النوع من السجاد بساحات صغيرة تضم أشجاراً مزهرة ومُحورة في وسطها. كما مال النساجون إلى تصغير أحجام السجاد، مع استثناءات قليلة.^{٥٦}



السجاجيد ذات الزخارف الحقلية :

تتميز هذه السجاجيد بوجود حقول زخرفية مختلفة ناتجة عن تمرير أشرطة متوازية ومتقاطعة على السطح، مما يؤدي إلى تقسيمه إلى حشوات متشابهة في الشكل والمساحة. تُملأ هذه الحشوات بالعناصر الزخرفية المطلوبة مثل الأشكال النباتية، ورسوم الطيور الملونة، والحيوانات الأسطورية مثل التنين والعنقاء. ويحرص المصممون على تجنب تكرار نفس الزخارف أو الألوان في الحشوات المتجاورة، ومن أبرز الأمثلة على هذه السجاجيد، سجادة تعود إلى النصف الأول من القرن السادس عشر محفوظة في متحف المتروبوليتان بأبعاد (٣,٤٠×٤,٩٨م). صُنعت السجادة من الصوف في عقدها وخيوط اللحمية، بينما خيوط السدى من الحرير. تتميز بجودة حبك عالية تحتوي على ٥٥٠ عقدة في كل بوصة مربعة. تشغل ساحتها حشوات سيفسائية هندسية التصميم، تُعرف بنظام الزخارف الطباقية شبه النجمية. زُينت الحشوات الكبيرة بمشاهد صراع بين التنين والعنقاء، بينما ملأت الحشوات الأصغر والفراغات بينها بتفريعات نباتية دقيقة بألوان متعددة، على أرضية صفراء فاتحة.^{٥٧}

السجاجيد ذات الرسوم الحيوانية :

بعض أنواع السجاد الإيراني القديم، خاصة تلك التي تضم مداليات، تحتوي على رسوم لحيوانات متنوعة، بما في ذلك طيور وحيوانات رباعية الأرجل وحيوانات أسطورية تبدو وكأنها تتجول بين الأشجار والشجيرات المزهرة المنتشرة بشكل عشوائي في الساحة. أحياناً تُحصر هذه الرسوم داخل المداليات أو الحشوات أو تُوزع بين العناصر النباتية ضمن الأطر العريضة، ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع سجادة كانت محفوظة في متحف برلين، لكنها تعرضت للحرق أثناء القصف الجوي في الحرب العالمية الثانية، ولم يتبق منها سوى ربعها الأصلي. تتميز السجادة بوجود مدالية بيضوية الشكل مفصصة ذات رؤوس مدببة، ترتبط بها مداليات ثانوية. تحتوي المدالية الرئيسية على سحب صينية بأشكال مختلفة وتنتشر بينها مجموعة من الطيور، أبرزها اللقالق التي تبدو قريبة من شكلها الطبيعي، بعضها في حالة طيران أو

وقوف أو حتى عراك. تملأ السجادة المزهرة ذات الخلفية البيضاء مجموعة كبيرة من الأشجار يعلوها الطيور، بينما تتجول بينها الحيوانات البرية والأسطورية.^{٥٨}

متحف برلين يحتفظ بسجادة رائعة من القرن السادس عشر يُعتقد أنها منسوجة في تبريز، بأبعاد (٣٧,٢٥×٢,٢٥م). السجادة تتميز بإطار عريض بلون أزرق داكن وثلاث مداليات مفصصة، أكبرها في المنتصف، مزينة بزخارف نباتية متناظرة. الساحة الرئيسية للسجادة مملوءة برسوم لحيوانات برية مثل الأسود والغزلان، مرتبة بتناظر حول المحور المركزي، مع خلفية حمراء لافتة. الرسوم تُظهر دقة عالية في التشريح وحيوية الحركة، مما يجعلها تبدو وكأنها في حركة مستمرة، وتشمل مشاهد مثل هجوم الحيوانات وهرب الغزلان، وفي زوايا السجادة الداخلية، كانت هناك رسوم ملائكة مجنحة، لكنها قُطعت عندما كانت السجادة مستخدمة في معبد يهودي في جنوة قبل انتقالها إلى متحف برلين. يعتقد أن السبب يعود إلى قدسية هذه الرسوم وعدم جواز دوسها بالأقدام. تشير التوراة إلى وجود تماثيل لملائكة مجنحة في القاعة الخاصة بهيكل سليمان، مما يوضح أهمية هذه الرموز في التقاليد الدينية.^{٥٩}

سجاجيد قاشان الحريرية :

سجاجيد قاشان الحريرية لم تقتصر على الرسوم النباتية والهندسية فحسب، بل تضمنت أيضًا رسومات لحيوانات برية وأساطير خيالية، مرسومة على أرضيات مليئة بالأزهار والشجيرات. من بين الأمثلة، سجادة متوسطة الحجم (٢,٢١×١,٣٦م) تعود إلى أوائل القرن السابع عشر ومحفوظة في متحف برلين. تتوسطها مدالية بيضوية تصور صراعًا بين العنقاء والتنين، وتحتوي أركانها على أربع مداليات كل منها تصور تنينًا، فيما تملأ بقية الساحة أزهار وأشجار على أرضية صفراء. الإطار الأوسع يحتوي على حشوات مستطيلة تضم صور أسود مرتبة بشكل متعاقب، هذه السجادة مزينة أيضًا برسوم طيور متقابلة بين الأزهار، وربما تمثل ببغاوات أو طواويس. في كل ركن، يوجد حيوان أسطوري مجنح أزرق اللون على خلفية حمراء. الرسوم الحيوانية والإنسانية في السجاد الإيراني ظهرت لفترة قصيرة، معظمها في القرن السادس عشر بناءً على طلب البلاط الصفوي، مما يجعل السجاد الذي يحتوي على مشاهد الصيد أو رسوم الحيوانات والطيور نادرًا للغاية.^{٦٠}

نساجو السجاد القبلي في إيران لم يهتموا كثيرًا بمسألة كراهية رسوم الحيوانات والأشكال الآدمية في الإسلام، ربما بسبب بُعدهم عن المراكز الحضرية وأمّية معظم أفرادهم، خاصة النساء. كان سجادهم صغير الحجم نسبيًا نظرًا للتنقل المستمر وصعوبة نقل القطع الثقيلة أو الكبيرة، وكانت المنازل القروية الصغيرة لا تتسع للسجاد الكبير.^{٦١}

السجاجيد الايرانية القبلية:

قبيلة اللور :

في سجاجد قبيلة اللور، من النادر أن تخلو من العناصر الزخرفية التي تتضمن أشكالاً حيوانية وآدمية. ومع ذلك، فإن تنفيذ هذه العناصر يتم بأسلوب بدائي للغاية، مثل باقي القبائل الإيرانية غير المستقرة. يعكس هذا النمط الفني البسيط والعفوي طبيعة حياة تلك القبائل ويضفي على السجاد طابعاً مميزاً يعبر عن تراثها وثقافتها. ومنها سجادة صغيرة (١,٣٢ × ٠,٩٧ م) منسوجة من قبل قبيلة اللور، محفوظة لدى السيد Clive Loveless في الولايات المتحدة الأمريكية، تصميمًا فريدًا يعكس التراث الفني للقبيلة. تتميز السجادة بساحة حمراء مزينة بأزهار متناثرة ومحورة بألوان متنوعة، دون وجود أغصان أو تفريعات نباتية. تحتوي الساحة على ثلاث حشوات معينة الشكل غير منتظمة، ومن جانبي كل حشوة تنبثق رؤوس محورة لأربعة طيور جارحة في وضعيات متقابلة. يُشير الأستاذ جيمس أوبي، المختص بالسجاد القبلي، إلى أن هذا العنصر الزخرفي لرأس الطير الجارح المزدوج يعود إلى عصور قديمة، وكان يظهر بشكل متكرر في التحف البرونزية من لورستان التي تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد.^{٦٢}



قبيلة بختيار :

قبيلة بختيار استخدمت أيضاً رسومات الحيوانات والأشكال البشرية بأسلوب بدائي ومبسط. كانت الزخارف في سجادهم تقتصر إلى التنسيق والتجانس اللوني الذي يميز السجاد الإيراني الحضري. وعلى الرغم من أن هذه القبيلة استخدمت رسومات الحيوانات والأشكال البشرية بشكل أقل بكثير مما هو موجود في سجاد قبيلة اللور، إلا أنها استطاعت الحفاظ على العناصر الزخرفية الأصيلة التي تعكس الطابع البدوي أو القروي الخاص بها.^{٦٣}

قبيلة قاشقاي :

هذه القبيلة استخدمت، بالإضافة إلى العناصر الهندسية والنباتية المحورة، بعض الرسوم المحورة للحيوانات والأشكال البشرية المرسومة بأسلوب بدائي. من الأمثلة على ذلك سجادة صغيرة (١,٣٢ ×

١٩٧٠ م) بحوزة السيد Clive Loveless في الولايات المتحدة الأمريكية. تتميز هذه السجادة بساحة حمراء مزينة بأزهار متناثرة ومحورة بشكل كبير وبألوان متنوعة، دون وجود أغصان أو تفريعات نباتية أخرى. كما تحتوي على ثلاث حشوات معينة الشكل غير منتظمة ومتقاربة. ومن المثير للاهتمام أن رؤوس الطيور الجارحة المحورة تظهر بوضعية متقابلة على جانبي كل حشوة من الحشوات الثلاث. يعتقد الأستاذ جيمس أوبي، المتخصص في السجاد القبلي، أن هذا العنصر الزخرفي لرأس الطير الجارح المزدوج يعود إلى عصور قديمة جداً، وقد كان يظهر بكثرة على التحف البرونزية من لورستان التي تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد.^{٦٤}



اتحاد القبائل الخمس :

في اتحاد القبائل الخمس، استخدمت هذه القبيلة أيضاً العناصر الزخرفية المحورة للحيوانات بأسلوب بدائي، بالإضافة إلى عناصر زخرفية أخرى تتمثل في أربعة طيور ملونة تتقابل حول شكل هندسي يشبه الصليب، وأسدان يظهران على خلفية زرقاء داكنة. تعكس هذه الزخارف الطابع الفني الفريد الذي يميز هذه القبائل، والذي يجمع بين الرموز الحيوانية والزخارف الهندسية لخلق تصاميم غنية ودالة على هويتهم الثقافية.^{٦٥}

السجاد في بلاد التركستان :

من بين الأنواع التي تضم الزخارف الحيوانية المحورة، تأتي مدينة بيجار، الواقعة شمال شرق مدينة سنا. وكحال أكراد إقليم خراسان (قوجان) في أقصى شرق الهضبة الإيرانية، تأثرت بيجار بالسجاد التركماني والقوقازي. ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع سجادة محفوظة في متحف المنسوجات بواشنطن، تُعد من أقدم النماذج المؤرخة التي وصلت إلينا، إذ تعود إلى القرن السابع عشر. تحمل هذه السجادة

الزخارف الحيوانية والمركبة في السجاد الاسلامي

تاريخ ١١٠١ هـ / ١٦٨٩م، ويظهر فيها تأثير سجاجيد "التنين" القوقازية، كما تحمل اسم الشخص الذي صُنعت له.^{٦٦}

من بين سجاد بيجار ما يظهر فيه تأثير واضح بما يُنتج في مراكز النسيج الإيرانية. ومن أفضل الأمثلة على ذلك سجادة محفوظة ضمن مجموعة خاصة في الولايات المتحدة، تعود إلى أواخر القرن الثامن عشر أو أوائل القرن التاسع عشر (٢,١٠ × ١,٤٥ م). تتميز زخارف هذه السجادة بتأثيرها الكبير بما يُعرف بـ "سجاد الأشجار" الإيراني، حيث تشكل الأشجار المزهرة والأشجار المتهدلة الأغصان العنصر الأساسي للزخرفة. كما تضم السجادة مجموعة متنوعة من الحيوانات البرية والأليفة، وبعض الأشكال البشرية المحورة بأسلوب بسيط وبدائي. جُمعت هذه العناصر جميعها في تكوينات هندسية متناسقة، وزُينت بألوان قوية ومتعددة على أرضية زرقاء داكنة.^{٦٧}



السجاد العربي - الإسباني :

من بين الأنواع التي اشتهرت بزخارفها الخرافية ما يُعرف بسجاد الجرار، والذي ظهر لأول مرة في مدينة غرناطة والقرى المجاورة خلال الحكم العربي الإسلامي الأخير في القرن الخامس عشر. استمر هذا النوع بعد ذلك على أيدي المدجنين من العرب في الأندلس. يُرجح أن ظهوره تأثر بشكل مباشر بسجاد الزهريات الإيراني الذي نشأ في مدينة كرمان جنوب إيران، ثم انتقل إلى وسط وشمال البلاد. من المعروف أن السجاد الإيراني بدأ بغزو الأسواق الأوروبية منذ عهد الشاه عباس الأول (المتوفى ١٦٢٩م) في أواخر القرن السادس عشر، وحافظ على مكانته في هذه الأسواق حتى اليوم، هذا النوع من السجاد استمر إنتاجه في إسبانيا حتى منتصف القرن التاسع عشر، ويتميز بصغر حجمه ورخاوته ووزنه الثقيل بشكل غير طبيعي. غالبًا ما تكون زخارفه نباتية مع القليل من رسوم الحيوانات المحورة. ومع أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، استُبدلت العناصر الزخرفية الأندلسية والشرقية بعناصر أوروبية

خالصة، وبدأت تظهر فيها رموز دينية مسيحية مثل الصليب، ومن الأمثلة البارزة على هذا النوع سجادة صوفية تعود إلى أوائل القرن الثامن عشر (٢,٢٠ × ١,١٧ م) محفوظة في متحف الفنون بمدينة كولون الألمانية. تتميز هذه السجادة بوجود عدد من الزهريات الصغيرة ذات المقبضين موزعة في صفوف أفقية على ساحة السجادة، وتخرج من كل جرة نبتة صغيرة تنتهي بزهرة زنبق مع أزهار صغيرة أخرى. يتوسط السجادة شعار لإحدى الأسر الإسبانية الأرستقراطية، يحيط به على كل جانب صورة لرجل مرسوم بأسلوب بدائي ومحور.^{٦٨}

سجاد القوقاز:

سجاد القوقاز يتميز بتصاميمه الفريدة التي تعكس روح المنطقة وثقافتها العريقة. من السمات البارزة لهذا النوع من السجاد أنه يتضمن أحياناً رسومات لحيوانات بدائية ومحورة، مما يعطيه طابعاً فنياً مميزاً. غالباً ما يستخدم النساجون خطوطاً مستقيمة وزوايا هندسية في تمثيل هذه الحيوانات، مما ينسجم مع الأسلوب العام للزخارف الأخرى في السجاد، وتتضمن هذه الرسومات حيوانات برية مثل الأيائل، التي تُظهر عادة بأسلوب هندسي، والطواويس التي تُرسم بشكل محوّر ومبسط، مما يضيف لمسة من التجريد إلى التصميم. هذه الرسوم تضيف على السجاد القوقازي جاذبية تقليدية متفردة، تعكس ارتباطاً عميقاً بالطبيعة والحياة البرية المحيطة بالمنطقة.^{٦٩}

سجاد التتین :

سجاد "التتين" الذي وصل إلينا من أرمينيا يعد من أهم وأشهر أنواع السجاد القوقازي، ويتميز بتشكيلاته الزخرفية التي تشمل رسوماً للكائن الأسطوري التتين. يُعتقد أن هذا النوع من السجاد يعود تاريخه إلى ما قبل القرن السادس عشر، حيث تظهر رسومات سجاجيد التتين في لوحات فنية تعود إلى القرن الخامس عشر، مما يدل على وجوده قبل ذلك، وتكرر رسومات التتين في السجاد بتصميمات متقابلة ومتماثلة، إما منفرداً أو في مشهد صراع مع الطائر الأسطوري العنقاء. وغالباً ما تُصور هذه الكائنات بخطوط هندسية أو شبه مستقيمة وبأسلوب تخطيطي محوّر. يتسم السجاد بتشابك هذه الرسومات، مما يجعل من الصعب أحياناً تمييز التتين عن العنقاء، وخاصة عندما يتلاصقان في التصميم. تُحيط بهذه الرسوم حشوات زخرفية تتكون من أوراق شجر كبيرة ومقوسة، تضيف على السجادة مظهرًا مميزًا ومعقدًا، ومن أبرز القطع التاريخية لسجاد التتين قطعة كبيرة بحجم (٢,٣٠ × ٦,٦٣ م) تعود إلى أوائل القرن السادس عشر وكانت محفوظة في متحف برلين. للأسف، تعرضت هذه السجادة للاحتراق خلال الحرب العالمية الثانية، ولم يتبق منها سوى أجزاء صغيرة تم خياطتها معاً في قطعة لا تتجاوز ثلث حجمها الأصلي. كانت هذه السجادة تتميز بثناء العناصر الزخرفية ودقة الرسومات، مما يعكس المهارة الحرفية العالية لصانعيها في ذلك الوقت.^{٧٠}

على الرغم من الخسائر التي تعرض لها متحف برلين خلال الحرب العالمية الثانية، إلا أنه لا يزال يحتفظ بمثال جيد لسجاد التتين بحالة حفظ ممتازة، بحجم (٢٥,١٢×٢م) ويعود تاريخه إلى نحو سنة ١٦٠٠ ميلادية. يتميز هذا السجاد بتكرار صورتَي التتين والعنقاء في وضع تماثل وتقابل بأسلوب تجريدي وبدائي محوّر، محاطاً بحشوات كبيرة من أوراق شجر مقوسة ومسننة، مما يضفي طابعاً مميزاً على التصميم، وإضافة إلى هذه العناصر، تتضمن التشكيلة الزخرفية طيوراً محورة بأشكال وأحجام متنوعة، ما يعزز من التعقيد البصري للسجادة. يتفق الخبراء بشكل عام على أن الموطن الأصلي لسجاد التتين هو إقليم أرمينيا، غير أن المستشرقين لاحظوا أنه منذ منتصف القرن الثامن عشر لم تعد صناعة هذا النوع من السجاد حكراً على أرمينيا فقط، بل انتشرت في العديد من المدن الكبيرة في منطقة القوقاز. يعود السبب في ذلك إلى ارتفاع الطلب عليه في الأسواق الأوروبية، مما جعل من الصعب التمييز بين السجاد المنسوج في أرمينيا وذلك الذي يصنع في مناطق أخرى من القوقاز.^{٧١}



لم تتوقف التطورات الزخرفية لسجاد التتين عند حدود معينة، بل استمرت في التوجه نحو التجريد والتبسيط حتى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. ومن الأمثلة البارزة على هذه المرحلة من التطور نجد سجادة تعود إلى القرن الثامن عشر بحجم (٣٥,٥٥×٢م) محفوظة في إسطنبول. ويشير المختصون في الفنون الإسلامية إلى أن هذه السجادة قد نُسجت في مدينة كوبا، الواقعة في الجانب الشرقي من منطقة القوقاز، وتتميز هذه السجادة بتصميمها الفريد، حيث تم تقسيم مساحتها إلى أشكال معينة تضم بداخلها صورة تتين مزدوج، يظهر في وضعية متقابلة أو متدبرة على خلفية حمراء زاهية. وتكمل العناصر النباتية بألوانها المختلفة المشهد الزخرفي، مما يضفي تنوعاً وجمالاً بصرياً يعكس مهارة النساجين في تلك الفترة ودقة تصميماتهم.^{٧٢}

لدينا أمثلة إضافية لسجاجيد توضح بجلاء بعض مراحل التطور في تصاميم سجاد التتين، ومن بينها سجادة صغيرة بحجم (٩٠,٦٠×٢م) محفوظة في متحف برلين وتعود إلى القرن الثامن عشر.

تتميز هذه السجادة بتصميم التنينين المتدبرين ضمن زخارفها، وهي تصاميم لا تختلف كثيرًا عن تلك المألوفة في سجاد أرمينيا المبكر، غير أن الاختلاف هنا يكمن في وضعية التنينين التي تبدو جامدة مقارنة بتصاميم أخرى أكثر حيوية. كما أن التنينين ما زالا يحتفظان بالتفاصيل المرقطة، لكن كل واحد منهما أصبح يمتلك رأسين بدلًا من رأس واحد، مما يعطي السجادة طابعًا فنيًا فريدًا وغامضًا يبرز التطور التدريجي في الأسلوب الزخرفي لتلك الحقبة.^{٧٣}



سجاد التنين مر بمراحل تطور عديدة، حيث اتجه نحو المزيد من التبسيط والتجريد، مما جعل العناصر الزخرفية، بما في ذلك رسومات التنين، تفقد ملامحها الأصلية تدريجيًا. وصل هذا التطور إلى حد أصبح فيه من الصعب تمييز التنين بوضوح، وأحيانًا تتداخل رسوماته مع العناصر الزخرفية الأخرى بشكل يصعب التعرف عليه، ومن الأمثلة البارزة على هذا النمط، هناك سجادة منسوجة في مدينة سوماك تعود إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر، بأبعاد (٣,٣٥×٢,٤٤م) وتوجد ضمن مجموعة خاصة في مدينة كلادباخ بجنوب ألمانيا. مثال آخر هو سجادة من القرن الثامن عشر محفوظة في إسطنبول، حيث تظهر رسومات التنين بشكل مبسط للغاية، لدرجة أنه من الصعب تحديدها كرسومات تنين لولا المعرفة بأصولها في السجاد الأقدم، كما توجد أنواع من السجاد الأرمني التي تتضمن عناصر سجاد التنين ولكنها تخلو من أي رسوم للكائنات الحية، مثل سجادة كبيرة تعود للقرن السابع عشر بحجم (٦,٥×٢,٨٢م) محفوظة في إسطنبول، والتي يُعتقد أنها نُسجت خصيصًا لتزيين بعض المساجد، مما يعكس الدور الهام لهذه التصاميم في الزخارف الدينية.^{٧٤}

سجاد التنين القوقازي حظي بشعبية كبيرة في الأسواق الأوروبية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وحتى أوائل القرن التاسع عشر. وقد أدى ذلك إلى قيام صانعي السجاد بالعودة إلى الأساليب التقليدية والتكيف لتلبية متطلبات التجار الأوروبيين. لم يقتصر الأمر على ذلك، بل تم تقليد هذا النوع من السجاد في مناطق أخرى خارج القوقاز خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كما تمت محاكاة سجاد التنين في وسط وشرق الأناضول، وكذلك في شمال غرب إيران والمناطق الجبلية الكردية. كما أن التقليد

لم يقتصر على هذه المناطق فحسب، بل شمل أيضًا إيطاليا، حيث تم إنتاج نسخ مشابهة من هذا السجاد خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مما يدل على مدى انتشاره وتأثيره الواسع في تلك الحقبة.^{٧٥}

سجاد أذربيجان :

في مناطق أذربيجان وأقسام القوقاز الوسطى والشمالية والغربية مثل إقليم داغستان وقزخستان، نجد أن السجاد الذي يُنتج هناك يكاد يخلو من التأثيرات الإيرانية، حيث يميل الاتجاه الزخرفي العام إلى استخدام العناصر الهندسية والتجريد والتحوير، لا سيما في الزخارف النباتية ورسوم الحيوانات المحورة وفق المعايير الهندسية. هذا الأسلوب يختلف تمامًا عن ما كان يُنسج في مراكز النسيج الإيرانية المهمة التي غالبًا ما اتبعت تقنيات زخرفية أكثر طبيعية وتفصيلية، وتُعتبر مدينة شيروان من أكبر وأهم مراكز صناعة السجاد في إقليم داغستان وبلاد القوقاز بشكل عام. يتميز السجاد المنتج في شيروان بألوانه الهادئة وغير البراقة، حيث نادرًا ما تُستخدم الألوان الزاهية، وتكون خملته قصيرة وصوفه أقل لمعانًا. الألوان السائدة في هذا السجاد تشمل الأصفر والأحمر والأبيض للعناصر الزخرفية، بينما يغلب اللون الأزرق على الخلفيات، كما تستند الزخرفة في هذا السجاد بشكل أساسي إلى العناصر النباتية ورسوم الحيوانات المحورة التي تبعد عن أشكالها الطبيعية. من الأمثلة على هذا النوع، سجادة صغيرة بحجم (١,٧٧×١,٢٣م) محفوظة في متحف اللوفر بباريس تعود إلى القرن التاسع عشر. تتميز هذه السجادة بزخارف هندسية متنوعة باللون الأبيض المائل للصفار على أرضية حمراء، وتضم بين عناصرها زخارف لحيوانات مثل الجمال التي صُممت برسوم بدائية وبأسلوب محوّر عن شكلها الطبيعي.^{٧٦}



السجاد في شبه القارة الهندية :

السجاد الهندي يتميز بتصاميمه الفريدة التي تعكس التنوع الثقافي والتاريخي لشبه القارة الهندية. يمكن تصنيف السجاد الهندي إلى نوعين رئيسيين من حيث الزخرفة: النوع الذي يعتمد على الزخارف النباتية، والنوع الذي يتضمن الأشكال الآدمية ورسوم الحيوانات بما في ذلك الكائنات الخرافية

والأسطورية. في النوع الثاني، تظهر الرسوم الحيوانية بشكل تجريدي وتتناظري مع تأثيرات إيرانية واضحة في الأسلوب.

أمثلة بارزة على السجاد الهندي:

١. سجاد لاهور المجزأ:

هناك ١٢ قطعة صغيرة من السجاد الهندي المحفوظة في متاحف عالمية مختلفة، تعود إلى أواسط القرن السابع عشر. كانت هذه القطع في الأصل جزءاً من سجادة كبيرة نسجت في مدينة لاهور، ثم قُسمت وبيعت لأغراض تجارية. يحتفظ متحف الفنون الجميلة في غلاسكو بقطعة منها (٨٠×٨٨ سم) ذات خلفية حمراء مزينة بزخارف نباتية ورسوم طيور وحيوانات أسطورية بألوان مختلفة.^{٧٧}



٢. سجادة بوسطن:

سجادة من الصوف بحجم (١,٥١×٤,٢٣م) من النصف الثاني من القرن السابع عشر، محفوظة في متحف الفنون الجميلة بمدينة بوسطن. تعرض مشاهد مستوحاة من قصص التراث الهندي رسمت بأسلوب مبتكر، تشمل عناصر مثل قصر، وامرأة تداعب طفلاً، وخادم يحمل إبريقاً، ومشهد لرجلين يتسامران تحت سقيفة. تُظهر السجادة أيضاً صوراً لعربة خشبية يقودها رجل ويسحبها ثور، وحيوانات برية مثل النمور والغزلان، وحيوان مجنح أسطوري يلف ذيله حول فيل.^{٧٨}



٣. سجادة واشنطن:

سجادة صوفية طويلة (١,٩١×٤,٠٣م) محفوظة في متحف الفنون والمنسوجات بواشنطن، تعود إلى حوالي سنة ١٦٢٥. تحتوي على رسوم للحيوانات البرية مثل الغزلان والنمور والأرانب، إضافة إلى كائنات أسطورية على أرضية حمراء مغطاة بنباتات مزهرة. في وسط السجادة، يظهر فيل يمتطيه فيال بملابسه التقليدية، بينما الإطار مزين بتفريعات نباتية مرتبة داخل أشكال بيضوية.^{٧٩}



سجاد تركستان:

قبيلة التكة:

تتميز سجادات قبيلة التكة بوجود نوع من الزخارف المزهرة المعروفة باسم "gulli-gul"، والتي قد تحتوي أيضًا على رسوم لرؤوس طيور محورة. تعكس هذه الزخارف البهجة والحيوية، مما يجعل السجاد يتميز بتفاصيل فنية فريدة.

قبيلة اليوموت:

استخدمت قبيلة اليوموت عناصر زخرفية تشمل رسومات لصقور ونسر محور. بسبب ظهور هذا النسر المحور على السجاد، أطلق الباحث بوكوليوف اسم "سجاد النسر" على هذا النوع من السجاد، ولا تزال هذه التسمية مستخدمة حتى اليوم.

تعود سجادة اليوموت إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر، لكن لا توجد معلومات متاحة عن مكان وجودها حاليًا. تتميز هذه السجادة باستخدام ألوان قوية تشمل الأحمر بدرجاته المختلفة، والأصفر، والأزرق الغامق، والأبيض. تحتوي زخارفها على رسوم لكلاّب محورة، حيث يكون شكلها مثنى الأضلاع مع مربع في المنتصف يحتوي على عنصر زخرفي يشبه زهرة رباعية. يحيط بالمربع من جميع الجوانب رسم لحيوان بدائي التخطيط، مع رؤوس طيور تحيط بها، مما يضيف بعدًا جماليًا فريدًا للتصميم.^{٨٠}

هناك نوع من السجاد التركماني لا ينسب إلى قبائل معينة، بل يُعرف وفقًا لنوع الأزهار التي تزينه، ويُطلق عليه اسم "سجاد وردة النسر". تشبه هذه الوردة نسرًا ناشرًا جناحيه، ولكن يتم تصوير النسر بشكل محوّر للغاية، ويعود سبب عدم القدرة على تحديد القبيلة أو القبائل التي تستخدم هذا التصميم الزخرفي إلى عدم وجود معلومات دقيقة حول صانعي هذا النوع من السجاد، ولذلك يُعرف بهذا الاسم دون الإشارة

إلى قبيلة معينة. وفي معظم السجاد من هذا النوع، نلاحظ أن النساجين استخدموا العقدة غير المتناظرة، وأحيانًا العقدة المتناظرة، مما يشير إلى أن أكثر من قبيلة واحدة كانت تستعمل هذا العنصر الزخرفي، بالإضافة إلى ذلك، كانت النساء في القبائل التركمانية يصنعن حقائب صغيرة للاستخدام الشخصي، تشبه في تصميمها الحقائب الكبيرة، مع استثناء الزخارف الدقيقة. من بين الزخارف التي استخدمتها النساء على هذه الحقائب، نجد رسومات لصقور محورة ناشرة أجنحتها.^{٨١}



تصوير الزخارف الحيوانية والزخارف المركبة في عهد الاويغور:

الأويغور: هم مجموعة عرقية تعيش بشكل رئيسي في منطقة شينجيانغ الأويغورية ذاتية الحكم في الصين، يعود تاريخ الأويغور إلى العصور القديمة، وقد أسسوا إمبراطورية الأويغور في القرن الثامن الميلادي. كانت لهم دور بارز في التجارة على طريق الحرير، يتحدث الأويغور اللغة الأويغورية، التي تنتمي إلى عائلة اللغات التركية وتستخدم الأبجدية العربية في كتابتها.^{٨٢} تطور التصوير في عهد الاتراك الاويغور تطوراً كبيراً وكان لفن التصوير الاويغوري تأثيرات صينية نتيجة العلاقات التي قامت بين الاتراك وبين الصينيين.^{٨٣}

وظهرت هذه التأثيرات في بعض تفاصيل الرسوم الجدارية والصور الاويغورية من ذلك مثلاً ظهور الملامح الصينية في سحن الادميين ، رسم الثياب وأغطية الرأس خاصة المعروفة بالشمسيات التي كانت تظهر على الرؤوس كرمز لحكم الاتراك ، وكذلك ظهرت في رسوم الحيوانات الخرافية الصينية مثل التنين ، اما التأثيرات الساسانية فتظهر بالرسوم مثلاً رسم جداري يمثل شخص على ظهر فيل تهاجمه النمر ورسم اخر يمثل رستم يقتل التنين وهو مفعم بالتأثيرات الساسانية من حيث الموضوع والاسلوب الفني ، ورسوم الحيوانات الخرافية مثل النمر او السيمرغ .^{٨٤}

من الصناعات التي راجت في الهند في العصر المغولي هي صناعة السجاد وكانت السجاجيد الهندية تأتي في الاهمية بعد السجاد الايراني وكانت مطلوبة في قصور السلاطين وكبار رجال الدولة^{٨٥}،

ومنذ النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي حتى النصف الاول من القرن الثامن عشر الميلادي كان العصر الذهبي للفنون التطبيقية في الهند خاصة صناعة السجاد اليدوي المعقود .^{٨٦}

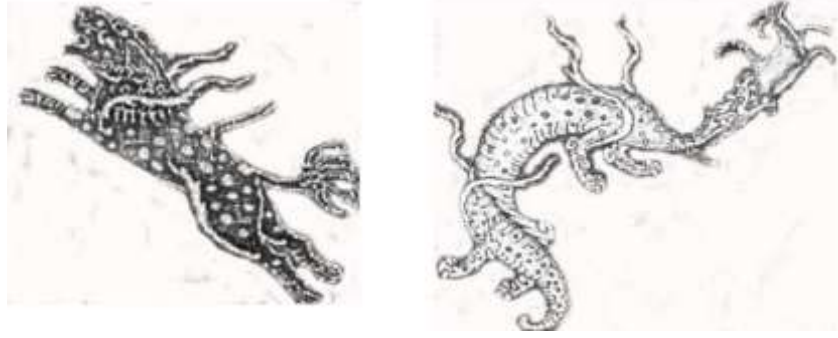
السجاد المغولي الهندي استخدمت فيه العقدة الفارسية وبلغت عدد العقد (٧٠٢) عقدة في البوصة المربعة واحيانا (١٢٥٨) عقدة على غرار السجاد الايراني في عصر الدولة الصفوية في ايران .^{٨٧} من النماذج سجادة تستخدم للتعليق والزينة وهي ذات شكل مستطيل ترجع الى القرن (١٢هـ/٨م) صنعت من الحرير والصوف صنعت في اقليم كشمير محفوظة بمجموعة خاصة المقاس (٩٣×٤٧سم) وهي ذات عقد مفصص وفي اسفل الساحة مزهريه يخرج منها شجرة ما تسمى بشجرة الحياة وعلى جانبي الشجرة الاوراق والفروع والازهار والاوراق الرمحية المسننة وزهرة اللوتس وعلى جانبي الشجرة من اعلى رسم لطائرين من البيئة الهندية مرسومين بطريقة محورة .^{٨٨}



اما عن السجاد ذو المناظر التصويرية ورسوم الحيوانات والطيور والاشكال ادمية فهناك نموذج لسجادة مستطيلة الشكل الساحة الوسطية يحيط بها ثلاث اطارات ترجع الى اواخر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي مصنوعة من الحرير والقطن والصوف صنعت بالمصانع الامبراطورية في مدينة لاهور محفوظة بمتحف الفنون الجميلة ببوسطن القياس (٢٤٣×٥٤سم) .^{٨٩}

نموذج اخر لسجادة المنظر للسجادة عبارة عن اسد ينقض على فريستين من الغزلان وكذلك رسم لحيوان خرافي (جسم حصان ورأس فيل) ينقض على سبعة من الافيال السوداء ذات الشكل المحور كذلك نجد السيمرغ (العنقاء) ينقض على الحيوان الخرافي وهناك مناظر اخرى في السجادة لأشكال ادمية وزخارف عمارية بالإضافة الى الزخارف النباتية المتنوعة .^{٩٠}

كذلك وجدت رسوم الاشكال الخرافية في السجاجيد المغولية الهندية ولعل اهم الاشكال رسم التنين الصيني ورسم العنقاء وكان الفنان يعبر عن التحوير برسم كائن حقيقي مثل الاسد لكن بطريقة محورة بعيدة عن الطبيعة .^{٩١}



صورت الاشكال الحيوانية الخرافية منذ امد بعيد وكان التتين والخطاف ووحيد القرن والقنطروس وابو الهول تزين العمارة والاشياء الاسلامية ومع ان معناها الدقيق قد لا يكون واضحا تماما فقد ظهر الكثير منها كدرء للشر.^{٩٢}

وفي الفن الفارسي ابو الهول والخطاف كانت موجودة في كل مكان في القرنين الثاني عشر والثالث عشر لكنها لا تميل الى الظهور في الادبيات فيما عدا تلك التي تتحدث عن (عجائب الخلق) في حين يبرز التتين في علم الفلك والتنجيم والادبيات حتى القرن ١٤ ، وكان التتين يصور بشكل يبدو فيه كأفعى سميكة ذات اذان وخطوط متجعدة اكثر ما تبدو كالوحوش الحرشفية المتموجة والتي سكنت عالم بعد المغول وتحول وحش السينمورف الايراني القديم بعد الغزو المغولي في القرن ١٣ وهو وحش له رأس اسد وذيل طائر السيمورغ وهو طائر شبيه بالعنقاء وهذان تمتعا بحياة طويلة في الادب الفارسي وتحولت اشكالها بعد القرن ١٤ الى نماذج مستمدة من الفن الصيني وظهر على المدن والعروش (بوابات المدن) والفخار المزجج وغالبا ما يظهر في معركة مع التتين على السجاجيد واغلفة الكتب او وحده على الخزف والزجاج وهو يمثل بركة وقوة.^{٩٣}

اختار الفنان المسلم التحوير لكي يرتفع فوق مرتبة التقليد ولذلك كان له اتجاها جديدا لم يكن معروفا من قبل.^{٩٤}

نماذج من السجاد من العتبتين الحسينية والعباسية المقدستين :

- من النماذج المميزة التي وجدت في العتبتين الحسينية والعباسية التي تحمل الزخارف الحيوانية هي طنفسة بأبعاد (٢,٧٧×٤,٠١ متر). هذه الطنفسة من النوع الكبير الحجم ويغلب عليها الأشكال الحيوانية التي تنتشر فوق أرضية من العناصر النباتية المتنوعة، وتتمثل الأشكال الحيوانية في الطنفسة بالغزلان والأيائل، وهناك موضوع آخر يمثل شجرة على كل من جانبيها أسد يفترس غزالاً. في الإطار الخارجي، يظهر غزلان يقضمان أوراق الأشجار، ويظهر كذلك في الطنفسة طيور مختلفة، وحصان، وكلب، وخروف وغيرها من الحيوانات الأخرى. كالاسماك وغيرها^{٩٥}

الإطاران الصغيران على جانبي إطار واسع يحتويان على نقوش البوطة منقوشة على زخارف نباتية متنوعة. الألوان في الطنفسة تشمل الأحمر، والأصفر، والأسود، والرمادي، والبنّي على أرضية سماوية، العقدة المستخدمة في هذه الطنفسة هي العقدة الفارسية، وتتميز السداة بأنها من القطن واللحمة من الصوف.^{٩٦}

هذه الأنواع من السجاد كانت تُنتج غالبًا في العصور الصفوية في إيران (القرن السادس عشر والسابع عشر)، حيث شهدت هذه الفترة ازدهارًا كبيرًا في فن صناعة السجاد المزخرف الذي يعكس التفاصيل المعمارية والفنية الغنية، بما في ذلك استخدام العقدة الفارسية.



- تحتوي العتبتان الحسينية والعباسية على نماذج مميزة من طنافس الأشجار، ومن بينها طنفسة موجودة في العتبة الحسينية بأبعاد (١,٣٢×٢,١٣ متر). تتميز أرضيتها باللون الأبيض، وتزينها زخارف بالألوان الأصفر والأحمر والأزرق والأخضر والبنّي. تتكون زخارفها من منظر طبيعي غني بالأشجار والطيور والحيوانات، مرتبة بشكل متناظر ومقابل، حيث تبدو الطيور وكأنها جزء من الفروع النباتية، يظهر في الإطار الخارجي رسوم لأشجار وحيوانات متنوعة مثل الغزلان والأوز الذي يسبح في الماء، والطيور التي تجلس على الأغصان، بالإضافة إلى رسم البعير. تتناثر الفروع النباتية والورود المتنوعة بشكل متناسق في التصميم. في مركز الطنفسة، توجد زهرية كبيرة تتفرع منها الأزهار والورود والأغصان النباتية، يحيط بها من الجانبين شجرتان تلتقيان وتتدمجان في الأعلى، وتتفرع منها الأغصان الملونة المزينة بالورود والأزهار المختلفة، في الجزء السفلي من الطنفسة، يظهر مشهد درامي لافتراس حيث يهاجم ذئب غزالاً، وفي الجهة المقابلة يجلس غزال بينما يجري آخر. تتميز الزخارف جميعها بتداخل وتحوير يجمع بين طرازين من الطنافس هما الزهريات والأشجار، مما يجعل هذه الطنفسة من النماذج المتأخرة تاريخيًا. العقدة المستخدمة هي العقدة الفارسية، بينما تصنع السداة من القطن واللحمة من الصوف.^{٩٧}



- قطعة نسيجية فريدة من مدينة مشهد، وهي جزء من طنفسة تعود إلى العتبة الحسينية المقدسة. تتميز بأبعاد كبيرة تصل إلى (٢,٠٠×١,٠٥م) وتشتهر بتصميمها المميز الذي يعتمد على عنصر زخرفي يُعرف باسم "الماهي"، وهو يمثل شكل معين تُحاط به أشكال سمكية تُسمى بالفارسية "ماهي". تتوزع هذه الأشكال بانتظام في جميع أنحاء الطنفسة بشكل متوازن ومتقابل مما يعزز التناظر والجمال في التصميم، أما الألوان المستخدمة في الطنفسة هي الأزرق الغامق كأرضية، بينما تتوزع الزخارف باللونين الأحمر والأصفر. العقدة المستخدمة في النسيج هي العقدة الفارسية، والسداة مصنوعة من القطن بينما تُستخدم الصوف للحمة، مما يعكس براعة وحرفية عالية في الصناعة النسيجية التقليدية.^{٩٨}



- هذه الطنفسة المحفوظة في العتبة الحسينية تأتي من مدينة قم وتتميز بتصميم محرابي واضح. تبلغ أبعادها (١,٥٠×١,٠٣م) وتحتوي في وسطها على شكل محراب بعقد مدبب ومفصص، في وسط المحراب توجد زهرية محاطة بطائرين مثلاً بأسلوب محور حيث ان الرأس رأس غزال والبدن عبارة عن بدن طير، بينما تزين الأشكال النباتية المتنوعة من زهور وأوراق جانبي

الزهرية، اما الألوان المستخدمة تشمل الأبيض كأرضية، في حين أن الزخارف تظهر بألوان البني والأزرق الفاتح والوردي. تُستخدم العقدة الفارسية في صناعة هذه الطنفسة، مع السداة المصنوعة من القطن واللحمة من الصوف. يتميز تصميم الطنفسة بتمثيل الأشكال بأسلوب بعيد عن الطبيعة، مما يضفي طابعاً فنياً فريداً^{٩٩}



• هذا نموذج آخر من الطنافس المحفوظة في العتبة الحسينية المقدسة بأبعاد (١,٩٠×١,١٦م). تتميز هذه الطنفسة باستخدام اللون البرتقالي كأرضية، مع زخارف باللونين الأزرق والبرتقالي، بالإضافة إلى الأبيض والأخضر. الألوان المستخدمة في هذه الطنفسة متأثرة بطرز طنافس قبيلة الشاهسون، وتتميز طنافس قبيلة القاشقاي بتصويرها لأشكال الحيوانات والطيور والزهور المجردة، وتوزيعها بشكل متناسق بأحجام مختلفة في كافة أجزاء الطنفسة. من الأشكال البارزة في هذه الطنفسة، الأوسمة أو المداليات المركزية التي تتكون من ستة أوسمة متصلة. كما يبرز في إطار الطنفسة رسم متكرر لعنصر "البوته المركبة"، وهو أحد أبرز تصاميم القاشقائي المميزة، وتتكون اللحمة من الصوف، والسداة من القطن، وتمت صناعة الطنفسة باستخدام العقدة الفارسية، مما يعكس دقة وحرفية في التنفيذ^{١٠٠}، على أن الحيوان الموجود في وسط السجادة هو على الأرجح من الأشكال الزخرفية المجردة التي تُستخدم في طنافس قبائل القاشقاي، ويبدو أنه يمثل شكل حيوان مثل الغزال أو الأيائل. هذه الأشكال غالباً ما تكون رمزية وتعبر عن التراث والثقافة البدوية لتلك القبائل، وتُظهر هذه الرسوم الحرفية العالية والقدرة على تجسيد البيئة الطبيعية للحيوان بأسلوب فني مجرد، ما يعزز من جمالية التصميم ويضيف إلى الطنفسة طابعاً تقليدياً وفنياً مميزاً. كما أن استخدام هذه الأشكال في السجاد يعكس ارتباط القبائل بالطبيعة والحيوانات التي كانت جزءاً مهماً من حياتهم اليومية وثقافتهم.



• هذه الطنفسة من قبيلة الخمسة المحفوظة في العتبة الحسينية المقدسة، وتبلغ أبعادها (١,٣٧×٩٩,٩٠م). تعتبر قطعة فريدة ومهمة لأنها تُظهر تقاليد القبيلة من خلال استخدام أشكال الدجاج (مرغي) وهو ينقر في الحب، مما يضيف لمسة خاصة وفنية إلى التصميم، أرضية الطنفسة زرقاء اللون، وتزينها زخارف بنية وعاجية مع لمسات من اللون الأصفر. تضم الزخارف مجموعة متنوعة من الأشكال الهندسية متعددة الفلقات، مثل المعينات المتكررة في ساحة الطنفسة، حيث تظهر ثلاث معينات في الوسط. كما أن ساحة الطنفسة مؤطرة من الداخل بعنصر الشرفات المدرجة، مما يضيف عليها عمقاً وتفصيلاً بصرياً، أما إطار الطنفسة يضم زخرفة مكونة من وردات مفصصة تتكرر على طوله بالكامل، وهو ما يضيف لمسة تقليدية وجمالية. تمتاز هذه الطنفسة باستخدام العقدة الفارسية في النسيج، مما يدل على الحرفية العالية في صنعها.^{١١}



- نموذج اخر من السجاد الايراني من قبيلة الخمسة، سجادة تبلغ أبعادها (١,٥٥×١,١٠م). تتميز بأرضية حمراء مع زخارف باللونين الأبيض والأسود، وتتضمن تصاميم هندسية مجردة. من أبرز عناصرها وجود شكل الدجاج (مرغي) وهو ينقر في الحب، وهو رمز شهير لهذه القبيلة يتم تصويره بأسلوب هندسي بعيد عن الواقعية، كما تحتوي الطنفسة على زخارف حيوانية منفذة بشكل محوّر، يبتعد عن تمثيل الطبيعة بشكل دقيق. يحيط بساحة الطنفسة من الداخل شريط يمثل الشرفات المسننة، يتكرر على طول الساحة. في وسط الساحة، توجد كتابة بيضاء تظهر فيها كلمة "يا ال حسين"، وتتألف الطنفسة من ثلاثة إطارات، وهي مصنوعة من القطن الأبيض للسداة والصوف للحمّة، وتعتمد على العقدة الفارسية في النسيج. التشابه بينها وبين الطنفسة السابقة يظهر في استخدام العناصر الزخرفية الهندسية والدقة في الحرفية.^{١٠٢}



- طنفسة اخرى من زنجان، محفوظة في العتبة الحسينية المقدسة، بأبعاد (١,٦٣×٠,٣١م). تتميز بتصميم هندسي دقيق يهيمن عليه شكل المعين المتكرر في ساحة الطنفسة، مما ينتج ثلاثة معينات رئيسية. في وسط كل معين يوجد أصغر بثمانية أضلاع، يحتوي بدوره على وردة رباعية منفذة بأسلوب هندسي محوّر، المعينات الثلاث محاطة بمعين كبير سداسي الأضلاع، وتزين المساحة بين المعينات بعناصر هندسية تمثل السهام المحورة، إلى جانب زهور رباعية الفلقات المحورة وعناصر أخرى على شكل طيور منفذة بشكل هندسي، الطنفسة محاطة بثلاثة إطارات صغيرة؛ اثنان منها مزينان بالورود الرباعية المتكررة، بينما يحتوي الإطار الثالث على زخارف المراوح النخيلية التي تتكرر على طول الإطار. زوايا الطنفسة الداخلية مزينة بعناصر حيوانية محورة وزهور رباعية وشجرة صغيرة، اما الألوان المستخدمة تشمل الأحمر كأرضية، مع زخارف باللونين الرمادي والعاجي. الطنفسة منسوجة باستخدام العقدة الفارسية، مما يعكس دقة الحرفية في تنفيذها.



الخاتمة :

ختاماً، يُظهر استعراض الزخارف الحيوانية والمركبة في السجاد الإسلامي عمق الفن الإسلامي وقدرته على الدمج بين الجمال والرمزية. فقد استطاع الفنان المسلم، برغم القيود الدينية التي قيدت تجسيد الكائنات الحية، أن يبتكر تقنيات وأساليب تعتمد على التحوير والتجريد، مما أسهم في خلق تصاميم فريدة تجمع بين الإبداع والتقوى. ومن خلال المراحل الزمنية المختلفة، تأثرت هذه الزخارف بالعديد من الحضارات مثل الفارسية، البيزنطية، والصينية، مما أضاف غنى وتنوعاً إلى الفن الإسلامي. ظهر ذلك في سجاد التتین القوقازي وسجاد الحدائق الإيراني والسجاد العثماني، حيث استخدمت عناصر مثل التتین، العنقاء، وأنماط الحيوانات المحورة لخلق مشاهد تزرخ بالتعقيد والجمال.

كما عكس السجاد المغولي والهندي تأثيرات الفن الإيراني مع المحافظة على هوية محلية واضحة، خاصة في التفاصيل الزخرفية الدقيقة والتجسيدات الحيوانية الخرافية. بالإضافة إلى ذلك، أظهرت نماذج السجاد في شبه القارة الهندية وأساليب النسيج في القبائل التركمانية مثل قبيلة التكة وقبيلة اليوموت استخدام الزخارف الحيوانية كجزء من هوية ثقافية فنية معقدة. هذه الجهود الإبداعية والرمزية لم تكن مقتصرة على النواحي الجمالية فقط، بل كانت تسعى أيضاً إلى نقل القيم الثقافية والدينية والموروثات التاريخية عبر الزمن، مما جعل السجاد الإسلامي تحفة فنية ذات قيمة تاريخية وأهمية ثقافية عالية تستمر في التأثير حتى يومنا هذا.

المصادر العربية :

١. الازرقى : أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار، تحقيق رشدي الصالح، ط٢، مكة المكرمة، ١٩٦٥، ج١.
٢. الحداد ، عبد الله عبد السلام : مقدمة في الاثار الاسلامية ، جامعة صنعاء ، دار الشوكاني للطباعة ، ٢٠٠٣، ط١ .
٣. الحداد، محمد حمزة :المجمل في الفنون والعمارة، لوحة ٣٢٨/لوحة ٨٦ في رسالة محمد أحمد السجاد الهندي.
٤. حاتم، عماد: أساطير اليونان، الدار العربية، ليبيا - طرابلس، ١٩٨٨.
٥. حميد ، عبد العزيز: السجاد الشرقي وتطوره حتى اواخر القرن العشرين، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان ، ٢٠٢٢.
٦. حسن ، زكي محمد : اطلس الفنون الزخرفية .
٧. خليفة ، ربيع حامد : فن التصوير عند الاتراك الاويغور واثره على التصوير الاسلامي ، كلية الاثار ، جامعة القاهرة ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٦.
٨. دحدوح ، باسم: "التصوير عند العرب والمسلمين بين الاباحة والتحريم في العصور الوسطى " ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية ، مجلد ٢٦ ، عدد ١، ٢٠١٠.
٩. ديمان ، م . س : الفنون الاسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، غير مؤرخ .
١٠. السعدي، سيماء :الطنفس في خزان العتبتين الحسينية والعباسية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ٢٠١٣.
١١. السراج، مي عبد المنعم :الزخرفة والتصاوير على التحف المعدنية في العراق خلال العصور الاسلامية حتى نهاية العصر العثماني، بغداد، ٢٠١٢.
١٢. سومر وحضارتها وفنونها.
١٣. شاك، فون :الفن العربي في اسبانيا وصقلية، ترجمة أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠، ط٢.
١٤. شريقي، زكريا :الفن العربي الاسلامي الجذور والمؤثرات، سوريا، ٢٠١٢.
١٥. الصبيحاي، فرحان: "الرمزية في الفن الاسلامي"، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، عدد ٦٧ كانون الاول، ٢٠١٨.
١٦. الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن احمد: المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط٢، العراق ، الموصل ، ١٩٨٦، ج١٢.

الزخارف الحيوانية والمركبة في السجاد الاسلامي

١٧. عصام، عبد الرؤوف الفقي :بلاد الهند في العصر الاسلامي منذ فجر الاسلام وحتى التقسيم، دار الفكر العربي، ٢٠٠٢، ط٢.
١٨. عبد الجواد، توفيق حمد :العمارة الاسلامية فكر وحضارة، ١٩٨٧.
١٩. عبد الحافظ، عبد الله عطية :الاثار والفنون الاسلامية، القاهرة، ٢٠٠٥.
٢٠. عبده، مصطفى :المدخل الى فلسفة الجمال.
٢١. عكاشة، ثروت : التصوير الاسلامي ، ط١ ، بيروت ١٩٧٧.
٢٢. عرابي ، اسعد : معنى الحداثة في اللوحة العربية ، ص٥٢.
٢٣. العميسي ، فضل محمد : التجسيديات الحيوانية على الاثار في جنوب غرب الجزيرة العربية (اليمن) قبل الاسلام ،اطروحة دكتوراه في الادب تخصص اثار ما قبل الاسلام ، ٢٠١٢ - ٢٠١٣.
٢٤. كاتب، شيلار :الفن الاسلامي، ترجمة حازم نهار، ط١، أبو ظبي، ٢٠١٣.
٢٥. كول، ارنست :الفن الاسلامي، ترجمة أحمد موسى.
٢٦. الكتاب المقدس ، نداء الرجاء ، سفر الخروج ، شتوفارت ، المانيا ، ١٩٩٣ ، الاصحاح العشرون ، الاية ٥٤ ، ص١١٧. نقلا عن : عبد الرحمن، محمود حسين : تأثيرات الفن الاسلامي في الرسم الاوربي الحديث ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الفنون الجميلة ، بغداد ٢٠٠٣.
٢٧. مرزوق، محمد عبد العزيز :الفنون الزخرفية الاسلامية في مصر قبل الفاطميين، القاهرة، ١٩٧٤.
٢٨. ماهر، سعاد :الفن الاسلامي.
٢٩. محمد، محمد أحمد :السجاد الهندي المغولي من خلال التحف الباقية وتصاوير المدرسة المغولية الهندية، رسالة ماجستير، جامعة حلوان، مجلد ١، ٢٠١٣.
٣٠. مرزوق، محمد عبد العزيز : الفنون الزخرفية الاسلامية في مصر قبل الفاطميين ، القاهرة ١٩٧٤ .
٣١. هارتمان، مايكل: الروائع الفنية الاسلامية، ط١، بيروت، ٢٠٠١.

المصادر الاجنبية:

Daneil, s., Walker, oriental rugs of the hajii babas ,network in association with sothebys ,s.d.

Stone, p.f.,the oriental rug lexicon, Washington, 1997.

Eedmann,K., orientalische tierteppiche auf bildern des XIVund
XV jahrhunderts , jahrbuch der preussischen kunstammlungen, Berlin,
1929.

J.V.S.Wilkinson, Indian art "Indian painting " faber and faber
limited ,London .s.d.

الهوامش:

- ^١ عبد الحافظ ، عبد الله عطية : الاثار والفنون الاسلامية ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص ١٢ .
- ^٢ عبد الحافظ ، المصدر السابق ، ص ١٣ .
- ^٣ عبد الجواد ، توفيق حمد: العمارة الاسلامية فكر وحضارة ، ١٩٨٧ ، ص ٦٢ .
- ^٤ دحدوح ، المصدر السابق ، ص ٣ .
- ^٥ الكتاب المقدس ، نداء الرجاء ، سفر الخروج ، شتوفارت ، المانيا ، ١٩٩٣ ، الاصحاح العشرون ، الاية ٥ ، ص ١١٧ . نقلا عن : عبد الرحمن ، محمود حسين : تأثيرات الفن الاسلامي في الرسم الاوربي الحديث ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الفنون الجميلة ، بغداد ٢٠٠٣ ، ص ٢٦ .
- ^٦ الصبيحاي ، المصدر السابق ، ص ٤ .
- ^٧ دحدوح ، المصدر السابق ، ص ٤ .
- ^٨ دحدوح ، المصدر السابق ، ص ٥ .
- ^٩ عكاشة ، المصدر السابق ، ص ١٧ ؛ دحدوح ، المصدر السابق ، ص ٦ .
- ^{١٠} عبده ، مصطفى : المدخل الى فلسفة الجمال ، ص ٩٩ ، ٩٨ .
- ^{١١} الصبيحاي ، فرحان : " الرمزية في الفن الاسلامي " ، مجلة دراسات في التاريخ والاثار ، عدد ٦٧ كانون الاول ، ٢٠١٨ ، ص ٤ .
- ^{١٢} صحيح مسلم ، ج ٢ ، ص ٢٤٨-٢٤٦ .
- ^{١٣} الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن احمد: المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، العراق ، الموصل ، ١٩٨٦ ، ج ١٢ ، ص ١٥٨ .
- ^{١٤} عكاشة ، ثروت : التصوير الاسلامي ، ط ١ ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ١٤ .
- ^{١٥} عبده ، المصدر السابق ، ٩٨-٩٩ .
- ^{١٦} دحدوح ، المصدر السابق ، ص ٧ .
- ^{١٧} القرضاوي ، يوسف: الحلال والحرام ، ص ١١١ .
- ^{١٨} عكاشة : المصدر السابق ، ١٤ .
- ^{١٩} الازرقى : اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ، تحقيق رشدي الصالح ، ط ٢ ، مكة المكرمة ، ١٩٦٥ ، ج ١ ، ص ١٦٥ ؛ دحدوح ، المصدر السابق ، ص ٢ .
- ^{٢٠} دحدوح ، باسم : "التصوير عند العرب والمسلمين بين الاباحة والتحریم في العصور الوسطى " ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية ، مجلد ٢٦ ، عدد ١ ، ٢٠١٠ ، ص ٢ .

- ^{٢١} عكاشة ، المصدر السابق ، ص١٣؛ الصبيحاي ، المصدر السابق ، ص٥.
- ^{٢٢} عكاشة ، المصدر نفسه ، ص١٣.
- ^{٢٣} الحداد ، عبد الله عبد السلام : مقدمة في الآثار الاسلامية ، جامعة صنعاء ، دار الشوكاني للطباعة ، ٢٠٠٣ ، ط١ ، ص١٥٤.
- ^{٢٤} شريقي ، زكريا : الفن العربي الاسلامي الجذور والمؤثرات، سوريا ٢٠١٢ ، ص١١.
- ^{٢٥} شاك ، فون : الفن العربي في اسبانيا وصقلية ، ترجمة احمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ط٢ ، ص٨.
- ^{٢٦} عرايبي ، اسعد : معنى الحداثة في اللوحة العربية ، ص٥٢.
- ^{٢٧} السراج ، مي عبد المنعم : الزخرفة والتصاوير على التحف المعدنية في العراق خلال العصور الاسلامية حتى نهاية العصر العثماني ، بغداد ، ٢٠١٢ ، ص٣٢.
- ^{٢٨} الصبيحاي: المصدر السابق ، ص١٠.
- ^{٢٩} دحدوح، المصدر السابق ، ص ٨.
- ^{٣٠} دحدوح، المصدر السابق ، ٩.
- ^{٣١} كول ، ارنست : الفن الاسلامي ، ترجمة احمد موسى ، ص٦.
- ^{٣٢} ديمانند ، م . س : الفنون الاسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، غير مؤرخ ، ص٣٦.
- ^{٣٣} الصبيحاي: المصدر السابق ، ص١٧.
- ^{٣٤} الصبيحاي: المصدر نفسه ، ص١٧.
- ^{٣٥} Kitchen, 2009, p.243-254, fig 1-2,23.
- ^{٣٦} حاتم ، عماد : اساطير اليونان ، الدار العربية ، ليبيا - طرابلس ، ١٩٨٨ ، ص٢٣٢.
- ^{٣٧} العميسي ، فضل محمد : التجسيديات الحيوانية على الآثار في جنوب غرب الجزيرة العربية (اليمن) قبل الاسلام ، اطروحة دكتوراه في الادب تخصص اثار ما قبل الاسلام ، ٢٠١٢-٢٠١٣ ، ص ٥٥٠.
- ^{٣٨} العميسي ، المصدر السابق ، ص ٥٥٢.
- ^{٣٩} الحداد ، المصدر السابق ، ص ١٧٠.
- ^{٤٠} سومر وحضارتها وفنونها، ص٢٨٧.
- ^{٤١} شريقي ، المصدر السابق ، ص٦٨.
- ^{٤٢} بلاد اشور ، ص ١٧٦؛ شريقي ، المصدر السابق ، ص ٧٠.
- ^{٤٣} الحداد ، المصدر السابق ، ص ١٧٥.
- ^{٤٤} ابو شقرا . ص١٦٢-١٦٣ . الصورة في صفحة ١٦٣.
- ^{٤٥} Stone,p.f.,the oriental rug lexicon, Washington, 1997,p.171.
- ^{٤٦} السعدي، سيماء : الطنافس في خزان العتبتين الحسينية والعباسية، اطروحة دكتوراه ، 2013 جامعة بغداد، ص ٢١.
- ^{٤٧} السعدي، المصدر السابق، ص ٢٢.
- ^{٤٨} مرزوق، محمد عبد العزيز : الفنون الزخرفية الاسلامية في مصر قبل الفاطميين ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٨٢.
- ^{٤٩} حميد ، عبد العزيز: السجاد الشرقي وتطوره حتى اواخر القرن العشرين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ٢٠٢٢ ، ص٥٥.

- ^{٥٠} حميد ، المصدر السابق، ص٣٠.
- ^{٥١} حميد ، المصدر نفسه، ص٣١.
- ^{٥٢} السعدي، المصدر السابق، ص٢٥.
- ^{٥٣} حميد ، المصدر السابق، ص٣١.
- ^{٥٤} حميد ، المصدر نفسه، ص ٣١.
- ^{٥٥} Atil, Esin, op. cit, p.44.
- ^{٥٦} حميد ، المصدر السابق، ص١٣٠.
- ^{٥٧} حميد ، المصدر السابق، ص١٣٠.
- ^{٥٨} حميد ، المصدر السابق، ص١٣٠.
- ^{٥٩} Atil, Esin, op. cit, p.44.
- ^{٦٠} حميد ، المصدر السابق، ص١٣٠.
- ^{٦١} Opie,james,trial rugs ,p.62
- ^{٦٢} حميد ، المصدر السابق، ص١٣٩.
- ^{٦٣} حميد ، المصدر نفسه، ص١٣٠.
- ^{٦٤} Opie,james,trial rugs ,p.62.
- ^{٦٥} حميد ، المصدر السابق، ص٢١٠.
- ^{٦٦} Erdmann. Op.Cit., 169, fig.211.
- ^{٦٧} حميد ، المصدر السابق، ص٢١٠.
- ^{٦٨} حميد ، المصدر السابق، ص٢١٠.
- ^{٦٩} حميد ، المصدر نفسه، ص٢١٠.
- ^{٧٠} Erdmann,k,op.cit.,p.132,fig.,161.
- ^{٧١} حسن ، زكي محمد : اطلس الفنون الزخرفية ، ص٤٨٤.
- ^{٧٢} Demirel, H.H., Op.Cit., p.327.
- ^{٧٣} Erdmann, Op.CIT., p.154.
- ^{٧٤} Schurmann,Op.Cit., fig. 12.
- ^{٧٥} Eedmann,K., orientalische tierteppiche auf bildern des XIVand XV jahrhunderts , jahrbuch der preussischen kunstammilungen, Berlin, 1929,pp.261-298.
- ^{٧٦} حميد ، المصدر السابق، ص١٠٩.
- ^{٧٧} حميد ، المصدر السابق، ص٢٦٢.
- ^{٧٨} حميد ، المصدر السابق، ص٢٦٢.
- ^{٧٩} حميد ، المصدر السابق، ص٢٦٢.
- ^{٨٠} حميد ، المصدر نفسه ، ص٢٢٠.
- ^{٨١} حميد ، المصدر السابق، ص٢٦٢.

- ^{٨٢} خليفة ، ربيع حامد : فن التصوير عند الاتراك الاويغور واثره على التصوير الاسلامي ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٥٥ .
- ^{٨٣} خليفة ، المصدر السابق ص ٥٥ .
- ^{٨٤} خليفة ، المصدر نفسه ، ص ٥٧ .
- ^{٨٥} عصام ، عبد الرؤوف الفقي : بلاد الهند في العصر الاسلامي منذ فجر الاسلام وحتى التقسيم ، دار الفكر العربي ، ٢٠٠٢ ، ط ٢ ، ص ٣٢٨ .
- ^{٨٦} Daneil ,s.,walker, oriental rugs of the hajii babas ,newyork in association with sothebys ,s.d,p.45.
- ^{٨٧} م.س ، ديماندا : الفنون الاسلامية ، ص ٢٩٧ .
- ^{٨٨} محمد ، محمد احمد : السجاد الهندي المغولي من خلال التحف الباقية وتصاوير المدرسة المغولية الهندية، رسالة ماجستير ، جامعة حلوان ، مجلد ١ ، ٢٠١٣ ، ص ١٢٢ .
- ^{٨٩} الحداد ، محمد حمزة : المجمل في الفنون والعمارة ، لوحة ٣٢٨/لوحة ٨٦ في رسالة محمد احمد السجاد الهندي .
- ^{٩٠} محمد ، محمد احمد : السجاد الهندي المغولي من خلال التحف الباقية وتصاوير المدرسة المغولية الهندية، رسالة ماجستير ، جامعة حلوان ، مجلد ١ ، ٢٠١٣ ، ص ١٢٢ .
- ^{٩١} J.V.S.Wilkinson, Indian art "Indian painting " faber and faber limited ,London .s.d .
- ^{٩٢} كاتبي ، شيلار : الفن الاسلامي ، ترجمة حازم نهار ، ط ١ ، ابو ظبي ، ٢٠١٣ ، ص ٦٦ .
- ^{٩٣} كاتبي ، المصدر نفسه، ص ٦٨ .
- ^{٩٤} ماهر ، سعاد : الفن الاسلامي ، ص ٢٠٢ .
- ^{٩٥} السعدي، المصدر السابق، ص ٢٠٠ .
- ^{٩٦} السعدي، المصدر السابق، ص ٢٠٠ .
- ^{٩٧} السعدي، المصدر نفسه، ص ٢٠٠ .
- ^{٩٨} السعدي، المصدر نفسه، ص ٢٠٠ .
- ^{٩٩} السعدي، المصدر السابق، ص ٢٠٠ .
- ^{١٠٠} السعدي، المصدر نفسه، ص ٢١٠ .
- ^{١٠١} السعدي، المصدر السابق، ص ٢١٠ .
- ^{١٠٢} السعدي، المصدر السابق، ص ٢١٥ .

النشاط الاقتصادي لعناصر السكان في
العصر الفاطمي اهل الذمة أنموذجا

أ. م. د. مصرية تعبان مهدي

مدرسة الوادي الأخضر الابتدائي. المديرية العامة للتربية في
محافظة بغداد الرصافة / الثالثة. وزارة التربية . العراق بغداد .

البريد الإلكتروني: masriay5481@gmail.com

رقم الجوال: ٠٠٩٦٤٧٩٠١٦٨٧٨٨٥

النشاط الاقتصادي لعناصر السكان في العصر الفاطمي أهل الذمة أنموذجاً

أ. م. د. مصرية تعبان مهدي

الملخص: كما حدده القرآن الكريم والسنة النبوية، فإن من تراثنا الثقافي الإسلامي معاملة أهل الذمة (الذميين) بالعدل والإنصاف في المعاهدات والاتفاقيات. وقد أصبح هذا النهج، في معظمه، نهجاً سار عليه الخلفاء الفاطميون. وقد مثّلت الخلافة الفاطمية نموذجاً ساطعاً لهذه المعاملة والتسامح مع أهل الذمة. ولم يقتصر هذا التسامح على مشاركتهم في الخدمة العامة، بل شمل مشاركة أهل الذمة في الخدمة العامة للدولة الفاطمية في مصر، متمثلة في جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والإدارية وغيرها.

الكلمات المفتاحية: العصر الفاطمي، المجتمع الفاطمي، النشاط الاقتصادي، أهل الذمة

Ministry of Education

Directorate General of Education in the province of Baghdad Rusafa / the Third

The economic activity of the population in the Fatimid era, the People of the Covenant (dhimmis) as a model

Assoc.Prof.Dr. Masriaya Taban Mahdi

Green Valley Primary School. Directorate General of Education in the province of Baghdad Rusafa / the Third. Ministry of Education. Iraq. Baghdad.

E-mail address:

masriay5481@gmail.com. Mobile Number: 009647901687885

Abstract: As defined by the Holy Quran and the Prophet's Hadith, part of the Islamic cultural heritage is the fair and just treatment of the People of the Covenant (dhimmis) following treaties and agreements. This approach became, for the most part, a path adhered to by the Fatimid Caliphs. The Fatimid Caliphate represented a shining example of this treatment and tolerance of the People of the Covenant. This treatment was not limited to their participation in public service but instead included the participation of the People of the Covenant in the public service of the Fatimid state in Egypt, represented in economic, social, administrative, and other diverse aspects of life.

Keywords: Fatimid era, Fatimid society, economic activity, people of the Covenant (dhimmis)

المبحث الأول: النشاط الزراعي

الزراعة من أهم أوجه النشاط الاقتصادي في مصر الفاطمية ، وكان لأهل الذمة ولاسيما النصارى الأقباط ، أثر لا يستهان في هذا المجال ، لكونهم سكان البلاد الأصليين ، ومن ثم كانوا أعلم بحال أراضيهم وما تتطلبه هذه الأراضي من العمارة والعناية بها إلى جانب معرفتهم بما يوافقها من أنواع المحاصيل الزراعية ^(١) . وعندما فتح العرب مصر سنة (٢١هـ/٦٤٢م) ، أبقوا أراضي مصر بيد أصحابها من أهل الذمة وأجريت مجرى البلاد المفتوحة صلحا ، وتقول الروايات ، إن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ترك أرضهم مقابل دفعهم الخراج ، فضلا عن الجزية ^(٢) .

وإن الفاطميين في مصر (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م) ، لم يحدثوا تغييرا يذكر في نظم الزراعة ، بل استمر على النظام السابق ^(٣) . وعند وصول جوهر الصقلي ، احتفظ لمولاه الخليفة المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٥م) ، بالأوضاع السائدة وقتذاك وأقر باحترام مبدأ الملكية الخاصة للمصريين في أموالهم المنقولة والثابتة ، مقابل الطاعة ودفع الضرائب ^(٤) . وقد كفل ذلك بصيغة الأمان الذي أصدره ، وما يعيننا من أمان جوهر العبارة التي تعهد جوهر بموجبها : ((ولكم عليّ الوفاء بما ألتزمته ، وأعطينكم إياه عهد الله ، وغلظ ميثاقه وذمة أنبيائه ورسله ، وذمة الأئمة موالينا المؤمنين قدس الله أرواحهم وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله ... وتلزمون ما أمرتم به)) ^(٥) .

والحق أن جوهر الصقلي لم يتعرض لأصحاب الأراضي الزراعية والبساتين والحدائق التي امتلكوها في أنحاء البلاد أو التي كانت في حوزة الكنائس والأديرة أو الموقوفة عليها ، وأن زراع هذه الأراضي لم يصبهم ضرر أو ملاحقات ، عندما صودرت اقطاعات ، وزرع بعضها على كبار رجال الدولة لاستغلالها من دون منحهم الحق على حيازتها وفي ظل ذلك الوضع قام الملاك بأمور صيانة الأرض وريها ، ودفعوا مستحقات الدولة وعادت معظم الأراضي التي زراعتها الأوائل وعادت إلى متقبلي الضمان القيام بجباية الخراج ^(٦) . وكان كبار رجال الدولة من أهل الذمة ممن ناله أنعام الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) ، مثلا اقطع يعقوب بن كلس اقطاعات كبيرة في مصر والشام ^(٧) .

والى جانب تأمين أملاك المزارعين المصريين وحقوقهم بموجب الأمانات التي منحت لهم وتقويض الاقطاعات الجديد لكبار رجال الدولة ، فقد شرع الفاطميون بإصلاحاتهم الزراعية لتحقيق أكبر الإيرادات الخارجية ، ومن هذه الإصلاحات :

١. السماح لموظفي الدولة بالتدخل في عموم البلاد للإشراف على جباية الخراج وتحديد مقاديره على وفق موقع الأراضي وطريقة السقي ونوع المحصول .
٢. إعادة النظر فيه دوريا تحقيقا لمصالح الفلاحين ^(٨) .

٣- منع الخليفة المعز (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٥م) ، تداول النداء لزيادة النيل ليدفع القلق عن الناس وما يترتب عليه من الامتناع عن بيع الغلال والمحاصيل حماية للناس من غلاء الأسعار^(٩) . وقد نسب التكهن بمعرفة زيادة النيل إلى الأقباط بسبب معرفتهم باختلاف وزن نوع معين من طين نهر النيل .

٤. أمر المعز قائده جوهر بتجديد الجسور والقناطر والعناية بها بغية تنظيم طرق الإرواء والري لزيادة مساحة الأراضي المزروعة^(١٠) ، ونسب إليه أنه ضاعف ضريبة الأرض ، إذ بعد أن كان الخراج ثلاثة دنانير ونصف ، فجعلها جوهر سبعة دنانير^(١١) ، وهو أمر مستبعد^(١٢) ، إذ ليس من المعقول أن يستهل جوهر عهدا جديدا بعمل كهذا في الوقت الذي يسعى فيه لاستمالة الشعب المصري^(١٣) .

ولعل الظروف الجديدة وكثرة نفقات الإصلاح الزراعي دفعت الخلافة الفاطمية إلى زيادة ضريبة الخراج ، كما زيد مقدار القبالات والضمان حتى بلغ مردود الخراج لسنة (٣٥٩هـ/٩٧٥م) (٣,٤٠٠,٠٠٠) دينار ، وفي سنة ٣٦٢هـ ، بلغ مقداره على يد يعقوب بن كلس أربعة ألف ألف دينار ، علما أن نظام القبالة كان معمولاً به قبل الفاطميين^(١٤) .

وفي خلافة العزيز (٣٨٦هـ/٩٩٩م) ، بلغ خراج مصر على يد يعقوب بن كلس إلى ثلاثة آلاف ألف دينار . وقد جباها الحاكم بأمر الله (٤١١هـ/١٠٢١م) ، ثلاثة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار^(١٥) . في حين بلغ الخراج في خلافة المستنصر (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٣م) ، ألفي ألف دينار ، وعلى العموم فإن واردات الخراج في مصر كانت متغيرة بحسب موسم الزراعة وسيرة الولاة في جباية الضرائب وأمان مياه نهر النيل^(١٦) .

أوقاف دور العبادة عند أهل الذمة من الأراضي الزراعية :

تمتعت الأديرة والكنائس في مصر بالأموال الموقوفة كالأراضي الزراعية والبساتين والأنعام وغيرها للنفقة في تعمیرها وتأمين حاجة القائمين على خدمتها وسكانها من الرهبان والراهبات ، وكان معظم مصادر هذه الأوقاف إعانات من الدولة الفاطمية ، وهي إما أن تكون من أملاك الخلفاء أو ترصد لها الأموال من الدواوين .

وعند استقصاء حال هذه الأديرة نجد أن (دير سانت كاترينا)^(*) في طور سيناء ، كانت تزيّنه كثرة المزارع والبساتين حوله وإن الأراضي الزراعية قد أوقفت عليه من الخليفة في مصر والشام رعاية له . وهناك دير (ابنا أندونة) الواقع بشرقى أطفح ، وقد أوقفت عليه أملاك وبساتين في كل مصر وأطفح ، وكان دير (سلموط) بأشمونين ، قد أوقف عليه الخلفاء الفاطميون أراضي زراعية بمساحة عشرين فدان وبستانا كبيرا من الفاكهة ، في حين كان دير (شهران) له من الأوقاف التي أوقفها الخليفة عليه بستان بمساحة ستة أفدنة ، وأراضٍ زراعية أخرى . والظاهر أنه كان مكانا للنزهة والتمتع ، حتى أن الخليفة

الحاكم بأمر الله كان كثير التردد عليه ^(١٧) .

وأفادنا المؤرخ أبو صالح الأرمني بقوله : إن معظم كنائس مصر وأديرتها ، كانت بحوزتها أوقاف من الأراضي الزراعية والبساتين ، بمساحات واسعة لتغطية نفقاتها في العمارة من جهة ، وسد حاجة القائمين على خدمتها ، من جهة أخرى ^(١٨) ، حتى أن أحد تجار الأقباط من مدينة (فقط) ^(*) أوقف على أحد الأديرة فيها أربعين زوجا من البقر لتدور في سواقي أراضي الدير لترويتها . ولعل في هذا العدد الكبير من الحيوانات الموقوفة إشارة إلى سعة الأراضي الزراعية التابعة لهذا الدير ، وذلك يشير إلى كثرة ريع هذه الأراضي والأموال المستحصلة منه ^(١٩) .

إجراءات الخلافة الفاطمية في مكافحة ارتفاع الأسعار :

اشتد الغلاء سنة (٣٩٨هـ/١٠٠٧م) من جراء قصور النيل ، إذ بلغ حينها أربعة عشر ذراعا ، فهلك الزرع واشتكى الناس من قلة الخبز وغلاء الدقيق والأرز خاصة ^(٢٠) .

وعلى أثر هذا استغاث الناس بالحاكم ، فخرج لهم من " باب البحر " ^(*) ، ووقف وقال : ((أنا ماضٍ إلى جامع راشدة ، فأقسم بالله لئن عدت فوجدت في الطريق موضعا يطؤه حماري مكشوبا من الغلة لأضربن رقبة كل من يقال لي أن عنده شيئا منها ولأحرقن داره وأنهبن ماله)) ^(٢١) . ثم توجه ومكث إلى آخر النهار فما بقي احد من أهل مصر والقاهرة وعنده غلة إلا حملها من بيته حتى بلغت أجرة الحمار في حمل النقلة الواحدة دينارا ، فامتألت عيون الناس وشبعت نفوسهم ^(٢٢) . حتى أنه في أحد الأزمات التي مرت على البلاد عمل شونه ^(**) ، أعدت لحرق الكتاب وأصحاب الدواوين من المسلمين والنصارى المتلاعبين بقوت المسلمين ، فأسرعوا يقبلون الأرض للصفح عنهم ووصلوا إلى القصر فوقفوا على بابه يدعون ويتضرعون ويضجون ويسألون العفو عنهم . فأعطى الحاكم خطابات أمان من نسخ ثلاث للمسلمين والنصارى واليهود على أن لا يرفعوا الأسعار ويوفروا المحصول ^(٢٣) .

وفي خلافة الظاهر بإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢١-١٠٣٦م) ، لم تتعرض ممتلكات أهل الذمة لأي مضايقات أو مصادرات ، بل أطلق ما بقي من أوقاف الكنائس والأديرة وأملاكها ، التي لم تكن قد ردت إليها إبان خلافة الحاكم بأمر الله ^(٢٤) . وأصدر سجلا في شهر محرم سنة (٤١٥هـ/١٠٢٤م) بأن يحفظ للرهبان اليعاقبة مالهم من ((زرع وغلة وعوامل في سائر النواحي)) ، وأن تضاف الأراضي الموقوفة على أديرتهم ، وذلك تأكيدا لسياسة التسامح الديني التي نعموا بها في عهد الخلفاء الفاطميين الأوائل في مصر ^(٢٥) ، كذلك أصدر أمرا منع فيه ذبح الأبقار السليمة من العاهة إلا في أيام الأضحية ، فتوقف الناس عن ذبح الأبقار في أوقات المجاعات ، وكانوا يفعلون ذلك خشية أن لا يجدوا لها علفا في زمن الجذب والقحط ^(٢٦) . وقد أصدر أمرا في سنة (٤١٧هـ/١٠٢٦م) ، قال فيه : ((إن الله بسابغ نعمته وببالغ

النشاط الاقتصادي لعناصر السكان في العصر الفاطمي اهل الذمة أنموذجا

حكّمته خلق ضروب الأنعام ، وعمل فيها منافع الأنعام فوجب أن نحمي البقرة المخصصة بعمارة الأرض ، المذلة لمصالح الخلق فإن ذبحها غاية الفساد وإضرار للعباد والبلاد)) (٢٧).

وبانتقالنا إلى خلافة المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٤م) ، وتحديدًا في وزارة بدر الجمالي (٤٥٥هـ/١٠٦٣م) ، أطلق الخراج للمزارعين ثلاث سنوات حتى تتحسن أحوالهم ، وقد ساعدتهم على زراعة البلاد عودة فيض النيل فبلغ ارتفاع الماء ثمانية عشر ذراعاً (٢٨).

ومن مشاريع الدولة في التخفيف من الغلاء هو إنشاء مشاريع للري والارواء لزيادة المساحات المزروعة ، ومنها ما فعله أبو المنجا - وهو من أهل الذمة - ، إذ برز في خلافة الأمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٥هـ/١١٠١-١١٣٠م) ، ووزيره الأفضل بن بدر الجمالي سنة (٤٩٦هـ/١١٠٢م) ، حينما كان يتولى أمر الزراعة في بعض نواحي مصر . وأبدى هذا الرجل عناية عظيمة بشؤون الزراعة وعمارة الأراضي ، فلم يكن الماء يصل إلى بلاد الشرقية إلا بصعوبة وجهود شاقة ، فكان يؤدي ذلك إلى شحة الماء في تلك الجهات . وكان أبو المنجا مشرفاً على الزراعة في هذه النواحي ، فشكا إليه الفلاحون هذا الأمر وسألوه شق قناة من النيل لتصل المياه إلى أراضيهم ، فبدأ بتحقيق ذلك في السادس من شعبان من سنة (٥٠٦هـ/١١١٢م) (٢٩).

واستمر العمل في شق هذه القناة سنتين ، وفي كل سنة يتضح للجميع فائدة هذه القناة ، وما يترتب عليها من ارتفاع جباية هذه النواحي ، وقد أنفق أبو المنجا في حفر هذه القناة أموالاً طائلة ، من عائدات الدولة ، حتى أن الوزير الأفضل أراد أن ينسبها إلى نفسه بسبب فائدتها الزراعية ، لكن الناس لم يرغبوا في ذلك ، وعرفت هذه القناة باسم منشئها أبي المنجا (٣٠).

ومن جانب آخر جدد الأفضل بن بدر في وزارته أيضاً حفر خليج أمير المؤمنين سنة (٥٠٢هـ/١٠٠٨م) ، وجعل حفره بأبقار البساتين التي عليه ، وأقام للإشراف عليه ومنع الناس من أن يطرحوا فيه شيئاً يؤثر في صلاحيته الزراعة (٣١).

وفي خلافة الحافظ (٥٢٥-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م) ، حدث في مصر فيضان سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥م) ، وبعد زوال خطره دعي جماعة من العدول والكتاب النصارى إلى الولايات والأعمال للاطلاع على حال الأراضي المروية بالفيضان وتقدير خراجها وكتابة كل المصروفات . ومن الملاحظ أن الخبرة الزراعية التي كان يتمتع بها أهل الذمة يسرت لهم العمل بالأراضي الزراعية في العصر الفاطمي ، وقد زاد من تصرفهم في مساحات واسعة من الأراضي أن المسلمين كانوا يؤجرون أراضيهم إلى المزارعين الأقباط بمبالغ زهيدة (٣٢).

والظاهر أن الخلفاء الفاطميين يعزّون سبب ارتفاع الأسعار إلى تجار الغلال وسماسرتهم ، وعليه

فحالات الغلاء في معظمها غير طبيعية ، بل هي من فعل المختزنين والمحتكرين ، لذا لم يتوان هؤلاء الخلفاء من أخذهم بما كانوا يستحقون من العقاب .

أبرز المحاصيل الزراعية وإسهام أهل الذمة في توفيرها :

يتوزع السكان من أهل الذمة في ريف مصر وقراها ، إذ كان كثير من قرى الريف المصري يسكنها النصارى ، ويغلب الأقباط على الفلاحين من سكانها ^(٣٣) ، وقد امتلكوا الأراضي الزراعية والضياع والاقطاعات بجانب أراضي الكنائس والأديرة التي يستغلها الرهبان ^(٣٤) .

أسهم الفلاحون من أهل الذمة بقدر كبير في الإنتاج الزراعي وأثروا وتأثروا بالسياسة الزراعية لمصر في العصر الفاطمي ، فقد زرعت في أملاكهم الكثيرة بالمحاصيل الزراعية كالقمح ، والكتان ، وقصب السكر ، والزيتون والخضراوات والبقول ، إلى جانب بساتين الفواكه ، مثل : الكروم والرمان والتفاح والكمثرى ، والتين ، فضلا عن أشجار النخيل ، وزراعة عجائب الزهور والورود وغرس الأشجار ^(٣٥) ، كذلك توفرت المراعي الواسعة إذ اشتغل بعض أهل الذمة برعي الأغنام ^(٣٦) .

ويرى احد الباحثين المحدثين أن هناك بعض المحاصيل التي أنتجت بظروف اجتماعية واقتصادية في مصر الفاطمية منها : الكتان الذي انتشرت زراعته في الأرض المنخفضة ، التي تغمرها المياه مدة طويلة ، والتي يغلب الأقباط على سكانها ^(٣٧) ، مثل : مناطق الفيوم ^(*) ، وأسيوط ^(**) ، والمينا ^(***) ، والدلتا فتسبب ذلك بكثرة مصانع النسيج وعماله من الأقباط ، وكان لابد من العناية بهذا المحصول نظرا للإقبال الشديد على المنسوجات الكتانية في العصر الفاطمي ^(٣٨) .

أما زراعة النيلة التي انتشرت في الصعيد الأعلى ^(٣٩) ، فهي من المنتجات التي لا يقدر على زراعتها إلا الأغنياء من الفلاحين من أهل الذمة وذلك لحاجتها إلى رعاية خاصة وتكاليف مالية ^(٤٠) .

وقد توسع المصريون في زراعة قصب السكر في مناطق الصعيد والفيوم ، إذ يكثر الفلاحون من الأقباط ، وتكثر معاصر القصب لشدة الطلب عليه لإنتاج السكر والحلوى تمشيا مع سياسة الحكومة التي كانت تعنى بالأعياد والمناسبات الدينية ^(٤١) .

لم تحظ بعض المزروعات والمصنوعات بالعناية نفسها في عهود الخلفاء الفاطميين كافة ، وإنما تعرض بعضها للخطر والمنع لأسباب دينية ، ففي عهد الخلفية الحاكم بأمر الله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) ، صدرت عدة مراسيم تتعلق بمنع بيع العسل الأسود ، الذي يعمل به أهل الذمة وكسر جراره ورميها في النيل خوفا من أن تصنع منه المسكرات ^(٤٢) ، فقلّ بذلك وجود العسل واختفى من الأسواق وارتفع سعره ، وكذلك شملت قرارات المنع زراعة أشجار العنب ، وقطعت بساتينه لئلا تكون سببا في صناعة الخمر ، ولعل تصرف الخليفة الحاكم بإزاء منع صناعة العسل الأسود دفعا لصناعة الخمر والمسكرات ، وكذلك

النشاط الاقتصادي لعناصر السكان في العصر الفاطمي أهل الذمة أنموذجا

منع زراعة الكروم تتدرج في سياسته الجائرة مع أهل الذمة في مرحلة من تاريخ حكمه، ولعلها تعود إلى أسباب صحيّة زالت بزوال مسوغاتها ، لكنها تتطوي تحت علل الاستجابة لتوجيهات الشرع الإسلامي^(٤٣).

وبانتهاء عصر الحاكم بأمر الله ازدادت العناية بزراعة الكروم وقصب السكر وصناعة العسل، ولا أدلّ على ذلك من قول ناصر خسرو الذي زار مصر حتى في خلافة المستنصر بالله(٤٢٧-٤٧٨هـ/١٠٣٦-١٠٩٤م)، ما نصه ((وتنتج مصر عسلا كثيرا وسكرا))^(٤٤).

وقد اشتهر الريف المصري بكثرة مزارع الكروم لعناية الفلاحين الأقباط بزراعته في أراضيهم، وقد اشتهرت أديرة النصارى بزراعة مساحات واسعة منه، داخل بساتين الأديرة أو بالأراضي التي في حوزة الأديرة لسد احتياجات الرهبان للأكل أو صناعة الزيت والخمور^(٤٥).

وفي خلافة المستنصر بالله شهدت زراعة الكروم عناية واسعة، نظرا للتوسع في إنتاج الخمور مع عودة العناية بالأعياد والمناسبات المختلفة وإقبال الرعية من أهل الذمة و المسلمين على شرب المسكرات^(٤٦).

وفي ظهيرة الفسطاط يزرع فلاحوها من القبط البلسم وهو مزروع شكله كالقضبان يستخرج منه دهن البلسان، وهم يأكلون لحاءه طلبا لحرارة الطعم وكانت أديرتهم كثيرة واسعة؛ لأنهم أهل ثراء ويسار^(٤٧).

أما قرية(الأمن) وهي الموضع الذي خرج منه موسى عليه السلام وبنو إسرائيل وتفجرت فيها اثنتا عشرة عينا، وتقع على بعد يومين من الطور فيها دير للنصارى ومزارع كثيرة تزرع فيها مختلف المحاصيل^(٤٨).

وعن عناية المصريين وحبهم للزراعة ، يحدثنا ناصر خسرو عن أحد المزارعين الأقباط الذي غرس حديقة فوق سطح بيته ازدهرت وأثمرت وآخر ربّى عجلا على سطح منزله، وكانت هذه المزارع تسقى عن طريق رفع المياه من النيل بالنواعير^(٤٩).

والظاهر أن الزراعة على المرتفعات كانت معروفة عند الأقباط لأنهم يتمتعون بالخبرة الزراعية الموروثة بهم من دون غيرهم من الطوائف الأخرى.

وإذا كان المصريون قد عنوا بزراعة المحاصيل ذات الصفة الصناعية، فهم إلى جانب ذلك عنوا بزراعة بعض الأشجار الطويلة التي تدخل في صناعة السفن الحربية والتجارية بتشجيع من الدولة، أو للانتفاع من أخشابها في بناء الدور والقصور والمنشآت الأخرى، بل حتى أن بعضها يستهلك في الوقود. كذلك أولى المصريون عناية خاصة في زراعة أنواع من الفواكه كالليمون(التفاحي) لمذاقه وطيب طعمه من دون أن يضاف له السكر^(٥٠).

وتقديرا لأثر الفلاحين في سد حاجة هؤلاء بحسن معاملة الدولة الفاطمية لهم، وكان التسامح واللين والرعاية من سمات معاملة الخلافة الفاطمية لهم، فلم يتركوا تقدير الضرائب للمتقبلين والمقطعين، بل حددت فئاتها وأصبح تسعير القمح وغيره من المواد الغذائية سياسة فرعية عند الفاطميين، قصد منها حماية الطبقة الفقيرة من أهل المدن، ومنعت الدولة المرابين والمضاربين من شراء المحصول قبل الحصاد بثمن لا يخدم مصالح الفلاحين، وهو ما يعرف ببيع (المحاكلة)، وبيع الزرع قبل نضجه^(٥١).

وقد امتدح الكتاب الأوروبيون سياسة الفاطميين بإزاء الفلاحين، فقال بعضهم: إن التسامح كان طابع حكمهم، وإن معاملة الشعب على أيديهم كانت خيرا منها على يد سواهم ممن حكم^(٥٢).

المبحث الثاني : الصناعة

لعل التطور الكبير في تجارة مصر الدولية، يرجع إلى افتتاح أسواق جديدة لها إلى جانب الرفاهية العالية للبلاط الفاطمي، قد أديا إلى ازدهار مختلف الصناعات في مصر^(٥٣).

فقد شهدت مصر في العصر الفاطمي نهضة صناعية كبرى لم تشهدها البلاد قبل مجيء الفاطميين، حين تنوعت الصناعات واستحدثت أخرى وتميزت بإتقان الصنعة^(٥٤).

ومن المفيد القول إن مصر نعمت في ظل الخلافة الفاطمية باستقلال السياسي الكامل، وذلك عجل بدفع التطور بخطى ثابتة وسريعة لبناء صرح اقتصادي مصري شامخ في ظل خلافة قوية^(٥٥).

ولما كان الأقباط عماد الصناعة في مصر في ذلك الوقت، فقد كانت لسياسة التسامح التي اتبعها أكثر الخلفاء الفاطميين أثر كبير في أن يجد الأقباط أنفسهم آمنون على أموالهم، إذ كان وراء هذه الروح الجديدة في التسامح رغبة للفاطميين في استغلال مهارة الأقباط في ازدهار الإنتاج الصناعي^(٥٦)، فجذب هذا الازدهار كثيرا من العمال الأجانب الذي استقدمهم الفاطميون من بلادهم واجتذبوهم بالرواتب المغرية، فضلا عن استعانة الفاطميين ببعض الأسرى الأجانب في ميدان الصناعة^(٥٧).

وقد ذهب أحد المؤرخين إلى القول إن أهل الذمة في مصر كانت في أيديهم معظم الصناعات المصرية، وإن الصناع الأقباط مهيمون على تلك الصناعات ولهم اليد الطولى في كثير من فنون الصناعة في العصر الفاطمي^(٥٨).

وفيما يأتي أشهر الصناعات ومراكزها التي برع فيها أهل الذمة:

كانت عناية الخلفاء الفاطميين عظيمة بصناعة النسيج التي تعدّ . من دون منافس . فخر الصناعة المصرية في العصر الفاطمي^(٥٩). وقد حمل لواء هذه الصناعة أقباط مصر مدة طويلة^(٦٠)، إذ كانت صناعتها منتشرة في الأقاليم الغنية بمواردها، ويفسر ازدهار هذه الصناعة بحياة الترف التي أدت إلى التألق في الملابس إلى جانب شيوع عادة الخلع على رجال الدولة^(٦١)، تركزت صناعة النسيج في المدن التي كان الأقباط يؤلفون فيها معظم السكان^(٦٢)، منها: تنيس والإسكندرية ودمياط والقيس^(*)، ودبيق^(**)، والفرما^(*)، والأشمونين، والبهنسا^(**).

ومن واجبات الدولة أن تشرف على هذه المصانع التي كان أكثر عمالها من القبط النصارى، وكان الخلفاء يأمرهم بجودة صناعة المنسوجات فاخرة لإهدائها إلى الأمراء والملوك الذين كانوا يخطبون ودهم أو تربطهم بهم علاقة الصداقة وحسن الجوار^(٦٣).

وقد كان الخلفاء يعلمون حق العلم أن قياصرة بيزنطة والأمراء والحكام في أوروبا الجنوبية يعجبون بالمنسوجات المصرية إعجابا شديدا^(٦٤)، ويقول المقرئزي، ، إن دار يعقوب بن كلس، حوّلت بعد وفاته إلى مصنع حكومي لصناعة النسيج وصارت تعرف باسم دار الديباج^(٦٥).

وفيما يأتي أشهر مراكز صناعة النسيج في مصر، التي يكثر فيها العمال من أهل الذمة:

أ . أسيوط :

واشتهرت بصناعة المنسوجات الصوفية المصرية التي عرفها الصعيد المصري، وكانت منسوجاتها الصوفية ذات ملمس ناعم حتى أن الإنسان ليظن أن تلك المنسوجات من الحرير^(٦٦)، فضلا عن صناعة الفرش^(٦٧) وصناعة عمام من صوف الخراف لا مثيل لها في العالم وأنوع أخرى^(٦٨). ووصف صناعتها ناصر خسرو^(٦٩) بقوله: ((إنه شاهد في مدينة أسيوط فوطه من صوف الغنم من النسيج لم ير مثلاً في أي بلد آخر وأنها بلغت درجة من الرقي بحيث يحسب من يراها أنها قد صنعت من الحرير)).

ب . أخميم^(*) : عرف عنها تصدير منسوجات إلى أقصى البلاد، والراجح أنها مختلفة الأنواع^(٧٠).

ج . دمياط : وهذه المدينة يغلب على زراعتها الكتان، لذلك كانت مشتهرة بصناعة المنسوجات الكتانية الحريرية الناعمة^(٧١).

د . الفيوم : والدلتا ؛ اختصت هاتان المنطقتان بزراعة الكتان، الذي كان المادة الأساسية في صناعة النسيج الكتاني^(٧٢)، ومنها الستور الثمينة التي يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعا أو حول ذلك، وقيمة الزوج ثلاثمائة دينار^(٧٣). وإلى جانب ذلك كان يعمل فيها الثياب القيسية والأكسية الصوفية الجياد^(٧٤).

هـ . البهنسا :

ينسج في هذه المدينة الصوف والقطن ، وكانت العادة الجارية أنه إذا صنع بها نسيج من الصوف أو القطن كتب عليه اسم المصنوع له ، واستمرت تلك العادة جيلا بعد جيل ، وكان يعمل بها الستور البهنسية كسوة الطراز ، والمقاطع السلطانية ، والمضارب الكبار ، والثياب المحبرة والأنماط ^(٧٥) .

و . القاهرة :

كانت القاهرة في عهد الفاطميين تعنى بصناعة المنسوجات الحريرية إذ أنشأ المعز الفاطمي (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٥م)، دارا للكسوة تفصل فيها الثياب لموظفي الدولة على اختلاف درجاتهم، وكان يصنع في هذه الدار أيضا كسوة الكعبة والخلع التي يمنحها الخلفية للوزراء والأمراء ^(٧٦)، فضلا عن ازدهار صناعة الديباج ^(*) في القاهرة نظرا للحاجة إليه، حتى أن الخليفة الظاهر بإعزاز دين الله، (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢١-١٠٣٦م)، بنى خزانة البنود لصناعته، وكانت تضم ثلاثة آلاف صانع يمتن هذه الحرفة، لصناعة أفخر أنواع الثياب فيها ^(٧٧).

وكان النسيج المسمى بالقباطي ^(*)، المنسوب إلى أقباط مصر الذين اشتهروا بمهارتهم في صناعته المختلفة الألوان، ومن القباطي الأبيض تنسج كسوة الكعبة في كل عام ^(٧٨).

ويمكن القول إن الرهبان بالأديرة ينسجون الأقمشة ويحيكونها على وفق احتياجاتهم من أنواع الصوف والكتان اللازمين لعمل الملابس الخاصة بهم، واشتغلت الراهبات بتطريز الملابس الكهنوتية والملابس الفاخرة اللازمة لدفن الموتى، بحسب ما جرت به عادة الأقباط عند دفن موتاهم ^(٧٩).

وعني الصناع الأقباط بالزخرفة المنسوجة على الأقمشة الحريرية، الأزرق والأسود، والأحمر، والأصفر والبني، وكانت الوحدات الزخرفية هي بعينها التي كانت تستعمل في العصور السابقة مع تميزها بالمهارة والدقة في العصر الفاطمي، وذلك يدل على أنها صارت أكثر ذوقا وتقدما ورقيا في فنها وصناعتها ^(٨٠).

وقد برزت خصوصية المدن المصرية في حملها لكثير من أسماء المدن المصرية التي صنعت فيها ^(٨١)، وكانت المردودات الاقتصادية للدولة من هذه الصناعات مبالغ كبيرة، من الضرائب المفروضة عليها، فقد ذكر أنه جمع في تنيس والاشمونين بيوم واحد ما مبلغه مائتا ألف دينار، وقد علق المقريزي على ذلك بقوله: ((وهذا شيء لم يسمع قط بمثله في بلد)) ^(٨٢).

والحق أن صناعة النسيج لم تطبع بطابع إسلامي ظاهر إلا في العصر الفاطمي في أواخر القرن الرابع الهجري، (العاشر الميلادي)، إذ شارك المسلمون القبط بنصيب كبير في هذه الصناعة، بعد أن كانت الصناعات النسيجية مقصورة على عناصر أهل الذمة لتفردهم بالمهارة فيها.

ز . تنيس:

اكتسبت هذه المدينة شهرة عالية بفضل مهارة عمال النسيج الأقباط الذين عرفوا بحسن زيهم ولطافة صناعتهم وكانت تجلب منها الثياب النفسية الملونة والفرش الحسنة والثياب البوقلمون^(*)، ولها موسم يكون منه أنواعا لا يوجد نظيرها في موضع آخر وهي مائة ونيف وثلاثون نوعا^(٨٣). وهذه المدينة تصدر المنسوجات إلى العراق ما قيمته عشرين إلى ثلاثين ألف دينار في السنة وكان ما ينسج إلى الخليفة من قصب البوقلمون يدفع ثمنه كاملا، فكان ذلك مشجعا لأصحاب الصناعة في الاستمرار بعملهم بقناعة وسعادة. كذلك اشتهرت هذه المدينة بصناعة أستار هوداج الجمال، ولبود سروج الخيل الخاصة بالخليفة^(٨٤).

وذكر المقدسي^(٨٥)، أن تنيس كانت تصنع الثياب والأردية الملونة، ولذلك ذكر ناصر خسرو^(٨٦)، أن سلطان الروم كان قد أوفد رسولا ليعرض على سلطان مصر أن يعطيه مائة مدينة على أن يأخذ تنيس فلم يقبل الخليفة الفاطمي هذا العرض . وبالرغم من عدم معقولية هذه الرواية، إلا أنها تشير إلى مكانة المدينة الصناعية، ومهارة عمالها من أهل الذمة الذين كسبوا شهرة واسعة . ومن صناعات هذه المدينة النسيجية الأخرى القصب^(*) والشراب^(**)، وبسبب هذه المهارة ودقة الصناعة وجودتها، ازدادت ثروة سكانها وكثر رخاؤهم.

ح . دمياط:

اشتهرت هذه المدينة بصناعة أجود أنواع البوقلمون الفاخر^(٨٧). وقد عرفت به وقيل إن أهلها ((أحرق الصناع وأرفع أنواع البز وأنظف عملا))^(٨٨). وكان العمال من الأقباط في المدينة يصنعون دبيق العمائم والشرب المذهبة المنسوجة التي استحدثت أول مرة في خلافة العزيز الفاطمي^(٨٩). فضلا عن ذلك اشتهرت هذه المدينة بصناعة القماش المسمى بالدبيقي المشهور بجودته ومن مزاياه أنه إذا أنشق كان له صوت عال وهو يستعمل في رسم الخرائط عليه بالاصباغ المشمعة وربما بلغ ثمن الثوب منه مائة دينار، فإذا كان فيه ذهب بلغ المائتين^(٩٠).

وكانت صناعة الدبيقي خاصة لا يصنع مثلها في الدنيا فصنع للخليفة الحاكم بأمر الله قميص لم يدخل في الغزل لحما سوى أوقيتان ونسج فيه من الذهب ما قيمه أربع مائة دينار^(٩١)، وكانت إشارة إلى مهارة صناعتها من أهل الذمة أنهم يفضلون بقدراتهم الصناعية الذهب على النسيج الآخر.

ك . بوش^(*):

وهي من مدن الصعيد التي تشتهر بعمل الثياب الكتانية، وكانت من أكثر بلاد مصر صناعة للكتان وفيها يوزع إلى الديار المصرية الأخرى^(٩٢). ومن أنواع صناعتها الأخرى ((الشذب وهو من أنواع النسيج الكتاني

الفاخر^(٩٣).

ل . الاشمونين:

وهي من المراكز المهمة التي اشتهرت بصناعة المقرمز الذي يشبه إلى حد كبير الفرش، وكان يصنع بهذه المدينة أيضا بعض المنسوجات الكتانية التي تصدر إلى مختلف الأقاليم المصرية وغيرها من البلاد^(٩٤).

م . طحا^(**):

اشتهرت بصناعة الثياب الصوفية الرقيقة^(٩٥) فضلا عن أن المناسج المصرية قد عرفت نوعين جديدين من النسيج هما: (العتابي)^(***) و(السقلاطون)^(*) في عدة مدة مصرية^(٩٦).

ن . دمنهور: ينسب إلى هذه المدينة الثياب الدمنهورية^(**).

س . الإسكندرية:

اشتهرت بصناعة أنسجة لا نظير لها في العالم، ومنه الكتان إذا عُمل ثياب يعادل في جودته الشرب، وبسبب مهارة صنعه كان غالي الثمن^(٩٧).

الصناعة الخشبية:

برع أهل الذمة في الصناعات الخشبية وبلغ مستوى المهارة فيها مرحلة متقدمة على يد الصناع الأقباط في العصر الفاطمي^(٩٨)، إذ كانت الريادة في هذا الميدان لأهل البلاد من القبط^(٩٩).

ومن كنوز الآثار العربية في القاهرة، ألواح وقطع من الخشب المحفور ترجع إلى العصر الفاطمي فيها رسوم تنقل صورة من قانون الغاب منها: منظر غزال وقد وثبت عليه السباع المفترسة، وصورة أرنب نهشته مخالب النور ورسوم أخرى تبين وقفة لطير منتظرة.

وهناك صناعات معدنية إلى جانب الصناعات الخشبية تشير إلى المهارة الصناعية منها: مواد برونزية تعود للعصر الفاطمي، عثر عليها مثل: أباريق أو مرايا أو تماثيل أبرزها تمثال العقاب الموجود الآن في مدينة بيزا بايطاليا. ويرى بعض الباحثين أن هذه الفنون الخشبية والبرونزية متأثرة بالفن الساساني، في حين يرى آخرون أن هذه الفنون الخشبية المصرية منقولة من دمشق، وهو ما يعوزه الدليل المقنع^(١٠٠).

ويرى بعض الدارسين أن الفن البيزنطي هو أحد المؤثرين في فن الزخرفة الخشبية المصرية، التي

النشاط الاقتصادي لعناصر السكان في العصر الفاطمي اهل الذمة أنموذجا

ظهرت جليا على حجاب هياكل كنيسة بربارة بمصر القديمة الغنية بالزخارف التي تشير إلى ازدهار فن الحفر على الخشب في العصر الفاطمي، فضلا عن حجاب هياكل كنسية أبي سيفين التي امتازت بالميزات نفسها^(١٠١).

وقد حملت المنابر والأضرحة المقدسة . عند الأقباط . المصنوعة من الخشب رسوما ومناظر للحيوانات والطيور، وزخرفت الكنائس بزخارف تماثيل ما فعله المسلمون على خشب الجوامع وأثاثهم وفي كل ذلك كانت البراعة والمهارة في الحفر على الخشب علامة مميزة في العصر الفاطمي عند الأقباط والمسلمين^(١٠٢).

وإذا ما انتقلنا إلى الريف فإننا نجد أن المهيمين على الصناعات الخشبية هم النجارون من القبط، فقد ورث هؤلاء الأقباط عن أجدادهم سر هذه الصناعات واحتكروها مدة طويلة^(١٠٣).

صناعة المعادن والعاج :

لم تكن مصر من البلاد التي تنتج معدن الحديد ولكنها تستورد مقادير صغيرة منه من أوروبا وصقيلة وشمال افريقية ويظهر أن الحكومة كانت تشتري هذا المعدن من التجار وتضمه إلى المتجر الذي أنشأته^(١٠٤). ازدهرت الصناعة المعدنية في زمن الفاطميين، وقد اشار إلى ذلك الموروث من الأواني والأكواب والأباريق والأطباق والمصابيح^(١٠٥).

ولا يفوتنا أن نذكر أن هذه الصناعات قد عرف قبط مصر دقائقها وأسرارها منذ عهد الفراعنة وعنهم أخذ المسلمون في وادي النيل سرّ هذه الصناعات التي بلغت أرقى درجات الفن والجمال. فقد عثر على كثير من التحف والأدوات المعدنية ذات الأغراض المختلفة، التي ترجع إلى عصر الفاطميين، وسواء كانت من عمل الفنانين المسلمين أو الأقباط فإنها دليل لا يقبل الشك على ازدهار هذه الصناعة في مصر الفاطمية^(١٠٦)، وعرض الصناع المصريون ولاسيما الأقباط منهم مهاراتهم الفائقة في استعمال الذهب والفضة في صنع أدوات الترف والحلي والسروج والمصاحف المذهبة^(١٠٧).

واشتهرت بعض المدن الصناعية الكبرى في ذلك الوقت بصناعة الآلات الحديدية، منها القسطنطينية التي عرفت صناعة الحديد المستورد من أوروبا وصقيلة وبلاد المغرب^(١٠٨)، وقد استعمل العاج في أشياء كثيرة منها: قطع الشطرنج واللعب الصغيرة الثمينة المطعمة بالعاج^(١٠٩). وكان العاج النقي في صناعته وزخرفته بصور الحيوانات والطيور الآدمية من اختصاص النصارى الأقباط^(١١٠).

صناعة الورق والتجليد:

صنع المصريون القدماء من البردي ورقا كتبوا عليه، وساعد على تقدم الأدب المصري بوجه عام، بل كان البردي وسيلة الحياة الفكرية في مصر وثقافتها القديمة مدة أربعين قرنا، وكان مادة للثقافة

النشاط الاقتصادي لعناصر السكان في العصر الفاطمي اهل الذمة أنموذجا

الإسلامية مدة ثلاثة قرون على الأقل^(١١١)، وأخذت صناعة الورق تتقدم باطراد في ظل الخلافة الفاطمية منذ أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي^(١١٢)، وكان معظم الصناع المشتغلين بصناعة ورق من القبط^(١١٣)، وقد استعمل الأقباط البردي في الكتابة حتى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ثم استبدل الأقباط البردي (بالرقوق)^(*)، التي استمر استعمالها إلى القرن السادس الهجري.

ومن الكتب المخطوطة على الرق كتاب (تركيز الكنائس الجدد) بمكتبة دير السريان، ويرجع تاريخه إلى سنة (٥٧٧هـ/ ١١٨١م)، ثم استعمل أخيرا ورق الكتان، وهو نوع من الورق المصنوع من الكتان والقطن، وكانت الفسطاط من أعظم مراكز إنتاج الورق.

أما بشأن تجليد الكتب، فالراجح أن القبط قد حذقوا بصناعة تجليد الكتب في مصر، وتعلم المسلمون منهم أساليب التجليد في أعقاب فتح مصر، وقد تعلم الرحالة المقدسي الذي زار مصر في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري فن تجليد الكتب على يد أقباط مصر، وكان من ألقابه (وراق ومجلد)^(١١٤).

وقد حدث تطور مهم في حرفة صناعة الجلود ودباغتها لصلتها بصناعة التجليد، بعد شيوع هذه الصناعة، فاستوردت الأنواع النادرة الثمينة منها من اثيوبيا والنوبة^(١١٥). وكان اليهود أشهر من غيرهم في دباغة الجلود، وقد حققوا أرباحا طائلة من هذه الحرفة^(١١٦).

صناعة السكر والعسل :

شهدت مصر في العصر الفاطمي انطلاقة كبيرة في صناعة السكر والعسل وكثرت مصانع السكر بفضل عناية الخلفاء الفاطميين بصناعته؛ لأنهم كانوا يعملون الاسمطة والولائم في شهر رمضان المبارك، مزينة بالحلوى والفطائر والكعك. وكانت الفسطاط مشهورة بأسواق ومعامل هذه الصناعة ويمتلكها اليهود القاطنين في المنطقة^(١١٧)، وكذلك اشتهرت مدينة (قفط) بكثرة ما بها من معاصر السكر ومصانعه، إلى جانب أسيوط تنتج سائر أنواع السكر^(١١٨).

والظاهر أن صناعة العسل قد تعرضت للتدهور عدة سنوات إبان خلافة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢١م)، حتى انخفض إنتاجه بسبب قرارات الخليفة في تحريم المسكرات، وذلك لصلة صناعة الخمر بإنتاج العسل، فدفع الحاكم بأمر الله إلى أن يأمر بإزالة كميات ضخمة من العسل وكسر جواره أينما وجد حتى قل وجوده في الأسواق^(١١٩).

الخاتمة

نستخلص من بحثنا النقاط الآتية:

١. تمتع أهل الذمة بالتسامح والعدل في ظل الخلافة الفاطمية وسكان مصر من جهة، والتعاون والمودة والمشاركة في الأعياد والاحتفالات من جهة أخرى، مما أشاع روح المساواة والمواطنة الصالحة .
٢. شارك أهل الذمة مشاركة فعالة في الجانب الاقتصادي بألوانه المختلفة الزراعة والصناعة والتجارة .
٣. في مجال الزراعة مارسوا إنتاج المحاصيل المختلفة إلى جانب دفع الضرائب المقررة بأسلوب الضمان .
٤. كما برعوا في صناعات متنوعة ، إذ كان لهم أثر في صناعات متعددة مثل صناعة السكر ، والورق ، والنسيج .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ، (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

١ . الكامل في التاريخ ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه ، نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) .

الأدريسي ، محمد بن عبد العزيز (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م) .

٢ . صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب المشتاق في اختراق الآفاق ، تحقيق : رينهاوت دوزي ودي غويه ، (لیدن، ١٩٦٨م).

الأنطاكي، يحيى بن سعيد(ت٤٥٨هـ/١٢٦٧م).

٣ . تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيا ، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين ، (بيروت ،

١٩٠٩م).

ابن أيبك، أبو بكر بن عبد الله، (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م).

٤ . الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق : صلاح المنجد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٦١م).

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م).

٥ . تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار التراث ، (بيروت ، ١٩٦٨م).

البكري، عبد الله بن العزيز محمد، (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م).

٦ . المسالك والممالك، تحقيق، جمال طلبة، دار الكتب العلمية، (بيروت .

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م).

٧ . فتوح البلدان ، اشراف لجنة تحقيق التراث ، دار مكتبة الهلال (بيروت ، ١٩٨٨م).

التطيلي ، بنيامين بن بويه النباري الأندلسي ، (ت ٥٦١هـ/١١٦٥م).

٨ . رحلة بنيامين التطيلي ، ترجمة : محمود ناصر (بغداد ، ١٩٦٦م).

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن بن الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م).

٩ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدمه وعلق عليه محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

الثعالبي، عبد الملك بن محمد النيسابوري، (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م).

١٠ . ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عني بنشره، محمد أبو شادي، (القاهرة

١٣٢٦هـ/١٩٠٨م).

١١ . فقه اللغة وسر العربية، تحقيق، مصطفى السقا، ط البابي الحلبي، (القاهرة ١٩٥٤م).

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م).

١٢ . التبصرة بالتجارة، عني بنشره حسن حسين عبد الوهاب التونسي، ط ٢، (مصر ١٣٥٤هـ/١٩٣٢م).

الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد، (ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م).

١٣ . المعرب ، وضع حواشيه وعلق عليه، خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية،(بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي ، (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م).

١٤ . صورة الأرض ، (بيروت، ١٩٣٧م).

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر،(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).

١٥ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه، إحسان عباس، دار صادر،(بيروت. ١٩٧٧م).

ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدير العلائي،(ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م).

١٦ . الانتصار لواسطة عقد الامصار ، تحقيق، محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب،(بيروت. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

ساويرس بن المقفع،(ت٢٦٧-٤٥٩هـ/٨٨٠-١٠٦٦م).

١٧ . تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، البيعة المقدسة، تحقيق، يسمي عبد المسيح وعزيز سريال عطية، وأسولد برمستر، مطبوعات جمعية الآثار القبطية،(القاهرة. ١٩٤٨م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الشافعي،(ت٩١١هـ/١٥٠٥م).

١٨ . حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه ، خليل منصور، دار الكتب العلمية،(بيروت. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

أبو صالح ، أبو المكارم جرجيس بن مسعود الأرمني،(ت٦٠٥هـ/١٢٠٨م).

١٩ . تاريخ الشيخ أبو صالح المعروف بـ(كنائس وأديرة مصر)، تحقيق وترجمة، Evetts، طبعة (أكسفورد. ١٨٩٤م).

ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيرواني،(ت٥٢٤-٦١٧هـ/١١٣٠-١١٢٠م).

٢٠ . نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، أعاد بناءه وحققه وقدم له، أيمن فؤاد السيد، دار النشر فرانتس شتاير شتوتغارت،(١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

البغدادي، موفق الدين أبو عبد اللطيف بن يوسف بن محمد(ت٦٢٩هـ/١٢٣١م).

- ٢١ . الإفادة والاعتبار في الأمور لمشاهد والحوادث المعانية بأرض مصر، دراسة وتحقيق، علي محسن عيسى مال الله، (بغداد ١٣٨٧هـ/ ١٩٧٤م).
- العمرى، ابن فضل الله، (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٥٩م).
- ٢٢ . مسالك الإبصار في أخبار ملوك الأمصار، تحقيق، أحمد زكي باشا، (القاهرة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م).
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م).
- ٢٤ . أحكام أهل الذمة ،تحقيق، صبيح صالح، (دمشق ١٩٦١م).
- مجهول، (من كتاب ق ١٢/١٢٠).
- ٢٥ . الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد . لات).
- المسبحي، محمد بن عبد الملك (ت ٤٢٠هـ/ ١٢٢٩م).
- ٢٦ . أخبار مصر في سنتين (٤١٤-٤١٥)، تحقيق، ولم، ج. ميسلور، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م).
- المقدسي، البشاري محمد بن احمد، (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).
- ٢٧ . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، (بيروت . ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).
- ٢٨ . اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق، محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت . ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).
- ٢٩ . السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، عبد القادر، دار الكتب العلمية، (بيروت . ١٤٩٨هـ/ ١٩٩٧م).
- ٣٠ . إغاثة الأمة بكشف الغمة، قام على نشره، محمد مصطفى زيادة وجمال الشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة ١٩٥٧م).
- ٣١ . المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق، زينهم

- مديحة الشرقاوي، مكتبة مديبولي، (القاهرة ١٩٩٨م).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/٣١١م).
- ٣٢ . لسان العرب، دار الكتب العلمية، (بيروت ٢٠٠٥م).
- النايلسي، علاء الدين، أبو عثمان بن إبراهيم بن خالد بن محمد القرشي، (صنفه سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م).
- ٣٣ . تاريخ الفيوم وبلاده، نشر مورينز، دار الجيل، (بيروت ١٩٧٤م).
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
- ٣٤ . معجم البلدان، تحقيق، فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت).
- ٣٥ . المشترك وضعاً والمفترق صقعا، تحقيق، فرناند وستغلد جوثيخن، (١٨٤٦م).
- اليقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي، (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م).
- ٣٦ . البلدان، دار إحياء التراث العربي، (بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- أبو يوسف بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م).
- ٣٧ . الخراج ، تقديم الفضل شلق، ط١، دار الحداثة للطباعة والنشر (بيروت ١٩٩٠م).
- ثانيا : المراجع :
- أيوب ، إبراهيم رزق الله.
- ٣٧ . التاريخ الفاطمي الاجتماعي، الشركة العالمية للكتاب، ط١، (لبنان ١٩٩٧م).
- بارتولد.
- ٣٩ . تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله من التركية إلى العربية حمزة طاهر، ط٢ (القاهرة ١٩٥٢م).
- البراوي، راشد.
- ٤٠ . حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة ١٩٤٨هـ/١٩٤٨م).
- بطرس عبد الملك (حرره).
- ٤١ . مجمع الكنائس الشرقية، قاموس الكتاب المقدس، جون الكساندر طمس (بيروت .

١٩٨١م).

ترتون، د.أ.س.

٤٢ . أهل الذمة في الإسلام، ترجمة ، حسن حبشي، مطبعة الاعتماد، (مصر ، د . ت).

حتي، فيليب دوز، جرجي وجبرائيل جبور .

٤٣ . تاريخ العرب مطول ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، (١٩٦٨م).

حسن إبراهيم، حسن.

٤٤ . تاريخ الإسلام السياسي الديني والثقافي و الاجتماعي، مكتبة النهضة العربية، (القاهرة

١٩٦٧م).

٤٥ . تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، ط٢، مطبعة لجنة

التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة ١٩٦٤م).

الخربوطلي، حسن حسني.

٤٦ . تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، مكتبة الخانجي، (القاهرة ١٩٧٥م).

٤٧ . العرب واليهود، (القاهرة ١٩٦٣م).

الدوري، عبد العزيز.

٤٨ . مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط دار الطليعة، (بيروت، ١٩٨٠م).

الرحيم، عبد الحسين مهدي.

٤٩ . تاريخ الحضارة الإسلامية، (طرابلس ١٩٩٤م).

زكي، محمد حسن.

٥٠ . كنوز الفاطميين، دار الرائد العربي، (بيروت . ١٩٨١م).

سرور، محمد جمال الدين.

٥١ . تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس

الهجري، دار الفكر العربي، (القاهرة . د . ت).

٥٢ . الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها، دار

الفكر، (القاهرة ١٩٦٥-١٩٦٦م).

النشاط الاقتصادي لعناصر السكان في العصر الفاطمي اهل الذمة أنموذجا

٥٣ . النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرن الرابع والخامس الهجري، دار الفكر العربي، (مصر ١٩٥٩م).

سميكة ، مرقص .

٥٤ . دليل المتحف القبطي واهم الكنائس والأديرة الأثرية (مصر ١٩٣٠ - ١٩٣٢م).

الشيال، جمال الدين.

٥٥ . تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الثقافة العربية ١٩٦٧م.

الصاوي، أحمد السيد.

٥٦ . كشف المستور في قبائح ولآة الأمور ، ستاربرس للطباعة والنشر، (القاهرة ١٩٥٤م).

طرسون، عمر، (ت ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م).

٥٧ . مالية مصر، مكتبة مدبولي، (القاهرة ٢٠٠٠م).

كاشف ، سيدة إسماعيل.

٥٨ . مصر في عصر الإخشيديين، مطبعة فؤاد، (القاهرة ١٩٥٠م).

٥٩ . مصر في فجر الإسلام، ط٢، (القاهرة ١٩٧٠م).

لوبون، غوستاف.

٦٠ . حضارة العرب، نقله إلى العربية، عادل زعتر، ط٣، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي

الحلبي، (القاهرة ١٩٥٦م).

ماجد، عبد المنعم.

٦١ . ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، التاريخ السياسي، دار المعارف بمصر،

الإسكندرية ١٩٦٨م).

٦٢ . نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الانجلو المصرية، (مصر ١٩٥٣م).

متز، آدم.

٦٣ . الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية، محمد عبد الهادي

أبو ريدة، (بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).

مرزوق ، محمد عبد العزيز .

٦٤ . الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية، (القاهرة . ١٩٤٢م).

مشرف، عطية مصطفى .

٦٥ . نظم الحكم بمصر في العصر الفاطمي، (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٩٨-١١١٧م)، دار الفكر العربي، (مطبعة الاعتماد ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م).

مصطفى ، إبراهيم ، وآخرون .

٦٦ . المعجم الوسيط، ط٢، (القاهرة . ١٩٧٢م).

المناوي، محمد حميدي.

٦٧ . الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، (القاهرة . لات).

منير ، كيال .

٦٨ . فنون وصناعات دمشقية ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (دمشق، لات).

لسترانج ، كي .

٦٩ . بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة : يوسف فرنيس، (بغداد ، ١٩٣٦م).

الوالي ، محمد عبد العزيز.

٧٠ . البرديات العربية، ط١، مطبعة المدني (القاهرة . ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).

الهوامش:

(١) ابن القيم ، أهل الذمة ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٣ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٠١ ، كاشف ، مصر في فجر الإسلام ، ص ١٩ ، الخربوطلي ، العرب واليهود ، ص ٩٩ .

(٣) الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، ص ١٠٣ .

(٤) مشرف ، نظم الحكم في عصر الفاطميين ، ص ١٩٢ ، البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٥٢ ، ابن القيم ، أهل الذمة ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(٥) المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٨١ .

(٦) المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢٧٥ .

(٧) المقرئ ، م . ن . ج ١ ، ص ٢٣٩ ، البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٥٩ .

(٨) المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

- (٩) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٨٢ .
- (١٠) البغدادي ، الإفادة والاعتبار ، ص ١٥٦ ، سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١٥٤ .
- (١١) ابن حوقل ، صور الأرض ، ص ١٣٠ ، المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٨٢ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٧٧ .
- (١٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٣٠ ، البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٣٠ .
- (١٣) البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٣٠ .
- (١٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٣٠ ، المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٨٢ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٧٧ .
- (١٥) المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٨٢ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٧٧ .
- (١٦) طوسون ، مالية مصر ، ص ٥٤ .
- (*) دير سانت كاترينا : وهو دير القديسة كاترينا عند جبل سيناء، مجمع كنائس الشرقية، قاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٦٩ .
- (١٧) أبو صالح الأرمني ، كنائس وأديرة ، ص ٦٠-٦٩-١١١-١١٢ .
- (١٨) المصدر نفسه ، ص ١٣٠-١٣١ .
- (*) فقط : هذه المدينة تعرف بقفطر بن فطيم بن مصرام بن بيسر بن حسام بن نوح عليه السلام في الصعيد الأعلى والغالب على معيشة أهلها التجارة والسفر إلى الهند وليست على ضفاف النيل نحو الميل، وفيها الأسواق وأهلها أصحاب ثروة وحولها مزارع وبساتين كثيرة النخيل والأترج والليمون ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٩٢ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٣٤ .
- (١٩) أبو صالح الأرمني ، كنائس وأديرة ، ص ١٣٠-١٣١ ، العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٤ ، ص ٢١٤ .
- (٢٠) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ٢٣٩ ، ابن أبيك ، الدرة المضيئة ، ج ٦ ، ص ٢٧٧ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٣٦٨ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٢٠ .
- (*) باب البحر : وهو احد أبواب القصر الفاطمي الكبير، الذي كان يفتح في واجهة الغربية المطللة بين القصرين، إذ كان يؤدي إلى المحول _ أو مجلس الداعي _ وقد بناها الحاكم بأمر الله ، أما موضع هذه الباب اليوم فهو مدخل حارة بيت القاضي تجاه جامع الملك الكامل بشارع القصرين ، ينظر : ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٥ ، ص ٢٣٧ .
- (٢١) المقرئ ، إغاثة الأمة ، ص ١٧ .
- (٢٢) المقرئ ، إغاثة الأمة ، ص ١٧ ، عمار ، القاهرة في العصر الفاطمي ، ص ٣٩ .
- (**) الشونة : مخزن الغلة، المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ٥٠١ .
- (٢٣) الانطاكي ، تاريخ ، ص ٢٥٨ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٣٩٣ ، الصاوي ، كشف المستور ، ص ١٢ .
- (٢٤) الانطاكي ، تاريخ ، ص ٢٣٢ .
- (٢٥) المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٢٢ .
- (٢٦) المسبحي ، أخبار مصر ، ص ٢٤٤ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٢٢ . الصاوي ، كشف المستور ، ص ١٥ .

- (٢٧) ساويرس بن المقفع ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٢٤ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٢٩٣ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٥ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٤٤ .
- (٢٨) المقرئزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١٧ ، المناوي ، الوزارة والوزراء ، ص ١٤٦ .
- (٢٩) المقرئزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٩١ ، البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٠٤ .
- (٣٠) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٣٦ ، المقرئزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٨١ ، ابن القيم ، أهل الذمة ، ج ٢ ، ص ٨٢ .
- (٣١) ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢١ .
- (٣٢) ابن القيم ، أهل الذمة ، ج ٢ ، ص ٧٦ .
- (٣٣) بارتولد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٢٣ .
- (٣٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٤٥ .
- (٣٥) أبو صالح ، كنائس وأديرة ، ص ٥١ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٣١ .
- (٣٦) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٤١ ، حسن ، تاريخ الإسلام ، ج ٤ ، ص ٣٨٩ ، سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١٥٢ .
- (٣٧) البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٦٨ .
- (*) الفيوم : بناها يوسف الصديق عليه السلام فدبرها وجعلها ثلاثمائة وستين قرية يجبى منها في كل يوم ألف دينار، وهي أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها فاكهة ، فيها ثمر شتاء وصيفا ، ولذلك كانت غلتها أكثر جبايات مصر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٢٥ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٩٧ .
- (**) أسيوط : مدينة في غرب النيل من نواحي الصعيد يقول ياقوت الحموي : ((حدثني بعض النصارى من أهلها أن فيها خمسا وسبعين كنيسة للنصارى وهم بها كثير وفيها أنواع السكر وبها السفرجل وبها الأفيون الذي يعتصر من ورقه الخشخاش الأسود ، ويحمل إلى سائر البلاد ومن عجائبها أن بها ثلاثين ألف ألف فدان ينتشر ماؤها في جميعها)) .
- معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .
- (***) المينا : مدينة أهلة كبيرة ذات أسواق كثيرة على شاطئ النيل في وجه الصعيد الأولى بينها وبين القسوط أربعة أيام .
- ياقوت الحموي ، المشترك وضعها ، ص ٤٠٧ .
- (٣٨) ابن ظهير ، الفضائل الباهرة ، ص ٦٥ .
- (٣٩) كاشف ، مصر في عصر الاخشيديين ، ص ٢٢٩ .
- (٤٠) البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٧٠ .
- (٤١) المقرئزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١١٢ ، ١١٦ .
- (٤٢) سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١٥٣ .
- (٤٣) ابن أبيك ، النرة المضينة ، ج ٦ ، ص ١٧٢ ، البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٧٧ .
- (٤٤) سفر نامه ، ص ٦٠ .
- (٤٥) الجاحظ ، التبصرة بالتجارة ، ص ٤٣ ، أبو صالح ، كنائس وأديرة ، ص ٥١ .
- (٤٦) المقرئزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

- (٤٧) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٣٩-٤٠ .
- (٤٨) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٧٨ .
- (٤٩) سفرنامه ، ص ١٠٩ ، أيوب ، التاريخ الفاطمي ، ص ٢٦ .
- (٥٠) البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ٧٣ .
- (٥١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٥٧ ، المقرئ ، إغاثة الأمة ، ص ٢٠ .
- (٥٢) البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٠٦ .
- (٥٣) حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٨٥٢ .
- (٥٤) سرور ، مصر في العصر الفاطمي ، ص ١٩٨ .
- (٥٥) البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٢٠ .
- (٥٦) الشيال ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٥٤ .
- (٥٧) ابن طوير ، نزهة المقلتين ، ص ١٤١ ، البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٢٣ .
- (٥٨) مرزوق ، الزخرفة في الأقمشة الفاطمية ، ص ١٨٨ .
- (٥٩) حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٨٥٢ ، سرور ، مصر في عصر الدولة الفاطمية ، ص ١٩٩ .
- (٦٠) حتي ، تاريخ العرب المطول ، ج ٢ ، ص ٧٤ .
- (٦١) الرحيم ، تاريخ الحضارة العربية ، ص ٣٢٥ .
- (٦٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٧٣ .
- (*) القيس : وهي قرية تقع في مديرية الشرقية ، اشتهرت بصنع القماش القيسي ، الذي كان يحتوي على الحرير ، واشتهرت بعمل الأكسية والثياب الصوفية ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٩٣ .
- (**) دبيق : قرية من قرى دمياط ينسب إليها الثياب المثقلة والعائم الشرب الملونة ، فضلا عن أن الدبقي نوع من الأقمشة الكتانية الموشاة بالحرير والذهب ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٩٠ .
- (*) الفرما : وهي مدينة بين العريش والفسطاط قرب قطية وشرقي تنيس على ساحل البحر على يمين القاصد مصر وبينها وبين بحر القلزم المتصل ببحر الهند أربعة أيام وهو أقرب موضع بين البحرين ، بحر المغرب وبحر المشرق ، وهي كثيرة العجائب غريبة الآثار ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ .
- (**) البهنسا : اشتهرت بصناعة الستور البهنسية المنسوبة إليها والثياب المحبرة ، الأديسي ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ٥٠ .
- (٦٣) خسرو ، سفرنامه ، ص ٧٨ ، المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٦٧ ، متز ، الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٥ ، سرور ، الدولة الفاطمية ، ص ١٥٦ .
- (٦٤) زكي ، كنوز الفاطميين ، ص ١١١ .
- (٦٥) المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٤٦٤ .
- (٦٦) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٧٠ ، مجهول ، الاستبصار ، ص ٢ .
- (٦٧) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٩٢ .
- (٦٨) سفرنامه ، ص ٧٧ .
- (٦٩) سفرنامه ، ص ٧٨ ، ابن القيم ، أهل الذمة ، ج ٢ ، ص ١٠٧ .

- (*) أحميم : وهي على الجانب الشرقي من النيل ولها ساحل وبها يعمل الفرش المقطوع والجلود الأخيمية ، المقريري ، الخطط ، ج ١ ، ص ٦٦٥ .
- (٧٠) ابن ظهير ، محاسن القاهرة ، ص ٦٣ .
- (٧١) بنيامين ، رحلة بنيامين ، ص ١٧٢ .
- (٧٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٤٩ ، النابلسي ، تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٣٢ ، متز ، الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٥١ .
- (٧٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٠٥ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٠ ، متز ، الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٥١ .
- (٧٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٩٠ ، متز ، الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ .
- (٧٥) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٩٠ ، ابن القيم ، أهل الذمة ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .
- (٧٦) المقريري ، الخطط ، ج ١ ، ص ٤٦٤ ، سرور ، الدولة الفاطمية ، ص ١٥٥ .
- (*) الديباج : ضرب من الثياب مشتق من ذلك بالكسر والفتح مولد والجمع ديابيج ودبابيج ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٥٦ .
- (٧٧) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٠٥ ، المقريري ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ ، ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص ٥٥ .
- (*) القباطي : بفتح القاف وضمها ، ثياب بيض من الكتان رقاق ، كانت تنسج في مصر ، وهي منسوبة إلى القبط .
- المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص ٧١١ .
- (٧٨) القزويني ، آثار العباد ، ص ١٧٧ .
- (٧٩) سميكة ، دليل المتحف القبطي ، ج ١ ، ص ١١٨ .
- (٨٠) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٧٣ ، مرزوق ، الزخرفة في الأقمشة الفاطمية ، ص ١١٦ .
- (٨١) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٥ ، ص ٧٩ .
- (٨٢) المقريري ، الخطط ، ج ١ ، ص ٥٠٩ ، زكي ، كنوز الفاطميين ، ص ١١٩ .
- (*) البو قلمون : اسم يطلق على نوع من النسيج كان يصنع في بلاد اليونان ، ثم في مصر ولاسيما في مدينة تنيس ، ومن خواص هذا النسيج أنه قماش ذهبي يتغير لونه ، بحسب تغير ساعات النهار وتعرضه للشمس والوضع الذي يكون فيه ، ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٧٧ .
- (٨٣) القزويني ، آثار البلاد ، ص ١٧٧ ، زكي ، كنوز الفاطميين ، ص ١٤٥ ، سرور ، الحضارة الإسلامية ، ص ١٣٦ .
- (٨٤) الجاحظ ، التبصرة بالتجارة ، ص ٢٢ ، ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٣٨ .
- (٨٥) أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٠ .
- (٨٦) سفرنامه ، ص ٣٨ ، زكي ، كنوز الفاطميين ، ص ١١٥ .
- (*) القصب : وهو قماش رقيق جدا من لكتان ناعم الملمس ، الجواليقي ، المغرب ، ص ٣١٢ .
- (**) الشراب : هو نوع من أنواع الحرير أو الكتان النقي الفاخر الشفاف ، تدخله خيوط مذهبة ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٤٣ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٨٤ .
- (٨٧) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٤٣ ، الخربوطلي ، مصر العربية الإسلامية ، ص ٢٢٧ .

- (^{٨٨}) البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٢٦ ، ابن القيم ، أهل الذمة ، ج ٢ ، ص ٩٩ ، سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١٥٦ .
- (^{٨٩}) المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٦٣٠ .
- (^{٩٠}) متر ، الحضارة الإسلامية ، > ٢ ، ص ٣٥ .
- (^{٩١}) البكري ، المسالك والممالك ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .
- (*) بوش : كورة ومدينة بمصر من نواحي الصعيد الأدنى في غرب النيل بعيدة عن الشاطئ ، وهي من أعمال بني سويف بصعيد مصر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٠٠ .
- (^{٩٢}) ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص ٤٣ .
- (^{٩٣}) الثعالبي ، فقه اللغة ، ص ٢٦ .
- (^{٩٤}) ابن القيم ، أهل الذمة ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .
- (**) طحا : وهي إحدى أعمال الاشمونيين وكانت في القديم ذات عمل ، ولذلك تعرف بطحا المدينة وهي الآن إحدى قرى الصعيد في مصر ، ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٧٧ .
- (^{٩٥}) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ١١٦ ، ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١١٤ .
- (***) العتابي : نسيج من خيوط القطن والحريز رقيق بديع الصنعة وتنسب هذه إلى عتاب بن أسيد ، الذي ينتهي إلى أمية بن عبد الشمس ، وقد سكنت ذريته في أحد أحياء مدينة بغداد فنسب إليها هذا الحي ، لسترانج ، بغداد ، ص ١٢٢ .
- (*) السلاقطون : وهو من الثياب الغالية الثمن ، الذي ينسب إلى بلد من بلدان الروم ، وهذه الثياب تكون من الحرير موشاة بالذهب ، ينظر : الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٤٢٩ .
- (^{٩٦}) ياقوت الحموي ، المشترك وضعاً ، ص ١٨ .
- (**) المصدر نفسه ، ص ١٧ .
- (^{٩٧}) المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٤٥٧ .
- (^{٩٨}) كيال ، فنون وصناعات دمشقية ، ص ٦٧ ، حتي ، تاريخ العرب المطول ، ج ٣ ، ص ٧٤٧ .
- (^{٩٩}) سميكة ، دليل المتحف القبطي ، ج ١ ، ص ١٤٥ .
- (^{١٠٠}) حتي ، تاريخ العرب المطول ، ج ٣ ، ص ٧٤٧ .
- (^{١٠١}) زكي ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٠٣ .
- (^{١٠٢}) صالح ، النظم الإسلامية ، ص ٤٠٦ .
- (^{١٠٣}) سميكة ، دليل المتحف القبطي ، ج ١ ، ص ١٤٥ .
- (^{١٠٤}) البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٧٢ .
- (^{١٠٥}) لوبون ، حضارة العرب ، ص ٢٢١ .
- (^{١٠٦}) زكي ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٤٣ .
- (^{١٠٧}) سميكة ، دليل المتحف القبطي ، ج ١ ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .
- (^{١٠٨}) حسن ، تاريخ الإسلام ، ج ٤ ، ص ٣٩٥ ، البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٧٢ .
- (^{١٠٩}) البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٧٤ .
- (^{١١٠}) ابن القيم ، أهل الذمة ، ج ٢ ، ص ١١٩ .

- (١١١) الدالي ، البرديات العربية ، ص ٣٠ .
- (١١٢) البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٦٠ .
- (١١٣) حسن ، تاريخ الإسلام ، ج ٣ ، ص ٣٢٥ .
- (*) الرقوق : الصحيفة البيضاء ، ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴾ ، سورة الطور ، آية : ٣ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٨٦٦ .
- (١١٤) أحسن التقاسيم ، ص ٢٤ ، سميكة ، دليل المتحف القبطي ، ص ٣٨ ، البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٦٢ .
- (١١٥) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ١١٦ ، ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١١٤ .
- (١١٦) زكي ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٤٣ . صالح ، النظم الإسلامية ، ص ٤٠٦ .
- (١١٧) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٤١ ، المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٦٤٦ ، البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٧٦ .
- (١١٨) المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٦٤٦ .
- (١١٩) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين
الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا
" دراسة تأريخية "

م.د. عمار رشيد جبوري

وزارة التربية - المديرية العامة لتربية بغداد / الرصافة الاولى.

رقم الهاتف : ammarrj1972@gmail.com الايميل:

٠٧٧٢٨٦١٧٤٨٠

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا
" دراسة تاريخية "

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا
" دراسة تاريخية "

م.د. عمار رشيد جبوري

الملخص:

من خلال دراسة هذا الموضوع نرى ان الولايات المتحدة الاميركية قد حددت سياستها الخارجية بشكل مبكر منذ استقلالها من بريطانيا عام ١٧٧٦، أذ رسمت محددات تلك العلاقات الخارجية من خلال وضع قاعدة اساسها المعاملة بالمثل بالنسبة للدول الاوروبية الكبرى، ولاسيما مع فرنسا لذلك نرى ان الولايات المتحدة لم ترضخ للابتزاز السياسي الذي مارسته فرنسا ضدها من خلال اهانة دبلوماسيتها، لا بل وقفت موقف حكومي وشعبي حازم ضد السياسة الفرنسية، وحدثت بعض المناوشات العسكرية بين البلدين وكادت الامور تصل الى المواجهة العسكرية الشاملة بين البلدين، ونتيجة تلك السياسة التي اتبعتها الولايات المتحدة اضطرت فرنسا الى اعادة العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين.

كلمات مفتاحية: فرنسا، الولايات المتحدة الاميركية، علاقات، قضية (x.y.z)

**The issue of (x.y.z) and its impact on the relations between
the United States of America and France" historical study"**

M.D. Ammar Rsheed Jabouri

**Ministry of Education - General Directorate of Education,
Baghdad, Al-Rusafa Al-Oula**

**Email: ammarrj1972@gmail.com / Phone number
07728617480:**

Summary:

Through the study of this subject, we see that the United States of America has defined its foreign policy early since its independence from Britain in 1998, as it drew the determinants of those foreign relations by laying down a rule based on reciprocity for the major European countries, especially France. Therefore, we see that the United States did not succumb to the political blackmail that France practiced it against it by insulting its diplomats. Apple took a firm governmental and popular stance against French policy, and some

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

military skirmishes took place between the two countries, and things almost reached a comprehensive military confrontation between the two countries. As a result of that policy pursued by the United States, France was forced to restore diplomatic relations between the two parties.

Keywords: France, the United States of America, relations, issue

المقدمة:

يعد موضوع العلاقات السياسية والاقتصادية بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا عن المواضيع المهمة، إذ كانت تلك العلاقات تتميز بتعاون كبير بين البلدين، ولا سيما بعد المساعدات الكبيرة التي قدمتها فرنسا للولايات المتحدة اثناء حرب الاستقلال الاميركية ضد بريطانيا واستمر ذلك الدعم حتى الاستقلال، كما كانت فرنسا من اولى الدول التي اعترفت بذلك الاستقلال، لكن تلك العلاقات شهدت عدة انعطافات بين مد وجزر في المدة التي تلت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، وما شهدته العالم من تقلبات وحروب اثرت على العالم المتمدن في اوروبا وامريكا وكذلك اختلاف الرؤى بين السياسة الاميركية من تلك الثورة أنعكس على قلب السياسة الفرنسية اتجاه الولايات المتحدة واخذت تعاملها بتعالى مما ولد رفض رسمي وشعبي للسياسة الفرنسية المتعالية.

قسم البحث الى مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة، اذ يتناول المحور الاول العلاقات الفرنسية الاميركية اثناء حرب الاستقلال وحتى انتهائها عام ١٧٨٣، ثم ابرز المحور الثاني على العلاقات بين البلدين بعد الثورة الفرنسية وحتى عام ١٧٩٦، وركز المحور الثالث على قضية x.y.z ومعطياتها على السياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة، اما الخاتمة فقد تطرقت على اهم الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث من خلال تتبعه للأحداث.

أولاً: العلاقات الاميركية الفرنسية ١٧٧٦-١٧٨٩

تعود جذور العلاقات الاميركية الفرنسية الى سنوات حرب الاستقلال لأمركية (١٧٧٥-١٧٨٣)، إذ بعد انطلاق العمليات العسكرية بين القوات البريطانية والثوار المستعمرات الاميركية عقد ممثلو المستعمرات ثائرة في ١٠ ايار ١٧٧٥ مؤتمرهم الثاني الذي اطلق عليه

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

الكونجرس الثاني، وقرر المجتمعون طلب المساعدات العسكرية والسياسية من فرنسا، وقد جاء ذلك الطلب من فرنسا بالتحديد لعلمهم بعمق الخلافات البريطانية الفرنسية^(١).

رحبت فرنسا بذلك الطلب لرغبتها بالانتقام من بريطانيا التي اذلتها وفرضت عليها معاهدة باريس عقب حرب السبع سنوات (١٧٥٦-١٧٦٣)^(٢)، إذ خسرت فرنسا حسب تلك المعاهدة جميع مستعمراته في كندا، والهند، الولايات المتحدة الاميركية، وجزر المحيط الاطلسي، ورأت في مساعدة الامريكان املاً في استرداد مستعمراتها التي سلبتها بريطانيا منها في معاهدة باريس عام ١٧٦٣، وكسر شوكت القوات البريطانية الغريم التقليدي لها^(٣).

كان الموقف الفرنسي الداعم لمطالب الامريكان اثره في دفع الكونغرس الامريكي في ٢٨ كانون الاول من عام ١٧٦٦ لارسال فريقا من المبعوثين الامريكان الى باريس تالف من بنجامين فرانكلين (Bendamin Frankli)^(٤)، وسيلاس دين (Silas Dean)^(٥)، وجون ادمز (John Adams)^(٦)، عمل هؤلاء المبعوثين بالدعاية لحق الامريكان بالاستقلال وتوفير الدعم لازم للثورة، أذ استطاعوا الحصول على قرض من فرنسا بقيمة ٨ ملايين دولار، وكانت المساعدات التي تقدمها فرنسا سريعة ومستمرة، فأخذت فرنسا تجمع المتطوعين، إذ بلغ عدد المتطوعين في حدود ستة آلاف جندي، وأرسلتهم للقتال إلى أمريكا لمساعدة الثوار، فضلاً عن الجنود الذين تم ارسالهم كذلك تم ارسال عدد من الضباط الكفاء الذي كان الجيش القاري في امس الحاجة الى خدماتهم، ومن أبرز هؤلاء المتطوعين الضابط البارز في الجيش الفرنسي الماركيز دي الفاييت (Marquis de Lafayette)^(٧)، فضلاً عن ارسال بعض قطع الاسطول الفرنسي مع تقديم سفن تجارية وحربية تمكن الجيش القاري في استخدامها في الانهيار الداخلي^(٨)، وذلك كانت فرنسا تزودهم بشكل مستمر طوال حرب الاستقلال بالأسلحة والمعدات عسكريه والذخائر المختلفة، أذ كانت تلك الأسلحة ترسل سراً الى الولايات المتحدة عن طريق شركات وهميه ذات غطاء تجاري مثل شركة رودرك هورلتز (Rodrigue Horletz and Company)^(٩).

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

تعزز ذلك التعاون بين البلدين لا سيما بعد انتصار الجيش القاري في معارك ترنتن برينستون وسارتوجا خلال عام ١٧٧٧ ضد القوات البريطانية، وكان للفرنسيين مساهمة كبيرة في تلك الانتصارات، ولاسيما مشاركة الاسطول الفرنسي الى جانب قوات الجيش القاري^(١٠). نتيجة الهزائم التي لحقت بالجيش البريطاني على الاراضي الامريكية ولتعزيز تلك الانتصارات الامريكية قررت فرنسا دعم حليفها بشكل اكبر من السابق، اذ وقع طرفين على معاهدة حلف بينهما في ٦ شباط ١٧٧٨، التي تم المصادقة عليها من قبل كونجرس الامريكي في ٦ شباط من عام ١٧٧٨، وتضمنت تلك المعاهدة النصوص الآتية^(١١):

١. يسود سلام وصداقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وملك فرنسا وخلفائه، وبين بلدانهم وأقاليمهم ومدنهم وبلداتهم وشعبهم، دون استثناء الأشخاص أو الأماكن.
٢. رعايا الولايات المتحدة ومواطنوها يدفعون في الموانئ والأماكن و الخاصة بالملك المذكور وخلفائه، أي واجبات أو رسوم من رعايا الدولة الأولى ويتمتعون بجميع الحقوق والامتيازات والإعفاءات في التجارة والملاحة والتجارية ، التي يتمتع بها أو يتمتع بها رعايا الدولة الأكثر رعاية.
٣. يكون قانونيًا لجميع رعايا الملك المذكور، وجميع الأشخاص الآخرين على الإطلاق، أن يبيعوا إلى رعايا الولايات المتحدة، وأن يشتروا منهم ، أي سلع أو بضائع من أي نوع كان استيرادها أو لا يحظر التصدير بموجب قوانين الملك أو قوانين الولايات المتحدة.
٤. يتم قبول سفن رعايا الولايات المتحدة واستقبالها في ضيافة في جميع الموانئ والأماكن والملذات الخاصة بالملك وخلفائه بجميع الحقوق والامتيازات والإعفاءات في الملاحة والتجارة، ويخضعون للقوانين والأعراف المعمول بها هناك^(١٢).
- ٥ - في حالة تعرض سفن رعايا أحد الطرفين إلى ضغوط الطقس، أو مطاردة القراصنة أو الأعداء، أو أي ضرورة ملحة أخرى، تلجأ إلى موانئ الطرف الآخر، يجب استقبالهم ومعاملتهم معاملة إنسانية والعطف عليهم وتمتعهم بالحماية والمساعدات لإصلاح سفنهم وتأمين المؤن ووضعهم في وضع يسمح لهم بمواصلة رحلتهم دون عائق.

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

٦. رعايا البلدين لهم حرية التردد على الموانئ والأماكن والأنهار في أراضي كل منهما، حيثما يسمح بالتجارة الخارجية؛ يجب أن يتمتعوا بحرية الإقامة والإقامة في جميع أجزاء أيا كانت من الأراضي المذكورة، من أجل الاهتمام بشؤونهم، ويتمتعون لهذا الغرض بنفس الأمن والحماية التي يتمتع بها سكان البلد الأصليين الذين يقيمون فيها، بشرط الخضوع للقوانين والمراسيم المعمول بها هناك، ولا سيما الأنظمة المعمول بها في مجال التجارة^(١٣).

٧. تحمي السفن الحربية التابعة لكل طرف، بقدر ما يوجد فيها من الأمتعة الخاصة برعايا أو مواطني الطرف الآخر، وتدافع عنها ضد أي هجوم أو إهانة أو سلب من أي دولة مهما كانت، بشرط ألا تكون محملة بالسلع المهربة.

٨. تعد تلك المعاهدة سارية المفعول خلال مدة اثنتي عشرة سنة، وقبل انتهاء تلك المدة بسنة يحق لأي من الطرفين أبلغ الطرف الآخر بنيته إنهاء تلك المعاهدة؛ وفي حالة عدم تقديم مثل ذلك الإخطار، وفي حال استمرار الحرب قائمة بين الأطراف المذكورة تظل المعاهدة سارية المفعول، على أن تجدد قبل سنة من انتهائها^(١٤).

ساعد ذلك التحالف الولايات المتحد على حسم الحرب مع بريطانيا والتي انتهت بتحرير كامل الاراضي الامريكية، وأمست دوله مستقلة في معاهدة باريس ١٧٨٣ والتي عقدت برعاية فرنسية^(١٥)، ومن ذلك نلاحظ ان فرنسا كانت قد ساهمت بشكل كبير في حصول الولايات المتحدة على استقلالها .

ثانيا: العلاقات الامريكية الفرنسية بعد انطلاق الثورة الفرنسية.

عند انطلاق الثورة الفرنسية في ١٤ تموز ١٧٨٩ رحب الشعب الامريكي في تلك الثورة، بل واحتفل في المدن الامريكية احتفالا كبيرا بالثورة، وكان ذلك التعاطف تأكيداً لشعور الشعب الامريكي ان هناك ارتباطا وثيقا بفرنسا يعود الى الايام التي وقف فيها الفرنسيون الى جانب الامريكان وسقطوا مخضبين بدمائهم على الاراضي الامريكية، اما الموقف الرسمي فقط ظهر من خلال مساهمة السفير الامريكي لدى فرنسا توماس جيفرسون (Thomas Jefferson)^(١٦) في مناقشة مسودة الحقوق الفرنسية مع زعماء الثورة الفرنسية، ونلاحظ

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

من ذلك التأثير الاميركي على لائحة حقوق الانسان التي اعلنتها الثورة الفرنسية، ومن الشخصيات الاميركية التي اظهرت تأييدا للثورة الفرنسية هو الرئيس الاميركي جورج واشنطن (George Washington) ^(١٧) والذي اعرب عن ذلك قائلا "لا يوجد احد يتمنى التقدم والازدهار في فرنسا اكثر مني والفرنسيين يتقدموا الى الامام ويظهرون عن طريق التعقل والتدبير في الامور وكثير من المواظبة والمثابرة والنزاهة والشعور بالوطنية تلك الامور جميعها الضرورية لبناء وتأسيس دولة قوية جديدة في الفكر" ^(١٨).

كان للثورة الفرنسية انعكاسات كبيرة على العلاقات الاوروبية الاوروبية، فضلا عن العلاقات الاميركية والاوروبية، ولاسيما بعد ان تأزمت العلاقات الفرنسية - البريطانية وبدأت تلوح في الافق حرب قادمة بين البلدين، لذلك سارعت فرنسا ل في تشرين الثاني ١٧٩٢ لأرسال ادمون جارلس جينيت (dmond-Charles Genêt 1763-1834) ^(١٩) كوزيراً مفوضاً لها الى الولايات المتحدة لتضغط في مجال دعم الولايات المتحدة لها في حربها القادمة مع بريطانيا، وتطبيق الحلف العسكري الموجود سابقا حسب معاهدة ١٧٧٨، كما ابلغ جيني واشنطن وجوب تطبيق نص ذلك الحلف ^(٢٠).

لذلك سارع الرئيس الاميركي جورج واشنطن الى عقد اجتماع لمجلس الوزراء لبيان رايهم في تلك المطالب الفرنسية، وقد وجد واشنطن ان هناك خلاف عميق داخل مجلس ايد وزير الشؤون الخارجية توماس جفرسون تلك المطالب وطالب بالوقوف مع فرنسا في حربها تلك على اساس المعاهد الدفاعية الموقعة بين البلدين وعد ذلك الموقف جزء من رد الدين لفرنسا التي كان لها الدور الأكبر في استقلال الولايات المتحدة ^(٢١).

كان هناك موقف اخر داخل المجلس يمثل زعيم الحزب الفدرالي ^(٢٢) وزير المالية الكسندر هاملتون (Hamilton Alexander) ^(٢٣) اذا اعرب عن وجوب دخول الحرب الى جانب بريطانيا مبرراً موقفه ذلك كون أن الولايات المتحدة ترتبط ارتباطا وثيقا ببريطانيا، ولاسيما فيما يخص المصالح التجارية بين البلدين وسط ذلك الصراع كان على الرئيس واشنطن مواجهه تلك التحديات بطريقه حذرة جدا عن طريق عدم اثاره اي طرف سواء فرنسا

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

وبريطانيا، والعمل على ردم الانقسامات داخل المجتمع السياسي الاميركي، وحصل ما كان متوقعا واعلنت فرنسا الحرب على بريطانيا في ١ شباط ١٧٩٣^(٢٤).

اعلن الرئيس الاميركي جورج واشنطن عن السياسة الولايات المتحدة في الوقوف على الحياد من تلك الحرب، وعدم الانجرار وراء الصراعات الأوروبية واعلن عن ذلك الموقف رسميا يوم ٢٢ نيسان من عام ١٧٩٣^(٢٥)، وكان من نتائج ذلك الموقف استقالت جيفرسون من رئاسة الشؤون الخارجية، كما نظرت الحكومة الفرنسية الى الموقف الاميركي انه نكران لجميل فرنسا التي وقفت معهم في حرب الاستقلال^(٢٦).

رغم موقف الولايات المتحدة الذي اعلن سابقا عن الحرب، بدأت السفن الأمريكية تتعرض للقرصنة والتفتيش مع بداية الحرب الأوروبية من قبل الطرفين المتحاربين بريطانيا وفرنسا، بحجة نقل البضائع للدولة العدو، كانت بريطانيا اشد في تفتيش ومصادرة السفن الأمريكية بسبب قوة بحريتها لذلك ارسل جورج واشنطن مبعوثا امريكيا وهو السيد جون جاي (John Jay)^(٢٧)، الى بريطانيا للعمل على حرية الملاحة وعدم التعرض للسفن الأمريكية في اعالي البحار، نجح جون جاي في مهمتي وعقد معاهدة مع بريطانيا عرفت بمعاهدة جاي ضمت الامور التالية^(٢٨):

- ١- يجب أن يكون هناك سلام دائم بين الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا.
- ٢- وافق جلالة ملك بريطانيا على سحب جميع القوات البريطانية والحاميات من جميع المواقع والأماكن التي حددتها معاهدة باريس لعام ١٧٨٣ للولايات المتحدة.
- ٣- من المتفق عليه أنه سيكون قانونيًا لمواطني الولايات المتحدة الأمريكية الإبحار بسفنهم مع جميع أنواع البضائع غير المهربة إلى أي ميناء، أو مكان خاضع لسيطرة صاحب الجلالة البريطانية، في أي مكان آخر يسمح للدول الأجنبية بالتجارة؛ وأن تمتد نفس الحرية إلى رعايا صاحب الجلالة البريطانية فيما يتعلق بموانئ وأماكن الولايات المتحدة الأمريكية.

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

٤- أن الدائنين في أي من الجانبين لن يواجهوا أي عائق قانوني لاسترداد القيمة الكاملة بالأموال بعملة الاسترليني لجميع الديون الحسنة النية التي تم التعاقد عليها حتى الآن.

٥- لن يتم فرض أي رسوم أعلى أو رسوم أخرى على استيراد البضائع بين البلدين.
٦- يجب أن تكون هناك حرية متبادلة وكاملة للتجارة والملاحة بين الولايات المتحدة الاميركية وأراضي صاحب الجلالة البريطانية في أوروبا، على أن تتم بنفس الطريقة المعتادة والعرفية مع الدول الأخرى .

٧- يجب الإفراج فوراً عن جميع السفن التابعة لمواطني أي من الطرفين، والتي قد يتم أسرها من قبل القراصنة، وإعادتها إلى أصحابها، ولا يدفعون سوى نفقات الاحتجاز؛ ويوافق صاحب الجلالة البريطانية والولايات المتحدة الاميركية على تقديم مساعدتهما المتبادلة لسفن مواطني كل منهما، والتي تتم مهاجمتها من قبل القراصنة، من أجل حمايتها والدفاع عنها.

٨- من المتفق عليه أن يتم التصديق على هذه المعاهدة من الجانبين، وتبادل التصديقات عليها في غضون ستة أشهر من تاريخها، أو قبل ذلك إن أمكن.

تم توقيع تلك المعاهدة يوم ١٩ كانون الاول من عام ١٧٩٤ وصادق عليها مجلس الشيوخ الاميركي في ١٤ اب ١٧٩٥ بأغلبية الثلثين، كما ينص الدستور الاميركي للمصادقة على المعاهدات الخارجية، وكانت بواقع ٢٠ صوت موافق مقابل ١٠ اصوات للرافضين، وكانت اغلب الاعتراضات من الحزب الجمهوري، الذي كان يساند مبدأ وقوف الولايات المتحدة الاميركية مع فرنسا^(٢٩).

عدت فرنسا المصادقة على المعاهدة الأمريكية البريطانية انهاء لمعاهدة الحلف بينها وبين الولايات المتحدة لعام ١٧٧٨، وبدأت فرنسا بتوقيف السفن الأمريكية المتجه الى عدوتها بريطانيا واحتجزت واسرت اكثر من ٣٠٠ سفينة في عام ١٧٩٦، وفي تموز من عام ١٧٩٦ اعلنت فرنسا انها ستعامل السفن الأمريكية وحلفائها على انها سفن عدوة، يجب

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

التعامل معها بالكيفية التي يتم التعامل بها مع السفن البريطانية اي مصادرتها واسر طاقمها^(٣٠).

ثالثاً : قضية الـ (x.y.z) وتداعيتها.

تأزمت أكثر العلاقات الاميركية الفرنسية، ولاسيما بعد ان رفضت الحكومة الادارة الفرنسية عام ١٧٩٦ استقبال الوزير المفوض الاميركي تشارلس كوتسوورث بنكيني (Charles cotesworth Pinckney)^(٣٢) الذي اوفده الرئيس الاميركي جورج واشنطن الى فرنسا ممثلاً عن الحكومة الاميركية لديها، بل ان الحكومة الفرنسية طالبت الموفد الاميركي بنكيني بمغادرة البلاد خلال ثلاثين يوماً، وان لم يغادر فسيتم القبض عليه كونه من الاجانب الذي لايسمح لهم البقاء بفرنسا اكثر من ثلاثين يوماً دون إذن رسمي^(٣٣).

تزامن تدهور العلاقات الاميركية الفرنسية مع مرحلة مفصلية من تاريخ الولايات المتحدة الاميركية، اذ اعلن قائد حرب الاستقلال وأول رئيس بعد الاستقلال جورج واشنطن عدم ترشحه للرئاسة نهاية عام ١٧٩٦، وخلفه نائبه جون آدمز الذي استلم مهام منصبه رئيساً للولايات المتحدة الاميركية في ٤ اذار من عام ١٧٩٧، وكان التحدي الاهم اما الرئيس الجديد العلاقات الخارجية مع فرنسا، الذي يجب معالجتها، بعدما كانت تلوح في الافق نذر الحرب مع فرنسا^(٣٤).

بادر الرئيس الاميركي جون آدمز بارسال وفد الى فرنسا للتفاوض على النقاط الخلافية في محاولة ثانية لتتقية الاجواء السياسية وتجنب الحرب، ولاسيما وانه في مطلع عام ١٩٩٧ تم اختيار جارلس موريس تاليران (Charles Maurice de Talleyrand)^(٣٥) من قبل حكومة الادارة الفرنسية وزيراً للخارجية، الذي سبق له وعاش فترة في الولايات المتحدة الاميركية وكانت له علاقات عديدة وجيدة مع عدد من السياسيين الاميركيين، فكان يأمل الرئيس الاميركي جون آدمز ان يكون وجود تاليران في منصبه عامل مساعد في تتقية الاجواء السياسية بين البلدين^(٣٦).

ضم الوفد الاميركي كل من الجنرال البريدج جيري (Elbridge Gerry)^(٣٧) من ولاية ماساتشوستس، والجنرال جون مارشال (John Marshall)^(٣٨) من ولاية فرجينيا،

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

فضلاً عن تشارلس كوتسوورث بنكيني الذي سبق وارسل لفرنسا، وكانت التعليمات التي اصدرها الرئيس جون آدمز للوفد في مهمته الدبلوماسية العمل على تجنب أي حرب مع فرنسا، وعقد اتفاقية تجارية مماثلة لمعاهدة جاي، ورفض أي طلبات لمنح قرض مالي، ونصح الوفد بالمرونة خلال المفاوضات المالية^(٣٩).

بدأ الرئيس الاميركي باتجاه اخر العمل على تهيأت البلاد لتحسين نفسها عسكرياً ضد أي تهديد فرنسي محتمل، فاعطى الاوامر لتشكيلات الجيش الاميركي بتزويد السفن التجارية الاميركية بالمدافع سواء التي تبخر او الراسية في الموانئ، وتعزيز حجم القوات العسكرية التي تحمي الموانئ، وتجهيز ثلاث فرقافات عسكرية^(٤٠) مع تجنيد ملشيات عسكرية مهامها الدفاع عن النفس ضد أي تدخل عسكري فرنسي^(٤١).

وصل الوفد المفاوض الاميركي الى باريس في ٤ تشرين الاول ١٧٩٧ حينها لم يتم استقبالهم بشكل رسمي من قبل الحكومة الفرنسية الممثلة بوزير خارجيتها تاليران، فأطر الوفد الى السكن على حسابهم الشخصي في احد الفنادق في ضواحي مدينة باريس، وبعد اربعة ايام طلب الوفد عقد اجتماع مع وزير الخارجية تاليران الا ان الاخير وبعد لقاء قصير غير رسمي مع الوفد ابلاغهم انه بصدد اعداد تقرير عن سياسة الولايات المتحدة اتجاه بلاده، ويريد تأجيل المفاوضات حتى اكتمال ذلك التقرير ليقدمه للحكومة الفرنسية للموافقة عليه، وبعد انتظار البعثة الاميركي ايام لمعرفة نية وتوجهات الحكومة الفرنسية، زار البعثة في ١٧ تشرين الاول وفد فرنسي غير رسمي ضم ثلاث موظفين من الخارجية الفرنسية ارسلهم وزير الخارجية تاليران، وهم كل من جان هوتنجير (Jean Hottinguer) ، وبير بيلامي (Pierrre Bellamy)، ولوسيان هوتفال (Lucien Huteval)، وقد رمز لهم في المراسلات الاميركية x.y.z، فالأول هو المستر x، والثاني هو المستر y، والثالث هو المستر Z^(٤٢).

اجتمع بيير بيلامي (المستر Y) مع بينكني، وابلغه بعدة شروط مقابل الدخول في مفاوضات رسمية مع وزير الخارجية تاليران، وأنه اي تاليران لن يجتمع مع البعثة الاميركية إلا إذا وافق الوفد الاميركي على تلبية تلك الشروط، التي تضمنت النقاط التالية^(٤٣):

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

- ١- يجب أن توافق الولايات المتحدة على تزويد فرنسا بقرض منخفض الفائدة.
 - ٢- يجب على الولايات المتحدة أن توافق على جميع المطالبات بالتعويضات بسبب حقيقة أن أصحاب السفن التجارية الأمريكيين تم أسرهم أو غرقهم من قبل البحرية الفرنسية إذا ادعوا ذلك من فرنسا.
 - ٣- يجب على الولايات المتحدة أن تقدم رشوة بقيمة ٥٠ ألف جنيه إسترليني إلى تاليران.
 - ٤) يجب على رئيس الولايات المتحدة أن يعتذر عن أفعاله ضد الأمة الفرنسية.
- نجد ان الأسباب التي دفعت تاليران إلى اقتراح الشروط في أعلاه، انه كان يفهم هدف الولايات المتحدة جيداً والمتمثل في رغبتها بإعادة بناء علاقات جيدة مع فرنسا من جديد، لذلك اعتقد أن الوفد التفاوضي الامريكي سيوافق على شروطه، في الوقت نفسه لم يكن لتاليران كوزيراً للخارجية تأثير كبير في السياسة الخارجية الفرنسية تجاه أوروبا، ولكنه فيما يتعلق بالولايات المتحدة كان الأمر مختلفاً، كان حراً في ممارسة نفوذه السياسي دون تقيد من قبل الحكومة، كون الحكومة كانت تجده أفضل من يفهم ويتعامل بموضوع العلاقات مع الولايات المتحدة، في الوقت نفسه فان تاليران أخفى عن الحكومة الفرنسية ومعه مجموعة Z XY الرشاوى المذكورة في أعلاه^(٤٤).
- يتضح لنا ان ما تم طرحه من شروط من قبل تاليران لم يكن بعلم الحكومة الفرنسية، وربما انفرد تاليران بتلك الشروط، ولا سيما وان حكومة الادارة قد منحتة صلاحيات واسعة في ملف الولايات المتحدة الامريكية. فالحكومة الفرنسية كانت مهتمة اكثر بالعلاقات مع النمسا لتوقيع معاهدة كامبو فورميو في ١٧ تشرين الاول من عام ١٧٩٧^(٤٥) التي تزامنت مع المفاوضات غير الرسمية بين البعثة الامريكية وشخصيات XYZ الفرنسية^(٤٦). فيبدو انه اراد استغلال الموقف لصالحه.
- أخطر بينكني المفوضين المتبقين بمطالب تاليران، وتم رفض جميع المطالب من قبل الوفد الامريكية، على الرغم من علمهم بأن دبلوماسيين من دول أخرى قد دفعوا رشاوى لمقابلة تاليران سابقاً^(٤٧).

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

كان تاليران مصراً على ابتزاز الوفد الاميركي فبعد فشل هوتونيجر (المستر X) في اقناع بينكي، هذه المرة وجهة تاليران السيد هوتفال (المستر Z) لمقابلة السيد البيرج جيري، الذي تربطهم علاقة صداقة سابقة باقناعه بشروط تاليران بحجة احلال السلام بين بلديهما، وبعد ان تمكن الفرنسيين من فرض شروطهم في معاهدة كامبوفورميو، ولم يثمر اللقاء عن شيء، لذلك عاد كل من السيدان هوتجير ولوسيان هوتفال (المستر Z والمستر X) للقاء الوفد الاميركي وهذه المرة استعمل الفرنسيان لغة التهديد، مع الوفد الاميركي عندما ابلغا الامركيين ان لم يوافقوا على شروط تاليران سيكون مصير الولايات المتحدة كمصير مدينة البندقية الايطالية، التي تم تقسمها بين فرنسا والنمسا بموجب معاهدة كامبوفورميو، فعبر بينكي عضو الوفد الاميركي على ذلك التهديد بالقول "ملايين للدفاع ولكن ليس بنسأ واحد للدفاع"، ليقرر الوفد الاميركي ايقاف المفاوضات غير الرسمية مع الفرنسيين^(٤٨).

ان تاليران لم ييأس من اقناع الوفد الاميركي بشروطه، فوجه فريقه التفاوضي للاستمرار باللقاءات السرية وبشكل منفصل مع كل شخص من اعضاء الوفد الاميركي، الذي تواجد في فرنسا ربما في محاولة لزعزعة الثقة بين اعضاء الوفد، المتواجد في فرنسا خلال فصل الشتاء من عام ١٧٩٧ لغاية شهر آذار مع عام ١٧٩٨، وخلال تلك المفاوضات السرية؛ سأل احد المفاوضون الامريكان عن بديل لتلك الشروط فاجابه بير بيلامي (المستر Y) ان لفرنسا قوه داخل الولايات المتحدة الأمريكية مؤيدة لها من خلال حزب موالي لفرنسا، يبدو انه يقصد بذلك الحزب هو الحزب الجمهوري^(٤٩)؛ الذي كان يساند مبدأ الوقوف مع فرنسا في حربها ضد بريطانيا، وهنا رد عليه جون مارشال "ان الولايات المتحدة لن تدفع اي مبلغ وان الولايات المتحدة دولة كبيرة تستطيع المحافظة على استقلالها والدفاع عنه بقوة"^(٥٠).

ارسل الوفد المفاوض نتائج المفاوضات الى الرئيس الاميركي جون آدمز في آذار من العام ١٧٩٨ تحديداً، أتت الأنباء من المبعوثين الأمريكيين في باريس الى فيلادلفيا، وحملتها خمسة رسائل، واشتملت على معلومات كافية لإقناع آدمز أن الأزمة مع فرنسا قد وصلت الى نهايتها غير المرجوة، وهي القطيعة والتصادم، بعد رفض الحكومة الفرنسية مواجهة

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

المبعوثين وبالتالي فشل المهمة وهنا امر الرئيس بأنهاء المفاوضات، انهى الوفد المفاوضات المحادثات حسب الاوامر وأقفل راجعا الى الولايات المتحدة، ولم يبق في باريس سوا البريد جيري للوقوف على نوايا فرنسا اتجاه بلده، ولاسيما بعد تصريح وزير خارجية فرنسا تاليران في لحظة مغادرة البعثة الأميركية من باريس ومخاطبتهم بأنه سيحرص على ان يكون هناك تصريح فرنسي بالحرب ضد الولايات المتحدة، لذلك اعتقد الوفد الاميركي ان بقاء احد افراده في فرنسا ضروري ليرى ما سيحدث، و ليحاول تجنب تلك الحرب قدر المستطاع بعد أشهر من الانتظار^(٥١).

بعد عودة الوفد المفاوضات الى الولايات المتحدة قدم تقريرا مفصلا الى الرئيس الاميركي جون ادمز اوضح فيه نتائج تلك المفاوضات، أستشعر الرئيس خطورة الموقف في حال انفذت فرنسا تهديدها واعلنت الحرب على بلاده، لذلك بدأ يعد العدة لجميع الاحتمالات أذ بدأ بتحصين وتقوية الجبهة الداخلية، ولاسيما مع وجود عدد من المواطنين الامريكان المتعاطفين مع فرنسا، لذلك عمل الرئيس علي تسريب خبر المفاوضات الى الصحف الأميركية التي بدأت تنشر تفاصيل تلك المفاوضات في نيسان ١٧٩٨، وقد كتبت تلك الصحف ان تلك المفاوضات فضيحة ووضعت لها عنوان تحت مسمى فضيحة الـ (x.y.z)، كما اشارت رسائل الوفد الاميركي التي بعثت الرئيس الاميركي، الى اسماء موظفي الخارجية الفرنسية الذين تفاوضو معهم في فرنسا، ادى نشر تفاصيل تلك المحادثات الى هياج الراي العام الاميركي بكامله ضد فرنسا، وبذلك نجح الرئيس الاميركي في توحيد المجتمع الاميركي ضد فرنسا وزاد من تماسكه الى جانب القضية التي اعدوها اهانة للشعب الاميركي بشكل مباشر^(٥٢).

رسمياً ارسل جون ادمز رسالة الى الكونغرس الاميركي اوضح فيها تفاصيل قضية المفاوضات الاميركية الفرنسية عبر اعضاء الكونغرس الاميركي، وطريقة تعامل الحكومة الفرنسية مع الوفد المفاوضات، ولاسيما موضوع دفع الرشوة للحكومة الفرنسية، فاعلن الفدراليين في الكونغرس انهم على استعداد لدفع الملايين من اجل الدفاع عن بلدهم ولا يدفعون سنتاً

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

واحداً كاجزية، وطالب الفدراليين ولا سيما هاملتون بضرورة اعلان الحرب على فرنسا لاسترداد الكرامة الامريكية التي تم اهانتها بشكل متعمد (٥٣).

سارع الرئيس الامريكي جون ادمز لاتخاذ بعض القرارات التنفيذية المهمة، لكن في الوقت نفسه حافظ على المبدأ الذي وضعه جورج واشنطن وهو وقوف للولايات المتحدة الأمريكية على الحياد من المشاكل التي تحدث في اوروبا، لكنه أتخذ عدة اجراءات منها الغاء جميع المعاهدات السابقة مع فرنسا، كذلك عمل على الغاء عمل جميع القناصل الفرنسيين والدبلوماسيين على الاراضي الأمريكية، وفي الجانب العسكري عمل على زياده الانفاق المالي للجيش والبحرية وجعل البحرية الأمريكية قوه منفصلة عن الجيش، وخصص لها ميزانيه خاصة بها عن الجيش، ايضا عمل على تحديث السفن الحربية وزياده عددها وإمكانيتها القتالية، وتزويد السفن التجارية بمدافع ثقيلة من اجل الدفاع عن نفسها، ولاسيما في مناطق اعالي البحار، كذلك قرر تعيين الجنرال هاملتون قائدا عاما للجيش الامريكي أذ عرف عنه العداء الكبير للسياسة الفرنسية (٥٤).

بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تنهياً بشكل سريع للحرب، وأعطى الكونغرس الصلاحية للسلطة التنفيذية للقيام بذلك، وأصدر الرئيس آدمز قراره بمنع تصدير السلاح، وسمح للشركات بشراء المدافع والأسلحة والذخائر، فضلاً عن توسيع الدفاعات الساحلية والموانئ، وفوض الكونغرس الرئيس آدمز وإدارته بتدمير السفن المسلحة الأجنبية التي تمارس أعمال السلب والقرصنة ضد السفن التجارية الأمريكية، (٥٥).

في خضم المشاعر الملتهبة للشعب الأمريكي ومناداته بالحرب، أقرت في صيف العام نفسه، عدد من الخطوات نحو الحرب ولكن ليس بشكل رسمي، اذ شرع الكونغرس، بطلب من الرئيس آدمز، قانونا لتجنيد ١٠ آلاف مقاتل إحتياط، والقيام بتوسيع الأسطول الحربي التابع لوزارة البحرية، التي استحدثت، وزيادة عدد السفن الحربية الأمريكية من ٣٠ الى ٤٠ سفينة قتالية ، و ٥٧ سفينة دعم لوجستي، وجهزت القوات جميعا للدخول في حرب طويلة مع فرنسا (٥٦).

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

قرر الكونغرس ايضا، بطلب من الرئيس نفسه، قانونا بإيقاف التجارة مع فرنسا والدول المتحالفة معها، وبالتالي نقض المعاهدات جميعا الموقعة بين البلدين، وأصبحت الحرب شبه الحربية واقعا بعد أن صدرت الموافقة باحتجاز السفن الحربية الفرنسية جميعا، ووجه الرئيس جون آدمز نداءً الى الشعب الأمريكي قال فيه: "أصبح القدر يكتب على كل مكان كلمة حرب، فإلى السلاح يا أبناء الأمة لاسترداد الكرامة"^(٥٧).

بالرغم من كل تلك الاجراءات التي اتخذها الرئيس الاميركي لكنه لم يعلن الحرب بشكل رسمي على فرنسا، اما الموقف الفرنسي فكان متشابهاً لموقف الولايات المتحدة الاميركية، لم تعدل عن قرارها السابق في مصادره السفن الأمريكية التي تتاجر مع بريطانيا، لكنها ايضا لم تعلن الحرب بشكل رسمي ضدها، لذلك حدثت بين الطرفين حرب بحرية غير معلنة استمرت خلال عامي ١٧٩٨ و ١٧٩٩، كان نتيجتها خسارة الطرفين ما يقارب الـ ٨٠ سفينة كان اغلبها سفن تجارية^(٥٨).

دفع العداء اتجاه فرنسا الرئيس الاميركي جون آدمز والحزب الفدرالي الكونغرس الى تشريع قوانين جديدة، كان اولها هو قانون الاجانب الذي اقره الكونغرس في ٢٣ حزيران ١٧٩٨، والذي ابدل شرط الحصول على الجنسية الأمريكية من خمس سنوات من الإقامة داخل الاراضي الاميركي الى ١٤ سنة ولاسيما المهاجرين الايرلنديين والفرنسيين المشتبه به انهم يدعمون الحزب الجمهوري، فمنح ذلك القانون الرئيس الاميركي سلطة مصادرة الارض او سجن الاجانب في زمن الحرب بدون محاكم^(٥٩).

في ١٤ تموز من العام نفسه قرر الكونغرس قانون الصحافة والتحريض الذي نص على منع انتقاد الحزب الفدرالي، ومنع اي محاولة للتدخل في تنفيذ القوانين التي تصدر من الحكومة او الاعتراض عليها، وفرض عقوبات بالسجن والغرامة المالية على كل من يتهم بذلك، كما منح منع نشر اي انتقادات لرئيس الجمهورية او الكونغرس في الصحف ولا سيما في زمن الحرب^(٦٠).

رفض المجلس التشريعي في ولايتي فرجينيا وكنتاكي تلك القوانين واعلنا عدم تنفيذها كونها تأتي ضد مبادئ الحرية التي كفلها الدستور الاميركي، وكان لجهود الجمهوريين

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

ولاسيما النائبين جيفرسن ومديسون، الاثر الاكبر في ذلك الرفض كما ان الشعب الاميركي والصحافة وكذلك باقي الولايات وممثليها قد رفضوا تلك القوانين^(٦١). وبذلك انعكست حالت تازم العلاقات الامريكية الفرنسية، على الاوضاع الداخلية للولايات المتحدة الامريكية، بل زاد الخلاف داخل الكونكرس بين الفدراليين والجمهوريين، وهو ما انعكس ايضاً على المجتمع الامريكية بشكل عام.

ان الخلافات بين الفدراليين والجمهوريين داخل الكونكرس الاميركي وقرب الانتخابات الرئاسية الامريكية عام ١٨٠٠، فضلاً عن تضرر التجارة البحرية الامريكية مع بريطانيا وجزر البحر الكاريبي بسبب حالة الحرب غير المعلنة مع فرنسا، كل تلك الاسباب دفعت الرئيس الاميركي جون آدمز للتفكير بحل سلمي دبلوماسي مع فرنسا وتشكيل وفد تفاوضي امريكي للعمل على تحقيق السلام مع فرنسا^(٦٢).

قابل تلك النوايا الامريكية، التغيرات السياسية التي حدثت في فرنسا والمتمثلة بانقلاب نابليون بونابارت^(٦٣) على حكومة الادارة بتاريخ ٩ تشرين الثاني من عام ١٧٩٩، ومجيء حكومة القناصل بقيادة نابليون بونابرت كقنصل أول في فرنسا، الذي عمد للتفاوض مع الولايات المتحدة الامريكية نتيجة صعوبة الاوضاع في فرنسا، وساند رغبة نابليون وزير الخارجية تاليران الذي تم اعادته لمنصبه في حكومة القناصل، بعد ابعاده سابقاً عن المنصب من قبل حكومة الادارة قبيل الاطاحة بها من قبل نابليون^(٦٤).

تزامنت تلك التوجهات السياسية لدى كل من الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا مع وفاة الرئيس الاميركي السابق جورج واشنطن، بتاريخ ١٤ كانون الاول من عام ١٧٩٩، فبادر نابليون باعلان الحداد في فرنسا لمدة عشرة ايام مع اصدار مرسوم بإقامة تمثال لواشنطن في فرنسا، تقديرًا للشعب الاميركي وحكومته^(٦٥).

حدث انفراج في العلاقات الامريكية الفرنسية، بعد وصول وفد تفاوضي امريكي الى باريس مطلع مارس من عام ١٨٠٠ ضم الوفد الاميركي ثلاث شخصيات سياسية تمثلت بكل من ويليام فانز ميراي (Willam Vans Murray) عضو مجلس النواب الاميركي، والفر إلسورث (Oliver Ellsworth) رئيس المحكمة العليا الامريكية، وكان الشخص الاهم في

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

المفاوضات مع الجانب الفرنسي، وويليام ريتشاردسون ديفي (Willam Richardson David) حاكم ولاية كارولينا الشمالية، دخول الوفد الامريكي حال وصوله بمفاوضات رسمية مع الجانب الفرنسي لانهاء الخلافات بين البلدين، وبعد سلسلة من المناقشات الرسمية وغير الرسمية للوفد الامريكي مع تاليران ومجموعة من الدبلوماسيين الفرنسيين، تم تجاوز الخلافات فيها، تم توقيع معاهدة سلام بين البلدين بتاريخ ٣٠ ايلول من عام ١٨٠٠ عرفت بمعاهدة معاهدة مورتيفونتتين او معاهدة عام ١٨٠٠^(٦٦)، وتضمنت المعاهدة البنود التالية^(٦٧):

- ١- أعادت العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة وفرنسا، وتبادل الممثلين السياسيين.
 - ٢- وافقت الولايات المتحدة على دفع ٢٠ مليون فرنك للمواطنين الفرنسيين الذين عانوا من أضرار خلال الحرب، ووافقت فرنسا على إطلاق سراح جميع السفن الأمريكية التي استولت عليها البحرية الفرنسية.
 - ٣- حددت المعاهدة حدود لويزيانا التي تم نقلها من إسبانيا إلى فرنسا بموجب معاهدة سان إديفونسو السرية، تم تعيين الحدود عند نهر المسيسيبي، الذي شكل الحدود الغربية للولايات المتحدة.
 - ٤- اعترفت المعاهدة بحق الصيادين الأمريكيين في الصيد في المياه قبالة نيوفاوندلاند ولابرادور، والتي كانت محل نزاع بين البلدين.
 - ٥- حرية مرور السلع كافة بين البلدين، ومنح كل دولة حرية إقامة مراكز تجارة بين البلدين، وفي حالة نشوب حرب في المستقبل بينهما فإن التجار والمواطنين يمنحون ستة أشهر لإزالة ورفع ممتلكاتهم في البلد الآخر، وعدم تجميد أصول وأموال الأفراد في النزاعات المستقبلية.
- بشكل عام ، شكلت معاهدة مورتيفونتتين نقطة تحول مهمة في العلاقة بين الولايات المتحدة وفرنسا، ومهدت الطريق لتحسين العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية بين البلدين وانتهت الصراع الذي نشب سابقا.

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

الخاتمة والاستنتاجات

توصلت الدراسة الى عدد من الاستنتاجات، يمكن تأشيرها على النحو الآتي:

- ١- من خلال سير الاحداث يتضح لنا ان الحلف الذي عقدته الولايات المتحدة مع فرنسا اثناء حرب الاستقلال الاميركي كان الهدف منه الحصول على الاستقلال من بريطانيا باي طريقه، ولم تلتزم به الولايات المتحدة بعد الاستقلال .
- ٢- وضع اول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية جورج واشنطن استراتيجية واضحة للسياسة الخارجية الأمريكية تمثلت في الوقوف على الحياد من الصراعات الأوروبية الأوروبية وقد التزم خلفاؤه من بعده بتلك الاستراتيجية.
- ٣- يبدو واضحا من الولايات المتحدة الأمريكية منذ تأسيسها بنت للسياسة خارجية قوية ولم تستثني حتى الدول الكبرى من ذلك فقد وقفت بالنند من بريطاني في حرب الاستقلال وكذلك وقفت بالنند من فرنسا في قضية الـ x.y.z
- ٤- ادت السياسة الأمريكية القوية التي اتخذتها الولايات المتحدة الاميركية اتجاه الدول الكبرى منذ تأسيسها الى ان تجبر تلك الدول على احترام السيادة الأمريكية، والتعامل معها بانها قوة اقليمية
- ٥- بينت تلك الاحداث على حيوية المجتمع الاميركي من خلال رفض القوانين التي تقيد حريتها، حتى لو كانت تلك القوانين في الظروف الاستثنائية مثل ظروف الحرب.
- ٦- على الرغم من الخلافات بين السياسيين الامريكان لكن في وقت الشدة قيام الحرب فانهم يكونون اكثر تماسكا ضد اي تهديد خارجي يهدد كيانهم.
- ٧- ادت التطورات السياسية الداخلية في كل من فرنسا والولايات المتحدة الاميركية الى تغيير سياستهما اتجاه البعض، مما ساهم في احلال السلام بينهما وانتهاء حالة الحرب غي المعلنة بين البلدين.

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا " دراسة تاريخية "

هوامش البحث:

- (١) عبد الفتاح حسن ابو عليه، تاريخ الأمريكيتين التكوين السياسي للولايات المتحدة الأمريكية، الرياض، ١٩٨٧، ص ٥٧.
- (٢) حرب السبع سنوات (١٧٥٦-١٧٦٣): ألحق بريطانيا بفرنسا هزيمة ساحقة فقدت فرنسا نتيجتها مناطق واسعة كانت تمتلكها في أمريكا، وتراجع نفوذها وانحسر أمام النفوذ البريطاني في البر والبحر، كما تراجعت مكانتها الدولية لدرجة أن السفير البريطاني كان نوع من التأكيد على التفوق البريطاني يصير في الاحتفالات الرسمية التي تقام في أي دولة على أن يدخل قبل السفير الفرنسي. للمزيد ينظر: هاشم صالح التكريتي، مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث، ط ١، بغداد، ٢٠١٣، ص ٢٤٩؛
- Samuel Flagg Bemis, Diplomatic History of the United States, Fourth Edition, New York 1955, P.17.
- (٣) ناهد إبراهيم دسوقي، دراسات في التاريخ الأمريكي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨، ص ٧٢.
- (٤) بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin : ولد في مدينة بوسطن عام ١٧٠٦ من عائلة غير ثرية كثيرة العدد، وعمل في شبابه في مطبعة، وأصبح عالماً مشهوراً بتجاربه واختراعاته في مجال الكهرباء ولا سيما اختراعه مانعة الصواعق، درس إلى جانب العلوم الطبيعية الفلسفة والاقتصاد السياسي، أسس مكتبة عامة في بنسلفانيا وأول مستشفى وأول أكاديمية في أمريكا، وأصدر صحيفة كانت تهدف إلى تجنب الخلافات، عرف بنشاطه السياسي حيث كان مناهضاً للعبودية، وعد واحد من أبرز ممثلي حركة التحرير في المستعمرات حيث دعا إلى اتحاد المستعمرات الانجليزية، كان ممثلاً لمدينة بنسلفانيا في المؤتمر القاري، توفي عام ١٧٩٨. للمزيد ينظر: إلن نفنر وهنري ستيل كوماجر، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، نقله إلى العربية: مصطفى عامر، مصر، د.ت، ص ص ٦٠-٦١.
- (٥) سيلاس دين Silas Dean : سياسي ومحامي أمريكي ولد في عام ١٧٣٧ في مدينة كونيتيكت، كان مندوباً إلى المؤتمر القاري للمستعمرات الثلاثة عشر في عام ١٧٧٤، توفي في بريطانيا عام ١٧٨٩. للمزيد ينظر:

<https://www.britannica.com/biography/Elbridge-Gerry>

- (٦) جون آدمز John Adams : ولد في مدينة بارينغتون بولاية ماساتشوستس عام ١٨٠١، تخرج من جامعة هارفارد، الرئيس الثاني للولايات المتحدة الأمريكية، وممارس المحاماة في مدينته الأصلية، ويعتبر رجل سياسة من الطراز الأول، شغل منصب وزير الولايات المتحدة المفوض في بريطانيا، ثم نائب للرئيس جورج واشنطن لدورتين، للمزيد ينظر: – Encyclopedia Americana, Vol. 1 , New York , 1962, P 121.
- (٧) الماركيز دي لافاييت (Marquis de Lafayette): عسكري وسياسي فرنسي ولده في شافانياك بفرنسا عام ١٧٥٨، تخرج ضابطاً وسرعان ما انضم إلى الجيش القاري عام ١٧٧٧، أصبح مساعداً موثقاً للجنرال جورج واشنطن وخاض العديد من المعارك معه بعد انتهاء الثورة الأمريكية، عاد للافاييت إلى فرنسا وانخرط في السياسة. عندما أصبحت الثورة أكثر عنفاً، أصيب بخيبة أمل واضطر في النهاية إلى الفرار من فرنسا. أمضى عدة سنوات في المنفى قبل أن يُسمح له بالعودة عام ١٧٩٩، توفي عام ١٨٣٤. للمزيد ينظر:

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

-Dusquesne Maurice B, "Lafayette: The Idealist General, University of Nebraska Press, The original, 1987, p33.

(٨) هاشم صالح التكريتي: المصدر السابق، ص ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٩) صالح حسن عيسى، ستار جبار الجابري، موقف جورج واشنطن من المتطوعين الاوروبيين في حرب الاستقلال الأمريكية ١٧٧٦ - ١٧٨٣، مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، ٢٠٠٦، العدد ٢١، ص ٢٤٧ - ٢٤٨؛ دان ليسبي، الثورة الاميركية دوافعها ومغزاها، ترجمة: سامي ناشد، ج٢، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٣٤.

(١٠) اسماء مزعاش، حرب الاستقلال الأمريكية ودور فرنسا في دعمها ١٧٧٥ - ١٧٨٣، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بوضياف الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، ٢٠١٦، ص ٣٦ - ٧٣.

(11) Hoffman Ronald, and Peter J. Albert,. Diplomacy and Revolution Franco-American Alliance of 1778. University of Virginia Press, 1981, p23.

(12) Bernard BailynThe, Ideological Origins of the American Revolution, published by Belknap Press in Chapter 12, 1992, pp272-273..

(13) Gordon S. Wood, The American Revolution A History published ,Random House in 2002, pp 223-225.

(14) Wallace Notestein , The French Alliance and the Winning of American, Independence published by Cornell University Press ,1981,pp120-121.

(١٥) ميثاق بيات الضيفي وليد فتحي محمد الصميدعي، اسرار وخبايا الانقلابات السياسية الفرنسية ١٧٩٣-١٧٩٧، لندن، ٢٠١٨، ص ٢١.

(١٦) توماس جيفرسون (Thomas Jefferson): سياسي امريكي ولد في مستعمرات فرجينيا عام ١٧٤٣، تخرج من كلية القانون عام ١٧٦٢، شغل منصب وزير الخارجية، من عام ١٧٩٠ إلى عام ١٧٩٣، اصبح الرئيس الثالث للولايات المتحدة من ١٨٠١_١٨٠٩، توفي عام ١٨٦٢ للمزيد ينظر: كفاح احمد محمد احمد نجار، توماس جيفرسون ودوره السياسي في التاريخ الأمريكي حتى عام ١٨٠١، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١١.

(١٧) جورج واشنطن (George Washington): ولد في فرجينيا عام ١٧٣٢. انخرط في العمل العسكري وأصبح ضابطاً في الجيش البريطاني، وعندما اندلعت "حرب الاستقلال" أصبح ممثلاً عن مستعمرة فرجينيا في "الكونغرس القاري"، وفيه اختير قائداً لجيش الاستقلال. اشترك في كتابة الدستور، وأنتخب أول رئيس أمريكي لدورتين رئاسيتين بين عامي ١٧٨٩ و ١٧٩٧. توفي في السابع من كانون الأول من العام ١٧٩٩. للمزيد ينظر: عباس علوان لفنة الشولي، جورج واشنطن ودوره العسكري والسياسي في الولايات المتحدة الأمريكية ١٧٣٢ - ١٧٨٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠.

(١٨) بول جونسون، جورج واشنطن الاب المؤسس، ترجمة محمد ابراهيم السيد، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ١١٠.

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا " دراسة تاريخية "

(١٩) ادمون جارس جينيت (1763-1834-dmond-Charles Genêt): ولد في ٨ كانون الاول من عام ١٧٩٣ في باريس، كان دبلوماسياً فرنسياً معروفاً في الاوساط الدبلوماسية الدولية، تم اختياره كوزير مفوض في الولايات المتحدة الأمريكية التي استقر بها وتزوج من ابنت حاكم نيويورك بعد تخوفه من التغيرات السياسية في فرنسا بعدما طالبته الولايات المتحدة بمغادرة اراضيها بعد تدخله في الصراع بينها وبين بريطانيا لصالح بلده فرنسا. للمزيد ينظر: Sheridan Eugene R, The Recarles Genet : A study in Transatlantic Politics and Diplomasy, Dblomatic ,Vol18, no 4 , 1994, p 43 .

(٢٠) بول جونسن، جورج واشنطن الاب المؤسس، المصدر السابق، ص ١١١.

(٢١) عمار محمد علي حسين الطائي، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من بعض الاحداث التي جرت في فرنسا ١٧٨٩ - ١٧٩٦، مجله القادسية للعلوم الإنسانية ٢٠١٢، المجلد ١٥، العدد ٢، ص ١٦٣.

(٢٢) الحزب الفدرالي: تنظيم سياسي اسس عام ١٧٨٧، ضم طبقات واسعة من التجار ومالكي الاراضي وعدد من الطبقة الارستقراطية والامحافظين بزعامة السياسي هملتون، وكان التنظيم ذو توجهات محافظة ودعى الى المركزية القومية في حكم البلاد، وكان ميالاً للتعامل مع بريطانيا. للمزيد ينظر: ابراهيم محمد سليمان، الحزب الجمهوري ودوره السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية (١٨٤٥-١٨٧٦)، رسالة ماجستير غر منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ديالى، ٢٠١٢، ص ٥٥.

(٢٣) الكسندر هاملتون (Alexander Hamilton): ولد في مستعمرة كارولينا الجنوبية في العام ١٧٥٥. كان محامياً بارعاً وسياسياً ذكياً. يعد من أشهر المساهمين في صياغة الدستور الأمريكي في العام ١٧٨٧، تميز بامتلاك عقلية اقتصادية كبيرة، إذ عمل على رفع مستوى طبقة التجار ومالكي العقار ليتسنى تسريع عملية التجارة وحريتها في داخل السوق، تولى منصب وزارة الخزانة في عهد الرئيس واشنطن ١٧٨٩-١٧٩٦، توفي في الثاني عشر من تموز ١٨٠٤. ينظر: زامل صالح جاسم، الكسندر هاملتون ودوره السياسي في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية حتى عام ١٧٩٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٤.

(٢٤) ابراهيم محمد سليمان، المصدر السابق، ص ٤١.

(25) Nancy M. Merz, The XYZ Affair and the Congressional Election of 1799 in Richmond, Virginia, A Thesis Presented to The Faculty of The College of William and Mary in Virginia the Department of History In Partial Fulfillment Of the Requirements for the Degree of Master of Arts ,1973, p6 ؛ Danielle S. The Presidency of George Washington: Inspiring a Young Nation. Minnesota, Compass Point Books, 1971, p 64.

(٢٦) جون جاي (John Jay): سياسي ورجل دولة أمريكي، ولد في نيويورك عام ١٧٤٥ وتعلم فيها، دخل كلية الملك وتخرج منها محامياً عام ١٧٦٤، مارس مهنة المحاماة، وساند قضية وطنه بإخلاص، شارك في المؤتمرين القاريين الأول والثاني عن ولاية نيويورك، وعمل في لجان المراسلات عام ١٧٧٤، ساهم في إعداد مسودة دستور ولاية نيويورك، وعين ممثلاً للولايات المتحدة في أسبانيا بين عامي ١٨٨٠-١٨٨٢، اختير ضمن الوفد الأمريكي للمفاوض على معاهدة ١٧٨٣، تقلد منصب حاكم ولاية نيويورك بين عامي ١٧٩٥ و ١٨٠١، لم يتقلد منصب وزير أو نائب الرئيس أو الرئيس الأمريكي لمعاصرته لكبار السياسيين، توفي عام ١٨٢٥. للمزيد ينظر :

-Encyclopedia Americana, Vol.14 , P. 432

(27) Weeks W. E. Building the Continental Empire: American Expansion from the Revolution to the Civil War. Chicago, Ivan R. Dee, 1997, p192.

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا " دراسة تاريخية "

(28) Ibid, p 194.

(29) Sang N. V. The Reconstruction of the British-American Relations: From the American Revolutionary War to of 1812. UED Journal of Social Sciences, Humanities and Education, 2019, vol. 9 ,no. 5, pp. 50-58.

(٣٠) اميل هوبنر ، النظام السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة: عدنان عباس علي ، ط١ . الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠٠٩، ص ٧٩.

(٣١) حكومة الادارة الفرنسية: حكمت في فرنسا منذ ١٧ تشرين الاول من عام ١٧٩٥، في عهدها خاض الجيش الفرنسي حروب الثورة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت، وحقق انتصارات عدة في اوربا، ووضعت حكومة الادارة دستور جديد للبلاد، وسميت بالادارة لكونها كانت تدير من قبل خمس مديرين وفق الدستور الذي وضع عا ١٧٩٥. للمزيد ينظر: عبد العظيم رمضان، تاريخ اوربا والعالم في العصر الحديث - من ظهور البرجوازية إلى الثورة الفرنسية، ج١، مصر، ١٩٩٧، ص ص ٤٠٩ - ٤١٦.

(٣٢) تشارلس كوتسوورث بنكيني (Pinckney Charls cotesworth): سياسي وقائد عسكري أمريكي من الاتحاديين ، ولد في ولاية كارولينا الجنوبية ، وعمل في بداية حياته ضابطاً في الجيش الثوري وقاد عدة معارك (وأهمها معركة جسر التمساح للسيطرة على شرق فلوريدا عام ١٧٧٨ ، دخل ميدان السياسة بعد الاستقلال وكان له دور بارز في مصادقة ولاية كارولينا الجنوبية على الدستور الاتحادي عام ١٧٨٨ ، ترشح لمنصب نائب الرئيس في انتخابات العام ١٨٠٠ ، وفي عام ١٨٠٤ رشحه الحزب - . الديمقراطي لمنصب الرئيس للمزيد من التفاصيل ينظر : المصدر السابق، ص ٦٣ ؛

- A merican Peoples Encyclopedia, New York, 1979, Vol .28 ,p 245.

(33) Marvin R. Z. The First Pinckney Mission to France. The South Carolina Historical Magazine, 1965, vol. 66, no. 4, pp. 205 -217.

(٣٤) عبد العزيز سليمان و عبد المجيد نعنن، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث، بيروت، د.ت، ص ١٠١

(٣٥) شارل موريس دي تاليران (Charles Maurice de Talleyrand) : ولد في عام ١٧٥٤ في باريس، كان رجل دولة ودبلوماسياً فرنسيّاً، أصبح وزيراً للخارجية الفرنسية خلال الفترة (١٧٩٧-١٧٩٩)، شارك في الانقلاب الذي أوصل نابليون إلى السلطة في عام ١٨٠٧، استقال من منصبه في عام ١٨١٤ بسبب قلقه بشأن قوة نابليون المتنامية ، تفاوض لاستعادة ملكية بوربون. مثل تاليران فرنسا في مؤتمر فيينا (١٨١٤-١٨١٥) عاد الى باريس عام ١٨٣٥ وتوفي فيها عام ١٨٣٨. للمزيد ينظر :

-The New Encyclopaedia Britannica, Vol. 11, New York, 1986, P 523.

(36) Melvin I. U. The American Presidents: Critical Essays. London, Routledge, 2004, p 29.

(٣٧) البريدج جيرى (Elbridge Gerry): ولد عام ١٧٤٤، في ولاية ماساتشوستس، كان سياسي ودبلوماسي شغل منصب حاكم مدينة ماساتشوستس، للفترة من عام ١٨١٠ الى عام ١٨١٢، واصبح نائب لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية للفترة من عام ١٨١٣ الى عام ١٨١٤، توفي عام ١٨١٤. للمزيد ينظر :

-<https://www.britannica.com/biography/Elbridge-Gerry> .

(٣٨) جون مارشال (Jun Marshal) : ولد في فرجينيا عام ١٧٤٤ ، خدم في الجيش القاري، وكان ممثلاً لفرجينيا في مجلس النواب الأمريكي (١٧٩٩-١٨٠١)، ووزير خارجية الولايات المتحدة (١٨٠٠-١٨٠١)، ورابع رئيس للمحكمة العليا للولايات المتحدة (١٨٠٠-١٨٠١) توفي عام ١٨٣٥. للمزيد ينظر :

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

– Richard B. John Marshall: The Man Who Made the Supreme Court. New York, Basic Books, 2018, p336.

(39) Melvin I. U. Op. Cit., p29.

(٤٠) الفرقاطات العسكرية: سفينة طويلة ضيقة الشكل، تشق الماء بواسطة المجاذيف والاشرعة المربعة امتازت بالسرعة، وكانت ذات طابقين تنطلق منهما المدافع، حمولة الواحدة منها تعادل تقريبا حمولة مدمرة. ينظر: بشرى طائس، الولايات المتحدة الاميركية من النشوء الى الاستقلال، بغداد، ٢٠١٢، ص ١٤١.

(41) Melvin I. U. Op. Cit., p29.

(42) Stinchcombe W. Talleyrand and the American Negotiations of 1797–1798. The Journal of American History, 1975, vol. 62, no. 3, pp. 575–576.

(43) Ibid, p 590.

(44) Ibid, p 617.

(٤٥) معاهدة كامبو فورميو: عقدت بين فرنسا والنسما بعد الانتصارات التي حققها قائد الجيش الفرنسي نابليون بونابرت على الجيش الفرنسي، بتاريخ ١٧ تشرين الاول من عام ١٧٩٧، والتي بموجبها انتهت الحرب بين البلدين وحصلت فرنسا على عدة مقاطعات في اوربا اهمها اجزاء من مدينة البندقية الايطالية، وعززت مكانة نابليون في فرنسا. للمزيد ينظر: الان بالمر، موسوعة التاريخ الحديث، ترجمة: سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين، مراجعة: محمد مظفر الادهمي، ج١، بغداد، ١٩٩٢، ص ١٣٩؛ هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية المرحلة الاولى، ١٧٧٤-١٨٥٦، بغداد، ط٢، ٢٠١٦، ص ٤٦.

(46) Stinchcombe W, Op. Cit., p 616.

(47) Ibid, p 617.

(48) Ibid, p 617.

(٤٩) الحزب الجمهوري: تأسس عام ١٧٩١ بزعامة السياسي الاميركي جفرسون، وكان معارض للرئيس جون آدمز في البرلمان، وداعم للتحالف مع فرنسا، وضد التعامل مع بريطانيا، وكانت اهدافه تاسيس ديمقراطية برلمانية، ودعى لضمان حقوق الولايات الفدرالية واستقلالها ذاتياً وتوزيع السلطة بينها وبين الحكومة المركزية وضمان الحريات العامة للأفراد. للمزيد ينظر: ابراهيم محمد سليمان، المصدر السابق، ص ٤٢.

(50) Stinchcombe W, Op. Cit., pp 618–620.

(51) Kramer E. F. Some New Light on the XYZ Affair: Elbridge Gerry's Reasons for Opposing War with France, New England Quarterly. 1956. Vol. 29, no. 4. P. 509.

(52) Thomas M. R. "Not One Cent for Tribute": The Public Addresses and American Popular Reaction to the XYZ Affair, 1798–1799, Journal of the Early Republic. 1983. Vol. 3, no.4, P. 390.

(53) De Conde A. The Quasi-War: The Politics and Diplomacy of the Undeclared War with France 1797–1801, New York. 1966. P. 124.

(54) Kramer E. F, Op. Cit., p 510.

(55) De Conde A, Op. Cit., p124.

(56) Ibid, p 125.

(57) Ibid, p 126.

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

(58) Kramer E. F , Op. Cit., p510.

(٥٩) عبد العزيز سليمان، المصدر السابق، ص ١٠٢

(٦٠) ابراهيم محمد سلمان، المصدر السابق، ص ٤٢.

(٦١) نفس المصدر، ص ٤٣.

(62) Lyon E. W, The Franco-American Convention of 1800. The Journal of Modern History, 1940, vol. 12, no. 3, p305.

(٦٣) نابليون بونابارت (Nopoleon 1, Bonaparte): قائد عسكري فرنسي ولد عام ١٧٦٩ في مستعمرات كوستريكا الفرنسية خاض عدة حروب داخل اوربا وخارجها، حقق في اغلبها انتصارات على الجيوش الاوربية مما زاد بشهرته في اوربا ومكانته في فرنسا اطاق بحكومة لادارة بعد فشل حملته على مصر عام ١٧٩٩، وعين قنصل اول مع قنصلين اثنين لذلك عرفت الحكومة الفرنسية انذاك بحكومة القنصل، وفي عام ١٨٠٢ انها نابليون حكومة القنصل واعلن نفسه امبراطور على فرنسا مدى الحياة، تم الاطاحة بحكمه من قبل الجيوش الاوربية في معركة واترلو عام ١٨١٥، ونفي الى جزيرة سانت هيلينا حتى وفاته عام ١٨٢٢. للمزيد ينظر: الان بالمر، المصدر السابق، ص ص ١٢٨-١٣٠؛ عبد العظيم رمضان، المصدر السابق، ص ٤١٦.

(64) Lyon E. W, Op. Cit, p 306.

(65) Ibid, p 309.

(66) Ibid, pp 309 – 311.

(67) Ibid, pp 311-313.

الكتب العربية:

- إلن نفري وستيل كوماجر، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، نقله إلى العربية: مصطفى عامر، مصر ، د.ت.
- بول جونسن، جورج واشنطن الاب المؤسس، ترجمة محمد ابراهيم السيد، القاهرة ، ٢٠٠٩ .
- دان ليسبي، الثورة الامريكية دوافعها ومغزاها، ترجمة: سامي ناشد، ج ٢، القاهرة، ١٩٦٦ .
- عبد العزيز سليمان و عبد المجيد نعنغ، تاريخ الولايات المتحدة الامريكية الحديث، بيروت، د.ت.
- عبد الفتاح حسن ابو عليه، تاريخ الامريكتين التكوين السياسي للولايات المتحدة الأمريكية، الرياض، ١٩٨٧ .
- ميثاق بيات الضيفي وليد فتحي محمد الصميدعي، اسرار وخبايا الانقلابات السياسية الفرنسية ١٧٩٣-١٧٩٧، لندن ، ٢٠١٨.
- ناهد ابراهيم دسوقي، دراسات في التاريخ الامريكي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨ .
- هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية المرحلة الاولى، ١٧٧٤-١٨٥٦، ط٢، بغداد، ٢٠١٦ .
- هاشم صالح التكريتي، مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية الحديث، ط١، بغداد، ٢٠١٣.
- عبد العظيم رمضان، تاريخ اوربا والعالم في العصر الحديث - من ظهور البرجوازية إلى الثورة الفرنسية، ج ١، مصر، ١٩٩٧.

الرسائل والاطاريح :

- ابراهيم محمد سليمان، الحزب الجمهوري ودوره السياسي في الولايات المتحدة الامريكية (١٨٤٥ - ١٨٧٦)، رسالة ماجستير غر منشورة ، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ديالى ، ٢٠١٢ .
- اسماء مزعاش، حرب الاستقلال الأمريكية ودور فرنسا في دعمها ١٧٧٥ - ١٧٨٣، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بوضياف الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، ٢٠١٦.
- اميل هوبنر ، النظام السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة: عدنان عباس علي ، ط١ . الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠٠٩.

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

- زامل صالح جاسم، الكسندر هاملتون ودوره السياسي في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية حتى عام ١٧٩٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٤.
- عباس علوان لفقة الشويلي، جورج واشنطن ودوره العسكري والسياسي في الولايات المتحدة الأمريكية ١٧٣٢ - ١٧٨٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠.
- كفاح احمد محمد احمد نجار، توماس جيفرسون ودوره السياسي في التاريخ الأمريكي حتى عام ١٨٠١، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١١.

الدوريات العربية:

- صالح حسن عيسى، ستار جبار الجابري، موقف جورج واشنطن من المتطوعين الأوروبيين في حرب الاستقلال الأمريكية ١٧٧٦ - ١٧٨٣، مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، ٢٠٠٦، العدد ٢١.
- عمار محمد علي حسين الطائي، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من بعض الأحداث التي جرت في فرنسا ١٧٨٩ - ١٧٩٦، مجله القادسية للعلوم الإنسانية ٢٠١٢، المجلد ١٥، العدد ٢.

الموسوعات العربية:

- الان بالمر، موسوعة التاريخ الحديث، ترجمة: سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين، مراجعة: محمد مظفر الادهمي، ج ١، ج٢، بغداد، ١٩٩٢.

الكتب الاجنبية:

- Gordon S. Wood, The American Revolution A History published ,Random House in 2002.
- Wallace Notestein , The French Alliance and the Winning of American, Independence published by Cornell University Press ,1981.
- Melvin I. U. The American Presidents: Critical Essays. London, Routledge, 2004.
- Richard B. John Marshall: The Man Who Made the Supreme Court. New York, Basic Books, 2018.
- Bernard BailynThe, Ideological Origins of the American Revolution, published by Belknap Press in Chapter 12, 1992.
- Danielle S. The Presidency of George Washington: Inspiring a Young Nation. Minnesota, Compass Point Books, 1971.
- Dusquesne Maurice B, "Lafayette: The Idealist General, University of Nebraska Press, The original, 1987.
- Hoffman Ronald, and Peter J. Albert,. Diplomacy and Revolution Franco-American Alliance of 1778. University of Virginia Press, 1981.
- Samuel Flagg Bemis, A diplomatic History of the United States, Fourth Edition, New York 1955.
- Sheridan Eugene R, The Recarles Genet : A study in Transatlantic Politics and Diplomasy, Diplomatic ,Vol18, no 4 , 1994.
- Weeks W. E. Building the Continental Empire: American Expansion from the Revolution to the Civil War. Chicago, Ivan R. Dee, 1997.

قضية الـ (x.y.z) وأثرها على العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا " دراسة تاريخية "

الطاريح الاجنبية:

-Nancy M. Merz, The XYZ Affair and the Congressional Election of 1799 in Richmond, Virginia, A Thesis Presented to The Faculty of The College of William and Mary in Virginia the Department of History In Partial Fulfillment Of the Requirements for the Degree of Master of Arts ,1973.

الدوريات الاجنبية:

- De Conde A. The Quasi-War: The Politics and Diplomacy of the Undeclared War with France 1797-1801 ,New York. 1966.
- Kramer E. F. Some New Light on the XYZ Affair: Elbridge Gerry's Reasons for Opposing War with France ,New England Quarterly. 1956. Vol. 29, no. 4.
- Thomas M. R. "Not One Cent for Tribute": The Public Addresses and American Popular Reaction to the XYZ Affair, 1798-1799, Journal of the Early Republic. 1983. Vol. 3, no.4 .
- Lyon E. W, The Franco-American Convention of 1800. The Journal of Modern History, 1940, vol. 12, no. 3.
- Marvin R. Z. The First Pinckney Mission to France. The South Carolina Historical Magazine, 1965, vol. 66 , no. 4.
- Sang N. V. The Reconstruction of the British-American Relations: From the American Revolutionary War to of 1812. UED Journal of Social Sciences, Humanities and Education, 2019, vol. 9 ,no. 5 .
- Stinchcombe W. Talleyrand and the American Negotiations of 1797-1798. The Journal of American History, 1975, vol. 62, no. 3.

الموسوعات الاجنبية:

- Encyclopedia Americana, Vol. 1 .14 .28, New York , 1979 .
- The New Encyclopaedia Britannica, Vol. 11, New York, 1986 .

الانترنت:

- <https://www.britannica.com/biography/Elbridge-Gerry>.
- <https://www.britannica.com/biography/Elbridge-Gerry> .

التأثيرات الهلنستية في الفنون الحضرية

آفاق محمد حسين حبيب

أ.م.د. رويدة فيصل موسى

جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم التاريخ

التأثيرات الهلنستية في الفنون الحضرية

آفاق محمد حسين حبيب

أ.م.د. رويدة فيصل موسى

ملخص :

الفن احد اهم الخصائص المعمارية في مدينة الحضر اذ يعبر عن الهوية الثقافية والتاريخية للمدينة ويدخل ضمن مفهومه النحت، وسك العملة، والموسيقى، والزخرفة، التي تمثل بدورها عنصر فريد من عناصر دقيقة مثل الاكانثوس، والسببان، والمسبحة، والزهرة الحيوانية، والوجوه والاشكال الادمية، والاوراق الرباعية، والسداسية، والزخرفة المسننة والبيضة، والسهم، والعنب، والحب، وقبل الحديث عن تفاصيل هذه الزخارف لابد من معرفة ماهية اشكالها فمنها ما تكون بصورة هندسية اما ان تكون واضحة وبسيطة كالشريط، او تكون معقدة كالنقوية، او ربع بيضوي، وقد توجد هذه الزخارف بشكل مركب، او معكوس، او على شكل وردة، عرفت باسم الاكانثوس وهذه الأخيرة من الزخارف الهندسية الجميلة التي عاشقها الفنان الحضري وتقن بها وتسمى بالاقنثة او زهرة الصباح عند اليونان.

الكلمات المفتاحية: (الاکانثوس، الزخرفة، النحت، الازياء، الموسيقى، الفنون)

Abstract:

Art is one of the most important architectural characteristics in the city of Hatra, as it expresses the cultural and historical identity of the city and includes within its concept sculpture, coinage, music and decoration, which in turn represents a unique element of delicate elements such as acanthus, sycamore, rosary, animal flower, human faces and shapes, quadrilateral and hexagonal leaves, toothed decoration, egg, arrow, grapes, rope, Before talking about the details of these decorations, it is necessary to know what their shapes are. Some of them are geometric, either clear and simple, such as a ribbon, or complex, such as a circle, or a quarter oval. These decorations may be found in a compound form, or in reverse, or in the form of a rose, known as acanthus. The latter is one of the beautiful geometric

decorations that the urban artist loved and was creative with. It is called the acanthus, or the morning flower in Greece.

Keywords: (Acanthus, decoration, sculpture, fashion, music, arts).

المقدمة:

الفن هو عبارة عن وسيلة للتصريح برأي أو احساس ،سواء كان هذا الشيء ناتج من اعمال الآخرين أو مبتكرٌ، وجديد، الهدف منه اظهار الجمال والسعادة، والقبول بالإيجابية لدى المتلقين.

ويعود تاريخ الفن الى اوائل عصر ما قبل التاريخ ومنذ العصر اليوناني بدأت محاولات الفنانين من اجل خلق عمل فني شامل يجمع بين كل الفنون ،تجسد هذا العمل في الدراما اليونانية ما بين الشعر، والغناء،والموسيقى ، والنحت، والرقص، والأزياء وامام خلفية من المناظر التي رسمها الفنانون التشكيليون، لذا يمكن القول ان الفن هو احد اهم الخصائص المعمارية في مدينة الحضر اذ يعبر عن هويتها الثقافية والتاريخية.

وهناك عناصر مشتركة جمعت ما بين الفن اليوناني والحضري كالاكانثوس والسببان، والمسبحة، والزهرة الحيوانية والوجوه والاشكال الادمية والاوراق الرباعية، والسداسية، والزخرفة المسننة، والبيضة، والسهم، والعنب، والحبل، ولعل اهم تركيب فني جمع بين الفنين الحضري واليوناني هي زهرة الاكانثوس التي عرفت لدى اليونان (بزهرة الصباح) حيث عشقها كل من الفنانين الحضري واليوناني وابدع بها فرسمها بأشكال متعددة.

التأثيرات الهلنستية في الفنون الحضرية

الفن احد اهم الخصائص المعمارية في مدينة الحضر ، ويعبر عن الهوية الثقافية والتاريخية للمجتمعات، ويدخل ضمن مفهومه النحت، وسك العملة و الموسيقى،والزخرفة، والتي تتمثل بدورها من عناصر دقيقة مثل الاكانثوس، والسببان، والمسبحة، والزهرة الحيوانية، والوجوه والاشكال الادمية، والأوراق الرباعية، والسداسية و، الزخرفة المسننة، والبيضة والسهم، والعنب والحبل، وقبل الحديث عن تفاصيل هذه الزخارف لابد من معرفة ماهية هذه الاشكال فمنها ما تكون بصورة هندسية، أما ان تكون واضحة وبسيطة كالشريط، أو تكون معقدة كالنقوية،أو،ربع بيضوي، وقد توجد هذه الزخارف بشكل مركب، أو معكوس^(١) . أو

على شكل ورده تعرف بالاكانثوس (Acanthus) : هي من الزخارف الهندسية الجميلة التي عشقها الفنان الحضري وتسمى (الاقنثة) (Acanthus) ، وقد استخدمت في الفترة الرومانية أكثر من الفترة اليونانية، حيث تفنن النحات في اخراج شكل الزهرة وقد حورها في بعض الاحيان لتكون اقرب الى الاشكال الادمية وقد مثلها الإغريق بالشكل الحاد أما الرومان فقد شكلوها على هيئة ورقة ذات نهايات مستديرة ولقد زُخرفت هذه الزهرة على تيجان الاعمدة الكورنثية والدعامات، وواجهات الآواوين وأسفل القوس ، وربما كانت لها استخدامات أخرى، في مدن سابقة للحضر اومعاصرة لها^(٢) ، وتوجد هذه الزهرة في المناطق الاستوائية والتي تعتبر الموطن الأصلي لها^(٣) ، مع اكبر تنوع لها في حوض البحر الابيض المتوسط^(٤) ، حيث يشمل هذا الجنس النباتي نباتات معمرة نادرة وغالبا ما تكون شجيرات بحجم ٢م، وأوراقها تكون عملاقة ويمكن ان تنمو بشكل يصل عرضها الى متر واحد حيث تتجمع الزهور في شكل عنقود ارجواني أو أبيض اللون^(٥) .

إن اكانثوس (Acanthus) الحضر ، يكون بشكل هندسي بمعنى ليس انسيابيا كالكلاسيكية، ونرى في المدينة اختلافات في كيفية انجازها من حيث الزخرفة، فالورقة تتألف من عرق وسطي يسمى الرئيسي والى كل جانب عرق ثانوي أو اثنان عند القاعدة تتفرع ايضا عروق من الوسط، أما الدوائر الستة أو الأربعة فتجاور كل منها مثلثا وهذه ناتجة من التقاء حافات الورقة، نسبة الى التعريق وقد نرى خمسة عروق متساوية في الطول والسُمك^(٦)، وفي بلاد الإغريق تعددت أشكال هذه النبتة ، فقد وجدت اربعة انواع منها فالاكانثوس (Acanthus) الإغريقي هو نبات شجري له أوراق نباتية قاعدية الشكل تتالق من خمسة فصوص تشبه الى حد ما نبات الاكانثوس الشرقي الذي اشتق أسمه من كلمة (اكاثا) (Acantha) الإغريقية والتي تشير بشكل اساسي الى انه نبات من جنس الاقنثة، ذات نتوءات شوكية مشتقة من كلمة (اكي) والتي تعني (نقطة وابرة) و(انثوس) تعني الزهرة^(٧) ، وقد انجزت هذه الزهرة على معبد مرن الحضري الهلنستي (ellenistic) البناء على شكل زهرة مقورة بينما انجزت في بلاد الإغريق على شكل (موجة عدلة) والأكانثوس (Acanthus) الإغريقي يتماثل مع الأكانتوس الحضري، او عما هو

موجود في اسيا الصغرى، ويأتي هذا التماثل لأن مدينة الحضر كانت خاضعة للسيطرة البابلية، والآشورية والارامية فضلا عن السيطرة الإغريقية والسلوقية، والرومانية، والفرثية، والساسانية، ولقرون طويلة والذي نتج عنه تأسيس مستعمرات وممالك في المدينة^(٨)، وقد تم استخدام هذه الزخرفة في اسيا، ومصر، والجزيرة العربية، وقد ورد ذكرها في الاساطير الإغريقية (فالأكانثا) هي الحورية التي أرادها الإله (ابولو) (Apollo) لكنها رفضته وخدشته في وجهه وكعقاب لها حولها الاله (ابولو) الى اقنثة شوكية^(٩)، وقد وجدت منها أنواع بالوان مختلفة ذات عروق وردية وارجوانية^(١٠).

أهتم الفنان العربي بالزخرفة النباتية كثيرا، إذ استعملت كرموز تحمل في طياتها دلالات سامية و يُشير الباحثون الى ان معظم هذه الزخارف جاءت نتيجة تماس الفن العربي مع الفن الغربي سواء كان ذلك الفن إغريقيا، أم، رومانياً وقد تعددت اشكالها وتحولت الزخرفة وفقا لطرز البناء فالأكانثوس مهما تغيرت طرق استخداماته فهو يبقى نباتا عربياً واول من استخدمه هم العرب فقد ظهرت على شكل تاج ملتفة، او، مقورة وهذا نابع من سهولة استخدام هذه النبتة التي تتناسب بكل رشاقة، وجمالية، لتزيين مداخل الجدران ومخارجها^(١١)، وقد وجد داخل أحد المعابد الحضرية في الايوان الجنوبي منه مجموعة من الأحجار نُقش على بعضها نقش البيضة، والسهم تعلوها زخرفة نباتية من ورق اللسبيان وعلى مجموعة ثانية وجد نحتٌ بارز يتألف من سيقان واوراق وعناقيد العنب^(١٢).

اولاً: النحت :

هي كلمة تتضمن معاني واسعة فقد يكون النحت بارزا أو غائرا، او، متوسطا ويحصل بواسطة الحفر، أو التشكيل بأي مادة قابلة للنحت^(١٣)، وقد اشتقت كلمة النحت (Sculpture)، من الفعل اللاتيني (Sculptere)، والتي تعني (الحفر) على المادة الصلبة بواسطة آلة (Machine) حادة ومدببة، كما عُرِفَ النحت في معجم الفن بأنه خلق شكل جديد بأبعاد مختلفة مكونا شكلا جميلاً ذا معنى فني، بواسطة إزالة المواد الزائدة وتحرير الشكل المراد انجازه، إذ يتم ذلك من خلال طريقتين أما إضافة مادة قابلة للتشكيل

وتكون مرنة أو عن طريق الحفر^(١٤) ، إذ هو إعادة تنظيم مُنسق للكتل في فراغ معين يتيح المتعة في النظر الى هذه الاشكال عن طريق الملمس والاحساس بالحركة المجسمة في الفراغات واللون^(١٥) ، وقد ارتبط تعدد اساليب النحت في مدينة الحضر بتعدد أسماء محترفي هذا الفن سواء كان ذلك في مجال العمارة ام في صنع التماثيل بطريقة فنية ، وقد ذُكرت لفظة (جلفا) والتي تعني النحات باللغة الارامية و في النصوص الحضرية و ظهرت هذه الحرفة نظرا لتوافر مادة الحجر الطبيعية في مدينة الحضر بهيئة مقالع لأنواع من الرخام^(١٦).

ان بلاد الرافدين ذات حضارة عريقة عُدت من اقدم الحضارات في العالم وأكثرها تأثيراً في الحضارات الأخرى، فقد انبهروا بها محاولين تقليدها في كل جوانبها وعناصرها من خلال الافكار التي جاءوا بها من بلادهم ، إلا إن عرب بلاد الرافدين تمسكوا بحضارتهم وتركوا بصماتهم الواضحة في كل مجالات الحياة^(١٧) .

وتشير الكثير من الادلة الفنية والاثرية الى الاهمية الدينية لمدينة الحضر hatra واهتمامها بالناحية المعمارية والعمرانية فوجود المعبد الكبير في وسط المدينة واحتوائه على تماثيل الآلهة كاله شمس ، والهة الثالوث الحضري ما هو إلا دليل على الأهمية الدينية التي وصلت إليها هذه المدينة فضلا عن وجود المعابد الصغيرة مثل معبد الاله نرجول ونبو، وهرقل واثينا، حيث سُلطت الاضواء والاعمال التنقيبية في هذه المباني المقدسة وعلى مئات التماثيل النحتية التي من خلالها تم التعرف على أشكال وسمات هذه التماثيل والطريقة التي استحضر بها المتعبدون من العرب والحضريين الهتهم المُفضلة خلال الفترات التالية من تاريخ المدينة^(١٨) .

لقد شمل النحت على محورين الاول تضمن اشكالا منفذة بطريقة النحت المجسم والاشكال ثلاثية الابعاد كتمثال الملك الحضري(سنطروق الأول) ، والنوع الثاني يشتمل على قسمين من النحت الاول هو النحت البارز النافر والذي يتوضح فيه المشهد الموسيقي للاحتفال بتكريم الآلهة (اللات) ، والنحت البارز الواطئ الذي يبدو واضحا على ثياب الملك الحضري (عبد سميا)^(١٩) .

ان النقوش الحضرية توفر رؤية أكثر حول الاستيطان البشري وعلاقة الحضر بالعالم الغربي فهذه المدينة في حقيقه أمرها مُتصلة بالعالم ، على الرغم من أنها منطقة صحراوية عن طريق شبكة من الطرق والمواصلات التجارية فاتاحت هذه الطرق تواصل هذه المدينة مع العالم الخارجي فكانت بمثابة معقل الامبراطوريات الغربية ^(٢٠) ، ويُعرف الفن في مدينة الحضر من خلال ابنيته الباقية على شكلها الاصيلي ومن تماثيلها الكثيرة والمتنوعة وعُرف بانه الانتاج الإسكندري الذي دخل الى بلاد الرافدين وبدأ يتدفق بشكله المتطور الهلنستي ، الذي يحمل شيئا من التأثيرات الإغريقية، والرومانية والفرثية في شكله العام وبدا يدخل في تفاصيل التماثيل الحضرية من خلال تصفيف الشعر وطيّات الثياب ، وشكل وحجم المنحوتات والاكتثار من استعمال المصوغات والثياب المطرزة، وإِتخاذ الوضعيات الأمامية في المشاهد كل ذلك وغيرها بدات واضحة من خلال الرسم والنحت ^(٢١) ، وقد اكتشفت تماثيل لثُجار وقادة القوافل الذين تميزوا بازيائهم حيث ظهوروا وهم يرتدون سترات خفيفة الوزن تشبه تلك التي يرتديها الفرسان ويحملون اكياس للعملات المعدنية في ايديهم للدلالة على مهنتهم، كما تم اكتشاف بعض التماثيل للالهة كالاله هرمس (Hermes) حامي التجارة والتجار، والذي قد يكون له صلة بالحياة التجارية للمدينة، كما عثرعلى نقش حضري يعود الى المهندس (Abn) ، وهو مهندس معماري قام بتشييد مبنى الجمارك وهذا دليل يفسر شهرة المدينة من حيث الثروة،فضلا عن اكتشاف عملات حترينية Hatrene في دورا يوريس، وهو دليل على وجود تجارة نشطة كانت تُمارس في هذا المجال ^(٢٢) .

لقد استخدم النحات الحضري اسلوبا عمليا في تبسيط الشكل الطبيعي من حيث التفاصيل الجزئية فكان ذلك أمّا عن طريق الحذف او التحوي لاسيما إبراز أسلوب الحركة الصامتة في بعض التماثيل كالانحناءات في الجسم أو تقديم إحدى الساقين على الأخرى أو اظهار ابعاد ثلاثية على المنحوتات بطريقة النحت المُجسم او استخدام اسلوب التحوير في بعض أعضاء الجسم ^(٢٣) .

وتعتبر مدينة الحضر من المدن الغنية بالتماثيل لافراد العائلة الحاكمة ورجال الدين وأرباب المال وقادة الجيش وغيرهم من الطبقات المجتمعية العليا كما تضمنت عدد كبير من الأصنام، والآلهة الصغيرة الحجم، والكبيرة المصنوعة من الحجر،او، النحاس وقد وجد

معظمها في المعابد الصغيرة، أمّا تماثيل الأشخاص فهي غالباً ماتكون بحجم الإنسان، أو أكبر بقليل وتكون مصنوعة من حجر الكلس الذي يعرف محلياً باسم حجر الحلان، ويكون اسمر اللون، أو عسلي فاتح، والنوع الآخر، يكون من الرخام الموصلّي ذو لون رمادي فاتح^(٢٤).

لقد اهتم النحات الحضري في إبراز الملامح الشخصية للرجال مثل استطاله الوجه وبروز عظمي الوجه والجبين كتعبير للهيبة والوقار، وتمثل البعض الآخر بالصرامة والحدة، كتمثال الإله (مرن) maren والإله (برمرين) bar maren بينما سُلط الضوء على إبراز القوة والصحة في منحوتة الإله هرقل Hercules إله العالم السفلي، أمّا المنحوتات الانثوية فقد عمل على إبراز ملامح الوجه من خلال اظهار نُبل الشخصية المصورة، كالاهتمام في سعة العيون ونظرتها المستقيمة فضلاً عن اعطاء نوع من الانطباع في الرقة والليونة والانسيابية، كما في منحوتة بنت ابي دميون مما اكسب الشكل استقراراً وراحة بصرية عند النظر اليها والاستمتاع بمشاهدة الصحة والجمال المتجسدة في الامتلاء الجسمي لبعض المنحوتات^(٢٥)، ولليد رموز تعبيرية عمل على اظهارها النحات الحضري وقد يعزى ذلك الى اسباب جينية فقد فسرها بعض الباحثين على أنّها صفة للتعبير عن السلام والتحية، بينما وجد آخرون ان رفع اليد اليمنى ما هي الا علامة لدفع الشر عن صاحب المنحوتة، وعن المدينة ونجد بعض الشخصيات الدينية تحمل في يدها اناء ربما يكون الغرض منه وُضع الماء المقدس فيه، وهي احدى صفات الطقوس الدينية التي شاعت في بلاد الرافدين^(٢٦)، وقد صُورت منحوتة تعود الى الآلهة (اللات) يقف أمامها شخص يدعى ابرهن بن هديدي (Ibrahn so of Hdyady) في وضع التبجيل والطاعة، إذ ظهرت الآلهة واقفة وتفاصيل ثيابها بارزة من حيث الطيات الموجودة على الاكمام، كما استخلص النحات الحضري بعض الحيوانات التي كانت تُرافق بعض الآلهة مثل الأسد الذي كان يصاحب الآلهة اثينا، واللات ويدل على القوة والرئاسة، كتمثيل رمزي للآلهة، أمّا الثعبان فقد ارتبط مفهومه مع الإله نرجول، وهو رمز دائم للقدسية طالما ان الثعبان يُشير الى حركة الشمس في السموات فقد ارتبط بصفة الخلود لقابليته على تجديد جلده بجلد آخر جديد^(٢٧).

تُعد حضارة بلاد الرافدين واحدة من أبرز حضارات الشرق الأدنى القديم من حيث عمقها الحضاري المُوغل في القَدَم من ناحية ومن حيث اصالتها من ناحية أخرى، فهذه الحضارة مُبدعة بتراتها الغني، إذ كان لها إشعاع حضاري تأثرت به معظم حضارات العالم لا سيما فيما يخص فن النحت البارز والمجسم حيث يُعبر هذا الفن عن محاكاة افكار تجول في اذهان النحات^(٢٨).

تعود أغلب هذه المجسمات النحتية الى تماثيل لالهة خُصِصَت للعبادة، كما هو الحال في المنحوتات الكلاسيكية الإغريقية التي تُرجح ان أصول تماثيلها المنحوتة هي عبارة عن أوثان نُحِتَت لأجل العبادة وَ وُضِعَ لها مكانا مقدسا خاصا بها في المعبد^(٢٩)، ومن المعروف أن الدور السلوقي الذي بدا في عام (٣١٢-١٣٩ ق.م) أي بعد الحقبة الاسكندرية، وقد اعقبه عصر اخر عُرف بالعصر الفرثي، حيثُ بدا الانبهار عليهم واضح بحضارة بلاد الرافدين فنراهم مقلدين لها في كل جوانبها وعناصرها محاولين بذلك طمس تلك المعالم الحضارية من خلال اضعاف بعض الأفكار التي جاءوا بها من بلادهم الا ان شعب حضارة بلاد الرافدين تمسكوا بمعطيات حضارتهم، وتركوا بصمات واضحة على كل ما يمكن ملاحظته خلال هذه الفترة^(٣٠).

إنّ افضل ما يمكن ملاحظته على فن النحت هو سك النقود، ونحت صور لبعض الملوك والآلهة والرموز النباتية والحيوانية التي تشير الى غاية إستدلالية يُفهم من خلالها حكم الملوك وفتراتهم ونوع العبادة واسم الاله الذي كان يُعبد آنذاك، وبمرور الزمن اصبحت النقود هي عجلة الحياة التي من خلالها أصبح الإنسان يأكل ويسكن ويتنقل ويمارس تجارته في وقت لم يكن يعرف المسكوكات في حياته اليومية، اذ كانت جميع المواد مُباحة له ضمن حدود امكانياته البدنية، إذ كان يعيش على الصيد ويقطف الثمار من الأشجار دون ان يدفع اي ثمن ويتخذ من الكهوف ماوى له الى ان بدا الزحف الجليدي بحدود ٢٥,٠٠٠ سنة وانهى قبل (١٢,٠٠٠) سنة حينها غطت الثلوج الكهوف، فاضطر الى المغادرة، والسكن بجانب ضفاف الأنهار فأنشأ، المستوطنات ومن هنا بدأت أولى التجمعات السكانية ومنها ظهرت حاجة الإنسان الى أخيه الإنسان من خلال توفر مواد معينة واستبدالها مع أخرى ولسهوله التبادل التجاري تم سك العملة^(٣١)، تنقسم عملات الحضر المعدنية الى

نوعين، النوع الأول يحمل صورة الاله (الشمس) والنوع الثاني يحمل صورة الاله القمر، وتم العثور خلال التنقيبات الاثرية في مدينة الحضر على عملات معدنية يحمل بعضها صورة برأس إنسان على الوجه الأمامي للعملة، أما الوجه الخلفي، فيحمل صورة نسر ذو جناحين ممدودين^(٣٢)، ومنذ ان دخل الاسكندر المقدوني الى بلاد الرافدين سك نقودا تحمل صورته وعلى الجانب الآخر صورة للاله زوس (Zeus) اله السماء والصاعقة حسب الميثولوجيا الإغريقية، وهو جالس على العرش، وأخرى تحمل صورة حيوان الفيل (elephant) وذلك بعد انتصاره في معاركه في بلاد الهند^(٣٣).

حسب التنقيبات الأثرية التي اجريت في مدينة الحضر عام (١٩٧١-١٩٧٢م) تم العثور على نقود بالقرب من منطقة سكنية صغيرة واقعه بالقرب من مجموعة المقابر (J) كما عثر على أخرى بالقرب من القصر الشمالي القريب من موقع البوابة الشمالية للمدينة حيث وجد عدد من العملات النقدية المكتشفة في فترات زمنية مختلفة ابتداء من اقدمها الى احداثها والتي تبدأ من زمن الامبراطورية السلوقية حتى نهاية الامبراطورية الساسانية ، ففي الفترة السلوقية عثر على خمسة انواع من العملات النقدية المعدنية^(٣٤) ، نُقش على الوجه الاول صورة الملك السلوقي (سلوقس الاول) الراس والرقبة، وهو يتجه نحو اليمين ونقودا أخرى تعود الى الملك السلوقي (ديميتريوس) الذي حكم من عام (١٦٢-١٥٠ ق.م) وعلى الظهر يوجد نحت لطائر النسر وهو واقف على اغصان نباتية ونصوص الكتابة السلوقية تذكر اسم هذا الملك^(٣٥).

لقد نشأت فكرة سك العملة اساسا نتيجة لفن الحفر على الاختام التي تعتبر الاصل في ذلك، فالصلة بين العملة والاختام وثيقة جدا وواضحة عبر العصور التاريخية فالعلامات او الرموز المحفورة على هذه الاختام، تشير الى علامة او رمز اسم صاحب العملة، او الآلهة المعبودة والمكان الذي حُفرت فيه، او اسم الشخص الذي أمر بسكها والمعبود الذي يَتَّيَمَن به او يعبد^(٣٦)، كما عُثر على عشرون نوعا من العملات الفضية الفرثية ، تعود الى ملوك فرثيون امثال الملك (ورود الاول) ، الذي حكم من عام (٣٨-٣٧ ق.م)، إذ وجدت على أرضية الباحة أمام كوة هرقل ، ونقشت على هذه العملة راس و صدر هذا الملك الفرثي متجها نحو اليسار مع لحية قصيرة و اكليلًا او طوقا على الجبين مع نصف زخرفة لحصان

البحر وصدرية حامية او ما تسمى (الدرع) وخلفه هلال ونجمة، وأمامه نجمة وعلى ظهر العملة نقش صورة لمؤسس الدولة الفرثية للملك (ارشاك الاول) الذي امتد حكمه من عام (٢٤٧-٢١٧ ق.م)، وعملات فضية متعددة، وواحدة برونزية تعود للملك الفرثي (ولجش الثالث) الذي حكم من (١٤٨-١٩١ م)، قرب مدخل البوابة الشمالية لكوة هرقل وعملة واحدة فضية تعود للملك الفرثي (ارطبان الخامس) الذي حكم من (٢١٣-٢٢٧ م)^(٣٧)، وتمثل التأثير الإغريقي على مسكوكات الشرق الأدنى القديم في ظهور صور لآلهة إغريقية متمثلة في صورة زيوس كبير الهتهم وهرقل، والهة النصر نايكي (Níke) والمعبود ابولو ابن زيوس و(لوتو) إله الفن والشعر والموسيقى ورسول أبيه للآلهة، والبشر حيث كان يضع على راسه تاج من أوراق العنب وتظهر القيثارة كأحدى ممتلكات هذا الإله^(٣٨)، وضربت في مدينة الحضر مسكوكات نُقش على الوجه راس المعبود شمس بوضع جانبي متجه الى اليمين تحيط به الكتابة الآرامية التي تنص على عبارة (حطرا دي شمس) اي الحضر مدينة الشمس، او مدينة المعبود شمس، وعلى الظهر صورة لصقر ناشر جناحيه وهو شعار المدينة ويدل على قوتها وهيبتها، ونوع آخر نُقش به على الوجه رأس المعبود (شمس)، وعلى الظهر صقر واقف على غصن مورق ناشر جناحيه والمسكوكات هذه سجلت كتاباتها بالخط الآرامي وقد ضربت على معدن من النحاس^(٣٩)، ومسكوكات أخرى سُجلت عليها كتابات بالخط اللاتيني، وهي عبارة عن حرفين (SC) وهي اختصار لكلمة (Sentus Consultum) اي بموافقة مجلس الشيوخ حيث يحتفظ المتحف البريطاني في لندن بمجموعة من هذه المسكوكات على هذا النحو من الطراز ومسكوكات نُقش بها على الوجه صورة نصفية للمعبود شمس (shams) متجه الى اليمين وعلى الظهر الحرفان (SC) ومسكوكات أخرى نُقش بها على الوجه صورة نصفية للمعبود شمس متجه الى اليمين له عيان مُتسَعَتان تتدلى خُصلات شعره الطويل الى خلف راسه، وعلى الظهر الحرفان (SC)، أما النوع الثالث فهي مسكوكات نُقش على الوجه صورة نصفية للمعبود شمس متجه الى اليمين له لحية خفيفة وعلى الظهر الحرفان (SC) وجميع هذه المسكوكات سُجلت كتابتها بالخط اللاتيني وكانت من البرونز^(٤٠)، كما اكتُشِف ستة عشر عملة رومانية تعود

لأباطرتهم، ومائة وثلاثة عشر عملة حضرية تعود لسادة وملوك الحضر، وستة عُملات ساسانية يُرقى زمنها الى الملك الساساني اردشيرا الاول الذي حكم من (٢٢٤-٢٤١م) ^(٤١).

تأثر الفن في بلاد الرافدين بالفنون الإغريقية التي ادخلها الاسكندر وخلفائه السلوقيون لبلاد الشرق، لكنه لم يفقد هويته وطابعه المميز رُغم المد الحضاري القوي الذي حدث، لان فنون بلاد الرافدين بقيت تستأنف سيرتها المتقدمة، وتقدمها لمدة تقرب من اربعة قرون في مدينة الحضر الصامدة وخاصة في القرنين الاولين للميلاد ^(٤٢)، إذ كانت عملية سك العملة سهلة، وغير معقدة على الرغم من بدائيتها فقد كان الفنان ينحت العملة حسب الشكل المراد نحته عن طريق الطَّرْق، ثم يضع قطعة من المعدن المراد تحويلها الى عملة، وعليها ختم لصورة منحوتة ثم يطرق هذا الختم من الى لتتكون لديه عملة ذات وجهين أمّا ام الادوات التي كانت تُستخدَم في ذلك فهي المِطْرِقة، والقاعدة السفلية، والختم العلوي (XAPAKTHP) وبطبيعة الحال كانت جميع المعادن تُسخن قبل الطرق حتى تأخذ شكلها الصحيح، عدا الذهب، والفضة كان يُطرق وهو بارد ليسهل تشكيله ^(٤٣)، وعلى الرغم من التطور الحضاري الذي حصل في حضارات العالم أجمع، إلا ان بلاد الرافدين تبقى هي السبّاقة في إتخاذ المعدن كوسيط للتبادل التجاري، وذلك حسب ما ورد في شريعة الملك السومري (اورنمو) الذي حكم من الفترة (٢١١١-٢٠٠٣ ق.م) حيث ورد في شريعته القانونية لفظة الفضة كوسيلة للعقاب فمثلا المادة السادسة من شريعته تتضمن: اذا طلق الرجل زوجته الأصلية عليه ان يدفع لها نصف من الفضة، أمّا المادة التاسعة عشر فتتص على: إذا كسر الرجل سن رجل اخر عليه ان يدفع كغرامة شيقلين من الفضة ^(٤٤).

إن النحات بصورة عامة قام بجهد عملي وفني حول العلاقات المتواجدة بين عناصر العمل الفني وبين الفكر الحضاري والبيئة المكانية، كما بيّن مستوى تطور فن النحت الذي وصل اليه النحات على مرالعصور التاريخية، وبيّن السمات الحضارية لكل دور عاشه، وعلى مختلف الحضارات العالمية، وان مدينة الحضر hatra مهما كان تأثيرها سواء كان إغريقياً، ام رومانياً، ام فرثياً، بقيت منحوتاتها الحضرية تُعبر عن مدلول حضاري بشكل عام وتدل على مستوى التطور الفني الذي وصلت اليه هذه المدينة.

ثانياً: النقش والموسيقى والازياء.

ان الإنسان مقياس لكل شيء في هذا العالم فلا يوجد اجمل من جسمه، ولا امهر من يده، ولا اذكى من عقله، لذلك بدا فنانو الإغريق بتمثيل صوره على شكل لوحات جدارية ، يسودها العُري دليل على حرية الفكر حسب اعتقادهم ، عكس ما كان سائداً في مناطق الشرق الادنى القديم حيث اعتبروا العُري اذلال لاصحابها، فظل هذا النوع من الفن خاصاً بالإغريق، فجعلوا منه شيئاً مثاليًا ولازما لاطهار الجمال لذا عُرُوا ابطالهم، وعظماءهم، والتهتهم، ثم جرت العادة في الفن ان تُعرى الموسيقىات والمُغنيات والراقصات، وبعد اتصالهم بمناطق الشرق بدا التستر يظهر على الصور واللوحات الجدارية والتماثيل عن طريق تسترها بالثياب الشفافة، ثم بدان يرتدين ثياب من اعلى الاكتاف الى اسفل الأقدام^(٤٥).

ان الفن الهلنستي غني بالموضوعات فهو انشئ في عصر يتميز باحساس قوي، والدليل على ذلك تمثال ديونيسوس (Dionysus) اله الخمر والغزاة الاسطوري للشرق، وهو من العناصر البارزة في الفن الهلنستي ، وتمثال هرمس إله التجارة في مدينة الحضر ، كما تم تصويرايروس اله الحب الإغريقي كطفل صغير^(٤٦) ، وأثناء التنقيب في الايوان الجنوبي لبناية تقع الى الشمال من معبد مرن الهلنستي عُثر على مجموعة من النصوص والكتابات تشير الى ان هذه البناية كانت معبدًا شيده الملك الحضري (سنطروق ملك العرب) للالهة اللات نقشت عليه صورا لعازفين على مختلف الآلات الموسيقية سوى آلات النفخ او القرع يصاحبهم شبان يصفقون، واخرون، يزغردون، ويفرقعون الاصابع ومجموعة أخرى تحتسي الخمر^(٤٧).

استمر استعمال الموسيقى في الشرق الادنى القديم وخاصة في العصر السلوقي الذي بدأ في ٣١١ ق.م) عند وضع الحجر الاساس للمعابد والشعائر الخاصة بدفن الموتى، وتُكشف لنا المنحوتات الجدارية الحضرية وجود انواع لآلات الموسيقى اثناء قيام الملك بتقديم القرابين في المناسبات الدينية المختلفة^(٤٨)، ان الآلات الموسيقية التي استعملت خلال العصر الهلنستي ، وجدت بشكل صورٍ واشكال منحوتة في لوحات جدارية ومن اشهر هذه الآلات الموسيقية هي (الكنارة) وتكون صغيرة الحجم، ذات صندوق صوتي مستطيل، ساقها الجانبيان يسيران بصورة متوازية، ويحتويان على تحذب، بسيط نحو الداخل قُرب اتصالهما بالساق الحامل للاوتار، الذي يكون بدوره مستقيماً وموازيا للصندوق الصوتي، طوله يساوي طول المسافة بين الساقين الجانبيين و يستعمل العازف المضرب في بعض الحالات للعزف على هذه الالة الوترية أما طريقة مسك العازف لها فيكون بشكل يميل فيه الى الخارج ، وهذا النوع من الألة الموسيقية

ليست مستحدثه في هذا العصر، بل سبق وان استُخدمت من قبل الآشوريين والبابليين^(٤٩)، وفي التنقيبات التي جرت في السلوقية تم العثور على دُمية تعود لامرأة عارية جالسة تعزف على آلة العود ذو العنق الطويل، ويُرقى زمنها الى العصر الهلنستي^(٥٠)، ولقد اشتهر الشرقيون بالعزف على اكثر من آلة، موسيقية حسب ما تتطلبه الشعائر الدينية، والالعب الرياضية واستُخدمت في المحافل العسكرية وعند اشتباك الجيوش يحملون آلة النفير (البوق)، فالمواطن العربي عندما يسمع عبارة الموسيقى العسكرية فإنه ينصرف بفكره الى الآلات الموسيقية الأوروبية لأنه نشأ على حالة يرى فيها الجيش بزيه العسكرية فقط، فالآلات الموسيقية التي يستعملها اي جيش عربي هي آلات أوروبية اضيف الى ذلك الانغام والالحن^(٥١)، واذا ما عدنا الى الأثر الموسيقي في مدينة الحضر لرأينا مشهدا بالبحث البارز يُجسد شخصية معروفة في الاساطير الإغريقية باسم تريتون (Τρίτων) ابن اله البحر (بوسايدون) و يكون القسم العلوي منه، جسم انسان، والقسم الأسفل على هيئة ذيل الدولفين مُلتف على نفسه في النهاية وهنا نرى وجود أثرين؛ أثر الحضر واثر روما من حيث المعنى والفكرة، وهو وجود ذيل الدولفين في كلا الأثرين نشاهد نفس الآلة النفخية وهي الرمز المميز للآله تريتون وهي تشبه الآلة الموسيقية المعروفة باسم (العود) الحضري وقد عثر على آلة عرفت باسم (الكوبة) وهي آلة للقرع وتكون مغطاه بالجلد من الجهتين يضربها العازف من الوجهين^(٥٢)، كما ظهرت آلات أخرى استخدمت في العصر الهلنستي مثل الآلة الوترية الجُنگ، والدف المستدير، الذي يرجع تاريخه الى العصرين السلوقي (٣١٢-١٣٥م) والفرثي (٢٤٧ق.م-٢٢٦م)، وآلة القرع (النقارية)، والمزمار المزدوج، والآلات الهوائية (المصفار) الشبيهة (بالمهارمونيك)، وقُرْبَة الزمر^(٥٣)، وخلف لنا الأغريق نقوشا تعود الى العصر الهلنستي، وهي نسخٌ من فخاريات تعود الى عصور ما قبل (٥٠٠ق.م) فالفخارون الذين عاشوا في هذه الفترات التاريخية كانوا نقاشون وفنانون ماهرون، وتُبرهن اواني الفُخار التي خلفوها لنا على مدى إتقانهم ومهارتهم في فن الرسم والالوان وهذا ما اكسبها سحرًا خالدًا^(٥٤)، نفذ الرسام أغلب فنونه على جدران المدن وواجهات القصور والمعابد وبحرفية عالية مما اكسب المدينة جمالية وراحة للعين^(٥٥)، ان النقوش التي نشاهدها على الثياب ما هي الا فن من الفنون الهلنستية، التي اوجدت تشابها واضحا مع الثياب الشرقية مثل الببلوس، والجيتون والهيما تون، والكلاميس، وهذا لا يعني اهمال ازياء حضارة بلاد الرافدين القديمة التي كان يرتديها الاشوريون والبابليون، لأنها بشكلٍ اواخر ظلت مستعملة في الارياف، والطبقة العامة لكنها غير ممثلة في المنحوتات الحضرية، لأن تبديل الازياء بين الطبقات السياسية يكون اسرع منها بين عامة الناس^(٥٦)، فالثياب التي يرتديها الكهنة

والكاهنات، والآلهة، تختلف عن غيرها من اثياب الطبقات الأخرى، فقد ظهرت الآلهة الحضرية (اترعتا) وهي ترتدي الزي الحضري الذي يتكون من غطاء الرأس، وفستانٌ طويلٌ واسع، فيه الكثير من الطيات ومزخرف، وضيق عند الصدر، مع صندوقاً مفتوحاً في قدميها، وهذا الزي قريب من الازياء الفينيقية التي كانت منتشرة في سوريا، ولبنان، كما حُلِدَت الأميرة دوشفري ابنة ملك الحضر (سنطروق الثاني) بتمثالٍ وضَحَ ثيابها المزخرفة بالأحجار الكريمة وهذا نابع من الترف الذي كانت عليه، ومقامها السامي، وموشاة بازرار من الحُلي النفيسة كالذهب، واللؤلؤ، مع اقراط وقلائد تُزيّنها^(٥٧) ، أمّا ثياب (جذوة زوجة عبد ملك) وهم من طبقة الاشراف، فكانت ترتدي ثياب تدل على الترف اذ يتكون لباسُها من غطاء طويل يُغطي الرأس ينسدل خلف الاتاف، وثوب واسع فيه كثير من الطيات وترتدي القلائد التي تزيّنها، وزيا اخر نراه على تمثال العازفة (قيمي بنت عبد سميا بائع الخمور) في أبها حُلِيّة ممسكة بالثُها الموسيقية التي تعزف عليها مرتدية الزي الحضري الذي يختلف بعض الشيء عن الازياء الاعتيادية^(٥٨) ، وتختلف ثياب الرجال عن ثياب النساء حيث ان اهم قطعتين من الالبسة الرجالية هما القميص ويكون طويل يصل للركبتين، غير واسع وإنما ملاصق للجسم، مع ردتان طويلان يصلان الرسغ، مع فتحة صغيرة عند الصدر، وكان يُنسج أمّا من الكتان او الصوف، ثم السروال، يلي ذلك العباءة التي هي من البسة الفرسان والقادة العسكريين والكهنة والتجار، والمعطف وهو من الالبسة الشتوية والقباء وهو من البسة الآلهة والملوك الفرثيين، واغلب الزي الحضري يكون بحزام مع انتعال الحذاء ويظهر في المجتمع الحضري الطبقات العامة حاسري الرأس (اي لاغطاء، ولاعمامة ، ولا قبعة يرتدونها على الرأس) ، أمّا الطبقات ذوي الرُتب، فيتميزون عن غيرهم بارتدائهم غطاءً للرأس ، وتختلف ثياب الفرسان بعض الشيء عن غيرها فتتألف من قطعتين من القمصان الاولى تكون مطابقة للصدر، والثانية تكون فُصّة لِتُسهل حركة ساق الفارس وهو على صهوة جواده، وتُزين قمصان الملوك والنبلاء بزخارف هندسية ونباتية وصور لآلهة مرسومة بطريقة التطريز وازرار من الاحجار الكريمة ثم يلي القميص السروال وهذا تقليد سائد عند الميديين وهم اقوامٌ جبلية شُوهِدَت ازيائهم منحوتة على جدران مدينة برسيبوليس^(٥٩) ، أمّا الازياء النسائية الحضرية فهي معروفة من خلال التماثيل الموجودة اذ يُعطى الجسم من الرأس الى القدم باستثناء الكفين وحيانا يُستثنى جزء من الصدر وفي كل الاحوال تكون ثيابهن غير مقطعة وانما قطعة واحدة تُثَبَّت على الجسم بواسطة الاحزمة ولا يوجد في التماثيل الحضرية امرأة حافية القدمين اذ ترتدي نوعان من الأحذية احدهما يكون مغلق وبالوانٍ صارخة كالأحمر، والأصفر، واللون الاسود، والآخر يكون صندوق ذو (سيور) مع فتحة لإدخال

أصبح إبهام القدم وقد تفننت النساء الحضريات بالتحلي بأنواع مختلفة من الاقراط، والقلائد، والخواتم، والاساور، وربما يُعلق على تاج الراس بعض الحلي، وهذا واضح في تمثال (ابو بنت جبلو)، و(قيمي بنت عبد سميا)، و(الأميرة دوشفري) (٦٠).

نستنتج مما سبق ان الاتصال الحضاري كان واضح بين كلتا الحضارتين الشرقية والغربية فُجِعت تحت مُصطلح (الهلينستية) من خلال جمع كل انواع الفنون فنلاحظ العري الذي كان سائداً على الفنون الإغريقية بدا يختفي تدريجياً من خلال ارتداء التماثيل ثياب شفافة وغطاء للرأس حتى اسفل القدمين وهو تقليد وجد في تماثيل زوجات ملوك مدينة الحضر، وبدأ الفنان الشرقي يتذوق الفن بطريقة أكثر جرأة فرسم الجسم البشري بشكل دقيق مع ليونة في التصوير من حيث الأعضاء، وحركات الجسد.

الخاتمة:

نستنتج مما سبق أن الفن يعد من أهم البصمات التاريخية التي يتركها الفنان فهي الاثر الباقي بعده فمن خلاله نستطيع أن نعرف مدى التأثيرات التي حدثت على أرض كل مدينة وكيف ومتى سُجلت ورُسمت، ونُحتت، وتحت أي ظرف رسم الفنان لوحته من خلال تجسيد مشاعره فيها.

الهوامش:

- (١) الشمس، الحضر العاصمة العربية، ص ٣٥٣.
- (٢) الشمس، المصدر نفسه، ص ٣٥٤. ينظر، ملحق رقم (١١).
- (٣) Mariana Ribeiro Maraues, Acanthus Mollis como Fonte de compostos biologicamente ativos disserta cao I ciclo de estudos covilha-Universidade DA BEIRa interior ciencias outubro de 2016 p.p. 13-14.
- (٤) Kit Tan and Mariapanitsa and Giannis kofinas, The genus acanthus (Acanthaceae in Greece University of Copenhagen, 2023, p.90.
- (٥) Mariana Ribeiro Maraues, Acanthus Mollis com fonte de compostos biologicamente ativos disserta c ao 2 ciclo ciencias ,pp.13-14.
- (٦) الشمس، الحضر العاصمة العربية، ص ٣٥٤.
- (٧) Kit Tan and others, The genus acanthus, p.90.
- (٨) سفر ومصطفى، الحضر مدينة الشمس، ص ١٧١، ص ٣٥٤.
- (٩) Kit Tan an others, The genus acanthus, p.90.
- (١٠) <https://www.inzpcn.org.nz/flora/spcies/acanthus.Mollis/>

- (١١) غزوان ، معتز عناد ، الدلالات الفكرية والرمزية للفن الاسلامي في التصميم المعاصر ، مجلة كلية الاداب ، العدد ١٠١ ، قسم التصميم الطباعي ، كلية الفنون الجميلة ، جامعة بغداد ، د.ت ، ص ٥٢٣-٥٢٤ .
- (١٢) النجفي ، حازم ، الاحتفال بتكريم الآلهة اللات مشهد موسيقي من الحضر ، مجلة سومر ، مج ٣٧ ، ١٩٨١م ، ص ١٣١ .
- (13) Encyclopedia of World Art. Vol XIII . Mc. Graw Hill book co. Inc. London 1967, p.965.
- (14) Thames and Hunson, Dictionary of Art and Artists, London , 1965, p.184.
- (١٥) برنارد ، ماييرز ، الفنون التشكيلية وكيف نتذوقها ، ترجمة ، سعد المنصوري واخرون ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة، ١٩٦٦م) ، ص ١٢٠ .
- (١٦) سلطان ، زينة خليل ، النحت في مدينة الحضر في ضوء الدلالات التعبيرية ، دراسة اثارية فنية ، العدد الرابع والثلاثون ، شعبان ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م ، ص ١٧ .
- (١٧) الفتیان ، احمد مالك ، نماذج من الدمى المكتشفة في تل اسود ، العدد ٣٥ ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٨م ، ص ١ .
- (18) Wathiq Al-Salihi., Palmyrene Sculptures found at Hatra vol. 49, Journal Article, Iraq, 1987, p.2.
- (١٩) النجفي ، الاحتفال بتكريم الآلهة اللات مشهد موسيقي من الحضر ، ج ١-٢ ، مج ٣٤ ، ص ١٣١-١٤٢ .
- (20) Leonardo Gregoratti, Hatra politics culture and Religion Between Parthia and Rome Stuttgart 2013, p.54.
- (٢١) سفر ومصطفى ، الحضر مدينة الشمس ، ص ٥١ .
- (٢٢) Wathiq. Al-Salihi, palmyrene sculptures found at Hatra p.3; John J. Slocum , Another look at the coins of Hatra , American Numismatic society , vol.22, 1977, p.37.
- (٢٣) سلطان ، النحت في مدينة الحضر في ضوء الدلالات التعبيرية ، ص ٢١-٢٢ .
- (٢٤) سفر ومصطفى ، الحضر مدينة الشمس ، ص ٥٢ .
- (٢٥) سفر ومصطفى ، المصدر نفسه ، ص ٢٨ .
- (٢٦) سفر ومصطفى ، الحضر مدينة الشمس ، ص ٢٧ ؛ سلطان ، النحت في مدينة الحضر في ضوء الدلالات التعبيرية ، ص ٢٧ .
- (27) Wathiq Al-Salihi, palmyrene sculptures Found at Hatra , p.36;
- الشمس ، الحضر العاصمة العربية ، ص ١١٢ .

- (٢٨) راضي ، احمد مجيد ، تاثير فن النحت البارز والمجسم في بلاد الرافدين على فن بلاد ايران، مجلة الملوية للدراسات الاثرية والتاريخية، مج٨، العدد ٣٤، الديوانية، ٢٠٢١م، ص٣٧٩.
- (٢٩) بالتي، جين تشارلز ، نحت التماثيل اليونانية والصور الرومانية، ترجمة، فاطمة هان بهجت، مجلة ديوجين، العدد ١٨٣، مركز المطبوعات اليونسكو، مصر، ٢٠٠٠م، ص٣٧. الفتیان، نماذج من الدمى المكتشفة في تل اسود، ص ١.
- (٣٠) الفتیان ، نماذج من الدمى المكتشفة في تل اسود، ص ١.
- (٣١) القيسي ، ناهض عبدالرزاق ، المسكوكات النقدية في البلدان العربية قديما وحديثا، بيت الحكمة، (بغداد، ٢٠١١م)، ص ٥.
- (32) John Walker, The coins of hatra, Journal of the Royal Numismatic society, sixth series, vol.18, 1958, p.167.
- (٣٣) مورجان ، فيكتور ، تاريخ النقود، ترجمة، نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة ، ١٩٩٣م)، ص ١٧؛ القيسي، المسكوكات النقدية في البلدان العربية قديما وحديثا، ص ١٣.
- (٣٤) الصالحي ، الحضر النقود المكتشفة خلال تنقيبات ١٩٧١-١٩٧٢م، ص ١٥٥.
- (٣٥) القيسي ، المسكوكات النقدية في البلدان العربية قديما وحديثا، ص ١٣.
- (٣٦) قادوس ، عزت زكي حامد ، مدخل الى علم الاثار اليونانية والرومانية، كلية الاداب، جامعة الاسكندرية، (الاسكندرية، ٢٠٠٧م)، ص ١١٦-١١٧.
- (٣٧) الصالحي ، الحضر النقود المكتشفة خلال تنقيبات ١٩٧١-١٩٧٢م، ص ١٥٦.
- (٣٨) حسن ، علي حسن عبدالله ، تاثير الطراز الاغريقي على النقود المضروبة في ممالك شرق شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام، ص ٥٩٤.
- (٣٩) يوسف ، فرج الله احمد ، مسكوكات مملكة الحضر، العدد ٢، مجلة دراسات في علم الاثار والتراث، ٢٠١٠م، ص ٧٣.
- (٤٠) يوسف ، المصدر نفسه ، ص ٧٣؛ الصالحي ، واثق اسماعيل ، الحضر النقود المكتشفة خلال تنقيبات ١٩٧١م-١٩٧٢م، ص ١٥٩-١٦٠.
- (٤١) الصالحي ، الحضر النقود المكتشفة خلال تنقيبات ١٩٧١-١٩٧٢م، ص ١٥٥-١٥٦-١٥٧.
- (٤٢) محسن ، صاحب والخطاط ، سلمان ، تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين، مطبعة التعليم العالي، (بغداد، ١٩٨٧م)، ص ٢٣١.
- (٤٣) قادوس ، مدخل الى الاثار اليونانية والرومانية ، ص ١٢٤-١٢٥.
- (٤٤) القيسي ، ناهض عبدالرزاق ، المسكوكات، مطابع دار السياسة، (الكويت، د.ت) ، ص ٨؛ حسن، تاثير الطراز الاغريقي على النقود المضروبة في ممالك شرق شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام، ص ٥٧٧.

- (٤٥) عبد الحق ، سليم عادل ، الفن الاغريقي واثاره المشهورة في الشرق، مطبعة الترقى، (دمشق، ١٩٥٠م)، ص ١٤-١٧-١٨.
- (٤٦) الفن القديم والفن الهيلينستي، الفن اليوناني، مجتمع الاكاديمية بوست، ٢٠١٩م.
- (٤٧) النجفي ، الاحتفال بتكريم الآلهة اللات مشهد موسيقي من الحضر، ص ١٣١.
- (٤٨) رشيد ، صبحي انور ، الموسيقى في العراق القديم، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، افاق عربية، العراق، (بغداد، ١٩٨٨م)، ص ٤٢-٤٣.
- (٤٩) رشيد ، صبحي أنور، تاريخ الالات الموسيقية في العراق القديم، ط١، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٧٠م)، ص ٢٢٣-٢٢٧.
- (٥٠) رشيد ، تاريخ الالات الموسيقية في العراق القديم ، ص ٢٢٨.
- (٥١) رشيد ، الموسيقى في العراق القديم، ص ٤٤-٥٨-٦٤.
- (٥٢) رشيد ، صبحي انور ، دراسة اثر موسيقى من الحضر وخطا المنقبين في تحديد هوية الاله الاغريقي تريتون، د.ت، ص ٢٠٢-٢٠٣-٢٣٢.
- (٥٣) رشيد ، تاريخ الالات الموسيقية في العراق القديم، ص ٢٣٥-٢٣٥.
- (٥٤) باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ٢، ص ٦١٤-٦١٥.
- (٥٥) صاحب ، زهير ونفل ، حميد ، تاريخ الفن في بلاد الرافدين، اصدار منظمة الملتقى العراقي، د.ت، ص ٢٤-٢٥.
- (٥٦) سفر ومصطفى ، الحضر مدينة الشمس ، ص ٥٥.
- (٥٧) سفر ومصطفى ، الحضر مدينة الشمس ، ص ٥٨.
- (٥٨) المصدر نفسه، ص ٥٨.
- (٥٩) سفر ومصطفى، المصدر نفسه ، ص ٥٦.
- (٦٠) سفر ومصطفى ، الحضر مدينة الشمس ، ص ٥٨.

منهجية الدكتور أشرف مؤنس في كتابة التاريخ

تماره كريم صالح عبدالله

د. عبدالله حميد العتابي

جامعة بغداد

كلية التربية للبنات / قسم تاريخ حديث ومعاصر

منهجية الدكتور أشرف مؤنس في كتابة التاريخ

تماره كريم صالح عبدالله

د. عبدالله حميد العتابي

الملخص :

يتناول هذا البحث منهجية الدكتور أشرف مؤنس في كتابة التاريخ ، من خلال دراسة أسلوبه في تحليل الأحداث التاريخية وتوثيقها ، ويركز البحث على رؤية الدكتور أشرف مؤنس لمفهوم التاريخ وأبعاده ، إلى جانب تصوره لدور المؤرخ الحقيقي في تقديم رواية تاريخية دقيقة وموضوعية، كما يناقش الفرق الذي يحدده بين التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر ، مع تسليط الضوء على منهجه في التعامل مع المصادر التاريخية وتوثيق المعلومات.

الكلمات المفتاحية : أشرف مؤنس ، التاريخ ، منهجية التاريخ ، التوثيق المصدري ، التاريخ

المعاصر .

Abstract:

This research explores Dr. Ashraf Mounis methodology in writing history by studying his approach to analyzing and documenting historical events. The research focuses on Dr. Mones perspective on the concept of history and its dimensions, along with his view of the role of a true historian in providing an accurate and objective historical narrative. It also discusses the distinction he makes between modern history and contemporary history, while highlighting his methodology in dealing with historical sources and documenting information.

المقدمة :

تتبع أهمية هذه الدراسة من الدور البارز الذي يلعبه التاريخ الدقيق والموثوق في فهم الماضي واستقراء المستقبل ، ويُعد الدكتور أشرف مؤنس من المؤرخين الذين أثروا المكتبة العربية بأبحاث ومؤلفات قيمة تسهم في تقديم رؤية علمية واضحة حول العديد من القضايا التاريخية ، لذا ، فإن

دراسة منهجه في كتابة التاريخ تتيح فرصة لفهم الأسس التي يعتمد عليها في التحليل والتوثيق ، مما يساهم في تعزيز المنهجية العلمية في الدراسات التاريخية.

محاور الدراسة :

تتناول هذه الدراسة أربعة محاور رئيسية:

١. مفهوم التاريخ وأبعاده: استعراض تعريف التاريخ وأبعاده المختلفة وفقاً لرؤية الدكتور أشرف مؤنس.
٢. رؤية المؤرخ الحقيقي: تحليل رؤية الدكتور أشرف مؤنس حول صفات المؤرخ الحقيقي ودوره في كتابة التاريخ.
٣. الفرق بين التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر: توضيح الفروق بين المفهومين وفقاً لمنهجه.
٤. التوثيق المصدري ومنهج الدكتور أشرف مؤنس: دراسة الأسس التي يعتمد عليها في التوثيق واستخدام المصادر التاريخية.

أولاً - مفهوم التاريخ وأبعاده :

امتازت منهجية الدكتور اشرف مؤنس في كتابة التاريخ بارتباطها الوثيق بالمدرسة الوطنية المصرية والمدرسة القومية العربية^(١) ، تعكس هذه المنهجية رؤية متكاملة للتاريخ بوصفه احد اهم الادوات لبناء الوعي القومي والحضاري ، جمع الدكتور اشرف مؤنس بين الدراسة الأكاديمية المتعمقة للتاريخ وتوظيفه في الحياة اليومية ؛ اذ يرى ان دراسة الماضي ليست مجرد عملية بحثية جامدة بل اداة لفهم الحاضر وصياغة المستقبل^(٢) .

عرفَ الدكتور اشرف مؤنس التاريخ باللغة العربية ، بانه الزمن وتحديد الوقت واثبات الوقائع المستجدة وهذا التعريف الخاص للتاريخ بمنظوره ، اما التعريف العام للتاريخ وفقاً لرؤيته ، فهو ماضي الانسان ، اذ يرى ان التاريخ لا يقتصر فقط على الاحداث التي وقعت في الماضي بل يشمل ايضا ما يحدث في الحاضر وما يمكن ان يحدث في المستقبل ، كما يؤكد بأن التاريخ يمثل سجلاً شاملاً لمسيرة البشرية، وهو المصدر الاساسي للمعرفة الإنسانية فهو "الكتاب الخالد" الذي يحمل بين طياته كافة التطورات الاقتصادية ، الاجتماعية والسياسية التي مرت بها الانسانية منذ ان بدا الانسان يترك اثره على الارض^(٣).

أكدَ الدكتور اشرف مؤنس ان الانسان لا يمكنه فهم ذاته وحاضره دون الرجوع الى الماضي اذ ان دراسة الماضي تمنح الانسان خبرة الزمن الطويل ، وتجعله قادراً على التأمل فيما مضى بما

يساعده على الخروج من حدود ذاته لرؤيته ما لا يدركه بسهولة سواء في نفسه او في الآخرين , من مزاياهم وعيوبهم وبهذا يصبح الانسان اكثر قدرة على فهم ذاته وتحسين تصرفاته في الحاضر والمستقبل^(٤).

يعد التاريخ حسب قول الدكتور اشرف مؤنس " ذاكرة الامم والشعوب , والانسان بلا تاريخ انسان فاقد الذاكرة " , تلك الذاكرة التي تتناولها الاجيال جيلا بعد جيل كما يمثل التاريخ ارشيفاً للأحداث والمواقف , يحتفظ في طياته بأخبار اقواماً رحلوا تاركين اثارهم واخبارهم لتكون دروساً وعظة للأمم اللاحقة , ويرى ان الامة العربية الإسلامية تتميز بتاريخ عريق وغني بالأحداث والدروس, يعكس مسيرة ابطال حقيقيين قدموا الغالي والنفيس في سبيل ان تكون كلمة الله هي العليا وفي سبيل رفعة اوطانهم ابطال ضحوا بكل ما يملكون من اجل تحقيق اهداف نبيلة الامر الذي يجعل ذلك التاريخ مصدر الالهام الاجيال , كما شدد الدكتور اشرف مؤنس على ان الامة التي تفتقد وعيها بتاريخها تصبح كأمة بلا جذور , معرضة للضياع والانجراف مع الرياح فالذين لا يعرفون تاريخهم ولا يستذكرونهم يعيشون تحت تهديد العبودية والقهر , اذ ان انفصالهم عن تاريخهم يجعل من السهل خداعهم وتوجيههم , لذلك فان فهم التاريخ ليس مجرد ثراء فكري , بل ضرورة حقيقية لبناء حاضر الامة واستشراف مستقبلها^(٥).

يتأثر التاريخ بعدة عوامل من ابرزها العامل الاقتصادي والعامل الاجتماعي فضلا عن فساد نظام الحكم والثراء الفاحش وفق رؤية الدكتور اشرف مؤنس , ويشير الى الآية الكريمة كدليل لرأيه " وتلك الايام نداولها بين الناس " ^(٦), التي تختزل في كلماتها قصة التاريخ البشري والتطور الاجتماعي منذ ظهور الانسان على وجه الارض ومع تطور الادوات والوسائل التي استخدمها الانسان , لتسجيل ما يمر به من احداث , اصبح لدينا رؤية واضحة لفصول الملحمة الإنسانية وما صاحبها من تحولات وتغيرات في مختلف جوانب حياة الانسان الاقتصادية , الاجتماعية , الفكرية والسياسية , وقد نشأت مجتمعات بدافع الحاجة البشرية لكنها مع مرور الزمن اصبحت كأن لم تكن بسبب تخلفها, يحل محلها مجتمعات اخرى اكثر قدرة على البقاء والتقدم , وفي السياق نفسه , ظهرت حضارات عظيمة حققت انجازات هائلة , بقيت اثارها شاهدة حتى اليوم ومع ذلك , اندثرت تلك الحضارات تدريجيا وسقطت كما تسقطت اوراق الشجر في الخريف , ومن هنا, نجد نظاماً اجتماعية ابتكرها الانسان لتنظيم علاقته بالطبيعة ومواردها وعلاقته بالآخرين في المجتمع ومع تطور الحاجات , بدا التحلل يتغلغل في تلك النظم , فلم تعد تلبي متطلبات الانسان المتجددة , فخرجت من رحمها نظم جديدة اكثر تقدماً وقدرة على تحقيق الاهداف ^(٧).

عرف العالم القديم , حضارات مثل الحضارة المصرية , البابلية , الآشورية والفينيقية , وظهرت امبراطوريات واسعة الارحاء بفضل الفرس , الاغريق والرومان , وفي شبه الجزيرة العربية نشأت الدولة الإسلامية التي توسعت خارج حدودها لتصل شرقا الى نهر السند , غربا الى المحيط الاطلسي , شمالا الى وسط أوروبا وجنوبا الى وسط افريقيا , وفي العصور الوسطى شهدت أوروبا قيام امبراطوريات عظيمة تفككت مع مرور الزمن , اما العصر الحديث فقد شهد ظهور القوميات الجديدة في القارة الأوروبية وظهر نظم اجتماعية كبرى من بينها النظام العبودي^(٨) , النظام الاقطاعي^(٩) والنظام البرجوازي^(١٠) وكل تلك النظم تمثل مرحلة تقدميه مقارنة بالنظام الذي سبقه ومهد الطريق للنظام الذي اعقبه , وان الانتقال من نظام الى اخر او من حضارة الى اخرى ينطوي على تغيرات جذرية في اسلوب الحياة^(١١).

احيانا , يحدث هذا الانتقال بهدوء وسلاسة وفي احيان اخرى يحدث بثورات عنيفة وهذا ما عبر عنه القرن الكريم بأسلوب بليغ في اكثر من موضع , كما في قوله تعالى " وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح"^(١٢) , وقوله " وكم قصمنا قبلهم من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما اخرين"^(١٣) , تشير تلك الآيات الى القرى او الاقوام او الأنظمة , التي اهلكنا نتيجة فسادها مما ادى الى زوالها بعد ان ازهرت وازدهرت في وقتها^(١٤).

وشدد الدكتور اشرف مؤنس بقوله من خلال هذا التعاقب بين النظم والحضارات يمكن استخلاص اكثر من معنى جوهري , اولا كل حضارة قامت لتحقيق اهداف محددة لمجتمع معين في فتره معينة , لكن بمرور الوقت وظهر حاجات جديدة تفقد الحضارة مبررات بقائها بسبب عجزها عن تلبيه تلك الحاجات , وهكذا تحل محلها حضارات اخرى اكثر تقدما ويتحقق من خلال هذا التعاقب والتقدم والتطور الاجتماعي العام . ثانيا ليس هناك نظام او حضارة من صنع الانسان يمكن ان تكون خالدة او صالحة لكل العصور وجميع المجتمعات لا نها تعكس نقص الانسان وضعفه . ثالثا المجتمع يتحمل مسؤولية مصيره وبمعنى اخر ان الانسان يصنع مصيره بيده^(١٥) .

تحدث الدكتور أشرف مؤنس حول مسألة "هل يعيد التاريخ نفسه؟" وأشار إلى أن هذا السؤال تردد عبر الزمن، سواء في الماضي أو في الحاضر، وسيظل يتردد في المستقبل. ويرجع أصل هذا المفهوم إلى الفكر اليوناني ، حيث كانت الهندسة لدى فلاسفة الإغريق القدماء تمثل العلم بمعناه الحقيقي، وتعتبر مثالاً للنظام المثالي ومن ثم ، كان التعامل مع التاريخ قائماً على محاكاته للقواعد الهندسية، مما أدى إلى ظهور فكرة أن التاريخ يسير وفق دورة طبيعية ثابتة في الشؤون الإنسانية ,

وعلى هذا الأساس، رأى المؤرخ اليوناني "توكيديديس" Thucydides^(١٦)، أن التاريخ يمكن أن يقدم فكرة واضحة عن الأحداث التي وقعت والتي قد تحدث مستقبلاً بنفس الطريقة وبصورة متكررة. وقد صاغ رؤيته بأن التاريخ يسير في دورات تعيد خلالها الأحداث نفسها وتنتج نفس النتائج كما في السابق^(١٧).

ومهما يكن من أمره، يرى الدكتور أشرف مؤنس أن ذلك المفهوم لا يتماشى مع الحقيقة، إذ إن التاريخ ليس علمًا تجريبيًا ثابت القوانين كعلوم الطبيعة، بل هو علم نقد وتحليل يهتم بدراسة ماضي الإنسان، والذي يتغير باستمرار، ويقر أن التاريخ لا يعيد نفسه بصورة مطابقة تمامًا لا من حيث الزمان ولا المكان، لأن هذا يتناقض مع السنن الكونية التي وضعها الله، كما ورد في قوله تعالى "كل يوم هو في شأن"^(١٨)، وقوله "وتلك الأيام نداولها بين الناس"^(١٩)، ومن ثم، فإن الصور التاريخية قد تتشابه، لكن الوقائع والأحداث لا تتكرر بنفس التفاصيل، وإن كان تشابه طبيعة العقل البشري وتركيبته يجعله يتصرف أحيانًا بنفس الطرق، مع اختلاف الظروف^(٢٠).

أن اعتماد التاريخ السياسي على وقائع فردية يجعل من السهل ملاحظة تشابهات عبر العصور، لا سيما في مظاهر الاستبداد^(٢١)، بينما يبقى جوهر الاستبداد واحدًا، تختلف أساليبه حسب درجة التطور والحضارة. ومثلما ذكر القرآن الكريم فرعون كنموذج للكبر والاستخفاف بالشعوب، فإن الترف والبطر يتكرران، لكن أساليبهما تختلف حسب تطور الزمن. كذلك، يُمثل قارون الوجه الرأسمالي البشع الذي قد يظهر بصور مختلفة على مر العصور^(٢٢).

وأشار الدكتور أشرف إلى أن الفوضى السياسية والحروب الأهلية التي وقعت عبر التاريخ كثيرًا ما انتهت بظهور قادة أقوياء سيطروا على الأمور، وأعادوا الهدوء من خلال إعلان أشكال مختلفة من الديكتاتورية. فعلى سبيل المثال، ظهر قيصر بعد فوضى الحروب الأهلية في روما، وصلاح الدين بعد الاضطرابات داخل العالم الإسلامي المهدد بالحروب الصليبية، وظهر نابليون إثر فوضى الثورة الفرنسية، وكذلك محمد علي في مصر بعد خروج الحملة الفرنسية وما تبعها من اضطرابات، وأيضًا هتلر في ألمانيا^(٢٣) وموسوليني في إيطاليا^(٢٤) عقب الفوضى الناتجة عن الحرب العالمية الأولى^(٢٥).

ويرى الدكتور أشرف مؤنس، أن الظروف قد تتشابه، لكن الأفراد والزمن والمكان لا يتطابقون، ما يعني أن التاريخ لا يعيد نفسه. فالتاريخ يتبع مسارًا تصاعديًا يأخذ البشرية نحو الأمام، وليس في تكرار ممل. ومن أبرز خصائصه التراكم، حيث يشبه التاريخ بناءً يُضاف فيه طابق فوق الآخر، وكلما ارتفع البناء، ترك البشر الطوابق الأدنى واعتمدوا عليها كقاعدة، وأن

الحركات الدائرية التي قد تبدو في الظاهر متشابهة بين فترات التاريخ لا تعني أن التاريخ يدور حول ذاته، بل إنه يسير بشكل حلزوني ؛ فالتاريخ لا يعيد نفسه بالنمط نفسه ، بل يأتي بصور جديدة تتلاءم مع العصر والظروف المحيطة، وهو ما يعكس تجددًا دائمًا وتطورًا مستمرًا^(٢٦).

ثانيا - رؤية المؤرخ الحقيقي :

تناول الدكتور أشرف مؤنس مفهوم المؤرخ الحقيقي ، موضحًا أن علم التاريخ لا يقتصر على حشو الذاكرة بالأحداث والوقائع والأرقام ، وإنما هو عملية لاستخلاص العبر والقوانين والسنن الكونية ، كما أشار ابن خلدون في مقدمته^(٢٧) ، ويوضح الفرق بين التاريخ كعلم يعتمد على منهجيات متعددة كالتحقق ، المصادقية ، التجرد ، الحيادية ومحاكمة النصوص ، وبين الذاكرة التاريخية التي تمثل تراكمات من الصور الذهنية النمطية الناتجة عن الحكايات والروايات التي غالبًا ما تساهم في إثارة النزاعات من الماضي ونقلها إلى الحاضر ، وبُروية الدكتور أشرف مؤنس فإن المؤرخ الحقيقي ، هو من يتوغل في أعماق الأحداث التاريخية ، ويتأملها بدقة وشمولية ، فالأحداث التاريخية ليست مجرد وقائع منفصلة ، بل هي نتاج لعوامل متعددة تشمل الظرف الزمني والمكاني ، والوضع الاقتصادي ، الاجتماعي والثقافي ، إضافة إلى العامل السياسي الذي يُعد من أهم مكونات الأحداث التاريخية^(٢٨).

وأتفق هنا مع استاذة الدكتور عبد العزيز نوار بشأن الدقة التي ينبغي على المؤرخ التحلي بها وذلك لان قراءة النصوص التاريخية من زاوية واحدة فقط ، مع إهمال باقي الجوانب ، يؤدي إلى أخطاء منهجية جسيمة ، تفقد المؤرخ الدقة والرؤية الموضوعية^(٢٩).

ويقتبس هنا عن المؤرخ الألماني " ليوبولد فون رانكه " Leopold von Ranke^(٣٠) ، الذي قال: "التاريخ صورة تم تمزيقها، وعلى المؤرخ إعادة بناء الصورة" ، ويأتي دور المؤرخ الحقيقي برؤى الدكتور أشرف مؤنس من خلال ، الفهم العميق للسلوك الإنساني ، اذ يشير إلى أن دراسة الدوافع النفسية والسلوكية للأفراد والأحداث أمر بالغ الأهمية لفهم التاريخ ، فالمؤرخ عبد الرحمن بدوي^(٣١) ، أكد أن الطموحات السياسية التي حركت شخصيات تاريخية للوصول إلى السلطة ، واتباعها لكل الوسائل لتحقيق ذلك ، كانت مدفوعة بعوامل نفسية وسلوكية يجب دراستها بشكل منهجي وموضوعي . فضلا عن ، أهمية التجرد والحيادية ، شدد الدكتور مؤنس على أن المؤرخ يجب أن يتحلى بدرجة عالية من الحيادية، بحيث ينظر إلى الماضي دون تحيز، ويستشرف المستقبل بموضوعية ، وأن يتجنب المؤرخ الوقوع في ازدواجية المعايير أو تبني الأحكام المطلقة

، حيث أن التاريخ الإنساني ، بما فيه الإسلامي ، يحتوي على صفحات مشرقة وأخرى مظلمة ، ويتطلب من المؤرخ توثيقها كلها بدقة وأمانة^(٣٢).

امنّ الدكتور أشرف مؤنس ، ان المؤرخ الحقيقي لا يسعى إلى إدخال تحسينات تجميلية على الأحداث التاريخية لتتماشى مع مواقفه السياسية أو الحزبية . كما رفض تلميع شخصيات لا تستحق الثناء ، أو التقليل من شأن أخرى لا تستحق الانتقاد ، مشيراً إلى أن الهوى والعاطفة والميول الحزبية من أكبر الأخطاء التي تؤثر على مصداقية المؤرخ ، ويؤكد على أهمية التفريق بين الفعل البشري الذي قد يخطئ أو يصيب ، وبين المنهج الرباني الذي يركز على الحق والعدل . وهنا على المؤرخ أن يكون منصفاً في تناوله للتاريخ ، ملتزماً بالقيم الأخلاقية المستمدة من التعاليم الإسلامية ، واهم توصياته حول كتابة التاريخ ، ضرورة التخلص من النمطية في كتابة التاريخ وتقديس النصوص التاريخية ، ينبغي على المؤرخ تفكيك النصوص التاريخية ، تفسيرها ، نقدها وإعادة كتابتها بما يخدم غايات الحياة والبناء ، لا إثارة الصراعات كما يشير إلى أهمية دراسة التاريخ بوصفه مصدراً للعبارة ، مستشهداً بقول ابن خلدون : "التاريخ عظة وعبرة"^(٣٣) .

ثالثاً - الفرق بين التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر :

يرى الدكتور اشرف مؤنس فيما يتعلق بالفرق بين التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر من وجهة نظره ، ان التاريخ الحديث يشير الى المرحلة الزمنية التي تلت الحقبة ما بعد الكلاسيكية ويمكن تقسيمه الى الحقبة الحديثة المبكرة ، والتي تمتد من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ، والحقبة الحديثة المتأخرة ، والتي أعقبت الثورة الفرنسية^(٣٤) والثورة الصناعية^(٣٥) ، والتي شهدت فيها أوروبا تطورات كبيرة وتغيرات جذرية ، اثرت على بنيتها السياسية والاجتماعية. أمّا الدكتور اشرف مؤنس رؤية علمية خاصة به ، ونجد ذلك واضحاً عند دراسته لبداية تاريخ العرب الحديث ، والتي اختلفت الآراء بشأن تحديده ، فالبعض يرى أن دخوله بدأ مع احتلال العثمانيين لبلاد الشام عام ١٥١٦ م ، في حين يُرجع آخرون بدايته إلى حركات الإصلاح الإسلامي التي ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر الميلادي ، وهناك من يعتقد أن البداية الحقيقية تعود إلى اتصال العرب بالغرب في عهد محمد علي باشا بين عامي ١٨٠٥ - ١٨٤٨ م . في حين يرى فريق آخر أن الحملة الفرنسية على مصر^(٣٦) والشام بقيادة نابليون بونابرت عام ١٧٩٨ م تمثل بداية هذه المرحلة ؛ ومن الآراء كذلك ، اعتقاد البعض أن الثورة التي قادها الشريف حسين^(٣٧) ضد الدولة العثمانية عام ١٩١٦ م تمثل نقطة البداية^(٣٨).

أعتقد الدكتور أشرف مؤنس رغم تعدد هذه الآراء واختلاف الحجج ، أن أفضل تحديد منطقي وموضوعي لبداية التاريخ العربي الحديث ، هو القرن التاسع عشر الميلادي ، فقد شهد ذلك القرن تغييرات كبيرة كانت بمثابة تمهيد لنهضة شاملة في مختلف المجالات السياسية ،الاقتصادية ، الاجتماعية والثقافية. وجاء اعتقاد الدكتور اشرف مؤنس مستنداً لمجموعة معايير لتحديد التاريخ الحديث^(٣٩) :

١. **نسبية الحداثة والقدم** : يؤكد الدكتور اشرف مؤنس أن الحداثة والقدم مفهومان نسبيان ، فلا يوجد زمن محدد يصلح كمعيار لبداية العصر الحديث في جميع أنحاء العالم ، فكل أمة خضعت لاعتبارات وظروف تطورها الذاتي، التي أدت إلى اختلاف توقيتات التقدم التاريخي من مكان لآخر.

٢. **التسلسل الزمني**: يشير إلى أن تحديد حادثة أو عام معين كبداية مرحلة تاريخية لا يعني أن المرحلة الجديدة بدأت فقط في ذلك التوقيت ، لأن الفترات الزمنية متداخلة ومتراكبة وينبغي النظر إلى التقسيمات الزمنية كأداة تسهيلية للدراسة.

٣. **معياري داخلي**: يرى أنه يفترض أن تستند بداية التاريخ الحديث إلى ظروف ونسيج المجتمع العربي ذاته، وليس إلى أحداث خارجية فرضت عليه من الخارج.

٤. **التحولات التاريخية الخاصة**: يرفض القول بأن التاريخ العربي الحديث بدأ مع التحولات الأوروبية في القرن السادس عشر الميلادي، نظراً لاختلاف التغيرات السياسية ،الاجتماعية والثقافية التي مر بها العالم العربي عن تلك التي حدثت في أوروبا.

استبعد الدكتور اشرف مؤنس بعض الآراء ورفضها ، فأن تحديد دخول العثمانيين بلاد الشام كبداية للتاريخ الحديث، إذ لم يكن لهذا الحدث تأثير جذري على المجتمع العربي ، وأستبعد أيضاً اعتبار الثورة التي قادها الشريف حسين بداية للتاريخ الحديث ، لأنها كانت محصورة جغرافياً ولم تؤثر في كل جوانب الحياة العربية ، كما يستبعد الحملة الفرنسية كنقطة بداية للتاريخ الحديث ، موضحاً أن الحملة كانت ذات أهداف استعمارية بحتة ولم تسع لخدمة مصالح الشرق ، وبالتالي لا يمكن اعتبارها نقطة انطلاق للتاريخ العربي الحديث^(٤٠).

يمثل القرن التاسع عشر البداية المنطقية لتاريخ العرب الحديث ، فقد شهد العالم العربي في القرن التاسع عشر مجموعة من حركات الإصلاح الديني التي جاءت كرد فعل على التراجع الثقافي ، الاجتماعي والسياسي ، ومحاولة للتصدي لتحديات الاستعمار والحداثة الغربية ، تميزت هذه الحركات بتجديد الفكر الإسلامي وإحياء مبادئ الدين لتتماشى مع روح العصر ، مثل الحركة

الوهابية^(١) في شبه الجزيرة العربية ، والحركة السنوسية^(٢) في شمال إفريقيا ، والحركة المهدية في السودان^(٣)، كما شهد ذلك القرن مقاومة للاستعمار الأوروبي وتغيرات جذرية في عهد محمد علي باشا الذي أحدث تطورات كبيرة سياسية ، اقتصادية ، اجتماعية وثقافية في المجتمع العربي ، مما يجعل هذا القرن معلماً أساسياً ونقطة تحول حقيقية^(٤).

يرى المؤرخون أن نهاية التاريخ العربي الحديث كانت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ، التي أدت إلى بداية التاريخ العربي المعاصر، وهنا يتفق الدكتور مؤنس مع هذا الرأي، مشيراً إلى أن جذور الحرب العالمية الأولى تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي،

تناول الدكتور أشرف مؤنس تعريف التاريخ المعاصر باعتباره يمثل مرحلة تاريخية ممتدة ولم تكتمل فيها دورة عجلة المجتمع بالكامل بعد، ويشمل التاريخ المعاصر جميع الجوانب السياسية، الاقتصادية ، الاجتماعية ، الثقافية والفكرية، يُحدد بدايته بنشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م ، ما يجعل العالم المعاصر تاريخياً هو عالم القرن العشرين ، ويرى الدكتور اشرف مؤنس أن دراسة هذه الفترة ذات أهمية كبيرة لقربها الزمني منا ، وارتباط العديد من المشكلات المعاصرة جذرياً بها^(٥).

تميز القرن العشرين بأنه شهد تحولات واسعة في مختلف النواحي ، مما جعله يُطلق عليه عدة أسماء، منها عصر الذرة ، نتيجة التطور في مجال الطاقة النووية ، عصر الفضاء بفضل الانطلاق إلى الفضاء واستكشافه ، عصر التكنولوجيا لتطور التقنيات الحديثة بشكل غير مسبوق ، عصر القوميات نتيجة نمو الحس القومي ، عصر الديمقراطيات نتيجة انتشار الأنظمة الديمقراطية ، عصر الحروب العالمية لاندلاع الحربين العالميتين ، عصر الثورات وانفجار المعلومات نتيجة التقدم الكبير في شبكات الاتصالات والتكنولوجيا ، عصر التنمية والسرعة لتحولات الاقتصاد والبنية التحتية ، العصر الأمريكي إذ أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية مركز القوة والثقل العالمي منذ الحرب العالمية الثانية ، وبمنظور الدكتور اشرف مؤنس فإن كل تلك الأسماء تعبر عن أبعاد مختلفة للقرن العشرين ، وكل واحدة منها تمثل جزءاً من سماته دون أن يلغي بعضها الآخر، بل إن هذه الأبعاد تكمل بعضها البعض لفهم التحولات السياسية والاجتماعية والفكرية التي ميزت هذا العصر^(٦).

يُعد التاريخ العربي المعاصر ، جزءاً من التاريخ العالمي المعاصر، إذ بدأ أيضاً مع اندلاع الحرب العالمية الأولى ، كانت تلك الحرب نقطة تحول كبيرة في تاريخ البشرية ، إذ انتقل العالم إلى عصر جديد تميّز بمشكلات سياسية ، اقتصادية واجتماعية مختلفة عن تلك التي سادت في

عالم ما قبل الحرب ، الوضع قبل الحرب العالمية الأولى كان العالم العربي باستثناء المغرب الأقصى ، خاضعاً للحكم العثماني ، كوحدة سياسية متماسكة رغم التقسيم الإداري إلى ولايات ، اما الوضع بعد الحرب العالمية الأولى ، تحول العالم العربي إلى وحدات سياسية منفصلة تتفاوت توجهاتها بسبب وقوعها تحت السيطرة الغربية المباشرة أو غير المباشرة. وخلال هاتين المرحلتين (الحديثة والمعاصرة) ، كان للعرب كفاح مستمر ضد الحكم العثماني قبل الحرب ، وضد الاحتلال الأوروبي الذي استغل الثروات ومزق العالم العربي بعد الحرب. وبخصوص العلاقة بين التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر ، يحدد الدكتور مؤنس أن بداية التاريخ المعاصر مع الحرب العالمية الأولى تمثل نهاية العصر الحديث ، إلا أن العلاقة بين المرحلتين ليست علاقة انقطاع بل استمرار ، إذ تعد المرحلة المعاصرة امتداداً للحديثة ، في سياق عملية التحديث التي بدأت في القرن التاسع عشر واستمرت بأشكال مختلفة ؛ فالمرحلتان متكاملتان مثل الصوت والصدى ، مع احتفاظ كل منهما بسماتها الخاصة ، التاريخ الحديث يمتد لأربعة قرون من القرن السادس عشر وحتى التاسع عشر ، والتاريخ المعاصر يمتد قرناً واحداً (القرن العشرين) ، يبدأ زمنياً مع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م ، ويستمر حتى نهاية القرن العشرين^(٤٧)

أشار الدكتور اشرف مؤنس من باب فهم الحقب الزمنية ، إلى أن أحداث العالم خلال الخمسة وعشرين عاماً الأخيرة وهي ما نعيشه الآن ، تدخل ضمن نطاق الأحداث الجارية وليست جزءاً من التاريخ المعاصر ، ومن يتناول تلك الاحداث فهو أقرب الى الباحث في العلوم السياسية^(٤٨) .

أكد الدكتور أشرف مؤنس أن تقسيم التاريخ إلى حديث ومعاصر يُستخدم فقط لتسهيل دراسة ظاهرة التغير في المجتمعات ، فالدراسة التاريخية تشكل سلسلة مترابطة ، تتأثر حلقاتها ببعضها البعض وتتداخل في تأثيراتها المتبادلة^(٤٩) .

رابعاً - التوثيق المصدري ومنهج الدكتور اشرف مؤنس :

تُعد منهجية الدكتور أشرف مؤنس في البحث التاريخي مثلاً على التنوع والشمول ، اذ تميز بإلمامه بمجالات متعددة بين تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، وتاريخ العرب الحديث والمعاصر ، إضافة إلى التاريخ الأمريكي ، والعلاقات الدولية ، والتاريخ السعودي ، والتاريخ العراقي . هذا التنوع يعكس مهارة استثنائية ووعياً بأهمية عدم الانغلاق على مجال واحد ، حتى وإن كان تخصصه الأصلي هو تاريخ العرب الحديث . وقد أكسبه ذلك قدرته على معالجة الموضوعات التاريخية بعمق وكفاءة عالية ، مما انعكس في مؤلفاته التي أصبحت مرجعاً أساسياً في الدراسات التاريخية .

أولى الدكتور أشرف مؤنس عناية خاصة بالتوثيق المصدري ، واعتبر الوثيقة المادة الخام التي تُبنى عليها الحقائق التاريخية ، الوثيقة من حيث أصلها اللغوي مشتقة من كلمة "موثوق به" التي تعني الوثاقة أو الأمانة ، أي أنها ترتبط بالثقة والاعتماد. أما في اللغة الفرنسية، فإن لفظ "document" يأتي من أصل لاتيني بمعنى "يعلم" أو "يوجه التعليم"، كما تحمل معنى قانونيًا يتمثل في كونها الحجة التي يعتمد عليها القاضي لإصدار حكمه ، لأهميتها البالغة ، أشار العديد من المؤرخين إلى أن التاريخ لا يمكن أن يكون صحيحًا أو موضوعيًا إلا إذا استند الباحث إلى وثائق تستحق الثقة ، وقد شبه البعض الوثائق بأنها أشبه بالوقود بالنسبة للمحرك الانفجاري ، في حين رآها آخرون بمنزلة خزانات للمعلومات التاريخية . تتخذ الوثيقة أشكالًا متنوعة، من بينها النصوص ووثائق الأرشيف، ويُقصد بالنصوص المخطوطات القديمة ، بينما تقسم وثائق الأرشيف إلى نوعين رئيسيين ، الأرشيف الرسمي أو الحكومي ويشمل محاضر الجلسات ، المراسلات ، التقارير الصادرة عن الوزارات والدوائر الحكومية ، المعاهدات الدولية ، الاتفاقيات، الدفاتر الجبائية وغيرها ، وعادةً ما يتم حفظ هذه الوثائق في دور الأرشيف الوطنية والأرشيف الخاص ، يتضمن الأوراق والمستندات التي يملكها الأفراد أو العائلات أو المؤسسات الخاصة ، مثل عقود الزواج ، عقود الملكية والسندات ، المذكرات ، الرسائل الشخصية وغيرها. ويعد الاطلاع على هذه الوثائق مشروطًا بالحصول على تصريح من أصحابها ، لكونها قريبة جدًا من الواقع المعاش وتعكس تفاصيل الحياة اليومية^(٥٠).

يرى الدكتور أشرف مؤنس أن الوثيقة تمثل مصدرًا أساسيًا ومهمًا في كتابة التاريخ ، مع ضرورة توخي الدقة في نقل المعلومات الواردة فيها. فالوثيقة توفر معلومات دقيقة ومهمة عن الحدث التاريخي لأنها غالبًا ما تُكتب وقت وقوع الحدث، بواسطة شخص معاصر له أو شاهد عيان أو مختص. لهذا السبب ، تحضر الوثيقة بشكل بارز في جميع مؤلفات الدكتور أشرف مؤنس وأبحاثه ودراساته ، ومن منطلق أهمية الوثائق ، فإنه يعتبرها أفضل مصدر تاريخي ، مما يعزز مقولة بعض المؤرخين بأنه " لا تاريخ بدون وثيقة " ، ذلك لأن الوثائق تسجل الأحداث في لحظة وقوعها ، مما يجعلها قريبة جدًا من الحدث ، إذ تكون مكتوبة من قبل شخصيات مختصة ، مطلعة ، أو قريبة من الحدث كالشهود العيان أو المشاركين فيه ، كما أن الوثائق غالبًا ما تُعد من قبل أصحاب العلاقة أو الجهات الرسمية ، مما يجعلها أساسًا لا غنى عنه في تدعيم الدراسات التاريخية ، إذ تحتوي على معلومات نادرة قد لا تُستقى من مصادر أخرى. لهذا السبب ، اهتم

الدكتور أشرف مؤنس خلال مسيرته الأكاديمية بجمع الوثائق وحفظها كمصادر وثائقية استفاد منها في كتابة مؤلفاته وبحوثه، وقدم فائدة كبيرة لطلبة الدراسات العليا من خلال هذه الوثائق^(٥١).

ومع ذلك، هناك بعض المآخذ على الوثائق التاريخية؛ إذ إن بعضها قد يعبر فقط عن وجهة نظر كاتبها أو السلطة التي تتبع لها. فكثير من الوثائق تُعد لخدمة مصالح الدولة أو الجهة التي ينتمي إليها المسؤول، وتُرفع إلى أصحاب القرار بما يخدم أهدافهم، دون النظر إلى آراء الآخرين أو مصالحهم. بناءً على ذلك، دعا الدكتور أشرف مؤنس الباحثين والمؤرخين إلى التأمل في الوثائق، وتدقيق محتوياتها، ومقارنتها بما ورد في المصادر المحلية، مع الحذر من الوثائق التي تهدف إلى تشويه الحقائق أو التلاعب بها لخدمة أغراض معينة^(٥٢).

ولعل أبرز أعماله في هذا السياق كتابه (وثائق ونصوص أساسية من التاريخ السعودي المعاصر: دراسة في العلاقات التعاهدية في عهد الملك عبد العزيز)، إذ لم يقتصر على إيراد الوثائق فقط، بل قدم تعليقات تحليلية دقيقة عليها، شملت تعليقاته الوثائق السياسية والاقتصادية ووثائق المواصلات والاتصالات، بالإضافة إلى الوثائق الأمنية والعسكرية، وقد حرص في تمهيد الكتاب على توضيح أهمية الوثائق التاريخية وأنواعها، مُبرزاً دورها الأساسي في كتابة التاريخ^(٥٣)، ومن خلال هذا النهج، أكد الدكتور أشرف مؤنس على المقولة الشهيرة "لا تاريخ بلا وثيقة"، حيث اعتمد الوثيقة كوسيلة مركزية في أعماله مع عدم إغفاله لدور المصادر الأخرى في تقديم صورة متكاملة^(٥٤).

يتبين للباحثة، إن الدكتور أشرف مؤنس يعيش النص ويكر فيه حتى وإن كان بعيداً عن صومعته البحثية. كان محترفاً يطوع نصوصه ويدمجها بطابعه، إذ لا يخطئ طلابه في معرفة نصوصه من قراءة جملته الأولى، فالنص لدى الدكتور أشرف مادة أولية يحتاج المؤرخ إلى أن يشكله على وفق حرفته وادواته ومهاراته بعيداً عن الاقتباس والنقل غير المدروسين، إذ يصيبان القارئ بالملل. كما تميّز أسلوب الدكتور أشرف مؤنس بالجمع بين الدقة الأكاديمية والإبداع الفكري، إذ ركز على استكشاف العوامل المحركة للأحداث التاريخية، مقدماً بذلك فهماً عميقاً وشاملاً للظواهر التاريخية. ولم يكن اهتمامه بالوثائق محصوراً في النواحي السطحية أو الشكلية، بل حرص على تحليلها واستنباط الحقائق الكامنة وراءها، مما جعله يضع أسساً منهجية متفردة في دراسة التاريخ. وهكذا، برزت أعماله كبوابة لفهم أعمق للعلاقات التاريخية وتطور المجتمعات، مانحاً إياها قيمة أكاديمية وعلمية متجددة.

الخاتمة :

يُعدُّ الدكتور أشرف مؤنس واحدًا من أبرز المؤرخين المصريين في مجال تاريخ العرب الحديث والمعاصر، إذ لم تقتصر إسهاماته على الساحة الأكاديمية المصرية فحسب، بل امتدت إلى العالم العربي بأسره، وقد تميز بمنهج علمي نقدي وتحليل دقيق للوثائق والمصادر، ما مكّنه من تقديم قراءة تاريخية معمقة تتجاوز السرد التقليدي للأحداث إلى استنباط الدروس والعبر وربط الماضي بالحاضر والمستقبل لقد أسهمت عدة عوامل في تشكيل رؤيته التاريخية المتميزة، من بينها تكوينه العلمي الراسخ وتأثره بأستاذه الدكتور عبد العزيز سليمان نوار. فهو ينظر إلى التاريخ بوصفه علمًا اجتماعيًا مترابطًا مع الواقع، وليس مجرد تسجيل للأحداث، مما جعله يقدم تحليلات تتسم بالدقة والموضوعية، مرتكزة على الاستقراء العلمي والتوثيق الدقيق للمصادر.

إن منهجية الدكتور أشرف مؤنس في كتابة التاريخ تعكس رؤية متوازنة وشاملة، إذ يسعى إلى فهم الظواهر التاريخية في سياقها الأوسع، مستندًا إلى التحليل النقدي العميق. وقد أدى هذا النهج إلى إضفاء بُعد جديد على الدراسات التاريخية العربية الحديثة والمعاصرة، مما عزز مكانته كمؤرخ بارز أثري الفكر التاريخي العربي بإسهاماته الرصينة.

الهوامش :

(١) - المدرسة القومية العربية في الكتابة التاريخية : هي اتجاه فكري أسسه الدكتور احمد عزت عبدالكريم ، والتي دعمت الاتجاه القومي العربي بالدراسات التاريخية الحديثة الى جانب الاتجاه الوطني . للمزيد ينظر : محمد لطف الله عيسى، عبد العزيز سليمان نوار ومنهجه في كتابة التاريخ الحديث والمعاصر ، رسالة ماجستير ، كلية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠١٦ ، ص ص ٥٠-٥١ .

(٢) - محمد مؤنس عوض الله وداليا محمد مؤنس عوض ، مجلة بحوث الشرق الاوسط ، مركز بحوث الشرق الاوسط والدراسات المستقبلية ، العدد ٨٣ ، ٢٠٢٣ ، ص ص ٥-٤٠ .

(٣) - أشرف مؤنس ، عوامل مؤثرة في التاريخ ، صحيفة جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية ، العدد (١٠) ، نيسان ٢٠٠٨ .

(٤) - المصدر نفسه .

(٥) - أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس ، ملتقى العلماء ٢٠١٩-٢٠٢١ ، مطبعة كلية الآداب ، القاهرة ، ٢٠٢١ ، ص ٤٢ .

- (^٦) - سورة ال عمران - الآية ١٤٠ .
- (^٧) - أشرف مؤنس , عوامل مؤثرة في التاريخ , صحيفة جامعة القصيم, المملكة العربية السعودية , العدد (١٠) , نيسان ٢٠٠٨ .
- (^٨) - النظام العبودي : هي ملكية الانسان لأنسان اخر وتشمل حق التصرف فيه الى الحد ان يتصرف فيه بالبيع والشراء . للمزيد ينظر : شاكر مجيد الشطري , قاموس العميد للمصطلحات السياسية , دار الجواهري , بغداد , ٢٠١٢ , ص ص ١٦٩-١٧٠ .
- (^٩) - النظام الاقطاعي : هو نظام لاستغلال الارض قائم على الرق او السخرة او يقوم على ملكية الارض , يسيطر فيه ملاك الارض على اجهزة الدولة الاقطاعية ويقوم الفلاحون بزراعتها لحساب المالك , ويحصلون على سد حاجاتهم المعاشية في حد الكفاف . للمزيد ينظر : المصدر نفسه , ص ٣٤ .
- (^{١٠}) - النظام البرجوازي : هو النظام الذي تهيمن الطبقة التي تمتلك رأس المال ووسائل الانتاج على المجتمع ومؤسسات الدولة . للمزيد ينظر : ماكس هوركهايمر , بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية , ترجمة : محمد علي اليوسفي , دار الفارابي , بيروت , ٢٠٠٦ .
- (^{١١}) - صحيفة (جامعة القصيم) , المصدر السابق .
- (^{١٢}) - سورة الاسراء - الآية ١٧ .
- (^{١٣}) - سورة الانبياء - الآية ١١ .
- (^{١٤}) - أشرف مؤنس , عوامل مؤثرة في التاريخ , صحيفة جامعة القصيم, المملكة العربية السعودية , العدد (١٠) , نيسان ٢٠٠٨ .
- (^{١٥}) - المصدر نفسه .
- (^{١٦}) - توكيديديس (٤٦٠-٣٩٩ ق . م) مؤرخ يوناني قديم ولد في مدينة اثينا ويعتبر من اهم المؤرخين في العصور الكلاسيكية اشتهر بكتابه " تاريخ الحروب البيلوبونيسية " والذي يعتبر من اهم الاعمال التاريخية التي وثق فيها الحرب بين اثينا وسبارتا التي دارت بين عامي ٤٣٠-٤٠٤ ق.م , اول من حاول ان يكتب التاريخ بحيادية . للمزيد ينظر : ابراهيم نصحي , توكيديديس , مجلة كلية الاداب , الجامعة الليبية , العدد (٢) , ١٩٦٨ , ص ص ٩-٦٤ ؛ علاء فاضل العامري , فلسفة التاريخ بين حرفة المؤرخ وراء الفلاسفة , مجلة الاداب , العدد (١٣٨) , ايلول ٢٠٢١ , ص ١٧٥ .
- (^{١٧}) - أشرف مؤنس , عوامل مؤثرة في التاريخ , صحيفة جامعة القصيم, المملكة العربية السعودية , العدد (١٠) , نيسان ٢٠٠٨ .

- (^{١٨}) - سورة الرحمن - الآية ٢٩ .
- (^{١٩}) - سورة ال عمران - الآية ١٤٠ .
- (^{٢٠}) - أشرف مؤنس , أيعيد التاريخ نفسه , صحيفة جامعة القصيم , المملكة العربية السعودية , العدد (١١) , ايار ٢٠٠٨ .
- (^{٢١}) - لمزيد من التفاصيل عن مظاهر الاستبداد , ينظر : احمد بهجت , فرعون والطغيان السياسي , القاهرة , ١٩٧٥ .
- (^{٢٢}) - أشرف مؤنس , أيعيد التاريخ نفسه , صحيفة جامعة القصيم , المملكة العربية السعودية , العدد (١١) , ايار ٢٠٠٨ .
- (^{٢٣}) - لمزيد من التفاصيل عن صعود هتلر , ينظر : سعاد رؤوف شبر وقاسم عبد الامير وسيم , نشأة أدولف هتلر وبواكير نشاطه السياسي حتى كانون الثاني ١٩٣٣ , مجلة كلية التربية للبنات , جامعة بغداد , مجلد ٢٨ , العدد ٥ , ٢٠١٧ , ص ص ١٤٠٤-١٣٨٥ ؛
- (^{٢٤}) - لمزيد من التفاصيل عن صعود موسليني , ينظر : عبدالله حميد العتابي , القوى الدولية في القرن العشرين , بغداد , ٢٠١٥ .
- (^{٢٥}) - أشرف مؤنس , أيعيد التاريخ نفسه , صحيفة جامعة القصيم , المملكة العربية السعودية , العدد (١١) , ايار ٢٠٠٨ .
- (^{٢٦}) - أشرف مؤنس , أيعيد التاريخ نفسه , صحيفة جامعة القصيم , المملكة العربية السعودية , العدد (١١) , ايار ٢٠٠٨ .
- (^{٢٧}) - للاطلاع على هذا الكتاب , ينظر : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون , مقدمة ابن خلدون , تحقيق : ا.م.كاترمبر , مكتبة لبنان , ١٩٥٨ .
- ومن الجدير بالذكر صُنف هذا الكتاب على انه نوعاً من الموسوعات ودراسة في النقد التاريخي , وفلسفة التاريخ , لذلك عُدّ واضع علم فلسفة التاريخ , ومؤسساً لعلم دعاة علم العمران ويعني الاجماع الانساني , وهكذا قدم ابن خلدون علم الاجتماع او السوسيولوجيا , كما اطلق عليه المعاصرون خلال القرن التاسع عشر , واثبت الفكر الخلدوني في المقدمة ما اتى به علماء اوربا ي نظرية النشوء والارتقاء بعده بخمسة قرون , وما يسمى الاقتصاد السياسي الذي صارت بعض مبادئه نواة لما دونه المفكر الالماني كارل ماركس في كتاب (رأس المال) . للمزيد ينظر : عباس عبد الستار عبد القادر و الاء محمد رحيم , ابن خلدون واثره على علماء الاجتماع وفلسفة التاريخ والحضارة في الغرب , مجلة دراسات في التاريخ والآثار , العدد (٦٤) , ايار ٢٠١٨ , ص ص ٨١-١١٠ .

- (^{٢٨}) - أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس ، ملتقى العلماء ٢٠١٩-٢٠٢١ ، ص ٤٧ .
- (^{٢٩}) - محمد لطف الله عيسى ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .
- (^{٣٠}) - ليوبولد فان رانكه Leopold von Ranke (١٧٩٥-١٨٨٦) مؤرخ الماني عاش في القرن التاسع عشر ، ويعتبر احد المؤسسين للمدرسة الحديثة في الكتابة التاريخية ، اشتهر بتأسيس منهج نقدي علمي في دراسة التاريخ يعتمد على تحليل الوثائق والمصادر الاصلية بدقة ، بهدف الوصول الى تصوير التاريخ كما حدث بالفعل . للمزيد ينظر : حسين مؤنس ، التاريخ والمؤرخون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ص ٧٦-٧٧ ؛ Leopold Von Ranke ، The Theory and Practice of History ، Tel: Georg G. Iggers ، Taylor& Francis Group London and New York ,2010, P 4
- (^{٣١}) - عبد الرحمن بدوي (١٩١٧ - ٢٠٠٢) فيلسوف اكاديمي مصري من ابرز فلاسفة العرب في القرن العشرين واكثرهم انتاجا ، ولد في قريه شرباص بمحافظة دمياط مصر واكمل تعليمه الابتدائي عام ١٩٢٩ وحصل على شهادته البكالوريا عام ١٩٣٤ بترتيب الثاني على مستوى مصر التحق بجامعة القاهرة كلية الآداب قسم الفلسفة وتخرج منها عام ١٩٣٨ حصل على الماجستير عام ١٩٤١ ثم نال الدكتوراه عام ١٩٤٤ عن اطروحته بعنوان "الزمان الوجودي" تحت اشراف الدكتور طه حسين عمله في عده جامعات منها جامعه عين شمس في مصر وجامعات في الكويت وايران وليبيا وفرنسا توفي عن عمر ناهز ٨٥ عاما في ٢٥ حزيران ٢٠٠٢. للمزيد ينظر : عبدالرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٤٨ ، ص ص ٢٩٥-٢٩٦ .
- (^{٣٢}) - مقابلة شخصية اجرتها الباحثة مع الدكتور اشرف مؤنس ، بتاريخ ٣ كانون الثاني ٢٠٢٥ .
- (^{٣٣}) - أشرف محمد عبدالرحمن مؤنس، ملتقى العلماء ٢٠١٩-٢٠٢١ ، ص ٥٠ .
- (^{٣٤}) - الثورة الفرنسية (١٧٨٩-١٧٩٩) هي حركة سياسية واجتماعية كبرى انطلقت في فرنسا بهدف القضاء على النظام الملكي المطلق وإقامة نظام جمهوري يقوم على مبادئ الحرية والمساواة والإخاء. تأثرت الثورة بالأفكار التنويرية التي دعت إلى السيادة الشعبية وحقوق الإنسان. كانت أبرز مظاهرها سقوط الباستيل، وإلغاء الامتيازات الإقطاعية، وإعلان حقوق الإنسان والمواطن. وأسفرت عن تغيرات جذرية في البنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية ليس فقط في فرنسا بل في أوروبا والعالم. للمزيد ينظر : البير سوبول ، تاريخ الثورة الفرنسية ، ط ٤ ، ترجمة : جورج كوسي ، منشورات عويدات ، بيروت- باريس ، ١٩٨٩ ؛

- (^{٣٥}) - الثورة الصناعية هي تحول تاريخي اقتصادي واجتماعي وتقني بدأ في أوروبا خلال أواخر القرن الثامن عشر واستمر حتى القرن التاسع عشر، حيث انتقل الاقتصاد من الزراعة والحرف اليدوية إلى التصنيع والآلات. تميزت الثورة باختراعات مثل المحرك البخاري والآلات الصناعية وتطور وسائل الإنتاج بشكل كبير، مما أدى إلى تحسين الإنتاجية، ونمو المدن الصناعية، وتحول المجتمعات من الريفية إلى الحضرية، وظهور طبقات اجتماعية جديدة. للمزيد ينظر : كارلتون . ج . هيز ، الثورة الصناعية ، ترجمة : احمد عبد الباقي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٥٠ .
- (^{٣٦}) - لمزيد من التفاصيل عن الحملة الفرنسية على مصر . ينظر : ربيع خالد الفرجات والاء محمد خريسات ، الحملة الفرنسية على مصر (١٢١٣ - ١٢١٦ هـ / ١٧٩٨ - ١٨٠١) : دراسة تحليلية في نتائج وأثار الحملة الفرنسية ، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية ، الاردن ، المجلد ٤٥ ، العدد ٤ ، الملحق ١ ، ٢٠١٨ ، ص ص ٢٤٥-٢٥٢ .
- (^{٣٧}) - للاطلاع على احداث ثورة الشريف حسين . ينظر : مصطفى طلاس ، الثورة العربية الكبرى ، منشورات مجلة الفكر العسكري ، دمشق ، ١٩٨٧ .
- (^{٣٨}) - اشرف مؤنس ، الفرق بين مفهومي التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر ، مجلة الامن القومي والاستراتيجية ، العدد (٢) ، حزيران ٢٠٢٣ ، ص ص ١٦٢-١٦٥ ؛ اشرف محمد عبدالرحمن مؤنس ، تاريخ العرب بين احتلالين (من الاحتلال العثماني الى الاحتلال الاوروبي) ، مكتبة دار الافاق ، الشارقة ، ٢٠٢٣ ، ص ص ١٧-١٩ .
- (^{٣٩}) - اشرف مؤنس ، الفرق بين مفهومي التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر ، ص ١٦٤ .
- (^{٤٠}) - اشرف محمد عبد الرحمن مؤنس ، معالم تاريخ العرب المعاصر ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠١٠ ، ص ص ٧-١٠ .
- (^{٤١}) - لمزيد من التفاصيل عن الحركة الوهابية . ينظر : بسمة رزايقية ، الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية خلال القرنين ١٨ و ١٩ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ ، الجزائر ، ٢٠١٣ .
- نختلف مع ما ذهب اليه مؤرخنا ، والحق ان الحركة الوهابية تقصي كل من يتبنى غير خطها الديني ، واتهام من يخالفها بأنه متساهل ومبتدع وحتى تكفره واخرجه من سياق الكتب والسنة ، ومن ثم تبنت فقه عدم الخروج على الحاكم ، وقد استباحوا دماء العراقيين الشيعة في كربلاء عام ١٨٠١ . لمزيد من التفاصيل . ينظر : مقدم الفياض ، غارات القبائل النجدية على كربلاء في مطلع القرن التاسع عشر ، مجلة كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ، العدد التاسع ، ٢٠٠٨ ، ص ص ١١١-١٢٠ .

- (^{٤٢}) - لمزيد من التفاصيل عن الحركة السنوسية . ينظر : محمود فؤاد شكري , السنوسية : دين ودولة , دار الفكر العربي , القاهرة , ١٩٤٨ ؛ محمد فاضل عباس وحنين سمير محمد , الحركات السياسية ذات الطابع الصوفي في العصر الحديث (السنوسية والمهدية) , مجلة إكليل للدراسات الانسانية , العدد ١٤ , حزيران ٢٠٢٣ , ص ص ١٧٣٧-١٧٤٤ .
- (^{٤٣}) - لمزيد من التفاصيل عن الحركة المهدية في السودان . ينظر : مريم احمد علي منصور , الحركة المهدية في السودان : اصولها الفكرية ومعتقداتها , رسالة ماجستير (غير منشورة) , كلية الدراسات العليا , جامعة ام درمان الانسانية , ٢٠٠٦ .
- (^{٤٤}) - أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس , العرب في التاريخ الحديث , مكتبة الآداب , القاهرة , ٢٠١٧ , ص ٨ .
- (^{٤٥}) - اشرف محمد عبد الرحمن مؤنس , دراسات في تاريخ مصر المعاصر , مكتبة الآداب , القاهرة , ٢٠١٨ , ص ص ٣-٥ .
- (^{٤٦}) - المصدر نفسه , ص ٨ .
- (^{٤٧}) - اشرف مؤنس , الفرق بين مفهومي التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر , ص ١٦٤ .
- (^{٤٨}) - عبدالله حميد العتابي , عبد العزيز سليمان نوار واثره العلمي في جامعة بغداد ١٩٦٥-١٩٦٧ , مجلة دراسات في التاريخ والآثار , العدد ٦٨ , شباط ٢٠١٩ , ص ص ١٨١-٢٠٩ .
- (^{٤٩}) - أشرف مؤنس , الفرق بين مفهومي التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر , ص ١٦٥ .
- (^{٥٠}) - مروة حسين علي , الاستاذ الدكتور نوري عبد الحميد العاني ومنهجيته في كتابة التاريخ , رسالة ماجستير , كلية التربية للبنات , جامعة الانبار , ٢٠١٩ , ص ص ٢١٤-٢١٥ ؛ فريد بن سليمان , مدخل الى دراسة التاريخ , مركز النشر الجامعي , تونس , ٢٠٠٠ , ص ص ٣٩-٤٣ .
- (^{٥١}) - حسن عثمان , منهج البحث التاريخي , ط ٥ , دار المعارف , القاهرة , ١٩٨٤ , ص ٨٣ ؛ اشرف محمد عبد الرحمن مؤنس , وثائق ونصوص اساسية من التاريخ السعودي المعاصر : دراسة في العلاقات التعاهدية في عهد الملك عبد العزيز , مكتبة الاداب , القاهرة , ٢٠٠٤ , ص ٥ .
- (^{٥٢}) - المصدر نفسه , ص ٦ .
- (^{٥٣}) - المصدر نفسه , ص ص ٥-٨ .
- (^{٥٤}) - محمد مؤنس عوض وداليا محمد مؤنس , المصدر السابق , ص ٢٣ .

المحاولات الصهيونية لعرقلة التسليح السعودي
(صفحة طائرات اف ١٥ عام ١٩٧٧-١٩٧٨ نموذجاً)

م.د. سجاد عبد المنعم مصطفى
جامعة الانبار - كلية التربية للعلوم الانسانية
Sajjad.alani@uoanbar.edu.iq

المحاولات الصهيونية لعرقلة التسليح السعودي
(صفقة طائرات اف ١٥ عام ١٩٧٧-١٩٧٨ انموذجا)

م.د. سجاد عبد المنعم مصطفى

الملخص:

اهداف الدراسة: تهدف الدراسة الى ايضاح دور اللوبي الصهيوني وجماعات الضغط الامريكية التابعة له في منع الادارة الامريكية والتأثير على قراراتها في منع تسليح أي من الدول العربية حتى الحليفة للولايات المتحدة الامريكية، وذلك لضمان التفوق العسكري الصهيوني في المنطقة وبحجة تمرير تلك الاسلحة الى جماعات المقاومة الفلسطينية.

المنهجية: تم استخدام المنهج التاريخي التحليلي لدراسة السجلات والوثائق الامريكية التي تناولت تلك القضية بشكل مفصل والخلافات التي شهدتها دوائر الادارة الامريكية بين مؤيد لارسال تلك الطائرات الى المملكة العربية السعودية وبين رافض لتلك الفكرة خشية على امان الكيان الصهيوني.

النتائج: استثمرت المملكة العربية السعودية فرصة هدوء الاوضاع بسبب استمرار مفاوضات السلام بين الكيان الصهيوني ومصر من جهة، فضلاً عن زيادة التدخل السوفيتي في القرن الافريقي بعد سقوط حكومة هيلاسي لاسي في اثيوبيا ومجيئ حكومة ذات توجهات شيوعية، ترافق ذلك مع ارتفاع اسعار النفط، ولم تستطع الادارة الامريكية تمرير صفقة الطائرات الا بعد ان ارسلتها بحزمة واحدة مع صفقة طائرات الى الكيان الصهيوني.

الخلاصة: اثبتت قضية الطائرات القوة الكبيرة التي يتمتع بها الكيان الصهيوني داخل الولايات المتحدة الامريكية من خلال اللوبي وجماعات الضغط الامريكية الموالية له، وهذا الامر ينعكس على سياسة الولايات المتحدة الامريكية الخارجية فتلك الجماعات تهدف بالدرجة الاساس الى حماية مصالح وامن الكيان الصهيوني حتى لو اضر ذلك بالسياسة والمصالح الامريكية في العالم، فضلاً عن ذلك ايقنا من خلال تلك الدراسة ان الاولوية في المصالح الامريكية في منطقة الشرق الاوسط هي اولاً الكيان الصهيوني ثم ايران ثم الدول

العربية الاخرى ولاسيما المملكة العربية السعودية الحليف الاساس لها، وذلك ايضا بسبب تاثير الكيان الصهيوني.

الكلمات المفتاحية: السعودية، امريكا، طائرات اف ١٥، الكيان الصهيوني، النفط

**Zionist attempts to obstruct Saudi armament
(F-15 aircraft deal in 1977-1978 as a model)**

Dr. Sajjad Abdulmunem Mustafa

University of Anbar- College of Education for Humanities

Abstract:

Study objectives: The study aims to clarify the role of the Zionist lobby and its American pressure groups in preventing the American administration and influencing its decisions to prevent arming any Arab country, even those allied with the United States of America, in order to ensure the Zionist military superiority in the region and under the pretext of passing those weapons to the Palestinian resistance groups.

Methodology: The historical analytical method was used to study the American records and documents that dealt with that issue in detail and the disagreements witnessed by the American administration circles between those who support sending those planes to the Kingdom of Saudi Arabia and those who reject that idea for fear of the security of the Zionist entity.

Results: The Kingdom of Saudi Arabia invested the opportunity of calming the situation due to the continuation of peace negotiations between the Zionist entity and Egypt on the one hand, in addition to the increase in Soviet intervention in the Horn of Africa after the fall of the Haile Selassie government in Ethiopia and the advent of a government with communist tendencies, which was accompanied by rising oil prices, and the American administration was unable to pass the aircraft deal until it sent them in one package with an aircraft deal to the Zionist entity.

Recommended: The aircraft issue has proven the great power that the Zionist entity enjoys within the United States of America through the American lobby and pressure groups loyal to it, and this matter is reflected in the foreign policy of the United States of America, as these groups aim primarily to protect the interests and security of the

Zionist entity even if this harms American policy and interests in the world. In addition, we are certain through this study that the priority of American interests in the Middle East region is first the Zionist entity, then Iran, then other Arab countries, especially the Kingdom of Saudi Arabia, its main ally, and this is also due to the influence of the Zionist entity.

Keywords: Saudi Arabia, America, F-15 aircraft, Zionist entity, oil

المقدمة:

تعود العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية والمملكة العربية السعودية الى الحقبة التي تلت الحرب العالمية الاولى واساسها هو الشركات النفطية، وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت قضية تسليح القوات السعودية تشغل العائلة المالكة في البلاد لاسيما مع وجود دول منافسة وتعدّها منافئة لها مثل مصر والعراق، الا ان قضايا التسليح السعودي ومتطلباته كانت دائما ما تصطدم بالرفض الامريكي بسبب تأثير الجماعات الصهيونية على القرار الامريكي لاسيما بعد نشوء الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨، الا ان مقتضيات السياسة الامريكية ومصالحها في المملكة العربية السعودية سمحت ببعض الاحيان ببيع تلك الاسلحة وتوريدها شريطة ان لا تؤثر ميزان القوى وافضليته لصالح الكيان الصهيوني.

تم من خلال البحث تتبع الاحداث بشكل تاريخي موضوعي من خلال وثائق وزارة الخارجية الامريكية، وطرحت من خلال الموضوع بعض التساؤلات تمت الاجابة عليها من خلال ثنايا البحث:

١- ما هو سبب رفض الكيان الصهيوني والجماعات الامريكية الداعمة له التسليح السعودي؟

٢- ما اهمية تسليح القوات السعودية وتحديثها بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية؟

٣- لمن رجحت الكفة داخل الدوائر الامريكية هل للتيار المؤيد للمملكة العربية السعودية ام لصالح اللوبي الصهيوني المعارض لتسليح القوات السعودية؟

ولأجل ذلك تألفت خطة البحث من مبحثين وخاتمة، اذ تناول المبحث الاول تقييم موقع المملكة العربية السعودية في السياسة الخارجية الامريكية عام ١٩٧٧، في حين تطرق

المبحث الثاني الى المحاولات الصهيونية لعرقلة صفقة طائرات اف ١٥ الى المملكة العربية السعودية.

المبحث الاول: تقييم موقع المملكة العربية السعودية في السياسة الخارجية الامريكية عام ١٩٧٧:

تعود العلاقات الامريكية السعودية الى الحقبة التي تلت الحرب العالمية الاولى وكان النفط اساس تلك العلاقة، وبالرغم من التأثيرات الاقليمية المتمثلة بقضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني وقضايا اليمن وغيرها على تلك العلاقة، الا ان النظرة الامريكية تجاه المملكة العربية السعودية ظلت مستمرة كحليف استراتيجي بسبب المصالح التي تربط الولايات المتحدة الامريكية بتلك المنطقة، كما هو الحال بالنسبة للمملكة العربية السعودية التي باتت تنظر الى الولايات المتحدة بانها الداعم الاساسي لسياستها ومصدر الحصول على السلاح والمشورة.

تناول تقرير استخباري امريكي في ١٤ كانون الثاني ١٩٧٧ تقييم العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية والمملكة العربية السعودية في ظل الاحداث المتتابة في الشرق الاوسط، اذ رأى التقرير ان التحركات السياسية التي قامت بها الحكومة السعودية جعلت منها ذات تأثير كبير على دول الشرق الاوسط والصراع العربي الصهيوني، كما بدأ السعوديون يتعاملون مع الادارة الامريكية بوصفهم شركاء لا (عملاء)^(١).

ان التقارب في الرؤى بين الولايات المتحدة الامريكية والمملكة العربية السعودية زاد من اهمية الاخيرة في السياسة الامريكية، اذ رأى التقرير الاستخباري الامريكي ان الحكومة السعودية ترى نفسها ذات اهمية بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ليس لأنها تسيطر على المواد النفطية الحيوية وبإمكانها التلاعب بأسعار النفط العالمي فحسب، وانما كونها قوة كبرى معتدلة في الشرق الاوسط، وبإمكانها ممارسة نفوذ كبير على الدول العربية الرئيسية في الصراع العربي الصهيوني، ومقابل ذلك فان المملكة العربية السعودية ترى في الولايات المتحدة الامريكية اهمية كبيرة بسبب النفوذ الامريكي على الكيان الصهيوني وامكانية الضغط عليه لانهاء احتلال الاراضي العربية مثل القدس الشرقية، فضلاً ان الولايات المتحدة

الامريكية هي المصدر الاساس للتكنولوجيا والخطط التنموية والاقتصادية التي تحتاجها المملكة العربية السعودية^(٢).

رأت الادارة الامريكية ان السياسة السعودية بعد الحرب العربية الصهيونية في تشرين الاول عام ١٩٧٣ اتسمت بعدة سمات منها^(٣):

- ١- اصبحت قوة مهمة في الشؤون العربية والنزاع العربي الصهيوني.
- ٢- ان من اسباب تلك القوة هو النفوذ الاقتصادي على الانظمة العربية الاخرى.
- ٣- رغبة المملكة العربية السعودية في حل تفاوضي للصراع العربي الصهيوني بما فيه قضية القدس الشرقية، واعادة الفلسطينيين الى بلادهم بدلاً من ان يكونوا مصدر قلق^(٤) لبعض الدول العربية.
- ٤- عمل المملكة العربية السعودية في انهاء الخلافات العربية العربية ومنع نشوء حكومات عربية متطرفة التي تعرقل جهود السلام.
- ٥- رغبة استمرار علاقاتها مع الدول الغربية والتي تعد مصدراً للحفاظ على بيئة اقتصادية جيدة.

ان النظرة الامريكية تجاه المملكة العربية السعودية ابان تلك الحقبة التي تلت الحرب العربية الصهيونية لم يأتي من فراغ، بل بسبب التحرك الدبلوماسي المكثف من قبل الحكومة السعودية، اذ رأى التقرير الامريكي ان المملكة العربية السعودية لها دور مهم في ابعاد مصر وسوريا عن دائرة النفوذ السوفيتي من خلال دعم الاقتصاد المصري والسوري، كذلك الجهود الدبلوماسية لحل مشاكل الحرب الاهلية في لبنان من خلال الوساطات المتكررة لعقد لقاءات متكررة بين الرئيس السوري حافظ الاسد والمصري انور السادات ولقاءات مع الرئيس اللبناني الياس سركيس والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات والتي توجت في اجتماع قمة الرياض في تشرين الاول ١٩٧٦، كما اسهمت المملكة العربية السعودية في قيادة جهود المفاوضات السلمية بين المغرب والجزائر حول الصحراء الغربية، ونزعت فتيل ازمة كبيرة بين ايران واليمن الجنوبي بعد ان قامت القوات اليمنية بأسقاط طائرة إيرانية^(٥).

ان تقييم الادارة الامريكية لوضع المملكة العربية السعودية جاء اعتماداً على الاحداث التي وردت ذلك الامر دفع الحكومة السعودية وبمزيد من الثقة الى المطالبة بزيادة التسليح اعتماداً على تجارب سابقة مع الادارة الامريكية.

المبحث الثاني: المحاولات الصهيونية لعرقلة صفقة طائرات اف ١٥ الى المملكة العربية السعودية:

بدأت قضية شراء الطائرات الامريكية اثناء زيارة وزير الخارجية الامريكي هنري كيسنجر (Henry Kissinger) الى المملكة العربية السعودية في اذار عام ١٩٧٥، حينما التقى بالملك فيصل بن عبد العزيز وتم الاتفاق مبدئياً على استبدال الطائرات السعودية القديمة^(٦) بطائرات نوع (اف ١٤) و (اف ١٥) و (اف ١٦) مع ارسال فرق فنية سعودية الى الولايات المتحدة الامريكية لدراسة انواع الطائرات واكثرها ملائمة للمملكة العربية السعودية^(٧).

تلا ذلك زيارة نائب وزير الدفاع الامريكي بيل كليمنتس (Bill Clements) الى المملكة العربية السعودية في ٤ تشرين الاول ١٩٧٦ والتي تحدث فيها ان بإمكان المملكة العربية السعودية شراء أي طائرات حديثة من الولايات المتحدة الامريكية^(٨)

عادت قضية شراء الطائرات يوم ١٩ كانون الثاني ١٩٧٧ حينما التقى وزير الدفاع السعودي سلطان بن عبد العزيز مع السفير الامريكي في المملكة العربية السعودية وليام جيمس بورتر (William James Porter)، اذ اشار الوزير الى اهتمام حكومته بشراء طائرات جديدة من الولايات المتحدة الامريكية، ورد السفير بورتر انه سيقوم بابلاغ الادارة لدراسة الامر، الامر الذي اثار امتعاض وزير الدفاع السعودي كون ان هناك اتصالات سابقة قد جرت بين الجانبين عام ١٩٧٥ و ١٩٧٦، اذ اظهر السفير بورتر تقاضيه بتلك المعلومات، مما دفع بالوزير سلطان الى ابلاغ السفير ان الطلب السعودي يجب ان يصل الى الولايات المتحدة في شهر شباط ١٩٧٧^(٩).

ابلغت وزارة الخارجية الامريكية سفيرها في السعودية بورتر في ٨ شباط ١٩٧٧ بان على الحكومة السعودية التريث في تقديم طلب شراء طائرات اف ١٥ لانها قضية حساسة تتعلق بالأمن الاقليمي، وتركت الخارجية الامريكية لسفيرها صلاحية كيفية ايصال ذلك

الاعتذار الى الجانب السعودي، فضلاً عن ذلك احتوى الرد الاميركي نوعاً من التهديد اذ جاء فيه "اننا لا نرغب ان يصبح الطلب السعودي مشكلة بيننا"^(١٠)

بالرغم من توجيهه الخارجية الاميركية لسفارتها ابلاغ الحكومة السعودية بالترتيب في القضية، الا ان الجانب السعودي قدم الطلب يوم ٩ شباط ١٩٧٧، حينما وصلت رسالة الى السفير بورتر عن طريق البعثة التدريبية الاميركية في السعودية (USMTM)^(١١) جاء فيها ابلاغ السفير ايصال الطلب الذي يحتوي على شراء طائرات اميركية نوع اف ١٥ من انتاج شركة ماكدونيل دوغلاس (McDonnell Douglas) الى الجهات الرسمية في الولايات المتحدة الاميركية لغرض مناقشته، الامر الذي اثار بعض المشاكل بين السفارة الاميركية والبعثة التدريبية، مما دفع السفير بورتر الى ابلاغ البعثة التدريبية الاميركية بعدم السماح لهم بمناقشة تلك القضية مع وزارة الدفاع السعودية^(١٢).

ارسلت الادارة الاميركية في ٢٢ شباط ١٩٧٧ دعوة الى ولي العهد السعودي الامير فهد بن عبد العزيز لزيارة الولايات المتحدة الاميركية من اجل تعزيز العلاقات بين البلدين ومناقشة القضايا الاساسية في منطقة الشرق الاوسط على ان تكون الزيارة في نهاية شهر ايار من العام نفسه^(١٣)، ومع اقتراب زيارة الامير فهد الى الولايات المتحدة تصاعدت النقاشات حول قضية بيع الطائرات، اذ اقترح وزير الدفاع الاميركي هارولد براون (Harold Brown) بتوريد الطائرات المطلوبة الى المملكة العربية السعودية بعد موافقة الكونغرس لكن دون الالتزام بمواعيد التسليم، فضلاً عن ذلك اقترح وزير الخارجية سايروس فانس (Cyrus Vance) بان يتم التشاور مع الكونغرس حول القضية لكن دون الالتزام بمواعيد التسليم او بعدد ونوع الطائرات^(١٤).

حاولت الادارة الاميركية ثني الجانب السعودي عن الحصول على طائرات اف ١٥ ذات المواصفات العالية^(١٥) والتي يمكن استعمالها في قضايا الدفاع الجوي والهجوم، بطائرات نوع اف ١٦ اقل كفاءته وتكون هجومية فقط، الا ان الجانب السعودي لم يتقبل الفكرة^(١٦).

من جانبه ابلغ مستشار الامن القومي الاميركي زبغنيو بريجنسكي (Zbigniew Brzezinski) الرئيس جيمي كارتر (Jimmy Carter) في ٢١ ايار ١٩٧٧ ان قضية بيع

الطائرات للجانب السعودي هي قضية سياسية ومرتبطة بالاحداث السياسية في الكيان الصهيوني والشكوك التي تحيط بعملية السلام في الشرق الاوسط، وان استمرار الصفقة يعني تخلي الادارة الامريكية عن تأكيداتها للكيان الصهيوني حول عدم نقل الاسلحة، بالمقابل ان رفض بيع الطائرات بشكل قطعي سوف يعرض العلاقات الامريكية السعودية الى الفتور لاسيما وان زيارة الامير فهد المرتقبة فيها نقاشات حول العلاقات الامنية بين الجانبين، كذلك يبعث رسائل سلبية الى الرئيسين المصري انور السادات والسوري حافظ الاسد^(١٧).

ادى الطلب السعودي الى تصاعد النقاشات بين وزارتي الخارجية والدفاع الامريكيتين، فتم التوصل الى اتفاق بين وزيرى الدفاع هارولد براون ووزير الخارجية سايروس فانس بمفاتحة الكونغرس بالقضية قبيل وصول ولي العهد السعودي الامير فهد بن عبد العزيز الى واشنطن، من جانبه اقترح مستشار الامن القومي بريجنسكي بمحاولة اقناع الامير فهد بان الموافقة المبدئية على بيع الطائرات الى المملكة العربية السعودية كانت في عهد الرئيس جيرالد فورد (Gerald Ford) وان ادارة الرئيس كارتر ملتزمة بذلك لكن الامر قد يحتاج الى بعض الوقت وموافقة الكونغرس^(١٨).

وفي الوقت نفسه جرى تشاور بين بريجنسكي وسايروس فانس حول القضية ذاتها وتأثيرها على العلاقات الامريكية مع الكيان الصهيوني، اذ المح بريجنسكي ان اثاره تلك القضية في هذا الوقت من شأنه ان يثير المشاكل مع الكيان الصهيوني، فضلاً عن اثاره المشاكل الداخلية بين الحكومة الامريكية والكونغرس لاسيما مع وصول الامير فهد بن عبد العزيز الى الولايات المتحدة الذي يعد بحد ذاته مثاراً للمشاكل مع الكيان الصهيوني والكونغرس^(١٩).

بعث بريجنسكي رسالة الى الرئيس كارتر تحدث فيها عن تلك القضية مبيناً ان في حالة أي تهاون مع الامير فهد بن عبد العزيز حول قضية الطائرات سيتمنح للأمير فهد فرصة المطالبة السابقة بصواريخ نوع (مافريك) و (سايندويندر) وهذا امراً مستحيلاً لاعتبارات سياسية تتعلق بامن الشرق الاوسط، وازضاف يجب على الادارة الامريكية ابلاغ الامير فهد ان استمرار المطالبات بالأسلحة سيعرض برنامج التسليح الامريكي للمملكة العربية السعودية الى الايقاف^(٢٠).

وصل الامير فهد بن عبد العزيز الى الولايات المتحدة وعقد اجتماعاته مع المسؤولين الامريكيين في ٢٤ ايار ١٩٧٧، وخلال اجتماعه مع وزير الدفاع هارولد براون تمت مناقشة بعض القضايا في الشرق الاوسط منها تأثير الانتخابات البرلمانية في الكيان الصهيوني على الوضع في المنطقة، فضلاً عن استغلال التأثير السعودي على سوريا من اجل التوصل الى سلام في لبنان^(٢١).

وفي سياق الكلام عن اهمية المملكة العربية السعودية بالنسبة للسياسة الامريكية ودورها السياسي في منطقة الشرق الاوسط الذي وصفه الوزير براون بانه مهم للغاية في ترسيخ السلام بمنطقة الشرق الاوسط، اورد براون ان بلاده ملتزمة بتزويد المملكة العربية السعودية بما تحتاجه من الاسلحة الدفاعية، لكن هناك قرار صدر الرئيس كارتر بخفض مبيعات الاسلحة الى العالم بما يتفق مع مصالح حلفاء الولايات المتحدة، وان من مصلحة الولايات المتحدة الامريكية والمملكة العربية السعودية تقليص مستوى مبيعات الاسلحة مع استمرار الالتزامات الامنية بين البلدين لما يشكله امن المملكة من اهمية بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية^(٢٢).

وفي الاجتماع نفسه رد الامير فهد على كلام الوزير براون بانه يستغرب من عدم تزويد المملكة بالأسلحة الدفاعية المطلوبة، مذكراً ان الدولة التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها لا تستحق ان تكون دولة محترمة وحليفة، و اشار ان المملكة بإمكانها شراء الاسلحة من الاتحاد السوفيتي واوروبا لكنها تفضل التزود بالاسلحة من الولايات المتحدة^(٢٣).

واضاف الامير ان جيران المملكة العربية السعودية يحصلون بصورة مستمرة على الاسلحة المتطورة من حليفهم الاتحاد السوفيتي وان هذا الامر انعكس على الروح المعنوية للضباط السعوديين الذين بدأوا يتسائلون حول عدم تجهيزهم بالأسلحة الحديثة لمجاعة حلفاء السوفييت في المنطقة، مذكراً ان امن السعودية مرتبط بوصول تلك الاسلحة وانه مرتبط بصورة مباشرة بأمن الخليج العربي والمصالح الامريكية في المنطقة^(٢٤).

ايقن الامير فهد بن عبد العزيز ان عرقلة جهود التسليح تقف خلفها الكيان الصهيوني، لذا اوضح الامر الى وزير الدفاع الامريكي براون، فذكر ان الكيان الصهيوني يتهم المملكة العربية السعودية بالتحشيد بالقرب من الحدود الصهيونية للهجوم عليه باستخدام

الاسلحة الامريكية، ومن اجل ابعاد تلك الشكوك قامت المملكة العربية السعودية بسحب قواتها المتواجدة في سوريا والاردن، وازداد ان الولايات المتحدة تعلم عين اليقين ان المملكة العربية السعودية من المستحيل ان تهاجم الكيان الصهيوني وانما لموازنة القوات الحليفة للاتحاد السوفيتي في المنطقة، فضلاً عن ذلك ذكر الامير فهد مثلما ان الكيان الصهيوني يتزود بالاسلحة حفاظاً على امنه، فان للمملكة الحق ايضاً في الحصول على تلك الاسلحة للحفاظ على امنها، لاسيما وان المملكة قد التزمت بكل التعهدات بعدم تمرير أي اسلحة الى جهات معادية^(٢٥).

وفي ختام الاجتماع ذكر براون ان المملكة العربية السعودية تستحق تطوير قواتها لاسيما القوة الجوية بالطائرات الحديثة على الاقل من نوعيات اف ١٤ واف ١٦ لكن الامر يحتاج الى موافقات من قبل الكونغرس، كما ان الخطة الموضوعية من قبل الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٧٤ لتحديث القوات السعودية تحتاج الى بعض التعديلات حسب متطلبات الوضع في المنطقة، ومن اجل ذلك اوصى براون بزيارة الجنرال فيش (Fish) في بداية حزيران ١٩٧٧ لمتابعة القضايا المتعلقة بين البلدين في مجال التسليح^(٢٦).

حاولت المملكة العربية السعودية استخدام النفط كورقة ضغط من اجل تمرير صفقة السلاح، الامر الذي دفع وزير الخارجية سايروس فانس في ١٨ حزيران ١٩٧٧ ان يبعث رسالة الى الامير فهد بن عبد العزيز حملت عبارات الاطراء والتذكير بالمصالح المشتركة بين البلدين، والتاكيد ان دول منظمة الدول المصدرة للنفط (اوبك) كانت قد رفعت الاسعار في بداية عام ١٩٧٧ بنحو ١٠% ولا تعلم الادارة الامريكية ما هو سبب القرار السعودي لتلك الزيادة الثانية، وازداد ان مصالح الاقتصاد العالمي توصي بتجنب زيادات اخرى على اسعار النفط لاسيما واكد الرئيس كارتر من المزمع ان يتصل بالملك خالد بن عبد العزيز من اجل التريث في قرار زيادة اسعار النفط^(٢٧).

رد الجانب السعودي في ٢٦ حزيران ١٩٧٧ برسالة جاء فيها ان القرار السعودي برفع اسعار النفط لم يأتي بدوافع سياسية او من اجل الاضرار بمصالح حلفائها، وانما وضع حد للتقلبات في اسعار النفط والاختلال في العرض والطلب وحماية مصالح الدول المصدرة ووحددة القرار في منظمة (اوبك)^(٢٨).

اتم الفريق الامريكي لمتطلبات تحديث القوة الجوية السعودية اعماله في نهاية تموز ١٩٧٧، وعلى اثره ارسل وزير الدفاع هارولد براون تقريره الى وزارة الخارجية، لكن الاخيرة باتت تماطل في البت بقضية الطائرات، اذ بين وزير الخارجية سايروس فانس في رسالة بعثها الى وزير الدفاع بوجوب تعليق النظر في قضية بيع طائرات اف ١٥ الى المملكة العربية السعودية، وذلك لاستحالة فتح الموضوع مع الكونغرس لوجود قضايا اخرى معروضة للمناقشة منها بيع طائرات الانذار المبكر (اواكس) لايران وصفقة سلاح غير فعالة لمصر وان عرضه في الوقت الحالي سيعرض الادارة الامريكية الى معارضة كبيرة من قبل الكونغرس وحلفائها الاخرين في اشارة الى الكيان الصهيوني، فضلاً عن ذلك شكلت وزارة الخارجية الامريكية لجنة من مكتب الشؤون السياسية في الشرق الادنى ومكتب الشؤون السياسية والعسكرية لدراسة الامر وفائدته في حفظ التوازن العسكري في منطقة الشرق الاوسط، ووضح الوزير فانس لوزير الدفاع براون بوجوب استحصال موافقة هيئة تصدير الاسلحة والتي من المزمع ان يعرض عليها الامر في ايلول ١٩٧٧ والتي قد ترفض او تقوم باستبدال الطلب السعودي بطائرات (اف ١٤ او اف ١٦ او اف ٥)^(٢٩).

استمرت تضارب الرؤى حول قضية الطائرات بين وزارة الدفاع والجهات الامريكية الاخرى، ففي ٢٩ ايلول ١٩٧٧ دخلت جهة اخرى الى جانب المعارضة وهي مستشارية الامن القومي الامريكي، اذ ابلغت جيسكا توجمان (Jessica Tuchman) مستشار الامن القومي بريجنسكي باستحالة موافقة الكونغرس على الطلب السعودي، وذلك لوجود معارضة مبدئية من بعض اعضاء مجلس النواب ومنهم (جوناثان بينجهام Jonathan Bingham، ليستر وولف Lester Wolff، ستيفن سولارز Stephen Solarz، ليو ريان Leo Ryan، واخرين) فضلاً عن معارضة بعض اعضاء مجلس الشيوخ ومنهم (كليفورد كيس Clifford P. Case، جاكوب جافيتس Jacob Javits، ريتشارد ستون Richard Stone، هوبرت همفري Hubert Humphrey)، واردت جيسكا ان الطائرات نوع اف ٥ والتي منحت سابقاً للمملكة العربية السعودية شكلت عبئاً عليها، وان الادارة الامريكية ليس لديها حجة قوية لإقناع الكونغرس بتوريد طائرات اف ١٥ الى المملكة، وذلك لعدم وجود تهديد حقيقي لها، فضلاً عن ذلك فانه لا فائدة من ارسال طائرات بمحركين، واذا ما اصرت الحكومة السعودية

يمكن اقناعهم بطائرات اف ١٦ ذات المحرك الواحد والتي بالإمكان اقناع الكونغرس بتصديرها، او اقناع الجانب السعودي والخروج من تلك القضية بصورة تحفظ مكانة الولايات المتحدة الامريكية دون الاضرار بالعلاقات الثنائية بين البلدين^(٣٠).

اصابت قضية عرقلة بيع الطائرات للمملكة العربية السعودية العلاقات بين البلدين ببعض الفتور، مما دفع الادارة الامريكية الى ارسال وزير الخزانة مايكل بلومنتال (Michael Blumenthal) الى السعودية ٢٨ تشرين الاول ١٩٧٧، وبعد لقاء مع الملك خالد بن عبد العزيز التقى مع ولي العهد فهد بن عبد العزيز للمناقشة حول قضايا اسعار النفط، اذ اوضح الاخير ان المملكة العربية السعودية لن تستخدم اسعار النفط ضد الولايات المتحدة من اجل الضغط السياسي لان هناك مصلحة اكبر تتمثل في الدور الامريكي في جهود اقرار السلام في منطقة الشرق الاوسط^(٣١).

اما فيما يخص قضية بيع الطائرات فابلق فهد الوزير الامريكي بأسف حكومته لعدم امكانية الادارة الامريكية بتلبية طلبات المملكة العربية السعودية، لاسيما ان تلك الطائرات ليست معدة للاعتداء على الدول الاخرى وانما لحفظ التوازن العسكري مع الدول القريبة الحليفة للاتحاد السوفيتي، وازداد ان في حالة استمرار رفض الكونغرس للأمر فان المملكة العربية السعودية ستكون مضطرة لشراء طائرات مشابهة من مصادر اخرى وهذا الامر ينعكس على العلاقات بين البلدين^(٣٢).

حاول وزير الدفاع استغلال قرب موعد زيارة الرئيس الامريكي كارتر الى المملكة العربية السعودية وذلك من اجل تحريك القضية وانهاء التسوية الامريكي، اذ قام بالاتصال بالسفير الامريكي في المملكة جون ويست (John West) في ١ كانون الاول ١٩٧٧ للاطلاع على اخر ما توصلت اليه القضية، الا ان السفير ابلغه بان الكونغرس يمنع بيع الاسلحة التي تتجاوز قيمتها ٢٥ مليون دولار، لكنه عاد وذكر بان الوفد المرافق للرئيس خلال زيارته المزعومة للمملكة العربية السعودية سيضم العديد من اعضاء الكونغرس وبإمكان الحكومة السعودية الاتصال بهم لإقناعهم لإكمال الصفقة^(٣٣).

عقد لقاء يوم ٣ كانون الاول ١٩٧٧ ضم وزير الدفاع السعودي سلطان بن عبد العزيز السفير الامريكي في المملكة جون ويست ومسؤولة مكتب الجزيرة العربية في

الخارجية الامريكية بربارا بودين ومستشار السفارة الامريكية عيسى الصباغ، وفي ذلك الاجتماع تحدث سلطان بن عبد العزيز بلهجة مختلفة عن الازدواجية التي تتعامل بها الادارة الامريكية مع اصدقائها، ففي الوقت الذي ترفض فيه بيع الاسلحة بحجة التوازن في المنطقة فهي تباع للكيان الصهيوني اسلحة بمليارات الدولارات، وتمنح لايران الاسلحة المتطورة في الوقت الذي تشتري فيه ايران اسلحة من الاتحاد السوفيتي والصين وفرنسا، وازداد ان الحكومة السعودية تشعر بخيبة امل تجاه حلفائها الامريكيين الذين يعاملونها كونها حليف (من الدرجة الثالثة)، وان المخاوف الامريكية من استخدام الطائرات للهجوم على الكيان الصهيوني، فانه من المستحيل ان تهاجم المملكة دولة تتفوق عليها بالطائرات والاسلحة الامريكية الحديثة^(٣٤)

حاول الجانب الامريكي في الاجتماع نفي تهمة التعامل بالازدواجية، اذ تحدث السفير ويست انه يناقش قضية العلاقات مع الادارة الامريكية وانها تمر في افضل حالاتها، اما فيما يتعلق بقضية الطائرات اشارت بربارا بودين ان المملكة العربية السعودية قد تكون غير مؤهلة بشريا لامتلاك تلك الطائرات فضلاً عن تكاليف صيانتها وامكانية استخدامها بشكل هجومي في المنطقة^(٣٥).

وفي نهاية الاجتماع ذكر الوزير سلطان انه على استعداد للذهاب الى الكونغرس الامريكي لشرح الاسباب التي دفعت المملكة العربية السعودية لطلب تلك الطائرة مشبهاً ذلك بزيارة الرئيس المصري السادات الى الكنيسة الصهيونية^(٣٦).

تلا ذلك اللقاء اجتماعاً بالعاصمة الرياض في ١٤ كانون الاول ١٩٧٧ ضم العديد من الشخصيات السعودية^(٣٧) والامريكية^(٣٨) نوقشت في العديد من القضايا على الساحة منها الحرب الاهلية اللبنانية وقضية السلام العربي الصهيوني ومشاكل القرن الافريقي، كما تم التطرق الى قضية الطائرات المزعم شرائها من الولايات المتحدة الامريكية، اذ ابدى فهد بن عبد العزيز استغرابه من مخاوف الكونغرس من استخدام تلك الطائرات من قبل المملكة العربية السعودية لمهاجمة الكيان الصهيوني، وازداد ان ذلك الادعاء لا اساس له من الصحة، اذ ان الحكومة السعودية تريد تلك الطائرات لحماية امن الخليج العربي من جهة ولردع جيرانها من حلفاء الاتحاد السوفيتي، واستشهد بمثال انه فيما لو حاول العراق مساندة

اليمن الجنوبي لاسيما وانه يملك قوة من ١٢ فرقة عسكرية مجهزة للقتال بما يفوق القدرات السعودية الامر الذي سيخلق فضائع تجاه المصالح الامريكية والسعودية^(٣٩)

من جهته رد سايروس فانس بان هناك تغييراً واضحاً في موقف الكونغرس الامريكي تجاه طلبات السلاح السعودي لاسيما بعد زيادة حجم المخاطر التي قد تتعرض لها المملكة من جيرانها، وتأكيداً على ذلك ان عدداً من اعضاء الكونغرس من المزمع ان يزوروا المملكة العربية السعودية في شهر كانون الثاني عام ١٩٧٨ لمناقشة تلك القضية^(٤٠).

بدأت الولايات المتحدة خطواتها الايجابية ازاء بيع الطائرات للمملكة العربية السعودية وذلك من خلال التقرير الذي قدمه مستشار الامن القومي بريجنسكي الى الرئيس كارتر في ١٥ كانون الاول ١٩٧٧، والذي تضمن جدولاً لمبيعات الاسلحة الى الشرق الاوسط جاء فيه^(٤١):

الجهة	نوع الطائرات	العدد المزمع بيعه
الكيان الصهيوني	اف ١٦	١٥٠-٥٠
	اف ١٥	٢٥
المملكة العربية السعودية	اف ١٥	٦٠-٢٠
مصر	اف ٥	١٢٠-٤٠

رأى بريجنسكي ان ارسال الطلب بتلك الصورة هي الافضل للحصول على موافقة الكونغرس، لانه يتضمن مراعاة مصالح حلفاء الولايات المتحدة الامريكية من العرب والكيان الصهيوني، كما حث بريجنسكي الرئيس لإرسال توجيهاته الى وزارة الخارجية لتلافي اعتراضات وانتقادات الحلفاء الاوربيين الذين سبق وان ابلغتهم الادارة الامريكية بعدم بيع الاسلحة في منطقة الشرق الاوسط لاسيما وان الصراع العربي الصهيوني بات اقرب الى السلام، اذ ان توريد اسلحة بقيمة ٨ مليار دولار من المؤكد انه مثار انتقاد من وسائل الاعلام والمعارضة في الداخل والحلفاء الاوربيين وحتى من الاتحاد السوفيتي^(٤٢).

استهلت العلاقات الامريكية السعودية عام ١٩٧٨ بزيارة الرئيس جيمي كارتر الى الرياض في ٣ كانون الثاني ١٩٧٨ والتقى خلالها مع المسؤولين السعوديين لمناقشة قضايا المنطقة مثل الصراع العربي الصهيوني والحرب الاهلية اللبنانية واسعار النفط^(٤٣).

اعدت الاستخبارات المركزية الامريكية تقريراً في ٥ كانون الثاني ١٩٧٨ نصحت به ادارة الرئيس كارتر بتمرير صفقة طائرات اف ١٥ الى المملكة العربية السعودية وذلك وفاء للحكومة السعودية لجهودها المبذولة في مكافحة نمو الانظمة الراديكالية في المنطقة، وجهودها في قيادة السلام في الشرق الاوسط بين مصر والكيان الصهيوني، فضلاً عن دعمها للصومال في صراعها مع اثيوبيا المدعومة من الاتحاد السوفيتي لحفظ امان منطقة القرن الافريقي من السيطرة السوفيتية، ولم يستثني التقرير الامريكي الجهود السعودية الكبيرة التي ترسخت في مؤتمر كاراكاس عام ١٩٧٧ لدول منظمة (اوبك) في تهدئة اسعار النفط^(٤٤).

حثت مستشارية الامن القومي الادارة الامريكية في ٢٧ كانون الثاني ١٩٧٨ بضرورة تأجيل عرض صفقة الطائرات الى المملكة العربية السعودية لغاية شهر اذار، وذلك بسبب الحملة التي شنتها (لجنة الشؤون العامة الامريكية الاسرائيلية)، اذ عملت الاخيرة على زيارة اعضاء مجلس الشيوخ من اجل رفض تلك الصفقة، لذا فان تأجيل الصفقة امر ضروري ليتسنى للإدارة الامريكية العمل على ايضاح صورة دور المملكة العربية السعودية في السلام لدى اعضاء الكونغرس وايضا من اجل تمرير الامور المتعلقة بنينا^(٤٥).

يتضح مما تقدم تضارب الرؤى بين الدوائر الامريكية ففي الوقت الذي تنصح به الدوائر الاستخبارية الامريكية بتمرير الصفقة تأتي الاعتراضات من قبل مستشارية الامن القومي وهذا يؤكد سيطرة اللوبي الصهيوني والجماعات المعارضة الامريكية على القرار السياسي في البلاد.

جاء مقترح التاجيل من قبل مستشارية الامن القومي بعد الاتصالات التي اجرتها مع بعض اعضاء مجلس الشيوخ ومنهم (لويد بونستون Lloyd Bentsen ، ادوارد بروك Edward Brooke، كليفورد كيس، فرانك تشرتش Frank Church، جون جلين John Glenn، هاوارد مينزونباوم Howard Metzenbaum، ريتشارد ستون) الذين تربطهم علاقات قوية بالمجتمع اليهودي في الولايات المتحدة الامريكية، ومن غير الممكن ان يضحوا هؤلاء بأصوات ناخبهم في الانتخابات القادمة من اجل التصويت لصالح بيع الاسلحة للمملكة العربية السعودية^(٤٦).

لذا رأت المستشارية تأجيل الامر الى شهر اذار ١٩٧٨ مع ابقاء الصفقة السعودية بنفس الحزمة مع الصفقة الصهيونية من اجل تمريرها بموافقة واحدة من الكونغرس^(٤٧).

اقتنعت الادارة الامريكية بتقرير مستشارية الامن القومي، ففي ٢٥ كانون الثاني ١٩٧٨ ابلغ وزير الخارجية سايروس فانس السفير الامريكي في المملكة العربية السعودية جون ويست بضرورة ابلاغ ولي العهد فهد بن عبد العزيز بان الادارة الامريكية اجلت عرض قضية طائرات اف ١٥ لوقت اخر، وذلك بسبب تعثر مفاوضات السلام بين مصر والكيان الصهيوني الامر الذي سيصعب مهمة الموافقة، وانه بمجرد عودة تلك المفاوضات سيتيح للادارة الامريكية زخماً اعلامياً في عرض القضية على الكونغرس^(٤٨).

ردت الخارجية السعودية على لسان وزيرها سعود الفيصل في ٢٩ كانون الثاني ١٩٧٨ بان ما حدث يعد فشلاً في السياسة الامريكية تجاه المملكة العربية السعودية، اذ كانت صفقة الطائرات هي اختبار جدي للعلاقات بين البلدين، ويبدو ان الادارة الامريكية لم تعر اهمية لذلك، لذا سلم سعود الفيصل طلباً من الملك خالد بن عبد العزيز وولي العهد فهد الى الرئيس كارتر حمل فيه عرض الامر على الكونغرس دون انتظار نتائج مفاوضات السلام^(٤٩).

وفي ٣١ كانون الثاني حث السفير ويست ادارته بان عليها التعامل مع القضية بشكل جدي لان السعوديين فعلاً باتوا يعدونها قضية تمس العلاقات بينهم وبين الولايات المتحدة وان استمرار التأجيل والتسويق يزيد من شكوك السعوديين تجاه الادارة الامريكية^(٥٠).

استجابت الخارجية الامريكية لطلب سفيرها في المملكة العربية السعودية في ٣١ كانون الثاني للتعاطي بشكل جدي مع القضية، لذا صدرت موافقة اولية من الرئيس كارتر في اليوم نفسه بالموافقة على بيع طائرات اف ١٥ الى المملكة العربية السعودية، لكن هذا القرار لم يغير من الامر شيئاً، اذ ربط التنفيذ على موافقة الكونغرس^(٥١).

واوضح وزير الخارجية سايروس فانس للجانب السعودي ان القضية تستغرق بعض التوقيات لإتمام تلك الصفقة، منها ان يكون الجو العام ملائماً في الكونغرس لتقبل فكرة بيع طائرات حديثة للمملكة العربية السعودية وذلك الامر غير ممكن في الوقت الحالي، بالرغم من الجهود المبذولة من وزيري الخارجية سايروس فانس والدفاع هارولد براون في اقناع اعضاء

المجلس بالأمر، كما ان هناك توقيقات اخرى تستمر لأكثر من ٥٠ يوم لمناقشة القضايا داخل الكونغرس وبين الكونغرس والادارة الامريكية^(٥٢).

قدم وزير الخارجية سايروس فانس طلب حزمة مبيعات الطائرات لمنطقة الشرق الاوسط الى الرئيس كارتر في ١٣ شباط ١٩٧٨ لاصدار موافقته النهائية وتضمنت^(٥٣):

الجهة	النوع	العدد
الكيان الصهيوني	اف ١٥	١٥
	اف ١٦	٧٥
المملكة العربية السعودية	اف ١٥	٦٠
مصر	اف ٥	٥٠

عد سايروس فانس تلك الاعداد مقبولة وجاءت بالاتفاق مع وزارة الدفاع الامريكية ووكالة مراقبة الأسلحة ونزع السلاح، وبلغت القيمة الاجمالية لتلك الطائرات ٤,٨ مليار دولار، وبالرغم من موافقة وكالة مراقبة الاسلحة الا ان رئيس الوكالة بول وارنك ابدى بعض التحفظات حول الامر، اذ بين انه بالرغم من اعتبارات السياسة الخارجية الامريكية والتي تحتم الالتزام بتعهداتها تجاه حلفاءها، الا بيع مثل ذلك العدد من الطائرات الحديثة لمنطقة يزيد من تعقيدات الوضع في منطقة الشرق الاوسط فضلاً عن انتقادات المجتمع الدولي، وتجاهل بول وارنك حصول الكيان الصهيوني على الجزء الاكبر من الصفقة اذ ابدى انتقاده لإدارة بلاده على بيع تلك الطائرات للمملكة العربية السعودية، مبيناً كان بالإمكان دفع الحكومة السعودية لشراء طائرات من مصادر اخرى^(٥٤).

حاول سايروس فانس تبرير تلك الصفقة امام وكالة مراقبة الاسلحة ونزع السلاح، اذ بين ان الجهود الامريكية في قيادة السلام في الشرق الاوسط تحتم عليها بيع تلك الطائرات بالدرجة الاساس للكيان الصهيوني، لان الاخير يجب ان يثق بقدراته وامنه من اجل تحقيق السلام، اما مصر فبعد تخلي الرئيس انور السادات عن المساعدات السوفيتية وقرر قطع جميع علاقاته معه القى ذلك الامر المسؤولية على الادارة الامريكية للحفاظ على الحد الأدنى من القدرة الدفاعية للقوة الجوية المصرية، اما بالنسبة للمملكة العربية السعودية فان توريد طائرات اف ١٥ لن يؤثر بشكل كبير على التفوق العسكري الذي يتمتع به الكيان

الصهيوني لاسيما انه ترافق مع تصدير طائرات اخرى للكيان الصهيوني، فضلاً عن اهمية المملكة العربية السعودية بالنسبة للإدارة الامريكية^(٥٥).

تحركت الحكومة السعودية دبلوماسياً لكسب موافقة الكونغرس على صفقة بيع الطائرات باتجاهين، قاد الاتجاه الاول ولي العهد فهد بن عبد العزيز الذي بعث برسائل متعددة الى وزير الخارجية سايروس فانس والرئيس كارتر تطالب ببيان موقف الادارة الامريكية اذا ما تعرضت المملكة العربية السعودية الى تهديد حقيقي بعد تصاعد الاحداث في منطقة القرن الافريقي، ولم يستبعد فهد بن عبد العزيز من تطوير علاقاته مع الاتحاد السوفيتي اذا ما استمر نمو النفوذ السوفيتي في المنطقة لاسيما ان المملكة بتلك الحالة ستكون بين فكي كماشة من الشمال العراق ومن الجنوب القرن الافريقي^(٥٦).

اما الاتجاه الثاني وهو الذي قاده وزير الخارجية سعود الفيصل في الولايات المتحدة من خلال الاجتماعات المتكررة مع بعض المسؤولين الامريكيين والشخصيات المؤثرة من اجل بيان موقف المملكة العربية السعودية وحاجتها لتعزيز قدراتها العسكرية بسبب استهدافها من الاتحاد السوفيتي وبعض الدول العربية مثل ليبيا والعراق وسوريا واليمن الجنوبي^(٥٧).

واستمراراً للجهود المبذولة من الحكومة السعودية عقد اجتماع في واشنطن في ١٨ ايار ١٩٧٨ ضم العديد من مسؤولي وزارة الخارجية الامريكية^(٥٨) فضلاً عن الوفد السعودي^(٥٩) اذ تمت مناقشة العديد من القضايا في المنطقة منها مطالبة الجانب السعودي بانسحاب الكيان الصهيوني من جنوب لبنان وتعزيز قوات الامم المتحدة هناك، فضلاً عن قضايا اخرى تتعلق بالقرن الافريقي والجهود المبذولة لإعادة السلام الى لبنان^(٦٠).

تطرق المجتمعون الى القضية الاساسية وهي مبيعات طائرات اف ١٥ لاسيما بعد انفراج الوضع وتصويت الكونغرس بالموافقة على بيع تلك الطائرات، اذ بين وزير الخارجية سايروس فانس بالجهود التي بذلها الجانبين السعودي والامريكي لإقناع اعضاء الكونغرس بالموافقة على بيع تلك الطائرات للمملكة العربية السعودية لاسيما ان التصويت كان الى جانب المملكة كدولة معتدلة صديقة للولايات المتحدة ولم يقارن بأنه ضد الكيان الصهيوني كما روج الاعضاء المعترضين^(٦١).

حاول السفير الامريكي في المملكة العربية السعودية في ٢٢ ايار ١٩٧٨ استغلال تصويت الكونغرس من اجل حصول بلاده على المزيد من المصالح في المملكة، اذ بين في رسالته الى مجلس الامن القومي الامريكي بضرورة استغلال التصويت لتحرك تجاه الحكومة السعودية لإقناعهم بضرورة زيادة انتاج النفط واستغلال حالة الامتتان التي يعيشها السعوديون تجاه الادارة الامريكية، وبشكل حذر خشية من استغلال الراي العام في الدول المناهضة بانها عقدت تحت مبدأ الطائرات مقابل النفط^(٦٢).

وصف السفير الامريكي في تقريره السنوي حول عام ١٩٧٨ بان نجاح صفقة طائرات اف ١٥ الى المملكة العربية السعودية تعد الحدث الاهم في علاقات البلدين لأنها جاءت مصداقية لتعهدات ثلاثة رؤساء امريكان فضلا عن التزام امريكي لحليف استراتيجي مهم، كما برهنت على قوة الادارة في تحمل ضغط اللوبي الصهيوني الذي لم يسبق له ان انهزم في الولايات المتحدة الامريكية، كما عززت تلك الصفقة ثقة الدول الاخرى بسياسة الولايات المتحدة الامريكية فبالرغم من الاعتراضات من الكيان الصهيوني الذي تعهدت الادارة الامريكية بحمايته وحفظ امنه الا ان الادارة الامريكية اصررت على تمرير تلك الصفقة واثبات للدول العربية بان الادارة الامريكية بإمكانها اتخاذ قرار يتعارض مع سياسة الكيان الصهيوني والجماعات الامريكية المؤيدة لها^(٦٣).

الخاتمة

- اثبتت صفقة طائرات اف ١٥ السعودية قوة اللوبي الصهيوني والجماعات الامريكية المساندة له داخل الولايات المتحدة الامريكية اذ باتت تشكل قوة مؤثرة اقوى من قرار الرئيس الامريكي.
- لم تستطع الادارة الامريكية تمرير صفقة الطائرات السعودية والبالغ عددها ٦٠ طائرة الا بعد ان وضعتها في حزمة واحدة مع صفقة الطائرات الصهيونية والتي كان عددها ٩٠ طائرة لضمان موافقة الكونغرس عليها.
- بينت تلك القضية تاثير الكيان الصهيوني على الدوائر الامريكية وبشكل متفاوت، ففي وقت تؤيد بعض الدوائر مثل الدفاع والاستخبارات تجهيز المملكة العربية السعودية بالاسلحة، نرى ان وزارة الخارجية ومستشارية الامن القومي ترفض ذلك وتماطل به.

- اسهمت الاحداث في المنطقة في الاسراع في تلك الصفقة مثل مفاوضات السلام المصرية الصهيونية والاحداث في القرن الافريقي والحرب الاهلية اللبنانية في الاسراع في عقد تلك الصفقة.

- من الملاحظ ان هناك اصرار سعودي على نجاح تلك الصفقة فبالرغم من قوة اللوبي الصهيوني وتأثيره على القرار الأمريكي الا ان الدبلوماسية السعودية لم تكن مكتوفة الايدي بل عملت على ايضاح صورتها المعتدلة والحليفة للولايات المتحدة من اجل اكمال تلك الصفقة.

هوامش البحث:

(١) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Memorandum Prepared in the Central Intelligence Agency, 144, Washington, January 14, 1977, P. 462.

(2) Ibid, P. 463.

(3) Ibid, P. 463.

(٤) يقصد هنا بمصدر القلق الاحداث التي شهدتها بعض الدول العربية والتي كان احد اطرافها المقاتلون الفلسطينيون مثل احداث ايلول الاسود عام ١٩٧٠ في الاردن، واحداث الحرب الاهلية اللبنانية والتي امتدت من عام ١٩٧٥ لغاية ١٩٨٩.

(5) Ibid, P. 464.

(٦) اعتمدت القوات الجوية السعودية في ذلك الوقت على الطائرات البريطانية القديمة لايتنغ (Lighting) من انتاج شركة انكلش الكتريك البريطانية والتي دخلت الخدمة عام ١٩٥٤. للتفاصيل:

Anthony Axon, Susan Hewitt, Saudi Arabia 1975 - 2020, Brill Publishers, Netherlands, 2022, P. 524.

(٧) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Telegram From the Embassy in Saudi Arabia to the Department of State and the Department of Defense, 145, Jidda, January 23, 1977, P. 470.

(8) Ibid

(9) Ibid, P. 471.

(١٠) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Telegram From the Department of State to the Embassy in Saudi Arabia, 146, Washington, February 8, 1977, P. 471.

(١١) وهي مختصر (United States Military Training Mission) وهي بعثة امريكية لتدريب القوات السعودية تعمل منذ عام ١٩٥٣. ينظر:

Michael J. Sippel, Saudi Arabia, The Changing Paradigm and Implications for The United States Military Training Mission, The DISAM Journal, Vol. 25, No (1, 2) Summer 2003, P. 4-5.

(12) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Telegram From the Embassy in Saudi Arabia to the Department of State, 147, Jidda, February 9, 1977, P. 472.

(13) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Telegram From the Embassy in Saudi Arabia to the Department of State, 148, Jidda, February 22, 1977, P. 483.

(14) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Brzezinski) to President Carter, 149, Washington, May 21, 1977, P. 483.

(١٥) تتميز طائرات اف ١٥ كونها تحتوي على محركين نفائين ولها قدرة في العمليات الدفاعية الاعتراضية والهجومية، اما طائرات اف ١٦ فكانت بمحرك واحد ورغم سرعة مناورتها الا ان اف ١٥ تتفوق عليها بالعديد من المزايا. للاطلاع على مزايا الطائرات ومواصفاتها ينظر:

Mark Dartford, Fighter Planes, Lerner Publications Company, Minneapolis, 2003.

(16) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Brzezinski) to President Carter, 149, Washington, May 21, 1977, P. 483.

(17) Ibid.

(18) Ibid.

(19) Ibid.

(20) Ibid, P. 484.

(21) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Memorandum of Conversation, 151, Washington, May 24, 1977, P. 494.

(22) Ibid, P. 495.

(23) Ibid, P. 496.

(24) Ibid.

(25) Ibid, P. 497.

(26) Ibid, P. 498.

(27) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Telegram From the Department of State to the Embassy in Saudi Arabia, 152, Washington, June 18, 1977, P. 499-500.

(28) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Telegram From the Embassy in Saudi Arabia to the Department of State, 153, Jidda, June 26, 1977, P. 501.

- (29) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Letter From Secretary of State Vance to Secretary of Defense Brown, 155, Washington, August 30, 1977, P. 517.
- (30) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Memorandum From Jessica Tuchman of the National Security Council Staff to the President's Assistant for National Security Affairs (Brzezinski), 156, Washington, September 29, 1977, P. 518-519.
- (31) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Telegram From Secretary of the Treasury Blumenthal to the Department of State, 157, Dhahran, October 28, 1977, P. 519-520.
- (32) Ibid, P. 520-521.
- (33) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, MIDDLE EAST REGION; Telegram From the Embassy in Saudi Arabia to the Department of State, 159, Jidda, December 1, 1977, 524.
- (34) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Telegram From the Embassy in Saudi Arabia to the Department of State, 160, Jidda, December 7, 1977, P. 525.
- (35) Ibid
- (36) Ibid, P. 526.
- (٣٧) مثل الجانب السعودي: فهد بن عبد العزيز ولي العهد، عبد الله بن عبد العزيز قائد الحرس الوطني، سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع، سعود الفيصل وزير الخارجية، تركي بن فيصل رئيس الاستخبارات السعودية، المستشار الملكي رشاد فرعون، السفير السعودي في الولايات المتحدة الأمريكية علي عبد الله علي رضا.
- (٣٨) مثل الوفد الأمريكي: سايروس فانس وزير الخارجية، فليب حبيب وكيل وزير الخارجية الأمريكي، السفير الأمريكي في المملكة العربية السعودية جون ويست، مستشار السفارة الأمريكية عيسى الصباغ، ديفيد كورن ممثل وزير مكتب التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية.
- (39) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Memorandum of Conversation, 161, Riyadh, December 14, 1977, P. 531.
- (40) Ibid, P. 532.
- (41) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Memorandum From the President's Assistant for National Security Affairs (Brzezinski) to President Carter, 162, Washington, December 15, P. 534.
- (42) Ibid.
- (43) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Editorial Note, 164, Riyadh, January 3-4, P. 535.

- (٤٤) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Memorandum Prepared in the Central Intelligence Agency, 165, Washington, January 5, 1978, P. 538.
- (٤٥) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Memorandum From Jessica Tuchman of the National Security Council Staff to the President's Assistant for National Security Affairs (Brzezinski), 166, Washington, January 27, 1978, 539-540.
- (٤٦) Ibid. P. 540.
- (٤٧) Ibid.
- (٤٨) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Editorial Note, 167, P. 541.
- (٤٩) Ibid, P. 542.
- (٥٠) Ibid.
- (٥١) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Telegram From the Department of State to the Embassy in Saudi Arabia, 168, Washington, January 31, 1978, P. 543.
- (٥٢) Ibid, P. 544.
- (٥٣) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Memorandum From Secretary of State Vance to President Carter, 169, Washington, undated, P. 545.
- (٥٤) Ibid.
- (٥٥) Ibid, P. 546.
- (٥٦) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Memorandum From Secretary of State Vance to President Carter, 170, Washington, undated, P. 549-550.
- (٥٧) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Telegram From the United States Liaison Office in Riyadh to the Department of State, 171, Riyadh, April 26, 1978, P. 552.
- (٥٨) ضم الجانب الأمريكي في الاجتماع: وزير الخارجية سايروس فانس، اندرو يونغ ممثل الولايات المتحدة الأمريكية في الأمم المتحدة، ريتشارد كوبر مساعد وزير الخارجية للشؤون الاقتصادية، لوسي بنسون مساعد وزير الخارجية للمساعدة الأمنية، ريتشارد موس مساعد وزير الخارجية للشؤون الأفريقية، هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وجنوب اسيا، جون ويست سفير الولايات المتحدة في المملكة العربية السعودية، وليام كواندت مبعوث من مستشارية الامن القومي، ويليام كورفورد نائب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وجنوب اسيا، جوزيف توينام مدير مكتب شؤون شبه الجزيرة العربية.

(٥٩) ضم الوفد السعودي: سعود الفيصل وزير الخارجية، علي عبد الله علي رضا سفير المملكة العربية السعودية في الولايات المتحدة الامريكية، عبد الله علي رضا نائب وزير الخارجية للشؤون الاقتصادية، نزار مدني سكرتير اول للسفارة السعودية.

(60) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Memorandum of Conversation, 172, Washington, May 18, 1978, P. 555.

(61) Ibid.

(62) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Memorandum From the President's Deputy Assistant for National Security Affairs (Aaron) to President Carter, 173, Washington, May 22, 1978, P. 558.

(63) FOREIGN RELATIONS OF THE UNITED STATES, 1977-1980, VOLUME XVIII, Report Prepared by the Ambassador to Saudi Arabia (West), 176, Jidda, December 31, 1978, P. 565-566.

التطورات الاقتصادية وخطط التنمية في
جمهورية كوريا (١٩٦١-١٩٨١)

أ.م.د. علاء عباس نعمة الصافي
جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

التطورات الاقتصادية وخطط التنمية في جمهورية كوريا (١٩٦١-١٩٨١)

أ.م.د. علاء عباس نعمة الصافي

الخلاصة

قام الجنرال بارك تشونغ هي بانقلاب عسكري عام ١٩٦١ بعد ثلاثة عشر سنة من تأسيس جمهورية كوريا في جنوب شبه الكورية , وقد انطلقت ادارة بارك الحكومية في التنمية الاقتصادية للبلاد وبدأت بوضع أولى الخطط الخمسية خلال السنوات (١٩٦٢-١٩٦٦) التي ركزت على تطوير المنسوجات والصناعات الخفيفة مثل الأحذية والخشب الموجهة للتصدير مستفيدة من وفرة الأيدي العاملة ذات المهارة العالية وبناء الاقتصاد السليم والنمو المستدام , ثم انتقلت الى تطبيق الخطة الخمسية الثانية (١٩٦٧-١٩٧١) وأكدت هذه الخطة على تحديث الهيكل الصناعي وسرعة بناء صناعات بديلة للواردات ولاسيما صناعات الحديد والصلب والآلات والصناعات الكيماوية , تلتها الخطة الخمسية الثالثة (١٩٧٢-١٩٧٦) وتحركت فيها الحكومة الكورية بزعامة بارك للتوسع في الصناعات الثقيلة والكيماوية من خلال الاستثمار , وعملت بشكل أساسي لإدخال البلاد في سوق المنافسة الدولية عن طريق تطوير هذه الصناعات الاستراتيجية , ثم جاءت الخطة الخمسية الرابعة (١٩٧٧-١٩٨١) وانطلقت هذه الخطة لتعزيز تنمية الصناعات المصممة للتنافس بفعالية في أسواق التصدير العالمية , وتألفت من صناعات عالية التكنولوجيا وتميزت بكثافة الأيدي العاملة الماهرة مثل الآلات والإلكترونيات وبناء السفن , كما شددت الخطة على الاستمرار بالصناعات الثقيلة والكيماوية الكبيرة ولاسيما الحديد والصلب والبتروكيماويات والمعادن الأخرى .

Abstract

General Park Chung-hee carried out a military coup in 1961, thirteen years after the founding of the Republic of Korea in the South Korean peninsula. Park's government administration embarked on the country's economic development and began to develop the first five-year plans during the years (1962-1966) that focused on developing textiles and light industries such as shoes and wood directed for export, taking advantage of the abundance of highly skilled labor and building a sound economy and sustainable growth. Then it moved to implement the second five-year plan (1967-1971). This plan emphasized modernizing the industrial structure and quickly building import-substituting industries, especially iron and

steel, machinery, and chemical industries. This was followed by the third five-year plan (1972-1976), in which the Korean government, led by Park, moved to expand heavy and chemical industries through investment, and worked primarily to bring the country into the international competitive market by developing these strategic industries. Then came the fourth five-year plan (1977-1981), and this plan was launched to enhance the development of industries designed to compete. Effectively in global export markets, it consisted of high-tech industries characterized by the density of skilled labor such as machinery, electronics and shipbuilding. The plan also emphasized the continuation of large heavy and chemical industries, especially iron, steel, petrochemicals and other metals.

المقدمة

يُعد موقع شبه الجزيرة الكورية الجغرافي من المواقع المهمة في منطقة شرق آسيا , لذلك كانت منطقة صراع وتقاسم نفوذ بين دولتي الصين واليابان وصراع دولي امتد لسنوات طويلة حتى انتهت الأوضاع بتقسيم الجزيرة الى دولتين عام ١٩٤٨ , الأولى في الجنوب برعاية ودعم أمريكي وغربي والثانية في الشمال بدعم الاتحاد السوفيتي , لكن الأوضاع لم تستقر في كوريا المقسمة بل استمر الصراع بين قسميها الشمالي والجنوبي ووصل الى ذروته في الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣) وخرجت الكوريتين ولاسيما الجنوبية التي سُميت رسمياً بجمهورية كوريا وهي منهوكة القوى , فقد عانت من مشاكل كثيرة على مختلف الأصعدة ولاسيما الاقتصادية متمثلةً بتدهور الأوضاع المعيشية لعامة سكانها , وعلى الرغم من محاولات حكومتها اصلاح الأوضاع خلال السنوات (١٩٥٣-١٩٦٠) الا انها اخفقت ولم تحقق ما تم وضعه من خطط للنهوض بالواقع بسبب الفساد المالي والاداري للمسؤولين والسياسيين , وبعد التغيير السياسي الشامل الذي حصل بعد تسلم العسكريين للسلطة في البلاد عام ١٩٦١ بقيادة الجنرال بارك تشونغ هي دخلت كوريا الجنوبية مرحلة جديدة , فأتخذت القيادة العسكرية قراراً أساسياً بضرورة نهضة البلاد في مختلف المجالات الاقتصادية والتعليمية والتكنولوجية وانتشال شعبها من الفقر والتخلف , والسعي بقوة لجعلها في مصاف الدول المتقدمة عبر قرارات وإجراءات مدروسة وخطط اقتصادية خمسية مُتتابة تم وضعها بشكل دقيق ووفق أولويات وأهداف استراتيجية كبرى , انتهت جميعها بنجاح كبير جداً وأدت الى تطور البلاد ونقلها نقلةً نوعية وتقدمها بشكل لافت في كل النواحي ولاسيما الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية , ولم تتحقق هذه التطورات والنتائج الايجابية جُزأًفً وانما مرت عبر سلسلة من

التحديات والعقبات لم يتم تجاوزها فقط بل وتحويلها الى نجاحات اضافية , لذلك جاءت أهمية دراسة موضوع التطورات الاقتصادية في كوريا الجنوبية وخطط التنمية (١٩٦١-١٩٨١) وتبسيط الضوء على الكيفية التي سارت عليها جمهورية كوريا والمنجزات التي حققتها خلال هذه السنوات . تم تقسيم البحث على مقدمة وتمهيد وسبعة محاور وخاتمة , فقد تناول التمهيد الأوضاع الاقتصادية لشبه الجزيرة الكورية خلال سنوات الاحتلال الياباني (١٩١٠-١٩٤٥) وما بعد تقسيم كوريا وظهور جمهورية كوريا في الجنوب وأوضاعها الاقتصادية من عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٠ , أما المحور الأول فقد سلط الضوء على التغيير السياسي في كوريا الجنوبية وتسلم بارك تشونغ للسلطة عام ١٩٦١ , في حين تناول المحور الثاني بداية انطلاق التنمية الاقتصادية في البلاد , وكان المحور الثالث بعنوان الخطة الخمسية الأولى (١٩٦٢-١٩٦٦) , وتناولت المحاور الرابع والخامس والسادس الخطط الخمسية الثانية والثالثة والرابعة على التوالي , وجاء المحور السابع والأخير لبحث في أسباب نجاح التجربة التنموية في هذا البلد . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .

تمهيد

عانى الاقتصاد الكوري قبل سيطرة اليابان على شبه الجزيرة الكورية (١٩١٠-١٩٤٥) من التخلف وكان اقتصاداً زراعياً , فقد اعتمد معظم الكوريين لسنوات طويلة على الزراعة لتغطية معيشتهم التي كانت تتركز على زراعة الأرز وبعض الحبوب الأخرى , وقد سدوا معظم احتياجاتهم الأساسية من خلال عملهم الخاص أو المقايضة , كما كانوا ينتجون صناعاتهم التقليدية مثل الأقمشة و أدوات الطهي والمجوهرات والورق بواسطة الحرفيين في عدد قليل من مراكز المدن , وبعد أن أصبحت كوريا مستعمرة يابانية رسمية بدأ اليابانيون بإدخال الرأسمالية الصناعية على المجتمع الزراعي الاقطاعي في كوريا , وبحلول نهاية السيطرة اليابانية على البلاد ظهرت بنية أساسية واسعة من الطرق والسكك الحديدية والموانئ والطاقة الكهربائية والمباني الحكومية , كما أقام اليابانيون عدد من الصناعات الثقيلة مثل صناعة الصلب والمواد الكيميائية والطاقة الكهرومائية في معظم أنحاء شبه الجزيرة الكورية , وقد ساهم كل ذلك في تحديث الاقتصاد الكوري , وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ حدث اضطراب اقتصادي كبير في كوريا بسبب استنزاف وتدمير المصانع ونهاية رأس المال الياباني وفقدان الخبرة الفنية وأنظمة التوزيع للبضائع والأسواق , لكن مع ذلك كان عدد غير قليل من الكوريين يمتلكون شركات كبيرة ويديرونها بعد رحيل اليابانيين , كما سيطروا على أصول بعض الشركات اليابانية وأصبحت هذه الشركات

التطورات الاقتصادية وخطط التنمية في جمهورية كوريا (١٩٦١-١٩٨١)

مساهماً رئيساً في الاقتصاد الكوري في السنوات اللاحقة ، فضلاً عن بعض الشركات التي تم تشكيله في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات^(١).

بعد تقسيم شبه الجزيرة الكورية عام ١٩٤٨ وظهر دولتي جمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية في الشمال وجمهورية كوريا في الجنوب التي عُرفت بالجمهورية الأولى (١٩٤٨-١٩٦٠) ، وأقر دستور الأخيرة الذي تم تبنيه في العام نفسه على أن تدير البلاد نحو التنمية بالاعتماد على الديمقراطية واقتصاد السوق الحر وتكفل الدولة حق الملكية الفردية وتشجيعها للنشاط التجاري وحرية الابداع فيه للأفراد والمؤسسات الاقتصادية ، وتعمل على الحفاظ على استقرار الاقتصاد الوطني والنمو المتوازن عن طريق تنظيم الأنشطة الاقتصادية والتنسيق فيما بينها^(٢).

ظلت كوريا الجنوبية على الرغم من ذلك دولة زراعية متخلفة عاش أكثر من نصف سكانها في القرى الريفية ونظام اجتماعي متوارث تصدرت فيه السيطرة للأسرة والعشيرة على الأفراد وفقاً للتقاليد القديمة ، وقد حاولت حكومة رئيس الجمهورية سينجمان ري^(٣) (Syngman Rhee) إصلاح الواقع الزراعي قبيل اندلاع الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣) بتوزيع الأراضي على الفلاحين وحرمان الملاك القدامى من مصدر ثروتهم ومكانتهم الاجتماعية ، لكن اندلاع الحرب مع كوريا الشمالية ونتائجها أدى الى تضخم اقتصادي كبير تسبب في إنهاك النظام المالي بسرعة ومعاناة المزارعين الصغار من ضائقة مالية شديدة اضطرتهم الى الاقتراض بضمان أراضيهم ، ولم يتمكن الكثير منهم من سداد قروضهم فإستولى المقرضون على أراضيهم وبذلك ظهرت طبقة جديدة من ملاك الأراضي ، كما سببت الحرب دمار الكثير من المصانع وانخفاض مستوى الصادرات مقابل زيادة الواردات ، وترافق ذلك مع مشكلة زيادة عدد السكان بسبب نزوح الكثير من مواطني كوريا الشمالية الى الجنوب ، الأمر الذي أنتج ضغطاً كبيراً على الموارد^(٤)، وظلت كوريا الجنوبية تعاني من ندرة الموارد الطبيعية وويلات الحرب الكورية واستمر الاقتصاد زراعياً ذو أنشطة صناعية متواضعة تمثلت بعمليات التجميع البسيطة وتصنيع المواد الخام^(٥).

بدأت حكومة كوريا الجنوبية برئاسة سينجمان ري خلال السنوات (١٩٥٣-١٩٦٠) بمحاولة معالجة آثار التدهور الاقتصادي الذي نتج عن الحرب الكورية وإعادة هيكلة اقتصاد البلاد من جديد ، فأنفقت الكثير من مواردها الشحيحة بالتزامن مع تدفق المساعدات الخارجية الغربية ولاسيما الأمريكية منها ، ووضعت خطة لتحقيق أهداف عدة هي^(٦):

(١) إعادة إعمار وترميم البنى التحتية التي أصابها الدمار بسبب الحرب .

التطورات الاقتصادية وخطط التنمية في جمهورية كوريا (١٩٦١-١٩٨١)

(٢) إعادة تأهيل المؤسسة العسكرية المتمثلة بالجيش ليكون مستعداً لمواجهة كوريا الشمالية في حال اقدام الأخيرة على أي هجوم في المستقبل .

(٣) العمل على معالجة الآثار السلبية للتضخم المالي على المستوى المعيشي للسكان .

(٤) التقليل من التأثيرات اليابانية على اقتصاد البلاد ولاسيما ان الكثير من الكوريين يحملون ذكريات مريرة سببها الاحتلال الياباني لكوريا الجنوبية خلال السنوات (١٩١٠-١٩٤٥) .

(٥) تبني نظام الحماية ودعم الصناعات لزيادة الصادرات وتقليل الواردات ولاسيما في الصناعات التي تشتهر بها البلاد , مثل صناعة الملابس والنسيج والصناعات ذات الكثافة العمالية الواسعة لإستيعاب أكبر عدد ممكن من العمال العاطلين وتقليل نسبة البطالة .

تبع ذلك إصدار حكومة سينجمان ري قرارات اقتصادية مهمة بإنشاء مؤسسات اقتصادية متخصصة وكان من بينها تأسيس هيئة التنمية الاقتصادية عام ١٩٥٨ , فضلاً عن مجلس التخطيط الاقتصادي ومراكز للتدريب المهني والاداري بهدف تكوين طبقة من التكنوقراط يتم الاعتماد عليها مستقبلاً^(٧), ومع ذلك ظلت الصادرات الكورية للخارج منخفضة لا تتجاوز نسبتها ٣٣% من الناتج القومي الاجمالي , وكانت غالبيتها سلعاً أولية على الرغم من تلقي الحكومة مساعدات اقتصادية كبيرة من الولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتحدة^(٨).

أولاً/التغير السياسي وتسلم بارك تشونغ هي السلطة عام ١٩٦١

جرت انتخابات الجمعية الوطنية الرابعة في كوريا الجنوبية في آيار ١٩٥٨ , وقد جاءت بنتائج أكدت على تراجع شعبية حكومة سينجمان ري , فلم يتمكن الحزب الليبرالي الذي كان يتزعمه الأخير من الحصول على سوى ٣٨ر٧% فقط , في حين حصل الحزب الديمقراطي المنافس له على ٢٩ر٥% من الأصوات وذهبت البقية الى المستقلين , وكانت معظم الأصوات التي حصل عليها الحزب الليبرالي قد جاءت من المناطق الريفية بينما حصل الحزب الديمقراطي على أصواته بشكل أساسي من المدن , وقد أسفر ذلك عن ظهور معارضة قوية داخل الجمعية الوطنية لحكومة ري , مما أدى الى انتهاجها الى المزيد من عمليات القمع والتضييق على الحريات في البلد بلغت ذروتها بإقرارها سلسلة من مشاريع القوانين المتعلقة بالأمن القومي في كانون الأول ١٩٥٨ التي كانت بمثابة إنهاء فعلي للديمقراطية الشكلية , وبحلول موعد الانتخابات الرئاسية الرابعة في ١٥ آذار ١٩٦٠ كانت الجمهورية الأولى قد ضعفت وفقدت تماسكها بشكل كبير , ولم يكن لدى حكومة ري سوى التزوير الواسع لصالحها في الانتخابات بهدف ضمان استمرارها في

التطورات الاقتصادية وخطط التنمية في جمهورية كوريا (١٩٦١-١٩٨١)

السلطة , فتم الاعلان عن فوز سينجمان ري بنسبة ٨٨% من الأصوات وخسارة منافسه تشانغ ميون^(٩) (Chang Myon) من الحزب الديمقراطي^(١٠).

أدى تزوير الانتخابات وانتشار الفساد المالي والإداري في المؤسسات الحكومية الى اندلاع احتجاجات شعبية في نيسان ١٩٦٠ قادها طلاب الجامعات في العاصمة سول (Seoul) , وقد استخدمت الشرطة العنف المفرط ضدهم وقامت بإطلاق النار عليهم , لكن المظاهرات اتسعت وشملت معظم المدن الرئيسة وطالب المتظاهرون بإنهاء حكم سينجمان ري , وقد حاول الأخير الاستعانة بالجيش لاستعادة النظام لكن القادة العسكريين امتنعوا عن تنفيذ الأوامر بإطلاق النار ضد المحتجين , مما اضطر ري في النهاية الى الاستقالة في ٢٦ نيسان من العام نفسه ومن ثم غادر البلاد بعد ثلاثة أيام الى منفاه في الولايات المتحدة الأمريكية التي ظل فيها حتى وفاته في ١٩ تموز ١٩٦٥ , وبذلك انهارت الجمهورية الأولى في كوريا الجنوبية بعد مرور ١٢ عام على تأسيسها^(١١).

تولى هو تشونغ^(١٢) (Ho Chong) الذي كان أحد قادة الحزب الديمقراطي منصب رئيس الجمهورية وكالة في ٢٧ نيسان ثم رئاسة الوزراء في ١٥ حزيران ١٩٦٠ , وشكل حكومة ضمت شخصيات تمتعت بالحياد لكنه تنازل عن هذين الموقعين في آب من العام نفسه , وحل محله تشانغ ميون الذي أصدرت حكومته دستوراً جديداً للبلاد نصّ على انشاء جمعية وطنية مكونة من مجلسين , وإعادة أسس قيادة الدولة وتنظيمها بشكل جديد لتجنب الاستبداد السابق , وذلك من خلال الحد بشكل كبير من صلاحيات رئيس الجمهورية الذي أصبح اختياره من قبل الجمعية الوطنية وليس عن طريق الانتخاب الشعبي المباشر , وجرت الانتخابات العامة للجمعية الوطنية في ٢٩ تموز فاز فيها الحزب الديمقراطي بـ ١٧٥ من أصل ٢٣٣ مقعد في مجلس النواب , لكن الخلافات بدأت تدب سريعاً بين الائتلاف الفائز الذي لم تجمع له أي أهداف في السابق سوى المعارضة لحكومة ري , وأصبح يون بوسون^(١٣) (Yun Poson) رئيساً للجمهورية وتشانغ ميون رئيساً للوزراء , لكن حكومة الأخير لم تتمكن من تلبية المطالب الشعبية الأساسية بالملفين الاقتصادي والخدمي , فضلاً عن غياب القانون والأمن والنظام ولاسيما في المدن الرئيسة مع استمرار تفشي الفساد وخروج المظاهرات , فأدى كل ذلك الى انهيار الجمهورية الثانية (١٩٦٠-١٩٦١) التي لم تستمر سوى تسعة أشهر من تشكيلها بعد تحرك المؤسسة العسكرية ضدها^(١٤).

أدى كل ذلك الى قيام الجيش في كوريا الجنوبية بإنقلاب عسكري بزعامة الجنرال بارك تشونغ هي (Park Chung Hee) في ١٦ أيار ١٩٦١ , والذي شغل منصب رئيس أركان

العمليات في الجيش وكان من أكثر الشخصيات نفوذاً وقوةً في المؤسسة العسكرية قبيل الانقلاب ، فأسقط بارك حكومة تشانغ ميون واستولى على السلطة بمعوية القادة العسكريين الآخرين الذين تعهدوا بالقضاء على الفساد المنتشر في البلاد وانهاء الظلم والتمييز بين المواطنين ، لذلك تم اعتقال عدد من كبار الرأسماليين الصناعيين بتهم فساد وإجبارهم فيما بعد على دفع تعويضات للحكومة الجديدة لتسوية أوضاعهم ، إدراكاً منها انها ستحتاج الى مساعدتهم في تحديث الاقتصاد في المرحلة المقبلة^(١٥)، وما دمننا بصدد ذكر الجنرال بارك فمن المهم إعطاء لمحة موجزة عن حياته ونشأته لكونه كان له الدور الأساس في انطلاق التنمية الاقتصادية السريعة في البلاد بعد الانقلاب .

وُلد بارك تشونغ هي في ١٤ تشرين الثاني ١٩١٧ في مقاطعة كيونجسانج (Gyeonsang) الواقعة شرق كوريا ، وتربى في كنف عائلة فلاحية فقيرة وكان الأصغر بين أخوته السبعة ، وقد أظهر تفوقاً عالياً في دراسته الابتدائية مكنته من الالتحاق بمدرسة تايجو العادية (Taegu Normal) عام ١٩٣٢ التي كانت مدرسة ثانوية تستقبل النخبة من الطلبة المتفوقين وتدريبهم ليكونوا معلمين في المدارس ، وهناك بدأت شخصية بارك بالتبلور عندما تبنى القيم البراغماتية في كوريا خلال الاحتلال الياباني ورفض القبول بتخلف المجتمع الكوري ، وبعد تخرجه عام ١٩٣٧ عمل مدرساً لمدة ثلاث سنوات حتى تم قبوله في أكاديمية منشوكو (Manchukuo) العسكرية اليابانية في إقليم منشوريا بالصين ، وبعد تخرجه منها عام ١٩٤٤ عُيّن برتبة ملازم ثانٍ في الجيش الامبراطوري الياباني ، ثم عاد الى كوريا بعد تسريحه عام ١٩٤٦ وتم تعيينه مرة أخرى برتبة نقيب في القوات التي شكلتها الولايات المتحدة الأمريكية في كوريا الجنوبية ، وفي عام ١٩٤٨ أُعتقل بارك بتهمة قيادته لإحدى الخلايا الشيوعية وحُكم عليه بالسجن مدى الحياة ثم أُعفي عنه بعد طرده من الجيش وأحالته لوظيفة مدنية ، لكن تم استدعائه مرة ثانية للخدمة في المؤسسة العسكرية بعد اندلاع الحرب الكورية وأنهى الحرب برتبة عميد ، وقد اتصفت شخصية بارك بالشعور القوي بهويته الوطنية والقيم الواضحة ، وكان لديه رؤية متماسكة وإدراك للعصر الذي عاش فيه وقد نتج عن ذلك تماسك في حياته وفكره ، كما كان في الوقت نفسه بارعاً في انتهاز الفرص التي أُتيحت له ، ولم ينخرط في التكتلات داخل الجيش وبقي بعيداً عن مؤثرات الفساد المالي ، فأكسبه ذلك سمعة طيبة واحترام الناس من حوله الذين أخذوا ينظرون له انه صاحب مبادئ وأهداف واضحة ولديه قدرة كبيرة على مواجهة الصعاب وتحديها^(١٦).

بدأ بارك تشونغ هي بإعادة تنظيم مجلسه العسكري في التاسع عشر من آيار ١٩٦١ وشرع في حكم البلاد من خلال المجلس الأعلى لإعادة الاعمار الوطني ، وفي السادس من حزيران أعلن هذا المجلس عن تشكيل حكومة جديدة ، كما أصدر قانوناً منح بموجبه بارك صلاحيات واسعة لإتخاذ القرارات في جميع المجالات ، وتم حظر النشاط السياسي وحل الجمعية الوطنية واحتجاز رئيس الحكومة تشانغ ميون وكابينته الوزارية مع السماح ببقاء رئيس الجمهورية يون بوسون بمنصبه ذو الصلاحيات القليلة ، وجرى فصل ١٧ ألف موظف مدني وألفي ضابط وعسكري فضلاً عن إغلاق ثلثي المطبوعات والصحف وحل الحكومات المحلية وفرض القانون والنظام ، وقد حظيت هذه القرارات والاجراءات بمباركة شعبية ، ثم أعلن بارك في آب من العام نفسه ان المجلس الأعلى لإعادة الاعمار سوف يقوم بتسليم الحكم الى المدنيين بموعد أقصاه في آيار ١٩٦٣ ، وتمت صياغة دستور جديد في كانون الأول ١٩٦٢ كانت الخطوط العريضة له تشابه دستور الجمهورية الأولى ، بهدف تشكيل رئاسة جمهورية قوية وذات صلاحيات واسعة وسلطة تشريعية بمجلس واحد ، وفي شباط ١٩٦٣ رفعت حكومة بارك الحظر عن الأنشطة السياسية ، كما بدأ قادة الانقلاب بالتهيو للسيطرة على الادارة المدنية فأعلنوا عن تشكيل الحزب الجمهوري الديمقراطي بزعامة بارك ، ثم جرت الانتخابات الرئاسية في تشرين الأول ١٩٦٣ وفاز فيها الأخير بعد انتخابه بنسبة ٤٦% مقابل ٤٥% حصل عليها منافسه يون بوسون^(١٧).

ثانياً/ انطلاق التنمية الاقتصادية

عانى الاقتصاد في كوريا الجنوبية قبل انطلاقه بالتنمية الشاملة من التخلف والركود لأسباب عدة أهمها^(١٨):

- (١) اعتماده بشكل كبير على المساعدات الخارجية وانتشار المحسوبية والرشوة والفقر وعدم تساوي الفرص ، فضلاً عن الشعور الشعبي بالإحباط والالتكالية والهجرة المستمرة من الريف الى المدينة .
- (٢) عدم توفر قاعدة صناعية رصينة واعتماد الاقتصاد على الزراعة فقط المتمثلة بتصدير محصول الأرز وقلة مساحات الأراضي الصالحة للزراعة .
- (٣) انتشار البطالة بين صفوف مع قلة الأيدي العاملة الماهرة وانعدام الاستقرار الوظيفي .
- (٤) قلة الثروات المعدنية وعجز مستمر في الميزان التجاري يتم سده بالمساعدات الأمريكية .
- (٥) انخفاض الدخل الفردي السنوي الذي لم يكن يتجاوز سوى ٨٧ دولار .

سعى بارك تشونغ هي منذ بداية إحكام قبضته على السلطة بعد انقلاب ١٦ آيار ١٩٦١ الى كسب الشرعية لنظامه وزيادتها بتحقيق أكبر قدر من النمو والنهوض الاقتصادي لبلاده ، من

خلال برنامج قوي للتنمية الاقتصادية يحولها من دولة زراعية متخلفة صناعياً الى دولة صناعية حديثة , ولم ينطلق بارك في هذه المهمة من فراغ وانما اعتمد كثيراً على البنى التحتية التي أنشأتها حكومة سينجمان ري السابقة من طرق وشبكة اتصالات حديثة والمدارس الابتدائية والثانوية التي تم بناؤها بفضل المساعدات الأمريكية , وقد نتج عن ذلك نشوء قوى عاملة ذات تعليم جيد وبنية أساسية حديثة وفرت لبارك بحلول عام ١٩٦١ أساساً توافرت فيه الحد الأدنى لمتطلبات الانطلاق في التنمية الاقتصادية , وقد عالج القادة العسكريون مشكلة عدم توفر الخبرة الاقتصادية والادارية لديهم باللجوء الى خبراء الاقتصاد والمخططين الاداريين من ذوي الاختصاص , واتخذ برك قراراً بأن تلعب الحكومة المركزية الدور الرئيسي في التنمية الاقتصادية لعدم وجود مؤسسة كورية جنوبية أخرى لديها القدرة أو الموارد الكافية لإحداث هذا التغيير الجذري في وقت قصير, وكان الهدف الأساسي له بناء اقتصاد صناعي يعتمد على التطوير الذاتي بالاستفادة من المساعدات الأمريكية الكبيرة للبلاد وتوجيهها الوجهة الصحيحة , وكانت القضية الرئيسة التي واجهت حكومة بارك قد تمثلت بالفقر المدقع الذي عانت منه البلاد وضرورة تبني سياسة اقتصادية دقيقة ومضمونة النجاح , والحاجة الى الأموال اللازمة للتنمية ولاسيما في المجال الصناعي , فكانت أولى قراراته سيطرة الحكومة على الأعمال التجارية من خلال تأسيس **مجلس التخطيط الاقتصادي** عام ١٩٦١ الذي أصبح بمثابة مركز العصب الرئيس لخطة التنمية الاقتصادية , كما تم إنشاء **اتحاد الصناعات الكورية (FKI)** في آب من العام نفسه بهدف اعادة تنظيم القطاع الصناعي في البلاد وانهاشه , وقد نمت هذه المؤسسة وتطورت وأصبحت مؤسسة رئيسية قوية في السنوات اللاحقة^(١٩).

اهتم بارك تشونغ بالصناعات القائمة ثم بدأ بعقد تحالفات مع المستثمرين ورجال الأعمال وقامت حكومته بإعادة صياغة العلاقات الاجتماعية في القطاع الزراعي , وشجعت على التوسع في رؤوس الأموال التجارية وتحويلها نحو الاستثمارات وإنشاء المجمعات الصناعية الكبرى التي عُرفت **بالتشيبول (Chaebol)** , وهي مجموعة من الشركات التي تملكها وتديرها عوائل رأسمالية تُسيطر على صناعات معينة وتساهم بتوفير فرص العمل والوظائف للمواطنين وتعتمد هذه الشركات اعتماداً كبيراً على رؤوس الأموال التي تمنحها البنوك على شكل قروض بمعدلات فائدة منخفضة , وقد لجأت التشيبول الى تبني سياسات اقتصادية قامت على دمج العمليات الانتاجية والأنشطة التسويقية التمويلية المهمة في اطار المجمعات الصناعية العملاقة , فضلاً عن تحقيق درجة عالية من التكامل من بداية العمليات الصناعية الى نهايتها الانتاجية , وقد ركزت الحكومة

على سياسة التصنيع بهدف التصدير منذ عام ١٩٦٢ ، فقد تم تأسيس هيئة لترويج التجارة الكورية من أجل توسيع أسواق منتجاتها في الخارج ، كما قامت الحكومة بتخفيض قيمة العملة الوطنية وتوحيد أسعار الفائدة وأسقطت الرسوم الكمركية عن المواد الأولية الداخلة في الصناعات المحلية^(٢٠).

كانت أهم المحاور التي استندت عليها استراتيجية تنمية الصادرات الكورية الجنوبية ابتداءً من عام ١٩٦١ وما بعدها هي^(٢١):

(١) الدعم المباشر وغير المباشر لصادرات البلاد الصناعية بتخفيض الرسوم الكمركية على المواد الأولية المستوردة ، وإعطاء مزايا ضريبية للشركات المصدرة للخارج في نفقات التسويق والاعلان والمعارض ، فضلاً عن دفع قروض لأنشطة الصادرات بأسعار فائدة منخفضة للمؤسسات متوسطة وصغيرة الحجم ودعمها مالياً ، مع التوجه نحو الاستثمارات ذات الأولوية لإقتصاد البلاد وتبسيط اجراءات الاستثمار الأجنبي ، وكذلك معالجة مشاكل التصدير بسرعة ولاسيما المتعلقة بالقوانين ولوائح اجازات الاستيراد المرتبطة بالإنتاج وقوانين الكمارك والتفتيش والفحص .

(٢) تشجيع الحكومة انشاء المناطق الصناعية لغرض التصدير وتوفير الخدمات الأساسية لها بأسعار مدعومة ، والحد من تكاليف الانتاج عن طريق قيام الدولة بتحديد الأجور .

(٣) الاصلاح المالي بإعتماد ضريبة القيمة المضافة والمقصود بها الضريبة غير المباشرة التي فرضتها الدولة على المستهلك النهائي للسلع والخدمات ، وقد ساهمت هذه الضريبة بتوفير عوائد مالية كبيرة تم استغلالها لتمويل حوافز الاستثمار في الصناعة التصديرية .

(٤) لجأت الحكومة الى تخفيض سعر الصرف للعملة المحلية في بداية الستينات ، فضلاً عن إنهاء تعدد أسعار الصرف بهدف تشجيع الصادرات الكورية .

كان الهدف الأساس من تبني استراتيجية التنمية في بداية الستينات السعي للقضاء على الحلقة المفرغة من المستويات المنخفضة للادخار وزيادة الاستثمار والنمو عن طريق تنفيذ العديد من السياسات الاقتصادية والاجراءات لتعزيز الادخار داخل البلاد مع زيادة النفقات الرأسمالية الأجنبية ، والدفع بقوة نحو التحكم بالصادرات المصنعة والتقليل من الواردات ، لذلك قامت حكومة بارك بتقليل اعتمادها على المواد الخام والصناعات غير المتكاملة وزيادة الأيدي العاملة الماهرة ومنحهم اجور حقيقية ، ومع ذلك اعتمدت الصادرات بشكل رئيس على تجهيز المواد الخام والبضائع الوسيطة ، ثم تم استخدام الأرباح الناتجة عن هذه العملية لتطوير القطاع الزراعي والتركيز على الصناعات الثقيلة والكيمياوية ولاسيما في الخطط الخمسية التي تم تبنيها في المرحلة

التطورات الاقتصادية وخطط التنمية في جمهورية كوريا (١٩٦١-١٩٨١)

اللاحقة^(٢٢)، وقد ترافق بدء هذه الخطط مع تأسيس الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية^(٢٣) (USAID) عام ١٩٦١، فأصبحت كوريا الجنوبية أكبر متلقي للمساعدات المالية الأمريكية في العالم فضلاً عن دول أخرى^(٢٤).

ثالثاً/ الخطة الخمسية الأولى (١٩٦٢-١٩٦٦)

كان العنصر الحيوي في استراتيجية التنمية الاقتصادية في كوريا الجنوبية أوائل الستينات من القرن العشرين هو مسيرة الاقتصاد الدولي الذي أسماه المؤرخ أريك هوبسباوم^(٢٥) (Eric.J.E.Hobsbawm) "العصر الذهبي للاقتصاد الرأسمالي"، فبعد عقود من الحرب والكساد الاقتصادي بدأ نظام اقتصادي دولي نابض بالحياة بالتشكل تدريجياً مدفوعاً بظروف مؤاتية للتجارة الدولية وحركات رأس المال ومرونة تحويل العملات النقدية وبدعم قوي من الولايات المتحدة الأمريكية، التي أكدت على ضرورة الدفاع عن مبادئ التجارة الحرة والعمل على الحد من انتشار الشيوعية في العالم، وقد تركز هذا الدعم والتوجيه للمشاريع التجارية في ألمانيا الغربية واليابان ودول أوروبا الغربية، لتعزيز أنشطة الأسواق الحرة في العالم وزيادة الانتاج والصادرات التجارية، وساهم كل ذلك في زيادة معدلات النمو الاقتصادي في هذه الدول بشكل كبير جداً مترافقاً مع التطور التكنولوجي السريع وارتفاع كبير في معدلات الدخل السنوي للأفراد، وقد انعكست الروابط التي بدأت تتوثق بين اليابان وكوريا الجنوبية ابتداءً من عام ١٩٦١ على تطور الأخيرة ونموها، لكون اليابان لديها تجربة رائدة في الاستثمار والأسواق الحرة والتقدم العلمي والتكنولوجي، على الرغم من حالة العداء التاريخي الطويل بين القوميتين الكورية واليابانية لكن مع ذلك عدّ بارك تجربة اليابان حجر الزاوية في تنمية اقتصاد بلاده^(٢٦).

تعاون قادة حكومة كوريا الجنوبية مع رجال الأعمال في صياغة استراتيجية التنمية استهدفت صناعات محددة طبقاً لمعايير وأولويات تم وضعها وفق أسس وخطط دقيقة، وابتداءً من كانون الثاني ١٩٦٣ انطلقت الخطة الخمسية الأولى (١٩٦٢-١٩٦٦) وكانت أولى الصناعات المستهدفة في التنمية وفق هذه الخطة المنسوجات والصناعات الخفيفة مثل الأحذية والخشب الموجهة للتصدير مستفيدة من وفرة الأيدي العاملة ذات المهارة العالية^(٢٧).

كان هدف الخطة تحقيق التقدم الصناعي السريع وبناء الأساس الاقتصادي السليم للنمو المستدام، لذلك شجعت الحكومة انشاء بعض الصناعات الثقيلة والكيميائية المهمة مثل صناعة الحديد والصلب وغيرها، وقد اتبعت عدد من السياسات الاقتصادية خلال سنوات الخطة الخمسية لضمان نجاحها كان من أهمها^(٢٨):

- (١) تقديم القروض والتسهيلات المالية عن طريق المصارف التجارية مع تنظيم الأسواق المالية .
- (٢) تحديد سعر عالي للعملة الكورية للتبادل الرسمي .
- (٣) اعتماد العملة الكورية على سعر متعدد لمكافئة المصدرين ومعاقبة المستوردين .
- (٤) حماية الصناعات الوطنية بإجراءات تمثلت بفرض تعرفه كمركية عالية على الاستيراد , فضلاً عن إلزام المستوردين اصدار رخصة لاستيراداتهم من الجهات الرسمية .
- (٥) وضع قيود على الواردات الى داخل البلاد باستثناء المواد الخام والمواد الوسيطة اللازمة للصناعات الكورية .

نفذ بارك تشونغ الخطة الخمسية الأولى بشكل صارم لأنه رأى ضرورة استخدام القوة اللازمة لتحريك قوى الشعب التي طغى عليها الكسل وجعلها منتجة , ولاسيما بعد إعلانه ان النمو الاقتصادي يمثل الهدف الرئيس لحكومته , كما كان يريد توظيف النجاح الاقتصادي لإضفاء الشرعية على سلطته السياسية , وكانت أفكار بارك متأثرة الى حد كبير بالتجربة الاقتصادية اليابانية الرائدة^(٢٩).

وقد نجحت سياسة تقليل الواردات الى حد معين خلال هذه المرحلة ولاسيما السلع غير المعمرة ومتطلباتها من المواد الأولية , بسبب توفر الأيدي العاملة الرخيصة والمواد الخام والسلع الوسيطة من مصادر داخلية لهذه الصناعات , لذلك توافرت السلع والبضائع بشكل كبير في الأسواق المحلية , وقد تم الوصول الى هذه المرحلة بعد نجاح سياسة التوجه نحو الداخل وتبني قضية التصنيع بشكل واسع^(٣٠).

تولى مجلس التخطيط الاقتصادي الذي أسسه بارك تشونغ مسؤولية وضع وتنفيذ الخطة الخمسية الأولى في القطاعات الرئيسة المستهدفة , من خلال فرض قيود صارمة على الاستهلاك ومعدلات ادخار مرتفعة , مما أتاح المجال نحو الاستثمار القوي في البنية الأساسية التحويلية الرئيسة مثل الكهرباء والأسمدة وصناعة الألياف الصناعية والإسمنت , وتم التركيز على بناء هيكل صناعي مكتفٍ ذاتياً لا يتجه نحو الاستهلاك ولا يعتمد على النفط بشكل مفرط , وتم اتخاذ تدابير رمت الى تحفيز الصادرات كالقروض الميسرة والمزايا الضريبية وبرامج تعويض الصادرات وأشكال أخرى من الدعم الحكومي , وكان ذلك بمثابة مؤشر مهم على الاتجاهات المستقبلية , وسعت الخطة الى تحقيق معدل نمو سنوي بنسبة ٧,١% خلال السنوات (١٩٦٢-١٩٦٦) , لكن النمو فاق التوقعات وتحقق توسع سريع للإنتاج والصادرات , فقد ارتفع الناتج القومي في عام

التطورات الاقتصادية وخطط التنمية في جمهورية كوريا (١٩٦١-١٩٨١)

١٩٦٢ الذي كان بنسبة ٤١% الى ٩٣% عام ١٩٦٣ وظل ثابتاً في السنوات اللاحقة بنسبة فوق ٨%^(٣١).

ركزت الخطة الخمسية الأولى على تفعيل ثلاث محاور في الاقتصاد الكوري الجنوبي هي^(٣٢):

- (١) تحريك المرافق الإنتاجية المتوقفة عن العمل .
- (٢) تفعيل الاستثمارات التي تم تمويلها من المساعدات الاقتصادية الأمريكية سابقاً .
- (٣) العمل على إنهاء الركود الاقتصادي الذي نتج عن مظاهرات عام ١٩٦٠ وأحداث الانقلاب العسكري الذي قاده بارك تشونغ هي عام ١٩٦١ .

استهدفت الخطة الخمسية الأولى الجانب الصناعي في البلاد لكنها مع ذلك لم تهمل القطاع الزراعي , اذ تم تخصيص ١٧٢% من رأس المال المخصص للاستثمار لصالح الزراعة وتطويرها لكن الذي جرى تخصيصه فعلياً لم يتجاوز ١١% , ومع ذلك ساهمت هذه النسبة المتواضعة في زيادة المنتوجات الزراعية بشكل كبير بفضل العوامل المناخية الايجابية التي انعكست على هذا القطاع , كما ساهمت المهارات الادارية والخبرات التكنولوجية في كوريا الجنوبية التي استخدمت في الزراعة في زيادة انتاجيتها , فارتفع النمو الاقتصادي في كوريا الجنوبية عام ١٩٦٦ الى ١٣٤% الذي كان العام الأخير من الخطة الخمسية الأولى , في حين كان المتوقع للنمو في هذا العام لا يتجاوز ٨٣% , ومع ذلك فإن هذا النمو المرتفع قابله توزيع غير منصف للدخل بين أفراد الشعب , مما أدى الى حدوث تباين كبير في مستوى الدخل المالي والشرء بين المواطنين , وقد تحملت طبقة العمال والكادحين العبئ الأكبر من هذا التفاوت , ومع التطور الذي حصل في القطاع الزراعي لكن بقيت هناك فجوة كبيرة بينه وبين القطاع الصناعي الذي كان أكثر تطوراً^(٣٣).

رابعاً/ الخطة الخمسية الثانية (١٩٦٧-١٩٧١)

استمرت حكومة بارك تشونغ هي في إنضاج خططها الخمسية ودعمها باتخاذها عدد من الاجراءات والسياسات الاقتصادية , فأقدمت على تأسيس معهد كوريا الجنوبية للعلوم والتكنولوجيا عام ١٩٦٦ , بهدف تعزيز التقدم العلمي والتقني في البلاد عن طريق استيعاب التكنولوجيا الحديثة وتطبيقها في الداخل , وبعد أن أصبحت المؤسسات الصناعية الكورية قادرة على المنافسة في الأسواق الدولية قامت الحكومة في السنة نفسها بتحرير بعض الواردات وتغيير اللوائح المنظمة لها , بمعنى انتقالها من القوائم السلبية الى القوائم الايجابية , وعضدت خطواتها بتأسيس شركة هيونداي (Hyundai) عام ١٩٦٧ المتخصصة في بناء السفن والسيارات , والتي أصبحت من

التطورات الاقتصادية وخطط التنمية في جمهورية كوريا (١٩٦١-١٩٨١)

كبرى الشركات الكورية الرائدة وحصلت على عقود كثيرة للمشاريع في مناطق جنوب شرق آسيا^(٣٤).

أكدت الخطة الخمسية الثانية على تحديث الهيكل الصناعي وسرعة بناء صناعات بديلة للواردات ولاسيما صناعات الحديد والصلب والآلات والصناعات الكيماوية ، وقد زاد الانفاق الحكومي المخصص للاستثمار وغيره من أنشطة تكوين رأس المال بشكل مُطرد خلال سنوات تنفيذ هذه الخطة الى ٤١% من الميزانية عام ١٩٦٩ ، وخلصت حكومة بارك ان الاكتفاء الذاتي من مادة الصلب وبناء مصنع متكامل له أمر ضروري للتنمية الاقتصادية ، فلم يكن لدى كوريا الجنوبية مصنع حديث قبل عام ١٩٦٨ ، لذلك شرعت الحكومة في نيسان ١٩٦٨ بتأسيس شركة بوسكو للصلب (Posco Steel) بتسعة وثلاثين موظفاً فقط ، على الرغم من تشكيك الكثير من الشركات الأجنبية والمحلية بهذا التوجه الحكومي ومدى قدرته على النجاح بالاستثمار في هذا المجال ، لكن اليابان دعمت هذا المشروع جدياً بالأموال اللازمة لبناء المصنع وذلك بعد الاتفاق الذي تم التوصل اليه في الاجتماع الوزاري الثالث بين البلدين عام ١٩٦٩ ، وشمل التمويل ٧٣٧ مليون دولار على شكل منح وقروض حكومية و ٥٠ مليون دولار على شكل ائتمان من بنك الاستيراد والتصدير الياباني ، فضلاً عن مساعدات فنية من شركة نيبون ستيل (Nippon Steel) وشركات أخرى ، وكان ذلك احدى النتائج الايجابية لتطبيع العلاقات بين كوريا الجنوبية واليابان التي بدأت منذ عام ١٩٦٥^(٣٥).

ركزت حكومة بارك على سياسة التصنيع الموجه نحو التصدير عن طريق تعزيز القدرة التنافسية للصناعات التصديرية للأسواق العالمية ، ولدعم هذه العملية أنشأت بنك التصدير والاستيراد عام ١٩٦٩ لتوفير الأموال اللازمة للصناعات الكورية ، وقمت بإشراك رجال الأعمال والمصدرين في المؤتمرات الدورية بهدف زيادة خبرتهم في حل المشاكل التي واجهت ترويج صادراتهم وتسويقها في الخارج^(٣٦) ، كما أصدرت تشريع دعم التجارة الخارجية بتقديم تسهيلات مالية وحوافز في مجال الضرائب لتشجيع الصناعات التصديرية ، وكان انخفاض المساعدات الخارجية ولاسيما الأمريكية منها وزيادة الطلب على العملات الأجنبية ، فضلاً عن ندرة المصادر الطبيعية وانخفاض نسبة الادخار وقلة الأسواق المحلية هو الذي دفع ادارة بارك الى تبني هذا التوجه ، وقد أدى ذلك الى تسريع عمليات التصنيع بشكل كبير وتصدير البضائع الى الخارج ، وساهمت هذه الاستراتيجية على استمرار النمو الاقتصادي وتشغيل الأيدي العاملة ، مع تمتع المنتجات الكورية بمميزات تنافسية ولاسيما المنسوجات والمواد الغذائية ، وانعكس ذلك في زيادة

تدفق رؤوس الأموال الأجنبية وسد النقص الذي حصل في المدخرات المحلية , وبذلك ساهمت كل هذه الجهود في تحقيق نمو سريع للصادرات الكورية وزيادة متوالية للدخل^(٣٧).

أما في مجال الزراعة فقد عانى هذا القطاع من تأخر كبير , فلم يتجاوز نموه السنوي بنحو ٢,٥% خلال الخطة الخمسية الأولى مقارنةً مع الناتج المحلي لبقية القطاعات التي كانت نسبة نموها قد وصلت الى ١٠% سنوياً , حتى بلغ دخل المزارعين نصف دخل العمال في المدن تقريباً بسبب ارتفاع معدل الهجرة الى المناطق الحضرية وقلة الدعم الحكومي للزراعة , لذلك اتخذت الحكومة عام ١٩٧١ تدابير فعالة لزيادة انتاجية الأراضي الزراعية , فقامت بزيادة الاعانات للمزارعين من خلال رفع أسعار الحبوب المستلمة منهم , كما تم اضافة أصناف جديدة من محصول الأرز عالية الغلة فضلاً عن ادخال التكنولوجيا الزراعية المتقدمة على نطاق واسع وتوفير الأسمدة والضمانات الحكومية , ونتيجةً لكل ذلك زادت انتاجية الأراضي الزراعية وارتفع دخل المزارعين بسرعة كبيرة في السنوات اللاحقة , كما تم تحسين بيئة المعيشة في القرى والأرياف وايصال الخدمات اليها ولاسيما الطاقة الكهربائية وأجهزة التلفزيون وبناء المدارس ونشر التعليم الابتدائي والمتوسط , وبذلك حرت تغييرات جذرية على القرى الريفية التي تطورت بشكل كبير^(٣٨).

بدأت حكومة كوريا الجنوبية خلال الخطة الخمسية الثانية بالعمل الجدي لتحقيق نمو سريع والتدخل ايجابياً بزيادة انتاج السلع لتحقيق هذا الهدف باستخدام وسائل عدة كان من أهمها^(٣٩):

- (١) تأمين البنوك التجارية للتحكم في دعم القروض للصناعات المصدرة للبضائع وبأسعار فائدة منخفضة , وساهم ذلك في دعم قوي للقطاع الصناعي وزيادة الناتج المحلي الاجمالي .
- (٢) إجبار الحكومة للموظفين الحكوميين بالادخار الاجباري مع فتح حسابات للتوفير .
- (٣) تأسيس الوكالة الكورية لتشجيع الصادرات وتحويلها مهمة تقديم الخدمات الادارية والخبرة اللازمة للمصدرين بهدف تطوير شبكات التصدير في الأسواق الدولية .
- (٤) سمحت حكومة بارك بالاقتراض الخارجي ولاسيما للمؤسسات المرتبطة بالقطاع الخاص .
- (٥) تشجيع النشاط التصديري عبر دعمه بالحوافز والبرامج الملائمة لذلك وتخفيض الضرائب على المصدرين وتسهيل حصولهم على القروض طويلة ومتوسطة الأجل مع التركيز على الصادرات المهمة .

(٦) ثُجبت هذه الجهود بقرار من الرئيس بارك باعتماد البلاد على نفسها بتصميم خططها عن طريق الاستعانة بالخبرات والكفاءات الوطنية , لذلك أنشأ المعهد الكوري للتنمية عام ١٩٧١ لمساعدة الحكومة الكورية ومدّها بالاستشارات والخبرة الضرورية .

شهد الاقتصاد الكوري الجنوبي نمواً سريعاً وفق الخطة الخمسية الثانية لكنه تراجع في نهاية الستينات وبداية السبعينات في الناتج المحلي , بسبب الانتكاسات العسكرية الأمريكية في حرب فيتنام وما نتج عنها من التخفيضات المستمرة للمساعدات الأمريكية للدول الحليفة ولاسيما المالية والغذائية , فضلاً عن فرض الولايات المتحدة حصص للاستيرادات من كوريا الجنوبية ولاسيما المنسوجات , كما ان إتباع حكومة بارك لاستراتيجية النمو السريع كانت سياسة عالية المخاطر , لما تطلبت من استمرار في توليد ثروة وطنية بشكل مستمر لجمع رأس المال الاستثماري الكافي والتعامل مع المشاكل الاجتماعية والضغط التي نجمت عن التنمية ولاسيما الاضطرابات العمالية المتزايدة والمظاهرات الطلابية والانقسامات داخل الحزب الحاكم , ليُشكل كل ذلك ضغوطاً كبيرة على الرئيس بارك الذي مع ذلك تمكن من الفوز بانتخابات الرئاسة التي أُجريت في نيسان ١٩٧١ بنسبة ٥٢% تقريباً من مجموع الأصوات , وفي غضون أشهر عدة أعلن الأخير فرض حالة الطوارئ في البلاد في كانون الأول من العام نفسه وتبنيه لدستور جديد سُمي بدستور يوشين (Yushin) أعطى لرئيس الجمهورية صلاحيات تنفيذية واسعة وشبه دكتاتورية , وبحلول تشرين الأول ١٩٧٢ انتهت الجمهورية الثالثة (١٩٦١-١٩٧٢)^(٤٠), وانطلقت حكومة بارك بعد منحها صلاحيات كبيرة الى الاستمرار في خططها الخمسية اللاحقة والتوسع بها بشكل أكبر ولاسيما الخطة الخمسية الثالثة.

خامساً/ الخطة الخمسية الثالثة (١٩٧٢-١٩٧٦)

تحركت الحكومة الكورية بزعامة بارك للتوسع في الصناعات الثقيلة والكيميائية في هذه الخطة من خلال الاستثمار , وعملت بشكل أساسي لإدخال البلاد في سوق المنافسة الدولية عن طريق تطوير هذه الصناعات الاستراتيجية , واتخذ الدعم الحكومي لها أشكال عدة بتقديم القروض الميسرة طويلة المدى وإعفاءات ضريبية لبعض الصناعات , فضلاً عن إنشاء مؤسسات ومدارس مهنية ومراكز تدريب وتوسيعها للطبقة العاملة وجعلها أكثر مهارة وحرفية , كما ركزت خطة الحكومة على تنمية الموارد البشرية والتكنولوجية لكونها ذات صلة مباشرة بعملية التحول الصناعي وتطويره مع دعم إنشاء مؤسسات للأبحاث وتمويلها حكومياً خدمةً للصالح العام , فقد وصل الانفاق الحكومي بهذا المجال الى ٢% من الناتج المحلي^(٤١), وكانت أولى تجليات ذلك في عام ١٩٧٢ بالإنتاج الواسع لشركة بوسكو للصلب الذي تم افتتاحه قبل أربع سنوات بدعم من اليابان , فقد بدأت الشركة في بيع منتجات الصفائح لأول مرة في العام المذكور , وركزت سياسات المبيعات الخاصة بها على السوق المحلية لتحسين الاكتفاء الذاتي من مادة الصلب في الداخل , كما بذلت

جهود خاصة لتزويد الشركات المحلية ذات الصلة بالحديد والصلب عالي الجودة بأسعار أقل من أسعار التصدير لتعزيز قدرتها الدولية على التنافس^(٤٢).

كان أحد الأسباب الرئيسية التي دفعت حكومة بارك الى التوجه نحو التوسع بالصناعات الثقيلة مثل بناء السفن والكائن والصناعات البتروكيمياوية هو بدء الكساد العالمي الذي نتج عن أزمة النفط عام ١٩٧٣ ، وظهور منافسة شديدة للصناعات الخفيفة من الدول النامية الأخرى ، فقد أعلن بارك في العام نفسه في خطاب موجه الى الكوريين ان الدولة ستمضي بقوة لتطوير هذه الصناعات ، وكان وراء تطويرها تحقيق ثلاثة أهداف هي^(٤٣):

- (١) التخلي التدريجي عن الصناعات ذات الكثافة العمالية العالية .
 - (٢) تحقيق الأمن القومي بالاعتماد على الذات وفقاً لرغبة الرئيس بارك .
 - (٣) ترسيخ القاعدة الصناعية وتقويتها لتحقيق التنمية الشاملة في الاقتصاد الكوري الجنوبي .
- كما أعلن بارك بأنه سيرفع نصيب الفرد الى ألف دولار سنوياً وإيرادات الصادرات الى عشر مليارات دولار في السنوات اللاحقة ، لذلك انطلقت حكومته باستثمار عشر مليارات دولار ابتداءً من عام ١٩٧٣ وما تلتها من سنوات في الصناعات الثقيلة والكيمياوية ، فضلاً عن تقديمها للحوافز المالية والمصرفية مع معونات حكومية وأرباح واعفاءات ضريبية ، ونتج عن ذلك نمو في الناتج المحلي الاجمالي بمعدل ١٠٫٨% ثم ارتفع معدل النمو السنوي الى ١١٫٢% في السنوات اللاحقة ، كما ازدادت مساهمة الصناعات المستهدفة بالتطوير من مجموع الصادرات من ٢١٫٣% الى ٣٤٫٧%^(٤٤)، وكان أحد أشكال الدعم الحكومي لهذه الخطة تتمثل بإنشاء صندوق الاستثمار الوطني وتطبيق التعرفة الكمركية لحماية هذه الصناعات والحد من دخول الصناعات الأجنبية المنافسة الى السوق المحلية^(٤٥)، ولتعزيز حماية الصناعات الثقيلة خففت حكومة بارك من المنافسة بين الصناعات وفرضت الموافقة المُسبقة على انشائها ، وبهدف تقديم القروض اللازمة لها بضمانات حكومية منحها امكانية الوصول الى الأسواق الدولية عكس القطاع الخاص الذي تمت زيادة القيود عليه ، وشهدت هذه الصناعات الاستراتيجية تطوراً كبيراً بدعم الحكومة لها من خلال منحها الحوافز اللازمة للاستثمار فيها ، وقد اعتمد الاقتصاد الكوري الجنوبي خلال هذه المدة على اليابان لتلبية احتياجاته من السلع الوسيطة والرأسمالية مما انعكس على تحقيق تنافسية كبيرة في الأسواق الكورية والدولية^(٤٦).

ساهم ذلك بتطور قدرات البلاد في صناعة تكرير النفط ونتاج الفولاذ بشكل كبير ، وتم الانتقال بعد ذلك الى تصدير السيارات الى بعض الأسواق الاقليمية ، كما لقيت الصناعات الحربية

اهتماماً كبيراً لتقوية الدولة عسكرياً ورفع قدرتها على الدفاع عن نفسها من خلال منح الحوافز اللازمة للاستثمار في هذا المضمار، فضلاً عن الاعتماد على التكتلات الصناعية المختصة (التشيبول) التي أكلت إليها بعض الصناعات مثل شركة هيونداي التي اختصت في تلك المرحلة بصناعة السفن، كما تم بناء تواصل واسع بين الدولة والمنشآت الصناعية والجامعات، ودفعت الحكومة بالعديد من التكتلات الصناعية للشراكة والتعاون مع القطاع العام ومؤسسة البحوث والتكنولوجيا الخاصة بتطوير صناعة الإلكترونيات وعقد اجتماعات دورية بين المسؤولين الحكوميين ومدراء التشيبول، إلى الحد الذي وصلت فيه الأخيرة بالمساهمة بشكل فعال في قرارات الدولة الاقتصادية، وقد ترافق ذلك مع تطور المؤسسات التعليمية التي تمثلت برفدها أعداد كبيرة من المهندسين من ذوي الاختصاص الذين كان لهم دور مهم في زيادة كفاءة المصانع الكورية، ثم طلبت الحكومة عام ١٩٧٤ من المؤسسات الصناعية طرح رؤوس أموالها في البورصة لمنع تركيز الثروة في أيدي عدد محدود من أصحاب التكتلات الصناعية وزيادة أنشطة مختلف القطاعات الاقتصادية، وقد أدى كل ذلك إلى ارتفاع مساهمة الصناعات الثقيلة من مجموع الاستثمارات في الصناعات التحويلية من ٥٧% في بداية عقد السبعينات إلى ٦٤% في منتصفه، وكان آخر جهد حكومي لإنجاح هذه الخطة الخمسية ودعم الخطة اللاحقة والتهيؤ لها تمثل بتأسيس وزارة العلوم والتكنولوجيا عام ١٩٧٦^(٤٧).

سادساً/ الخطة الخمسية الرابعة (١٩٧٧-١٩٨١)

انطلقت هذه الخطة لتعزيز تنمية الصناعات المصممة للتنافس بفعالية في أسواق التصدير العالمية، وتألّفت من صناعات عالية التكنولوجيا وتميزت بكثافة الأيدي العاملة الماهرة مثل الآلات والإلكترونيات وبناء السفن، كما شددت الخطة على الاستمرار بالصناعات الثقيلة والكيميائية الكبيرة ولاسيما الحديد والصلب والبتروكيمياويات والمعادن الأخرى^(٤٨)، كما دعمت الدولة عام ١٩٧٨ إنشاء منظمة شبه حكومية سُميت بهيأة تشجيع الصناعات الصغيرة والمتوسطة لدعم هذه المشاريع وتشجيعها بأساليب عدة ولاسيما الدعم المالي لها، وقد اشتركت الهيئة مع الحكومة في وضع الخطط الاقتصادية المرتبطة بهذه المشاريع^(٤٩).

واجهت هذه الخطة تحديات عدة كان من أهمها تداعيات الركود الاقتصادي وآثار الصدمة النفطية عام ١٩٧٩ الذي تمثل بارتفاع أسعار النفط إلى ٣٩ دولار للبرميل الواحد وحادثة إغتيال الرئيس بارك^(٥٠) في العام نفسه، مما أدى إلى اضطراب الاقتصاد في كوريا الجنوبية ومن ثم إنكمش في العام التالي أي سنة ١٩٨٠ بمعدل ٥٢%، فضلاً عن ارتفاع أسعار البيع بالجملة

الى أكثر من ٣٨% كما حصل تباطؤ في معدل نمو الصادرات وتراجع الانتاج الزراعي , كذلك عانى الحساب التجاري من العجز بحوالي ٣٥ مليار دولار , فلجأت الحكومة لحل هذه المشاكل بإجبار الشركات التي كان لديها فائض بالطاقة ولاسيما صناعة توليد الكهرباء وصناعة السيارات الى الاتحاد فيما بينها ثم قامت بإعادة هيكلة القطاع الصناعي متمثلاً بصناعات النسيج والسفن , وعلى الرغم من هذا التراجع عاد الاقتصاد الى التعافي في المرحلة اللاحقة بعد تحسن الحصاد الزراعي واستقرار الأسعار والاصلاحات الواسعة التي قامت بها الحكومة من خلال تحديد تدخل الدولة في نظام السوق وتشجيع المبادرة الفردية في القطاع الخاص , فضلاً عن تحرير السياسات الاقتصادية الخاصة بالاستثمار الأجنبي والاستيراد بهدف تشجيع المنافسة , والعمل على إحداث توازن بين القطاعين الزراعي والصناعي والسيطرة على التضخم من خلال سياسات مالية ونقدية مشددة^(٥١). لذلك عادت الصناعات الثقيلة والكيميائية الى النمو بشكل كبير حتى بلغت ٥١٨% عام ١٩٨١ , كما زادت صادراتها الى ٣٤٥% من الناتج الاجمالي^(٥٢), فضلاً عن ذلك التفتت الدولة الى المشاريع الصغيرة ودعمتها عندما شرّعت الحكومة في العام نفسه قانون تشجيع شراء منتجات المشاريع الصغيرة والمتوسطة , فأقدمت الدولة على شراء منتجات هذه المشاريع بهدف استمرار التشغيل الدائم لها^(٥٣).

سابعاً/ عوامل نجاح التجربة التنموية في كوريا الجنوبية

ساهمت عوامل عدة داخلية وخارجية في النجاح الكبير لتجربة التنمية الاقتصادية في كوريا الجنوبية استغلتها حكومة بارك تشونغ ووظفتها بشكل صحيح لتحديث البلاد , وكان من جملة العوامل الداخلية والسياسات الاقتصادية الحكومية الصحيحة هي^(٥٤):

- (١) استثمار الأيدي العاملة التي كانت تعاني من البطالة في الصناعات التصديرية كثيفة العمل وذات الأجور المنخفضة .

- (٢) السيطرة على التضخم بتطبيق سياسات مالية ونقدية صارمة .

- (٣) تحديث البنى التحتية الى مستوى عالٍ من الكفاءة .

- (٤) الاهتمام بتنمية الموارد البشرية عن طريق الانفاق الكبير على التعليم والصحة والاسكان ودعم مراكز البحوث العلمية والتكنولوجية لتطوير انتاجية العمل .

- (٥) الاهتمام الكبير بقطاع التصدير وحماية المنتج المحلي باتباع سياسة الحماية له ولاسيما في عقدي الستينات والسبعينات , فضلاً عن تشجيع الاستثمارات الأجنبية للدخول الى البلاد وتهيئة الظروف والمناخ المناسب لها .

التطورات الاقتصادية وخطط التنمية في جمهورية كوريا (١٩٦١-١٩٨١)

٦) تأميم المصارف الوطنية وتحويلها نحو الاستثمار الأجنبي المباشر، وتشجيع التكتلات الصناعية (التشيبول) ودعمها عن طريق البنوك .

٧) التخطيط السليم والدقيق للخطط الخمسية مع امكانية تعديلها والاضافة عليها اذا لزم الأمر ، وابعاد السياسيين عن التحكم بالاقتصاد والاعتماد على التكنوقراط وذوي الاختصاص ، والابتعاد عن فخ الديون الخارجية من خلال تشجيع الادخار الداخلي .
أما أهم العوامل الخارجية فقد تمثلت بـ^(٥٥):

١) الدعم الكبير للولايات المتحدة الأمريكية للاقتصاد الكوري الجنوبي حرصاً منها على إنجاح النموذج الرأسمالي فيها المنافس للنظام الاشتراكي في جارتها كوريا الشمالية ، كما ساهم وجود القواعد العسكرية الأمريكية على أراضي البلاد في تخفيض معدلات الانفاق العسكري لكوريا الجنوبية .

٢) إتباع أنظمة وتعليمات النقد الدولي مما ساهم الى حدٍ كبير في استقرار أسعار الصرف للعملة الكورية .

٣) العمل وفق الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة (Gatt) التابعة للأمم المتحدة ، التي تُشجع التجارة الحرة بين الدول عن طريق تخفيض التعرفة الجمركية وتقليل التدخل الحكومي المعرقل للاقتصاد .

الخاتمة

يتضح مما سبق ان إخفاق الجمهورية الأولى في كوريا الجنوبية (١٩٤٨-١٩٦٠) في معالجة الأوضاع الداخلية سواء كانت الاقتصادية أم الاجتماعية أم السياسية هو الذي قاد الى الانقلاب العسكري والتغيير السياسي الشامل عام ١٩٦١ ، فضلاً عن السمات الشخصية القيادية لقائد الانقلاب والتغيير بارك تشونغ هي ونضجه العالي وإدراكه لحاجات بلاده وأولويات شعبها ، ومن الواضح بعد تسنم الأخير للسلطة في جمهورية كوريا انه لم يتخذ القرارات بناءً على آرائه الشخصية واجتهاداته الخاصة وانما بالاستعانة بذوي الاختصاص من الاقتصاديين والمهنيين ، وهؤلاء معروفون انهم يُدلون بآرائهم واستشاراتهم بمهنية صرفة بعيداً عن السياسة والمزايدات والتدخلات ، وبذلك ساهم تطبيق استشاراتهم من قبل حكومة الرئيس بارك في معالجة مشكلات البلاد ومن ثم بدأت تسير قُدماً في التطور الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي بشكلٍ نادر النظير، كما تميز حكم بارك الدكتاتوري عن غيره في بقية الدول الدكتاتورية عدم فرض رأيه واجتهاده الشخصي

التطورات الاقتصادية وخطط التنمية في جمهورية كوريا (١٩٦١-١٩٨١)

في المسائل الاقتصادية والتقنية الا فيما له نفع للبلاد وتطورها ورفاه شعبها , على الرغم من منعه التعددية السياسية والحياة الديمقراطية وفرض نظامه الرقابة على الاعلام والصحف وحرية التعبير بشكل صارم , ولعل ذلك يعود أيضاً الا ان بارك أدرك ان كثرة الآراء والسماح بالتعددية والرأي الحر قد تؤدي الى فوضى وتعثر لمسار تطور البلاد وعرقلته , عكس الحال الذي توجد فيه حكومة قوية واحدة تفرض ارادتها وأجندتها وتتخذ القرارات وتنفذها بسرعة دون عوائق ومحددات من برلمان أو الائتلافات الى آراء المعارضة داخلية أو الخشية من انتقادها مما قد يؤثر كل ذلك فعلياً على نجاحها , كما ان وجود الرئيس بارك على رأس السلطة مدةً طويلة امتدت الى ثمانية عشر عاماً خلال السنوات (١٩٦١-١٩٧٩) قد ساهم في إنجاز غالبية رؤيته وأهدافه في نهضة البلاد وتقدمها الكبير في مختلف المجالات على المستوى العالمي , وتمكنت حكومته في القضاء على الفساد المالي وتحديث النظام الاداري مع استغلال كل موارد بلاده المادية والبشرية الداخلية وتوجيهها الوجهة الصحيحة فصبت جميعها في نمو البلاد ونهضتها , كما نجحت ادارته في ملف العلاقات الخارجية مع الدول الكبرى والمتقدمة في العالم ولاسيما مع الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وتوظيفها لصالح بلاده بنجاح كبير ساهم هو الآخر بشكل أساسي في النهضة الكورية , ولا يمكن إغفال التعاون الشعبي بمختلف طبقاته والمساندة الداخلية الكبيرة لحكم بارك لتحقيق الأهداف الاستراتيجية للبلاد والاستقرار الداخلي كان أحد العوامل الرئيسية في نجاح التجربة التنموية في جمهورية كوريا .

الهوامش

(1) Andrea Matles Savada and others, South Korea a country study, area handbook series, library of Congress, U.S.A, First printing, 1992, pp139-140-p147.

(٢) سعيد رشيد عبد النبي , التجربة الكورية الجنوبية في التنمية , مجلة دراسات دولية , العدد ٣٨ , تشرين الأول ٢٠٠٨ , ص ص ٥١-٥٢ .

(٣) سينجمان ري (١٨٧٥-١٩٦٥): وُلد في مقاطعة هوانغهاي (Hwanghae) الواقعة شمال غرب شبه الجزيرة الكورية , وتلقى تعليمه في مدرسة أمريكية واعتنق المسيحية , وأصبح ناشطاً في قضية استقلال كوريا وسُجن بسبب ذلك في عام ١٨٩٩ , وبعد إطلاق سراحه عام ١٩٠٤ سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ودرس في جامعاتها والتقى بالرئيس ثيودور روزفلت (Theodore) Roosevelt , عاد بشكل مؤقت إلى كوريا في السنوات من ١٩١٠ إلى ١٩١٢ لكنه انتقل إلى هاواي في عام ١٩١٣ , وبعد قمع

اليابان لحركة الأول من آذار عام ١٩١٩، وانضم إلى الحكومة الكورية المؤقتة ذات الميول اليمينية في المنفى في شنغهاي خلال السنوات (١٩١٨-١٩٢٤)، ثم شغل منصب أول رئيس للحكومة الكورية المؤقتة حتى عزله في عام ١٩٢٥، عاد بعدها إلى الولايات المتحدة التي دافع فيها عن استقلال كوريا وأخذ بجمع الأموال من أجل تحقيق هذا الهدف، ثم انتقل إلى واشنطن العاصمة عام ١٩٣٩، أعاده الجيش الأمريكي إلى جنوب كوريا عام ١٩٤٥ التي كانت تسيطر عليها الولايات المتحدة، وفي تموز ١٩٤٨ انتخبه المجلس الوطني أول رئيس لجمهورية كوريا في الجنوب واستمر بمنصبه حتى تنحى عنه في ٢٦ نيسان ١٩٦٠ بعد انتفاضة شعبية، وانتقل بعدها للعيش في الولايات المتحدة حتى توفي فيها بالسكتة الدماغية عام ١٩٦٥. للمزيد من التفاصيل يُنظر:

Young Ick Lew ,The Making of the First Korean President Syngman Rhee's Quest for Independence 1875-1965 , library of Congress , U.S.A , 2014 .

(4) Adrian Buzo, The making of modern Korea, library of Congress, U.S.A, 2002, pp102-104.

(٥) عزازان حفيظة ، التنمية الاقتصادية في كوريا الجنوبية من اقتصاد زراعي متخلف الى اقتصاد صناعي متقدم ، مجلة التنظيم والعمل ، المجلد ٥ ، العدد ٤ ، تشرين الثاني ٢٠١٦ ، ص ١١٨ .
(٦) سعيد رشيد عبد النبي ، المصدر السابق ، ص ٥١ ؛ زعيش محمد ، كوريا الجنوبية تجربة رائدة في التنمية الاقتصادية ، مجلة شعاع للدراسات الاقتصادية ، المجلد الثالث ، العدد الأول ، آذار ٢٠١٩ ، ص ٢٩١ ؛ حازم حسانين ، أمل علي ابراهيم ، التجربة الكورية الجنوبية كيف سارت ؟؟ وكيف يمكن الاستفادة منها ، أركان للدراسات والأبحاث والنشر ، بلا تاريخ ، ص ٥ ؛ والي ابراهيم الخليل ، دور البعدين الداخلي والخارجي على عملية التنمية الاقتصادية في كوريا الجنوبية ، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية ، العدد ١١ ، أيلول ٢٠١٨ ، ص ١١٩ .

(7) Adrian Buzo, Op.Cit, p105 .

(٨) والي ابراهيم الخليل ، المصدر السابق ، ص ١١٩ .
(٩) تشانغ ميون (١٨٩٩-١٩٦٦): وُلد في مدينة سول (Seoul) وكان والده يعمل ضابط إيرادات ثم مشرفاً على الكمارك في ميناء بوسان (Busan) البحري ، وبدأ تشانغ في عام ١٩٠٦ الدراسة في مدرسة باركمون (Parkmun) الابتدائية في إنشيون (Incheon) وتخرج منها عام ١٩١٢ ، والتحق فيما بعد بمدرسة الزراعة الثانوية وتخرج منها عام ١٩١٧ ، وفي ظل الحكم الياباني عمل في مجال التعليم مدرساً وإدارياً ومدير مدرسة ، وبعد دخوله عالم السياسة قاد وفد جمهورية كوريا إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٤٨ ، وأصبح بعدها أول سفير لجمهورية كوريا لدى الولايات المتحدة الأمريكية في

التطورات الاقتصادية وخطط التنمية في جمهورية كوريا (١٩٦١-١٩٨١)

عام ١٩٤٩ ، وناشد في عام ١٩٥٠ الولايات المتحدة والأمم المتحدة لإرسال قوات لمساعدة بلاده في الحرب الكورية ، وفي ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٠ تم تعيينه رئيساً لوزراء = جمهورية كوريا الأولى ، ثم شغل منصب نائب رئيس جمهورية كوريا الأولى من عام ١٩٥٦ إلى عام ١٩٦٠. للمزيد من التفاصيل يُنظر:

https://en.wikipedia.org/wiki/Chang_Myon

(10) Adrian Buzo, Op.Cit, pp104-105.

(11) Jinwung Kim, A history of Korea, From "Land of the Morning Calm" to States in Conflict, Indiana University press, U.S.A, 2012, p431 ; Young Ick Lew, Brief history of Korea, New York, U.S.A, 2000, p28.

(١٢) هو تشونغ (١٨٩٦-١٩٨٨): وُلد في مدينة بوسان وكان والده تاجراً ثرياً ، والتحق هو تشونغ بمدرسته الابتدائية في بوسان وانتقل لاحقاً إلى مدينة سول للدراسة في مدرسة كوريا الثانوية الجامعية ودرس وتخرج من كلية بوسونغ (Bosung) بتخصص التجارة ودرس أيضاً في مدرسة ووسونغ (Wusong) البحرية في شنغهاي (Shanghai) ثم جامعة نانكنغ (Nanking) للملاحة في الصين وبعدها سافر للدراسة في كلية الملاحة بجامعة لندن في المملكة المتحدة ، وشارك في حركات المقاومة الكورية ضد الحكم الاستعماري الياباني كما عمل عضواً في الحكومة المؤقتة لجمهورية كوريا وعمل في مكتبها الدبلوماسي في الولايات المتحدة ، انضم إلى الحزب الديمقراطي الكوري في ٢ أيلول ١٩٤٥ ثم انتُخب في الجمعية الدستورية في انتخابات آيار ١٩٤٨ ممثلاً لمدينة بوسان وتولى في عقد الخمسينيات مناصب وزارية عدة . للمزيد من التفاصيل يُنظر: https://en.wikipedia.org/wiki/Ho_Chong

(١٣) يون بوسون (١٨٩٧-١٩٩٠): وُلد في مدينة أسان (Asan) التابعة لمقاطعة تشونغ تشيونغ (Chungcheong) الجنوبية ، وتخرج من جامعة إدنبورغ (Edinburgh) عام ١٩٣٠ ، دخل عالم السياسة بعد انتهاء الاحتلال الياباني عام ١٩٤٥ وكان سينجمان ري أحد أساتذته ، عينه ري عمدة لمدينة سول في عام ١٩٤٨ وبعد عام عُين وزيراً للتجارة والصناعة ، وسرعان ما بدأ يختلف مع سياسات ري الاستبدادية ، ثم شغل منصب رئيس جمعية الصليب الأحمر قبل انتخابه لعضوية الجمعية الوطنية عام ١٩٥٤ ، وبعد عام أسس الحزب الديمقراطي المعارض بالتعاون مع مجموعته . للمزيد من التفاصيل يُنظر: https://simple.wikipedia.org/wiki/Yun_Poson

Adrian Buzo, Op.Cit, pp106-107; Young Ick Lew, Brief history of Korea, Op.Cit, (14) p28.

Jinwung Kim, Op.Cit, p431-p434 ; Andrea Matles Savada and others, Op.Cit, (15)pp147-148.

(16) Byung Kook Kim and Ezra F. Vogel, The Park Chung Hee Era, Harvard University press, U.S.A, 2011, pp36-38 ; Adrian Buzo, Op.Cit, pp113-114.

Young Ick Lew, Brief history of Korea, Op.Cit, p28 ; Adrian Buzo, Op.Cit, (17)pp112-113.

(^{١٨}) زعيش محمد , المصدر السابق , ص ٢٩٠ .

19) Andrea Matles Savada and others, Op.Cit, pp141-143 ; Adrian Buzo, (Op.Cit, p115.

(^{٢٠}) عدنان فرحان عبد الحسين , دراسة تحليلية لمرتكزات نجاح التجربة التنموية في كوريا الجنوبية للمدة (١٩٦٥-٢٠٠٥) , مجلة العلوم الاقتصادية , جامعة البصرة , العدد ١٨ , نيسان ٢٠٠٦ , ص ص ٥٠-٥١ ؛ سعيد رشيد عبد النبي , المصدر السابق , ص ٥٢ .

(^{٢١}) زعيش محمد , المصدر السابق , ص ص ٢٩١-٢٩٢ ؛ حازم حسانين , أمل علي ابراهيم , المصدر السابق , ص ٢ ؛ عدنان فرحان عبد الحسين , المصدر السابق , ص ٥١ .

(^{٢٢}) عزازان حفيظة , المصدر السابق , ص ١١٩ .

(^{٢٣}) الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية: تأسست هذه المنظمة في عام ١٩٦١ بأمر من الرئيس جون كينيدي (John F. Kennedy) , لتوحيد العديد من منظمات وبرامج المساعدات الأجنبية تحت وكالة واحدة , ووضع القانون الأساسي لها تحت السلطة المباشرة والتوجيه السياسي لوزير الخارجية , وانحصرت مسؤولياتها في مجال الصحة العالمية والإغاثة من الكوارث والتنمية الاجتماعية والاقتصادية وحماية البيئة والحكم الديمقراطي والتعليم , مع متوسط صرف سنوي يبلغ حوالي ٢٣ مليار دولار منذ عام ٢٠٠١ , وكانت هذه الوكالة واحدة من أكبر وكالات المعونة في العالم وتمثل معظم المساعدات الخارجية الأمريكية وهي الأعلى في العالم , ولديها بعثات في أكثر من ١٠٠ دولة في مقدمتها دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط وأوروبا الشرقية . للمزيد من التفاصيل يُنظر :

USAID, Historical Bibliography of the United States Agency for International Development, University of California, Berkeley, 2005.

(24) John p.Dimoia, South Korean Technical aid and Scientific Cooperation, International Journal of Korean history, Vol.29 No.1, Feb.2024, p2.

(٢٥) أريك هوبسباوم (١٩١٧-٢٠١٢): مؤرخ ومفكر بريطاني وُلد في الإسكندرية بمصر وقضى طفولته بشكل أساسي بين النمسا والمانيا , وبعد وفاة والديه وصعود أدولف هتلر إلى السلطة في المانيا إنتقل هوبسباوم إلى لندن مع عائلته بالتبني , وقد حصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ من جامعة كامبريدج (Cambridge) بعد أن أنهى خدمته العسكرية في الحرب العالمية الثانية , وأصبح رئيساً لكلية بيركبيك (Birkbeck) جامعة لندن من عام ٢٠٠٢ حتى وفاته في ٢٠١٢ , وقد حصل على جائزة بلزان (Balzan) للتاريخ الأوربي في عام ٢٠٠٣ , لقدرته العالية على تحليل موضوعي للتاريخ المضطرب لأوروبا في القرن العشرين , فضلاً عن إمكانيته في الجمع بين البحث التاريخي المعمق والموهبة الأدبية العظيمة ولديه العديد من المؤلفات التاريخية القيمة . للمزيد من التفاصيل يُنظر :

https://en.wikipedia.org/wiki/Eric_Hobsbawm

(26) Adrian Buzo, Op.Cit, p116.

(٢٧) أحمد محمد نادي , تطور الاصلاح الاقتصادي في كوريا الجنوبية , مجلة آفاق آسيوية , العدد السابع , ٢٠٢١ , ص ٣٦ ؛ صفاء كريم شكر , الحداثة والتحديث في كوريا الجنوبية بارك شونغ هي إنموذجاً (١٩٦١-١٩٧٩) , مجلة إكليل للدراسات الانسانية , العدد الأول , المجلد الثاني , ٢٠٢١ , ص ٣٣٧ ؛ سعيد رشيد عبد النبي , المصدر السابق , ص ٥٢ .

(٢٨) والي ابراهيم الخليل , المصدر السابق , ص ١١٩ .

(٢٩) صفاء كريم شكر , المصدر السابق , ص ٣٣٤-٣٣٥ .

(٣٠) والي ابراهيم الخليل , المصدر السابق , ص ١١٩ .

Adrian Buzo, Op.Cit, p115 ; Andrea Matles Savada and others, Op.Cit, p144.

(31)

(٣٢) طلال اسماعيل ابراهيم , التجربة الكورية دراسة في ثنائية التقليد والحداثة في جمهورية كوريا ١٩٤٨-١٩٨٨ , رسالة ماجستير , كلية الآداب , جامعة بغداد , ٢٠١٤ , ص ٦٢ .

(٣٣) المصدر نفسه , ص ٦٢ .

(٣٤) سعيد رشيد عبد النبي , المصدر السابق , ص ٥٣ ؛ والي ابراهيم الخليل , المصدر السابق , ص ١٢٢ ؛ صفاء كريم شكر , المصدر السابق , ص ٣٤١ .

(35) Andrea Matles Savada and others, Op.Cit, pp144-146-p150.

(٣٦) عدنان فرحان عبد الحسين , المصدر السابق , ص ٥١ .

(٣٧) والي ابراهيم الخليل , المصدر السابق , ص ١٢٠ .

Andrea Matles Savada and others, Op.Cit, p44-pp46-47; Adrian Buzo, Op.Cit, (38) p119.

(^{٣٩}) والي ابراهيم الخليل , المصدر السابق , ص ص ١٢٠-١٢٢ .

Young Ick Lew, Brief history of Korea, Op.Cit, p28 ; Adrian Buzo, Op.Cit, (40) p118.

(^{٤١}) محمد عادل هاشم ابراهيم , تجربة كوريا الجنوبية التنموية , مجلة الفكر القانوني والاقتصادي , العدد ٢ , السنة ١١ , حزيران ٢٠٢١ , ص ١٣٤٧ ؛ صفاء كريم شكر , المصدر السابق , ص ٣٣٨ ؛ عزازان حفيظة , المصدر السابق , ص ١١٩ ؛ زعيش محمد , المصدر السابق , ص ٢٩٣ .

(42) Andrea Matles Savada and others, Op.Cit, pp150-152.

(^{٤٣}) زعيش محمد , المصدر السابق , ص ٢٩٢ ؛ والي ابراهيم الخليل , المصدر السابق , ص ص ١٢٢-١٢٣ .

(^{٤٤}) عدنان فرحان عبد الحسين , المصدر السابق , ص ص ٥١-٥٢ .

(^{٤٥}) عزازان حفيظة , المصدر السابق , ص ١١٩ .

(^{٤٦}) زعيش محمد , المصدر السابق , ص ص ٢٩٢-٢٩٣ ؛ والي ابراهيم الخليل , المصدر السابق , ص ١٢٥ .

(^{٤٧}) والي ابراهيم الخليل , المصدر السابق , ص ص ١٢٣-١٢٤ ؛ محمد عادل هاشم ابراهيم , المصدر السابق , ص ١٣٤٦ .

(48) Andrea Matles Savada and others, Op.Cit, p144.

(^{٤٩}) زعيش محمد , المصدر السابق , ص ٢٩٦ .

(^{٥٠}) تمت عملية الاغتيال للرئيس بارك على يد رئيس جهاز الخدمة الاستخباراتية الكورية والمسؤول عن حمايته كيم جاي غو (kim Jae gyu) , وقد بدأ التوتر بين الأخير والرئيس بارك منذ عام ١٩٧١ عندما طلب كيم من بارك بعدم الترشح لولاية رئاسية رابعة , لكن الرئيس تمكن من تمرير دستور يوشين الذي منحه صلاحيات واسعة ثم قام في عام ١٩٧٤ بعزل كيم من منصب مسؤول حماية الرئيس وعين شخصاً آخر , لذلك بدأت العداوة تشتد بين الرجلين ثم أخذ التوتر داخل البلاد بالتصاعد عام ١٩٧٩ وبدأت حركات احتجاجية طالبت بإصلاحات سياسية , وفي يوم ٢٦ تشرين الأول حضر الرئيس بارك على مأدبة عشاء أُقيمت في مقر الاستخبارات الكورية , وحصلت مشادة كلامية بينه وبين كيم مما أدى بالأخير الى إطلاق النار عليه فأرداه قتيلاً مع أربعة من حراسه , وتم إلقاء القبض على كيم وتقديمه للمحاكمة التي انتهت بإصدار حكم الاعدام بحقه وجرى تنفيذه في ٢٦ آيار ١٩٨٠ . يُنظر:

Paul Donnelle, Assassination, U.K, 2012, p178.

(^{٥١}) عدنان فرحان عبد الحسين , المصدر السابق , ص ٥٢ ؛ زعيش محمد , المصدر السابق , ص ٢٩٣ ؛
والي ابراهيم الخليل , المصدر السابق , ص ١٢٥ .

(52) Andrea Matles Savada and others, Op.Cit, p144.

(^{٥٣}) زعيش محمد , المصدر السابق , ص ٢٩٦ .

(^{٥٤}) عدنان فرحان عبد الحسين , المصدر السابق , ص ٥٥-٥٦ ؛ عزازان حفيظة , المصدر السابق ,
ص ١١٧-١١٨ ؛ زعيش محمد , المصدر السابق , ص ٣٠٤ .
(^{٥٥}) عدنان فرحان عبد الحسين , المصدر السابق , ص ٥٦ .

قائمة المصادر

أولاً/الرسائل والأطاريح الجامعية

طلال اسماعيل ابراهيم , التجربة الكورية دراسة في ثنائية التقليد والحداثة في جمهورية كوريا ١٩٤٨-
١٩٨٨ , رسالة ماجستير , كلية الآداب , جامعة بغداد , ٢٠١٤ .

ثانياً/الكتب والبحوث المنشورة باللغة الإنكليزية

- 1) Adrian Buzo, The making of modern Korea, library of Congress, U.S.A, 2002.
- 2) Andrea Matles Savada and others, South Korea a country study, area handbook series, library of Congress, U.S.A, First printing, 1992.
- 3) Byung Kook Kim and Ezra F. Vogel, The Park Chung Hee Era, Harvard University press, U.S.A, 2011.
- 4) Jinwung Kim, A history of Korea, From "Land of the Morning Calm" to States in Conflict, Indiana University press, U.S.A, 2012.
- 5) John p.Dimoia, South Korean Technical aid and Scientific Cooperation, International Journal of Korean history, Vol.29 No.1, Feb.2024.
- 6) Paul Donnelle, Assassination, U.K, 2012.
- 7) USAID, Historical Bibliography of the United States Agency for International Development, University of California, Berkeley, 2005.

- 8) Young Ick Lew, Brief history of Korea, New York, U.S.A, 2000.
- 9) Young Ick Lew ,The Making of the First Korean President Syngman Rhee's Quest for Independence 1875-1965 , library of Congress , U.S.A , 2014.

ثالثاً/ البحوث المنشورة باللغة العربية

- (١) أحمد محمد نادي , تطور الاصلاح الاقتصادي في كوريا الجنوبية , مجلة آفاق آسيوية , العدد السابع , ٢٠٢١.
- (٢) حازم حسانين , أمل علي ابراهيم , التجربة الكورية الجنوبية كيف سارت ؟؟ وكيف يمكن الاستفادة منها , أركان للدراسات والأبحاث والنشر , بلا تاريخ .
- (٣) زعيش محمد , كوريا الجنوبية تجربة رائدة في التنمية الاقتصادية , مجلة شعاع للدراسات الاقتصادية , المجلد الثالث , العدد الأول , آذار ٢٠١٩.
- (٤) سعيد رشيد عبد النبي , التجربة الكورية الجنوبية في التنمية , مجلة دراسات دولية , العدد ٣٨ , تشرين الأول ٢٠٠٨.
- (٥) صفاء كريم شكر , الحداثة والتحديث في كوريا الجنوبية بارك شونغ هي إنموذجاً (١٩٦١-١٩٧٩) , مجلة إكليل للدراسات الانسانية , العدد الأول , المجلد الثاني , ٢٠٢١.
- (٦) عدنان فرحان عبد الحسين , دراسة تحليلية لمرتكزات نجاح التجربة التنموية في كوريا الجنوبية للمدة (١٩٦٥-٢٠٠٥) , مجلة العلوم الاقتصادية , جامعة البصرة , العدد ١٨ , نيسان ٢٠٠٦.
- (٧) عزازان حفيظة , التنمية الاقتصادية في كوريا الجنوبية من اقتصاد زراعي متخلف الى اقتصاد صناعي متقدم , مجلة التنظيم والعمل , المجلد ٥ , العدد ٤ , تشرين الثاني ٢٠١٦.
- (٨) محمد عادل هاشم ابراهيم , تجربة كوريا الجنوبية التنموية , مجلة الفكر القانوني والاقتصادي , العدد ٢ , السنة ١١ , حزيران ٢٠٢١.
- (٩) والي ابراهيم الخليل , دور البعدين الداخلي والخارجي على عملية التنمية الاقتصادية في كوريا الجنوبية , مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية , العدد ١١ , أيلول ٢٠١٨.

رابعاً/ مواقع الانترنت الإلكترونية

- 1) https://en.wikipedia.org/wiki/Chang_Myon
- 2) https://en.wikipedia.org/wiki/Ho_Chong
- 3) https://en.wikipedia.org/wiki/Eric_Hobsbawm
- 4) https://simple.wikipedia.org/wiki/Yun_Poson

الصراع بين الاسلام السياسي والشيوعية في العراق

١٩٥٤-١٩٦٣

أ.د. عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي

قسم التاريخ - كلية التربية للعلوم الانسانية - جامعة كربلاء

الصراع بين الاسلام السياسي والشيوعية في العراق ١٩٥٤-١٩٦٣

أ.د. عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي

The Conflict between Political Islam and Communism in Iraq

١٩٥٤-١٩٦٣

Prof. Dr. Oday Hatem Abdul Zahra Al-Mufarji

History Department - College of Education for Humanities - University of Karbala

Summary

Political work in one of its axes during the fifties of the last century in Iraq was centered around (the conflict). It was not in the concept of a conflict based on construction and growth like the nature of advanced parties, but rather it was a conflict of confrontation and elimination of the other, in which all ends that justify the means were used, but political Islam (meaning here Shiite) in some of its activity took upon itself the legitimate side in combating communism in Iraq, especially since communist thought began to take hold in the souls of Iraqi society after World War II, and its principles were sung by Iraqis keen to apply them, but they were ideas with a noble purpose among the poor, and thus this explicit belief, not implicit, was capable of leaping and penetrating in a dangerous way with the affiliation of some clerics to this thought in addition to other imported political trends represented by (the national trend), but in general, Iraqi communism became widely spread among Shiite Iraqis. It is worth mentioning that some factors encouraged the emergence of the political intellectual conflict between the clergy and the communists, including the methods and means of political Islam, as they were indirect through intellectual methods based on evidence. The reason for starting the study in 1954 is due to the Ministry of Nuri al-Said, called the Year of Decrees against Political Parties, and the end of the research in 1963 due to the coup of February 8 and the emergence of another political phase. The research section consists of this introduction, two requirements, a conclusion, research margins, a list of sources, and an English summary. The first requirement addressed the conflict and the factors of its emergence between political Islam and communism (1954-1958), and it includes the conflict (linguistically and technically), the factors of the conflict between political Islam and communism, and the political intellectual conflict between political Islam and communism

(1954-1958). The second requirement is the political intellectual conflict after 1958, and it includes the development of the intellectual conflict between the two parties as well as the new variables. The conclusion contains the most prominent conclusions.

مقدمة

كان العمل السياسي في احدى محاوره ابان خمسينات القرن الماضي في العراق يتمحور حول (الصراع). ليس بمفهوم الصراع القائم على البناء والنمو مثل طبيعة الأحزاب المتقدمة، بل كان صراعاً مواجهة والغاء الاخر، استخدم فيها كل الغايات التي تبرر الوسائل، لكن الاسلام السياسي (والمقصود هنا الشيعي) في بعض نشاطه اخذ على عاتقه الجانب الشرعي في مكافحة الشيوعية في العراق، وبخاصة ان الفكر الشيوعي اخذ بالتربيع في نفوس المجتمع العراقي بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت مبادئه يتغنى بها العراقيون الحريصون على تطبيقها بل كانت افكار ذو غاية نبيلة عند الفقراء وبالتالي هذا الاعتقاد الصريح لا الضمني كان من شأنه القفز والتغلغل بشكل خطير بانتماء بعض رجال الدين لهذا الفكر بالاضافة الى الاتجاهات السياسية الوضعية الوافدة الاخرى المتمثلة (بالاتجاه القومي) ولكن بشكل عام أصبحت الشيوعية العراقية في نطاق واسع من العراقيين الشيعة. ومن الجدير بالذكر شجعت بعض العوامل على ظهور الصراع الفكري السياسي بين رجال الدين والشيوعيين منها اساليب ووسائل الاسلام السياسي اذ كانت غير مباشرة بطرق فكرية قائمة على الدليل. اما السبب في بداية الدراسة عام ١٩٥٤ راجع الى وزارة نوري السعيد المسمى عام المراسيم ضد الاحزاب السياسية واما نهاية البحث بعام ١٩٦٣ بسبب انقلاب ٨ شباط وظهور مرحلة سياسية اخرى.

قسم البحث من هذه المقدمة ومطلبين وخاتمة وهوامش البحث وقائمة بالمصادر والملخص الانكليزي، تطرق المطلب الاول الى الصراع وعوامل ظهوره بين الاسلام السياسي والشيوعية (١٩٥٤-١٩٥٨) وفيه الصراع (لغة واصطلاحاً) وعوامل الصراع بين الاسلام السياسي والشيوعية والصراع الفكري السياسي بين الاسلام السياسي والشيوعية (١٩٥٤ - ١٩٥٨) اما المطلب الثاني هو الصراع الفكري السياسي بعد

عام ١٩٥٨ ويشمل تطور الصراع الفكري بين الطرفين وكذلك المتغيرات الجديدة اما الخاتمة فكتب فيها ابرز الاستنتاجات .

المطلب الأول

الصراع وعوامل ظهوره بين الاسلام السياسي والشيوعية

(١٩٥٨-١٩٥٤)

أولاً: الصراع (لغةً واصطلاحاً):-

الصراع لغة هو من الصَرَاع والصَرَاعة. فهي من يصرع الناس كثيراً ويقال (قوم صُرعة) أي يصرعون من صارعوا، والصراعة هي صفة المصارعة، والصروع هو جمع صرع والصراع^(١). والصراع كمصطلح هو فقدان الشخص الثقة في قدرته على رفع التناقضات بين القصور المؤلم وبين النفس مما ينشأ عنه صراع يؤدي الى محاولة استبعاد القصور المؤلم، وهو موجود في علمي الاجتماع والسياسة، واذا كان ايجابيا فهو المكون الأساس في البناء والنمو^(٢).

وبغية معرفة هذا المصطلح وعلاقته بالتيارات السياسية وتأثيره عليها. وجدنا (نظرية الصراع) تعني: "قيام المجتمعات أو التنظيمات السياسية على قيام نوع من المنازعات بين أطرافها بغية الحصول على منافع أكثر وله دور أساس في التغييرات الاجتماعية والسياسية"^(٣). والصراع السياسي هو النزاع الذي يعمل به السياسيون كوظيفة في تياراتهم دون الاهتمام بأفكار التيارات الموجودة، وينقسم الى قسمين الأول: الصراع على السلطة. الثاني: الصراع ضد أو مع السلطة حتى إسقاطها^(٤).

ثانياً: عوامل الصراع بين الاسلام السياسي والشيوعية :-

كان الإسلام السياسي في نظر (القوميين والشيوعيين) ظاهرة غير مسوغ وجودها. لاسيما تسمية تلك المرحلة بالنسبة للإسلاميين السياسيين^(٥) بـ(حركة الصحة الإسلامية)^(٦) وإعلان هدفها الأول هو الحفاظ على روح المجتمع من الأفكار العلمانية، والحفاظ على قوة الإسلام وروحه^(٧).

ورغم ذلك تعاون قوميي الشيعة مع الاسلاميين السياسيين في سبيل مواجهة الشيوعية^(٨) وذكر احد المعاصرين من الرعيل الاول وهو الشيخ(طالب الرفاعي) بأنه عمل مع السيد (محمد باقر الصدر) كشباب رسالي يتزود بالمصادر والمراجع (مجاناً) من المكتبات القومية في مدينة النجف^(٩) فكلا الفكرين اراد ضرب الشيوعية، وهو

أمر ساهم في تصاعد حدة الصراع، ولا سيما من البديهي أن المكتبات التابعة لتيار معين تحتوي على مصادر إعلامية عدائية للتيار المقابل.

وتحت هذه الظروف، استغل قومي الشيعة الإسلام بوصفه ديناً سماوياً يحمل أثراً حضارياً كبيراً، فلم يفوتوا هذه الفرصة، واستثمروا مسائل قديمة في نشاطهم، كقضية حصر الخلافة في قریش، وإن العرب حاملو الرسالة السماوية، وهذه المفاهيم وجدت آذاناً صاغية مقتنعة موافقة على الجمع بين التيارين (الإسلامي والقومي)^(١٠) مما سببت جدلاً في عقلية الاسلامي السياسي من الرفض أو القبول، فلا غرابة إذا ما اجتمع قومي الشيعة في مدرسة آل الجزائري في الغرفة المقابلة لاجتماع شباب من رجال الدين السياسيين وهم جماعة الشيخ (عز الدين الجزائري) من حركة (الشباب المسلم)^(١١) وهو دليل على عدم وجود صراع فكري بين التيارين في تلك المدة.

وبالمقابل، فقد زاد الأمر تعقيداً، احتضان الشيوعيين مجموعة من الإيرانيين المهاجرين إلى مدينة النجف، والمتمتعین بثقافة شيوعية عالية، مما خلق اجواء جدلية ساعد على بلورة الصراع^(١٢). ويبدو إن المهاجرين كانوا من المنتمين إلى الحزب الشيوعي الإيراني (توده) فزاد ذلك من تماسك بين الشيوعيين العراقيين من جهة، وارتقاع حدة المنافسة والصراع مع الاسلاميين السياسيين وقومي الشيعة من جهة أخرى. وكان شيوعي الشيعة يملكون خزيناً ثقافياً ومعرفياً جيداً، بسبب ان بعض معلمهم في المدارس الحكومية كانوا من الشيوعيين، ولذلك فالطالب الشيعي وبخاصة في المدن المقدسة مثل النجف وكربلاء رغم حداثة عمره يعرف منظرية وكُتاب الشيوعية العالمية (لينين وستالين وفيورباخ ومكسيم غوركي وكليموفينتس) الأمر الذي سبب امتعاض الاسلاميين الحركيين من أمثال الشيخ (مرتضى آل ياسين) على هذه المعرفة^(١٣).

وفي هذا السياق تفاعلت الشيوعية وبخاصة مع الفقراء الذين وجدوا فيها خير مخلص من بؤسهم وفقرهم، وهو من الأسباب المباشرة في الانتماء المتزايد للشيوعية في بداية خمسينيات القرن الماضي^(١٤) وراح الفقراء يناضلون من أجل الخلاص من فقرهم بواسطة الماركسية وافكارها الموجودة، وكأنهم أصبحوا أصحاب حاجة يعملون على تحقيقها، وهو القضاء على الفقر، وبالمقابل زرع هؤلاء الشيوعيون في عقول الفقراء ان بقية الافكار السياسية غير الشيوعية هي برجوازية، رجعية، انتهازية، وضد الفقراء

وبالتالي ادى ذلك الى زيادة حدة الصراع . كان للشيوعيين قوة ضاربة ضد من يعترضهم، وذو أسماء معروفة بالاقتحام، والتدخل المباشر، ليتحول أمر الصراع لصالحهم لتنفيذ أوامر من الشيوعيين في معاقبة من يعترضهم أو يمس تيارهم بسوء^(١٥) ويبدو ان الشيوعية ظهر لديها مليشيا مدنية محدودة لا تتعدى ان تكون تنظيمًا مسلحاً في تلك المدة، ولكنها تعد واجهة للشيوعية العراقية وسببا في خلق صراع مع بقية الاتجاهات السياسية.

ثالثا: الصراع الفكري السياسي بين الاسلام السياسي والشيوعية (١٩٥٤ - ١٩٥٨)

كان التشكيل الثقافي السياسي عند رجال الدين قائم على أساس صراع فكري ضد الشيوعية . فقد كان تنظيم (حركة الشباب المسلم) مؤسس على مواجهة الشيوعية، وعمل على تحشيد اكبر عدد من الأتباع اذ ضم (الحرفيين وأصحاب المهن الحرة) ولديه نشرات تثقيفية بالإسلام بغية زرع جذوره في نفوس الشباب، وهي (هدى الإسلام وبداية الإسلام وطريق النور)^(١٦).

وكذلك من أولويات تنظيم (منظمة المسلمين العقائديين) إبعاد الشباب عن التيارات العلمانية بما فيها الشيوعية ، وتلقيهم الثقافة الإسلامية^(١٧) . وبالمقابل كان الشيوعيون يهاجمون البوادر الأولى لنشاط الاسلاميين السياسيين . بالاتهام انه نشاط تابع الى (الأخوان المسلمين) وهذا الاتهام ظهر بعد محاولة رجال الدين الشيعة ونخبته المتقفة من امثال الشيخ (محمد رضا العامري وعبد الصاحب د خليل والسيد محمد بحر العلوم والسيد جواد العاملي ومحمد صادق القاموسي والسيد محمد مهدي الحكيم والشيخ محمد أمين زين الدين) باستغلال شهر رمضان ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م بكلمات توجيهية ثقافية للناس، ووصل احتجاج الشيوعيين على هذا النشاط الى المرجع الديني السيد (محسن الحكيم) ونشروا الشائعات منها محاولة هذا التجمع جمع مقلدي السيد الحكيم والتأثير عليهم ، وأثمر صراعهم فقد انقطع الإسلاميون السياسيون عن مواصلة دورتهم الثقافية يوم ٢١ من رمضان بسبب نشاط الشيوعي التحريضي الذي استغل ورقة المرجعية الدينية^(١٨) . وهو دليل على قوة الصراع بين الطرفين .

لقد وجد الباحث ان الاجواء العلمية في المدن الشيعية ومنها مركز الحوزة العلمية (مدينة النجف) منتشر فيها المد العلماني. فهي مدينة علم، ونقاش، ومحاورة

لكافة العلوم ، فضلا عن وجود المدارس الحكومية ذات الأنظمة التعليمية الحديثة، ومعلمين منتمين لتيارات سياسية مختلفة ومنها الشيوعية والقومية^(١٩) وهو عامل صراع اخر ضد الشيوعية فقد كانت مبادئ القومية في نظر الشيوعيين مجرد حركة برجوازية^(٢٠) فخرج ، الأمر الذي دفع القوميين إلى تشكيل (لجان مقاومة) تدافع عن أنفسهم ومؤسساتهم^(٢١) وتبدو أشبه بمليشيا مدنية اخرى ، خرجت بسبب الصراع مع الشيوعيين ، وهي بمثابة القوة الضاربة للقوميين وهو أعلى درجات الصراع واصبح الاسلام السياسي مثل بيضة القبان بين الطرفين .

كان الشيوعيون يطلقون تسميات مختلفة على الاسلاميين السياسيين و القوميين. بأوصاف ان الاسلامي السياسي (رجعي) إما القومي فوصف (بقايا الأمويين والعباسيين) ولا يتوانى الشيوعيون عن اتهام كل قومي بالتجسس لصالح الحكومة^(٢٢) وكان الخوف من الشيوعيين من الأسباب التي دفعت قومي الشيعة الالتجاء إلى الاسلاميين السياسيين والتحالف معهم ، فقد كان القومي يرى بالاسلام سد يقف بوجه الزحف الشيوعي ويحميه من هذا الزحف وعقد تحالف متضامن في سبيل مواجهة الشيوعية العراقية^(٢٣).

لقد اثمر هذا الصراع عن وجود تحالف إسلامي قومي ضد الشيوعية، عمل على تغيير موازين القوى. إذ أصبح الشيوعي لا يستطيع فرض سيطرته، و سطوته بالكامل، فاخذوا يشيعون بأنهم وطنيون ولا يفصحون عن هويتهم الشيوعية^(٢٤) وهو أمر دل على إن التحالف السياسي (الاسلامي السياسي والقومي) كان لغاية سياسية أكثر منها عقائدية، هو تحالف لمواجهة الشيوعية، وتقليص سطوتها في نفوس الناس، وفرض الوجود، وهو دليل على أماكن ولادة الائتلاف السياسي من الصراع السياسي، ولا سيما إذا ما كان صراعاً فكرياً يرمي الى تحقيق أهدافه.

أصبح الشاب الشيعي في صراع مع نفسه في قبول او رفض احد التيارات السياسية وهي (الإسلامية السياسية والقومية والشيوعية) فالأولى تزعمها رجال دين معروفين بالتدين ولديهم رصيد اجتماعي من قبل المجتمع ، والثانية أخذت بالنشاط والازدياد، والثالثة تضم مجموعة من النخب العلمية المثقفة^(٢٥) وهذا التنوع الاجتماعي، هو نفسه كان سبباً في إشعال الصراع .

المطلب الثاني

الصراع الفكري السياسي بعد عام ١٩٥٨

اولا: تطور الصراع بين الاسلام السياسي والشيوعية:-

ظهر في سنوات ما بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عوامل شجعت الصراع الفكري السياسي ، وتسببت في ظهور صراع اختلف عن المرحلة السابقة، لاستخدامه وسائل جديدة منها العنف ووصلت إلى إلغاء الآخر، وبأساليب سياسية جديدة منها الفتاوى الدينية ، والحركة الكتابية ضد التيار الآخر، فضلا عن التحالفات السياسية التي أفرزتها مرحلة هذا الصراع. وعلى الرغم من وجود تحالف بين الاسلاميين السياسيين والقوميين الا ان في ٣ نيسان ١٩٥٨ ظهر مقال نشر في مجلة (النجف) حذر من التيارين القومي والشيوعي، ولكن لم يشر إليهما بشكل مباشر، وهو دليل على ان الصراع كان في طوره البسيط، والبعيد عن العنف قبل ثورة تموز، فقد نشر باستخدام أسلوب التورية بكتابة: "إن العالم الذي نعيش فيه مليء بالأفكار الهدامة المشحون بالسياسات المختلفة منها ما هي الإلحادية صريحة [المقصود بالشيوعية] ومنها ما تؤيد الدين في الظاهر وتهدمه في الحقيقة [المقصود بالقومية] وهما وسعا الخلافات بين المسلمين" (٢٦).

وبهذا الخصوص وصف الشاعر (محمد مهدي الجواهري) الأحداث، والوضع السياسي في العراق بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بأن الحياة صاخبة فوضوية، الحابل اختلط بالنابل، والكلمة القوية بالكلمة الضعيفة، والموجة الرصينة بالموجة الهوجاء (٢٧) هذا الاضطراب الاجتماعي السياسي من شأنه إن يولد صراع، بسبب تصاعد موجة الافكار، ومحاولة فرض الآراء.

عمل التياران (القومي والشيوعي) في العراق على تعزيز رأيهما، وبسبب تشدهما في فرض الآراء وصل إلى إطلاق النار (٢٨)، وهي المرحلة التي اتسم الصراع فيها بالعنف، بسبب تحول المليشيات من مدنية الى مسلحة بعد ثورة تموز ١٩٥٨ عملت على فرض الرأي بالقوة، وهو اتجاه سلبي في أفكار تلك التيارات السياسية ومرحلة جديدة من الصراع.

قرر سكرتير الحزب الشيوعي العراقي (حسين احمد الرضي) الملقب بـ(سلام عادل) توجيه النشاط الشيوعي في المدن العراقية ضد (الجمهورية العربية المتحدة)

بحملات دعائية، والتي سببت اشتداد الصراع مع القوميين في تلك المدن^(٢٩). وكرر الشيوعيون استخدام العنف في صراعهم بإطلاق النار بعد شهرين من ثورة تموز ١٩٥٨. ففي مناسبة ذكرى وفاة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) التي صادفت ١٢ أيلول ١٩٥٨، اشتبك الشيوعيون والقوميون في مدينة النجف بسبب الهتافات المرددة خلال خروج مواكبهما العزائية، ولاسيما هتاف القوميين بوحدة العرب القومية، بينما هتف الشيوعيون بالاتحاد الفدرالي، الأمر الذي دفع الى الصراع والمواجهة بين الطرفين، وأوقع الحادث عدداً من الإصابات البشرية^(٣٠) وهو دليل على الأمور الآتية:-

أولاً: التحول إلى صراع قومي شيوعي في محاولة فرض السيطرة على الساحة السياسية.

ثانياً: استغلال جميع المناسبات في إثارة الصراعات، ولاسيما الدينية منها، لأنها مشحونة بالعاطفة.

وعلى ما يبدو أن الصراع الذي كان دائراً بين التيارين العلمانيين (القومي والشيوعي) اثرأ ايجابياً لرجال الاسلام السياسي، إذ بدأ بعض الشباب بترك هذين التيارين بسبب عنفهما، فضلاً عن أسباب أخرى أدت الى هذا الانسحاب تمثلت بالشعور بخيبة الأمل من شعارات ثورة تموز ١٩٥٨، وعدم تحقيق ما يصبون اليه كالحصول على الوظائف، وان قضية الاندماج مع العرب لم تلق قبولاً في العقل الشيعي، ولو كان قومياً، لانه يرى ان الوحدة تتحقق بعد تطور البلد، ورفع مستواه الاقتصادي، وهي الأمور التي كان من المفترض تحقيقها في البلدان العربية^(٣١).

وعلى الرغم من نفور بعض الشباب من التيارين العلمانيين (القومي والشيوعي) إلا إن هناك بقى انتماء بعضهم إليهما وهذا الامر راجع الى دور (المنظمات الجماهيرية) التي خلقها (عبد الكريم قاسم) لخدمة سياسته^(٣٢) لأنها منظمات عملت على بث دعايتها في صيانة الجمهورية، والتطور، وإنشاد التقدم، ونشر الافكار العلمانية بكل حرية^(٣٣) ومن هذه المنظمات (حركة أنصار السلام) التي عملت على نشر أفرادها في أزقة احياء المدن بحجة بسط الأمن^(٣٤) وهو الأمر الذي رفضه الاسلاميون السياسيون والقوميون، فلاقوا أنواع التهم كالرجعيين، وأصبحوا بمثابة أعداء الثورة ويستحقون السجن^(٣٥) ويرى (شبلي الملاط) سبب امتعاض رجال الدين الشيعة على نمو الشيوعية بعد ثورة تموز بسبب تزايد الانتماء الى (حركة أنصار السلام -

الشيوعية-) وسطوتها حتى على قلوب بعض رجال الدين الشيعة^(٣٦) مثل الشيوخ(عبد الحليم كاشف الغطاء ومجيد زاير دهام ومحمد القائيني الملقب بالفاضل -استاذ حوزوي-) وكان إقبال الناس على استخدام الأدوات الغربية في التنظيم، والتعبئة، واعداد مشروع والتنظير له متزايد، وهي أمور لم تقتصر على التيارات السياسية العلمانية فحسب، بل حتى على الإسلام السياسي لأنها استخدمت تلك الأدوات^(٣٧). وهي في محصلتها بذور لصراع اشد واقوى .

يبدو ان الدعايات التي بثها الشيوعيون بغية جذب الناس الى (المنظمات الجماهيرية) كإعلان (أنشاد التطور والتقدم) هي التي سحرت عقول الشباب ومن ذلك يمكن الاتفاق مع (شبلي الملاط) في تحول جزء كبير من المجتمع الى العلمانية بوساطة الشيوعية، وكانت تلك المنظمات جزء من صراع الاسلاميين السياسيين والقوميين مع الشيوعية. وصل الأمر بعد ثورة تموز إلى تسمية بعض المحلات في مدينة المرجعية الدينية وحوزتها العلمية والنبع الروحي للإسلام السياسي وهي مدينة النجف بأسماء أطلقها السياسيون العلمانيون، وهو دليل على الحراك السياسي الشامل لمنطقة بأكملها فسميت (منطقة العمارة) ب-(محلة المؤمنين والعهد) إشارة إلى توجهها القومي، بينما سميت (منطقة الحويش) ب-(منطقة الجبهة) إشارة إلى توجهها الشيوعي، ووصل الأمر ان تسمى (الحويش) موسكو الصغرى، وساحة شارع الرسول (الساحة الحمراء)^(٣٨) مما يدل على وصول الصراع السياسي الى المناطقية وهو دليل على ارتفاع حدة الصراع الفكري السياسي.

ثانيا: اثر المتغيرات الجديدة في الصراع بين الاسلام السياسي والشيوعية :-

اتسم صراع هذه المرحلة باستخدام الأدوات التي لا تليق بتيار أو حركة سياسية، واتسم بالاختراق من قبل دول كالاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، والعنف سواء أكان بالفعل، أم بالكلام، وإتلاف الممتلكات بغية إرغام المقابل على السلوك المراد فرضه^(٣٩) وهو أمر عكس خطاء تصنيف الصراع السياسي ضمن منهاج (المرحلة) لحزب الدعوة، إذ لا يمت للواقع بصلة^(٤٠).

واتسم الصراع بين الاسلام السياسي والشيوعية في هذه المدة بالعنف، لان العمل السياسي واسلوبه تم فرضه بالقوة، وتنفيذ اجندات لا تمثل العمل السياسي ورسالته وهناك عوامل ساعدت على ذلك منها تسرب روح البداوة، واخذ منها صفة

العنف بعد الانتماء العشوائي ^(٤١). فكان هم رجال الدين والشيوعيين العمل على كسب عشرات الناس، بغض النظر عن انتمائهم الاجتماعي، فتوجه (الشيوعيون) الى الأرياف المحيطة في الفرات الاوسط وكسبوا عشرات الفلاحين المعروفين بعنفهم، وأراد الإسلاميون السياسيون مواجهة الشيوعية بالخطوات نفسها ^(٤٢).

رفع رجال الاسلام السياسي في صراعهم مع الشيوعية استراتيجية استغلال دعوات الشيوعيين في التطور، والتقدم، فاعتبروا هذه الامور (دعوات تغريب) ^(٤٣) ويبدو أنها من الاسباب التي دفعتهم الى رفض الإصلاحية والدعوة الى الانقلابية بالإشارة الى ان رسالة الاسلام انقلابية لا اصلاحية.

فخرجت مصادر تصف الشيوعية بالإلحاد، وتعلل ظهورها الى اسباب تاريخية ترجع الى الحرب العالمية الثانية، عندما انتصر الحلفاء في الحرب، فارتفعت الشيوعية مع ارتفاع صولات الجيش الاحمر السوفيتي ضد الجيوش الألمانية ^(٤٤) وهذا الرأي دليل على تطور الصراع بين الطرفين.

لقد ازداد الصراع حدة بعد استغلال القوميين نشاط الاسلام السياسي في ضرب الشيوعية، وفي المقابل دعم (عبد الكريم قاسم) الشيوعيين لرد المتآمرين، فدخل الصراع مرحلة التحالفات والتعقيدات ^(٤٥) واستغل الشيوعيون ذلك الدعم الحكومي، فعملوا على زيادة اتباعهم بالكسب الحزبي، ومصارعة القوميين بشكل مباشر وهي رغبة (عبد الكريم قاسم) في إضعاف احد الطرفين ^(٤٦) وفي الطرف الآخر كانت الحكومتين البريطانية والأمريكية تتمنى رؤية كل شيوعي عراقي في السجن ^(٤٧) على الرغم من ذلك ازداد إتباع الشيوعية في العراق، وأكثر ما يتميز به هو شيوعي من النوع الجدلي المناقش ^(٤٨) من شأنه ساعد في ازدياد في حدة الصراع بسبب هذه الظروف، وهي مرحلة مهمة من الصراع بسبب دخول العراق مرحلة جديدة من التطورات السياسية الداخلية، إذ ارتفع نشاط التيارات السياسية ولاسيما القومية والشيوعية سعياً للوصول إلى السلطة، وهو سبب مباشر في الصراع الفكري السياسي بينهما.

الخاتمة

إن الاسلام السياسي لم يستخدم العنف المسلح على عكس العلمانيين الذين لم يتوانوا عن استخدام السلاح في صراعهم الذين كانت افكارهم قد خلقت عنفا ثوريا في عقلية العراقي وتحول بدون شعور الى آلة عنيفة ضد الخصوم. ومن عوامل ضعف

الاسلاميين السياسي هو الصراع الداخلي بينهم ، لأنه كشف عن نقاط ضعف مؤسساتهم وبالتالي تشرذمهم وهو الامر الذي انعكس على قواعدهم الشعبية .

اعتمد الصراع السياسي في العراق بشكل عام على ادوات المماطلة والتسويق والمواجهة والمراوغة والتسقيط والتجهيل والتسطيح والتسفيه والاستغلال والاستفزاز والقمع والاقصاء وفق مراحل زمنية متتالية انعكست فيما بعد على طبيعة وصفة الاحزاب السياسية العراقية بشكل عام والتي تفاعلت مع قيم مشجعة متراكمة من القبلية والجهل والفقر السياسي والعنصر الخارجي .

زاد التسليح الحزبي من حدة الصراع لاسيما بعد تصاعد المد الشعبي بالانتماء الى (المنظمات الجماهيرية) التي نظمت هؤلاء الناس، وزودتهم بالأسلحة النارية، مما دفع الى الصراع العنيف. وأمام هذه الصورة من التفاعلات يمكن القول إن الصراع الفكري السياسي بين الاسلام السياسي والشيوعية بعد عام ١٩٥٤ وحتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، قد اتسم بكونه اقل حدة، بل وصل قبيل عام ١٩٥٨ الى مرحلة ايجابية في عدم المواجهة الدموية، ومن إيجابيات هذه المرحلة ولادة منهج ثقافي سياسي رغم ان هذا المنهج من افرازات صراع هذه المرحلة بل تشكل في عقيدته السياسية ادوات عمل منها (الصراع السياسي) . كما هو الحال في الحركة الثقافية للإسلاميين السياسيين ضد الشيوعيين على الرغم من كونها صراعاً لكنها أضافت قوة لكيان رجال الدين في العمل السياسي .

كان ضحية الصراع بين الاسلام السياسي والعلمانية الحزبية بشكل عام هم الشباب لان كلا الاتجاهات بنى بروج من الاحلام التي تلاعبت بعقلية الشاب العراقي سواء كانت الجنة ومرضاة الله او انشاد التقدم والتطور والدولة المدنية وعلى سبيل المثال ان الدعايات التي بثها الشيوعيون بغية جذب الناس بشكل عام الى (المنظمات الجماهيرية) كإعلان (أنشاد التطور والتقدم) هي التي سحرت عقول الشباب و تحول جزء كبير من المجتمع الى العلمانية بوساطة الشيوعية على وجه الخصوص ، بل خطورة هذا الأمر بعد ثورة تموز إلى التغلغل الى المدن المقدسة ،

اتسم صراع الاتجاهات السياسية العراقية بالاختراق من قبل دول كالاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية ، والعنف سواء أكان بالفعل، أم بالكلام، وإتلاف الممتلكات بغية إرغام المقابل على السلوك المراد فرضه ، واتسم الصراع بين الاسلام

السياسي والشيوعية بعد ١٩٥٨ بالعنف، لان العمل السياسي واسلوبه تم فرضه بالقوة، وتنفيذ اجندات لا تمثل العمل السياسي ورسالته وهناك عوامل ساعدت على ذلك منها تسرب روح البداوة، واخذ منها صفة العنف بعد الانتماء العشوائي. فكان هم رجال الدين والشيوعيين العمل على كسب عشرات الناس، بغض النظر عن انتمائهم الاجتماعي، فتوجه (الشيوعيون) الى الأرياف المحيطة في الفرات الاوسط وكسبوا عشرات الفلاحين المعروفين بعنفهم، وأراد الإسلاميون السياسيون مواجهة الشيوعية بالخطوات نفسها بل رفع رجال الاسلام السياسي في صراعهم مع الشيوعية استراتيجية استغلال دعوات الشيوعيين في التطور، والتقدم، فاعتبروا هذه الامور (دعوات تغريب) تعمل على اضعاف الاسلام واهله فخرجت مصادر وتشريعات فقهية تصف الشيوعية بالإلحاد .

استغل القوميون وبعض الاحزاب التي تتدعى القومية صراع الاسلام السياسي في ضرب الشيوعية، كذلك دعم (عبد الكريم قاسم) الشيوعيين بحجة رد المتآمرين وهو بالاساس اراد التوازن السياسي ، فدخل هنا الصراع مرحلة التحالفات والتعقيدات واستغل الشيوعيون ذلك الدعم الحكومي، فعملوا على زيادة اتباعهم بالكسب الحزبي، ومصارعة القوميين بشكل مباشر ورغم ذلك ازداد إتباع الشيوعية في العراق، وأكثر ما يتميز به هو شيوعي من النوع الجدلي المناقش من شأنه ساعد في ازدياد حدة الصراع يقابله رجل الاسلام السياسي المثقف المفكر الممتلك ادوات التأثير المباشر على العقل العراقي .

هوامش البحث

(١) لويس معلوف ، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، طه (بيروت : المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٦) ص ٤٢٢.

(٢) المصطلح النفسي الإسلامي ضرورة حضارية ، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

web.net. www.Islam

(٣) Conflict theory ,wikipedia encyclopedia ,www. Wikipedia.org. Quoted from

- (٤) فهمي الشناوي، الفكر السياسي عند الشيعة (بيروت: مؤسسة الفكر الإسلامي للثقافة والإعلام، ١٩٩١) ص ٤٧؛ شاكر النابلسي، الفكر العربي في القرن العشرين ١٩٥٠-٢٠٠٠، (بيروت: دار الفارس للنشر والتوزيع، ٢٠٠١) ج ١، ص ٤٨.
- (٥) مقابلة تلفزيونية مع السيد مرتضى العسكري، شهيد العراق الصدر الأول، تحقيق الشيخ احمد عبد الله ابو زيد، شركة بيروت الدولية (قناة المنار الفضائية) ق.ل.م، ع(٤) ر(٤).
- (٦) فؤاد كاظم المقدادي، الشيعة والدولة القومية في العراق (تقويم عام ورد للشبهات) "صوت الإسلام" (مجلة) قم، ع(٢) س (١) ١٩٩٩، ص ١٦٤.
- (٧) محمد جمال الهاشمي، رسالة النجف، "آفاق نجفية" (مجلة) النجف، ع(٢) س(١) ٢٠٠٦، ص ١١٥.
- (٨) كاظم محمد علي شكر، تاريخ الحركة القومية في النجف، مخطوط، و ٨.
- (٩) أصغر علي محمد جعفر، الحياة السياسية للإمام الصدر، قرص ليزري مضغوط.
- (١٠) شاكر النابلسي، المصدر السابق، ص ٩٩-١٠٣.
- (١١) حمد القابجي، مقابلة معه، النجف، ٢٧ حزيران ٢٠١٤ في بيته الشخصي .
- (١٢) كاظم محمد علي شكر، المصدر السابق، و ٤.
- (١٣) عادل رؤوف، عراق بلا قيادة (قراءة في أزمة القيادة الإسلامية الشيعية في العراق الحديث) (دمشق: المركز العراقي للأعلام والدراسات، ٢٠٠٢) ص ٦١٦؛ حمد قابجي، ذكريات من ماضي النجف السياسي، مخطوط، و ٢٤.
- (١٤) Abbas Kelidar، Iraq (The Search to Stability) (London Published by the (1) institute for the study of conflict 1975) p17. -ببير جون لوزير، الحركة الدينية؛ الشيعة (فصل من دراسة بعنوان (المسألة العراقية رؤية داخلية وخارجية) المنشور في مجلة العالم الإسلامي المتوسطي الفرنسي في ١٥ تموز ١٩٩٨) "دراسات عراقية" (مجلة) دمشق (المركز العراقي للأعلام والدراسات) ع (٧ و ٨) س (٣) أيلول ١٩٩٨، ص ١٥٨، ١٥٣.
- (١٥) كاظم محمد علي شكر، المصدر السابق، و ٣٦.
- (١٦) جودت القزويني، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الأممية (دراسة في التطور السياسي والعلمي) (بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥)، ص ٢٦٧-٢٦٨.
- (١٧) المصدر نفسه، ص ٢٦٨.
- (١٨) صلاح الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية حقائق ووثائق (فصول من تجربة الحركة الإسلامية في العراق خلال ٤٠ عاما) (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية، د.ت)،

- ص٤٦؛ نفس المؤلف، الإمام محمد باقر الصدر في ذاكرة العراقيين (أضواء على تحرك المرجعية في النجف ١٩٥٨-١٩٩٢) (بغداد: مطبعة الوسام، ٢٠٠٤)، ص٥٩.
- (١٩) محمد تقى الحكيم، قيم ومبادئ وشخصيات، "النجف" (مجلة) النجف، ع(٤) س (٥) كانون الثاني ١٩٦٣، ص٣٧؛ محمد حسين الصغير، مقابلة معه، المصدر السابق.
- (٢٠) شاکر النابلسي، المصدر السابق، ص١١٤.
- (٢١) كاظم محمد علي شكر، مقابلة معه، النجف، بيته الشخصي، ٢١ نيسان ٢٠١٠.
- (٢٢) كاظم محمد علي شكر، تاريخ الحركة القومية العربية، و ٢١.
- (٢٣) شاکر النابلسي، المصدر السابق، ص١١٢-١١٣.
- (٢٤) حمد قابجي، ذكريات من ماضي النجف السياسي، و ٢٣.
- (٢٥) محمد مهدي الحكيم، التحرك الإسلامي في العراق (مذكرات) (قم: إعداد مركز شهداء آل الحكيم للدراسات التاريخية والسياسية، ١٩٨٨)، ص٢٨-٢٩.
- (٢٦) مقتبس من محمد التقي القمي، المدرسة بجانب المسجد، "النجف" (مجلة) ع(٤) س (٢) النجف، ٣ نيسان ١٩٥٨، ص٨.
- (٢٧) جبرا ابراهيم جبرا، وآخرون، محمد مهدي الجواهري (دراسات نقدية) (النجف: مطبعة النعمان، ١٩٦٩) ص٦٢-٦٣.
- (٢٨) محمد علي شكر، المصدر السابق، و ٥٥.
- (٢٩) علاء جاسم الحربي، رجال العراق الجمهوري (رؤيا صبحي عبد الحميد وآراء المعارضين) (بغداد: مطبعة جعفر العصامي، ٢٠٠٥)، ص٢٩.
- (٣٠) ملفات وزارة الداخلية العراقية في العهد الجمهوري، برقية من متصرف لواء كربلاء إلى وزارة الداخلية العراقية، الموضوع (هيئة تحقيق) ١٣ أيلول ١٩٥٨. (المكتبة الشخصية)
- (٣١) إسحاق نقاش، شيعة العراق، ترجمة عبد الإله النعيمي (قم: مطبعة أمير، ١٩٩٨)، ص١٨٥.
- (٣٢) سمير عبد الكريم، أضواء على الحركة الشيوعية في العراق ١٩٣٤-١٩٥٨، تقديم صلاح محمد، ج١ (بيروت، دار المرصاد، د.ت)، ج٢، ص١٢.
- (٣٣) محمد باقر الحكيم، نظرية العمل السياسي عند الشهيد محمد باقر الصدر، "المنهاج" (مجلة) المصدر السابق، ص٢٤٧.
- (٣٤) منذر الحكيم، قبسات من حياة وسيرة شهيد المحراب اية الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم (طهران: مطبعة خاتم، ٢٠٠٤)، ص١٩٣.

(٣٥) أكرم سليم، دراسة نقدية لتجربة الحركة الشيوعية في العراق، "دراسات عراقية" (مجلة) دمشق، ع(٧ و ٨) س (٣) ايلول ١٩٩٨، ص ٧٢؛ محمد الحسني الشيرازي، تلك الأيام (مذكرات) (بيروت: مؤسسة الوعي الإسلامي، ٢٠٠٠)، ص ١٦٠.

(٣٦) Chibli Mallat, Religious Militancy An Contemporary Iraq (Muhammad Baqer as_sadr and the sunni _shia , "THIRD WORLD" (QUATERLY) LONDON NOM[2]VOL[10]APRIL1988, p705..
(37) Keiko Saka ,o.p,cit,p39 .

(38) حيدر المرجاني، المصدر السابق، ص ١٩، ص ٣٨.

(39) برير العبادي، العنف السياسي، بين الاسلاميين والدولة الحديثة قراءة في أسباب الظاهرة، "الفكر الجديد" (مجلة) لندن، ع(٧) س (٢) تشرين الثاني ١٩٩٣، ص ١٠٨؛ حسن عاشور، رد على جهاد الزين (لم يكن حزب الدعوة العراقي طائفياً) (مقال منشور في صحيفة النهار البيروتية ١٤ تموز ١٩٩٩) "دراسات عراقية" (مجلة) دمشق، ع(١١) ١٩٩٩، ص ١٦٠.

(40) سامي العسكري، نظام الحكم في برنامج الحركة الإسلامية العراق نموذجاً، "الفكر الجديد" (مجلة) لندن، ع(٧) س (٢) تشرين الثاني ١٩٩٣، ص ٢٨٨.

(41) عبد الوهاب حميد رشيد، العراق المعاصر (دمشق: دار المدى الثقافية والنشر، ٢٠٠٢)، ص ٢٥٦.

(42) محسن العراقي، الصحوة الإسلامية المعاصرة أدوارها وروادها ودور جامعة النجف فيها، ج ١ (لندن: طبع المركز الإسلامي في المملكة المتحدة البريطانية، ٢٠٠٦)، ص ٣٣١؛ منصور الجمري، تعريف الديمقراطية والاتجاهات الإسلامية المعاصرة، "المعهد" (مجلة) لندن، ع(٢) س (١) كانون الثاني ٢٠٠٠، ص ٣٤.

(43) توفيق الشاوي، وآخرون، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي (الكويت: د.ط، ١٩٨٩) ص ٣٩ .

(44) ناصر البديري، المعركة بين الايمان والاحاد (النجف: مطبعة القضاء، ١٩٥٩) ص ١٧.

(45) مسعود عبد الحسين يورفرد، الفكر السياسي للسيد محمد باقر الصدر، ترجمة كمال السيد (طهران: دار الهدى، د.ت)، ص ٢٠.

(46) جاسم كاظم العزاوي، مذكرات العميد الركن المتقاعد جاسم كاظم العزاوي (بغداد: شركة المعرفة للنشر والتوزيع المحدودة، ١٩٩٠)، ص ٢٢٨.

(47) وليام بولك، لكي نفهم العراق، ترجمة حازم طالب مشتاق (بيروت: دار الفارس، ٢٠٠٦)، ص ١٤٩.

مصادر البحث

اولا: الوثائق والمخطوطات

- ملفات وزارة الداخلية العراقية في العهد الجمهوري، برقية من متصرف لواء كربلاء إلى وزارة الداخلية العراقية، الموضوع (هيئة تحقيق) ١٣ أيلول ١٩٥٨.
- حمد قابجي، ذكريات من ماضي النجف السياسي، مخطوط.
- كاظم محمد علي شكر، تاريخ الحركة القومية في النجف، مخطوط.

ثانيا: المراجع

١- الاجنبية

- Abbas Kelidar ، Iraq (The Search to Stability) (London (١) Published by the institute for the study of conflict 1975).

ب- العربية والمعرية

- أصغر علي محمد جعفر، الحياة السياسية للإمام الصدر، كتاب على شكل قرص ليزري مضغوط.
- احمد الحسيني، الامام الحكيم السيد محسن الطباطبائي (النجف ، مطبعة الآداب، ١٩٦٤).
- إسحاق نقاش ، شيعة العراق، ترجمة عبد الإله النعيمي (قم: مطبعة أمير، ١٩٩٨).
- توفيق الشاوي، وآخرون، الحركة الاسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي (الكويت: د.ط، ١٩٨٩).
- جواد كاظم المظيو، صوت الديمقراطية (النجف : مطبعة الغري، ١٩٥٩).
- جعفر يحيى الحبوبى، وسائل الركاع في اغراء الركاع (النجف : مطبعة كريم، ١٩٦٠).
- جمعية الرابطة الادبية ،لمحات من حياة الشيخ اليعقوبي عميد الرابطة الادبية في النجف (النجف :مطبعة النعمان، ١٩٦٥).

- جبرا ابراهيم جبرا ، وآخرون ، محمد مهدي الجواهري (دراسات نقدية) (النجف : مطبعة النعمان ، ١٩٦٩) .
- جاسم كاظم العزاوي ، مذكرات العميد الركن المتقاعد جاسم كاظم العزاوي (بغداد: شركة المعرفة للنشر والتوزيع المحدودة ، ١٩٩٠) .
- جودت القزويني ، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الأمامية (دراسة في التطور السياسي والعلمي) (بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٥) .
- حسن العلوي ، عبد الكريم قاسم رؤية بعد العشرين (قم: مكتبة الصدر ، د.ت.) .
- حسن السعيد ، نواظير الغرب (بيروت: مؤسسة الوحدة للدراسات والتوثيق ، ١٩٩٢) .
- حنا بطاطو ، العراق (الحزب الشيوعي) الكتاب الثاني ، ترجمة عفيف الرزاز (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٩٢) .
- جاسم الحلواني ، الحقيقة كما عشتها (بغداد: دار الرواد للطباعة والنشر ، ٢٠٠٦) .
- رياض حمزة شير علي ، نفاق الرفاق (النجف: مطبعة القضاء ، ١٩٥٩) .
- رشيد الخيون ، الأديان والمذاهب بالعراق ، ط٢ (قم: منشورات لسان الصدق ، ٢٠٠٥) .
- زكي خيري ، صدى السنين في ذاكرة شيوعي عراقي مخضرم (مذكرات) (ستوكهولم: د.ط ، ١٩٩٤) .
- سمير عبد الكريم ، أضواء على الحركة الشيوعية في العراق ١٩٣٤-١٩٥٨ ، تقديم صلاح محمد ، ج١ (بيروت ، دار المرصاد ، د.ت) ، ج٢ .
- شاکر النابلسي ، الفكر العربي في القرن العشرين ١٩٥٠-٢٠٠٠ ، ج ١ (بيروت: دار الفارس للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١) .
- صبري محمد حسن ، نحن والشيوعية (النجف : مطبعة القضاء ، ١٩٥٩) .
- صلاح الخرسان ، حزب الدعوة الإسلامية حقائق ووثائق (فصول من تجربة الحركة الإسلامية في العراق خلال ٤٠ عاما) (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، د.ت) .
- نفس المؤلف ، الإمام محمد باقر الصدر في ذاكرة العراقيين (أضواء على تحرك المرجعية في النجف ١٩٥٨-١٩٩٢) (بغداد: مطبعة الوسام ، ٢٠٠٤) .
- طاهر السيد حسن الخطيب ، حقائق عن الشيوعية (النجف ، مطبعة القضاء ، ١٩٥٩) .

- عادل رؤوف، الصدر بين دكتاتوريتين (دمشق: المركز العراقي للإعلام والدراسات، ٢٠٠١).
- عادل رؤوف، عراق بلا قيادة (قراءة في أزمة القيادة الإسلامية الشيعية في العراق الحديث) (دمشق: المركز العراقي للإعلام والدراسات، ٢٠٠٢).
- عبد الهادي الفضلي، هكذا قرأتهم (شخصيات علمية وأدبية راحلة من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الهجري) (بيروت: دار المرتضى، ٢٠٠٣).
- عبد الوهاب حميد رشيد، العراق المعاصر (دمشق: دار المدى الثقافية والنشر، ٢٠٠٢).
- علي الغروي، مع علماء النجف، مج ٢ (بيروت: دار الثقلين، ١٩٩٩).
- علاء جاسم الحربي، رجال العراق الجمهوري (رؤيا صبحي عبد الحميد وراء المعارضين) (بغداد: مطبعة جعفر العصامي، ٢٠٠٥).
- فهمي الشناوي، الفكر السياسي عند الشيعة (بيروت: مؤسسة الفكر الإسلامي للثقافة والإعلام، ١٩٩١).
- كاظم محمد الطباطبائي، الرفاق تحت المجهر، ج ١ (النجف، مطبعة القضاء، ١٩٥٩).
- كاظم الحلفي، الاسلام ونظرية الانتخاب الطبيعي (النجف: مطبعة القضاء، ١٩٦٠).
- لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، طه (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٦).
- محمد مهدي الحكيم، التحرك الإسلامي في العراق (مذكرات) (قم: إعداد مركز شهداء آل الحكيم للدراسات التاريخية والسياسية، ١٩٨٨).
- محمد الحسيني الشيرازي، تلك الأيام (مذكرات) (بيروت: مؤسسة الوعي الإسلامي، ٢٠٠٠).
- محسن العراقي، الصحوة الإسلامية المعاصرة أدوارها وروادها ودور جامعة النجف فيها، ج ١ (لندن: طبع المركز الإسلامي في المملكة المتحدة البريطانية، ٢٠٠٦).

- محمد باقر الصدر، اقتصادنا ، ط ٢ (قم : مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، ٢٠٠٥).
- محمد علي رضا الطبسي، الاسلام والمبدأ الشيوعي بين يديك (النجف: مطبعة النعمان ، ١٩٥٩).
- محمد باقر الحكيم، مرجعية الإمام الحكيم نظرة تحليلية شاملة (قم : مطبعة عترة، ٢٠٠٤).
- محمد باقر الحكيم ، جماعة العلماء (طهران: د.ط، ١٩٨٠) .
- محمد هادي الاميني، معجم رجال الفكر والادب في النجف خلال الف عام (ثلاث مجلدات) ط ٢ (بيروت: د.ط، ١٩٩٢)، مج ٣
- محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ط ٣ (قم: مطبعة الأمير، ١٩٩٤) .
- محمد هادي الاميني، الشيوعية عدوة الانسانية (النجف : مطبعة النعمان، ١٩٦٠) .
- محمد الموسوي النوري، الشيوعية تناقض الدين (النجف : مطبعة النعمان، ١٩٦٠) .
- محمد المهدي الحسيني الشيرازي، بين الإسلام ودارون (النجف : مطبعة الغري الحديثة، ١٩٦١) .
- محمد حسن آل ياسين، الإسلام بين الرجعية والتقدمية (النجف : مطبعة النعمان، ١٩٦١).
- محمد هادي الاميني، الشيوعية ثورة وتآمر على العقائد والانظمة الاجتماعية (النجف : مطبعة النعمان، ١٩٦٠) .
- منذر الحكيم، قبسات من حياة وسيرة شهيد المحراب اية الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم (طهران : مطبعة خاتم، ٢٠٠٤).
- مرتضى العسكري، شهيد العراق الصدر الأول، تحقيق الشيخ احمد عبد الله ابو زيد، شركة بيروت الدولية (قناة المنار الفضائية) ق.ل.م، ع(٤) ر(٤).
- ماجد النزازي، عبد صاحب دخیل وبدايات الحركة الاسلامية المعاصر (بيروت : دار الفرات ، ١٩٩٠)
- مصطفى جمال الدين ، الديوان، ط ٢ (قم : مطبعة ستاره، د.ت)

- مسعود عبد الحسين بورفرد، الفكر السياسي للسيد محمد باقر الصدر، ترجمة كمال السيد (طهران: دار الهدى، د.ت). .
- مؤسسة الدراسات الإسلامية، العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل (بيروت: مؤسسة الفكر الإسلامي ، ١٩٩٩).
- ناصر البديري، المعركة بين الايمان والاحاد (النجف : مطبعة القضاء، ١٩٥٩).
- وليام بولك، لكي نفهم العراق، ترجمة حازم طالب مشتاق (بيروت: دار الفارس، ٢٠٠٦).

ثالثا: الدوريات

١- الاجنبية

- Hanna Batatu ،Iraq's Undergroud Shi'a Movements (Characteristics ،causes and Prospects ،Middle East "Jornal" London،NOM(9) VOL(35) Autumn،1981.
- T.M. Aziz ،the Role of Muhammad Baqir Al-Sadr in Shi'I Political A Gtivism in Iraq From 1958 To 1980 ،Middle East Stud "Journal" U.S.A،NOM(25) 1993 .
- Chibli Mallat،Religious Militancy An Contemporary Iraq(Muhammad Baqer as_sadr and the sunni _shia ،"THIRD WORLD"(QUATERLY)LONDON NOM[2]VOL[10]APRIL1988.

ب- العربية

- أكرم سليم، دراسة نقدية لتجربة الحركة الشيوعية في العراق، "دراسات عراقية" (مجلة) دمشق، ع(٧ و ٨) س (٣) ايلول ١٩٩٨
- برير العبادي ، العنف السياسي ، بين الاسلاميين والدولة الحديثة قراءة في أسباب الظاهرة ، "الفكر الجديد" (مجلة) لندن، ع(٧) س (٢) تشرين الثاني ١٩٩٣.
- بيير جون لويزار، الحركة الدينية؛ الشيوعية (فصل من دراسة بعنوان (المسألة العراقية رؤية داخلية وخارجية) المنشور في مجلة العالم الاسلامي المتوسطي الفرنسي في ١٥ تموز ١٩٩٨)"دراسات عراقية" (مجلة) دمشق (المركز العراقي للأعلام والدراسات) ع (٧ و ٨) س (٣) أيلول ١٩٩٨.

- حسن عاشور، رد على جهاد الزين (لم يكن حزب الدعوة العراقي طائفيا) (مقال منشور في صحيفة النهار البيروتية ١٤ تموز ١٩٩٩) "دراسات عراقية" (مجلة) دمشق، ع(١١) ١٩٩٩.
- سامي العسكري، نظام الحكم في برنامج الحركة الإسلامية العراق نموذجا، "الفكر الجديد" (مجلة) لندن، ع(٧) س (٢) تشرين الثاني ١٩٩٣.
- عبد الهادي الفضلي، مع الدعوة المسلمين، "الاضواء" (مجلة) النجف، ع(١) س (١)، ٩ حزيران ١٩٦٠.
- فؤاد كاظم المقدادي، الشيعة والدولة القومية في العراق (تقويم عام ورد للشبهات) "صوت الإسلام" (مجلة) قم، ع(٢) س (١) ١٩٩٩.
- كاظم الحلفي، الارتداد عن الاسلام، "الاضواء" (مجلة) النجف، ع(١) ٩ حزيران ١٩٦٠.
- مجهول المؤلف، قرنل "مجلة" بغداد، ع(٧) س(١٠) ١٣ شباط ١٩٥٨.
- مجهول المؤلف، الافكار الوافدة، المعارف "مجلة" النجف، ع(٨)(٩) س(١) ١٩٥٩.
- في البيت قصة، المعارف "مجلة" النجف، ع(١) س(١) ١٩٥٨.
- محمد تقى الحكيم، قيم ومبادئ وشخصيات، "النجف" (مجلة) النجف، ع(٤) س (٥) كانون الثاني ١٩٦٣.
- محمد جمال الهاشمي، رسالة النجف، "آفاق نجفية" (مجلة) النجف، ع(٢) س(١) ٢٠٠٦.
- محمد حسن ال ياسين، الاسلام بين الرجعية والتقدمية، ع(٧) س (١) ٧ ايلول ١٩٦٠.
- محمد مهدي الأصفي، الاخلاق عند ماركس، "الاضواء" (مجلة) ع(٤) س (٢) ١٩٦١.
- محمد النقي القمي، المدرسة بجانب المسجد، "النجف" (مجلة) ع(٤) س (٢) النجف، ٣ نيسان ١٩٥٨.
- منصور أجمري، تعريف الديمقراطية والاتجاهات الإسلامية المعاصرة، "المعهد" (مجلة) لندن، ع(٢) س (١) كانون الثاني ٢٠٠٠.

- هادي فياض، العلماء الأعلام هم المراجع الأعلى كل ما يتعلق بالدين، "النجف" (مجلة) النجف ، ع(٢٠) س (٣) .

رابعاً: المقابلات

- حمد القابجي، مقابلة معه، النجف ، ٢٧ حزيران ٢٠١٤ في بيته الشخصي .
- كاظم محمد علي شكر، مقابلة معه، النجف ، بيته الشخصي ، ١٠ نيسان ٢٠١٠ .

خامساً : شبكة المعلومات الدولية الانترنت

- www.Islam.
- www.Wikipedia.org.

روبرت لانسينغ ونشاطه القانوني والفكري في
الولايات المتحدة الأميركية حتى عام ١٩١٤.

Robert Lansing, his legal and intellectual
activities in the United States of America until
1914.

أ.م.د. مأمون شاكر إسماعيل

الجامعة المستنصرية - كلية التربية - قسم التاريخ

E-Mail: dr.mamoon@uomustansiriyah.edu.iq

روبرت لانسينغ ونشاطه القانوني والفكري في الولايات المتحدة الأميركية حتى عام ١٩١٤.

أ.م.د. مأمون شاكر إسماعيل

مستخلص :

عُرف روبرت لانسينغ تاريخياً على أنه وزير الخارجية الأميركية في عهد الرئيس وودرو ويلسون بين عامي ١٩١٥ - ١٩٢٠ ، وهو المنصب الأبرز الذي تولاه في حياته الوظيفية. إلا أن عمله في السنوات التي سبقت ذلك التاريخ لم تكن أقل أهمية من منصب وزير الخارجية ، إذ إن تخصصه في مجال القانون فسح المجال أمامه للعمل كمستشار قانوني في العديد من اللجان الأميركية التي دافعت عن حقوق ومصالح الولايات المتحدة الأميركية في قضايا التحكيم الدولي ، وقد أهله خبرته التي إكتسبها في ذلك المجال الى المشاركة في تأسيس الجمعية الأميركية للقانون الدولي التي أصبح عضواً بارزاً فيها منذ عام ١٩٠٦ ، وكرس عضويته في الجمعية لإلقاء العديد من الخطب والكلمات التي عبّر فيها عن آراءه في النظام الفيدرالي للولايات المتحدة وتأثيره في سياستها الخارجية. ينتهي الإطار الزمني للبحث مع تولي روبرت لانسينغ منصب مستشار في وزارة الخارجية الأميركية عام ١٩١٤.

Abstract:

Robert Lansing was historically known as the US Secretary of State under President Woodrow Wilson from 1915 to 1920, the most prominent position he held in his career. However, his work in the years preceding that date was no less important than the position of Secretary of State, his specialization in the field of law allowed him to work as a legal advisor in many American committees that defended the rights and interests of the United States of America in international arbitration cases. His experience gained in that field qualified him to participate in the founding of the American Society of International Law, of which he became a prominent member since 1906. He dedicated his membership in the society to give many speeches, in which he expressed his views on the federal system of the United States and its impact on its foreign policy. The historical frame of the research ends when Robert Lansing taking up the post of advisor in the US State Department in 1914.

كلمات مفتاحية : روبرت لانسينغ - القانون الدولي - التحكيم الدولي.

المقدمة :

يُعد روبرت لانسينغ واحداً من الشخصيات السياسية الأميركية البارزة التي تولت منصباً مرموقاً في تاريخ الولايات المتحدة الأميركية ، ألا وهو منصب وزير الخارجية. وقد شاءت الظروف أن يدير الوزارة في مدة حرجة نظراً لتراجع العلاقات السلمية الدولية وبالتحديد في أوربا التي شهدت في ذلك الحين حرباً ضروساً بين دولها الكبرى. لقد وجدنا من خلال إطلاعنا على الكثير من المصادر أن تركيز أغلب المؤرخين الذين تتبّعوا حياة روبرت لانسينغ جاء منصباً على المدة المذكورة آنفاً ، أي مدة نشاطه السياسي مع إهتمام بسيط بما سبقها من نشاط قانوني وفكري أظهره في فترة حياته التي سبقت عام ١٩١٥ ، أي أن الكثير من المصادر أهملت الجانب الأطول زمنياً من حياته التي بنى فيها شخصيته وصنع لها صيتاً مرموقاً أوصله فيما بعد الى منصب مستشار في وزارة الخارجية ثم وزيراً لها. إذ وجدنا أن نشاطه القانوني لا يقل أهمية عن نشاطه السياسي ، وأن ما أنجزه في العمل القانوني فاق ما قدّمه في العمل السياسي ، وهذا ما لمسّه وأدركه أغلب الذين عاصروه ومنهم زملاؤه المقربون . لذا إرتأينا الخوض من خلال هذا البحث في حياة روبرت لانسينغ منذ نشأته ثم دراسته ودخوله مجال العمل القانوني الذي جعله شخصية بارزة في الأوساط القانونية الأميركية ومن ثم السياسية.

حاولنا من خلال صفحات البحث معرفة ما إذا كانت عائلته الممثلة بأسلافه من الأجداد ووالده ووالدته ذات تأثير على شخصيته وطموحه ، وهل مثّل ذلك الإرث المعنوي دافعاً له ليشق طريقه في الحياة لاسيما الدراسية ومن ثم العملية. وحاولنا أيضاً معرفة الفائدة الحقيقية التي جناها من زواجه بإبنة أحد كبار رجال القانون وواحد من الذين سبق لهم تولي منصب وزير الخارجية الأميركية. وفي المجلد أردنا إظهار مدى تعلقه بإختصاصه القانوني الذي فسح له المجال واسعاً لكي يعبر ويناقش وينتقد الكثير من جوانب السياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة ، ذلك المجال الذي لم يعد يجده كثيراً عندما أصبح وزيراً للخارجية ، إذ تراجع نشاطه الفكري في التأليف والكتابة نظراً لثقل المسؤولية التي أنيطت به وحساسية المرحلة التي خدم فيها بذلك المنصب.

لم تكن المصادر المتوفرة عن جزء من حياته الممتد حتى عام ١٩١٤ كثيرة أو وافية ، وربما تعاملت بعضها مع شخصية روبرت لانسينغ على أنها لا تعدوا عن كونها شخصية موظف قانوني مساعد ، لاسيما في قضايا التحكيم الدولي المتعددة التي ساهم فيها ، ومع ذلك تمكّنّا بعون الله تعالى من الاستفادة من المتوفر منها الى أقصى حد وفي حدود ما يخدم الموضوع ، فكانت هناك أطروحة الدكتوراه للمؤلف توماس هنري هارتغ T.H.Hartig المعنونة (روبرت لانسينغ سيرة ذاتية

تفسيرية) Robert Lansing An Interpretive Biography التي أفادتنا في المبحث الأول المتعلق بنشأته وعائلته ودراسته. وكان للوثائق دور مهم أيضاً لاسيما محاضر إجتماعات الجمعية الأمريكية للقانون الدولي Proceedings of The American Society of International Law التي أفادت البحث في إظهار دور لانسينغ في الجمعية المشار إليها ، ثم جاء نتاجه الفكري المتمثل في البحوث المشار الى عناوينها في المبحث الأخير والتي وضع فيها آراءه القانونية والفكرية في مواضيع عديدة تخص القانون والسياسة.

أخيراً ، ربما يكون البحث قد احتوى على بعض الهفوات غير المقصودة والتي تخضع لوجهات نظر القراء الكرام ، لكنه في النهاية جهد وضعنا فيه ما تعلمناه من أساتذتنا الموقرين جزاهم الله خيراً في الدنيا والآخرة. وعلى أي حال ، يعود الرأي في النهاية الى القارئ الكريم .. والله الموفق.

أولاً - نبذة عن روبرت لانسينغ ، نسبه وحياته المبكرة :

ولد روبرت لانسينغ Robert Lansing في السابع عشر من تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٨٦٤ في ووترتاون Watertown إحدى المدن الصغيرة شمال ولاية نيويورك. إنحدر والده من أصول هولندية وبالتحديد من مقاطعة أوفيرايسيل Overijssel الواقعة في النصف الشمالي لهولندا. هاجر جد عائلته الأكبر جيريت فريديركس Gerrit Frederickes لانسينغ الى نيويورك مصطحباً عائلته اليها عام ١٦٤٠ ، مستفيداً من وفرة مساحات الأراضي التي قدمت الى المهاجرين الوافدين على شكل منح إقطاعية والتي ساعد ريعها على توسع أبنائه وأحفاده في نشاطهم الاقتصادي ، إذ تنوع ذلك النشاط ليشمل شراء وبيع الأراضي وتجارة لحوم المواشي. ساهم ذلك الوضع المادي المريح في رفع شأنهم بين سكان مستعمرة نيويورك ، إذ مكّن البعض منهم من تولي وظائف ومسؤوليات إجتماعية بارزة منذ أواسط القرن الثامن عشر.^(١) عُرف عن عائلة لانسينغ بشكل عام دعمها للثورة الأمريكية ومساهماتها فيها بشكل أو بآخر ، إذ كان أحد أبنائها جاكوب Jacob لانسينغ عضواً في لجنة نيويورك للسلامة العامة في السنوات الأولى للثورة ، تلك اللجنة التي مارست نوعاً من السلطة القضائية والمراقبة الأمنية على بعض الجوانب الإدارية والإجتماعية في المدينة خلال أحداث الثورة^(٢) ، إضافة الى مساهمته في القتال ضد البريطانيين كضابط في الجيش القاري.^(٣)

ضمت العائلة التي ولد فيها روبرت كل من والده جون John لانسينغ الذي ولد عام ١٨٣٢ في نيويورك ، وعمل محامياً ومستشاراً قانونياً في أغلب سنين حياته التي إمتدت لخمس وسبعين

عاماً حتى توفي عام ١٩٠٧^(٤)، ووالدته ماريا لاي دوج Maria Lay Dodge وهي ابنة إدوين Edwin دوج (١٨٠١-١٨٧٧) الذي تولى وظائف عديدة منذ شبابه منها وكيلاً لأراضي عائلة جوفرنر موريس Gouverneur Morris في نيويورك وعضواً في المجلس التشريعي للولاية وقاضياً في نظام محاكمها^(٥)، لذا كان جده لوالدته بمثابة قدوة له منذ صغره بما حققه من مكانة وظيفية مرموقة إمتد تأثيرها عليه وعلى مستقبله فيما بعد. كان روبرت الابن الأكبر لوالديه ولكنه لم يكن الوحيد ، إذ كان هناك أخوه إدوين Edwin الذي عاش ثلاث سنوات فقط (١٨٦٧-١٨٧٠) ، وأخته إيما Emma (١٨٧٢-١٩٥٦) وأخته الأخرى كاثرين Katharin (١٨٧٥-١٩٣٣).^(٦)

تخرج روبرت من المدرسة الثانوية في ووترتون عام ١٨٨٢، وقدم للدراسة في السنة ذاتها^(٧) في كلية أيمرست Amherst College وهي كلية خاصة تأسست عام ١٨٢١ في مدينة أيمرست بولاية ماساتشوستس في الولايات المتحدة الأميركية^(٨) وكانت ذات منهج أساسي عُرف بـ (الفنون المتحررة) أو العلوم الإنسانية ، كانت موادها الدراسية تهدف الى تطوير المعرفة العامة لدى الطلبة وتنمية قدراتهم على التفكير لاسيما في العلوم الإنسانية كالفلسفة والأدب واللغات والفنون الجميلة والتاريخ وبعض العلوم الطبيعية لاسيما الفيزياء والرياضيات.^(٩)

كان مستوى روبرت لانسينغ الدراسي متذبذباً ، إذ وجد ضالته في بعض المواد التي كان يميل الى دراستها أكثر من غيرها ، فمثلاً كانت لديه رغبة كبيرة في دراسة الأدبين اليوناني واللاتيني فضلاً عن الأدب الإنكليزي ممثلاً بمؤلفات وليم شكسبير ، إلا أن هذا لا يعني أنه أخفق في دراسة أصناف العلوم الأخرى ، إذ إستطاع الإلمام باللغتين الفرنسية والألمانية ، وتلقى محاضرات عديدة على إمتداد السنوات الأربع في الفلسفة والأديان ولاسيما المسيحية ، فضلاً عن البراعة التي أظهرها في دراسته للعلوم الطبيعية ، أما الغريب في موضوع تحصيله الدراسي فكان صعوبة إجتيازه لمادة الاقتصاد السياسي التي كانت مقررة عليه في السنة الأخيرة من دراسته في الكلية المذكورة ، إذ أن تلك المادة الدراسية كانت من المؤشرات المبكرة التي توضح وتحدد ملامح المستقبل السياسي لمن كان يستطيع التفوق فيها ، فهي جزء مهم من المعارف المطلوبة التي تميز من كان لديه طموح سياسي مستقبلي من عدمه . لوحظ عليه من جانب آخر ، إهتمامه بمادة علم النفس التي كان لها أثر مهم في مستقبله كرجل قانون ، كما أفادته على الأمد البعيد في فهم شخصيات مرؤوسيه السياسيين ودوافعهم المتعددة في إتخاذ القرارات لاسيما عندما عمل مستشاراً في وزارة الخارجية الأميركية ومن ثم وزيراً للخارجية. وعلى العموم ، لم يُظهر روبرت لانسينغ في

السنوات الأربع من دراسته في الكلية نبوغاً علمياً لافتاً ، ونجح بدرجات وتحصيل متوسط . وفي الوقت نفسه ، لم تنه دراسته الأكاديمية عن قراءته وإطلاعاته الخاصة التي تمثلت بميله الى قراءة الكتب المتعلقة بالتاريخ وبالتحديد تاريخ ولايته نيويورك التي ولد ونشأ وترعرع فيها.^(١٠)

تخرج روبرت لانسينغ عام ١٨٨٦ ضمن الدفعة الخامسة والعشرين لكلية إيمرست التي أقامت عمادتها حقلاً تكريمياً لأولئك المتخرجين الذين كان روبرت من بينهم . ومما يشار إليه أيضاً ، أن حضوره لذلك الحفل لم يكن بأعتباره خريجاً فقط ، بل كمندوبٍ عن (الجمعية التاريخية لمقاطعة جيفرسون) التي كانت توثق المناسبات البارزة لبعض أبناء المقاطعة التابعة لولاية نيويورك بالتقارير والصور ، وهذا يعني أنه بدأ بممارسة عمل وظيفي بسيط قبل تخرجه من كلية إيمرست .^(١١)

أراد روبرت فيما يبدو السير على خطى والده بعد تخرجه من الكلية ، فوالده كان محامياً بارزاً ، وعضواً في نقابة المحامين في ووترتاون منذ عام ١٨٥٣ ، وشكل عام ١٨٥٥ مع زميله القاضي جورج شيرمان George Shirman (١٨٦٣ - ١٨٩٩) شركة للمحاماة والخدمات القانونية ، وإستمرت تلك الشراكة مع مَنْ خَلَفَ شيرمان بعد وفاته حتى عام ١٨٧٨ ، وبعدها آلت ملكية الشركة إليه.^(١٢) بدأ روبرت بعد تخرجه من الكلية بالحضور الى الشركة المذكورة في مدينة ووترتاون ، وكان الهدف من ذلك قراءة كتب القانون والتتلمذ على يد والده والإستفادة من خبرته القانونية. وأثمر نشاطه ذلك عن قبوله في نقابة المحامين في ووترتاون بعد أن اجتاز إختبار النقابة عام ١٨٨٩ ، الأمر الذي شجع والده على ضمّه الى شركته ليصبح شريكاً له فيها ، إذ أصبح الإسم الرسمي لتلك الشركة (لانسينغ و لانسينغ Lansing and Lansing Firm) نسبة الى الشريكين الأب جون لانسينغ والإبن روبرت لانسينغ ، وهو المنصب الذي بقي محافظاً عليه حتى وفاة والده عام ١٩٠٧.^(١٣)

يبدو أن مهنة المحاماة رغم أنها مثلت طموحاً سعى اليه روبرت لانسينغ بشكل واضح بعد تخرجه من الكلية ، إلا أنها لم تكن طموحاً كافياً أو نهاية المطاف في حياته المهنية ، لذا خطا خطوة ذكية في ذلك الشأن ، على الرغم من أنها بدت لأول وهلة ذات بعد إجتماعي صرف ، إذ تزوج عام ١٨٩٠ من أليينور فوستر Eleanor Foster البنت الكبرى للسياسي الأمريكي المعروف جون واتسون فوستر John W. Foster (١٨٦٣ - ١٩١٧) الذي تعددت مجالات نشاطه من العسكرية الى القانونية فالدبلوماسية والصحفية وقضايا التحكيم الدولية ، لكن يعتبر منصب وزير الخارجية الأمريكية الذي تولاه من شهر كانون الثاني (يناير) ١٨٩٢ حتى شهر شباط (فبراير) ١٨٩٣ أي خلال السنة الأخيرة من عهد الرئيس بنجامين هاريسون أهم ما ميز تاريخه السياسي ،

إذ كان لذلك الزواج دور مهم في تعرف روبرت بشكل أوسع على الأوساط السياسية التي كانت على صلة بوالد زوجته ، فضلاً عن التزكية والدعم المعنوي الذي حظي به منه والذي جعله محط أنظار تلك الأوساط التي أرادت في الوقت نفسه إختبار إمكانياته القانونية في القضايا السياسية.^(١٤)

ثانياً : نشاطاته في قضايا التحكيم الدولية :

برز إسم روبرت لانسينغ لأول مرة على صعيد السياسة الخارجية الأمريكية عن طريق قضايا التحكيم المستندة الى القانون الدولي والمتعلقة بالخلافات بين الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول المجاورة مثل كندا وغير المجاورة مثل بريطانيا حول قضايا الحدود والحقوق البحرية. ويعود الفضل في إختياره للعمل في تلك القضايا الى والد زوجته جون فوستر الذي تم تعيينه من قبل الإدارة الأمريكية عام ١٨٩١ كرئيس للجنة المكلفة بالدفاع عن حقوق الولايات المتحدة الأمريكية في التحكيم المتعلق بقضية (فقمة الفراء في بحر بيرنغ) ، ووفقاً لطلب فوستر وافقت وزارة الخارجية الأمريكية في شهر آذار (مارس) ١٨٩٢ على تعيين روبرت لانسينغ كعضو مستشار في اللجنة المذكورة.^(١٥)

برز موضوع صيد حيوان الفقمة البحرية المكسوة بالفراء بعد عام ١٨٦٧ عندما إشترت الولايات المتحدة الأمريكية إقليم الآسكا من روسيا ، بما فيها جزر بريبيلوف Pribilof Islands الواقعة في بحر بيرنغ الى الجنوب الغربي من الآسكا ^(١٦)، وهي الجزر التي تتكاثر عليها الفقمة المكسوة بالفراء ، والتي كان فراؤها يدر على صياديها أرباحاً وأموالاً كثيرة ، فيما كانت الحكومة الأمريكية تحصل على نسبة من تلك الأرباح ، علماً أن عمليات الصيد كانت تتم على أراضي تلك الجزر خلال أشهر التكاثر إبتداءً من شهر مايس (مايو) وإنتهاءً بشهر أيلول (سبتمبر) سنوياً. بدأت المشكلة بسبب وجود عمليات صيد أخرى في وسط بحر بيرنغ كان يقوم بها صيادو مقاطعة كولومبيا البريطانية الكندية ، مما أدى الى تناقص أعداد حيوان الفقمة التي تصل الى جزر بريبيلوف الأمريكية ^(١٧) ، لذا وجهت وزارة الخزانة الأمريكية في أواسط عام ١٨٨٦ الصيادين الأمريكيين الى الإستحواذ على سفن صيادي كولومبيا البريطانية الكنديين ومنعهم من ممارسة الصيد ، الأمر الذي كان يعني أن بحر بيرنغ أصبح بحراً مغلقاً وفقاً لرغبة الحكومة الأمريكية ، وأن عمليات الصيد فيه باتت حكرراً على الصيادين الأمريكيين ، على الأقل فيما يخص صيد حيوان الفقمة ، ورأى بعض السياسيين الأمريكيين أن بلادهم لم تكن تملك الحق القانوني في ذلك

التصرف ، ولم تنجح المفاوضات الدبلوماسية بين الجانبين لحل المشكلة ، لذا تم اللجوء الى التحكيم.^(١٨)

بدأ روبرت لانسينغ عمله في تلك اللجنة بإندفاع ملحوظ لغرض إثبات جدارته في مهمته الوظيفية الجديدة ، تمثلت تلك المهمة بالسفر الى بعض الدول لجمع الأدلة التي قد تدعم موقف الولايات المتحدة تجاه الموضوع مثار الخلاف مع بريطانيا وكندا ، والتي تفيد أيضاً لجنة الدفاع الأمريكية في مرافعاتها ونقاشها أمام محكمة التحكيم^(١٩) التي ضمت سبعة محكمين إثنيين من بريطانيا وإثنين من الولايات المتحدة الأمريكية وثلاثة آخرين موزعين على كل من إيطاليا والسويد وفرنسا وتقرر أن تُعقد جلساتها في باريس.^(٢٠) ويبدو أن ذلك العمل الذي قام به لانسينغ - على الرغم من أهميته - لم يكن يشكل مانعاً أمامه في الإستفادة من جوانبه الأخرى ، إذ كانت رحلات السفر بالنسبة له فرصة للإطلاع والتعرف على مناطق لم يكن حتى ذلك الحين قد بلغها أو سافر إليها مثل مقاطعة كولومبيا البريطانية في كندا ومدينتي باريس ولندن.^(٢١)

استمر عمل تلك اللجنة بين عامي ١٨٩٢ - ١٨٩٣ ، وبعدها أصدرت المحكمة المكلفة بالتحكيم قراراتها بعد أن إستمعت الى مرافعات ووجهات نظر اللجان البريطانية والكندية والأميركية . جاءت القرارات لتصب في صالح الولايات المتحدة ، إذ أيدت مطالب الجانب الأمريكي بمنع الصيادين الكنديين والبريطانيين من صيد حيوان الفقمة لاسيما في فترة تكاثره المشار إليها في مياه بحر بيرنغ حفاظاً على عدم تناقصه وإنقراضه ، الأمر الذي إعتبره الجانب الأمريكي إنتصاراً لموقفه وتأييداً لمطالبه ، بينما إعتبره الجانب الكندي - تحديداً - أنه منع وتهديد لمصالح الصيادين الكنديين على الأمدين القريب والبعيد. أما مسألة التعويضات التي طالب بها الجانب الأمريكي بسبب الصيد الجائر للصيادين الكنديين والبريطانيين لحيوان الفقمة في مياه بحر بيرنغ ، وتلك التي طالب بها الجانبان الكندي والبريطاني بسبب إستيلاء الأميركيين على سفن وقوارب الصيادين الكنديين والبريطانيين ، فقد رفضت المحكمة إصدار قرار بشأنها ، وطلبت من طرفي النزاع إجراء مفاوضات بينهما للتوصل الى حل بشأنها.^(٢٢) لقد بدا واضحاً بعد نهاية عمل اللجنة الأمريكية أن رئيسها جون فوستر والد زوجة روبرت لانسينغ كان راضياً عن أداء الأخير ، إذ إمتدحه في مذكرة رفعها عام ١٨٩٣ الى وزير الخارجية الأمريكية وولتر غريشام Walter Gresham (١٨٣٢-١٨٩٥) ، مشيراً الى أن لانسينغ ساهم بشكل فعال في جمع الأدلة التي دعمت موقف لجنة الدفاع الأمريكية أمام محكمة التحكيم الدولية ، ومبدياً رأيه بأن لانسينغ لن يتأخر عن تقديم المشورة لوزارة

الخارجية الأمريكية بشأن الموضوع الذي تم حسمه في المحكمة الدولية متى ما طلبت منه الوزارة ذلك.^(٢٣)

كان من الواضح أن الموضوع - حسب قرارات المحكمة في حينها - لم ينته عند ذلك الحد ، إذ كان لابد للطرفين المتنازعين وضع صيغة للتفاوض من أجل حسم مسألة التعويضات التي طالب البريطانيون بها ، وهو ما جرى بالفعل بعد ثلاث سنوات ، إذ توصل الأمريكيون والبريطانيون في الثامن من شباط عام ١٨٩٦ الى إتفاق لتشكيل لجنتين من المفوضين القانونيين واحدة بريطانية والأخرى أمريكية لغرض التفاوض والتوصل الى إتفاق حول القضايا العالقة بين البلدين ، وقد عرفت اللجنة الأمريكية بإسم لجنة مطالبات بحر بيرنغ أو المفوضية المتعلقة بمطالبات بحر بيرنغ ، وعُرف أعضاؤها بالمفوضين.^(٢٤) أختير روبرت لانسينغ من قبل وزارة الخارجية الأمريكية عضواً مفوضاً في اللجنة الأمريكية التي بدأت عملها حسب الاتفاق مع الجانب البريطاني في مبنى الجمعية التشريعية في مدينة فكتوريا بمقاطعة كولومبيا البريطانية الكندية في أواخر شهر تشرين الثاني عام ١٨٩٦ ، كانت الجلسات مشتركة بين الجانبين ، تم فيها تبادل الآراء والنقاشات ، وظهر دور روبرت لانسينغ من خلال المداخلات القانونية وإستجواب عدد من الشهود المتضررين لاسيما من مَلَّاك وصانعي السفن والقوارب الشراعية البريطانيين والكنديين^(٢٥) ، وتُظهر محاضر جلسات لجان المفوضين الكثير من المداخلات الكلامية لروبرت لانسينغ مع المفوضين البريطانيين والأسئلة الإستجوابية التي وجهها للشهود والتي ساهمت في تكوين تصور أكثر وضوحاً عن الأضرار التي وقعت على الجانبين البريطاني والكندي.^(٢٦) أُخْتُمَت أعمال اللجنتين المذكورتين بعد جلسات متعددة إستمرت بين عامي ١٨٩٦ - ١٨٩٧ ، وقد إقتنعت اللجنة الأمريكية بالمطالب البريطانية القائمة على أساس التعويض المالي ، وتم إبلاغ وزارة الخارجية الأمريكية بذلك. وإستناداً عليه ، أصدر الكونغرس الأمريكي قراراً وافق فيه على أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بدفع مبلغ قدره (٤٧٣,١٥١) أربعمائة وثلاث وسبعين ألفاً ومائة وواحداً وخمسين دولاراً أميركياً كتعويض عن الأضرار التي لحقت بمَلَّاك سفن الصيد البريطانية والكندية.^(٢٧)

كانت قضية حسم الخلاف الحدودي بين الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ولاسيما تحديد الحدود وترسيمها بين ألأسكا ومقاطعة كولومبيا البريطانية الكندية ، واحدة من القضايا المهمة التي إشتراك روبرت لانسينغ في جهود حلها. إذ كانت مسألة رسم حدود جنوب شرق ألأسكا قد شهدت مفاوضات بين الجانبين الأمريكي والبريطاني على إمتداد الثلاثين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر ، لكن تلك المفاوضات لم تثمر عن حل نهائي لأسباب عديدة. لقد شرح روبرت لانسينغ تلك

الأسباب في خطاب ألقاه في جمعية الجغرافيين الأميركيين بتاريخ التاسع عشر من كانون الثاني عام ١٩٠٤ ، أي بعد عام واحد من الاتفاق الأمريكي - البريطاني على حل مشكلة الحدود المشار إليها ، إذ أشار الى أن تلك المنطقة تتميز بكثرة الجزر ذات المساحات الصغيرة ، وكثرة الخلجان والقنوات المائية فيما بينها إضافة الى الأنهار الصغيرة والتشعبات المائية الكثيرة التي تتخلل أرض اليايسة الرئيسية التي تتجاوز أراضي ألأسكا في جنوبها الشرقي وتمتد داخل أراضي مقاطعة كولومبيا البريطانية الكندية إضافة الى تجمد الكثير منها لفترة طويلة أثناء فصل الشتاء ، وتلك الظروف المناخية والجغرافية زادت من التكاليف المتوقعة من عملية المسح الجغرافي فيما لو إتفق الجانبان البريطاني والأميركي على إجرائها. وبسبب كون شريط اليايسة الممتد من جنوب شرق ألأسكا منعزلاً الى حد بعيد عن كامل مساحة ألأسكا في الشمال ومجاوراً بشكل لصيق لغرب مقاطعة كولومبيا البريطانية ، فقد حاول البريطانيون إقناع الأميركيين بأنه جزء من أراضي المقاطعة المذكورة ، يضاف الى ذلك الأهمية المتزايدة لقناة لين Lynn Canal كممر مائي طبيعي صالح للملاحة والذي يمتد ليصل قريباً من أراضي المقاطعة الكندية.^(٢٨)

طالب البريطانيون والكنديون أن تحال مسألة الخلاف الحدودي مع الولايات المتحدة حول شريط الأراضي الممتد جنوب شرق ألأسكا الى محكمة دولية ، لكن الأميركيين رفضوا ذلك ، لأنهم كانوا على قناعة أن المحكمة الدولية سوف تحكم بتخلي الولايات المتحدة عن مواقع كانت قد إستثمرتها (تجاوزاً) داخل الأراضي الكندية ، وأنشأت عليها كثيراً من المصالح الاقتصادية وبنت بعض المدن التي أصبحت مأهولة بالسكان في مدة زمنية زادت على العشرين عاماً ، لذا إقترح الأميركيون أن يتم تشكيل لجنة مشتركة من المتخصصين بالقانون بشكل متساوٍ من الجانبين ، وتقوم بدراسة موضوع الخلاف ، وبعد إجراء النقاش والمشاورات بين أعضائها يتم إصدار القرار النهائي عن طريق التصويت ، ويُعتمد القرار عن طريق أكثرية الأصوات المؤيدة له ، أي أن الأكثرية في الأصوات كانت تتطلب أن يصوت أحد الأعضاء بالضد من مطالب حكومة بلاده لكون اللجنة مكونة من عدد متساوٍ من الجانبين ، وهو الأمر الذي تحقق فعلاً في نهاية المطاف.^(٢٩)

أشارت وثائق العلاقات الخارجية للولايات المتحدة أن روبرت لانسينغ عُين كقائم بأعمال مفوض ، أي أنه لم يكن مفوضاً رئيسياً في لجنة الدفاع عن حقوق الولايات المتحدة الأمريكية في موضوع الخلاف الحدودي المشار إليه^(٣٠) ، بينما أشارت أكثرية المصادر الأخرى الى أنه كان مستشاراً قانونياً في اللجنة المذكورة^(٣١) ، وهذه المعلومة لا تتعارض كثيراً مع سابقتها من أن

لانسينغ لم يكن مفوضاً كامل الصلاحيات أو مخولاً بالمشاركة في إصدار قرارات حاسمة ، بل مساعداً لوجستياً ردد اللجنة بالمشورة القانونية وساهم في تهيئة الوثائق والأدلة التي ساعدتها في أداء عملها.

أوضح روبرت لانسينغ رأيه في أسلوب ونظام التحكيم في ذلك الخلاف من خلال المحاضرات التي أشرنا الى واحدة منها في فقرة سابقة ، ومن خلال ما كتبه في أوراق شخصية عديدة عرفت بـ (أوراق لانسينغ) والتي تُعد وثائق شخصية طُبِع بعضها بالآلة الطابعة والبعض الآخر منها بقي بخط يده وأكثرها لم يظهر للعلن إلا بعد وفاته بعشرات السنين ، تطرق في مجموعة من تلك الأوراق الى موضوع الخلاف مع بريطانيا حول حدود ألآسكا^(٣٢) ، وأشار الى أن الهيئتين القانونيتين الأمريكيتين والبريطانية لم تكونا تمثلان محكمة رسمية ، بل كانتا عبارة عن لجنة عليا مشتركة من الجانبين ، أنيطت بهما مهام البحث في القضية وتهيئتها قانونياً ودعمتا بصلاحيات قضائية ، وتم الاتفاق على أن تختار كل حكومة ثلاثة قضاة مشهود لهم بالرصانة القانونية والحيادية في إتخاذ القرارات وإصدار الأحكام. ومن خلال حضوره لجلسات اللجنة التي بدأت في الثالث من أيلول عام ١٩٠٣ في لندن ، كتب لانسينغ في أوراقه نقداً لأسلوب عمل المفوضين الأمريكيين^(٣٣) ممتدحاً البعض منهم ومعتزلاً على البعض الآخر بناءً على مرافعاتهم ومداخلاتهم مع نظرائهم البريطانيين.^(٣٤) وجه لانسينغ أكثر نقده لهنري كابوت لوج الذي إعتبره أقل المفوضين تعبيراً عن الحيادية التي إتفق الجانبان الأمريكي والبريطاني في وقت سبق بدء أعمال اللجنتين على ضرورة توفرها في المفوض الذي كان لابد أن يظهر على درجة عالية من الحيادية ، من أجل ضمان نزاهة القرار والحكم الذي سوف يصدر عن اللجنتين ، وعلى الرغم من أن لانسينغ لم يطعن في الخلفية القانونية للمفوض (لوج) كونه من حيث الأساس أحد خريجي جامعة هارفارد في تخصص القانون ، إلا إنه لم يعمل في تخصصه ولم يكن معروفاً بأنه من رجال القانون المرموقين لدى الأوساط القانونية والسياسية الأمريكية ، وهذا ما جعله - من وجهة نظر لانسينغ - عرضة للنقد من قبل كبار رجال القانون الأمريكيين ومعهم البريطانيين والكنديين ، ولم يُخَفِ أن ذلك النقد قد طال من إختياره لعضوية اللجنة إلا وهو الرئيس ثيودور روزفلت ، لكن لانسينغ برر موقف الرئيس بأنه عرض تلك المهمة على بعض قضاة المحكمة العليا في الولايات المتحدة قبل إختياره للمفوضين المذكورين ، لكن أولئك القضاة إعتذروا لإنشغالهم بالعديد من القضايا والمهام القانونية الأخرى.^(٣٥)

صدر الحكم بعد إجتماعات اللجنتين المشتركتين لمدة ثمانية عشر يوماً ، وإنصب تركيز لانسينغ فيما دونه في أوراقه الخاصة على أحقية الولايات المتحدة في الحصول على ذلك الحكم الذي أبقى الوضع على ما كان عليه في الأراضي الكندية التي إستغلتها الولايات المتحدة إقتصادياً ، إذ تم ضمها بشكل نهائي إليها مقابل تعويض مادي يدفعه الأميركيون للكنديين. رأى لانسينغ ذلك الحكم بأنه كان عادلاً ومتوافقاً مع مصالح الولايات المتحدة ، وانتقد في الوقت نفسه إعتراض مفوضي الجانب الكندي على ذلك الحكم الذي إعتبروه مجاملاً ومنحازاً للحكومة الأميركية ، ومتاغماً مع تطور العلاقات الأميركية - البريطانية ومجافياً للمصالح الكندية ، وقد جاء ذلك الإعتراض في بيان نُشر في الصحافة البريطانية أدلى به أعضاء الجانب الكندي في اللجنة المشتركة التي جمعتهم مع البريطانيين في الإجتماعات التي جرت في لندن ، إذ أشار العضوان الكنديان^(٣٦) الى أن المفوض البريطاني اللورد ألفيرستون كان ميالاً ومجاملاً للأميركيين في تصويته لصالحهم مما حسم القضية لهم ، ويبدو من خلال النقد الذي وجهه لانسينغ للمفوضين الكنديين بأنه كان بعيداً عن المشاورات السياسية والدبلوماسية التي أجراها الأميركيون ، سواء التي تمت عن طريق دبلوماسيهم في لندن مع وزارة الخارجية البريطانية أو التي أجراها المفوضون الأميركيون الثلاثة الذين عملوا في اللجنة العليا المشتركة مع نظيرهم البريطاني اللورد ألفيرستون وبمعزل عن العضوين الآخرين اللذين مثلاً الجانب الكندي ، إذ أن عدم تطرق لانسينغ الى تلك المشاورات لا يعني بأنها لم تحدث ، أو لم يكن لها تأثير على اللورد ألفيرستون الذي حاول جهد إمكانه التوفيق بين المطالب الأميركية والكندية^(٣٧) على الرغم من أنه كان مقتنعاً بالطروحات القانونية الأميركية.^(٣٨)

عاد لانسينغ الى نيويورك في الحادي والثلاثين من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٣ بعد أن أمضى قرابة الشهرين في لندن.^(٣٩) كانت تجربة عمله في موضوع التحكيم المتعلق بالحدود الأميركية - الكندية في ألأسكا بمثابة إضافة مهمة الى خبرته القانونية في موضوع الخلافات الدولية ، إذ عبّر من خلال مدوناته في أوراقه الخاصة عن قناعاته كرجل قانون ، وإستطاع أن يميز بين الجوانب السلبية والإيجابية في مرافعات المفوضين الأميركيين والبريطانيين والكنديين ، بعد أن تابع وإستمع الى طروحات كل واحد منهم ، مقتنعاً الأثر الذي تركته تلك الطروحات والحجج على قناعات الجانب الآخر والتي أدت في النهاية الى بلوغ النتيجة المرجوة التي تطلعت لها الأوساط السياسية في واشنطن.

ثالثاً : دوره في الجمعية الأمريكية للقانون الدولي :

يُعد روبرت لانسينغ أحد أبرز مؤسسي الجمعية الأمريكية للقانون الدولي ، ومن الذين كان لهم فيها دور ونشاط واضح حتى وفاته عام ١٩٢٨ ، إذ يمكننا للوهلة الأولى تخيل ذلك الدور من خلال آراء زملائه في الجمعية الذين ميزوا بين مرحلتين زمنيتين من عمر تلك الجمعية ومنهم زميله جيمس براون سكوت James B. Scott^(٤٠)، الذي أشار الى أنهم لمسوا بأن روح النشاط والعمل الدؤوب فيها بوجود لانسينغ إختلف عما أصبح عليه بعد وفاته.^(٤١)

كانت فكرة إنشاء جمعية أو منظمة أميركية للقانون الدولي تراود العديد من رجال القانون الأميركيين الذين سبق لهم العمل في مجال التحكيم الدولي ممثلين عن بلدهم الولايات المتحدة الأمريكية ، أو أولئك الذين عملوا كمستشارين قانونيين للبعثات الدبلوماسية الأجنبية في واشنطن^(٤٢) ، و روبرت لانسينغ ممن عملوا في المجالين المذكورين. ويبدو أن إزدياد قضايا التحكيم الدولي في السنوات الأخيرة التي سبقت عام ١٩٠٦ ولاسيما تلك التي كانت الولايات المتحدة طرفاً فيها مع الأهمية التي بدأ التحكيم الدولي يشكلها ، قد دفعت العديد من رجال القانون الى التفكير ملياً في تأسيس ذلك التجمع الذي يمكن له أن يقوم بدور مهم في رفد رجال القانون الأميركيين وغير الأميركيين بالإستشارات اللازمة من الذين سبقوهم في ذلك المجال.

جاءت الفرصة المناسبة لطرح تلك الفكرة عام ١٩٠٥ على هامش إجتماعات مؤتمر موهونك السنوي للتحكيم الدولي^(٤٣) ، إذ كان لانسينغ وزميله جيمس براون سكوت من الذين حضروا جلسات ذلك المؤتمر ، وناقشوا مع الحاضرين إمكانية تشكيل جمعية أميركية تعنى بشؤون القانون الدولي ، وقد لمسوا دعماً من البروفيسور جورج واشنطن كيرتشوي George W. Kirchwey (١٨٥٥ - ١٩٤٢) أحد كبار أساتذة القانون في جامعة كولومبيا لإنشاء الجمعية مع إصدار مجلة متخصصة لنشر كل ما يتعلق بها وبمواضيع القانون الدولي^(٤٤) ، وبالفعل حضي ذلك المقترح بموافقة جميع الأوساط القانونية الأميركية التي حضرت المؤتمر، ووفقاً لإقتراح لانسينغ تم الاتفاق على إختيار سبعة من رجال القانون الأميركيين للنظر في كيفية تشكيل الجمعية وكان لانسينغ واحداً منهم ، بينما أختير رجل القانون والدبلوماسي الأميركي أوسكار شتراوس Oscar S. Straus^(٤٥) ليكون رئيساً لهم ، وفي نهاية جلسات المؤتمر قدمت اللجنة توصياتها بتشكيل الجمعية وتمت الموافقة عليها من قبل كبار رجال القانون الأميركيين.^(٤٦) إجتمعت اللجنة في شهر كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٦ بحضور مجموعة من كبار رجال القانون الأميركيين في نقابة المحامين في نيويورك ، وتم في الاجتماع إنتخاب المجلس التنفيذي

للجمعية ، وانتخب روبرت لانسينغ عضواً في ذلك المجلس ، كما تقرر إصدار مجلة ناطقة باسم الجمعية ومهتمة بشؤون قضايا التحكيم الدولي ، وأختير لانسينغ أيضاً عضواً في هيئة تحريرها وإستمر في تلك العضوية حتى بعد تعيينه وزيراً للخارجية عام ١٩١٥^(٤٧) ، إذ ساهم على مدى سنوات في كتابة الكثير من المقالات والتعليقات والملخصات للعديد من الكتب المختصة بالقانون الدولي ، وكان حضوره دائماً للإجتماعات السنوية التي أقامتها الجمعية ومواظباً على طرح الأفكار والنقاش مع أعضائها الآخرين^(٤٨). وخلال عمله في الجمعية ، إستطاع أن يؤسس الكثير من العلاقات المهنية والشخصية مع زملاءه من المحامين والقضاة وأساتذة القانون الذين وصفهم بأنهم كانوا أشبه بالعائلة التي حضي كل فرد فيها بالإحترام والتقدير^(٤٩).

أ- خطابه في اجتماع الجمعية عام ١٩٠٨ :

لم تشهد دورة الإنعقاد الأولى للجمعية الأميركية للقانون الدولي عام ١٩٠٧ مداخلات مهمة من روبرت لانسينغ في إجتماعاتها بقدر إهتمامه بالأمر التنظيمية التي وفرت وضمنت لها النجاح في أول لقاء وإجتماع سنوي لأعضائها. إلا أن دور روبرت لانسينغ برز واضحاً في دورة الإنعقاد الثانية عام ١٩٠٨ ، إذ ألقى خطاباً مطولاً تطرق فيه الى مواضيع عديدة ومتشعبة خست الولايات المتحدة الأميركية ، ونشر ذلك الخطاب في مجلة الجمعية وأخذ حيز ثمانية عشر صفحة^(٥٠). تطرق لانسينغ في خطابه الى عدم التنسيق في إتخاذ القرارات وتنفيذها بين الولايات والحكومة الفيدرالية في واشنطن ، وأعاد الى أذهان الحاضرين في الاجتماع ما حصل عام ١٩٠٦ في ولاية كاليفورنيا وبالتحديد مدينة سان فرانسيسكو عندما بدأت سلطات تلك المدينة بتنفيذ قرارها الذي قضى بعزل طلبة المدارس ذوي الأصول الآسيوية عن مدارسهم التي كانوا يدرسون فيها وإلحاقهم بمدارس أخرى منفصلة ، أي عزلهم عن زملائهم من الطلبة الأميركيين^(٥١). وأشار لانسينغ أن ذلك الإجراء سبب إخراجاً للحكومة الأميركية في واشنطن، وفتح باباً للشكوى والجدال الدبلوماسي والقانوني مع الحكومة اليابانية الممتنعة من ذلك الإجراء. ولم تنته الأمور عند ذلك الحد ، بل رأى أن هناك من حاول من العنصريين والمتطرفين الأميركيين دفع الأمور نحو الحرب مع اليابان من خلال تصريحاتهم المعادية في الصحافة الأميركية ضد ذلك البلد. ورأى أيضاً أن ذلك الحدث دفع رجال السياسة والقانون في الولايات المتحدة الى التفكير ملياً في النتائج المترتبة عليه إذا ما تكررت أو تشابهت الإجراءات في ولايات أخرى ، إذ أن ذلك الحدث قد أعاد النقاش حول حدود صلاحيات حكومات الولايات التي كان من المفترض أن لا تتقاطع مع صلاحيات الحكومة الفيدرالية في واشنطن أو تتجاوزها لاسيما التعهدات التي قطعتها بموجب المعاهدات

الدولية التي أبرمتها. وأشار الى أن حادثة سان فرانسيسكو عام ١٩٠٦ أعادت طرح سؤال يتعلق بنوعية الإلتزام الذي أخذته الولايات المتحدة على عاتقها حسب مبادئ القانون الدولي لحماية حقوق الرعايا الأجانب المقيمين على أراضيها ، وما هي صلاحيات الحكومة الفيدرالية بموجب الدستور لكي تقي بذلك الإلتزام. وقد أجاب لانسينغ بنفسه على ذلك التساؤل عندما أشار الى أن الحكومة تمثل السيادة وتمتلك صلاحيات كاملة للوفاء بتلك الإلتزامات ، وأكد أن تقاعس الحكومة الفيدرالية عن الإيفاء بتلك الإلتزامات لا يجد أي ذريعة أو سبب لتبريره ، وهو أمر أساء الى وزارة الخارجية الأميركية وقلل من مصداقيتها في العلاقات الدولية.^(٥٢)

وضع لانسينغ في سياق خطابه مقارنة بين حقوق الرعايا الأجانب داخل الولايات المتحدة الأميركية وحقوق الرعايا الأميركيين في الدول الأخرى ، وكان أساس تلك المقارنة يقوم على تساؤل مفاده كيف يمكن للحكومة الأميركية أن تطالب الحكومات المركزية في الدول الأخرى أن تحافظ على حقوق الرعايا الأميركيين وسلامتهم بينما تتقاعس هي عن حماية حقوق الرعايا الأجانب في الولايات المتحدة بحجة أن ذلك جزء من مسؤولية حكومات الولايات التي تملك صلاحيات واسعة لإدارة ولاياتها. وحاول لانسينغ أن يدعم رأيه الذي وضع فيه المسؤولية على الحكومة الفيدرالية في واشنطن بما صرح به كبير الموظفين القانونيين السابق في وزارة الخارجية الأميركية فرانسيس وورتن Francis Wharton (١٨٢٠ - ١٨٨٩) من أن حكومات الدول الأجنبية مسؤولة عن الأضرار التي تسببها بقصد أو بدون قصد لرعايا الولايات المتحدة الأميركية ، إضافة الى ما أشار اليه وزير الخارجية الأميركية السابق هاميلتون فش Hamilton Fish ^(٥٣) بأن قاعدة قانون الأمم أشارت الى أن الحكومة التي ترفض إصلاح الضرر الذي ألحقه مواطنوها أو رعاياها برعايا دولة أخرى وممتلكاتهم ، أو معاقبة الأطراف المذنبة أو تسليمهم ، يمكن إعتبارها مشاركة فعلياً في الضرر ومسؤولة عنه.^(٥٤)

وتماشياً مع ذلك ، أراد لانسينغ تذكير الحاضرين بأن الولايات المتحدة قد سبق لها أن مرت بتجربة مماثلة حدثت لرعاياها على أراضي الدولة العثمانية ، وذلك حينما خرب عدد من مواطني تلك الدولة عام ١٨٩٤ بعض المدارس التابعة للإرساليات التبشيرية الأميركية في مدينة خربوط Harpoot وسط الأناضول ومدينة مرعش Marash جنوبها ، على أثر المشاكل التي نشبت بين السلطات العثمانية والمسيحيين الأرمن في تلك المدينتين ومدن أخرى^(٥٥)، فكان رد الولايات المتحدة بأن قدم وزيرها المفوض في القسطنطينية طلباً بالتعويض لأن رجال الأمن العثمانيين تواطؤوا مع المتجاوزين إن لم يكونوا قد ساندوهم. وأشار لانسينغ أن الولايات المتحدة تمسكت

بمطالبها ومارست الضغوط على الجانب العثماني حتى وافقت الحكومة العثمانية عام ١٩٠٠ على الالتزام بدفع مبلغ لتسوية المطالب الأميركية. لقد أراد لانسينغ من خلال تطرقه لتلك الواقعة التاريخية أن يؤكد بأن الحكومة الفيدرالية الأميركية مسؤولة عن رفع الظلم وإعادة الحقوق للمتضررين من الرعايا اليابانيين من جراء ما لحق بهم من ضرر تسببت به حكومة ولاية كاليفورنيا وبالتحديد السلطات الحكومية في مدينة سان فرانسيسكو ، كما كانت السلطات العثمانية مسؤولة عام ١٨٩٤ عما لحق بالمتلكات الأميركية من ضرر على أراضي الدولة العثمانية.^(٥٦)

يبدو أن إهتمام لانسينغ بمواضيع السياسة الخارجية الأميركية المستندة على مبادئ القانون الدولي كان إهتماماً واسعاً ، عبّر عنه فيما أورده من أمثلة وأدلة في خطابه المشار اليه ، لذا توسع في التطرق الى تلك الأمثلة ومنها أيضاً ما حدث عام ١٨٩٤ داخل أراضي الدولة العثمانية ، إذ شهدت تلك السنة حادث مقتل المواطن الأميركي فرانك لينز Frank Lenz^(٥٧)، وأشار لانسينغ الى أن التحقيقات التي أجراها بعض أصدقاء لينز أثبتت أنه قتل هناك بدافع السرقة ، وعلى الرغم من إهتمام السلطات العثمانية في حينها بالموضوع ، إلا أن المحكمة حكمت على الجناة أحكاماً مخففة ، إضافة الى أنهم تمكنوا بعد زمن قصير من الهرب من سجنهم ، ولم تتوانى وزارة الخارجية الأميركية عن تقديم شكوى للسلطات العثمانية فحواها عدم تطبيق العدالة في محاكمة المجرمين والتساهل معهم ، وإستطرد لانسينغ أن السلطات العثمانية أجابت بأن المواطن الأميركي المقتول كان يتجول في منطقة بعيدة والكثير من سكانها خارجين عن القانون ، لذا فإن الحكومة العثمانية تتصلت من مسؤولية ما جرى لذلك المواطن الأميركي ، إلا أن وزير الخارجية الأميركية جون ميلتون هاي John M. Hay^(٥٨) وبعد مضي أربع سنوات على الحادث ، تمسك بمطالب بلاده عندما أشار الى أن القتلة لم تتم معاقبتهم وفقاً لجريمتهم ، إذ أن المحكمة العثمانية إعتبرت أنها كانت جريمة غير متعمدة ، إضافة الى إهمال أجهزتها الأمنية التي مكنت الجناة من الهرب ، ونتيجة للضغوط التي مارستها الولايات المتحدة ، وافقت الحكومة العثمانية عام ١٩٠٠ على دفع تعويض مجزٍ لعائلة القتيل الأميركي.^(٥٩)

لم يكتف روبرت لانسينغ في شرحه للموضوع المتعلق بحقوق الرعايا الأجانب في الولايات المتحدة بما جرى في سان فرانسيسكو عام ١٩٠٦ ، بل تعمق أكثر في التاريخ ليتطرق الى حادثتين ، الأولى حصلت في ولاية نيو مكسيكو عام ١٨٧٨ والثانية في ولاية كولورادو عام ١٨٨٠. ففي الأولى شهدت مدينة سانتا في Santa Fe في ولاية نيو مكسيكو عام ١٨٧٨ مقتل رجل الأعمال البريطاني جون هنري تونستول John H. Tunstall^(٦٠) بعد تنافس مالي وصراع

على النفوذ داخل المدينة مع منافسيه الأميركيين ذوي الأصول الأيرلندية ، إذ تطور ذلك الصراع ليصبح أشبه بحرب عصابات بين الطرفين. طالب الجانب البريطاني على إثر ذلك الحادث بتعويض يقدم من قبل الحكومة الأميركية لعائلة القتيل البريطاني ، لاسيما بعد ما ثبت تورط جهات رسمية في نيو مكسيكو بتلك الجريمة ، إلا أن وزير الخارجية الأميركية وليم ماكسويل إيفارتس William M. Evarts^(٦١) رفض الطلب البريطاني ، معللاً ذلك بأن القوانين في الولايات والأقاليم الأميركية المتعلقة بالجرائم التي كانت تحصل فيها يتم تطبيقها وتنفيذها من قبل المحاكم المحلية فيها دون تدخل من الحكومة الفيدرالية في واشنطن.^(٦٢) واستطرد لانسينغ أنه بعد ذلك الحادث بسنتين أي عام ١٨٨٠ ، هاجمت مجموعة من سكان مدينة دنفر بولاية كولورادو المقيمين الصينيين في تلك المدينة ، مما أسفر عن مقتل شخص وإصابة عدد آخر من أولئك المقيمين مع تدمير واسع للعديد من ممتلكاتهم.^(٦٣) وعلى إثرها طالب الوزير الصيني المفوض في واشنطن أن تقوم الحكومة الأميركية بحماية المقيمين الصينيين في مدينة دنفر وتعويضهم عما لحق بهم من خسائر وتعاقب من قام بمهاجمتهم. إلا أن رد وزير الخارجية الأميركية إيفارتس جاء مشابهاً لردّه السابق قبل سنتين، إذ أشار الى إن إمكانية تدخل الحكومة الفيدرالية محدودة بموجب دستور الولايات المتحدة ، إذ أنها لا تستطيع أن تتدخل فيما يتعلق بإدارة أو تنفيذ القوانين الداخلية في إحدى ولايات الاتحاد إلا وفقاً للشروط المنصوص عليها في الدستور ، والتدخل لا يتم إلا في الولاية التي لا تملك أدوات كافية لإنفاذ قوانينها المحلية والحفاظ على سلطتها السيادية؛ وحتى في تلك الحالة لا يمكن تفعيل السلطة الفيدرالية إلا في ولاية محددة دون غيرها ، تكون عبر استجابة لطلب رسمي من السلطة السياسية المختصة فيها. لذا ، وحسب تعبير الوزير إيفارتس ، فإن اعتقال ومعاينة الأطراف المذنبة مسألة تخص حكومة وسلطات ولاية كولورادو حصرياً.^(٦٤) اختتم روبرت لانسينغ خطابه برأي واضح إقنع به من خلال تطرقه لتلك الأحداث مفاده أن (سياسة الأنانية الوطنية) أصبحت قديمة في محتواها، ولا بد أن تتلائم مع تلك الأفكار التي تتفق مع المفهوم الحديث للأخلاق الدولية ، فحسب رأيه إن العدالة والمصلحة تتطلبان من الولايات المتحدة أن تتخلى عن سياسة غير متسقة وغير معقولة، وأن تعترف تماماً بمسؤوليتها عن الحماية اللائقة للأجانب داخل حدودها، وأن تضع موضع التنفيذ القوات اللازمة لإجبار الموظفين العموميين والحكومات المحلية، فضلاً عن الأفراد، على احترام الحقوق التي منحتها الحكومة الفيدرالية بموجب معاهداتها لرعايا ومواطني الدول الأجنبية، والحقوق المعترف بها لهم بموجب القواعد المقبولة للقانون الدولي. وأشار الى أنه عندما يتحقق ذلك، ستكون الولايات المتحدة خالية من سياسة

تسببت في الكثير من الحيرة والحرص لحكوماتها في الماضي، وهي غير منسجمة مع الممارسة الحديثة للدول المتحضرة.^(٦٥)

يظهر من خلال الأمثلة التي تحدث عنها لانسينغ في خطابه أنه كان حريصاً على أن لا تقع الولايات المتحدة في فخ تطبيق سياسة الكيل بمكيالين ، فمن جهة تطالب بتعويضات عن الأضرار التي لحقت بمواطنيها أو ممتلكاتهم ، ومن جهة ثانية تقف مكتوفة الأيدي أمام أضرار مماثلة لحقت برعايا دول صديقة كانوا يقيمون على أراضيها ، والسبب الذي أشار اليه لانسينغ هو الصلاحيات التي كانت تملكها الولايات فيما يتعلق بأدارة شؤونها الداخلية ، بينما تجاوزت تأثيرات تلك الصلاحيات الشؤون الداخلية لتمس علاقات الولايات المتحدة الأميركية الخارجية.

ب- مداخلته في الاجتماع السنوي للجمعية عام ١٩١٠ :

شهدت الاجتماعات السنوية للجمعية الأميركية للقانون الدولي إلقاء خطابات وكلمات مطولة من قبل أعضائها ، طرحت فيها قضايا عديدة خصّت الأبعاد القانونية لسياسة الولايات المتحدة الأميركية الخارجية ، وكان الهدف من تلك الخطابات إبداء الرأي من قبل الأعضاء بما يجب أن تقوم به الولايات المتحدة من أجل الحفاظ على مصالحها بما يتناسب مع القانون الدولي. ففي الاجتماع السنوي الرابع الذي عقد في أواخر شهر نيسان عام ١٩١٠ ، ألقى المحامي كليمنت لينكولن بوفيه Clement L. Bouve (١٨٧٨ - ١٩٤٤) خطاباً مطولاً ركز فيه على إمكانية تدخل الولايات المتحدة الأميركية إذا ما خرقت دولة أخرى العقد المبرم مع رعايا الأولى الذي قد يتسبب بإلحاق ضرر مادي بهم. وخلص الى رأي مفاده ، أن الولايات المتحدة ستفرض بموجب سياستها التدخل لحماية حقوق مواطنيها خارج حدودها ، لاسيما إذا ما تعلق الموضوع بخرق عقد مبرم بين الحكومة الأجنبية أو إحدى الشركات أو المؤسسات التابعة لها كأن يكون عقداً تجارياً أو عقد توظيف ، خصوصاً إذا كان ذلك الخرق أو (إلغاء العقد) لا يستند على سوء نية من تلك الجهة تجاه الولايات المتحدة ، أما إذا كان ذلك الخرق مبنياً على سوء نية ، فإن من حقها التدخل بشكل قانوني لحماية حقوق مواطنيها.^(٦٦)

ويبدو أن الموضوع الذي طرحه المحامي بوفيه ، قد أثار بعض المواضيع المشابهة في تفكير لانسينغ ، لذا علّق على كلام زميله المحامي بطرح مواضيع قضائية تؤيد ما أشار اليه ، إذ أوضح أن مقاطعة كيبك في كندا سبق لها أن منحت عقود عمليات قطع الأشجار وشحنها الى الولايات المتحدة الى شركات أميركية لغرض تحويلها الى خشب صالح لمختلف أنواع الصناعات ، لكن سلطات تلك المقاطعة عادت بعد مدة وفرضت حظراً على تصدير تلك الأخشاب ، بحجة أن

عمليات تهيئتها وتحويلها الى خشب جاهز للاستخدام الصناعي يجب أن تتم داخل الأراضي الكندية بدلاً من الأراضي الأميركية. وعليه ، تسائل لانسينغ عن الإجراء الذي يتوجب على الولايات المتحدة أن تتخذه ، هل تبادر الى الشكوى القانونية أم الى استخدام الضغوط المتعددة الأشكال على الجانب الكندي لكي يعيد الحقوق لأصحابها الأميركيين. وإعتبر لانسينغ أنها ليست المرة الأولى التي تواجه فيها الولايات المتحدة مثل ذلك التخلي عن الإيفاء بالعقود من قبل الجانب الكندي ، إذ سبق قبل ذلك بسنوات أن قامت حكومة مقاطعة أونتاريو الكندية بفرض ضريبة منعت بشكل عملي تصدير الأخشاب الى الولايات المتحدة ، بعد أن سمحت في زمن سابق بأن تقوم الشركات الأميركية وفقاً لعقد بين الطرفين بشحن خشب الأشجار من أراضيها الى الأراضي الأميركية والتي قامت تلك الشركات بإنشاء مصانعها عليها لغرض معالجة الخشب وتحويله الى مادة صناعية ، الأمر الذي سبب لتلك الشركات خسائر مالية قدرت بملايين الدولارات. وتسائل لانسينغ ، هل من الحكمة أو من دواعي السياسة الخارجية المتزنة للولايات المتحدة عدم التدخل في تلك المواضيع ، وهل تكفي مسألة العلاقات الجيدة والرصينة مع كندا - التي وصفها بأنها من الدول التي تملك سلوكاً أخلاقياً عالياً في علاقاتها مع الولايات المتحدة - في التغلب على الضرر الذي وقع على عدد من الشركات الأميركية.^(٦٧)

كان من الواضح ، أن روبرت لانسينغ أراد لفت إنتباه أعضاء الجمعية الأميركية للقانون الدولي الى أن هناك ثغرات في السياسة الخارجية للولايات المتحدة لاسيما تلك المستندة على الجانب الاقتصادي ، لعل تلك الملاحظات تصل الى مخططي السياسة الخارجية الأميركية لكي توضع في صلب إهتماماتهم.

ج- خطابه أمام الجمعية عام ١٩١٢ :

عقدت الجمعية الأميركية للقانون الدولي إجتماعها السنوي السادس أواخر شهر نيسان عام ١٩١٢ ، وقد كان التوجه في ذلك الاجتماع الى طرح ومناقشة مقترحات تدعو الى تطوير محاكم العدل الدولية أو إنشاء محاكم أخرى مساندة تكون أكثر تخصصاً من المحاكم القائمة آنذاك. وكان روبرت لانسينغ أحد الذين قدموا ورقة في ذلك الشأن مكونة من عشر صفحات ، قام بقراءتها أمام الحاضرين وكان عنوانها (ضرورة مراجعة الإجراءات أمام المحاكم الدولية)^(٦٨) ، وقد كتبها فيما يبدو اعتماداً على خبرته في عمله خلال السنوات السابقة التي شارك فيها مع اللجان الأميركية المتخصصة المدافعة عن حقوق الولايات المتحدة في قضايا التحكيم الدولي.

بدأ لانسينغ كلامه بتوضيح أهمية التحكيم الدولي خلال العشرين سنة التي سبقت عام ١٩١٢ ، إذ رأى أن الحكومات في العالم ولاسيما الولايات المتحدة الأميركية إعتبرته في حينها وسيلة لتسوية الخلافات وليس لإظهار الحقوق وإعادتها لأصحابها ، وإعتبرها البعض أيضاً إستمراراً للمفاوضات بين طرفين متنازعين بمساعدة طرف ثالث أي الطرف المُحكّم ، بالإضافة الى أن ذلك التحكيم إستند على مفهوم التنازل المتبادل الذي كان لابد في النهاية أن يحصل بين طرفي النزاع ، وهو ما كان المُحكّمون المحايدون يعملون من أجله لكي يحددوا ما الذي يحصل عليه كل طرف. إلا أنه إستدرك في رأيه عندما أشار الى أن ذلك النوع من التحكيم لم يكن يسري دائماً على جميع أنواع القضايا ، إذ أن القضايا ذات المطالبات المالية كانت ذات طبيعة حساسة لاسيما قضايا التعويض المالي التي طبّق فيها المُحكّمون مبادئ قانونية مشددة ، رغم أن الإعتبارات والعلاقات السياسية كان لها دورها وتأثيرها في مثل تلك القضايا. ومع ما شكله التحكيم من أهمية متزايدة في بداية القرن العشرين ، إلا أن لانسينغ إعتبر أن اللجوء اليه لم يكن يشمل القضايا التي تنطوي على حقوق وطنية ، إذ أن الدول كانت تفضل في تلك الحالات التفاوض الدبلوماسي ولا تلجأ الى التحكيم إلا إذا وصلت الأمور الى طريق مسدود قد يهدد العلاقات السلمية.^(٦٩)

إنصب حديث لانسينغ في الجزء الثاني من ورقته المقدمة للجمعية حول المخاوف التي قد يشعر بها الطرف المشتكي لاسيما إذا كانت أدلته قليلة على الرغم من عدالة قضيته ، لذا قد يتراجع عن شكواه إذا ما شعر أن المحكمة قد لا تحكم لصالحه ، وهو أمر لا يقود الى تحقيق العدالة. وأشار من جهة أخرى الى موضوع الشهود الذين يشهدون أمام المحكمة سواء لصالح المشتكي (شهود الإثبات) أو لصالح المشتكى عليه (شهود النفي) ، إذ إعتبر أن كذب وتزوير الشاهد قد يؤدي الى تضليل المحكمة ، لذا رفض أن تقع مسؤولية صدق الشاهد من عدمه على الطرف الذي قدّم الشاهد الى المحكمة ، لأن ذلك الطرف قد لا يكون مسؤولاً عما يدلي به الشهود من تزوير في الإفادات ، من جهة أخرى رأى أن لا تُعتمد الشهادات من دون الطعن فيها ، إضافة الى الأخذ بحذر شديد شهادة من يوصمون بسوء السمعة. تطرق لانسينغ أيضاً الى مسألة هامة تتعلق بالطرف المشتكي ، إذ رأى أن ذلك الطرف وفي حالة تقديمه للشكوى فإنه قد يفقد بعضاً من مزايا قضيته ، لأن المحكمة وبحكم الإجراءات المعمول بها آنذاك تجبر الطرف المتضرر على تقديم ملف قضيته قبل أن تطلب من المشتكى عليه تقديم ملفاته ، وذلك سوف يجعل الطرف الأخير في وضع أفضل بسبب إطلاعه بشكل كامل على مطالب المشتكي ، مما يتيح له الفرصة لتقديم ملف دفاع يدحض به مطالب الطرف الأول. لقد إعتبر لانسينغ أن إعادة النظر في

الإجراءات المتبعة في التحكيم الدولي من شأنها أن تزيل المخاوف والإعتراضات التي تصدر من الأطراف المشتكية ، وأن ذلك فيما لو تحقق سيجعل المرافعات أمام المحاكم الدولية أكثر إنسجاماً مع الهدف المنشود من التحكيم الدولي.^(٧٠)

وحقيقة الأمر ، فإن ما طرحه لانسينغ من آراء بشأن الشهود أو الطرف المشتكي تعتبر من بديهيات العمل القضائي في المحاكم ، لاسيما في قضايا المنازعات الشخصية أو بين مجموعتين من الأفراد أو بين المؤسسات المتعددة الأغراض ، ولكن يبدو أن تلك الإجراءات لم تكن تناسب وإلى حد كبير قضايا التحكيم الدولي التي قد تؤثر نتائجها على مستقبل شعوب ودول.

رابعاً : نشاطه الفكري :

بدأ روبرت لانسينغ في النصف الثاني من العقد الأول للقرن العشرين يوسع إهتمامه الفكري ليشمل بعض الجوانب المتعلقة بالسياسة ، وقد ظهر ذلك من خلال بعض مؤلفاته التي كتبها على شكل بحوث ومقالات مطولة. ففي عام ١٩٠٧ كتب بحثاً في جزئين عنوانه (ملاحظات حول السيادة في دولة ما)^(٧١) Notes on Sovereignty in a State^(٧٢)، أعقبها عام ١٩٠٩ بمقالة لم تنشر وبقيت ضمن أوراقه الخاصة وكانت بعنوان (القومية والوضع القائم في البلقان) Nationality and The Present Balkan Situation^(٧٣) ، وفي أواخر عام ١٩١٣ نشر بحثاً بعنوان (تعريف السيادة) A Definition of Sovereignty^(٧٤). وقد حاول من خلال تلك البحوث والمقالات إظهار رأيه في مواضيع محددة بعضها متعلق بمصطلحات معينة والبعض الآخر بشأن سياسي خارجي وشأن سياسي داخلي وفقاً لرؤيته الفلسفية.

أ- بحث روبرت لانسينغ (ملاحظات حول السيادة في دولة ما) :

ناقش لانسينغ في الجزء الأول من بحثه أعلاه والذي جاء في أربع وعشرين صفحة ، معنى وطبيعة السيادة وشكلها سواء كانت في دولة مركزية أو في دولة (فيدرالية) إتحادية ، وعلاقتها بالأفراد ومؤسسات الدولة التي أنشأت وطُورت نتيجة لرغبة ذلك الفرد في تعزيز النظام والسلم الإجماعيين. ولم يدّعي أن البحث تناول فكرة المعالجة الشاملة للسيادة ، بل توجيه الإنتباه إلى أهمية موضوع السيادة وإتباع خط فكري مختلف عما إتبعه الفلاسفة والمتخصصون في علم السياسة. وذكر أيضاً أن السيادة إحتلت في العديد من النظريات الفلسفية للحكم مكانة بارزة ، بإستثناء رأي كل من الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو Montesquieu^(٧٥) والفيلسوف الإنكليزي جون لوك John Locke^(٧٦) ، إذ رأى أن الأول لم يُعرّف ولم يحدد معنى السيادة ، بينما لم يشر إليها الثاني في جميع مؤلفاته ، وإعتبر أن تفسير ذلك يعود إلى إهتمامهما بمواضيع المثل الأخلاقية وما

يجب أن تكون عليه تلك المثل في تفكير وتصرفات البشر. وحاول لانسينغ نقد آراء فلاسفة عاشوا في فترات زمنية أكثر قدماً مثل يوهانس ألثوسيوس Johannes Althusius^(٧٧) و جين بودن Jean Bodin^(٧٨) اللذين إعتبروا أنه من الضروري الاعتراف بالسيادة كعامل موجود في كافة مظاهر الحكم. وعليه رأى لانسينغ وفقاً لقراءته التاريخية أن السيادة كانت تمثل (القوة الدائمة التي أثرت على العلاقات السياسية داخل جسد الفكر الفلسفي على إمتداد الثلاثمائة سنة التي سبقت بداية القرن العشرين) ، والأكثر من ذلك أنها مثلت للفلاسفة المعاصرين - آنذاك - السلطة التي تتحكم بالإنسان وتقيده وتحميه كعضو في المجتمع ، وأشار أيضاً الى أن التفكير في أصول المؤسسات السياسية وتطورها يحتاج الى الاعتراف بوجود السيادة وإستمرارها ، إضافة الى ذلك فإنه لايمكن التطرق الى أية مشكلة تتعلق بالحكم دون أن تكون السيادة عاملاً أساسياً فيها ، بل أن حتى بعض المصطلحات كالحرية والقانون لايمكن تفسيرها بشكل لا يتماشى مع العقل أو إدراك الإنسان دون أن يتم التطرق قبلها الى تعريف السيادة.^(٧٩) ويبدو هنا أن لانسينغ كان يرى في السيادة عاملاً حيويًا وديناميكياً ، وذا أهمية أكبر من تلك التي فكر بها الفلاسفة أو علماء السياسة ، بحيث أنها كانت تتواجد في كل جوانب السياسة الداخلية للدولة فضلاً عن الخارجية ، هذا بالإضافة الى تأثيرها على تطور الحياة الاجتماعية والإقتصادية للشعوب التي كانت تصبوا الى بناء مؤسساتها وتطورها.

كان على لانسينغ في البداية تعريف مصطلح السيادة ، لكنه بيّن أن تعريفها لم يكن سهلاً ، وحتى إن قام بتعريفها فإن ذلك التعريف لن يكون مقنعاً أو مرضياً للكثيرين ممن إهتموا بالفلسفة أو السياسة ، بالإضافة الى أنه إعتبر بأنه ليس من المتعارف عليه أن يجد الباحث في موضوع السيادة مساراً واحداً للتفكير أو منهجاً فلسفياً متكاملاً يمكن أن يعتمد على كلمة واحدة أو مفهوماً واحداً ، كما أن تعريف الكلمة لايمكن أن يتم دون حذر شديد ، ولذلك لا يوجد إتفاق بين المتخصصين على الدقة أو الوحدة في تعريف أية كلمة أو مصطلح ، وعليه بقيت خاضعة للكثير من النقاش وستبقى على ذلك لمدة طويلة. وعلى الرغم من تلك الصعوبات التي أوردتها ، إلا أنه أوضح بأن أبسط تعريف لمصطلح السيادة هو (القدرة على القيام بكل شيء دون مساءلة) ، ومع ذلك لم يكن لانسينغ مقتنعاً تماماً بفحوى ذلك التعريف ، لأنه إعتبر أن تلك القدرة الواسعة التي أشار إليها في التعريف تتجاوز عوامل الزمان والمكان والعقل البشري والماديات ، بحيث لا تجد لها نظيراً مساوياً إلا في نوع واحد من القدرات التي تكون أعلى من العوامل الدنيوية والبشرية والتي لا يمكن أن يمتلكها إلا من هو قادر على كل شيء في كل زمان ومكان. لذا رأى أن ذلك التعريف

ينطبق على السيادة الألهية التي تأخذ الباحث الى طريق آخر يشمل الفلسفة الدينية ، ولذلك فإن السيادة المقصودة هي سيادة البشر أو سيادة الدول أو أنظمة الحكم والتي إعتبر أن تعريفها يمكن أن يكون (القدرة على القيام بكل شيء على الأرض دون مساءلة وفقاً لقدرة الإنسان). ومهما يكن من أمر ، فإن لانسينغ إعتبر تلك القدرة البشرية غير ملموسة ولا يمكن إيجاد توضيح تاريخي لها بسهولة ، وعوضاً عن ذلك رأى أن السيادة الحقيقية هي التي يعترف بها القانون ولا يجهلها التاريخ ، والتي تؤثر على حياة الإنسان ولها دور في إنشاء المؤسسات السياسية وتساهم في تنظيم سلوك البشر.^(٨٠)

جاء مصطلح (الدولة) ليمثل الإتجاه الثاني في بحث روبرت لانسينغ المشار اليه ، إذ تناول العديد من الآراء لفلاسفة ورجال سياسة وقانون بما يتعلق بتعريف الدولة والتي إنتقلت أغلبها على أن الدولة تمتاز بميزتي الوحدة والتنظيم ، وإستشهد على ذلك بتعريفين لرجلين من رجال القانون الأميركيين هما جوزيف ستوري Joseph Story^(٨١) و توماس كولي Thomas M. Cooley^(٨٢) ، فالأول عرّف الدولة على أنها مجموعة من الأشخاص المتحدين والمكتفين ذاتياً في مجتمع واحد من أجل الدفاع عن حقوقهم وتحقيق العدالة للأجانب ، بينما عرّفها الآخر بأنها مجموعة من البشر المتحدين لغرض الحفاظ على سلامتهم ومصالحهم وتعزيزها عن طريق جهودهم المشتركة ، إلا أن المتخصصين في القانون - حسب رأيه - رأوا أنه من الأفضل أن يتم توسيع مفاهيم مصطلح الدولة لتكون ذات مؤهلات تقود الى تباينات وتناقضات ، ومن بين تلك المؤهلات المقر الإقليمي ، أي أن المجتمع المنظم لا يتحول الى دولة إلا إذا كان له مقر إقليمي خاص و محدد ، لكنه إعترف بأن الرضوخ لذلك الشرط قد يحرم عدداً من المجتمعات المنظمة والمستقلة من تسميتها بالدولة على الرغم من أنها ذات تنظيم سياسي مكتمل وتأثير ملحوظ في تاريخ العالم.^(٨٣) ولم يوضح لانسينغ أو يقدم أمثلة أو أدلة تدعم رأيه عن المجتمعات التي تملك مقومات الدولة أو تصلح أن تكون دولة لكنها لا تملك المقر الإقليمي ، لذا كان رأيه الأخير بمثابة نقاش فلسفي غير مدعوم بالدليل.

ناقش لانسينغ أيضاً بعض الشروط التي وردت في تصورات الفلاسفة عن المجتمعات التي يمكن أن يطلق عليها مصطلح دولة ، وكان من ضمنها أعداد البشر أو السكان الذين يكوّنون ذلك المجتمع. إذ رأى أن الفلاسفة لم يحددوا ذلك العدد أو من بإمكانه أن يحدده سواء كان صغيراً أو كبيراً ، وحتى إن تم تحديد العدد بمائة ألف فإن البعض منهم يعتبره قليلاً ولا يمثل قاعدة بشرية كافية لتكوين دولة ، وعليه إعتبر لانسينغ أن رأي (جين بودن) القائل بأن النقاش حول العدد

البشري اللازم لتكوين دولة غير ذي فائدة ولا يمثل شرطاً أساسياً لها ، هو الأقرب الى الواقع . من جهة أخرى ، لاحظ لانسينغ أن هناك تداخلاً بين مصطلحي الدولة والأمة عند بعض السياسيين والفلاسفة ، إذ رأى أن مصطلح الأمة ينطوي على خصائص العرق واللغة وهو ما يفرقه عن مصطلح الدولة ، ولكن ذلك لم يمنع الكثيرين من رجال السياسة من إطلاق مصطلح الأمة على الدول لاسيما الدول الكبيرة والقوية. وقد توصل بعد كل تلك التفاصيل التي خاض فيها الى ما يفيد بحثه الذي تمحور حول مصطلح السيادة ، إذ إستنتج من خلالها أن السيادة تكون منقوصة أو غير حقيقية عندما لا يكون زعيم تلك السيادة أو مالکها قادراً على إلزام كل فرد ينتمي الى الدولة أو يعيش ضمن إقليمها المحدد على طاعة الإرادة السيادية ، كما أن تلك القدرة على فرض الطاعة تتطلب إمتلاك قوة أو أدوات مادية تتجاوز أياً من القوى الأخرى داخل الدولة ، بالإضافة الى أن ممارسة السيادة يستلزم اللجوء الى التهديد أو إستخدام القوة الغاشمة بدلاً من تمكين الأخلاق أو العدالة أو عقلانية التصرف ، إلا أن لانسينغ إستدرك بأن ذلك قد يقلل من إحترام القيم الثلاث الأخيرة لدى الكثير من الشعوب لاسيما في الدول الكبرى آنذاك.^(٨٤)

أراد لانسينغ أن ينهي بحثه بالإشارة الى تجربة الولايات المتحدة الأميركية في ميدان السيادة ، إذ رأى أن التجربة الإتحادية (الفيدرالية) فيها ، ناتجة عن التوافق السياسي وتحكيم العقل وليس القوة كما تقتضيه بعض شروط تحقيق السيادة ، على الرغم من أن الدولة مارست إستخدام القوة كتعبير عن السيادة أثناء الحرب الأهلية الأميركية ، لأن الإنقسام - من وجهة نظره - كان تحدياً لتلك السيادة التي كان لابد من تعزيزها وتدعيمها. وإستناداً على ذلك ، إستنتج بأن الدولة الفيدرالية لا يمكنها الإحتفاظ بطابعها الفيدرالي أثناء حرب داخلية جرت على معظم أراضيها ، وقد رفض أيضاً مصطلح السيادة الفيدرالية الفعلية لأنها - كما رأى - لا تتحقق إلا من خلال ممارسة القوة على جميع الولايات ، لأن تلك الممارسة حق من حقوق السيادة.^(٨٥)

نستطيع من خلال ما أوردناه من فقرات وجوانب البحث الذي كتبه لانسينغ أن نستنتج بأن الهدف منه كان إنتقاد الصلاحيات الواسعة التي حظيت بها الولايات الفيدرالية الأميركية (على الرغم من شرعيتها الدستورية) والتي أثرت أحياناً على ممارسة السلطات السيادية للدولة الأميركية ، وذلك على ضوء تجارب سابقة أوردتها لانسينغ في خطابه الذي أشرنا اليه سابقاً أمام الجمعية الأميركية للقانون الدولي ، على الرغم من أنه لم يشر في بحثه بشكل مباشر الى الصلاحيات التي كانت تلك الولايات تملكها.

ب- بحثه (ملاحظات حول السيادة في دولة ما) الجزء الثاني :

جاء ذلك البحث ليمثل إستكمالاً للآراء التي طرحها لانسينغ في بحثه الأول ، إذ إحتوت صفحاته الأربع والعشرين على نقاش حول السيادة في دولة ما من وجهات نظر داخلية وخارجية. فبالنسبة لوجهة النظر الخارجية أشار لانسينغ الى أنها (إستقلال دولة معينة في علاقتها بغيرها من الدول الأخرى) ، أما من الداخل فينظر الى هيئاتها السياسية وسلطاتها التشريعية. وإسترسل لانسينغ بأن أهمية السيادة داخلياً أكبر من أهميتها خارجياً ، إذ أن (الأفراد الذين يعيشون داخل دولة ما ، يشعرون بأهمية السيادة من خلال عمل المؤسسات السياسية وضمان حقوقهم من قبل تلك المؤسسات) ، وكان يشير في ذلك الى أن المنطلق الأساسي للسيادة يبدأ من الداخل أي من داخل الدولة لكي يشعر مَنْ بالخارج بوجود تلك السيادة. وقد تطرق مرة أخرى الى تأثير النزاعات الداخلية أو الحروب الأهلية على موضوع السيادة من منظار خارجي ، فأشار أن الحرب الأهلية قد تؤدي الى نشوء حكومتين أو سلطتين في دولة واحدة ، وهو هنا على الأغلب سرد ما حدث في الحرب الأهلية الأمريكية ، وتلكما الحكومتان إدعتا أن كل واحدة منهما تمثل الشعب والرعية ، وكل منهما تتلقى دعماً من رعيتهما لإستمرار بقائها ، لذا يصبح على نظراء تلك الدولة من الدول الأخرى أن يقرروا مع أي منهما يتعاملون في مسألة السيادة ، وبما أن ذلك ليس يسيراً لأن القوتين أو الحكومتين المتنازعتين لا تزالان تحتفظان بقوتيهما ، فإن الحياد تجاههما يكون أفضل السبل في التعامل معهما.^(٨٦)

كان الاهتمام بموضوع صلاحيات الحكومة الفيدرالية للولايات المتحدة في واشنطن وصلاحيات حكومات الولايات هي الشغل الشاغل في الكثير مما كتبه لانسينغ في هذا البحث وكذلك في البحث الذي سبقه ، فقد أكد على صلاحيات الحاكم الفيدرالي في واشنطن التي وصفها بأنها لا تملك أي سيادة داخلية سوى ما يتعلق بالحفاظ على سلامة أراضي الولايات المتحدة وشعبها أو مستعمراتها التي تملكها من أي خطر خارجي ، أما في السيادة الخارجية فالحاكم الفيدرالي له جميع الصلاحيات التي تمكنه من إتخاذ القرارات ، أما حكام الولايات فلهم كل السيادة الداخلية ضمن حدود ولاياتهم. وتطرق أيضاً الى نقطة مهمة أخرى عندما أشار الى أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعتبر دولة قومية بما تعنيه الكلمة ، لذا فإن سيادتها - من وجهة نظره - تختلف عن الدول القومية ، وبما أنها دولة فيدرالية فهي ليست أمة بشكل متجانس ، وعليه فإن شخصية الدولة ليست ذات أساس قومي بل شخصية فيدرالية. وانتقل بعدها الى موضوع سبق له مراراً أن ناقشه في خطبه ، وهو التداخل في الصلاحيات بين الحكومة الفيدرالية في واشنطن

وحكومات الولايات ، إذ أن الإنسجام قد يحدث بينهما أحياناً وقد لا يحدث في أحيان أخرى ، وعدم الإنسجام من وجهة نظره سبب إخراجاً لمرات عديدة للحكومة الفيدرالية ، وخلق أسباباً للشكوى من قبل حكومات الدول الأجنبية.^(٨٧)

انتقل لانسينغ في بحثه الى مصطلح الدولة وعلاقته بالسيادة والإستقلال ، وناقش بعض ما ورد في آراء بعض المتخصصين في الفلسفة السياسية مثل توماس جوزيف لورنس T.J. Lawrence (١٨٤٩ - ١٩١٩) في كتابه (مبادئ القانون الدولي) ، إذ رأى أن لورنس إستبدل مصطلح الدولة بمصطلح السيادة عندما عرّف مصطلح الإستقلال ، أي أن الدولة بالنسبة للآخر كانت مرادفة للسيادة ، بينما رأى لانسينغ أن السيادة تأتي بعد الإستقلال كما هو الحال مع الدولة ، أي أنه أكد بأنه ليس بإستطاعة أي مجموعة من الأفراد أن يمتلكوا السيادة دون إمتلاكهم للإستقلال ، ولا يمكن تصور أي سيادة تعتمد على قوة أكبر أو تكون مسؤولة أمامها إلا في حالة السيادة المصطنعة أو غير الحقيقية.^(٨٨)

كان موضوع العدالة آخر ما تناوله لانسينغ في البحث ، والتي رأى أنها الرغبة في منح البشر ما يستحقونه ، وهي من وجهة نظره رؤية مطلقة وعامة لموضوع العدالة ، لأنها إذا طبقت دون قيد فإنها تكون أقرب الى تفسير المبادئ الأخلاقية. أما إذا طبقت وفقاً لشروط معينة فستعتبر نوعاً من العدالة القانونية ، أي أنه ميّز بين نوعين من العدالة إحداهما أخلاقية والأخرى قانونية ، الأولى غير محدودة والأخرى محدودة. وبما أن القانون بإعتباره صادراً عن حاكم وهو إنسان غير متكامل من الناحية الأخلاقية ، فهو الآخر - أي القانون - يعتبر غير كامل من الناحية الأخلاقية ، إلا أن طاعة ذلك القانون تكون ملزمة لأن من يطبقه يمتلك القدرة على تنفيذه بالقوة. وإستنتج بأنه لا يوجد مقياس أخلاقي ومثالي واحد في العالم ، لذا فإن القانون الأخلاقي غير كامل ويتأثر بعوامل عديدة مثل الذكاء والبيئة الاجتماعية وعقلية الفرد أو المجموعة.^(٨٩)

نشير هنا الى أن أهم ما ورد في بحث روبرت لانسينغ هو أنه ميّز بين نوعين من السيادة الأولى داخلية والثانية خارجية ، لكن أكثر ما ورد في البحث كان عبارة عن نقاش فلسفي حول عدد من المصطلحات المتشابهة من حيث المعنى السياسي والفلسفي والقانوني ، والواضح أيضاً أن البحث كان خالياً من أية توصيات سواء كانت قانونية أو سياسية ، ولم يشر الى الجهة أو الجمهور المعني بذلك البحث ، ولكن ما يفهم من أسلوبه وطبيعة المصطلحات الواردة فيه يمكن أن يكون ذو فائدة للمتخصصين في القانون الدولي أو الدراسات المتعلقة بالدساتير ، مع الأخذ بنظر الإعتبار المدة الزمنية أو الواقع الزمني الذي نشر فيه ذلك البحث من الناحية السياسية على

الأقل سواء في الولايات المتحدة الأميركية أو العالم ، لاسيما وأن البحث تم نشره قبل أكثر من مائة عام.

ج- بحثه (القومية والوضع القائم في البلقان) :

إعتبر لانسينغ بحثه هذا واحداً من أهم بحوثه ، والدليل على ذلك أنه عاد وكتب له مقدمة من صفتين بعد مرور ثمانية عشر عاماً من إكماله لكتابته. جاء البحث في تسع وأربعين صفحة ، وهو مطبوع بالآلة الطابعة القديمة،^(٩٠) ويبدو أنه لم يتسنى له نشره في حينها لأسباب غير معلومة ، وبقي محتفظاً به في ملفاته الخاصة التي كشفت للعلن بعد سنوات طويلة من وفاته.

أشار في مقدمة بحثه أنه إنتهى من كتابته في شهر آذار (مارس) عام ١٩٠٩ ، ووضع في صفحاته رؤيته وإنطباعاته لمشكلة البلقان التي إعتبرها واحدة من المعضلات الدولية المستعصية على الحل ، وقد دفعته أحداث الحرب العالمية الأولى ومعهادات السلام التي تم عقدها بين عامي ١٩١٩ - ١٩٢٠ الى التفكير بتعديل البحث وإضافة آراء وأفكار جديدة عليه ، لكنه عدل عن تلك الفكرة عندما أدرك أنها ستشوه التناسق الفكري له وتلغي الفكرة والإنطباع الذي كان يجول في تفكيره بشأن مشكلة البلقان آنذاك ، أي إنه إعتبر ذلك البحث وليد الواقع الذي عاشته منطقة البلقان وشهده سياسيو العالم ومنهم سياسيو الولايات المتحدة الأميركية ، وعلى الرغم من ذلك وضع مجموعة من الأسئلة التي أخذت بنظر الإعتبار نتائج الحرب العالمية الأولى وما تلاها من معاهدات ، إذ تساءل ما إذا ساهمت تلك المعاهدات بحل المشكلة بشكل نهائي ، أو هل تراجع العامل القومي في أهميته في تلك المنطقة بعد إن كان سبباً رئيسياً في المشكلة ، وهل باتت شعوب البلقان التي أنهكتها تلك الصراعات أقل رغبة في تقوية وتدعيم قواها المحلية من أجل السيطرة على مجمل المنطقة ، وهل يمكن توقع حرب مستقبلية تكون شعوب البلقان من يشعل فتيلها ؟.^(٩١)

إعتبر لانسينغ أن ما تم الاتفاق عليه في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨^(٩٢) إنتهى عملياً عام ١٩٠٨ وفقاً لحدثين هامين وقعا في تلك السنة ، الأول إستقلال بلغاريا والثاني إعلان إمبراطورية النمسا وهنغاريا ضم مقاطعتي البوسنة والهرسك الى أراضيها ، ورأى أن الوضع الناتج عن الحدثين لم يؤد الى حل جزء من مشاكل البلقان المتداخلة بل زاد منها ، وتلك المشاكل - حسب رأيه - ناتجة عن التوسع العثماني في جنوب شرق أوروبا. مرت مواقف دول أوروبا من التوسع العثماني بثلاث مراحل ، في كل مرحلة كانت لتلك الدول مخاوف وأهداف ، أولها الخوف من تقدم جيوش العثمانيين المسلمين الى الأراضي التي يملكها المسيحيون ، وتلك المرحلة إنتهت بفشل العثمانيين

من إقحام مدينة فيينا عام ١٨٦٣، وثانيها تميزت بتصميم الأوربيين على إستعادة الأراضي التي إحتلها العثمانيون ، وثالثها سعي الأوربيين الى حماية السكان المسيحيين الذين أصبحوا في عهدة السلطان العثماني ، وتلك المرحلة بدأت ملامحها تظهر بعد منتصف القرن الثامن عشر على وجه التقريب ، لاسيما بعد توقيع معاهدة السلام بين روسيا والدولة العثمانية عام ١٧٧٤ والتي أنهت حرب السبع سنوات بينهما ، وبعدها وافق السلطان العثماني على أن يرعى الممثل الدبلوماسي الروسي في القسطنطينية شؤون السكان المسيحيين في منطقة البلقان التي كانت تخضع للحكم العثماني.^(٩٣)

وجه لانسينغ نقده للدول الملكية في غرب أوروبا التي خاضت صراعاً ضارياً مع فرنسا أواخر القرن الثامن عشر لمواجهة الخطر السياسي القادم من فرنسا بعد إنتصار الثورة فيها عام ١٧٨٩ ، وكذلك لمواجهة طموحات نابليون بونابرت التوسعية ، وظهر نقده لتلك الدول عندما أشار الى أنهم إنشغلوا في ذلك الصراع وتركوا معاناة المسيحيين في جنوب شرق أوروبا في ظل الحكم العثماني لأراضيهم. من جهة أخرى ، رأى أن الثورة الفرنسية ومبادئها لاسيما الحرية كان لها تأثير واضح على شعوب وسط أوروبا وجنوبها الشرقي ، إذ أدى ذلك الى نمو الروح القومية والرغبة في التحرر والإستقلال لدى شعوب البلقان ، وظهر ذلك جلياً في حرب إستقلال اليونان عن الدولة العثمانية ١٨٢٩ - ١٨٢١ والتي تلقت فيها اليونان الدعم من بريطانيا وفرنسا وروسيا ، بينما بقيت النمسا بعيدة عن تلك الحرب بسبب عدم توافقها مع المسيحية الأرثوذكسية في اليونان.^(٩٤)

إستشف لانسينغ من خلال تسلسل أحداث التاريخ الأوربي الحديث والعلاقات السياسية بين الدول الأوربية آنذاك وجود ما أسماه بـ (الغيرة) التي كانت تشعر بها تلك الدول تجاه بعضها بسبب التوسع الإقليمي ، وما تملكه بعض تلك الدول من مساحات شاسعة من الأراضي داخل القارة الأوربية والمستعمرات خارجها مما أكسبها مزايا تجارية وعسكرية ، وذلك الشعور بالغيرة كان له أثر سلبي على التطلعات القومية للشعوب ذات الإلتواء المسيحي داخل أقاليم الدولة العثمانية ، إذ أدى الى تفشي عدم الثقة بين سياسيي الدول الأوربية الكبرى تجاه بعضهم ، الأمر الذي منعهم من الاهتمام بالدولة العثمانية أو الضغط عليها لتعديل سياستها تجاه شعوب البلقان. وحدد لانسينغ بشكل أوضح الدول الأوربية التي إنجرت وراء التنافس الإقليمي أو ما أطلق عليه (الجوع الإقليمي) الذي عانت منه كل من النمسا وروسيا لاسيما في شرق أوروبا أو المناطق غير الخاضعة للسيطرة العثمانية في جنوبها الشرقي ، كما أشار الى التنافس التجاري بين كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا الذي أدى الى إبتعاد تلك الدول عن الاهتمام بمشاكل المسيحيين داخل الدولة العثمانية.^(٩٥)

انتقل لانسينغ للحديث عن معاهدة برلين التي جاءت كثمرة للمؤتمر الذي انعقد في المدينة ذاتها عام ١٨٧٨ ، كان المؤتمر من وجهة نظره يمثل بارقة أمل لحل المشاكل ، ليست فقط تلك التي أدت الى إندلاع الحرب بين روسيا والدولة العثمانية من قبل ، بل تلك التي تخص منطقة البلقان بشكل أوسع ، لكن وقبل إنتهاء المؤتمر أعلنت الحكومة البريطانية عن عقد معاهدة تحالف دفاعي مع الدولة العثمانية ، وافقت فيها الأخيرة على تسليم إدارة جزيرة قبرص للبريطانيين ، بينما تعهدت بريطانيا بمساعدة الدولة العثمانية عسكرياً ضد أية محاولة من جانب روسيا لإحتلال الأراضي العثمانية في القارة الآسيوية ، والهدف من ذلك كان رغبة بريطانيا في إبعاد روسيا عن الهند وسواحل الخليج العربي وتعزيز السيطرة البحرية البريطانية في البحر المتوسط. وعليه ، وجه لانسينغ نقده الى البريطانيين الذين سعوا الى تدعيم مصالحهم من خلال المؤتمر ، أكثر من إهتمامهم بطموحات شعوب البلقان الطامحة بشكل كبير الى الإستقلال.^(٩٦)

لم يكن لانسينغ متفائلاً كثيراً في رؤيته المستقبلية ولا حتى للسنوات الأربع الأخيرة التي سبقت كتابته لبحثه الذي نحن بصددده ، إذ إعتبر أن دول البلقان التي حصلت على إستقلالها خلال القرن التاسع عشر إستمرت في خلافاتها مع بعضها حول الأراضي المتنازع عليها أو حول مواضيع أخرى ، بينما بقيت كل من روسيا وإمبراطورية النمسا - هنغاريا تتحيانان الفرص المناسبة من أجل توسيع إمبراطوريتيهما لتضم مايمكن ضمّه من أراضي البلقان ، وحتى ألمانيا وبسبب علاقاتها الوثيقة مع النمسا فإنها أيدت الأخيرة في سياساتها تجاه البلقان من أجل الحصول على مكاسب تجارية في جنوب شرق أوروبا وتصبح على درجة عالية من المنافسة الاقتصادية مع بريطانيا. كان لانسينغ أكثر تشاؤماً في نظريته للعلاقات بين صربيا والنمسا ، إذ إعتبر أن تقاعس الصرب عن دعم مقاطعتي البوسنة والهرسك التي يعتبرونها جزءاً من بلدهم ليس سوى إنتظار للفرصة الزمنية المؤاتية لإرجاع تلكا المقاطعتين للسيادة الصربية ، إذ لم تكن صربيا على درجة كافية من القوة العسكرية لكي تتمكن من مواجهة النمسا وإسترجاع أراضيها ، ومن جهة أخرى لم تتلق المساعدة من روسيا ضد القرار النمساوي عام ١٩٠٨ الذي وضع المقاطعتين المذكورتين ضمن السيادة النمساوية. ومن الواضح أن لانسينغ كان متفهماً للوضع الداخلي غير المستقر في روسيا الذي تأثر كثيراً بهزيمة روسيا في حربها مع اليابان عام ١٩٠٥ ، لكنه توقع أن ذلك الوضع لن يستمر طويلاً على الأمد البعيد. أعتقد لانسينغ أن الدول الأوروبية الكبرى ستلجأ ربما الى إعادة النظر في معاهدة برلين لعام ١٨٧٨ من أجل تجنب الحرب فيما بينها بسبب البلقان ، لكنها لن تضع حلولاً جذرية لمشاكل ذلك الإقليم الذي إعتبر أن التعصب الديني الكامن في نفوس سكانه

أزهق مئات الألوف من أرواح البشر فيه ، كما أن الغيرة والتنافس غير المحدود بين أبنائه عطلت البناء الحضاري فيه وأهملت بسببه الكثير من الموارد التي كان من الممكن أن تسهم في تطويره.^(٩٧)

أدرك لانسينغ أن مشكلة البلقان آنذاك ستبقى بعيدة عن الحل ، وربما تؤدي الى إندلاع حرب في وسط أوروبا ، وذلك التنبؤ كان صحيحاً وتحقق عام ١٩١٤. وإعتبر أن الدول الكبرى في أوروبا في ذلك الحين لم تكن جادة فعلاً في حل مشاكل البلقان ، بل كانت شديدة الميل الى التنافس فيما بينها وتحقيق مصالحها الذاتية. والأمر اللافت في بحثه ، هو أنه ساير سياسة بلاده الولايات المتحدة الأميركية المنعزلة الى حد بعيد عن الشؤون الأوروبية ، ولم يشر في بحثه الى أي موقف أميركي حتى على مستوى الصحافة الأميركية أو على المستوى السياسي غير الرسمي. وعلى العموم فقد غابت روح التفاؤل عن رؤيته للمستقبل في منطقة البلقان ، وهي رؤية واقعية لمن كان يراقب العلاقات السياسية الأوروبية آنذاك.

عُين روبرت لانسينغ في العشرين من آذار (مارس) عام ١٩١٤ بوظيفة مستشار في وزارة الخارجية الأميركية^(٩٨)، وبذلك بدأت مرحلة جديدة في حياته العملية ، تمثلت بدخوله الى مجال السياسة الخارجية الأميركية التي تدرج في العمل فيها وصولاً الى توليه منصب وزير الخارجية أثناء سنوات الحرب العالمية الأولى ، وهو أعلى منصب وظيفي تولاه في خدمته الرسمية.

الخاتمة :

١- ساعدت الظروف المعاشية الميسرة والوضع المادي المريح لعائلة روبرت لانسينغ أن يتدرج في دراسته منذ صغره وحتى كبره دون إنقطاع أو تعثر ، إذ كان أجداده من الميسورين مادياً بفضل إنخراطهم في نشاط إقتصادي مربح ومثمر منذ رحيلهم عن موطنهم الأصلي (هولندا) وبلوغهم أراضي قارة أميركا الشمالية.

٢- لم يكنف والده بالثروة المادية التي آلت اليه من أسلافه ، بل عزم أن يكون له عمل مغاير وشخصية مستقلة ، لذا إنخرط في دراسة القانون وعمل فيما بعد بذلك الإختصاص.

٣- ورث روبرت لانسينغ عن أجداده ووالده طموحهم العملي الذي قادهم الى تكوين مكانة إجتماعية ومهنية أشير اليها بالبنان ، لذا إقتفى أثرهم في مجال تخصصهم القانوني وتفوق عليهم ، وأصبحت له مكانة مرموقة في مجال القانون سواء المحلي أو الدولي.

- ٤- بدأ لانسينغ عمله كمحام في القضايا المحلية المتعارف عليها في أوساط العمل القانوني ، لكنه أراد العمل في مجال أوسع تكون له فيه شخصية مميزة وإسهام أوضح ، فأختار سلك العمل في قضايا القانون الدولي.
- ٥- سعى الى تدعيم طموحه في مجال القانون الدولي بزواجه من ابنة رجل القانون والسياسي الأميركي جون فوستر الذي سبق له وتقلد منصب وزير خارجية الولايات المتحدة في عهد الرئيس بنجامين هاريسون ، فكان ذلك الزواج فاتحة خير بالنسبة له ، إذ فسخ المجال أمامه وبواسطة والد زوجته للتقرب أكثر من كبار رجال القانون الأميركيين.
- ٦- إكتسب خبرة مهمة عندما تم إختياره وبترشيح من جون فوستر للعمل كمستشار في اللجان الأميركية التي تولت الدفاع عن مصالح الولايات المتحدة أمام المحاكم الدولية في قضايا متعددة ، لكن الملاحظ عليه أنه إكتفى بمهمة المستشار القانوني المساعد للجان الأميركية طيلة عمله فيها ، إذ يبدو أنه لم يكن يطمح من تلك المهام سوى إكتساب الخبرة في مجال القانون الدولي.
- ٧- إن الخبرة التي إكتسبها لانسينغ في القانون الدولي على أمد ما يقرب من خمسة عشر عاماً ، جعلته مؤهلاً أن يكون عضواً مؤسساً للجمعية الأميركية للقانون الدولي التي إستمر في عضويتها حتى وفاته عام ١٩٢٨.
- ٨- كانت مساهمته في الجمعية الأميركية للقانون الدولي بمثابة ميدان جديد أثبت فيه كفاءته ليس فقط كرجل قانون بل كمفكر وناقد للتجربة الأميركية في مجال الحكم الفيدرالي ، إذ أشار الى بعض السلبيات التي إكتفت ذلك النظام وأثّرت من خلاله على علاقات الولايات المتحدة الأميركية الخارجية ببعض الدول التي تربطها علاقات مهمة بها.
- ٩- لم يختلف النشاط والنتاج الفكري لروبرت لانسينغ عما سبقه من خطب وكلمات ألقاها خلال إجتماعات الجمعية الأميركية للقانون الدولي ، فكانت أكثر بحوثه ومقالاته ذات صبغة قانونية لها مساس بالسياسة الداخلية والخارجية. ويستثنى من ذلك بحثه المخصص لموضوع الصراع التاريخي في البلقان الذي حاول فيه التقرب من الفكر السياسي الدولي ، ومحاولة إستشرافه للمستقبل الذي قد يكون عليه ذلك الصراع.
- ١٠- أخيراً ، وعلى الرغم من أن روبرت لانسينغ تولى منصب وزير خارجية الولايات المتحدة بين عامي ١٩١٥ - ١٩٢٠ وهي واحدة من أهم الفترات الزمنية في تاريخ السياسة الخارجية الأميركية ، إلا أن سمعته كرجل قانون ظلت طاغية على تلك التي حققها في المجال

السياسي ، إذ بقيت سمعته القانونية شاخصة في ذاكرة زملاءه في الجمعية الأمريكية للقانون الدولي ، والتي إعتبروها أهم من ذلك المنصب السياسي الذي تولاه على إمتداد خمس سنوات من عهد الرئيس وودرو ويلسون.

هوامش البحث :

- (1) Hartig, Thomas Henry, Robert Lansing: An Interpretive Biography, Modern History Ph.D. Dissertation, Ohio State University, 1974, p.10.
- (2) Joshua Canale, "When a State Abounds in Rascals": New York's Revolutionary Era Committees for Public Safety, 1775-1783, Journal of the Early Republic, Volume 39, Number 2, Published by University of Pennsylvania Press, Summer 2019, p. 211.
- (3) Hartig, Thomas Henry, op.cit, p.10.
- (4) Monroe, Joel H., Through Eleven Decades of History: Watertown, Hungerford - Holbrook Co., Watertown, N. Y., 1911, p. 197.
- (5) Edward S. Mihalkanin (ed), American Statesmen : Secretaries of State from John Jay to Colin Powell, Greenwood Press, London, 2004, p. 314.
- (6) Hartig, Thomas Henry, op.cit, p.335.
- (7) Ibid, p.13.
- (8) Amherst Graduates' Quarterly, Volume. 1, October 1911 to June 1912, Published by The Graduates of Amherst College, p.p.8, 61.
- (9) Ballard, Edward Goodwin, Philosophy and The Liberal Arts, Kluwer Academic Publishers, Dordrecht, Netherlands, 1989, p.1.
- (10) Hartig, Thomas Henry, op.cit, p.p 13- 14.
- (11) Amherst Graduates' Quarterly, op.cit, p.p 75- 76.
- (12) Monroe, Joel H., op.cit, p. 167.
- (13) Edward S. Mihalkanin, op.cit, p. 314.
- (14) Ibid, p. 314.
- (15) Hartig, Thomas Henry, op.cit, p. 52.
- (16) Brown, James Stanley., Fur Seals and The Bering Sea Arbitration, Journal of the American Geographical Society of New York, Vol. 26, No. 1, Published by Taylor & Francis, Ltd., Oxfordshire, UK, 1894, p.1.
- (17) Foster, John W. , Results of The Bering Sea Arbitration, The North American Review, Vol. 661, No. 469, Published By University of Northern Iowa, December 1895, p.p. 693- 694.
- (18) Brown, Robert Craig., Canada's National Policy 1883-1900: A Study in Canadian-American Relations, Princeton University Press, 1964, p.p. 7- 10.
- (19) Foreign Relations of United States (F.R.U.S), 1894. Appendix I 1894, U.S. Government Printing Office, Washington, D.C, 1894, Memorandum from Mr. Foster to Mr. Gresham, Subj: Agency of The United States, Paris, August 17, 1893, p. 230.
- (20) William Williams, Reminiscences of the Bering Sea Arbitration, The American Journal of International Law, Vol. 37, No. 4, Published by American Society of International Law, October 1943, p. 565.
- (21) Hartig, Thomas Henry, op.cit, p. 52.
- (22) Foster, John W. , op.cit, p.p. 701- 702.

(23) F.R.U.S, op.cit, p.p. 229- 230.

(24) F.R.U.S, Papers relating to the Foreign Relations of the United States, with the annual message of the president transmitted to Congress December 7, 1896, and the annual report of the secretary of state. 1896, Washington, D.C, U.S. Government Printing Office, 1896, Convention for the settlement of claims presented by Great Britain against the United States in virtue of the convention of February 29, 1892, p.p 281- 284.

(25) Behring Sea Claims Commission, Record of Evidence Taken at Victoria, British Columbia, by The Commissioners, Under the Convention of February 8, 1896, between Great Britain and The United States, Vol. I, p.p. 1- 1002.

(26) Bering Sea Claims Commission, Record of proceedings before the commissioners under the convention of February 8, 1896 at Montreal, June 16, 1897 and at Halifax, August 25 to September 29, 1897, p.p. 35- 1171.

(27) F.R.U.S, Papers relating to the foreign relations of the United States, with the annual message of the president transmitted to Congress December 5, 1898, Washington, D.C, U.S. Government Printing Office, 1898, Memorandum from Mr. Day to Sir Julian Pauncefote, Subj: Settlement of Bering Claims Award, No. 1054, Washington, June 15, 1898, p.p. 371- 372.

(28) Lansing, Robert., The Questions Settled by the Award of the Alaskan Boundary Tribunal, Bulletin of the American Geographical Society, Vol. 36, No. 2, Published by Taylor & Francis, Ltd., Oxfordshire, United Kingdom, 1904, p.p. 66- 68.

(29) Foster, John W., Diplomatic Memoirs, Vol. 2, Houghton Mifflin Company, Boston, 1909, p. 193.

(30) F.R.U.S, Papers relating to the foreign relations of the United States, with the annual message of the president transmitted to Congress December 7, 1903, Washington, D.C, U.S. Government Printing Office, 1904, Memorandum from Mr. Lansing to Mr. Sifton, Washington, July 1, 1903, p. 530.

(31) Hartig, Thomas Henry, op.cit, p. 61.

(32) The Lansing Papers, The Alaskan Boundary Tribunal in Session at London in 1903, Written 1904, The collections of the Seeley G. Mudd Manuscript Library, Box. 6, Folder. 4, Princeton, New Jersey, p.p. 1- 24.

(٣٣) إختار الرئيس الأميركي ثيودور روزفلت (١٨٥٨ - ١٩١٩) لعضوية لجنة المفوضين الأميركيين كل من إيليهو روت Elihu Root (١٨٤٥ - ١٩٣٧) المتخصص في القانون والذي كان يشغل في حينها منصب وزير الحرب ، و جورج تيرنر George Turner (١٨٥٠ - ١٩٣٢) القاضي والسيناتور الديمقراطي ، و هنري كابوت لوج Henry C. Lodge (١٨٥٠ - ١٩٢٤) رجل القانون والسيناتور الجمهوري.

F. M. Carroll, Robert Lansing and the Alaskan Boundary Settlement, The International History Review, Vol. 9, No. 2, Published by Taylor & Francis, Ltd., Oxfordshire, UK, p. 277.

(34) The Lansing Papers, op.cit, p.1.

(35) Ibid, p.p 6- 7.

٣٦) ضمت لجنة المفوضين البريطانيين ثلاثة مفوضين رئيسيين ، هم كل من اللورد ألفيرستون Lord Alverstone (١٨٤٢ - ١٩١٥) الذي كان يشغل في حينها منصب رئيس قضاة إنكلترا ، ومفوضين إثنين من كندا هما كل من لويس جت Louis Jette (١٨٣٦ - ١٩٢٠) الذي عمل محامياً وتقلد خلال حياته المهنية منصب نائب حاكم مقاطعة كيبيك الكندية ، و آلن أيلسوورث Allen B. Aylesworth (١٨٥٤ - ١٩٥٢) أحد رجال القانون البارزين في مدينة تورونتو الكندية.

Foster, John W., Diplomatic Memoirs, Vol. 2, p.199.

(37) F. M. Carroll, op.cit, p. 271.

(38) Alverstone, Viscount., Recollections of Bar and Bench, Longmans, Green & Co., New York, 1914, p.p. 240- 241.

(39) The Montgomery Advertiser (Newspaper), Montgomery, Alabama State, November 1, 1903.

(٤٠) جيمس براون سكوت : ولد عام ١٨٦٦ في بلدة كينكاردن Kincardine التابعة لمقاطعة أونتاريو الكندية. حصل على درجة البكالوريوس في الآداب من جامعة هارفارد عام ١٨٩٠ والماجستير في السنة التالية. حصل على الدكتوراه في تخصص القانون من جامعة هايدلبرغ في ألمانيا عام ١٨٩٣، وبعد عودته للولايات المتحدة مارس مهنة المحاماة في لوس أنجلوس حتى أواخر عقد التسعينات من القرن العشرين. ساهم مع مجموعة من زملاءه في تأسيس الجمعية الأمريكية للقانون الدولي عام ١٩٠٦. تدرج في وظائف عديدة منها عميداً لكلية القانون في جامعة إلينوي وأستاذاً للقانون في جامعة كولومبيا في نيويورك، وإبتداءً من عام ١٩٢١ أصبح محاضراً في جامعة جورج تاون في العاصمة واشنطن ثم رئيساً لقسم القانون الدولي والعلاقات الدولية في كلية جورج تاون للخدمة الخارجية وهو المنصب الذي إستمر عليه حتى عام ١٩٤٠. توفي عام ١٩٤٣ في مدينة أنابولس بولاية ميريلاند. ينظر:

Amorosa, Paolo, Rewriting the History of the Law of Nations: How James Brown Scott Made Francisco de Vitoria the Founder of International Law, Oxford University Press, New York, 2019, pages. 13, 21, 41, 199.

(41) Scott, James Brown., In Memoriam-Robert Lansing, The American Journal of International Law, Vol. 23, No. 1, Published by American Society of International Law, Jan., 1929, p. 110.

(42) Hartig, Thomas Henry, op.cit, p. 73.

(٤٣) مؤتمر بحيرة موهونك للتحكيم الدولي Lake Mohonk Conference on International Arbitration : عقد المؤتمر للمرة الأولى عام ١٨٩٥ بدعوة من العالم التربوي الأمريكي ألبرت سمايلي Albert K. Smiley (١٨٢٨-١٩١٢) أحد أعضاء طائفة الكويكرز البروتستانتية الداعية الى السلام في العالم ، وجرى إنعقاد المؤتمر في المنتجع الذي كان يملكه بالقرب من بحيرة موهونك في مقاطعة ألستر بولاية نيويورك. كان هدف المؤتمر تشجيع اللجوء الى التحكيم في المنازعات بين الدول بدلاً من إستخدام القوة العسكرية لحلها. حضر ذلك المؤتمر ما يقرب من خمسين شخصية مهتمة بالهدف المشار اليه ، ثم إزداد ذلك العدد بمرور السنوات ليضم إختصاصات عديدة مهتمة بموضوع التحكيم الدولي كالسياسيين وأساتذة الجامعات ورجال الأعمال والأدباء والصحفيين بالإضافة الى رجال القانون.

Amorosa, Paolo, op.cit, p. 39; Necrology, Proceedings of the New York State Historical Association, Vol. 12, Published by New York State Historical Association, , U.S.A, 1913, p. 361.

(44) Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907, Vol. 1, April 19 - 20, 1907, Published by Cambridge University Press, 1907, p. 23.

(٤٥) أوسكار سولومون شتراوس : ولد عام ١٨٥٠ في مدينة أوتبيرغ بمقاطعة كايزرسلاوترن جنوب غرب ألمانيا التابعة لمملكة بافاريا آنذاك. إنحدر من عائلة يهودية ألمانية ، هاجرت تلك العائلة الى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٥٤ واستقرت في ولاية جورجيا وحققت فيها ثراءً جيداً. تخرج من جامعة كولومبيا في نيويورك متخصصاً بالقانون. مارس إختصاصه القانوني في الشركات التي عمل بها. حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب من جامعة براون بولاية رود آيلاند في منتصف عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر. كان من أبرز مناصبه منصب الوزير المفوض للولايات المتحدة في إسطنبول بين عامي ١٨٨٧-١٨٨٩ ثم عامي ١٨٩٨-١٨٩٩ ، ثم جاء إختياره عضواً في محكمة التحكيم الدائمة في لاهاي عام ١٩٠٢ ، وأختير في عهد الرئيس ثيودور روزفلت وزيراً للتجارة والعمل بين عامي ١٩٠٦-١٩٠٩. توفي عام ١٩٢٦.

Strauss, Lewis I., Oscar S. Straus: An Appreciation, Publications of the American Jewish Historical Society, Vol. 40, No. 1, New York, September, 1950, p.p. 3- 16.

(46) Hartig, Thomas Henry, op.cit, p.74.

(47) American Journal of International Law, Vol. 1, No. 1, Published by Cambridge University Press, January 1907, p. 129.

(48) The Appointment of Mr. Robert Lansing as Secretary of State, The American Journal of International Law, Vol. 9, No. 3, Published by American Society of International Law, Jul, 1915, p.p. 296- 297.

(49) Scott, James Brown., op.cit, p. 110.

(50) Address of Mr. Robert Lansing of Watertown, N.Y., Proceedings of the American Society of International Law at its Annual Meeting, Vol. 2, Published by Cambridge University Press, 1908, p. 44.

(٥١) عرفت تلك الإجراءات بالفصل العنصري في سان فرانسيسكو عام ١٩٠٦ ، وتم تنفيذها بعد أن أصدر مجلس التعليم في تلك المدينة قرارات بعزل الطلاب ذوي الأصول الآسيوية وأكثرهم كان من اليابانيين والصينيين والكوريين في مدارس أنشأت خصيصاً لهم عرفت بـ (المدارس الشرقية) بهدف إبعادهم عن مدارس الطلبة الأمريكيين. أثارت تلك الإجراءات غضب عائلات الطلبة اليابانيين والحكومة اليابانية التي إعتبرتها تراجعاً عن إحدى بنود معاهدة عام ١٨٩٤ الموقعة بين البلدين والتي سمحت بهجرة اليابانيين الى الولايات المتحدة الأمريكية وتعهدت فيها الحكومة الأمريكية بعدم التمييز بينهم وبين المواطنين الأمريكيين في الحقوق ومنها التعليم.

Neu, Charles E., An Uncertain Friendship: Theodore Roosevelt and Japan, 1906-1909, Harvard University Press, 1967, p.p. 25- 26; Anderson, Douglas Firth., "We Have Here a Different Civilization": Protestant Identity in the San Francisco Bay Area, 1906-1909, Western Historical Quarterly, Vol. 23, No. 2, Published by Utah State University on behalf of Western History Association, May, 1992, p. 211.

(52) Address of Mr. Robert Lansing, op.cit, p. 45.

(٥٣) هاميلتون فش : ولد عام ١٨٠٨ في مدينة نيويورك. تدرج في دراسته حتى تخرج من كلية كولومبيا عام ١٨٢٧ متخصصاً في اللغة الفرنسية. تفرغ بعدها لدراسة القانون ، وبعد إكماله لدراسته تم قبوله في نقابة المحامين في نيويورك. أنتخب لمجلس النواب ممثلاً عن حزب الويغ بين عامي ١٨٤٣- ١٨٤٥. أنتخب حاكماً لولاية نيويورك من بداية عام ١٨٤٩ حتى نهاية عام ١٨٥٠ ، ثم أنتخب بعدها لعضوية مجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك بين عامي ١٨٥١- ١٨٥٧. أختير كوزير لخارجية الولايات المتحدة خلال عهدي الرئيسين يوليسيس غرانت و رانفورد هايس للمدة بين عامي ١٨٦٩- ١٨٧٧. توفي عام ١٨٩٣.

Corning, A. Elwood, Hamilton Fish, The Lanmere Publishing Company, New York, 1918, p.p 11- 105.

(54) Digest of International Law by Marjorie M. Whiteman, a reviewed book by : Bishop, Jr, William W., in Michigan Law Review, Vol. 63, No. 7, Published by The Michigan Law Review Association, May, 1965, p. 1317; Address of Mr. Robert Lansing, op.cit, p. 47.

(٥٥) كانت مدينة خربوط تضم العديد من المدارس التابعة للإرساليات التبشيرية الأمريكية والتي تخرج منها الكثير من الطلبة الأرمن والذين شجعته تلك المدارس على الهجرة الى الولايات المتحدة الأمريكية.

Gutman, David E., The Politics of Armenian Migration to North America, 1885-1915, Edinburgh University Press Ltd, 2019, p. 31.

(56) Address of Mr. Robert Lansing, op.cit, p. 48.

(٥٦) فرانك جورج لينز : ولد عام ١٨٦٧ في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا ، إنحدر من أصول ألمانية. عُرف عنه بأنه كان رياضياً من هواة قيادة الدراجات الهوائية التي قادتته الى المغامرة والاستكشاف حول العالم. إختفى في ظروف غامضة أثناء تجواله في مدينة أرضروم العثمانية في شهر مايس عام ١٨٩٤. تم التأكد فيما بعد أنه قتل على يد مجموعة من الأشخاص المحليين لدوافع متعددة. ينظر الصفحة الإلكترونية التالية التي تم تصفحها بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/٨ [https://en.wikipedia.org/wiki/Frank_Lenz_\(cyclist\)](https://en.wikipedia.org/wiki/Frank_Lenz_(cyclist))

(٥٧) جون ميلتون هاي : ولد عام ١٨٣٨ في مدينة سالم بولاية أنديانا ، درس بعد تدرجه في دراسته الأولية في جامعة براون بولاية رود آيلاند التي تخرج منها عام ١٨٥٨ ، ثم درس القانون في أحد مكاتب المحاماة التي كان يعمل فيها. رافق إبراهيم لينكولن وكان أحد العاملين في حملته الانتخابية الرئاسية ليصبح فيما بعد أحد مستشاريه. عمل في مناصب عديدة ومهمة ، منها مساعداً لوزير الخارجية ١٨٧٩- ١٨٨١ وسفيراً للولايات المتحدة في المملكة المتحدة بين عامي ١٨٩٧- ١٨٩٨ ، ثم وزيراً للخارجية من عام ١٨٩٨ حتى وفاته عام ١٩٠٥.

Thayer, William Roscoe., The life and letters of John Hay, Vol. I, Constable & Co. Limited, London, 1915, p.p. 5- 68.

(59) Address of Mr. Robert Lansing, op.cit, p. 50.

(٦٠) جون هنري تونستول : مواطن بريطاني ، ولد في لندن عام ١٨٥٣ ، هاجر للعمل الى مقاطعة كولومبيا البريطانية الكندية ولم يحقق نجاحاً هناك. إنتقل بعدها الى ولاية نيو مكسيكو الأمريكية التي كانت تشهد صراعاً محلياً على المال والسلطة . قتل في شهر شباط (فبراير) عام ١٨٧٨ في مدينة سانتا في بولاية نيو مكسيكو على خلفية أحداث ما عرف

بحرب مقاطعة لينكولن التي حدثت لأسباب تتعلق بالتنافس والفساد المالي في الولاية بين الكثير من رجال الأعمال وأصحاب الأملاك والقضاة ورجال حفظ القانون.

Utley, Robert M., High Noon in Lincoln Violence on the Western Frontier, University of New Mexico Press, 1987.

(٦١) ولیم ماکسویل إيفارتس : ولد عام ١٨١٨ في مدينة تشارلستون بولاية ماساتشوستس ، درس في مدرسة بوسطن اللاتينية ثم في كلية بيل التي شارك في تأسيس مجلتها الأدبية ثم أنهى دراسته فيها عام ١٨٣٧. درس في كلية الحقوق بجامعة هارفارد وتخرج منها عام ١٨٤٠ وبعدها تم قبوله في نقابة المحامين وحقق في مهنة المحاماة شهرة واسعة. أصبح من خلال عمله مقرباً من رجال حزب الويغ . تميزت آراءه السياسية في تلك الفترة بتأييده لإبقاء نظام العبودية ، ثم تغيرت آراءه بعدها الى تأييد إلغاء العبودية. أختير وزيراً للخارجية بين عامي ١٨٧٧-١٨٨١. أصبح عضواً في مجلس الشيوخ الأمريكي بين عامي ١٨٨٥-١٨٩١. توفي عام ١٩٠١.

Green, Samuel A. et.al , March Meeting, 1901. Manuscripts of Jonathan Edwards; Jonathan Edwards at Portsmouth, Proceedings of the Massachusetts Historical Society, Second Series, Vol. 15, Published by Massachusetts Historical Society, 1901-1902, pp. 1-24.

(62) Address of Mr. Robert Lansing, op.cit, p. 53.

(٦٣) تزايدت المواقف المعادية للمقيمين الآسيويين في الولايات المتحدة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، لاسيما الأيدي العاملة الصينية ذات الأجور المنخفضة والتي نافست الكثير من الأيدي العاملة الأمريكية ذات الأجور المرتفعة. وقد أدى ذلك العداء الى إندلاع العديد من الإشتباكات والتي كان الأميركيون هم المبادرون فيها. كان أشهرها ذلك الصدام الذي حدث في مدينة دنفر بولاية كولورادو عام ١٨٨٠ ، مما أدى الى تدمير واسع في الحي الصيني داخل تلك المدينة.

Wei, William., Asians in Colorado: A History of Persecution and Perseverance in the Centennial State, University of Washington Press, Seattle, 2016, p.p. 120- 150.

(64) Address of Mr. Robert Lansing, op.cit, p.p 52-53.

(65) Ibid, p. 60.

(66) Proceedings of the American Society of International Law at its annual meeting, Vol.4, Cambridge University Press, 1910, p. 187.

(67) Ibid, p. 191.

(68) Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1912, Vol. 6, April , 1912, Published by Cambridge University Press, 1912, p. 158.

(69) Ibid, p. 159.

(70) Ibid, p.p 163- 164.

(٧١) ينظر الجزء الأول في :

Lansing, Robert., Notes on Sovereignty in a State, The American Journal of International Law, Vol. 1, No. 1, Published by: American Society of International Law, Jan. - Apr., 1907.

(٧٢) ينظر الجزء الثاني في :

Lansing, Robert., Notes on Sovereignty in a State, Part Second, The American Journal of International Law, Vol. 1, No. 2, Published by: American Society of International Law, Apr- Jul., 1907.

(73) The Lansing Papers, Nationality and The Present Balkan Situation, Written 1909, The collections of the Seeley G. Mudd Manuscript Library, Box. 9, Folder. 14, Princeton, New Jersey, p.p 2- 52.

(74) Lansing, Robert., A Definition of Sovereignty, Proceedings of the American Political Science Association, Vol. 10, Tenth Annual Meeting, 1913, Published by Cambridge University Press, 1913, p.p. 61- 75.

(٧٥) مونتسكيو: ولد عام ١٦٨٩ قرب بوردو جنوب فرنسا ، إسمه الحقيقي تشارل لوي دي سيكوندا. كان فيلسوفاً وأديباً وقاض. ألف العديد من الكتب لاسيما في فلسفة الحكم والسياسة ، منها كتاب (روح القوانين) الذي كان واحداً من الكتب

المهمة للآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأميركية عند إعدادهم للدستور الأميركي. ويعتبر أيضاً أول من طرح فكرة ونظرية فصل السلطات التي أصبح لها فيما بعد أهمية واسعة في العديد من دول العالم. توفي عام ١٧٥٥ في باريس.

Ilbert, Courtenay Peregrine., Montesquieu, Oxford University Press, London, 1904, p.p. 4, 5, 35.

(٧٦) جون لوك : ولد عام ١٦٣٢ قرب بريستول جنوب غرب إنكلترا. درس في كلية كنيسة المسيح في أوكسفورد وتخرج منها طبيباً ثم حول إهتمامه بعد ذلك الى الفلسفة. كتب مقالات عديدة في مجال التربية وفلسفة العقل البشري والليبرالية. تأثر زعماء الثورة الأميركية بأرائه لاسيما تلك التي اعتبرت أن وظيفة الدولة تتمثل في حماية الثروة العامة والخاصة وأن من حق الشعب أن يغير الحكومة في حالة فشلها في وظيفتها أو عدم الحفاظ على حقوق الشعب وحرية. توفي عام ١٧٠٤ في إنكلترا.

Mack, Eric., John Locke, Continuum International Publishing Group, New York, 2009, p.p. 8, 10, 109, 131.

(٧٧) يوهانس ألثوسوس : ولد عام ١٥٦٣ في ديدنشاوسن غرب ألمانيا حالياً. هو فيلسوف ورجل قانون من معتنقي المذهب الكالفيني. عُرف بمؤلفه الذي أصدره عام ١٦٠٣ بعنوان (السياسة بطريقة منهجية وموضحة بأمثلة مقدسة ودينيوية) الذي قدم فيه شرحاً مبكراً في حينها لما تعنيه الفيدرالية. توفي عام ١٦٣٨.

Hueglin, Thomas O., Early Modern Concepts for a Late Modern World: Althusius on Community and Federalism, Wilfrid Laurier University Press, Waterloo, Ontario, 1999, p.p. 1, 29, 71.

(٧٨) جين بودن : ولد عام ١٥٣٠ في أنجيه الواقعة شمال غرب فرنسا. عُرف عنه بأنه كان رجل قانون فرنسي ومفكر سياسي. درس القانون الروماني في جامعة تولوز بفرنسا. ألف كتاباً في عدد من الاختصاصات ومنها التاريخ الذي ألف فيه كتاباً بعنوان (طريقة المعرفة للتاريخ) إحتوى أيضاً على آراء سياسية وقانونية. توفي عام ١٥٩٦.

International Conference on Bodin, Oskar Beck Publications, Munchen, 1973, p.p. 5, 38, 359.

(79) Lansing, Robert., Notes on Sovereignty in a State, First Part, p. 106.

(80) Ibid, p. 171.

(٨١) جوزيف ستوري : ولد عام ١٧٧٩ في مدينة ماربلهيد بإقليم ماساتشوستس ، درس في بداية تعليمه بمدرسة ماربلهيد ثم بعد ذلك في جامعة هارفارد إذ تخصص في القانون ، وبعدها تم قبوله في نقابة المحامين عام ١٨٠١ ومارس مهنة المحاماة. أنتخب لعضوية مجلس النواب بين عامي ١٨٠٨ - ١٨٠٩. رشح من قبل الرئيس جيمس ماديسون للعمل كقاض في المحكمة العليا للولايات المتحدة عام ١٨١١. عمل عام ١٨٢٩ أستاذاً للقانون في جامعة هارفرد. ألف كتباً ومقالات عديدة في القانون والدستور الأميركي كان أهمها كتابه المعنون (تعليقات على دستور الولايات المتحدة الأميركية) الذي نشر في ثلاثة أجزاء. توفي عام ١٨٤٥.

Newmyer, R. Kent, Supreme Court Justice: Joseph Story, University of North Carolina Press, Chapel Hill, North Carolina, 1986, p.p 3, 5, 20, 299.

(٨٢) توماس ماكنتاير كولي : ولد عام ١٨٢٤ في بلدة أتيكا شمال ولاية نيويورك ، درس خلال شبابه القانون وحصل على شهادته في الإختصاص ذاته. تم قبوله عام ١٨٤٦ في نقابة المحامين في ولاية ميشيغان. كان له إهتمامات أخرى في الأدب والفكر السياسي. إنتمى الى الحزب الجمهوري عام ١٨٥٦. أنتخب عام ١٨٦٤ لعضوية المحكمة العليا في ولاية ميشيغان ، ثم أصبح رئيساً للقضاة لما يقرب من عشرين سنة. كتب مجموعة من المؤلفات أهمها (دراسة في القيود الدستورية) عام ١٨٧٨ الذي ناقش فيه قضايا متعلقة بدستور الولايات المتحدة الأميركية. توفي في ميشيغان عام ١٨٩٨.

Knowlton, Jrome C., Thomas McIntyre Cooley, Michigan Law Review, Vol. 5, No. 5, Published by University of Michigan, March, 1907, p.p. 310- 325.

(83) Lansing, Robert., Notes on Sovereignty in a State, First Part, p. 108.

(84) Ibid, p. 109.

(85) Ibid, p. 128.

(86) Lansing, Robert., Notes on Sovereignty in a State, Part Second, p.p 298- 299.

(87) Ibid, p.p 303- 304.

(88) Ibid, p. 305.

(89) Ibid, p.p 319- 320.

(90) The Lansing Papers, Nationality and The Present Balkan Situation, pp. 1- 2.

(91) Ibid, p.p 1- 2.

(٩٢) مؤتمر برلين ١٨٧٨ : عقد في مدينة برلين بين شهري حزيران – تموز ١٨٧٨ ، وحضرت إليه وفود سياسية رفيعة المستوى مثلت كل من ألمانيا وإمبراطورية النمسا – هنجاريا و روسيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا والدولة العثمانية. جاء عقد المؤتمر بعد إنتهاء الحرب الروسية – العثمانية التي إستمرت بين عامي ١٨٧٧ - ١٨٧٨ ، وقد تمخض المؤتمر عن توقيع معاهدة برلين التي أدت الى إستقلال رومانيا وصربيا والجبل الأسود ، وحصلت بريطانيا في معاهدة منفصلة مع الدولة العثمانية على جزيرة قبرص ، وإحتلت إمبراطورية النمسا – هنجاريا مقاطعتي البوسنة والهرسك ، وضمت مقدونيا الى الدولة العثمانية بينما أصبحت بلغاريا إمارة شبه مستقلة داخل الدولة العثمانية.

Shafer, Kenneth Allen., The Congress of Berlin of 1878: Its Origins and Consequences, a thesis Master of Arts in History, Portland State University, 1989, p.p 49- 68.

(93) The Lansing Papers, Nationality and The Present Balkan Situation, p. 5.

(94) Ibid, p. 7.

(95) Ibid, p. 8.

(96) Ibid, p.p 17- 18.

(97) Ibid, p.p 37- 51.

(98) The Sun (Newspaper), Manhattan, New York, 21 March 1914.

مصادر البحث :

أولا : الوثائق المنشورة :

1- Address of Mr. Robert Lansing of Watertown, N.Y, Proceedings of the American Society of International Law at its Annual Meeting, Vol. 2, Published by Cambridge University Press, 1908.

2-Behring Sea Claims Commission, Record of Evidence Taken at Victoria, British Columbia, by The Commissioners, Under the Convention of February 8, 1896, between Great Britain and The United States, Vol. I.

3-Bering Sea Claims Commission, Record of proceedings before the commissioners under the convention of February 8, 1896 at Montreal, June 16, 1897 and at Halifax, August 25 to September 29, 1897.

4- F.R.U.S., Memorandum from Mr. Foster to Mr. Gresham, August 17, 1893. Agency of The United States, Paris. Department of State, U.S. Government Printing Office, Washington, D.C, 1894 ,Appendix I.

5- F.R.U.S. , Department of State, U.S. Government Printing Office, Washington, D.C, 1896.

6- F.R.U.S., Memorandum from Mr. Day to Sir Julian Pauncefote. Settlement of Bering Claims Award, No. 1054, Washington, June 15, 1898. Department of State, U.S. Government Printing Office, Washington, D.C, 1898.

7- F.R.U.S., Papers relating to the foreign relations of the United States, with the annual message of the president transmitted to Congress December 7, 1903, Memorandum from Mr. Lansing to Mr. Sifton, Washington, July 1, 1903, Department of State, U.S. Government Printing Office, Washington, D.C, 1904.

8- Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting 1907, Vol. 1, Published by Cambridge University Press, 1907.

9- Proceedings of the American Society of International Law at its annual meeting 1910, Vol.4, Published by Cambridge University Press, 1910.

10- Proceedings of the American Society of International Law at Its Annual Meeting , April 1912, Vol. 6, Published by Cambridge University Press, 1912.

11- The Lansing Papers, The Alaskan Boundary Tribunal in Session at London in 1903, Written 1904, The collections of the Seeley G. Mudd Manuscript Library, Box. 6, Folder. 4, Princeton, New Jersey.

12- The Lansing Papers, Nationality and The Present Balkan Situation, Written 1909, The collections of the Seeley G. Mudd Manuscript Library, Box. 9, Folder. 14, Princeton, New Jersey.

ثانياً : الرسائل والأطاريح :

13- Hartig, Thomas Henry, Robert Lansing: An Interpretive Biography. Modern History Ph.D. Dissertation. Ohio State University, 1974.

14- Shafer, K. A., The Congress of Berlin of 1878: Its Origins and Consequences. A Thesis Master of Arts in History. Portland State University, 1989.

ثالثاً : الكتب :

15- Alverstone, Viscount., Recollections of Bar and Bench, Longmans, Green & Co, New York, 1914.

16- Amorosa, Paolo, Rewriting the History of the Law of Nations: How James Brown Scott Made Francisco de Vitoria the Founder of International Law.: Oxford University Press, New York, 2019.

17- Ballard, Edward Goodwin, Philosophy and The Liberal Arts. Kluwer Academic Publishers, Dordrecht, Netherlands, 1989.

18- Brown, Robert Craig, Canada's National Policy 1883-1900: A Study in Canadian-American Relations, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1964.

19- Corning, A. Elwood., Hamilton Fish, The Lanmere Publishing Company, New York, 1918.

20- Foster, John W., Diplomatic Memoirs, Vol. 2, Houghton Mifflin Company, Boston, 1909.

21- Gutman, David E., The Politics of Armenian Migration to North America, 1885-1915, Edinburgh University Press Ltd, Edinburgh, Scotland, 2019.

22- Hueglin, T. O., Early Modern Concepts for a Late Modern World, Althusius on Community and Federalism, Wilfrid Laurier University Press, Waterloo, Ontario, 1999.

23- Ilbert, C. P. , Montesquieu, Oxford University Press, London, 1904.

24- Mack, E. , John Locke, Continuum International Publishing Group, New York, 2008.

25- Mihalkanin, Edward S. (Editor), American Statesmen : Secretaries of State from John Jay to Colin Powell. Greenwood Press, London, 2004.

26- Monroe, Joel H., Through Eleven Decades of History, Hungerford -Holbrook Co, Watertown, N. Y, 1911.

- 27- Neu, Charles E., An Uncertain Friendship: Theodore Roosevelt and Japan, 1906-1909, Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1967.
- 28- Newmyer, R. K., Supreme Court Justice: Joseph Story. University of North Carolina Press, Chapel Hill, North Carolina, 1986.
- 29-Thayer, William Roscoe., The life and letters of John Hay (Vol. I), Constable & Co. Limited, London, 1915.
- 30-Utley, Robert M., High Noon in Lincoln Violence on the Western Frontier, University of New Mexico Press, Albuquerque, New Mexico, 1987.
- 31-Wei, William., Asians in Colorado: A History of Persecution and Perseverance in the Centennial State, University of Washington Press, Seattle, 2016.

رابعاً : البحوث والمجلات الأكاديمية :

- 32- American Society of International Law. (1907, January). American Journal of International Law, Vol. 1, No. 1, Published by American Society of International Law, Washington DC.
- 33- Bishop, J. W. (1965, May). Digest of International Law by Marjorie M. Whiteman, (a reviewed book). Michigan Law Review, Vol. 63, No. 7, Published by The Michigan Law Review Association, Grand Rapids, Michigan, USA.
- 34- Brown, J. S. (1894). Fur Seals and The Bering Sea Arbitration. Journal of the American Geographical Society of New York, Vol. 26, No. 1, Published by Taylor & Francis, Ltd., Oxfordshire, UK.
- 35-Canale, Joshua. (2019). "When a State Abounds in Rascals": New York's Revolutionary Era Committees for Public Safety, 1775-1783. Journal of the Early Republic ,Vol. 39, No.2, Published by University of Pennsylvania Press, Philadelphia, Pennsylvania.
- 36-Carroll, F. M. (1987, May). Robert Lansing and the Alaskan Boundary Settlement. The International History Review, Vol. 9, No. 2, Published by Taylor & Francis, Ltd., Oxfordshire, UK.
- 37-Foster, J. W. (1895, December). Results of The Bering Sea Arbitration. The North American Review, Vol. 661, No. 469, Published By University of Northern Iowa, Cedar Falls, Iowa.
- 38-Green, S. A., Dexter, F. B., & De Normandie, J. (1901 - 1902). Manuscripts of Jonathan Edwards; Jonathan Edwards at Portsmouth. Proceedings of the Massachusetts Historical Society, Vol. 15, Published by Massachusetts Historical Society, Boston, Massachusetts.
- 39-Knowlton, J. C. (1907, March). Thomas McIntyre Cooley. Michigan Law Review, Vol. 5, No. 5, Published by The Michigan Law Review Association, Grand Rapids, Michigan, USA.
- 40-Lansing, R. (1913). A Definition of Sovereignty. Proceedings of the American Political Science Association, Tenth Annual Meeting, Vol. 10, Published by Cambridge University Press.

- 41-Lansing, R. (1907, Jan - Apr). Notes on Sovereignty in a State. The American Journal of International Law, Vol. 1, No. 1, Published by American Society of International Law, Washington DC.
- 42-Lansing, R. (1907, April). Notes on Sovereignty in a State. Part 2. The American Journal of International Law, Vol. 1, No. 2, Published by American Society of International Law, Washington DC.
- 43-Lansing, R. (1904). The Questions Settled by the Award of the Alaskan Boundary Tribunal. Bulletin of the American Geographical Society, Vol. 36, No. 2, Published by Taylor & Francis, Ltd., Oxfordshire, UK.
- 44-Necrology. (1913). Proceedings of the New York State Historical Association, Vol. 12, Published by New York State Historical Association.
- 45-Scott, James Brown. (Jan, 1929). In Memoriam-Robert Lansing. The American Journal of International Law, Vol. 23, No. 1, Published by American Society of International Law, Washington DC.
- 46-Strauss, L. I. (1950, September). Oscar S. Straus: An Appreciation. The American Jewish Historical Society, Vol. 40, No. 1, New York.
- 47-The American Society of International Law. (1915, July). The Appointment of Mr. Robert Lansing as Secretary of State. The American Journal of International Law, Vol. 9, No. 3, Published by American Society of International Law, Washington DC.
- 48-The Graduates of Amherst College. (October- June, 1911-1912). Amherst Graduates' Quarterly, Amherst, Massachusetts.
- 49-Williams, W. (1943, October). Reminiscences of the Bering Sea Arbitration. The American Journal of International Law, Vol. 37, No. 4, Published by American Society of International Law, Washington DC.

خامساً : الصحف :

- 50- The Montgomery Advertiser (Newspaper), (1 November , 1903), Montgomery, Alabama State.
- 51- The Sun (Newspaper), (1914, March 21), Manhattan, New York.

سادساً : المؤتمرات :

- 52- International Conference on Bodin. (1973). Jean Bodin. Munchen: Oskar Beck Publications.

سابعاً : المواقع الإلكترونية :

- Wikipedia. (2024). [https://en.wikipedia.org/wiki/Frank_Lenz_\(cyclist\)](https://en.wikipedia.org/wiki/Frank_Lenz_(cyclist)). 8 December, 2024, from Wikipedia: [https://en.wikipedia.org/wiki/Frank_Lenz_\(cyclist\)](https://en.wikipedia.org/wiki/Frank_Lenz_(cyclist))

المؤتمر التربوي الاول في العراق
(٩ - ١٥ نيسان ١٩٣٢)

محمد عبد الوهاب حسين

Mohammed.abd@coart.uobaghdad.edu.iq

أ. د. وسن سعيد عبود

wasan.saeed@coart.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

المؤتمر التربوي الاول في العراق (٩- ١٥ نيسان ١٩٣٢)

محمد عبد الوهاب حسين

أ. د. وسن سعيد عبود

الملخص

عقد المؤتمر التربوي الاول في العراق في المدة بين ٩ - ١٥ نيسان من العام ١٩٣٢ ، بموافقة الملك فيصل الأول لترقية وتحديث القطاع التعليمي في العراق والانتقال به الى مرحلة جديدة ، ويعد هذا المؤتمر هو الأول من نوعه في التاريخ التعليمي العراقي ، كما انه يعد تحقيقاً لأهداف ما يعرف تاريخياً بالاتجاه الأمريكي في التعليم وهم الطلاب العراقيين المتخرجين من جامعات الولايات المتحدة الامريكية والجامعة الامريكية في بيروت ، وتضمن المؤتمر الكثير من رؤى لجنة مونرو الامريكية التي زارت العراق لغرض دراسة النظام التعليمي العراقي في نفس العام الذي عقد فيه هذا المؤتمر .

Abstract

The first educational conference in Iraq was held between April 9 and 15, 1932, with the approval of King Faisal I, the conference aimed to upgrade and modernize the educational sector in Iraq and move it to a new stage, this conference is considered the first of its kind in Iraqi educational history and is viewed as an achievement of the goals of what is historically known as the American trend in education, who are Iraqi students who had graduated from universities in the United States of America and the American University in Beirut played a significant role in shaping the conference, the conference included many of the visions of the American Monroe Commission, which had visited Iraq to study the Iraqi educational system in the same year in which that conference was held.

الكلمات المفتاحية: التعليم في العراق - المؤتمر التربوي العراقي الأول - متي عقراوي - بول مونرو .

تحضيرات ووقائع المؤتمر التربوي الاول في العراق

بعد تسليم تقرير لجنة مونرو الى وزارة المعارف، وبعد الاطلاع على فحواه ارتأت الوزارة عقد مؤتمر تربوي، وبالفعل تم عقد ذلك المؤتمر في بغداد في المدة بين ٩ - ١٥ نيسان ١٩٣٢^(١)، برعاية الملك فيصل الأول وبحضور حوالي ٧٠% من العاملين في مجال التربية والتعليم في البلاد^(٢)، وضمت هيئة ادارة المؤتمر وزير المعارف عبد الحسين الجبلي رئيساً فخرياً وسامي شوكت مدير المعارف العام رئيساً للمؤتمر ومرشد التعليم العام محمد فاضل الجمالي ومدير المعلمين متي عقراوي ومفتش المدارس المتوسطة تحسين ابراهيم، ومفتشة مدارس البنات سلمى عسيران ومدرس الرياضيات داود قصير وسكرتير وزارة المعارف عبد الكريم الازري ومدير الثانوية المركزية درويش المقدادي، ومديرة دار المعلمات الس قندلفت، والمدرس في دار المعلمين علي حيدر سليمان^(٣).

شملت اهداف المؤتمر اطلاع الكادر التعليمي على أبرز الآراء الحديثة في مجال التربية، مثل جمع معلمي البلاد لإيجاد علاقة فيما بينهم لخلق فائدة لمعارف العراق، والمناقشة وتبادل الآراء حول المعوقات التي تعترض المعلم العراقي والعمل على ايجاد الحلول، واخيراً البحث في الوسائل الممكن بواسطتها بث روح وطنية صحيحة بين طلاب المدارس^(٤).

لقى الملك فيصل كلمته عند افتتاح المؤتمر التربوي الاول، وعبر من خلالها عن سروره في عقد ذلك المؤتمر واعرب عن قناعته بقدرة المؤتمر على اصلاح ما يلزم اصلاحه في المعارف، وان يتم طرح الملاحظات النافعة للمعارف اضافة الى توصيات لجنة الخبراء الذين زاروا البلاد مؤخراً^(٥).

كما لقي سامي شوكت مدير المعارف العام كلمة رحب فيها بالحضور، واكد فيه على ضرورة تحلي طلاب المدارس بالأخلاق والنظام والاخلاص، وذكر انه المؤتمر الاول من نوعه في البلاد، كما لقي محمد فاضل الجمالي رسالة نيابة عن بول مونرو الذي غادر العراق قبل عقد المؤتمر التربوي الاول، وجاءت تحت عنوان "رسالتي الى معلمي العراق" تطرق فيها الى (الفرص العظيمة والمسؤولية الكبرى التي وقعت على عاتقهم، لاسيما وان الواقع العالمي الحالي يثبت ان العراق لن يتعرض لأخطار خارجية فهو غير مثقل بالديون وغير مزدحم بالسكان وان مشاريع الري المطبقة حالياً تعد الفلاح بالجزاء على جهوده وان هناك جزءاً كبيراً من الشعب العراقي في طور الانتقال من الحياة البدوية الى الحياة الزراعية وان ذلك لن يتحقق الا بالتربية الصحيحة)^(٦).

تعد اشارة بول مونرو من العراق بلد غير مثقل بالديون الخارجية ملحوظة صائبة لانها لن تمنع البلاد من تنفيذ مشاريع تعليمية كبرى، لانها تعد عنصراً مقيداً للنمو الاقتصادي وذلك عن طريق تقليل الانتاجية مما يجعل الحكومة اقل استعداداً لتبني سياسات مكلفة او صعبة في حال توقعت ان عوائد زيادة الانتاج قد تذهب مستقبلاً الى الدائن الاجنبي^(٧)، كما ان إشارته الى العامل السكاني في إطار الواقع العراقي تستوجب ملاحظة الدولة لضرورة ايجاد بيئة تربوية سكانية صحيحة^(٨).

اشار مونرو الى ان (زملاءه في الولايات المتحدة الأمريكية يتفقون معه في الرأي حول مسألة ان كيان العراق متوقف على المعلم، وان غاية تقريره تكمن في جعل عمل المعلم افضل مما عليه الآن، مؤكداً على اهمية التدريب على تلك الخدمة، مركزاً على اهمية انشاء مخيمات صيفية للمعلمين، ومراقبة عمليات التفتيش والارشاد، كما شدد على تقليل نقل المعلمين المتكرر من موقع الى آخر، وعلى وضع مكافأة للمجدين منهم في الخدمة، و اضاف: ان اعظم انجاز يقدمه المعلم الى العراق يكمن في عملية تطوير حياة القرية والعشيرة وحياة الجماعات في المدن)^(٩).

نتفق مع ما ذهبت اليه اللجنة، فأن مهنة التعليم من أخطر المهن لأنها تعد قادة المستقبل بما يتناسب مع التطورات المتسارعة في شتى مجالات الحياة^(١٠)، أن تشخيص رئيس اللجنة للأهمية القصوى لموقع المعلم كونه ضابطاً لحماية كيان العراق لا يخلو من الصحة، لاسيما وأنه القيم على التراث الثقافي للأمة وتنميته وتطويره والحفاظ على هويته الحضارية والثقافية.

والقى متي عراوي محاضرة بعنوان "تعميم التعليم في العراق" نيابة عن الدكتور نايت احد اعضاء لجنة مونرو، عبر فيها عن "اعتقاده الراسخ بأنه لا توجد فئة من العاملين في التعليم في كل العالم تواجه ما يواجهه معلمي العراق من المشاكل، وأن حل مشاكل العراق لا يتحقق الا عبر التعليم، وأن البلدان ذات المشاكل الشبيهة بمشاكل العراق تم حل مشاكلها عبر التعليم، وأن التربية الصحيحة ليست الضمان للنظام والحكم العادل فقط بل هي ضمان للسعادة والمعيشة الجيدة وللرفاه الاقتصادي، وهي الوسيلة الوحيدة لرفع مستوى معيشة المجتمع وأن في استطاعة التعليم الصحيح للجميع أن يحدث انقلاب في حياة العراق ويرفع مستوى معيشته"^(١١).

لامناص أن التعليم الاجباري هو البوتقة التي تصهر جميع عناصر الأمة لتكون كتلة واحدة ذات شعور واحد وايمان بمستقبل واحد^(١٢)، وأن جعله ملزماً لفئات عمرية معينة هو أفضل وسيلة لتثقيف المجتمع بمختلف طبقاته.

القي محمد فاضل الجمالي كلمة بعنوان "حياة المعلم الشخصية ونموه في المهنة"، عد فيها شخصية المعلم من اهم عوامل التربية ورأى ضرورة ان يتمتع المعلم بمبادئ فلسفية وان ينظر الى العوامل والارتباطات الموجودة في المحيط وتوجيهها نحو المثل العليا، وان يكون ذو شخصية اجتماعية جذابة، وشخصاً عاملاً على تطوير نفسه، وان يتصف بالتضحية ويعمل في التعليم لشعوره بأنه واجب وطني ليس من اجل الراتب والاسم فقط^(١٣).

وجه محمد فاضل الجمالي نقداً شديداً لهجة الى معلمي العراق من الشباب رغم ذكره لصفات المعلم النموذجي، وشدد على وجود (فجوة شاسعة بين ما يجب ان يكون عليه المعلم في العراق وبين واقع الحال)، ودعا ان يكون المعلم شاباً نشيطاً وان يسود بيته السلام، وان يمارس الرياضة لمدة ساعة يومياً، وان تكون له حياة اجتماعية صالحة، وان تكون للمعلمين مجتمعات يلتقون ضمنها ويتباحثون فيها عن طريق تشكيل نادياً للمعلمين^(١٤).

والقي عبدالكريم الازري سكرتير وزارة المعارف وأحد اعضاء هيئة ادارة المؤتمر محاضرة بعنوان "التعاون الدولي بعد الحرب العامة"، تناول فيها "ضرورة تعاون المجتمع حالياً والتشكيلات الدولية في الوقت الحاضر لاسيما ما نشأ منها بعد الحرب العالمية الاولى والنواقص الموجودة ضمن هذه التشكيلات"^(١٥).

القي مدير المعارف العام سامي شوكت كلمة الى مدراء المدارس، عبر فيها عن قناعته "بأن الانسان مفطور على الخير وهناك عوامل تؤدي به الى الشر، ودعا الى اعتقاد الخير مع اي شخص نعمل معه ما لم تتضح لنا امور تستوجب الشدة، واننا مسؤولون على تثقيف الناشئة بحب العراق، والا نكتفي بالكفاءة العلمية والفنية للمعلمين بل تحري ميول المعلمين من جهة الوطنية والعروبة والاخلاص الكامل للوطن والتاج، ودعا المدرس الى مناقشتهم ومعرفة ما يظهرونه وابلاغه مباشرة او عبر المفتشين"^(١٦).

لا شك ان التعاطي امنياً مع المعلمين عبر امتحانهم فكرياً بمفاهيم قد تكون غير مؤهلة فكرياً في تلك المدة لا يصب في مصلحة التعليم لأن المعلم قد يكون مخلصاً ومحباً لشعبه وللقانون والنظام العام ولكنه لديه وجهة نظر سلبية في الحكومة وسياستها.

والقي داود قصير وهو احد خريجي جامعة كولمبيا والمدرس في مدرسة الهندسة محاضرة بعنوان "الغاية من تدريس الرياضيات" وقسمها الى "الفائدة العلمية والقيمة التنظيمية والقيمة التثقيفية واوضح ان المدينة الحديثة هي مدينة للرياضيات، وذكر ان الاقسام التي يحتاجها افراد المجتمع المدرسي هي فكرة عامة عن ماهية الفروع وما فائدتها في الحياة العلمية والهندسة العلمية،

والجبر والمثلثات العددية ودراسة بعض النظريات الهندسية^(١٧)، لا يمكن انكار أهمية الرياضيات "لأنها تدخل بشكل أو بآخر في مختلف نواحي الحياة وقد يغيب دورها عن المستخدم النهائي للتقنية مثلاً، ولكن الصانع والمصمم يعتمد في عمله على معادلات ومقاييس رياضية دقيقة"^(١٨)، ولا ريب أن الرياضيات وتعميق معارفها سيحقق الكثير لواقع العراق في مختلف المجالات.

لقى متي عقراوي مدير دار المعلمين محاضرة بعنوان "الفعالية واللذة في التربية"، تعرض فيها الى "شكوى المجتمع من التربية الحالية وانها غير مرتبطة مع المحيط البيئي وغير عملية" ويعتقد عقراوي "ان هذه الشكاوي مبالغ فيها وان المدرسة ليست العامل الوحيد في ايجاد الناشئة العاملة والمنتجة، وتطرق الى العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي تمنع الطلاب من التعلم، وانتقد طرق التدريس التي تमित الحركة والنشاط في الطفل بدلاً من استثمارها، لانها تربى طلاب جامدون لا حراك فيهم، يستمعون الى المعلم، ويتحدد دورهم بالإصغاء والاستماع"^(١٩)، ولا ريب ان قمع النشاط البدني للطفل تحت عنوان النظام مع عدم ايجاد مخرج لاستثمار هذه الحركة والنشاط لا يصب لصالح الطفل، لان التربية تعني تنمية كل قوى الطفل بشكل كامل^(٢٠).

لقد عد عقراوي عملية انتظار الطالب للمعلم في أن يشرح له كل شيء ويفكر بدلاً عنه، ويضع له الخطط الدراسية "عبودية فكرية ونفسية وأنها أحدى أسس التربية الاتكالية، أما النظرية الجديدة التي تتركز على اعتماد الطالب على نفسه وفعاليته والعمل مستنداً على قدراته في فهم وتحليل الغوامض، وتكون وظيفة المعلم عندها ارشادية مبنية على المساعدة واقتراح خطط العمل، وهو أساس التربية الاستقلالية"، كما عد مجرد السماع والفهم غير كافيان للتعلم، فكان من الواجب "أن يقوم الطالب بالمواظبة على دروسه بالاعتماد على نفسه بدافع الشعور أو الرغبة أو الحاجة او الحاجة"^(٢١)، والظاهر ان عقراوي كان يسعى لإيجاد نوع من التفاعل الصفي الذي ينتج طالب معياري يسود الواقع المدرسي لأن ثقافة الاتكالية في حال استشرائها في الوسط التعليمي ستؤدي الى ضمور الاستقلالية لدى الطالب^(٢٢).

أوضح عقراوي منهج النظرية القديمة، بأنه يحتوي على "معلومات ينبغي للطالب تعلمها سواء رغب في ذلك ام لا، وذكر ان من واجب المعلم الاستعانة بكل الوسائل الممكنة لتعليم وتسهيل هذه المعلومات، لأنه الوساطة بين المعلومات والطالب، وانها نظرية تؤدي الى الحفظ المقرون بالفهم والذاكرة، اي العامل الاهم للتعليم"^(٢٣)، مشدداً على ان تقنيات منهج النظرية القديمة غير مثمرة على المدى البعيد، لان المنهج وفق هذا المفهوم الضيق يؤدي الى اقتصار وظيفة المدرسة على تقديم المعرفة لغرض حفظها واستظهارها مما يؤدي الى حدوث عزلة بين المدرسة

والمجتمع لان دور المدرسة يكمن في حفظ مجموعة من المعلومات دون ربطها في الحياة، كما يؤدي في الوقت نفسه الى اهمال بقية الجوانب اللازمة لنمو الشخص المتعلم وتركيزها على تقديم المعارف النظرية واهمال الجوانب الادائية والتطبيقية والنفسية^(٢٤).

يبدو ان النظرية التي نادى بها عقراوي سعت للإيجاد مبدأ المبادرة الشخصية لدى الطالب لتحصيل المعرفة وإعادة انتاج الاهداف التربوية، وعد المنهج غاية حسب الرؤية التقليدية وواسطة لتحصيل المعرفة حسب الرؤية الحديثة.

عد عقراوي ان التعليم وفق النظرية القديمة يجبر الطلاب على تعلم ما يقدر لهم من دروس مع تجاهل رغباتهم الشخصية، مما يؤدي الى النفور من الدروس وانعدام الشعور بدافع متابعتها، وسجل ان النظرية الحديثة تراعي الفروق الفردية عند التعلم ونشوء طرق متعددة لمعالجة الفروق الفردية، فقد يربط بعضها نظام التعليم المشترك في الاساس كنظامي دلتن^(٢٥) ووينكا^(٢٦)، ومنها ما يصنف الطلاب الى شعب مختلفة بناءً على ذكائهم ومقدرتهم على ان يوضعوا في شعبة واحدة ومنها الجمع بين التعليم المشترك والتعليم الفردي في الصف الواحد، فيعلم طلاب الصف جميعهم في بعض المرات، ويعلمهم فرداً فرداً حسب حاجاتهم في احيان اخرى^(٢٧).

تطرق عقراوي الى ضرورة تعبير الاطفال عن انفسهم، إذ ان "للأطفال افكار وخطط يريدون اخراجها للواقع الخارجي، ولربما يكون تفكيره صحيحاً او خاطئاً ولكنه بالنتيجة تفكير ويجب استثماره ومنحه المجال للتعبير، وهنا تكمن وظيفة المعلم في ايجاد الجو الصالح لبروز افكار وخطط طلابه الى حيز الوجود، في حال وجود اعمال يدوية او ما شابه ذلك، مما يجعل الطالب المركز الاساسي للتعليم عبر منحه الفرصة للاعتماد على نفسه، وهي عكس الطريقة القديمة المؤسسة على فعالية المعلم لا الطلاب"^(٢٨).

والقى مدير الثانوية المركزية درويش المقدادي، كلمة بعنوان "الاعمال اللاصفية في المدارس الثانوية" عرف فيها تلك الاعمال "بأنها ما يقوم به الطلاب في غير اوقات الدراسة، وتحدث عن وجود نوعين منها، حيث ينفذ الطالب جزءً منها خلال ساعات الدرس، في حين يتم تنفيذ الاخرى في غيرها من الاوقات، وان على الطلاب الاهتمام بالنوعين معاً، على ان يتم في تلك الاعمال تطبيق النظريات التي تعلموها خلال مسيرتهم الدراسية المختلفة، فلجنة الخطابة على سبيل المثال تعزز قدرات الطالب على ما تعلمه في دروس اللغة العربية وعلم الاجتماع، ولجنة الكشفية تعين معلمي التاريخ والجغرافية، في حين تكون لجان الحانوت والبقالية مفيدة للطلاب في المسائل الحسابية والاقتصادية"^(٢٩).

أكد درويش المقدادي "ان نجاح الشباب متوقف على التعاون واكتساب ثقة الآخرين وتولي قيادتهم، وشجع على غرس مثل هذه الصفات عن طريق ساحات اللعب وعبر الرحلات ولجان الحانوت وادارتها، واضاف ان حياة المدرسة نابعة من الاعمال الاجتماعية، ورأى ضرورة غرس فكرة العمل بين الطلاب واعلاء كلمة الوطن، وان نجاح الاعمال اللاصفية يتوقف على رغبة المدرس وضرورة وضع خطة سنوية مفصلة يؤثر فيها المشاريع والمواعيد والاجتماعات ... الخ، التي يقرر تحقيقها، وأضاف انه من الافضل اعداد تقارير اسبوعية عن اعمال اللجنة تكون متاحة للأعضاء وتوضع رسم بيانته من الناحية المالية والاجتماعية لتطلع عليها اللجنة"^(٣٠).

لاريب أن مساعدة الطلاب على تنمية مهاراتهم الاجتماعية، وتحسين علاقاتهم بأنفسهم والآخرين المحيطين بهم، واكسابهم مهارات حل المشكلات، وتحسين صورة الذات لديهم^(٣١)، شيء إيجابي ويمكن تحقيقه عبر اللجان الطلابية التي تعد آليات ناجحة لتطوير الواقع الطلابي، فالمنتزهات تكون نافعة لو أشبعت فضول الطالب، أما القيمة الأساسية لأي رحلة فتكمن في تمكين الطالب من المشاركة في الأسئلة والملاحظات التي تؤدي الى المزيد من البحث والدراسة.

دعا المقدادي لبناء روح قومية بين الطلاب عبر غرس الصفات الجيدة فيهم عبر "الاعمال اللاصفية والمتضمنة اللجان الرياضية المتألّفة من مدرس يرأسها، على ان يتم انشاء الفرق واقامة المسابقات ووضع ميزانية لسد نفقاتها عبر جمع الاموال من الطالب او المدرسة او من ريع الحفلات، وانشاء اللجان الادبية ولجنة الخطابة ولجنة الشعراء ولجنة المطالعة واللجنة الاقتصادية، وانشاء لجنة الحانوت التي تقوم بفتح محلاً في المدرسة لبيع ما يحتاجه الطالب ويؤلف رأس مالها من الطلاب، ولجنة العمل اليدوي للراغبين في التجارة والبناء والحدادة"^(٣٢). وقد اشترط لنجاح هذه اللجان نشر تقارير اسبوعية عن ماليتها وتنظيم دفاتر باحتياجاتها وتأمين الارباح، وادخار ما يزيد لديها من اموال في المصارف، كما يتم انشاء اللجان الاجتماعية والصحية ولجنة الاصلاح لمتابعة اخلاق الطلبة ولجنة لمقاومة التدخين ولجان لمساعدة الفقراء ولجان فنية وعملية واستحداث فرقة الكشف الجواله ومهمتها بث مبادئ الرجولة في الطلاب^(٣٣).

يبدو ان درويش المقدادي كان يسعى لإحداث تغيير راديكالي^(٣٤) في بنية المجتمع مستقبلاً عبر زج الاجيال الشابة في المدارس في لجنة طلابية تعمل على بناء مواطن نموذجي يعمل بطريقة تشاركية مع اقرانه لبناء الواقع الراهن.

كما الفت الس قندلفت كلمة حول "الولد في ادوار التنشئة"، لاسيما وانه يمر بعدة أدوار حياتية، "الدور الاول من السنة الاولى حتى السنة الثالثة، حيث تولد معهم بعض العواطف

والغرائز مثل الخوف والمحبة، وتظهر لديهم غريزة الاطلاع والتقليد وهو ما يلعب دوراً مهماً في نموهم وظهور غريزة التملك والتركيب والبناء، كما يتضح في هذه الفترة سلوك الالتقاط والجمع واللعب والحركة وغريزة تجنب الضغط، واطهار المحبة، ورأت ضرورة وجود العاب مناسبة لهذا السن كسكة الحديد والمراكب وكلما له علاقة بالتركيب وله علاقة بالحواس الخمسة، وهنا لاتعد الالعب التي تتطلب دقة او حركة عضلية دقيقة مثل كشك الخرز مناسبة لهم^(٣٥).

والظاهر ان المتحدثة ربطت بين الغرائز الداخلية وتطبيقاتها الخارجية عبر الالعب، ولا يخفى ما للعب من دور مهم في واقع الطفل اذ انه ضرورة ملحة لنمو الطفل واشباع حاجاته ووسيلة طبيعية تعمل على تنمية مهارات الاطفال^(٣٦)، اما المرحلة الممتدة من "السنة الرابعة الى السنة السابعة" فانها تميل الى التقليد وازدياد حب التملك وازدياد تعلقهم بالكبار وانسب الالعب لهم ما كان له علاقة بالبناء والتركيب والتمثيل وفي حالة كونه قوياً يتحمل لعب الاولاد الخشن^(٣٧).

ان الالعب المشار اليها ضمن هذه الفئة العمرية نافعة للأطفال بالفعل وتتدرج ضمن الالعب التركيبية، التي تعد من المظاهر المميزة لنشاط اللعب في مرحلة الطفولة المتأخرة^(٣٨).

تحدثت قندلفت عن المرحلة بين السنة السادسة والسابعة "بأن سرعة النمو في هذه المدة العمرية والميل الى جمع الاشياء والاسئلة الكثيرة عن اعضائهم المختلفة بدافع الاستقصاء والسؤال، ففي هذه المدة يكون الانسان اكثر قابلية للحفظ وذو قدرة على التميز بين الحقيقي وغير الحقيقي ومهتم بالرسم والصور مما يسهل عليه تعلم الجغرافية والتاريخ والطبيعات، وهو ما يساعد على تنمية قدراته في ضبط نفسه كما اوضحت انه يميل الى تقليد سلوك الكبار^(٣٩)، و "تكون غريزة اللعب قوية جداً بين سن الحادية عشرة والرابعة عشرة بحسب رأي اليس، فالإنسان فيها لا يميل للالعب السهلة البسيطة، بل الى الاكل بكثرة والجمع والخزن والميل للعراك والانخراط في جماعات والمزاح، مما ينتج عنه وجود مجموعة من القوانين السلوكية بسبب اتساع دائرة الاختلاط، كما يكثر في هذا السن العناد والوفاء اتجاه الأصدقاء وافراد العائلة، لكن من خلال التربية والاهتمام يمكن اظهار قوة شعورهم بالمسؤولية، ويمكن ان يتم فيها التأسيس لهواية المطالعة، وقد يتضايق الذكور في هذا السن من فرض التعاليم الاخلاقية المباشرة والانسب ان يأخذوها عبر الاشارة والايحاء^(٤٠)، وتطرفت اليس للحالة النفسية بين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، حيث "يكون التقليد والميل للحصول على استحسان الغير، وحب التفوق وامتلاء افكارهم بالأحلام والرغبات على اشدها، كما تكون العواطف شديدة وبحاجة الى ايجاد منافذ للتعبير عنها عبر الالعب الرياضية او الفنون

الجميلة او الاعمال الاجتماعية، ويميل في هذه السن الى احترام بعض الكبار، وتشهد تلك الفترة قوة في التفكير المجرد تقوى تدريجياً^(٤١).

جاء دور سامي شوكت، فألقى كلمة بعنوان "الصحة والنظافة في المدارس" تطرق فيها الى "ضرورة وجود مثل اعلى لكل مجتمع يسعى له في حياته"، واستشهد بالبلاد الاوربية وتغلغل الفكرة القومية فيها، جاعلاً منها مدخلاً للامة العربية وسعيها للوصول الى المراتب العالية^(٤٢).

يبدو ان سامي شوكت كان يسعى لنشر الرؤية القومية عبر الجهاز التعليمي، لاسيما انه تعاون مع عدد من الشخصيات القومية المعروفة لتوجيه مديرية المعارف نحو تبني الفكر القومي واشاعة روح القوة في الجيل الناشئ^(٤٣).

من جانب اخر تناول الصحة في المدارس وصنفها الى: الصحة العامة والصحة الخاصة وعد ان الصحة العامة تشمل معظم افراد الشعب، اما الصحة الخاصة فتشمل حياة الفرد تحت ظروف خاصة، وانها لا تشمل بقية افراد المجتمع، كحياة العاملين في الاسطول البحري او عامل المناجم، وانتقد قلة الشروط المتوفرة في البنايات المدرسية فيما يخص هذا المجال ودعا الى ان تكون "مواد بناء المدارس غير قابلة للرطوبة، وان يكون الصف واسعاً ويحتوي على شبابيك، وان تؤخذ المواصفات الحسية للطفل من ناحية طول ساقه وعموده الفقري وغيرها في صناعة المقاعد الدراسية"^(٤٤).

لاريب أن الأبنية المدرسية من حيث الجودة ضرورة قصوى لإيجاد حياة طلابية جيدة وأن يحقق البناء المدرسي حماية للطلاب بقدر الامكان من انتشار الامراض المعدية، كما أن توفير مقاعد دراسية تراعي جوانب الراحة للطلاب تتدرج ضمن الأثاث المدرسي الواجب توفيره من قبل وزارة المعارف. وتعد الكلمات التي ألقيت في المؤتمر البناء النظري لما ينبغي أن يتحرك على ضوئه نظام التعليم العراقي.

اللجان المنبثقة من المؤتمر التربوي الأول

قرر المؤتمر تقسيم عمل المؤتمر على شكل لجان لتناول كل مفردة من مفردات النظام التعليمي على حده ووضع الحلول المناسبة لها، وتكمن أهمية هذه اللجان بمدى شمولها لجميع مفاصل النظام التعليمي العراقي فيما يخص توصياتها، إذ تناولت اللجان (المواد الدراسية في مختلف المراحل على مستوى جودة هذه المواد علمياً ومدى وملاءمتها لقابليات الطلاب ومدى فائدتها عملياً في المحيط الخارجي، وتحديث الادارة والتفتيش والاهتمام بالجانب الأخلاقي والانضباطي من العملية التعليمية)، وتعد توصيات هذه اللجان المخرجات العملية للمؤتمر.

ويلاحظ ان هذه اللجان خولت إضافة الى اصدار القرارات حق أبداء الاقتراحات حول المواضيع التي تناولتها.

اولاً. لجنة التعليم الاولي والابتدائي (العام والنسوي)

أكدت على الحاجة الى وجود

- كتب عربية مكتوبة بأسلوب بسيط متدرجة من العامة الى الفصحى.
- حذف درس الهندسة من المرحلة الابتدائية للبنات وجعله مقترناً بدرس الحساب.
- جلب معلمة رسم من خارج العراق للعمل في دار المعلمات.
- جعل دراسة اللغة الإنكليزية من الصفين الثالث والرابع وجلب مدرسات من الخارج لهذا الغرض لعدم وجود مدرسات محليات.
- اصلاح منهج الحساب للمرحلة الابتدائية، وتخفيض عدد ساعات التدريس لمعلمات الصفوف الأولية، وتعليم الموسيقى وأن يحق للمديرة استصحاب البنات الى خارج المدرسة لتطبيق بعض الدروس.
- أعداد كادر نسائي لتعليم الصفوف الأولية.
- أعداد منهج خاص بتدبير المنزل.
- زيادة الروضات وفي حال عدم الاستطاعة يتم فتح صفوف تمهيدية ضمن المدارس الأولية.
- إنشاء نماذج لبيوت متوسطة لغرض تطبيق منهج تدبير المنزل.
- الاهتمام بإعداد معلمات للدين.
- ضرورة أن تعرف المعلمات أسباب النقل في حال حدوثه.
- إنشاء مدارس صحية تحتوي على حقائق لنفع الطلاب، والبدء بذلك بالمدارس الاولية والابتدائية في غير مناطق بغداد والبصرة والموصل بسبب حاجتها لها أكثر من البقية.
- فتح صفوف خاصة للراصابات أكثر من سنتين والاهتمام بهن، ومنح مديرات المدارس الصلاحية لتوجيهات الملاحظات للمدرسات حال المبالغة في اللبس والتبرج^(٤٥).
- عد تركيز اللجنة على بث ثقافة التدبير المنزلي خطوة صحيحة لاسيما وانها تندرج تحت بحوث علم الاقتصاد المنزلي الذي يهدف الى جعل كل منزل مريح ومناسب من الناحية المعيشية وذو فوائد صحية ونفسية واقتصادية^(٤٦)، والملفت هو طلب استحداث نماذج لبيوت لأغراض التطبيق من اجل خلق محاكاة للواقع، وتجربة ما تم تعلمه نظرياً، والظاهر ان ايجاد حد للراصابات

لأكثر من سنتين، الهدف منه توجيه تعليم مضاعف لهن لتكون بمثابة عملية استشفاء لهن بعد تفوق بنات صفهن وحصولهن على مراحل متعددة في السلم الدراسي.

ثانياً. مقررات لجنة مدرء مدارس

حددت اللجنة ان الغاية من التعليم الابتدائي هو التربية وتحفيز بقاء الطلاب اكثر وقت ممكن في المدارس فيها، وان من اكثر عوامل تركها هو الرسوب فيها، اي ان الاساليب الحالية تعمل على العكس من الهدف التربوي، لذا ينبغي عدم تشجيع كثرة الرسوب في المدارس^(٤٧).

لم يبين النص الموجود آليات منع الرسوب في المدارس الابتدائية واكتفى بتشخيص عدم صلاحية الطرق الحالية للتعليم، فالرسوب مشكلة خطيرة يؤدي الى ما يعرف بالفاقد التعليمي والمتمثل بضياغ الاموال التي تنفق على التعليم فالرسوب المتكرر يعني تكرار عملية الصرف على العمل التعليمي بعد تكرار الرسوب^(٤٨).

أوصت اللجنة

- إيجاد صفوف تحضيرية في مدارس البنين للصفوف الأولية، أو زيادة رياض الأطفال في مدارس البنات.
- جعل المنهج الابتدائي ملائم أكثر توافقاً للطلاب والمجتمع، وأن يكون عدد الدروس التي يقدمها المدير متناسبة طردياً مع سعة وقته أي كلما زاد عمل المدير قل عدد دروسه.
- ضرورة التعاون بين موظفي المعارف وموظفي الإدارة.
- أن المدرء يبذلون شكرهم لمن يهتم بشؤونهم وشؤون المعلمين.
- بعض الاداريين يطلبون من المدرسة ما يتنافى مع المصلحة المدرسية، وأنه على المعارف ألا تبث في تقاريرهم الا بعد التحقيق والتدقيق.
- زيادة الاهتمام بالمدارس القروية.
- أن يتم اصدار صحف مدرسية.
- أن تشمل مادة المنع من التدخين المدارس الابتدائية والثانوية.
- أن يتم حذف صحيفة خلاصة المواضيع.
- تأسيس لجنة لمساعدة الفقراء تتكون من الاهالي ومدير المدرسة.
- توظيف طبيب لمدارس كل لواء، واصلاح الكشافة.
- إحالة منهج الاعمال اليدوية الى لجنة فنية في وزارة المعارف.
- أوصت بتشجيع المراسلات بين المدارس.

- افتتاح دورات تطويرية باللغة الإنكليزية تستهدف المعلمين، وأن يتم تأليف المنهج الدراسي وفقاً لحاجات البنين والبنات^(٤٩).

لم توضح اللجنة العلة في ايجاد صفوف تحضيرية في مدارس البنين ورياض الاطفال في مدارس البنات، وما هي نوعية الدروس التي ينبغي تدريسها.

ثالثاً. مقررات لجنة التعليم الثانوي

خرجت لجنة التعليم الثانوي بعدة قرارات هي:

- أن يكون مجموع ساعات المدرس (٢٠) ساعة اسبوعياً.
- أن تحدد مدة ما بعد الظهر وقتاً للدراسة فيما يتعلق بالجانب العملي والأعمال اللامنهجية.
- قسمت المدارس الثانوية الى مدارس غايتها تدريب الطلاب على بعض الحرف، والعلوم التي تساعد على الإنتاج العملي.
- تقسم الى مدارس تجارية وصناعية تتخذ من المدن مقراً لها، ومدارس مهنية مهتمة بالجوانب الزراعية تتخذ من القرى مقراً لها.
- تأسيس مدرسة ثانوية واحدة، لتهيئة الطلاب للتعليم العالي على ان تكون تلك المدرسة داخلية وتحتوي على مساكن للمدرسين، ويتم اختيار طلابها من أطراف العراق، يتم الالتحاق بها بعد إجراء امتحانات الكفاءة وتقوم بتدريس المناهج العلمية التي تؤهلهم لدخول الجامعات.
- تطوير المدارس الصناعية الحالية واحضار أساتذة بهدف تهيئة الطلاب لدخول السوق.
- جعل بعض المدارس المتوسطة في الخارج، داخلية وأن تكون تحت إشراف وزارة المعارف.
- أن تقوم الحكومة بتقديم المساعدة الى الفقراء والأذكاء من أبناء القرى والنواحي من أجل اكمال دراستهم الثانوية في تلك المدارس.
- اوصت اللجنة فتح مدرسة للبنات تكون داخلية وتضم التعليم الابتدائي والثانوي، ويكون القبول فيها لقاء مبلغ معين كما دعت أن تكون دروس الرياضة ضمن المنهاج اليومي للدروس^(٥٠).

والظاهر ان جعل شرط الانتساب لهذه المدرسة وغيرها لقاء اجر مادي معين يندرج ضمن إطار سياسة المعارف لتنويع مصادرها المالية عبر ادخال المجتمع المحلي شريكاً لها.

رابعاً. مقررات لجنة العلوم الاجتماعية

- دعت الى استبدال منهج تاريخ الأول الثانوي بآخر يلائم عقلية الطلاب عبر لجنة يتم تشكيلها، كما دعت الى توسيع منهج دراسة تاريخ الاسلام والعرب خلال صفوف المرحلة المتوسطة، ليكون منهجاً منفصلاً عن منهج التاريخ العام وأن يدرس بواقع ساعتين اسبوعياً.
- وضع كتب جغرافية للمدارس المتوسطة بواسطة لجنة يتم تأليفها لهذا الغرض، كما أوصت بإلغاء منهج جغرافية العراق الموضوع من قبل طه الهاشمي للدراسة المتوسطة.
- أوصت اللجنة ادخال منهج المعلومات المدنية لدراسة مشاكل العراق من جميع جوانبها، ليدرس خلال المرحلة الثانوية والمتوسطة.
- أوصت اللجنة بإنشاء مكتبات ومتحف وتزويد المدارس بالخرائط والصور^(٥١).

لا ريب ان ايجاد مادة دراسية تعنى بدراسة التحديات والاحتياجات التي تواجه البلاد خطوة صائبة لانها ستوجد حالة من الوعي عند الطلاب، فعرض المشكلات ضمن المناهج الدراسية والتعرف عليها من قبل الطلاب ومناقشتها قد يوضع حلولاً مناسبة لها، وهو ما يجعل دور المدرسية ايجابياً في المجتمع^(٥٢).

خامساً. مقررات لجنة اللغة العربية

تقرر تأليف لجنة لبحث مشاكل اللغة العربية واجراء مباحثات مع الدول العربية المجاورة للنظر في قواعد النحو والاملاء، وانشاء لجنة تضم معلمون ذوو كفاءة في اللغة العربية وبعض المختصين بالتربية لإنشاء منهج جديد، والغاء المواد التي تنتقي الحاجة اليها في الحياة العملية، وجعل درس الانشاء والمحفوظات والمحادثة تحتوي على قواعد تطبيقية، وتقليل مواد اللغة في الصف الاول الثانوي وتعيين مفتش خاص بها، وشددت على استبدال كتاب القواعد بآخر^(٥٣)، لكن لم تبين اللجنة ماهي اشكاليات منهج اللغة العربية التي تستوجب انشاء لجنة مشتركة مع الدول العربية المجاورة للعراق، وما هي المواد غير المطابقة لها.

سادساً. مقررات لجنة الطبيعيات

اقررت اللجنة تكليف عدد من مدرسي الطبيعيات في المدارس المتوسطة والثانوية للنظر في المادة المذكورة المخصصة للمدارس المتوسطة، وتشكيل لجنة اخرى لتجهيز المختبرات باحتياجاتها بشكل موسع، والطلب الى مدرسي الطبيعيات بإرسال مقترحاتهم في نهاية العام الدراسي الى اللجنة للنظر فيما يخص اصلاح المناهج وشؤون المختبرات^(٥٤).

سابعاً. مقررات لجنة الرياضيات

قررت اللجنة ان المنهج اعلاه واسع ويستهلك وقت طويل لا يمكن معه تحريك الطلاب ذهنياً، واوصت وفق ذلك انتهاج الطريقة الاستقرائية^(٥٥)، وأن تتولى اللجنة مهمة إعادة النظر في منهج الرياضيات، كما أوصت بإزالة ملحقات كتاب الهندسة للصف الثالث لعدم فائدته، وحذف ما يتعلق بدروس القسمة والضرب المختصرة من منهاج الصف الأول المتوسط لعدم أهميتها، كما أوصت اللجنة بضرورة وضع مفتش عام للرياضيات، وأن تكون امتحانات مادة الرياضيات للصفوف المتوسطة تحت مسؤولية لجنة مؤلفة من مدرسي هذه المرحلة، وأن تقوم لجنة مؤلفة من مدرسي المدارس الثانوية بأعداد امتحانات مادة الرياضيات للمرحلة الثانوية، على أن تتولى اللجنتان التي قامت بوضع الاسئلة للدراسة المتوسطة والدراسة الثانوية تصحيح الأجوبة كل حسب المرحلة التي يمثلها^(٥٦).

ثامناً. مقترحات اللجنة الاخلاقية

اقترحت اللجنة أضافة وسائل لتهديب الطلاب تضمنت إنشاء مدرسة ثانوية داخلية يتعايش فيها المعلمين والطلاب، وتنظيم الحفلات التي تضم المعلمين والطلاب، كما أوصت بأن يكون درس الدين درساً أخلاقياً إلزامياً، فضلاً عن تشجيع الفنون الجميلة وتشجير محيط المدرسة وتزيينها، وتنفيذ نظام المرشدين وأنشاء نوادي طلابية يتولى أدارتها الطلاب والعمل على تشغيل الطلاب حرفياً خلال أوقات فراغهم، كما اقترحت تنظيم لجان أخلاقية للنصح والإرشاد وتشكيل فرق مؤلفة من البنات لمتابعة أخلاقهن ونظافتهن وتحفيز فرق الكشفية وتنفيذ الرحلات الكشفية، وإلغاء نظام درجات السلوك وتقدير إجابيات الطلبة وسلبياتهم في سجلات خاصة بواسطة المرشدين، لدراسة أسبابها وإيجاد الأليات لحل السلبي منها، وعدم منح أي شهادة للطلاب الا بعد أرفاقها بتقرير أخلاقي بالاعتماد على سجله^(٥٧).

الظاهر أن أهداف المدرسة الداخلية كانت تتمركز حول أيجاد تأثير إيجابي للمدرسة في حياة الطلاب حتى خارج أوقات الدوام الرسمي، لأن وجود علاقة أكاديمية خالية من البعد الاجتماعي تعد خسارة تربوية فادحة، إذ أن للمعلم دوراً في تحقيق التوافق النفسي^(٥٨)، بالمقابل لم تغفل السياسة التعليمية البعد القيمي للبيئة الاجتماعية العراقية عبر محاولة توجيه الطلاب اخلاقياً تماشياً مع هذه البيئة عبر مناهج الدروس الدينية الإلزامية وبواسطة لجان خاصة بالنصح والارشاد.

تاسعاً. مقررات اللجنة الرياضية

تقرر جعل درس الرياضة إلزامياً في المدارس الثانوية والمتوسطة، ولها مدرس خاص لتأثير ذلك على نجاح الطلاب كباقي الدروس، وتزويد المدارس باحتياجها الرياضية، وبسبب كثرة فروع الرياضة يستحسن معاونته من قبل بعض المدرسين الراغبين والمختصين، وان يتم انشاء لجنة رياضية داخل المدرسة وان يفتح مخيم صيفي في شمال العراق لتدريب مدرسي الرياضة من قبل مختصين من خارج العراق، والا تقتصر الاستعراضات العامة على مدينة بغداد بل ان تشارك فيها المناطق المهمة من البلاد، وان يتم تشجيع رياضة السباحة والتجذيف ضمن المنهج وتوفير مستلزماتها، وانشاء فرق الكشفة الجواله^(٥٩)، وارسال بعثات الى الخارج لعرض المشاركة في الفعاليات الدولية والدورات الصيفية^(٦٠).

الظاهر أن منهج الرياضة قبل ذلك المؤتمر لم يكن له مدرس مختص، وهي نقطة صبت لصالح المؤتمر الذي أوصى بتشكيل لجان تكون وسيلة لنشر الثقافة الرياضية في المجتمع عبر الطلاب، ولاتخلو فكرة الساحات الرياضية خارج المدرسة من الصحة، إذ أن توفير فضاءات مفتوحة ومحددة للنشاط الرياضي يعد متنفساً لأفراد المجتمع. ولم يغفل تقرير لجنة مونرو موضوعة الرياضة ضمن المنهاج التعليمي ودعى الى تحويل درس الرياضة مما اسماه الحركات الميكانيكية الى الألعاب الحرة.

عاشراً. مقررات تتعلق بالإدارة والانضباط

عد تقليل التنقلات خلال العام الدراسي وان يتم اعلام المدرء والكادر التعليمي بتنقلاتهم في العام المقبل قبل نهاية العام الدراسي وجعل نظام المرشدين واجباً رسمياً في المرحلة المتوسطة والثانوية وعدم تدخل المدير فيما يخص درجات الطلاب واعطاء صلاحيات للمدرس في درسه الخاص وعدم السماح بالتدخل في درجات الطالب، وان يمنح طلاب المدارس جزء من الاجرة المدرسية^(٦١)، وتشكيل لجنة تضع الاسس لما يتطلبه الطلاب في الجانب الاخلاقي وان يبنى التفتيش على اساس الارشاد وتهيئة مفتشين عبر ارسال البعثات^(٦٢).

يبدو ان تقليل تنقلات الكادر التعليمي واعلام المنقولين قبل مدة مناسبة تندرج في إطار اجراءات الثقة بين ادارة المعارف والمعلمين لان كثرة التنقلات كانت احدى اسباب ضعف الواقع التعليمي حسب تشخيص لجنة مونرو، لاسيما وقد شاعت فلسفة الارشاد كقاعدة لنظام التفتيش في تلك المرحلة.

وتقرر تأسيس نظام خاص للترفيهات مستل من الاساليب المطبقة في الدول المتقدمة على اساس الكفاءة واعطاء المراكز المناسبة للمدرسين اثناء الاجتماعات الرسمية واحترامهم م قبل موظفي الادارات المحلية، وتعديل قانون تقاعد المعلمين، وارسال المعلمين في بعثات للدراسة، وفي حال نجاح المبتعثين تحسب مؤشراً لهم في الترقية، وان يتم ارسال بعض رجال التعليم والادارة الى الخارج لدراسة تقدم المدارس وتأسس نوادي في الاولوية تخص المعلمين^(٦٣).

واوصت اللجنة بالتزام الوعي عند تطبيق النظم الادارية المستوردة وتكييفها بما يلئم البيئة الادارية العراقية لان تلك النظم اقرب في بيئتها الاصلية بناءً على ظروف وتحديات ليست بالضرورة مشابهة لما يحدث في العراق، ويلاحظ ان تأكيد اللجنة على ضرورة احترام المدرسين دلالة على وجود غبن اجتماعي وعدم تقدير مقام المعلم الامر الذي استدعى ان يوضح في توصية لعقد اول مؤتمر تربوي عراقي، واما قرار انشاء نوادي للمعلمين فسوف يؤدي الى ايجاد فضاء ثقافي وترفيهي للمعلمين لتبادل الافكار وايصال صوتهم لمستوى اعلى في وزارة المعارف، كما صدر للمؤتمر مقترحات عامة تضمنت اخذ اراء الكادر التعليمي للمدارس عند تعيين الطلاب المتخرجين في الوظائف وانشاء مكاتب في المدارس وتزويدها بالكتب واصدار مجلة تربوية وانشاء لجنة ترجمة وتأليف^(٦٤).

الظاهر ان قطاع المكتبات المدرسية كان محدود الفائدة بحيث جعل المؤتمر يقرر انشاء مكتبات جديدة، إذ انه لم يشر الى وجودها في مرحلة ما قبل المؤتمر.

وعد اصدار مجلة تربوية خطوة هامة لتطوير النظم التعليمية، لاسيما وانها تمثل منبر اعلامي مهم لإيصال البحوث العلمية والتربوية للمجتمع والتي قد تؤدي مستقبلاً الى نشوء مجلات الاطفال ذات الطابع التربوي والتي تؤدي دوراً تثقيفياً هاماً نتيجة للوعي والمعرفة وغرس القيم الاخلاقية^(٦٥).

الهوامش:

(١) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الانتداب البريطاني ١٩٢١-١٩٣٢، ط١، دار الرافدين، ٢٠١٧، ص٤٠٧.

(٢) إبراهيم العلاف، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢، جامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٢، ص٣٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٣٣.

(٤) المؤتمر التربوي الاول، وزارة المعارف العراقية، مطبعة العهد، بغداد، ١٩٣٢، ص٤٠٣.

- (٥) المؤتمر هو طرح موضوع محدد للنقاش والبحث والتحليل من قبل عدد من المتخصصين والمهتمين به للوصول الى نتائج محددة، وغالباً ما تدعو الى المؤتمر هيئة رسمية او علمية تتناول قضية كبيرة قد تتفرع الى موضوعات متنوعة. انظر: محمد جاسم العبيدي، الاء محمد العبيدي، طرق البحث العلمي، دار ديپوتو للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩، ص٢٣.
- (٦) المؤتمر التربوي الاول، المصدر السابق، ص ٢٦- ٢٧.
- (٧) احمد ابو حصيرة، الديون الخارجية وآثارها في فلسطين، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية في غزة، كلية التجارة، ٢٠١٥، ص٥٨.
- (٨) البيئة التربوية: عملية تربوية تهدف الى تقديم المعلومات الى اعضاء المجتمع حول الموضوعات والظواهر السكانية وتكوين اتجاهات ايجابية تتفق مع الاهداف الوطنية الشاملة، لتساهم في تحسسين ظروف ومقومات المجتمع. ينظر: بسام محمد ابو عليان، محاضرات في علم اجتماع السكان، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، خان يونس، ٢٠٢١، ص١٦.
- (٩) المؤتمر التربوي الاول، المصدر السابق، ص ٢٨- ٢٩.
- (١٠) اسعد الطنبور، المعلم في واحد، ط١، دار امجد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥، ص ٢٤.
- (١١) المؤتمر التربوي الاول، المصدر السابق، ص ٢-٣.
- (١٢) متي عقراوي، مشروع التعليم الاجباري في العراق، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٣٧، ص٩.
- (١٣) المؤتمر التربوي الاول، المصدر السابق، ص ٣٣-٣٧.
- (١٤) المصدر نفسه، ص ٣٨-٤٠.
- (١٥) المصدر نفسه، ص ٤٢.
- (١٦) المصدر نفسه، ص ٥٧-٥٩.
- (١٧) المصدر نفسه، ص ٦٠-٦٣.
- (١٨) اسماء خليل عابد واشجان القرني، حياتنا رياضيات، مجلة العلوم والتقنية، العدد (١١٤)، ٢٠١٥، ص٦.
- (١٩) المصدر نفسه، ص ٧٢-٧٣.
- (٢٠) ايوب دخل الله، التربية ومشكلات المجتمع في عصر العولمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٠.
- (٢١) المؤتمر التربوي الاول، المصدر، ص ٧٤.
- (٢٢) هي قدرة الانسان في الاعتماد على نفسه واتخاذ قراراته، وقدرته على تحمل المسؤولية واملاكه لعنصر المبادرة. ينظر: رحيم عبد الله الزبيدي، زينب عبد الرحمن محمد امين، الاستقلالية لدى طلبة الجامعة، مجلة كلية التربية، العدد (٤)، ٢٠١٧، ص ١١٩.
- (٢٣) المؤتمر التربوي الاول، المصدر السابق، ص ٧٦.
- (٢٤) شادية عبد الحليم تمام وصلاح احمد فؤاد صلاح، الشامل في المناهج وطرائق التعليم والتعلم الحديثة، ط١، مركز ديپوتو لتعليم التفكير، عمان، ٢٠١٦، ص ٣٠-٣١.
- (٢٥) صاحبة هذه الطريقة فتاة امريكية تدعى هيلين باركرست، ودلتن هو اسم المدينة التي تمت فيها التجربة، تعتمد الطريقة على الحرية بمعنى انها تحقق للمتعلم ان يبحث في المواد التي يريد والنظام الذي يضمه لنفسه وان تتم مراعاة الاختلافات والفروق الفردية وان يتحمل المتعلم المسؤولية عما يقوم به والمدرسة تشجعه، وعلى تصريف امورهم

بأنفسهم وتهيأة الفرد للحياة الاجتماعية عبر التعاون. ينظر: مجموعة باحثين، محاضرات خاصة في اصول التربية، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، ٢٠٢٢، ص ١٤٩-١٥١. للاستزادة ينظر: هيلين باركرست، التربية على طريقة دالتن، ت: زكريا ميخائيل، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦.

(٢٦) طريقة اوجدها الامريكي كارلتن واشبورن في مدارس وينكا قسم فيها المواد المختلفة الى اقسام او وحدات صغيرة محددة، وقسم كل قسم او وحدة تهدف الى غرض معين، وتوضع لكل قسم تمارين وتدريبات وبعد الحصول على المعلومات والمهارة يؤدي امتحاناً بالطريقة الحديثة عبر قياسات المعرفة وفيه مقدار من المواد يختبر الطالب ما يختار بناء على رغبته. ينظر: امين مرسي قنديل، اصول التربية وفن التدريس، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، ٢٠٢٢، ص ٩٧.

(٢٧) المؤتمر التربوي الاول، المصدر السابق، ص ٨١-٨٢.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(٢٩) جمال احمد فؤاد عبد الكريم هاشم، الدليل الشامل للمعلم من التخطيط الى التقويم، دار مرسال للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٢٤، ص ٨٢.

(٣٠) المؤتمر التربوي الاول، المصدر السابق، ص ٩١-٩٣.

(٣١) عبدالمجيد بن طارش نيازي وصالح بن عبدالله ابو عبا، اساسيات ممارسة طريقة العمل مع الجماعات، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٠، ص ٥٦.

(٣٢) المؤتمر التربوي الاول، المصدر السابق، ص ٩٣-٩٤.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٩٤-٩٥.

(٣٤) مبدأ ينادي بالتحول في القول او الرأي او العمل عن عادات وتقاليد موروثية وفي الجانب الاجتماعي فرض تغييرات خطيرة دفعة واحدة على الاسس التي يقوم بها المجتمع وادخال تعديلات جوهرية هامة على اصوله. انظر: مارتين دودج، قاموس المذاهب السياسية، ترجمة احمد المصري، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت، ص ٨١.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٩٧-١٠١.

(٣٦) رافد الحريري، العمل مع الاطفال الصغار، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤، ص ١٢٥.

(٣٧) المؤتمر التربوي الاول، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٣٨) احمد عبداللطيف ابو اسعد، سامي محسن الختاتنة، علم نفس النمو، مركز ديبونو لتعليم الشيك، عمان، ٢٠١١، ص ٢٨٣.

(٣٩) المؤتمر التربوي الاول، المصدر السابق، ص ١٠٧، ١٠٥.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ١١١، ١٠٧.

(٤١) المصدر نفسه، ص ١١١-١١٤.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٤٣) ريام غانم نجيب، سامي شوكت سيرته ونشاطه القومي في العراق (١٨٩٥-١٩٨٧)، مجلة اوروك للعلوم الانسانية، المجلد (١٢)، العدد (٢)، ٢٠١٩، ص ٩٨٠.

(٤٤) المؤتمر التربوي الأول، المصدر السابق، ص ١١٦-١٢٠.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٢٤-١٢٥.

- (٤٦) ايمن سليمان مزاهرة، ليلي حجازين نشيوات، مدخل الى علم الاقتصاد المنزلي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤، ص ١٦.
- (٤٧) المؤتمر التربوي الاول، المصدر السابق، ص ١٢٦.
- (٤٨) رافدة الحريري، اقتصاديات وتخطيط التعليم في ضوء ادارة الجودة الشاملة، ط١، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣، ص ١١٩.
- (٤٩) المؤتمر التربوي الأول، المصدر السابق، ص ١٢٧-١٢٨.
- (٥٠) المصدر نفسه، ص ١٣٠.
- (٥١) جريدة صدى العهد، العدد (٤٩٠)، ١٤ نيسان ١٩٣٢، ص ٢.
- (٥٢) صباح حسن الزبيدي، اسس بناء وتصميم مناهج المواد الاجتماعية واغراض تدريسها، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥، ص ١٤٣.
- (٥٣) المؤتمر التربوي الاول، المصدر السابق، ص ١٣٢.
- (٥٤) المصدر نفسه، ص ١٣٣.
- (٥٥) وتعني في الاصطلاح التربوي، الطريقة التي يتم بها الانتقال من الجزء الى الكل او من الامثلة الى التعميم. ينظر: رياض حسين علي، أثر كل من طريقة حل المشكلات والطريقة الاستقرائية وطريقة النص في تحصيل طالبات الصف السادس العلمي في قواعد اللغة العربية، مجلة ديالى، العدد (٢٨)، ٢٠٠٨، ص ٧.
- (٥٦) المؤتمر التربوي الاول، المصدر السابق، ص ١٣٤-١٣٥.
- (٥٧) المصدر نفسه، ص ١٣٦.
- (٥٨) هو عملية ديناميكية مستمرة تتناول السلوك والبيئة الطبيعية والاجتماعية بالتغيير والتعديل حتى يحدث التوازن بين الفرد وبيئته ويشمل اشباع حاجاته وتحقيق متطلباته البيئية. للمزيد ينظر: صلاح الدين احمد الجماعي، الاغتراب النفسي والاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٧، ص ١٣.
- (٥٩) وهي ارقى اطوار حركة الكشافة والمرشدات لانها ختام تدريب الكشافة والمرشدات وهي استمرار لتوجيه نمو الكشافين واعدادهم من جميع النواحي بهدف اكتساب افرادها، المزيد من التجارب والخبرات. ينظر: ثائر رشيد حسن، الموسوعة الكشفية الحديثة، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢، ص ٣٢.
- (٦٠) المؤتمر التربوي الاول، المصدر السابق، ص ١٣٧.
- (٦١) وافق مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزارة المعارف عام ١٩٢٨، على استيفاء نصف الاجور . ينظر: إبراهيم العلاف، تطور التعليم الوطني في العراق، المصدر السابق، ص ٢٥٥.
- (٦٢) المؤتمر التربوي الاول، المصدر السابق، ص ١٣٨.
- (٦٣) المصدر نفسه، ص ١٣٩.
- (٦٤) المصدر نفسه، ص ١٤٠.
- (٦٥) اسماء عبد الرحمن حسين، مجلات الاطفال وتنمية القيم الاخلاقية للأطفال، ط١، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩، ص ١٠.

قائمة المصادر

اولاً. المصادر العربية

١. ابراهيم خليل العلاف، تطوير التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩- ١٩٣٢، جامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٢.
٢. احمد عبد اللطيف ابو اسعد، سامي محسن الختاتنة، علم نفس النمو، مركز دبيونو لتعليم التفكير، عمان، ٢٠١١.
٣. اسامة الحاج سعيد، النتاجات التربوية لمناهج التربية الرياضية وتطبيقها في المدارس الاساسية، دار غيداء للنشر، عمان، ٢٠١٧.
٤. اسعد الطنبور، المعلم في واحد، ط١، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥.
٥. اسماء عبد الرحمن حسين، مجلات الاطفال وتنمية القيم الاخلاقية للأطفال، ط١، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩.
٦. امين مرسي قنديل، اصول التربية وفن التدريس، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، ٢٠٢٢.
٧. ايمان دويدا، الصحة النفسية للأطفال والمراهقين، دار نشر يسطرون، الجيزة، ٢٠١٧.
٨. ايمن سليمان مزاهرة، ليلي حجازين نشيوات، مدخل الى علم الاقتصاد المنزلي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤.
٩. ايوب دخل الله، التربية ومشكلات المجتمع في عصر العولمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٥.
١٠. بسام محمد ابو عليان، محاضرات في علم اجتماع السكان، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، خان يونس، ٢٠٢١.
١١. ثائر رشيد حسن، الموسوعة الكشفية الحديثة، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢١.
١٢. جمال احمد فؤاد عبد الكريم هاشم، الدليل الشامل للمعلم من التخطيط الى التقويم، دار مرسال للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٢٤.
١٣. حسام محمد حكمت، علم النفس التربوي الرياضي، دار العلم والايمان للنشر، دار الجديد للنشر والتوزيع، دسوق، ٢٠٢٠.
١٤. رافد الحريري، العمل مع الاطفال الصغار، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤.
١٥. رافدة الحريري، اقتصاديات وتخطيط التعليم في ضوء ادارة الجودة الشاملة، ط١، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣.

١٦. سميرة عبد القادر خطاب حجازي، ابراهيم السيد عيسى غنيم، التربية الصحية الواقع وسيناريوهات المستقبل نماذج وتجارب عالمية والصحة المدرسية دول الخليج العربي وتونس والولايات المتحدة الامريكية واوروبا واليابان، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١١.
١٧. شادية عبد الحليم تمام وصلاح احمد فؤاد صلاح، الشامل في المناهج وطرائق التعليم والتعلم الحديثة، ط١، مركز دبيونو لتعليم التفكير، عمان، ٢٠١٦.
١٨. شارلتون دانيلسون، تحسين انجاز الطالب إطار عمل من اجل تطوير المدارس، ترجمة امني الدجاني، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٠.
١٩. صباح حسن الزبيدي، اسس بناء وتصميم مناهج المواد الاجتماعية واغراض تدريسها، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥.
٢٠. عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في عهد الانتداب البريطاني ١٩٢١ - ١٩٣٢، ط١، الرافدين للنشر، بيروت، ٢٠١٧.
٢١. عبد المجيد بن طارش نيازي، صالح بن عبدالله ابو عباة، اساسيات ممارسة طريقة العمل مع الجماعات، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٠.
٢٢. علي عبد العزيز، المكتبة المدرسية الحديثة، وكالة الصحافة العربية ناشرون، الجيزة، ٢٠١٩.
٢٣. مارتين دودج، قاموس المذاهب السياسية، ترجمة: احمد المصري، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت.
٢٤. متي عقراوي، مشروع التعليم الاجباري في العراق، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٣٧.
٢٥. مجموعة باحثين، محاضرات خاصة في اصول التربية، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، ٢٠٢٢.
٢٦. هيلين باركرست، التربية على طريقة دالتن، ترجمة: زكريا ميخائيل، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦.
٢٧. محمد جاسم العبيدي، الاء محمد العبيدي، طرق البحث العلمي، دار دبيوتو للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩.
٢٨. محمد حسن الشهري، عبد الودود احمد الزبيدي، الميثاق الاخلاقي في المجال الرياضي، شركة دار الأكاديميين للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٩.
٢٩. المؤتمر التربوي الاول، وزارة المعارف العراقية، مطبعة العهد، بغداد، ١٩٣٢.
٣٠. ميان مونتمغري، الطلاب الموهبون وذوو القدرات متدنوا التحصيل، ط١، ترجمة: اسامة محمد عبد المجيد ابراهيم، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٩.

ثانياً. الأطاريح والرسائل

١. احمد ابو حصيرة، الديون الخارجية وآثارها في فلسطين، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية في غزة، كلية التجارة، ٢٠١٥.

ثالثاً. المجلات والدوريات

١. اسماء خليل عابد، اشجان القرني، حياتنا رياضيات، مجلة العلوم والتقنية، العدد (١١٤)، ٢٠١٥.
٢. رحيم عبد الله الزبيدي، زينب عبد الرحمن محمد امين، الاستقلالية لدى طلبة الجامعة، مجلة كلية التربية، العدد (٤)، ٢٠١٧.
٣. رياض حسين علي، أثر كل من طريقة حل المشكلات والطريقة الاستقرائية وطريقة النص في تحصيل طالبات الصف السادس العلمي في قواعد اللغة العربية، مجلة ديالى، العدد (٢٨)، ٢٠٠٨.
٤. ريام غانم نجيب، سامي شوكت سيرته ونشاطه القومي في العراق (١٨٩٥-١٩٨٧)، مجلة اوروك للعلوم الانسانية، المجلد (١٢)، العدد (٢)، ٢٠١٩.

جهود الدولة المرابطية في تطور النواحي العمرانية
والاقتصادية في المغرب الاسلامي
(٤٤٨_٥٤١ هـ / ١٠٥٦_١١٤٧ م)

The efforts of the Almoravid state in developing
urban and economic aspects in the Islamic
Maghreb (448_541 AH / 1056_1147 AD)

م. د. ناظم عواد محييد الدليمي

المديرية العامة لتربية الأنبار - قسم تربية قضاء الحبانية

Inst. Dr. Nadhem Awad Mhemed Al-Dulami

Anbar General Directorate of Education -

Habbaniyah Education Department

Nathem.awad@gmail.com

Mobile: 07802050762

م. د. ناظم عواد محميد الدليمي

ملخص البحث:

تعد الدولة المرابطة احدى الدول الاسلامية التي ظهرت في المغرب الاسلامي الذي شهد الكثير من الصراعات والنزاعات التي انهكت قواه واثرت على الحياة العمرانية والاقتصادية لاسيما ظهور العديد من الدويلات المستقلة التي سعت للانفصال عن جسد الخلافة الاسلامية في المشرق المتمثلة بالعصر العباسي فقد كان قيام بعض تلك الدويلات ضرورياً في خضم الاحداث السياسية التي شهدتها المغرب الاسلامي لإنقاذ ما تبقى من هيبة الخلافة وإعادة ايجاد المسلمين كالدولة المرابطية في حين شكل ظهور البعض منها انقساماً سياسياً واقتصادياً زعزع اوضاع المغرب وفرق وحدة المسلمين وشتت صفوفهم كالأدراسة والرسامين والموحدين وفي صدد موضوع بحثنا هذا فإن المرابطين تمكنوا خلال فترة حكمهم من توحيد المغرب سياسياً فانعكس ذلك على الحياة العامة بشكل ايجابي لاسيما في المجال العمراني والاقتصادي فكونوا دولة قوية ساهمت وبشكل كبير في ازدهار وانتعاش المجتمع الاسلامي آنذاك ، وبذلك نعمت بلاد المغرب الاسلامي خلال فترة حكمهم نوعاً من الاستقرار لاسيما النواحي العمرانية والاقتصادية اذ شهدت فوضى واضطراب آخر تقدمها وتطورها نتيجة الحروب والفتن والنزاعات المستمرة التي كانت قائمة قبل قيام دولة المرابطين ومن هذا المبدأ جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ(جهود الدولة المرابطية في تطور النواحي العمرانية والاقتصادية في المغرب الاسلامي ٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م) لتوضيح دور المرابطين في دعم التطور والازدهار ونقل المجتمع من حالة الفوضى الى الاستقرار الاقتصادي والعمراني ، وقد تضمنت الدراسة على مقدمة ومبحثين ، المبحث الاول خصص للحديث عن دور المرابطين في ازدهار فن العمارة وقد اشتمل على ثلاثة نقاط الاولى بناء المدن في المغرب الاسلامي وتخطيطها اما الثانية فكانت عن المنشأة الدينية واعمارها في حين تضمنت النقطة الثالثة التحصينات واثرها في العمارة الاسلامية وزخرفتها ، اما المبحث

الثاني الذي كان بعنوان اثر الحياة الاقتصادية على المغرب الاسلامي في عصر الدولة المرابطية واشتمل على ثلاثة نقاط الاولى دور المرابطين في ازدهار الجانب الزراعي اما الثانية فكانت على الحياة الصناعية والثالثة خصصت للحديث عن الجانب التجاري ، وانتهت الدراسة بخاتمة عرضنا فيها ابرز النتائج التي توصلنا اليها في بحثنا هذا وادرجنا في نهاية الدراسة ثبثاً للمصادر والمراجع التي استعملناها في كتابة هذا البحث .

المقدمة

تمكن المرابطون من بسط نفوذهم على المغرب الاسلامي سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م وحرص امرائها منذ توليهم الحكم على توحيد المغرب الاسلامي وقد ظهر اثرهم جلياً من خلال ما تبناه من منهج يقوم على الحفاظ على النظم العمرانية والاقتصادية لاسيما انها تمثل الاساس الراسخ الذي تقوم عليه الدول لبناء مجدها وحضارتها ومن هذا المنطلق ادرك امراء الدولة المرابطية اهمية النواحي العمرانية والاقتصادية في دعم الاستقرار السياسي واستمرار حكمهم في بلاد المغرب الاسلامي لاسيما انه شهد احداثاً مزقت وحدة المغرب وزرعت الفتنة بين قبائله فانعكست تلك الاوضاع على جميع مجالات الحياة للمجتمع آنذاك فالنواحي العمرانية والاقتصادية تعتبر من الروافد التي تدل على تطور الحضارة الاسلامية ومدى تقدم الدول لذلك وجه المرابطون اهتمام بتلك النواحي لذا اعتبرت فترات حكمهم من ازهى الفترات التي شهدها بلاد المغرب الاسلامي فجاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على جهودهم في العمرانية والاقتصادية بعد ان وطدوا سلطانهم ونشروا الامن والاستقرار في ربوع المغرب الاسلامي الذي تعانق مع قيام دولة المرابطين فشهد نهضة معمارية امتزجت وانصهرت فيها المؤثرات الاسلامية كما ازدهرت الحياة الاقتصادية في عهدهم نتج عنه بناء دولة قوية وقومت المجتمع نحو التطور والعمران .

المبحث الاول: دور المرابطين في ازدهار فن العمارة وزخرفتها

اهتمت الدول الاسلامية التي قامت في المغرب في المجال العمراني ولا سيما الدولة المرابطية التي تركت اثراً عمرانية شاهدة على مدى تقدمها وتطورها الحضاري وسمو معالمها وقوتها ، فالمرابطين ومنذ بزوغ فجر دولتهم وجهوا انظارهم لبناء المدن والحصون

والقلاع فضلاً عن المعالم والمنشأة الدينية فقد ساعدهم على ذلك وحدتهم السياسية التي حققوها في المغرب وبقت اثارهم الحضارية شامخة لعدة قرون ومن بينها :

اولاً: بناء المدن وتخطيطها: بدأت الدولة المرابطية اول اثارها العمرانية ببناء المدن التي تشكل ركيزة اساسية في تحصين المجتمع الاسلامي وتدل على مدى تحضره ففي بداية امرهم كان المرابطون يعيشون حياة البدو والتنقل التي اتسمت بعدم الاستقرار حينها ادركوا ان من عوامل قيام الدول هو التوطين ليتسنى لهم اقامة حكم مركزي يمكنهم من تحقيق وحدة القبائل المغربية آنذاك^(١)

تعد مدينة مراكش^(٢) احدى الحواضر الاسلامية التي بنيت وازدهرت في عصر الدولة المرابطية حتى صارت المدينة تضاهي مدن المشرق الاسلامي وقد اختلف المؤرخون في تحديد سنة بنائها ف قيل انها اختطت سنة ٤٥٤هـ^(٣) وفي رواية اخرى انها بنيت سنة ٤٦١هـ^(٤) على يد الامير يوسف بن تاشفين^(٥) اول امراء الدولة المرابطية ومؤسسها^(٦) .

وقد تحكمت المخاطر العسكرية في شكل واختطاط المدن الاسلامية في المغرب في عصر المرابطين فاختلفت عن غيرها من مدن المشرق الاسلامي اذ كان المسجد يمثل مركزاً تقام على اساس تخطيطه المباني الاخرى مثل قصبة المدينة واسواقها فقد كان اهم عامل في بناء المدن هو اختيار الموقع لذلك عمل الامير يوسف بن تاشفين على اختيار موقع مراكش وذلك وفق رؤية سياسية واقتصادية فمدينة مراكش تحتل موقعاً مميزاً ومتوسطاً ما بين صحراء لمتونة كما انها اختطت بالقرب من جبال قبيلة المصامدة ومن ناحية الشمال فهي اقرب الى المدن المتحضرة ، فضلاً ان هذا الموقع ميزها بمناخها المعتدل وخصوبة ارضها^(٧) ، ومن ناحية اخرى فان موقع مدينة مراكش الواقع على طرق القوافل التجارية جعلها مركزاً مهماً لتبادل البضائع فانعكس ذلك الامر على واقعها الاقتصادي^(٨) استقر الامير يوسف بن تاشفين في هذا الموقع وبنى الخيام له ولجيشه كما انه اختط في ذلك الموقع مسجداً وقصبة اتخذها قاعدة لقواته^(٩) وقد حرص ان تكون المدينة بمثابة حصن لذا عمل على بنائها من الحجر لمواجهة اي خطر يمكن ان يهدد اتباعه وبالفعل تم نقل الاحجار من الجبال القريبة منه وبدأ ببناء المسجد ثم بعد ذلك بدأت القبائل المنطوية تحت

رايته بناء مساكنها ثم اختط الامير سوراً للمدينة بني من الحجر^(١٠) الا ان المدينة بقيت على طابعها البدوي وتفتقر الى العديد من الخدمات والمرافق المهمة حتى تولى الحكم علي بن يوسف بن تاشفين بعد وفاة والده سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م اذ شهدت المدينة في عهده نوعاً من الازدهار وفي مختلف المجالات سواء العمرانية ام الاقتصادية لاسيما بعد ان ازداد عدد قاطنيها فمن الطبيعي ان يتسع العمران فيها حرص الامير علي بن يوسف على تمدن مراكش من خلال بناء العديد من القصور الفخمة والمساكن كما انه نظم طرقها وازقتها واسواقها حتى صارت مدينة مؤهلة عامرة انتقلت من دور البساطة الى الرقي والتقدم العمراني^(١١) وجلب اليها الماء من خلال ما يعرف بالخطارات^(١٢).

اذ تمكن عبيد الله بن يونس ان يبتكر تلك الطريقة لإيصال المياه الى جميع احياء مدينة مراكش^(١٣) استمر الامير علي بن يوسف خلال فترة حكمه بالعمران وذلك لإظهار حاضرة المرابطين بما يليق بحكمهم فبنى قنطرة كبيرة على نهر تانسفيت وقد بذل في سبيل بنائها الكثير من الاموال حتى انه استعان بخبراء من بلاد الاندلس وقد بلغ طولها اربعين متراً ، اصف الى ذلك ان المرابطين كانوا مهتمين ببناء الحمامات والبيمارستانات وغرف استخدموها لخرن الحبوب من القمح والشعير^(١٤).

فصارت مدينة مراكش قبلة يقصدها الكثير من الوافدين الى المغرب الاسلامي وحرصاً من الامير علي بن يوسف الحفاظ على الآداب العامة والامن امر ببناء السجون لمعاقبة كل من تسول له نفسه القيام بأعمال التخريب وتميزت مراكش عن غيرها في ديار ساكنيها انها كانت ذات طابقين وتضم الدار ممر صمم ما يناسب حجم الدار وينتهي الممر الى فناء عريض محاط بمجموعة من الغرف كما احتوت مراكش على قصور الامراء واجهاً قصر الحجر الذي شيده الامير يوسف بن تاشفين^(١٥) وبعد ان اشتهرت مدينة مراكش وعمرت مبانيها ازدهرت فيها الحياة الاقتصادية فتتوعت اسواقها حتى وصفها الادريسي^(١٦) بقوله "ومدينة مراكش في هذا الوقت من اكبر مدن المغرب الاقصى مبانيها سامية واسواقها مختلفة وسلعها ناقصة" ومن ابرز الاثار العمرانية التي تركها المرابطون في بلاد المغرب الاسلامي في عهد الامير علي بن يوسف بن تاشفين هو بناء قبة (البروديين) التي تقع بالقرب من

المسجد الجامع في مراكش وتعد هذه القبة معلماً معمارياً شاهداً على حضارة المغرب الاسلامي في عهد الدولة المرابطية بنيت من الحجر لها عدد من الشرفات المدرجة التي تطل الى الخارج وتضم قبب اخرى داخلها تكون اصغر منها حجماً واقيمت هذه القبة على ثمانية اعمدة وقد زخرفت تلك القباب بزخارف ملونة على شكل محارات تذهل الناظر اليها لجماليتها ونظافتها فهي كانت احد معالم المدينة آنذاك^(١٧).

اتبع الامير علي بن يوسف خلال فترة حكمه سياسة التمدن والتحضر ومن اهم المدن الاخرى التي اهتمت بها الدولة المرابطية هي مدينة فاس التي احتوت على العديد من المباني والمرافق العامة فنالت شهرة واسعة في العهد المرابطي حتى راجت تجارتها وحظيت مساجدها بعناية خاصة وتشير الروايات التاريخية ان الامير يوسف بن تاشفين كان اول من اعتنى بها وبعمرائها الى درجة انه بنى فيها عدد من الارحاء ومن هذا المنطلق انتهج ولده الامير علي سياسة والده في بناء المدن واعمارها حتى تكون واجهة حضارية وثقافية واقتصادية يقصدها الكثير من اهل الشرق الاسلامي فضلاً عن تجارتها التي ساهمت بشكل كبير في ازدهارها وعلو شأنها الى درجة انها كانت تمثل الحاضرة الثانية للمغرب الاسلامي بعد مراكش^(١٨).

ثانياً: المنشأة الدينية:

تعد المنشأة الدينية واحدة من اهم المراكز التي ساهمت في تقدم الامة الاسلامية ولا سيما المساجد التي ادت دوراً كبيراً في الاسلام ومنذ بزوغ فجره على هذه الارض مثلت تلك المساجد منطلقاً للمبادئ الاسلامية ومنبعاً للأخلاق الحميدة تربى بين اركانها اجيالاً فتحو البلدان ونشروا الاسلام في الارض شرقاً وغرباً^(١٩) وقد ارتبط المجتمع الاسلامي ارتباطاً وثيقاً بالمساجد باعتباره المركز الاساس في نشر ثقافة العرب المسلمون ففي صدر الاسلام كان المسجد يمثل المحور الذي تدور حوله الحياة السياسية والدينية وبما ان الدولة المرابطية قامت على اسس دينية فقد عني حكام الدولة المرابطية ببناء المساجد في مدن المغرب الاسلامي ويعد المسجد احد المراكز العلمية المهمة لما له من اثر كبير في حياة المسلمين لذا كان ولا زال محط اهتمامهم كما اشتهرت مدينة فاس في عصر المرابطين وصارت قبلة

لكثير من العلماء لاسيما بعد بناء العديد من المساجد التي احتضنت طلبة العلم وحملت راية الحضارة الاسلامية في المغرب الاسلامي الى جانب مدينة مراكش^(٢٠) وقد وصفها المراكشي^(٢١) بقوله: "ومدينة فاس هذه حاضرة المغرب" وقد فرض المرابطون ومنذ قيام دولتهم على المدن المغربية التي وقعت تحت حكمهم بناء المساجد حتى انهم كانوا يفرضون عقوبة على من يمتنع او لا يشجع على بنائها وسخر المرابطون الكثير من الاموال لبناء المنشأة الدينية حتى ان بعض النساء قد اشتركن في بناء المساجد وذلك لترغيب الناس وحثهم على التبرع في سبيل نشر الاسلام وتعزيز مكانته^(٢٢)

يعتبر المسجد اول بناء يتم تشييده في المدن الاسلامية ونستدل بذلك ما قام به الرسول محمد ﷺ عند هجرته الى المدينة المنورة فأول عمل قام به هو بناء المسجد الذي يعد اللبنة الاولى لنشر الاسلام ومنطلق الفكر والعقيدة الاسلامية التي اشرفت شمسها في مختلف بقاع الارض^(٢٣) وعلى هذا الاساس بنى المرابطون عمارتهم في المغرب الاسلامي فالمسجد كان اهتمامهم لذا عمل الامير يوسف بن تاشفين على بنائه وقد ادخل المرابطون بعض التعديلات في بناء المساجد وهذا ما يميز العمارة الدينية في المغرب في العهد المرابطي عن غيرها من المدن الاسلامية^(٢٤) وعندما تولى الامير علي بن يوسف حكم الدولة المرابطية اعتنى هو الآخر بمساجد مراكش وزاد في توسعه حتى انه انفق ما يقارب ستون ألف دينار وتعد صومعة المسجد من ابرز الاثار العمرانية التي بناها المرابطون اذ بنيت من الحجر لها اربعة اضلاع كبيرة الحجم وكما بنى المرابطون لصومعة المسجد ادراج للصعود عليها^(٢٥) .

ولم يقتصر بناء المساجد على مدينة مراكش فحسب لاسيما في عهد الامير علي بن يوسف اذ يعد مسجد مدينة تلمسان^(٢٦) تحفة فنية رائعة خلده الاثار العمرانية للدولة المرابطية اشغل مسجد تلمسان على بناء كبير تألف من مكان اتخذ للصلاة على شكل مستطيل يضم العديد من الاعمدة التي يستند عليها المسجد كما بنى المرابطون الى جانب المسجد غرف لإقامة حلقات علمية فيها بينما اتخذوا الخشب المسطح لسقف المسجد والمسجد يحتوي على قبتين الاولى في وسط المسجد والقبة الاخرى تكون باتجاه المحراب تقابل القبة الاولى والتي تزين بها المسجد لجمالها وزخرفتها واختلاف ألوانها^(٢٧) .

اما مسجد الكتيبة او ما يعرف مسجد علي بن يوسف في مراكش احد المعالم الدينية التي انشأها المرابطون تميز عن غيره من المساجد بمنبره الذي يعد اجمل منابر المساجد في المغرب ضم هذا المسجد العديد من الاروقة العامودية له خمسة قباب ومنبره الذي تزين بالرسوم والاشكال المختلفة منها بعض الكتابات الكوفية الخط وتعد صومعة المسجد اعلى صومعة في المغرب الاسلامي له مدرجات عدة تحتوي على فتحات متوسطة الحجم لإنارة المسجد^(٢٨) ويعد جامع القرويين في مدينة فاس من اهم مساجد المغرب الاسلامي واشهرها ولقد تم بنائه سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م^(٢٩) وفي عهد الدولة المرابطية لاسيما في عهد الامير علي بن يوسف تم توسعة المسجد مرة اخرى لكثرة اعداد المصلين فلم يعد يستوعب تلك الاعداد لذا أمر الامير علي بأجراء التوسعة بعد ان افقاهم قاضي مدينة فاس محمد بن داود^(٣٠) وبالفعل فتح الامير علي بن يوسف باب التبرع فضلاً عن انه اوقف اموال الجباية لتوسعة المسجد حتى جمع المرابطون ما يزيد ثمانون ألف دينار فبدأ العمل في هذا المسجد وتمت التوسعة من عدة جهات لاسيما جهة القبلة وكان حول المسجد عدداً من ديار اليهود التي كانت تعيق تلك التوسعة فقام الامير وفقهاء المدينة بشراء تلك الدور وكان القاضي محمد بن داود يشرف على عملية البناء التي تمت من عدة جهات واول ما تم بنائه باب المسجد من جهة الغرب والمعروف بباب الفخارين او النجارين ثم قاموا ببناء قبة المسجد في اعلى محرابه وضمت تلك القبة ما يعرف (بالشماسات) مصنوعة من الزجاج ذو الالوان المختلفة اما ابواب المسجد فقد تم تغليفها بالنحاس الاصفر لتكون اكثر جمالية^(٣١).

ثالثاً: التحصينات واثرها في العمارة الاسلامية

تمكن المرابطون ان يحكموا دولة مترامية الاطراف شملت اغلب اجزاء المغرب الاسلامي على الرغم من التحديات السياسية التي تشهدها تلك المنطقة وكثير منافسيهم واعداًهم لذا كان لابد من اتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية حدود دولتهم من هجمات الاعداء فضلاً عن النزاعات الداخلية التي يثيرها بين الحين والآخر بعض قبائل المصامدة في المغرب لذلك عملت الدولة المرابطية ومنذ نشأتها على بناء الحصون التي امتدت حول جبال المصامدة لضمان عدم الخروج عن سلطانهم^(٣٢) كما ان المرابطين عمد الى بناء العديد من

الاسوار حول المدن لصد غارات المعارضين لحكمهم هذا من ناحية وحماية المدن المغربية من هجمات النصارى الذين كانوا يغيرون عليها بين الحين والآخر^(٣٣) امتازت التحصينات العمرانية التي بناها المرابطون في المغرب بضخامتها فقد بالغوا في بنائها فالقلاع في المغرب الاسلامي تضم العديد من الابراج العالية والتي كانت على شكل نصف دائرة وكانت تلك القلاع سمكية لا يمكن اختراقها وقد احاطوها بالخنادق ومن جميع الجهات واستعملوا في بنائها الحجر او ما يعرف بالطوب وكانت مزودة بجميع المؤن من سلاح وغذاء وعدة وعدد^(٣٤).

ويمكن ان نحدد ابرز القلاع التي بنيت في المغرب في العصر المرابطي خلال حكم الامير علي بن يوسف هي قلعة (امركو) والتي تعد من اثارهم العمرانية تقع على احد المرتفعات الجبلية في وادي درغة^(٣٥) بنيت القلعة بأضلاع متعددة هائلة لها سور خارجي يضم اثني عشر برجاً ولها قصبة مستطيلة الشكل على اطرافها ابراج نصف دائرة لمراقبة كل التحركات الخارجية لهذه القلعة ثلاثة ابواب كبيرة مصنوعة من الحديد هذا النحت العمراني هو امتزاج الحضارة الاندلسية بحضارة المغرب الاسلامي فقد انتقلت تلك المؤثرات العمرانية الى المغرب في عصر المرابطين ثم قاموا بالتعديل عليها لاسيما فيما يتعلق بالابراج والاسوار^(٣٦).

ومن التحصينات العمرانية في المغرب حصن تاسغيموت على حدود مدينة مراكش تم بنائه سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م في عهد الامير علي بن يوسف له باب واحد من جهة الشمال ويحيط به سور بني من الحجر وهو بمثابة نقطة مراقبة لإنذار مدينة مراكش من اي هجوم مباغت ثم قام المرابطون بتوسعته حتى صار اشبه بالقلعة اذ زود بجميع المرافق الضرورية لمواجهة الاعداء يحوي هذا الحصن اكثر من مائتي فارس وبالرغم من ذلك فان هذا الحصن سقط بسهولة بيد الموحدين الذين ثاروا ضد الدولة المرابطية^(٣٧) ومن الحصون المرابطية الاخرى التي بناها المرابطون هو حصن تاكرارت في مدينة مكناسة^(٣٨) وحصن زرهون^(٣٩) لم تشهد الدولة المرابطية استقراراً سياسياً بعد قيام دولتهم في المغرب والاندلس لاسيما انهم كانوا على صراع مستمر مع الموحدين الذين غالباً ما يشنون هجماتهم على المدن المغربية

فضلاً عن هجمات النصارى في الاندلس لاسيما على المدن التي تقع تحت سلطانهم حينها ادرك المرابطون خطورة الموقف لذا عملوا على تحصين تلك المدن من خلال بناء الاسوار ، وجه الامير علي بن يوسف جل اهتمامه لبناء سور كبير يحمي الحاضرة مراكش من اي خطر خارجي وجلب لبنائه عدد كبير من العاملين والمهندسين من المغرب والاندلس وبالفعل تم العمل به في سنة ٥١٩هـ/١٢٥م واستغرق بنائه مدة تزيد عن ثمانية اشهر وهو سور طويل يحيط بالمدينة له سبعة عشر باب ابرزها باب (اغمات ، والدباغين الشريعة ، المخزن)^(٤٠) وكذلك الحال في مدينة فاس اذ اوعز الامير علي بن يوسف بإعادة بناء سور المدينة وزيادة تحصيناتها وكان لسور مدينة فاس ابراج مطلة على الخارج وتعد تلك الابراج من المواقع الدفاعية للمدينة لم يكتفي الامير علي بن يوسف بتحصين تلك المدينتين وحسب بل امر واليه على مدينة وهران^(٤١) بإعادة بناء سورها فاستخدموا الحجر في بنائه ووضع في اركانه ابراجاً مثلثة ومستطيلة غير بارزة عن السور مزودة بأبواب متقابلة وقد احاط المرابطون تلك الاسوار بخنادق عميقة تمثل خط الدفاع الاول عن المدينة^(٤٢)

اما فيما يتعلق بالزخرفة فقد حرص امراء الدولة المرابطية على دعم حركة التقدم العمراني فاستقدمت الكثير من الرسامين ووفرت لهم المواد الاولى التي تدخل في الزخرفة مثل الاخشاب والجواهر وغيرها من المواد التي تستخدم في زخرفة المساجد فعلى سبيل المثال مسجد القرويين الذي ضم زخارف متنوعة على شكل نخيل اما في قبة مسجد تلمسان فقد نقش عليها اوراق مقسمة ذات ألوان خفيفة ونقوش اخرى على شكل شجرة الصنوبر كما نقشوا في اغلب القباب زهور متعانقة كل هذه الزخارف نحتت بأسلوب فني رائع لم تعرف مدن المغرب الاسلامي ولا مساجدها تلك الزخارف من قبل حتى جاء المرابطون وادخلوا تلك التأثيرات العمرانية التي تدل على رقي وتقدم تلك الحقبة التاريخية المهمة في عصرهم^(٤٣) .

المبحث الثاني: اثر الحياة الاقتصادية على المغرب الاسلامي في عصر الدولة المرابطية

تمكنت الدولة الموحدية بعد ان نجحت في توحيد المغرب الاسلامي تحت سلطانها من تحقيق الامن والاستقرار في ربوعه واستطاعت ان توفر الحماية من خلال تأمين الطرق التجارية وانهاء التمردات التي كانت تشكل عائقاً امام التقدم والازدهار الاقتصادي فبنت

العديد من التحصينات كالقلاع والحصون والاسوار في مدن المغرب الاسلامي فكانت تعمل جاهدة على تثبيت دعائم الدولة^(٤٤) وهناك العديد من العوامل التي ساهمت في انتعاش الحياة الاقتصادية في المغرب كان من بينها سياسة الدولة المرابطية التي حرصت على تحقيق الرخاء الاقتصادي فعملت على تخفيف الضرائب المفروضة التي اثقلت كاهل المجتمع آنذاك^(٤٥).

كما انهم ساهموا في توفير اليد العاملة اذ لجأ الامير علي بن يوسف بن تاشفين الى اقطاع الكثير من الاراضي واعطائها للجند لزراعتها والاستفادة منها وبذلك ربطوا تلك الاراضي بالجند حتى يتمكنوا من تحقيق وفرة في الانتاج وفي الوقت نفسه اشتغال الجند ورفع مستواهم المعيشي^(٤٦) فضلاً عن استقدام العديد من الايادي العاملة الذين استوطنوا في المغرب الاسلامي لاسيما في مدينة سلا^(٤٧)

اولاً: الزراعة: لقد ساهمت كما اسلفنا العديد من العوامل في ازدهار الحياة الاقتصادية في المغرب لاسيما الزراعة التي كان لها دور كبير في دعم الواقع الاقتصادي فالبيئة الطبيعية المختلفة التي تكونت منها اراضي المغرب التي اتسمت بالخصوبة اذ تنوعت تلك الاراضي ما بين الجبلية والصحراوية والسهلية هذا التنوع اسهم في دعم الانتاج الزراعي وتنوع محاصيله فضلاً عن حرص المرابطون على توفير المياه العذبة لسقي مزارعهم من خلال حفر الابار وشق الانهار ومد القنوات وغيرها من وسائل الري المتعددة^(٤٨) كما ان النظام الاقطاعي الذي اتبعه المرابطون في توزيع الاراضي وادارتها من قبل القبائل اسهم بشكل كبير في دعم الانتاج الزراعي فقد كان ملاك الاراضي من الامراء وقادة الجند الذين اقتطعت لهم الدولة المرابطية اراضي خصبة حرصوا على زراعتها من خلال استقدام اليد العاملة من اهل المغرب فضلاً عن القبائل التي هاجرت من مناطق المشرق الاسلامي واستقر العديد منهم في مدن المغرب هؤلاء كانت لهم خبرات في زراعة الارض فعملوا في تلك الاقطاعات وكان النظام المتبع ان يتم مشاركة هؤلاء في الانتاج مما شجعهم على زراعة تلك الاراضي فكان هذا النظام احد العوامل ساعدت على توفر العديد من المنتوجات الزراعية والتي ادت الى رخاء اقتصادي كبير في تلك الحقبة^(٤٩) وتعددت وسائل الري في مدن

المغرب الاسلامي لاسيما في تلمسان التي اشتهرت بكثرة قنواتها المائية وتتفرع تلك القنوات في المدينة فيتم من خلالها سقي مزروعاتهم كما عني اهل مدينة فاس في مجال الري اذ اوصلوا المياه من وادي الزيتون الموجود في المدينة ومنه تتفرع الانهر الصغيرة والقنوات وبذلك تمكن المرابطون توفير المياه العذبة التي تسهم بشكل مباشر في انتعاش الجانب الزراعي ، عني المرابطون بالجانب الزراعي واهتموا به لما له من دور كبير في ازدهار الواقع الاقتصادي في المجتمع وقد ساعدهم على ذلك خبرة اهل المغرب في عملية الزراعة وابتكارهم انواعاً مختلفة من الغلات الزراعية كما انهم كانوا حريصين على ايجاد حلول لمعالجة الآفات الزراعية التي تؤثر على نسبة الانتاج وبذلك تمكنوا من تحسين الجانب الزراعي في مدن المغرب الاسلامي^(٥٠) .

وقد اشتهرت قبائل المغرب في عصرهم بزراعة الشعير الذي انتشر بشكل كبير لاسيما في الاراضي الغير خصبة كما ان زراعته لا تحتاج الى كميات كبيرة من المياه فكان الامير يوسف بن تاشفين طوال حياته يأكل خبز الشعير لكثرة زراعته اما القمح فكان قليل الانتاج في تلك المدن كما اشتهرت مدن المغرب الاسلامي بزراعة النخيل وتعد مدينة سجلماسة من ابرز المدن التي عرفت بزراعة النخيل لوجود الكثير من الواحات الصحراوية التي تعتمد في زراعتها على مياه الامطار حتى انها شبهت بالبصرة لكثرة زراعة النخيل وانتاج اجود انواع التمور واطيبها طعماً^(٥١) الى جانب ذلك اهتم المرابطون بزراعة انواع الفواكه والخضر كالقرع والقثاء والبطيخ والذرة وفي بلاد الهبط الواقعة قرب مدينة سجلماسة زرع المرابطون محصول القطن وفي الحاضرة مراكش حرص الامير يوسف بن تاشفين على اصال المياه اليها من خلال حفر الابار وشق الترع والقنوات حتى صارت من افضل المدن للزراعة اذ اشتهرت بزراعة اشجار الزيتون الى جانب مدينة مكناسة التي عرفت بكثرة انتاجها للزيتون بل ويعد ابرز المحاصيل الزراعية في تلك الفترة^(٥٢) .

اما المغرب الاقصى فقد امتاز عن غيره من بلدان المغرب الاسلامي بكثرة بساتين الفواكه وقد ساعدهم على ذلك وفرة المياه اذ عرفت مدنه بزراعة التفاح والعنب فضلاً عن بساتين اخرى اشتهرت بزراعة الرمان والاجاص والمشمش وغيرها من اشجار الفواكه الاخرى^(٥٣) في

حين اشتهرت مدينة سبتة^(٥٤) واغمات^(٥٥) بزراعة محصول قصب السكر اذ كان يصدر من تلك المدينتين الى المدن الاخرى في المغرب الاسلامي وقد حظى هذا المحصول على اهتمام امراء الدولة المرابطية لأنه يسهم في دعم الحياة الاقتصادية بعد تزايد الطلب عليه^(٥٦).

والى جانب الزراعة فقد اهتم المرابطون بتوفير وازدهار الثروة الحيوانية من خلال الاعتناء بتربية الحيوانات التي يستفيدون منها في تنقلاتهم وتعد الجمال ابرز تلك الحيوانات التي عني المرابطون بتربيتها ولم تكن تلك الدواب تستخدم فقط للركوب بل استفادوا من وبرها وجلودها ولبنها ولحمها لذا كانت تربية الجمال منتشرة في اغلب المدن الاسلامية في المغرب فضلاً عن تربية البغال والحمير التي استخدمت للتنقل بين المناطق داخل المدن وان كان هذا النوع موجود بأعداد قليلة الا انهم حرصوا على تربيتها ومن بين تلك الحيوانات التي عني اهل المغرب بتربيتها المواشي من الاغنام والابقار والماعز انتشرت تربية تلك الاصناف في مختلف المدن لسهولة اقتنائها وكثرة فوائدها من صوف وجلود لاسيما تربية الماعز التي كانت مثل القحط اكثر من غيرها من المواشي كما ان الماعز كان يستطيع تسلق الجبال والمرتفعات لذا حرصوا على تربيتها وبشكل كبير^(٥٧) وقد وجد في مدينة مراكش انواع اخرى من الحيوانات مثل النعام والغزلان والى جانب تلك الحيوانات فقد اهتم اهل المغرب بتربية النحل الذي يعد من اهم المصادر الغذائية لإنتاج العسل فضلاً عن الثيران التي استخدموها في حراثة الارض بل انهم كانوا يتاجرون فيها من خلال استئجارها لأصحاب الاراضي وكانت تدر عليهم ارباحاً كثيرة وقد ساعدتهم على تربية كل تلك المواشي والحيوانات وجود ارض خصبة ومراعي تسهل عملية التربية وهذه المراعي تعتمد على حياة الامطار مما يسهم في تقليل كلفة تربية تلك الحيوانات فقد اشتهرت مدينة تلمسان بكثرة مراعيها فضلاً عن وجود افضل انواع الخيول فيها التي تعرف (بالخيول الراشدية) وعرفت تلمسان بتربية حيوان اللط^(٥٨) الذي انتشر تربيته في جنوب المدينة^(٥٩).

ثانياً: الصناعة: تعد الصناعة واحدة من اهم العوامل الاساسية في ازدهار الحياة الاقتصادية في المغرب فقد ظهر في عصر الدولة المرابطية الكثير من الصناعات والحرف التي

اسهمت في تقدم وتطور المجتمع آنذاك لاسيما وجود المواد الاولية واليد العاملة التي شكلت ركيزة اساسية في هذا المجال وقد توارث المرابطون الحرف الصناعية وساهموا في دفع عجلة التقدم الى الامام^(٦٠) وكما اسلفنا فان توفر المواد الخام سواء كانت معدنية ام حيوانية ام نباتية جعل سكان المغرب يبرعون في مجال الصناعة فمعدن الحديد وجد بكثرة في مدينة مراكش وسلا اما النحاس فكان يكثر في منطقة السوس قرب سجلماسة وهذا ما اكده الادريسي^(٦١) بقوله "ومدينة داي في اسفل جبل خارج من جبل درن وهي مدينة بها معدن النحاس الخالص الذي لا يعدله غيره من النحاس بمشارك الارض ومغاربها وهو نحاس حلو لونه الى البياض ليتحمل التزويج ويدخل في لجام الفضة وهو اذا طرق جاد ولم يتشرح كما يتشرح غيره من انواع النحاس وهذا المعدن ينسبه العوام الى السوس" اما فيما يخص معدن الذهب فقد وجد في بعض المناطق الجنوبية في مدينة سجلماسة كما ان المرابطون كانوا يستوردونه من بلاد السودان لكثرت في تلك المناطق والى جانب المعادن فقد اشتهرت بعض المدن بكثرة المجوهرات الثمينة التي تدخل في صناعة العقود والحلي والزينة كالأصداف واللؤلؤ الذي استخرج من الانهار الموجود في مدينة فاس وكذلك الياقوت الذي اشتهرت به ايضا مدينة فاس دون غيرها من المدن الاخرى^(٦٢) ، وقد اشتهرت بلاد المغرب الاسلامي في عصر الدولة المرابطية بالعديد من الصناعات كان من اهمها الصناعات الحربية او العسكرية والتي ظهرت نتيجة الظروف والاحداث السياسية التي عاشها المرابطون في تلك الفترة والتي حتمت عليهم تحسين واقع الصناعات الحربية لمواجهة التحديات والمخاطر الخارجية لا سيما ان الدولة المرابطية خاضت خلال فترة حكمها حروباً كثيرة وهذا ما دفعهم الى تنشيط واقع تلك الصناعة المهمة مما نتج عنه تنوع الاسلحة المستخدمة في حروبهم كان من ابرزها الخناجر والسروج ولجام الخيول فضلاً عن اهتمام الامير يوسف بن تاشفين بصناعة السفن الحربية وانشأ لهذا الامر قاعدة عسكرية في مدينتي سبتة وطنجة^(٦٣) وقد بلغ عدد السفن التي قاموا بصنعها اكثر من مئتي سفينة حربية اختلفت انواعها واشكالها حسب الحاجة وضرورة المعارك فقد صنعوا سفن تحمل الجند تسمى مراكب واخرى اطلق عليها الحراقات التي تقوم بمهمة الهجوم على الاعداء وغيرها من الصناعات الحربية الاخرى^(٦٤) .

اما فيما يتعلق بالصناعات الغذائية فقد اولى المرابطون اهتمامهم بذلك الجانب لما له من اثر كبير على الحياة العامة في المجتمع فاشتهرت مناطق المغرب الاقصى بتلك الصناعات فقاموا بصناعة زيت ثمر الفرت بعد عصر قشوره والذي استعمل في طهي الطعام فضلاً عن انه دخل في استخداماته للإضاءة لاسيما في المساجد والطرق ، كما اشتهرت منطقة السوس الاقصى بصناعة السكر الذي كان يصدر منه الى مناطق المغرب الاخرى^(٦٥) والى جانب تلك الصناعات الغذائية فقد برع المرابطون بصناعة الورق لاسيما في عهد الامير يوسف بن تاشفين فقد انتشرت الكتابة فظهر العديد من الوراقين فاتخذ الامير مدينة فاس لإنتاج وصناعة الورق مما جعل تلك المدن الاسلامية في عصرهم تضاهي مدن المشرق الاسلامي في تلك الصناعات^(٦٦) .

كما اسهمت الصناعات النسيجية في بلاد المغرب الاسلامي في رفع المستوى المعيشي ورغد الحياة الاقتصادية لاسيما صناعة الالبسة الصوفية والقطنية فضلاً عن صناعة الكتان وقد اعتمد المرابطون على بعض المدن والقرى التي اشتهرت بتوفير تلك المواد التي تدخل في الصناعة النسيجية منها حصن برارة^(٦٧) الذي كان يزود مدن المغرب الاسلامي بالأنسجة الصوفية ولا شك ان تلك الانسجة تعتمد على تربية المواشي من الاغنام اذ يستفاد من صوفها في صناعة العديد من الملابس فكانت مدينة سجلماسة يكثر فيها الاغنام لذا يعد صوفها من اجود الانواع التي عرفتها مدن المغرب الاسلامي^(٦٨) واشتهرت منطقة بلاد السوس في المغرب بصناعة الالبسة الخفيفة والرقيقة اذ اختصت نساء قبيلة مصمودة دون غيرها من النساء بصناعة تلك الثياب التي لا يوجد مثلها في باقي المدن الاخرى لمهارتهن ومعرفتهن بهذا النوع من الثياب^(٦٩) .

وفيما يتعلق بصناعة الاخشاب فقد عرفت مدن المغرب الاسلامي انتشاراً واسعاً في مجال تلك الصناعات ويرجع السبب لكثرة الاشجار وتوفر المواد الاولية التي تدخل في تلك الصناعة اذ تعد مدينة سلا من ابرز المدن التي اشتهرت في صناعة الاخشاب لاسيما بعد ان اتسعت مجالات استعمال الخشب لاسيما في الجانب العسكري او الجانب العمراني اذ كانت سقوف المساجد والقصور تصنع من الاخشاب فضلاً عن المنابر والابواب هذا ما دفع

المرابطون الى احتراف تلك المهنة فكان منبر مسجد الامير علي بن يوسف تحفة فنية شاهدة على براعة المرابطون في تلك الصناعة^(٧٠) ومنذ قيام الدولة المرابطية شهد المغرب الاسلامي نهضة صناعية لم يسبق لها مثيل ولا سيما الصناعات المعدنية مثل صناعة الصابون ودباغة الجلود كما كان الحديد والنحاس يشكل اهم المعادن التي استعملها المرابطون في صناعاتهم فبرز اهل مدينة فاس في صناعة الاواني الفخارية من النحاس كما استخدموا الحديد في صناعة الرماح^(٧١).

ثالثاً: التجارة: لقد كان اتساع رقعة الدولة المرابطية في المغرب والاندلس اثراً واضحاً في ازدهار الجانب التجاري هذا الامر ساعد المرابطون على توسيع علاقاتهم التجارية اذ نشطت حركة تبادل البضائع والسلع بين المغرب والبلدان الاخرى فنمت حركة التجارة على المستوى الداخلي بين مدن المغرب وعلى المستوى الخارجي مع الاندلس وبلاد المشرق الاسلامي كما ان استقرار الاوضاع السياسية في عهد الامير يوسف بن تاشفين وابنه علي كانت من ابرز الاسباب والعوامل التي ساهمت في ازدهار التجارة اذ حرصوا على تأمين طرقها من جهة البر والبحر^(٧٢) ويمكن تقسيم التجارة في العهد المرابطي على نوعين:

١- التجارة الداخلية: ترتبط مدن المغرب الاسلامي بعدد من الطرق التي تسهل عملية نقل البضائع فيما بينها وقد حددت لنا المصادر التاريخية خمسة طرق رئيسية استعملها المرابطون لنقل تجارتهم والتي تمر عبر (سجلماسة ، تلمسان ، اغمات ، اودغشت ، فاس) في حين تميزت سجلماسة وتلمسان عن غيرها من مدن بلاد المغرب اذ يمثلان ممراً تجارياً رئيسياً لباقي المدن الاخرى كما ساهم موقع مدينة فاس المتوسط لتكون قبلة لكثير من التجار القادمين من شرق البلاد ومن جنوبها اذ انها كانت حلقة وصل بين المغرب وبلاد السودان اضافة الى الطرق الاخرى التي تربط مدن المغرب مع مدينتي طنجة وسبتة^(٧٣) كما ساهمت كثرة الانهار الموجودة في المغرب في تسهيل حركة التجارة الداخلية فقد كانت تلك الانهار تمر عبر وديانها وكان من ابرزها نهر (ام الربيع) الذي يربط مدن المغرب الداخلية بسواحل البحر^(٧٤) ، ازداد نشاط الحركة التجارية بين مدن المغرب الاسلامي في عصر المرابطين ولا شك ان الازدهار الصناعي والزراعي الذي شهده المغرب في تلك الحقبة كان

احد العوامل المهمة لانتعاش التجارة ونقل البضائع والسلع من مدينة الى اخرى وكانت مراكش في مقدمة المدن التي شهدت حركة تجارية كبيرة باعتبارها حاضرة المرابطين اذ صارت تمثل مركزاً تجارياً مهماً فتنوعت بضائعها وانتعشت اسواقها فكان اغلب التجار يحملون بضائعهم الى مراكش لاسيما بوجود المرافق العمرانية مثل الاسواق المختلفة والتي استوعبت جميع السلع القادمة الى المدينة فكانت اغلب البضائع تحمل اليها من مدن الجنوب في المغرب^(٧٥) ولم تكن مدينة فاس اقل اهمية من مراكش في ازدهار حركة التجارة فكانت عوامل التجارة تمر بالمدينة ويتم تبادل السلع في اسواقها ومنها تحمل بضائع مدينة فاس الى المدن الاخرى عبر الطرق التجارية والبرية لاسيما مدينة سلا فكانت الاقمشة والانسجة القطنية والحريية من ما حمله التجار في قوافلهم الى مدن المغرب الاسلامي كما تمثل مدينة اغمات في المغرب احدى المراكز التجارية المهمة وذلك لاتصالها بعدد من الطرق البرية التي تسهل حركة التجارة ونقل البضائع من مدينة سجلماسة وغيرها من المدن وكانت القوافل التجارية تحمل في تجارتها النحاس والملابس والزجاج والاحجار الكريمة وانواع مختلفة من العطور وغيرها^(٧٦).

٢- التجارة الخارجية : امتلأت اسواق مدن المغرب الاسلامي بمختلف المنتجات والبضائع نتيجة نشاط حركة التجارة الداخلية هذا الامر ساهم وبشكل كبير على فتح الابواب امام التجارة الخارجية لاسيما بوجود دولة قوية قادرة على حماية القوافل التجارية الوافدة الى المغرب الاسلامي كما كان للسفن المرابطية دور في تأمين موانئ المغرب الاسلامي وطرق التجارة البحرية الامر الذي دفع الكثير من تجار الاندلس الى نقل بضائعهم الى بلدان المغرب الاسلامي^(٧٧).

الخاتمة:

— اتضح لنا ان الدولة المرابطية حرصت ومنذ قيامها على ترسيخ وجودها من خلال القضاء على كل التمردات التي ظهرت في المغرب الاسلامي كما ان امرائها عملوا جاهددين على حماية حدود دولتهم فاتجهت انظارهم بعد استقرار الاوضاع السياسية الى مرحلة التطور والتقدم العمراني والاقتصادي والنهوض بواقع الحياة العامة في المجتمع لاسيما ان دولة

المرابطين قامت على اسس دينية بحتة فتمكن اول امرائها يوسف بن تاشفين من توحيد دعائم دولتهم وبسط نفوذهم على مناطق شاسعة من المغرب .

ـ بينت الدراسة ان امراء الدولة المرابطية كانوا على قدر كبير من المسؤولية لاسيما في عهد الامير يوسف بن تاشفين وابنه علي اذ تمكنوا خلال فترة حكمه من بناء العديد من المدن لاسيما مراكش والتي اصبحت حاضرة المرابطين في المغرب الاسلامي وقد اختطها الامير يوسف لتكون قاعدة لقواته في بداية الامر ثم عني بالاهتمام بها من خلال نبذ العديد من المرافق الحيوية التي تسهم في استقرار الكثير من القبائل في مراكش.

ـ اهتم امراء الدولة المرابطية بحماية المدن واعمارها فعملوا على بناء الاسوار الحصينة خارج مدن المغرب الاسلامي فضلاً عن بناء الكثير من القلاع والحصون التي تشكل خط الدفاع الاول على المدن المغربية والى جانب ذلك نجد ان الدولة المرابطية كانت حريصة كل الحرص على نشر مبادئ الاسلام وتعاليمه من خلال بناء المساجد او اعادة ترميمها وزخرفتها بشكل يليق بها باعتبار ان المساجد تؤدي دوراً كبيراً في نشر العلوم والمعرفة .

ـ لم تتوقف اعمال المرابطون ولم تقتصر على بناء المدن والقلاع والحصون والمساجد وحسب بل انهم حرصوا على اظهارها بمظهر التمدن من خلال توفير جميع متطلبات الحياة حتى صارت مدن المغرب في عهدهم تضاهي مدن المشرق الاسلامي في تصميمها وعمرانها والى جانب ذلك اهتم المرابطون بالواقع الاقتصادي من زراعة وصناعة وتجارة وعملوا على جلب المياه العذبة من الانهار عن طريق شق الترع والقنوات فانعكس هذا الامر على ازدهار الزراعة وتنوع منتوجاتهم فضلاً عن تطور الجانب الصناعي اذ استقدموا كل اصحاب الحرف والصنائع من مختلف المدن حتى صارت المغرب تشهد العديد من الصناعات المهمة سواء كانت حربية ام صناعات اخرى ساعدت على دفع عجلة التقدم الى الامام ولا شك ان الدولة المرابطية فتحت كل السبل لتوسيع التجارة بين مدنها الداخلية فضلاً عن اقامة علاقات مع البلدان المجاورة مثل

جهود الدولة المرابطية في تطور النواحي العمرانية والاقتصادية في المغرب الاسلامي

(٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م)

الاندلس فانتعشت الحياة الاقتصادية بوجه عام لذا يمكن القول ان المغرب الاسلامي عاش افضل فتراته خلال حكم المرابطين .

الهوامش:

- (١) محمود ، حسن احمد ، قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي ، (القاهرة ، د.ت) ، ص ١٠٣_١٠٥ .
- (٢) مراكش: احدى مدن المغرب الاسلامي وهي حاضرة الدولة المرابطية وهي مدينة عظيمة طيبة التربة مأوها عذب فيها العديد من البساتين كما تضم المدينة اباراً تسقى منها الزروع تقع في منطقة السوس شمال مدينة اغمات تبعد ثلاثة اميال عن وادي تنسفت وهي كثيرة الزرع والضرع فيها جنان عجيبة تسمى البجائر . كاتب مراكشي (ت:ق٦هـ) ، الاستبصار في عجائب الامصار ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٨٦م) ، ص ٢٠٨_٢٠٩ .
- (٣) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ/١٤٠٦م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر ، تحقيق: خليل شحاذة ، ط٢ ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٩٨٨م) ، ج ٦ ، ص ٢٤٥ .
- (٤) ابن عذاري المراكشي ، ابو عبدالله محمد بن محمد (ت٦٩٥هـ/١٢٩٥م) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تح: ليفي بروفنسال ، ط٣ ، دار الثقافة ، (بيروت ، ١٩٨٣م) ، ج ١ ، ص ٣٠٠ .
- (٥) ابو يعقوب يوسف بن تاشفين بن ابراهيم اللمتوني الملقب بأمر المسلمين وأمر المرابطين ولد سنة ٤٠٠هـ احد ملوك المغرب واول امراء الدولة المرابطية اتسع ملكه وطال عمره وهو الذي بنى مدينة مراكش توفي سنة ٥٠٠هـ . الذهبي ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ/١٤٣٧م) ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تح: بشار عواد معروف ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي ، (د.م ، ٢٠٠٣م) ، ج ١٠ ، ص ٨٣٢ .
- (٦) لسان الدين ابن الخطيب ، محمد بن عبدالله بن سعيد (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٣م) ، ج ٤ ، ص ٣٠٢_٣٠٣ .
- (٧) الحميري ، محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تح: احسان عباس ، ط٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة ، (بيروت ، ١٩٨٠م) ، ص ٥٤٠ .
- (٨) حركات ، ابراهيم ، المغرب عبر التاريخ ، ط١ ، الدار البيضاء ، (الرباط ، ١٩٦٥م) ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

جهود الدولة المرابطية في تطور النواحي العمرانية والاقتصادية في المغرب الاسلامي

(٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م)

- (^٩) ابن القاضي ، احمد بن القاضي المكناسي (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م) ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس ، (الرباط ، ١٩٧٣م) ، ج ٢ ، ص ٥٤٦ .
- (^{١٠}) ابن ابي زرع الفاسي ، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م) ، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، عصور للطباعة والنشر ، (المغرب ، ١٩٧٢م) ، ص ١٣٨ .
- (^{١١}) الادريسي ، محمد بن محمد بن عبدالله (ت ٥٦٠هـ/١١٦٥م) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ط ١ ، عالم الكتب ، (بيروت ، ١٩٨٨م) ، ج ١ ، ص ٢٣٣ .
- (^{١٢}) وهي عبارة عن ابار متقاربة تتصل مع بعضها ويسقى منها الماء . الزركشي ، ابو عبدالله محمد بن ابراهيم (ت ٨٩٤هـ/١٤٨٨م) ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تح: محمد ماضور ، ط ٢ ، (تونس ، ١٩٦٦م) ، ص ٨ ؛ دوزي ، رينهارت تيران ، تكملة المعاجم العربية ، ترجمة: محمد سليم النعمي وجمال الخياط ، ط ١ ، وزارة الثقافة والاعلام ، (العراق ، ٢٠٠٠م) ، ج ٤ ، ص ١٣٤ .
- (^{١٣}) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٢٣٣-٢٣٤ .
- (^{١٤}) السائح ، الحسن ، الحضارة المغربية عبر التاريخ ، ط ١ ، (الدار البيضاء ، ١٩٧٥م) ، ج ١ ، ص ١٦٥-١٦٧ .
- (^{١٥}) ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب ، ص ٢٠ .
- (^{١٦}) نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .
- (^{١٧}) سالم ، السيد عبد العزيز ، المغرب الكبير في العصر الاسلامي ، دار النهضة ، (بيروت ، ١٩٨١م) ، ص ٧٥٢ .
- (^{١٨}) لسان الدين ابن الخطيب ، اعمال الاعلام فيمن بويح قبل الاحتلال من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام ، تح: سيد كردي حسن ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ص ٢٣٤-٢٣٥ ؛ الجزنائي ، علي (ت: ق ٨هـ) ، جني زهرة الاس في بناء مدينة فاس ، تح: عبد الوهاب ابن منصور ، ط ٢ ، المطبعة الملكية ، (الرباط ، ١٩٩١م) ، ص ٦٧ .
- (^{١٩}) امين ، بلغيث محمد ، الحياة الفكرية في عصر المرابطين ، دار المدار الاسلامي ، (بيروت ، ٢٠٠٤م) ، ص ١٢٧ .
- (^{٢٠}) مؤنس ، حسين ، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الاندلس ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط ١ ، (مصر ، ٢٠٠٠م) ، ص ٢٤ .

جهود الدولة المرابطية في تطور النواحي العمرانية والاقتصادية في المغرب الاسلامي

(٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م)

- (^{٢١}) المراكشي ، عبد الواحد بن علي التميمي (ت٦٤٧هـ/١٢٥٠م) ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب من لدن فتح الاندلس الى اخر عصر الموحدين ، تح: صلاح الدين الهواري ، ط١ ، المكتبة العصرية ، (بيروت ، ٢٠٠٦م) ، ص ٢٥٦ .
- (^{٢٢}) ابن ابي زرع ، الروض القرطاس ، ص ١٤١-١٤٢ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٣٨٠ .
- (^{٢٣}) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣٧ .
- (^{٢٤}) ابن ابي زرع ، الروض القرطاس ، ص ١٣٩ .
- (^{٢٥}) الناصري ، ابو العباس شهاب الدين احمد بن خالد ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، (الدار البيضاء ، ١٩٥٤م) ، ج ٢ ، ص ٢٥ .
- (^{٢٦}) تلمسان: احدى مدن بلاد المغرب الاسلامي وهما مدينتان اختط المرابطون احدهما والتي تسمى تافرزت يسكن فيها الامير واتباعه اما المدينة القديمة اسمها اقادير يسكنها بقية السكان من اهل المغرب بينها وبين وهران مرحلة . ياقوت الحموي ، ابو عبدالله شهاب الدين بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ، معجم البلدان ، ط ٢ ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٩٥م) ، ج ٢ ، ص ٤٤ .
- (^{٢٧}) حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٢ ؛ سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٤٩-٧٥٠ .
- (^{٢٨}) كاريخال ، مارمول ، افريقيا ، ترجمة: محمد صبحي واخرون ، دار المعرفة ، (الاسكندرية ، ١٩٨٩م) ، ص ٥٤ .
- (^{٢٩}) تم انشاء هذا المسجد سنة ٢٤٥هـ على يد امرأة تسمى فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني احد فقهاء المدينة بعد ان توفي زوجها ورثت منه مالا فتبرعت به لبناء مسجد القرويين وصمم هذا المسجد على شكل مربع لكنه لم يكن بأبعاد متساوية له اربعة ابواب وبعد عدة عقود ازداد اعداد المصلين فقام احمد بن ابي بكر الزناتي سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م وهو احد التابعين للدولة الاموية في الاندلس لتوسعة المسجد من جهاته الشرقية والغربية والشمالية وتم بناء الصومعة في وسط الجناح الغربي للمسجد وضيف له اربعة ابواب اخرى . ابن ابيس زرع ، الروض القرطاس ، ص ٥٤ ؛ التازي ، عبد الهادي ، جامع القرويين ، ط ١ ، (بيروت ، ١٩٧٢م) ، ج ١ ، ص ٤٦ .
- (^{٣٠}) ابو عبدالله الصنهاجي محمد بن محمد بن داود النحوي المالكي ويعرف بابن جروم قاضي قضاة مدينة فاس . السخاوي ، شمس الدين ابو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات مكتبة الحياة ، (بيروت ، د. ت) ، ج ٩ ، ص ٨٢-٨٣ .

جهود الدولة المرابطية في تطور النواحي العمرانية والاقتصادية في المغرب الاسلامي (٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م)

- (^{٣١}) ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص ٤٢ ؛ دندش ، عصمت عبد اللطيف ، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، ط ١ ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت ، ١٩٨٨م) ، ص ٣٨١ .
- (^{٣٢}) محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٤٩٣ .
- (^{٣٣}) حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .
- (^{٣٤}) حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٤ ؛ سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٦٥-٧٦٦ .
- (^{٣٥}) البكري ، ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، المسالك والممالك ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت ، ١٩٩٢م) ، ج ٢ ، ص ٧٩٠ .
- (^{٣٦}) سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٦٦-٧٦٧ .
- (^{٣٧}) حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .
- (^{٣٨}) مكناسة: مدينة في المغرب تقع على البحر بينها وبين مراكش ١٤ مرحلة وهي عبارة عن مدينتان صغيرتان اختط احدهما يوسف بن تاشفين لها حصن كبير بناه الامير علي بن يوسف . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٨١ .
- (^{٣٩}) احد الجبال القريبة من مدينة فاس . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٤٠ .
- (^{٤٠}) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٧٣ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٣٧٨ ؛ الناصري ، الاستقصا ، ج ١ ، ص ١٠٧ .
- (^{٤١}) وهران: احدى مدن بلاد المغرب بينها وبين تلمسان مسير ليلة تقع على ضفة البحر واكثر اهلها تجار وهي مدينة حصينة فيها العديد من العيون العذبة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٨٥ .
- (^{٤٢}) ابن ابي زرع ، الروض القرطاس ، ص ١٣٩ ؛ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٣-٢٤٤ .
- (^{٤٣}) التازي ، جامع القرويين ، ج ١ ، ص ٧١ .
- (^{٤٤}) دندش ، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، ص ٧٩-٨٣ .
- (^{٤٥}) المراكشي ، عبد الواحد ، وثائق المرابطين والموحدين ، تح: حسين مؤنس ، ط ١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، (د. م ، ١٩٩٨م) ، ص ٢٥-٢٦ .
- (^{٤٦}) حسين ، حمدي عبد المنعم محمد ، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفة الجامعية ، (الاسكندرية ، ١٩٩٧م) ، ص ٣٥٩-٣٦٠ .

جهود الدولة المرابطية في تطور النواحي العمرانية والاقتصادية في المغرب الاسلامي

(٤٤٨-٤٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م)

- (٤٧) مدينة بأقصى المغرب يحيط بها البحر من جهة الشمال ولها نهر كبير تجرى فيه السفن بينها وبين مراكش عشر مراحل . كاتب مراكشي ، الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ١٤٠ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٣١ .
- (٤٨) المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، ص ٢٥٥ .
- (٤٩) مؤلف مجهول ، الحل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تح: سهيل زكار ، دار الرشاد ، (الدار البيضاء ، ١٩٧٩م) ، ص ٢٢ ؛ الونشريسي ، ابو العباس احمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت ، ١٩٩٠م) ، ج ٨ ، ص ١٦٩ .
- (٥٠) نصر الله ، سعدون عباس ، دولة المرابطين في المغرب والاندلس ، ط ١ ، دار النهضة العربية ، (بيروت ، ١٩٧٥م) ، ص ١٤-١٥ .
- (٥١) ابن بطوطة ، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) ، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، اكااديمية المملكة المغربية ، (الرباط ، ١٩٩٦م) ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ ؛ دندش ، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، ص ١٦٤ .
- (٥٢) الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢١٠ ؛ نصر الله ، دولة المرابطين في المغرب والاندلس ، ص ١٥ .
- (٥٣) البكري ، المسالك والممالك ، ص ١٠٩ ؛ المكناسي ، ابو عبدالله محمد بن احمد بن غازي ، الروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون ، (الرباط ، ١٩٥٢م) ، ص ٣ .
- (٥٤) وهي احدى مدن المغرب الاقصى تقع على البحر من جهة والمحيط الاطلسي من جهة اخرى وهي مدينة كبيرة مسورة بسور مبني من الحجر فيها العديد من المرافق العامة والاسواق وتعد المدينة احدى قواعد بلاد المغرب تضم مرسى كبير للسفن اليه ينقل التجارات من الاندلس . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٨٢ .
- (٥٥) احدى نواحي المغرب تقع بالقرب من مراكش بينها وبين سجلماسة ثمانية مراحل ارضها خصبة وفيها الكثير من البساتين يدبغ بها جلود تفوق جودته جميع بلدان المغرب الاسلامي اليها ينسب الكثير من العلماء منهم هارون بن موسى الاغماتي اهلها تجار مياسير تضم مدينتان الاولى تسمى اغمات وريكة والثانية اغمات هيلانة . الحميري ، الروض المعطار ، ج ١ ، ص ٤٦ .

جهود الدولة المرابطية في تطور النواحي العمرانية والاقتصادية في المغرب الاسلامي

(٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م)

- (^{٥٦}) ابن حوقل ، ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) ، صورة الارض ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٣٨م) ، ج ١ ، ص ٩١ ؛ القلقشندي ، احمد بن علي بن احمد (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ج ٥ ، ص ١٥٢ .
- (^{٥٧}) نصر الله ، دولة المرابطين ، ص ١٥ .
- (^{٥٨}) هو حيوان او دابة دون البقر لها قرون حادة . البكري ، المسالك والممالك ، ج ٢ ، ص ٨٦٦ .
- (^{٥٩}) ابن ابي زرع ، الروض القرطاس ، ص ٨٧ ؛ عبد الحميد ، سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، نشأة المعارف ، (الاسكندرية ، د.ت) ، ج ٣ ، ص ٤٣ ؛ نصر الله ، دولة المرابطين ، ص ١٥ .
- (^{٦٠}) العيدروسي ، محمد حسن ، المغرب العربي في العصر الاسلامي ، ط ١ ، دار الكتاب الحديث ، (القاهرة ، ٢٠٠٩م) ، ص ٤٤٠ .
- (^{٦١}) محمد بن عبدالله بن ادريس الطالبي (ت ٥٦٠هـ/١١٦٥م) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ط ١ ، عالم الكتب ، (بيروت ، ١٩٨٨م) ، ج ١ ، ص ٢٤١ .
- (^{٦٢}) البكري ، المسالك والممالك ، ص ١٥٣ ؛ المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، ص ٣٦٢ .
- (^{٦٣}) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١١٢ ؛ نصر الله ، دولة المرابطين في المغرب والاندلس ، ص ١٥-١٦ .
- (^{٦٤}) نصر الله ، دولة المرابطين ، ص ١٧ .
- (^{٦٥}) البكري ، المسالك والممالك ، ص ١٦١ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٣٠ .
- (^{٦٦}) المنوني ، محمد عبد الهادي ، تاريخ الوراقة المغربية ، ط ١ ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، (الرباط ، ١٩٩١م) ، ص ٢١ .
- (^{٦٧}) هو احد الحصون الواقعة بين مدينة فاس وسجلماسة يسكن حوله الكثير من القبائل التي اتخذت من رعي الاغنام مهنة لهم . المقدسي ، ابو عبدالله محمد بن احمد (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٩١م) ، ص ٥٧ .
- (^{٦٨}) البكري ، المسالك والممالك ، ص ١٧٤ ؛ الجحاني ، حبيب ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية بسجلماسة ، الجامعة التونسية (د.م ، د.ت) ، ص ١٤٣ .
- (^{٦٩}) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٥٩ .
- (^{٧٠}) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٢ ؛ الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٥٩ ؛ الجزائري ، زهرة الاس ، ص ١٧ .

جهود الدولة المرابطية في تطور النواحي العمرانية والاقتصادية في المغرب الاسلامي (٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م)

- (^{٧١}) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص٦٢_٦٦ ؛ ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م) ، الكامل في التاريخ ، تح: عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، ١٩٩٧م) ، ج٨ ، ص٣٠١ .
- (^{٧٢}) عبد المنعم ، محمد حسين حمدي ، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفة الجامعية ، (الاسكندرية ، ١٩٩٧م) ، ص٣٤٩ ؛ نهلة ، شهاب احمد ، تاريخ المغرب العربي ، ط١ ، دار الفكر ، (عمان ، ٢٠١٠م) ، ص٢٥٣ .
- (^{٧٣}) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص٨١_٨٣ ؛ البكري ، المسالك والممالك ، ص١٤٦_١٥٤ .
- (^{٧٤}) الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٩٦ .
- (^{٧٥}) مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، ص١٥_١٦ .
- (^{٧٦}) المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، ص٣٥٨_٣٥٩ ؛ عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، ج٣ ، ص٥١٠ .
- (^{٧٧}) حسن ، احمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي ، (القاهرة ، د.ت) ، ص٤٠١ .

آلات الحرف والمهن من الصناعات الميكانيكية
(دراسة أثرية في المصورات الإسلامية)

وسام سعدي مصطفى

كلية الآداب / جامعة بغداد

Wesamsady40@gmail.com

أ.د. زين العابدين موسى جعفر

كلية الآداب / جامعة بغداد

Zainalabideen.m@coart.uobaghdad.edu.iq

آلات الحرف والمهن من الصناعات الميكانيكية

(دراسة أثرية في المصورات الإسلامية)

وسام سعدي مصطفى

أ.د. زين العابدين موسى جعفر

الملخص :

يتحدث البحث عن جانب مهم من جوانب الحياة الاجتماعية في الحضارة الإسلامية وهو الصناعات الميكانيكية واستخدامها في مجالات الحرف والمهن وأهم المواد الأولية التي كانت تستخدم في تلك الصناعات.

وتتمثل أهمية البحث بكونه يسلط الضوء على ما يلامس التفاصيل الحياتية للمجتمع الاسلامي ، مما يؤثر بذلك على كافة نواحي الحياة الاخرى .

بينما يتمحور الهدف من موضوع البحث حول التعرف على تلك المهن والصناعات وأهم المواد الأولية المستخدمة فيها من خلال ما ورد في المصادر التي عرضت لنا المصورات الإسلامية فأبرزت بدورها الكثير منها ، فضلاً عن ذلك مدى التطور الفكري والعلمي الذي وصل اليه المجتمع الإسلامي في تلك الآونة.

Abstract

The research talks about an important aspect of social life in Islamic civilization, which is mechanical industries and their use in the fields of crafts and professions and the most important raw materials that were used in those industries.

The importance of the research is that it sheds light on what touches the details of the life of the Islamic community, which thus affects all other aspects of life.

While the aim of the research topic revolves around identifying those professions and industries and the most important primary materials used in them through what was stated in the sources that presented to us Islamic illustrations, which in turn highlighted many

of them, in addition to that the extent of the intellectual and scientific development that the Islamic community had reached at that time.

الصناعات الميكانيكية في ضوء المصنوعات الإسلامية (الحرف والمهن)

عند الرجوع الى العصور القديمة في حضارة وادي الرافدين نرى أنّ سُكَّانها، هم بناء الحضارة الاوائل ابتداءً من الحضارة السومرية ،وما أعقبها من حضارات بابلية وأشورية بحدود (٣٥٠٠ ق.م)، عندها وصل سكان حضارة السومريين إلى مستويات متقدمة من العلم والمعرفة بظهور العديد من الاختراعات كدولاب الفخار والمحراث وغيرها من الحرف الصناعية التي تعد بؤادر النهضة الحضارية التي تركت أثارها على حياة البشرية لقرون لاحقة (١).

الحرفة هي الصناعة أي العمل اليدوي الذي يقوم به الصانع في صنعته كالخياطة والصباغة والتجارة وفي هذا وغيره يسمى المصنوع بأسم المادة غير الاصلية .
أما المهن والمهنة فإنّ مفهومها أعمّ وأشمل من مفهوم الحرفة لأنها تشمل كل ما يقوم به الانسان وهي كل عمل يحتاج الى خبرة ومهارة ،إذ تشمل كل أوجه النشاط الانساني عن طريق ممارساته التدريبية(٢).

عُرِفَت صناعة الغزل والنسيج في بلاد الرافدين وعُدَّت من المتطلبات الاساسية لديهم وكانت بلاد سومر مركزا مرموقا لصناعة الغزل والنسيج وخاصة الصوفية منها إذ أستعملوا شعر الماعز في صناعة منسوجاتهم ومن المصنوعات مغزل يدوي يُعَدّ من أبسط أدوات النسيج التي أستعملت في حضارة وادي الرافدين إذ أستعمل لغزل الصوف والكتان والقطن ومن النماذج المادية أداة للغزل منحوتة من العصر الاشوري المتأخر تظهر في الشكل امرأة جالسة على الكرسي وهي تقوم بعملية الغزل ويظهر المغزل والقرص الذي تلف الخيوط عليه(٣)(اللوحة ١) .

كما عرفت حضارة وادي الرافدين بصناعاتها المختلفة فقد أصبحت جزءاً مهماً من الأقاليم العربية الإسلامية إذ أسهم الخلفاء على تنشيط الحياة الاقتصادية والصناعات والحرف التي ازدهرت بأنواعها في تلك المدة منها الزجاج والخزف والمنسوجات فضلاً عن تنوع المراكز الصناعية فيها ونتيجة الظروف المناخية وخصوبة أرضه ووفرة مياهه أدّت إلى

ازدهار الزراعة في مدة الخلافة العباسية حيث أصبح مصدرا مهما للإنتاج الزراعي يوفر الغذاء لسكانه وللبلاد المجاورة لفائض إنتاجه لذلك^(٤).

فقد عُنيت الدولة العربية الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة والأموية والعباسية بالعلوم والنواحي الدينية، فالإسلام يحثّ على طلب العلم وعمارة الأرض لتنهض أممه وشعوبه، وفي عصر الرسول (محمد صل الله عليه وسلم) تعددت الحرف والصناعات منها الزراعة التي عُدّت من أهم الحرف التي عرفها الإنسان لأنها تسد حاجاته وأهم المصادر الأساسية للغذاء وكذلك التجارة التي عُدّت من أعظم الحرف قاطبة وصناعة الأسلحة منها المنجنيق الذي أستخدم لرمي الأعداء بالحجارة^(٥).

والصناعة هي دقة الصانع في صنعه وعمل الصنعة لذلك فهي عمل يدوي يجريه الصانع في صنعه ممّا يغير في ذات المصنوع أو في صنعه كالنجارة والحدادة والسياسة لهذا تسمى المصنوع للتغيير في أسم مادته^(٦).

تعدّ الصناعة في بغداد من أهم النشاطات الاقتصادية في العصر البويهي وال سلجوقي لوجود الأيدي العاملة وكذلك الموارد التي تحثّ على قيام الصناعات في بغداد وأمتازت الصناعات بأخذها طابع الحرف البسيطة فضلاً عن انتعاش هذه الصناعات وأصبحت لها مكانه واسعة في البلاد المجاورة إذ وصفت بكونها أفخر الصناعات في البلاد بعامة في بغداد وسامراء والموصل والكوفة والبصرة التي أصبحت لها مراكز صناعية تختص في المنسوجات والزجاج والخزف وغيرها^(٧).

أدوات الغزل والنسيج وصناعة الورق

أولاً / النسيج:

ترجع الجذور الأولى للمعارف الميكانيكية كما هو الحال للمعارف العلمية بعامة إلى أعماق العصور القديمة^(٨) لقد خلق الإنسان على الأرض وهو جاهل بما وهبه الله تعالى من نعم تحيط به ولجهله صعب عليه تسخير البيئة لصالحه إلا بعد صراع طويل وتجارب قاسية مرّ بها ولكن بمرور الزمن عرف مثلاً أن يجعل حزمة من الحشائش والقصب تتقاطع مع بعضها في إنتاج أشياء مفيدة كالسلال والحصارن على الرغم من كون البيئة كريمة مع

الإنسان إذ وفرت له مواد أولية تدخل في صناعة النسيج أو صناعة الملابس تتمثل بالقطن والحرير والصوف والكتان^(٩).

وقد ترتب على الفتوحات الإسلامية أن تشتت الأسر الحاكمة بعد أن سيطر العرب المسلمون على الدول الناشئة وارتفع مستوى معيشتهم وازدياد دخلهم وأقبالهم على اقتناء المنسوجات والملابس ولاسيما في الحجاز وبلاد الشام ومصر والعراق لذلك فقد كان من الطبيعي أن تزدهر هذه الصناعة في هذه المدة المبكرة و أتاح الاطار الجغرافي لهذه الدول الناشئة نوعا من الاكتفاء الذاتي للمواد الأولية لصناعة النسيج المتمثلة بالكتان والصوف والقطن والحرير^(١٠).

لقد امتازت المرحلة الحضارية التي وصلت إليها الدول العربية في أثناء القرن الثالث، لتعدد الحاجات وأنواع الأمتعة من ملابس وغيرها، وما يحتاج الناس من مستلزمات في حياتهم كما كان للرءاء الذي حلّ بالبلاد في عهد الخليفة هارون الرشيد لما له من تأثير بالغ في تنوع الحاجات والمهارة في صناعتها^(١١)، على مدار القرون أقبل الناس كثيراً سواء من داخل العالم الاسلامي أو خارجه على اقتناء المنسوجات الاسلامية سواء كانت مصنوعة من الكتان ،كما في مصر أبان العصور الوسطى أو منسوجات قطنية جاءت من بلاد الشام إلى اوربا في القرن (١٧هـ - ١١م) أو منسوجات حريرية فخمة ومنسوجات انيقة مخملية اشتهرت عند العثمانيين كذلك المنسوجات الايرانية منها السجاد الذي اشتهروا به ومنسوجات أخرى^(١٢).

أما الكتّان فقد أستعملت اليافه، في صناعة الغزل والنسيج منذ أقدم العصور وقد اشتهر به العراق ومصر وقد عادت الصدارة في العصر الاسلامي عن طريق قطع النسيج ،وكذلك كتب الرحالة الذين أشارو الى المدن والقرى التي تنتج الكتان ،كما في العراق وايران. أما الحرير فيطلق عليه القز وذلك قبل غزله واذا تم غزله سمي بريسم وعند خلطه مع الصوف يسمى خزاً وعند صبغة بالالوان يسمى حريراً يرجع تاريخه الى الصين الذين احتفظوا بسر انتاجه عن طريق دودة القز^(١٣).

يعدّ النسيج منتجا رئيساً في التجارة فقد حظي بمكانة استثنائية في الأقتصاد العالمي، إذ شغلت نسبة مهمة من اليد العاملة في صناعة الحرير والاتجار به في ذلك الوقت نسبة

مهمة من اليد العاملة وفي أسبانيا (الاندلس) التي اكتسب الحرير فيها شهرة كبيرة كما في الصين وذلك في منتصف القرن التاسع الميلادي ،العاشر الهجري إذ انماز بوجود حواشي وتحلية ذهبية ، ولاهمية النسيج فقد أختص ثلاثة الاف نساج في قرطبة ،يصنعون السجاد والوسائد والستائر الحريرية والجلد القرطبي والاحذية وجميع هذه المنتجات لها أسواق رائجة في أرجاء المعمورة .

إنّ مادة النسيج كانت ذات قيمة عالية ولاسيما في كسوة الكعبة المشرفة وقدأشتهرت مدينة شيراز بالنسيج البغدادي العتابي فضلا عن ذلك النسيج الهندي واللبناني،وقد زودتنا المنمنمات في القرن التاسع عشر ميلادي الثالث عشر الهجري في المصنوعات الاسلامية جسدت أيقونة عامل يصبغ القماش (لوح ٢)، وكذلك في مقامات الحريري فيها فتاة تعمل على مغزل^(١٤) (لوح ٣).

ثانياً :- الصوف: WOOL فيسمى بالعربية (صوف) وفي التركية (يون) YUN وفي الفارسية (بازم) BASM ، ويذكر العصر الاشوري أن الاشوريين هم من أدخلوا زراعة القطن وأسموه (شجرة الصوف) ويطلق مفردة (صوباتو)^(١٥)، على القطن وهي قريبة من مفردة الصوف تبدأ عملية غزل الصوف بتنظيف المادة الخام ،وأزالة كل مايتعلق بها ثم تبدأ العملية بأستعمال المغازل او دواليب الغزل الدوارة ،ثم يجمع الصوف المغزول على شكل اكوام ثم تبدأ عملية فصل الألياف بأستعمال أقواس وآلات بدائية وأنواع مخصصة من المطارق ثم ينثر الصوف فوق الحصر ويرش بالماء والصابون وبعد مدّة يتم طي الحصر ولف خيوط الصوف الموجودة بداخلها ثم اعادة جمع الصوف مرة أخرى وبعدها تتم عملية الكبس إذ يقوم صنّاع اللباد بكبس نسيج الصوف أمّا بالايدي أو الأقدام أو مكابس بدائية كما في مدينة أفيون التركية ثم تتم بعدها عملية الزخرفة والتلوين وتكون عن طريق إدخال بعض الخيوط الملونة من الصوف أو اللباد في أثناء عملية النسيج^(١٦).

من الأمثلة على ذلك منمنمة تحمل صفات المدرسة للتصوير تمثل مشهد (السوق) او محاكمة سارق الكتب (لوح ٤)^(١٧)، إذ تظهر في المشهد شخصيات عدّة موزعة على المنمنمة في مشاهد مختلفة الجزء المهم في المشهد الذي يجسد صناعة الآلة إذ تظهر آلة خشبية في وضع ينطبق على عنق أحد الأشخاص .

خامساً / الورق: يعود اختراع الكتابة الى السومريين عندما استعملوا الحجر وألواح الطين في الألف الرابع ق.م أما الورق فقد اخترع في الألف الثالث قبل الميلاد حوالي (٢٧٠٠ ق.م) إذ اخترع المصريون القدماء مادة صالحة للكتابة وهي ورق البردي إذ كانت من أعظم الاختراعات في تاريخ البشرية فقد حلت هذه الصناعة مشكلة الألواح الطينية التي يدون عليها والتي كانت تحرق في أفران^(١٨).

تعود صناعة الورق في العصر الإسلامي عندما أسر المسلمون بعض الصينيين في معركة (طلس) عام (١٣٤هـ - ٧٥١م) تسربت أسرار هذه الصناعة إلى بغداد ثم تطورت وانتشرت معامل الورق وصولاً إلى دمشق وطبريا وطرابلس وبلاد الشام ومع زيادة الانتاج انخفض سعر الورق وتحسن نوعه إذ كانت معامل دمشق مصدراً مهماً ومزوداً لأوروبا بالورق كما استفادت بلاد الشام من زراعة نبتة (القنب) وهي نبتة ذات ألياف طويلة وقوية وكانت مادة لانتاج الورق عالي الجودة، من المنمنمات إذ يظهر في اللوح صناعة الورق من مخطوط يعود للقرن السابع عشر^(١٩).

أما الألوان فلها أهمية كبيرة في الحضارة الإسلامية فهي من الأدلة المادية وتميزها كما تدل على رقي الصناعات وازدهارها وفي مجال الفنون تُعدّ الألوان من أروع الصفحات في سجل الفن الإسلامي والتي تبرز عبقرية الفنان المسلم وأصالته في الصناعة والفن^(٢٠).

تظهر في المشهد عملية صناعة الورق وبعض الأدوات المختلفة وفي المشهد العلوي على يسار الصورة شخصان لهما ملامح بارزة ولحيتان كثيفتان وهما عاريان جالسان يقومان بعملية صنع مادة الورق مع وجود آلة خشبية على يمين المشهد أما المشهد الاسفل فنرى شخصاً واحداً يرتدي عمامة بيضاء وملابس ذات لون ازرق ملامحة بارزة وهو ذو لحية كثيفة سوداء تحيط به مجموعة من الأدوات الخاصة بصناعة الورق (لوح ٥).

المواد الأولية في الصناعات الميكانيكية

(الخشب - المعادن) في ظل المصنوعات الإسلامية

أنّ التقنية الإسلامية في مجال الهندسة الميكانيكية كان لها الاثر البالغ والنهج العلمي الثمين في اغناء القرون اللاحقة بالمخطوطات الثمينة التي ساعدت العلماء المعاصرين في تطوير وابتكار اختراعات كان اساسها وإلهامها علمائنا العرب المسلمين

والسابقين في كل المجالات التي اثرت بالعالم اجمع ومن تلك الاختراعات الدواليب المائية التي أستخدمت لتدوير المطاحن ومعاصر القصب وكذلك رفع المياه للسقي و أستخدم المسلمون طاقة الماء والهواء في مجال واسع وكانت العلاقة وثيقة بين العلوم النظرية وتطبيقاتها في مجالات الحياة العملية التي شملت تصميم المدن ومنشأة الري والسدود والابنية والآلات وغيرها .

كان المهندسون في عصر الحضارة الاسلامية يتبعون المنهج العلمي في أعمالهم ومبدعون برسم المخططات في الحالات الصعبة ثم يصنعون أنموذجاً مصغراً لما ينوون تنفيذه^(٢١).

وعُني العلماء العرب المسلمين بالعلوم الطبيعية اذ احتلت مكانا بارزا في مؤلفاتهم وابحاثهم ودراساتهم فقد كانت النتائج التي توصلوا إليها على المستوى النظري والعملية هو دليل على مثابرتهم في البحث عن حقائق الطبيعة توسيعا للمعرفة النظرية وإدراك الاسرار الطبيعية ومحاولتهم لربط العلم بالعمل تسخييرا لما في الطبيعة من موجودات وكذلك تعميقا لقدرة الانسان على تحويل المعرفة النظرية إلى تطبيقات عملية^(٢٢).

اما عن المواد الأولية التي دخلت في الكثير من الصناعات الميكانيكية وعلى مختلف العصور فهي كثيرة إلا أننا سوف نقتصر الحديث عن مادتين فقط لكونهما الأكثر استخداما في الصناعات الميكانيكية وهما الخشب والحديد .

اولاً : الخشب

تعريف الخشب لغوياً :- هو ما غلظ من العيدان وهذا ما ذكره اغلب اهل المعاجم اللغوية^(٢٣) .

أما الخشب اصطلاحاً :- هو النسيج الهيكلي للنباتات الخضراء والتي تتكون من الياف السيليلوز ومادة الخشبيين (لكنين) ، التي تقوم بتقوية السيليلوز لتجمع اليافه مع بعضها البعض فتكون الرقائق الخشبية^(٢٤) .

أستخدم الخشب في العراق قديما ، وفي عدة مجالات منها روابط خشبية للسقوف وكذاك عبارات للجداول حيث أستخدمت أجذاع النخيل ، كما جرى إستيراد بعض الاخشاب خلال فترة الحكم العباسي كأخشاب الأرز والصنوبر كانت تستورد من سوريا ولبنان أما

أخشاب الصاج فقد أستوردت من الهند الى العراق لكونها مطلوبة في بعض الصناعات التي تعتمد على الأخشاب مثل الرماح والنبال والاقواس والسهام اذ توفرت الأخشاب في محافظة الموصل (٢٥).

وقد دخلت الاخشاب في الكثير من الصناعات الميكانيكية إلا ان من المعروف عن مادة الخشب بأنها قابلة للتلف لذا لم يصلنا الكثير من تلك النماذج فيما عدى ما صورته لنا المصنوعات والمنمنمات المرسومة ، ومن الامثلة للصناعات الخشبية نذكر على سبيل الذكر لا الحصر :

منمنمة من المدرسة الاندلسية (صورة من قصة بياض ورياض)

جرى كتابتها في اواخر القرن ١٢م اثناء الحكم العربي الإسلامي في الاندلس وتدور القصة بين بياض ابن تاجر في دمشق وفتاة اسمها رياض في الأندلس اذ تصور هذه المنمنمة جوانب الحياة اليومية المتمثلة بأشكال العمارة والزخارف ويظهر في هذه المنمنمة الجزء الاهم وهو الناعور الذي يدور وفق نظام حركي منتظم (٢٦) .

يعود تاريخ النواعير عند العراقيين القدماء الى الالف الاول والرابع قبل الميلاد اذ عثر على كسر فخارية تمثل جزء من بقايا الاواني التي عثر عليها في منطقة الفحمي الواقعة بين حديثة وعانة اذ كانت هذه الاواني تربط على الناعور وبواسطتها كان الماء يرتفع من النهر الى الاراضي من اجل أروائها (٢٧) ، اللوح (٦) .

طاحونة الهواء التي أنتشرت في القرن السابع الميلادي

اذ ترجع في الاصل الى بلاد فارس تعمل بقوة الريح وتستخدم لطحن الحبوب اقيمت هذه الطواحين على ابراج القلاع أو قمم التلال وتتألف من طابقين السفلي دولاب تديره ست أشعة مزدوجة أو اثنا عشرة شراع مغطاة بنسيج ، وصفت هذه الطواحين بأنها تحتوي على رحي متصلة بطرف اسطوانة خشبية قطرها نصف متر وارتفاعها يتراوح من ثلاثة امتار ونصف المتر الى أربعة امتار إذ كان لإبتكار هذه الطواحين اثر كبير في علم الهندسة الميكانيكية (٢٨) ، اللوح (٧) .

ثانياً :- المعادن

لقد أعزّ الله في آيات القرآن الكريم ذكر البعض من المعادن فعلى سبيل الذكر قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم { وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ }^(٢٩)، وكذلك في قوله { ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد }^(٣٠) صدق الله العظيم ، وهذا أكبر دليل على أهمية المعادن التي ساهمت بشكل كبير في الصناعة على المدى البعيد لمختلف الحضارات من خلال الأدوات والآلات المعدنية كالمحاريث وأدوات الصيد والصناعات الميكانيكية والحلي وأدوات الزينة .

أستخدمت المعادن والسبائك منها في مجالات الصناعة الميكانيكية المختلفة ، وقد تركت لنا الحضارات السابقة البعض من تلك الصناعات ، وصورت لنا المنمنمات الإسلامية البعض منها أيضاً مثل آلة الإسطربلاب والكرة السماوية وغيرها من تلك الصناعات التي سنتحدث عنها بشكل مفصل في الفصل القادم من الرسالة .

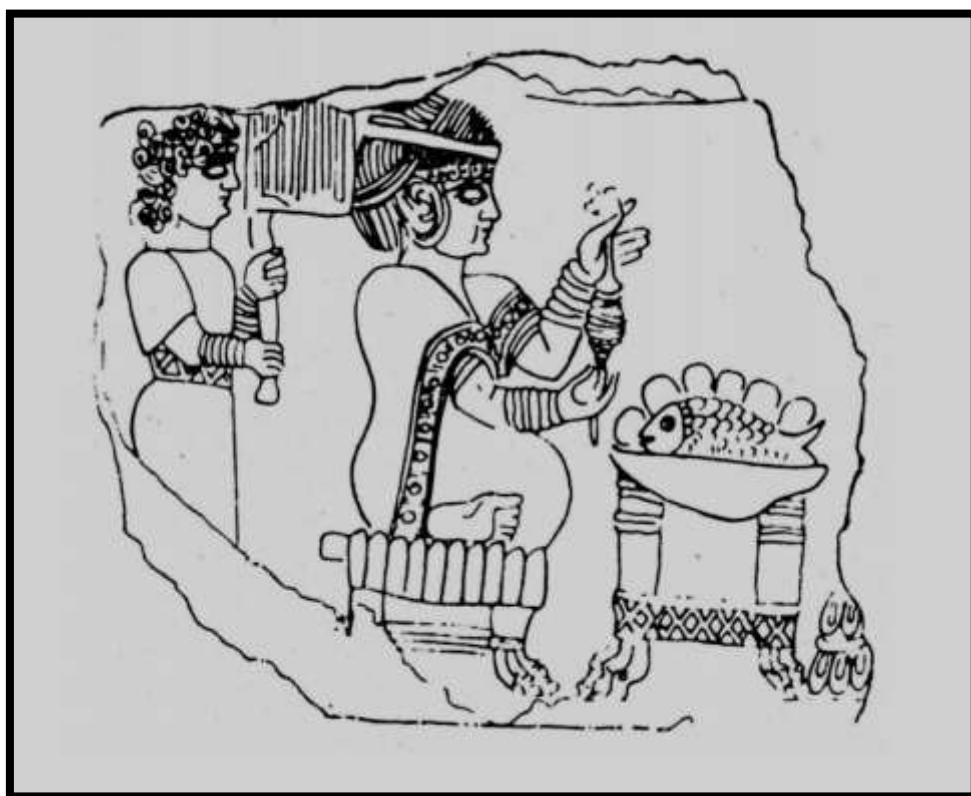
أما الحديد فهو معدن قابل للطرق والسحب والتشكيل يجذبه المغناطيس ويصدأ بسرعة ويندر وجوده في حالة النقاء إذ يستعمل في البناء وصنع الآلات وله ثلاث صور هي ، الحديد الزهر ، والحديد المطاوع ، والحديد الصلب ، القطعة منه تسمى حديدة ، ويترك الحديد وهو ساخن فقد أستخدم منذ القدم في صناعة أدوات مختلفة والسكاكين والرماح والدروع والسيوف والدروع وغيرها^(٣١).

إذ كانت بغداد مشهورة بالصناعات المعدنية خلال القرن السابع هجري الثالث عشر الميلادي ومنها أنتقلت الى دمشق والقاهرة ، وكان التجار يأتون الى العراق لشراء الحديد^(٣٢)، أستخدم الحديد في الصناعات الميكانيكية كصناعة المدافع على سبيل المثال والتي سنتحدث عنها لاحقاً ، ومن الأمثلة للصناعات المعدنية

مخطوط سورنامة مراد الثالث

يعد من أشهر المخطوطات التاريخية المصورة في عهد السلطان مراد الثالث المؤرخ ٩٩٠هـ/١٥٨٢م محفوظ بمتحف طوبقابي سراي تحت الرقم (١٣٤٤).

ينسب الى مدرسة التصوير العثماني حيث تمثل الصورة عرضا لمجموعة صانعي التحف المعدنية أمام السلطان مراد الثالث حيث يوجد في وسط الصورة من جهة اليمين عربة العرض وهي تمثل الجزء الخاص بصناعة المشغولات المعدنية اذ يتكون الشكل من مساحة مربعة تعلوها سقف جملوني أسفله شريط زخرفي وردي اللون ومزخرف بزخارف هندسية اذ ترتكز العربة على ثلاث عجلات مستديرة حمراء اللون حيث تزين العربة من الاسفل شريط أفقي عريض كما يتوسط العربة من الداخل منضدة مكعبة الشكل يتوسط سطحها العلوي فتحة يخرج منها اللهب النار وعلى يمينها نجد أحد الصناع يرتدي دراء أحمر اللون وعليه قطعة قماش زرقاء اللون تغطي الجزء السفلي وصانع يقوم بعمله ويمسك بأحدى يديه ملقطا وصانع اخر يمسك بمنفاخ كبير يستخدم لزيادة لهيب النار هذه العربة يتم سحبها بواسطة اثنين من الرجال يمسكان بحبال كما في اللوح (٨) (٣٣).



(لوحة ١)

رقم طيني منحوت بأسلوب النحت البارز لعملية الغزل يعود للعصر الاشوري المتأخر عن (كجه جي صباح أسطيفان-الصناعة في تاريخ وادي الرافدين)



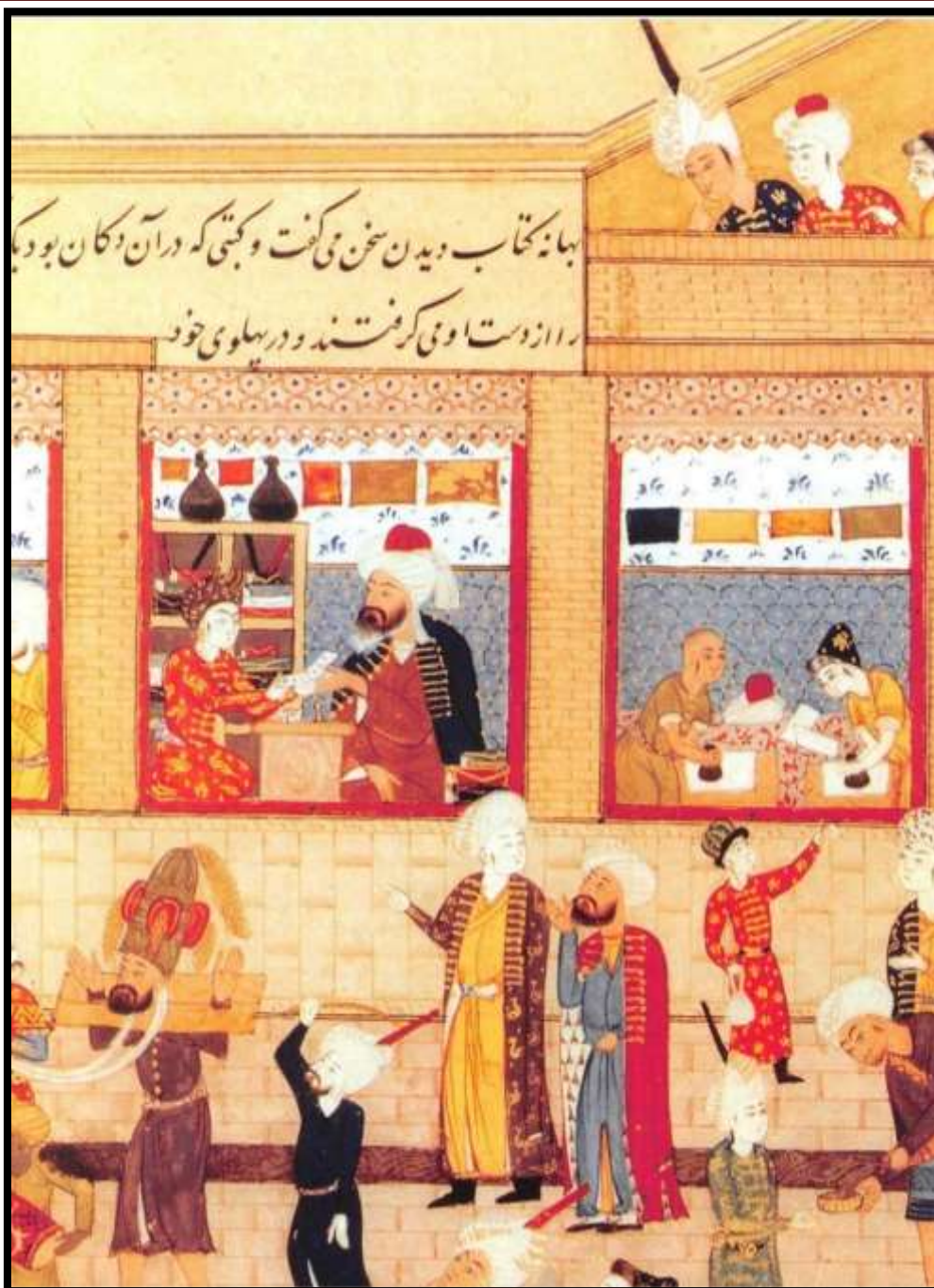
لوح (٢)

عامل يصبغ القماش مخطوط من القرن التاسع عشر من كتاب اليوم التجارات الكشميرية نقلا
عن (سليم الحسني من كتاب العلوم والتكنولوجيا والحضارة في المملكة المتحدة)



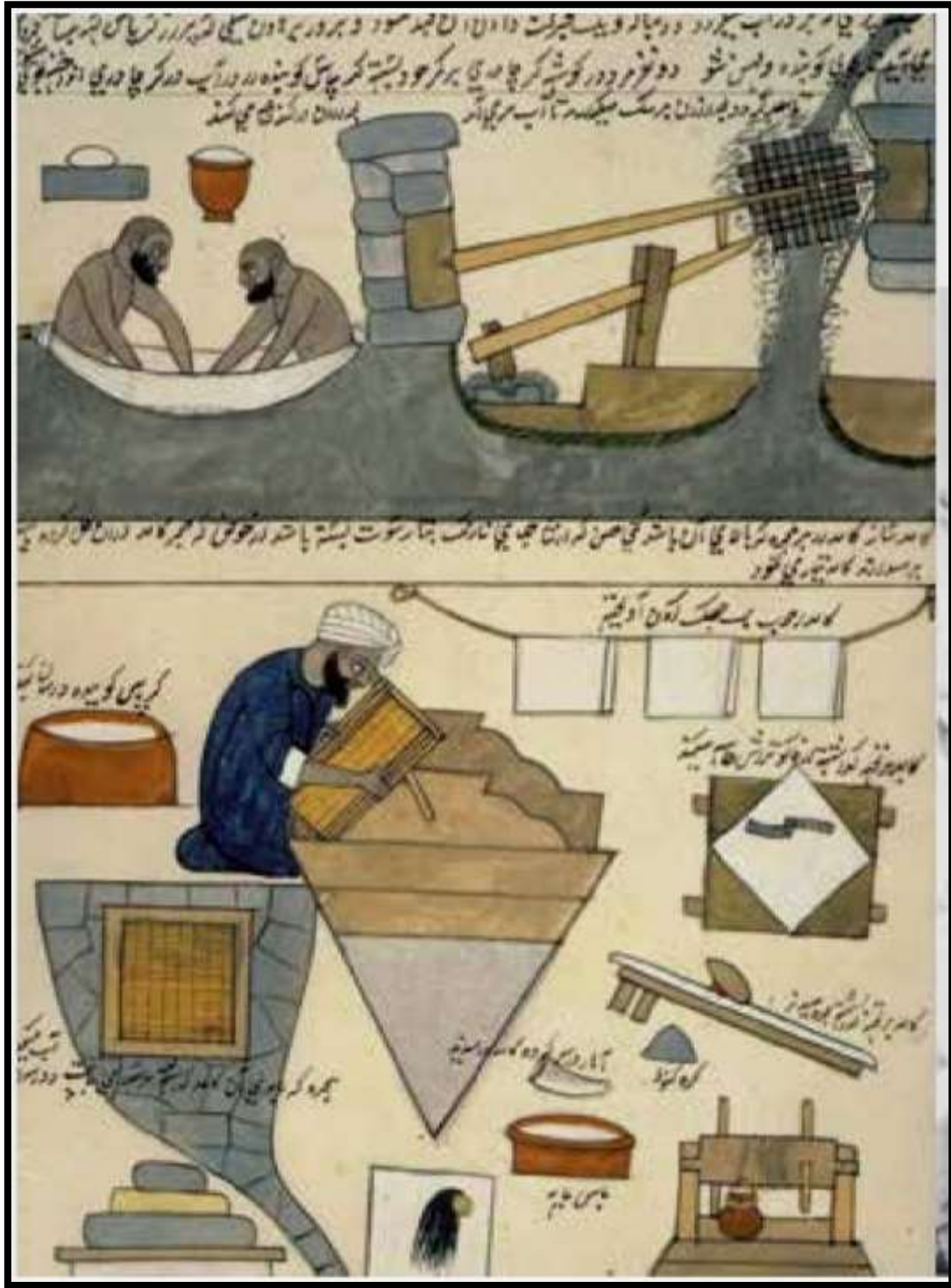
لوح (٣)

فتاة تعمل على مغزل في بغداد من مقامات الحريري نقلا عن (سليم الحسني العلوم والتكنولوجيا في
المملكة المتحدة)



لوح (٤)

لوحة نسيجية تمثل مشهد في السوق ومشهد محاكمة لسارق نقلا عن (باتريشيا بيكر المنسوجات الإسلامية)



نوح (٥)

مشهد لصناعة الورق من مخطوط يعود للقرن السابع عشر نقلا عن (سليم الحسني ألف اختراع
واختراع التراث الاسلامي في عالمنا.

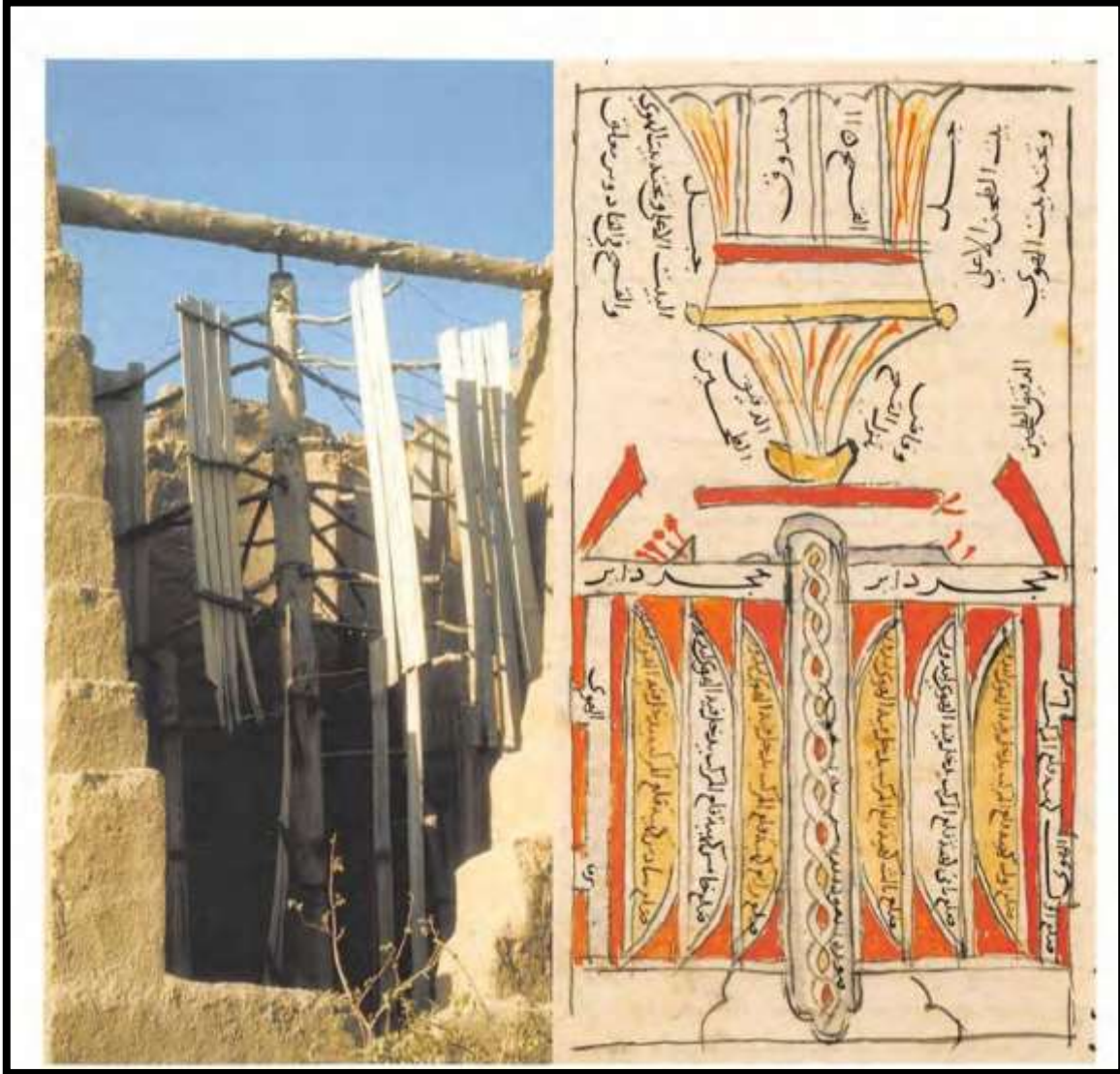


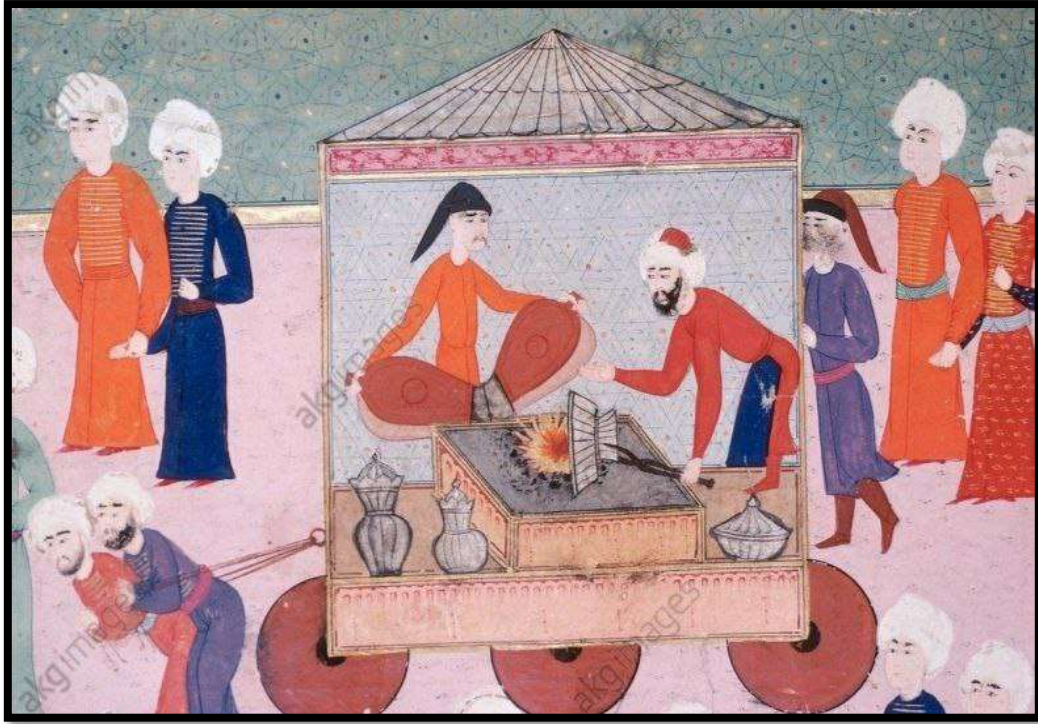
لوح (٦)

المدرسة الأندلسية قصة رياض وبياض تعود للقرن الثالث عشر الميلادي نقلا عن أيتنهاوزن
،ريتشارد، فن التصوير عند العرب، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي

لوح (٧)

مخطوط من القرن الرابع عشر لدمشقي ، تبين مقطع عرضي لطاحونة هوائية ، والصورة الثانية طاحونة هواء من مدينة هرات بأفغانستان، نقلا عن الحسني سليم الف اختراع وأختراع





لوح (٨)

الصناعات المعدنية مخطوط سورنامة مراد الثالث، نقلا عن

نرمين عماد ،دراسة لتصاوير المركبات لمخطوط سورنامة مراد الثالث المؤرخ ١٥٨٢/٩٩٠هـ

المحفوظ بمتحف طوبقابي سراي رقمه (١٣٤٤)

المصادر :

القران الكريم :-

١. احمد عبدالباقي "الصناعة في الحضارة الاسلامية " مجلة افاق الحضارة الاسلامية ، العدد ٢ ، مقالة .
٢. احمد مختار عمر " معجم اللغة العربية المعاصرة " مج ١، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٣. باتريشيا بيكر " المنسوجات الاسلامية " ترجمة : صديق محمد جوهر ، ط ١، هيئة ابو ضبي للثقافة والتراث، ٢٠١١.

٤. حنان عبد الفتاح مطاوع " الالوان ودلالاتها في الحضارة الاسلامية " مع تطبيق على نماذج المخطوطات العربية ،مجلة الاتحاد العام للآثار العرب العدد ١٨ ، ٢٠٠٥.
٥. خالد يوسف صالح "الصناعة في العراق في العصر العباسي الاخير" (٥٥٢-٦٥٦هـ/١١٥٧-١٢٥٨م) ،مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ،مجلد ٩، العدد ٣، ٢٠٠٩.
٦. خليل حسن الزركاني " الصناعة في بغداد للفترة ٤٣٤ هـ - ٩٣٥ م - ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م " ، جامعة بغداد مركز أحياء التراث العلمي العربي ، مجلة التراث العلمي العربي ، العدد ٥٨ ، ٢٠١٥م.
٧. راغب السرجاني "الحرف والصناعات في عصر الرسول" موقع قصة الاسلام، www.islamstory.com
٨. راغب السرجاني "المسلمون وصناعة الورق" موقع قصة الاسلام ، <https://2u.pw/fJ26XHDJ>
٩. رياض سعيد لطيف "هندسة الميكانيك والحيل في التراث" مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد ،مجلة الجامعة العراقية ،العدد ٥٤، بلا سنة طبع .
١٠. سليم الحسني " الف أختراع واختراع " مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة ، الولايات المتحدة الامريكية ، بلا سنة طبع.
١١. سليم الحسني "الف أختراع واختراع" مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة ، الولايات المتحدة الامريكية ، بلا سنة طبع.
١٢. صباح أسطيفان كجة جي " الصناعة في وادي الرافدين " بلا مكان طبع ، ٢٠٠٢م.
١٣. عبد الرزاق احمد " الفنون الاسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي " كلية الآداب جامعة عين شمس ، دارالحريري للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠١.
١٤. غريغوريان روجانسيكا " الميكانيك والفلك في الشرق في العصر الوسيط " ترجمة امين طربوش، وزارة الثقافة دمشق ، ٢٠١٠.
١٥. فاطمة زبار عنيزان " النواعير الفراتية من هيت الى عانة دراسة تاريخية " ندوة التراث المعماري لمحافظة الانبار ١٦-١٧ ، ٢٠١٢.

آلات الحرف والمهن من الصناعات الميكانيكية (دراسة أثرية في المصنوعات الإسلامية)

١٦. فيض لله سولاف حسن " الحرف والمهن في أسواق بغداد في العصر العباسي " جامعة بغداد مجلة كلية التربية أبن رشد للعلوم الانسانية ، العدد ٥٧.
١٧. فينوس ميثم علي "المهن والحرف عند أبن الاثير" من كتابه (اللباب في تهذيب الانساب)،مجلة كلية التربية ،جامعة واسط ،العدد ٤٩ ، ٢٠٢٢.
١٨. محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي " تاج العروس من جواهر القاموس " دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٩.
١٩. محمد العاني " صناعة المنسوجات في العصور الوسطى " بلا مكان طبع بلا سنة طبع .
٢٠. نرمين عماد " دراسة لتساوير المركبات مخطوط سورنامة " مراد الثالث المؤرخ ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م .
٢١. وسماء الأغا " المنمنمات الاسلامية في التصوير العراقي المعاصر " مجلة دراسات تربوية العدد ٤٥ ، ٢٠١٩.
٢٢. وليد الجادر " الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر " بغداد ، ١٩٧٢.
٢٣. ياسين خليل " العلوم الطبيعية عند العرب الكتاب الثاني " دراسة وتحقيق ،العبيدي حسن مجيد ،المركز العلمي العراقي ١٩٣٤ - ١٩٨٦.

المصادر الاجنبية

1. Record, Samuel J The Mechanical Properties of Wood, J. Wiley & Sons . (ASIN B3N3W ،1914).

الهوامش:

- (١) كجة جي،صباح أسطيفان،الصناعة في تاريخ وادي الرافدين،٢٠٠٢،ص١٥-١٦.
- (٢) علي،فينوس ميثم،المهن والحرف عند أبن الاثير من كتابه (اللباب في تهذيب الانساب)،مجلة كلية التربية ،جامعة واسط ،العدد ٤٩ ، ٢٠٢٢،ص١٧٥.
- (٣) كجة جي،صباح أسطيفان،الصناعة في تاريخ وادي الرافدين،٢٠٠٢،ص٤٧-٤٩.

- (٤). كجة جي، ٢٠٠٢، ص ٨٨.
- (٥). السرجاني، راغب، الحرف والصناعات في عصر الرسول، موقع قصة الاسلام،
www.islamstory.com
- (٦). حسن، فيض لله سولاف، الحرف والمهن في أسواق بغداد في العصر العباسي، جامعة بغداد مجلة كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، العدد ٥٧، ص ٣٩٨.
- (٧). الزركاني، خليل حسن الصناعة في بغداد للفترة (٤٣٤ هـ - ٩٣٥ م - ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م)، جامعة بغداد مركز أحياء التراث العلمي العربي، مجلة التراث العلمي العربي، العدد ٥٨، ص ٢٠١٥، ص ٧-٨.
- (٨). روجانسيكا، غريغوريان، الميكانيك والفلك في الشرق في العصر الوسيط، ترجمة امين طربوش، وزارة الثقافة دمشق، ٢٠١٠، ص ٧.
- (٩). العاني، محمد، صناعة المنسوجات في العصور الوسطى، ص ١٧٧.
- (١٠). احمد، عبد الرزاق، الفنون الاسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، كلية الآداب جامعة عين شمس، دار الحريري للطباعة، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٦٥.
- (١١). عبد الباقي، احمد، الصناعة في الحضارة الاسلامية، مجلة افاق الحضارة الاسلامية، العدد ٢، مقالة.
- (١٢). بيكر، باتريشيا، المنسوجات الاسلامية، ترجمة: صديق محمد جوهر، ط ١، هيئة ابو ضبي للثقافة والتراث، ٢٠١١، ص ١٣.
- (١٣). احمد، الفنون الاسلامية حتى العصر الفاطمي، ص ١٦٦.
- (١٤). الحسني، سليم، الف اختراع واختراع، مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة، الولايات المتحدة الامريكية، بلا سنة طبع، ص ١٣٤.
- (٢). الجادر، وليد، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر، بغداد، ١٩٧٢، ١٠٢ - ١٠٥.
- (١٦). بيكر، باتريشيا، المنسوجات الاسلامية، ترجمة: صديق محمد جوهر، ط ١، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠١١، ص ٣٨-٣٩.
- (١٧). بيكر باتريشيا، المنسوجات الاسلامية، ص ٤٠.
- (١٨). السرجاني، راغب، المسلمون وصناعة الورق، موقع قصة الاسلام،
<https://2u.pw/fJ26XHDJ>
- (١٩). الحسني، سليم، الف اختراع واختراع، ص ١٣٦.

- (٢٠). مطاوع، حنان عبد الفتاح، الألوان ودلالاتها في الحضارة الإسلامية مع تطبيق على نماذج المخطوطات العربية، مجلة الاتحاد العام للآثار، العدد ١٨، ص ٤١٩.
- (٢١). لطيف، رياض سعيد، هندسة الميكانيكا والحيل في التراث، مركز احياء التراث العلمي العربي، مجلة الجامعة العراقية، العدد ٥٤، ج ١، جامعة بغداد، ص ٥٤١.
- (٢٢). خليل، ياسين، العلوم الطبيعية عند العرب، الكتاب الثاني، دراسة وتحقيق، العبيدي حسن مجيد، المركز العلمي العراقي ١٩٣٤ - ١٩٨٦، ص ١١.
- (٢). الزبيدي، محمد، بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩، ٦٧٢ وينظر الى رزق، عاصم، معجم مصطلحات العمارة الإسلامية، مكتبة مدبولي، مصر، ٢٠٠٠، ص ٩٩.
- (24). Record, Samuel J The Mechanical Properties of Wood. J. Wiley & Sons . (ASIN B3N3W, 1914). p. 165.
- (١). كجة جي، صباح، أسطيفان، الصناعة في وادي الرافدين، بلا مكان طبع، ٢٠٠٢م، ص ١٠٥.
- (٢). الأغا، وسماء، المنمنمات الإسلامية في التصوير العراقي المعاصر، مجلة دراسات تربوية، العدد ٤٥، ٢٠١٩، ص ٧٤.
- (٣). عزيزان، فاطمة زبار، النواير الفراتية من هيت الى عانة دراسة تاريخية، ندوة التراث المعماري لمحافظة الانبار ١٦-١٧، ٢٠١٢، ص ٢٢٠.
- (١). الحسني، سليم، الف اختراع وأختراع، ص ١٢٤.
- (٢). سورة آل عمران الآية (١٤).
- (٣). سورة سبأ الآية (١٠).
- (١). عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، مجلد ١، ط ١، القاهرة ٢٠٠٨، ص ٤٥٨.
- (٢). صالح، خالد يوسف، الصناعة في العراق في العصر العباسي الاخير (٥٥٢-٦٥٦هـ/١١٥٧-١٢٥٨م)، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مجلد ٩، العدد ٣، ٢٠٠٩، ص ٤٥٢.
- (١). عماد، نرمين، دراسة لتساوير المركبات مخطوط سورنامة مراد الثالث المؤرخ ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م، ص ٣٧٥.

التوكنز، أقدم أدوات للعد والحساب

عادل فائق رشيد محمد

Adel.faeq2208p@coart.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد - كلية الآداب - قسم الآثار

أ.د. قصي صبحي عباس الجميلي

gusaynusku@gmail.com,

gassi.ghazal@coart.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد - كلية الآداب - قسم الآثار

التوكنز، أقدم أدوات للعد والحساب

عادل فائق رشيد محمد

أ.د. قصي صبحي عباس الجميلي

الملخص

ظهرت القطع الطينية الصغيرة المسماة إصطلاحاً بالـ (توكنز) مترامنة مع الأدوار التي شغلتها مجموعات الصيادين والرعاة في العصر الحجري القديم المبكر، التي شهدت ظهور الزراعة وتدجين الحيوانات والتي تشير الى أن ظهور التوكنز كان لأغراض عمليات تنظيمية تتعلق بالعد والحساب والتي تزامنت مع زراعة الحبوب وانتشرت منها الى أغلب مناطق الشرق الأدنى القديم، استخدمت التوكنز منذ حوالي (٩٠٠٠ ق.م) حتى (٣٥٠٠ ق.م) ومثلت بأشكالها المختلفة أغلب المنتوجات الزراعية الخاصة بالحقول لقياس اوزان الحبوب أو كميات الزيوت فضلاً عن أعداد وأنواع الماشية والأغنام والماعز وحملت التوكنز آثار التنوع في أشكال صناعتها وتحويرها من مجرد سطوح مستوية إلى أشكال ذات طابع هندسي تحمل علامات مميزة، بقيت البعض من تصاميمها لمدة جاوزت الخمسة آلاف عام على الرغم من ظهور وتطور صناعات أخرى موازية كصناعة الفخار، يعتقد أن أولى الاستخدامات التي شملت التوكنز كانت لأغراض تنظيمية بحتة تتعلق حصراً ربما بتسجيل البضائع فعلى سبيل المثال تشير قطع التوكنز المخروطية والدائرية الشكل الى الحبوب بأنواعها المختلفة فيما تشير الأشكال البيضوية مع وجود نوع من التحزيز الدائري الى الجرار الخاصة بحفظ الزيوت أو أية مادة سائلة أخرى.

Tokens, Oldest tools for counting

Adel Faiq Rasheed

University of Baghdad- College of arts- Dept. of Archaeology

Adel.faeq2208p@coart.uobaghdad.edu.iq

Prof. Dr Qusay Subhy Abbas Al Jumaily

qusaynusk@gmail.com

University of Baghdad- College of arts- Dept. of Archaeology

Abstract

Small clay pieces known as (Tokens) first appeared within the oldest levels of hunter gatherers groups in the early Neolithic period, the tokens group consisted of spherical shape that appeared synchronous with the agricultural as well as animal domesticating levels, the use of tokens were for administrative objects considering counting that coincide with the planting of seeds which spread

across all the ancient middle east, Tokens were used since 9000 B.C until 3500 B.C to measure the quantities of seeds as well as the number of cattle and its shapes varied from spherical to more geometrical shapes with significant traces that remained for more than five thousand years in use despite the emergence of new products like pottery, the first use of tokens were for administrative purposes and the shapes reflected the items it represents, the cones for instance resembled seeds while oval represented liquids.

كلمات مفتاحية: توكنز - أدوات العد والحساب - منطقة زاكروس - الأناضول - بلاد الرافدين - بلاد إيران القديمة.

Keywords: Tokens - Counting tools - Zagros Region - Anatolia - Mesopotamia - Ancient Iran.

مقدمة

تعد التوكنز واحدة من أكثر القطع الطينية إنتشاراً بين مواقع منطقة زاكروس المختلفة منذ العصر الحجري الحديث المبكر، و يدل إنتشارها على العلاقات الإقتصادية التنظيمية والتجارية بين مواقع منطقة زاكروس سيما وأنها تحمل التشابه في تصميمها والحجوم التي مثلت بها والتي يعتقد أن ظهورها كان لأسباب تنظيمية بحتة تتعلق بعمليات العد والحساب، خاصة في إطار تنظيم العلاقات التجارية فيما بين مواقع منطقة زاكروس المختلفة بأقسامها الثلاثة المتمثلة ببلاد الأناضول وبلاد الرافدين فضلاً عن بلاد إيران القديمة، تُشير الأعداد الكبيرة لقطع التوكنز للكميات الأساسية من المواد الغذائية التي تمثلها من الحبوب والمنتجات فضلاً عن الأعداد الكبيرة من الحيوانات خاصة الماشية، من المحتمل أن تشير قطع التوكنز هذه الى عمليات إقتصادية واسعة أذ تشير الرموز العديدة لقطع التوكنز الى وحدات كبيرة من الحبوب وبالتالي يشير وجودها وصناعتها ربما الى وجود جماعات مسؤولة عن جمع وتخزين السلع وإدارة هذه المواد الغذائية ذات النفع العام والمتعلقة بعملية تعاون الجماعات والمزارعون الأوائل سويةً لمواجهة الظروف البيئية القاسية خاصة في موسم الشتاء من خلال تجميع الاحتياطي الكافي خاصةً مع وجود المباني الكبيرة العامة والتي إنتشرت بين مواقع الشرق الأدنى القديم، أذ أن عملية إدارة المحاصيل كانت تعمل بتخطيط طويل المدى تبدأ مع عملية بذر الحبوب مروراً بالحصاد وإنتهاءً بعملية التوزيع ، ومن أجل تقييم ومعرفة كمية المواد الغذائية التي تم إنتاجها إحتاجت أولى الإدارات المجتمعية الناشئة الى تقنيات جديدة لغرض العد والحساب والتي اعتمدت فيها على القطع الفخارية التوكنز أساساً لها.

بدأت التوكنز بالظهور منذ الألف العاشر في بلاد الرافدين ومن أقدم الأمثلة التي تدل على ظهورها ما تم العثور عليه في موقع ملفعات الذي يقع على مسافة (٣٥ كم) شرقي مدينة الموصل فضلاً عن ظهورها في بقية المواقع الأخرى مثل كنج دارة وأسياب ، فضلاً عن ظهور قطع التوكنز في عموم منطقة الشرق الأوسط ومنطقة زاكروس بشكل خاص فإنه لا بد من الإشارة الى ظهورها في مناطق أبعد من منطقة الشرق الأدنى، إذ كشفت التنقيبات الأثرية عن ظهور التوكنز في مناطق آسيا الوسطى كما هو في موقع (جيتون) في بلاد إيران وموقع (شوانغدن) غربي الصين فضلاً عن ظهورها في منطقة وادي الهندوس ويبدو أنها أستخدمت للغرض نفسه المتعلق بعمليات العد والحساب والتي جاءت بنفس الأشكال والتصاميم التي ظهرت عليها في منطقة الشرق الأدنى، فضلاً عن إنتشار أشكالها في مناطق من أوروبا وأفريقيا الأمر الذي يقترح بوجود نوع من النظام الحسابي العالمي الذي أوجدته المجموعات البشرية القديمة المتصلة مع بعضها عبر طرق التجارة الخارجية الممتدة على آلاف الكيلومترات منذ عصور قبل التاريخ بحسب الأدوات المعرفية التي كانت متوافرة آنذاك، أن أهم ما يميزها في منطقة الشرق الأدنى وفي بلاد الرافدين على وجه الخصوص تحول التوكنز هذه الى الأسس البصرية التي قامت عليها أقدم العلامات الصورية "الكتابية" التي أستخدمت لتسجيل واردات المعبد في الدور الشبيه بالكتابي منذ منتصف الألف الرابع قبل الميلاد.

تراوحت أحجام قطع التوكنز عادة كما بين (١-٣ سم) مع بعض من الأمثلة الكبيرة الحجم والتي وصلت ما يقارب من (٣-٥ سم)، فضلاً عن ظهور البعض من القطع المتناهية الصغر والتي وصلت لأقل من (١ سم) كتلك التي ظهرت في موقع تبة أسياب في بلاد إيران القديمة، تم الكشف عن قطع التوكنز في مساحات واسعة من الشرق الأدنى القديم وأن المواقع التي قدمت تركيزاً عالياً لها تمثلت في منطقة زاكروس بأقسامها المختلفة والتي يمكن حصر أماكن إنتشارها وتوزيعها ما بين (٤٢-٤٥) موقعاً ما بين بلاد الرافدين وإيران بصورة خاصة، فضلاً عن إنتشارها خارج منطقة زاكروس كما هو الحال في المملكة العربية السعودية، سوريا، وفلسطين.

التوكنز وانتشارها في مناطق زاكروس أولاً: تشايونو:

يقع تشايونو في جنوب شرق بلاد الأناضول وهو أحد المواقع الأساسية لدراسة العصر الحجري الحديث بسبب مدة الاستيطان فيه التي تغطي طيلة مرحلة العصر الحجري الحديث الدور قبل الفخاري المتأخر (PPNA) وصولاً للدور الفخاري وكشفت البقايا الحضارية فيه عن معطيات يمكن الاعتماد عليها من نواحي متعددة لعملية التحول التدريجي نحو إقتصاد العصر الحجري الحديث، يقع المستوطن الى الشمال من قرية هيلار على مسافة سبعة كيلومتر جنوب غرب سهل أركاني في محافظة ديار بكر جنوب شرق تركيا على إرتفاع (٨٣٢ م) فوق مستوى سطح البحر.

ظهرت (tokens) في تشايونو والتي منها قطع المخاريط، الدوائر، القواعد ذات الاجنحة الثنائية وقواعد المسامير كما وظهرت الاشكال التي تمثل الكرات والاقراص المضغوطة، الحلقات والخرز والاصداف والتي كان ظهورها واستخدامها مستمراً في أغلب مواقع زاكروس^١.

تكمن أهمية تشايونو بأنه المستوطن الذي يقدم أحد أفضل الأمثلة حول عملية الانتقال من مرحلة الجمع والالتقاط الى مرحلة إنتاج الغذاء ضمن منطقة جنوب غرب آسيا فضلاً عن أن تشايونو يقدم خطأ مستمراً غير منقطع في أدوار السكنى التي تمتد من الدور قبل الفخاري بحدود (٩٥٠٠ ق.م) حتى الدور الفخاري وأن مواقع أعالي بلاد الرافدين التي تمثلها مناطق جنوب شرق الأناضول لعبت دوراً أساسياً في الانتقال الإقتصادي للعصر الحجري الحديث من خلال الابتكارات المهمة في عمليات إنتاج الغذاء وتدجين الحيوان^٢.

ثانياً: موقع نمريك:

يقع نمريك عند الجزء الجنوبي من محافظة دهوك على مسافة (٤٨ كم) الى الشمال الغربي من مدينة الموصل على قرابة (١٠٥ كم) من نهر دجلة وأمكن تمييز خمسة أدوار حضارية في الموقع أغلبها تعود للأدوار التي سبقت معرفة الإنسان صناعة الفخار. يتألف موقع نمريك من تلّين أحدهما التل الرئيس الذي يشار إليه بإسم (نمريك ٩) والتل الثاني (الجنوبي) المرقم (١٠)، كما ويقع نمريك على مسافة (٤ كم) الى الجنوب الغربي من قرية

فايدة ، يتمركز نمريك على شبه جزيرة مستوية تمثل المدرج الثاني الجيولوجي من نهر دجلة^٢، تشير الدراسات الى انه خلال العصر الحجري الحديث كان نمريك يقع من ضمن منطقة السهوب الخضراء التي تغطيها غابات أشجار البلوط التي كانت تنتشر على المنحدرات الجبلية القريبة من سفوح زاكروس المميزة للنطاق الجغرافي المهم المعروف بنطاق أشجار البلوط.^٤

ظهرت في نمريك القطع الطينية الصغيرة المسماة (توكنز) المعمولة باليد والمفخورة فخراً بسيطاً والتي إتخذت الاشكال الهندسية المتنوعة التي غلب عليها الشكل الدائري فضلاً عن أشكال الكرات والاسطوانية والتي وجدت سويةً مع الدمى الممثلة للأشكال الحيوانية مثل الخنزير البري، الكبش والماشية والتي ربما تعد دليلاً على إستخدام هذه التوكنز كأدوات حساب و عد.^٥ وكانت التوكنز من بين الأشياء الأكثر عدداً التي تم العثور عليها في المواقع الأثرية والتي ربما كانت تستخدم لغرض المحاسبة في عصور قبل التاريخ سيما وأن هذه الرموز استمرت بالظهور حتى العصر الشبيه بالكتابي وتحول قسم من هذه التوكنز بعلاماتها المميزة سواء المستخدمة مع النباتات أو الحيوانات الى الشكل الصوري الأول الممثل لأولى العلامات الكتابية مع ملاحظة وجود بعض من الاختلافات الاقليمية في كل موقع الا انها كانت تتشارك في وظيفتها وان النوع الاكثر شيوعاً في نمريك كان النوع الدائري والذي وصل ما مجموعه (٥٥ قطعة) (ينظر الشكل ١).^٦

ثالثاً: كريم شاهر:

يقع كريم شاهر في محافظة كركوك شمال منطقة ججمال ويمتد على طول مصطبة نهريّة ضمن حدود السفوح الجبلية لمنطقة جبال زاكروس كما ويبعد الموقع مسافة (١٥٠ كم) الى الجنوب الشرقي من كهف شانيدار وحوالي (٢ كم) من موقع جرمو، يمثل كريم شاهر منطقة حدودية بين الهضبة ومنطقة الغابات ويقع الموقع على بضعة أمتار من نبع ماء دائمي.^٧

يعود الموقع زمنياً الى مرحلة العصر الحجري الحديث المبكر الذي يضم مجموعة أخرى من المواقع في بلاد الرافدين والتي كان معظمها مواقع مكشوفة مثل زاوي جمبي، شانيدار، ملفعات، نمريك، قرمزدره والمغزلية وأن جميع هذه المواقع تنتشر على سفوح تلال

جبال زاكروس التي تمثل القسم المركزي والتي تمتد أصلاً من جنوب غرب بلاد الأناضول وتمتد شرقاً حتى بلاد إيران القديمة^٨.

ظهرت القطع الطينية الصغيرة المسماة اصطلاحاً بـ (التوكنز) في موقع كريم شاهر وبلغ عددها (١٣) قطعة (ينظر الشكل ٢)^٩.
رابعاً: تل المغزلية:

يعد تل المغزلية أحد مواقع العصر الحجري الحديث التي تمثل المرحلة الأولى في تطور إقتصاديات إنتاج الغذاء في الشرق الأدنى وعلى الرغم من أهمية الموقع إلا أن عمليات التنقيب كانت لمواسم محدودة، يقع تل المغزلية على مسافة (١٢ كم) إلى الغرب من مدينة تل أعفر عند الحافة الشمالية للقرية التي تعرف بعبرة النجار^{١٠}، كما ويمتد الموقع على ضفاف نهر العبدة على مسافة (٧,٥ كم) من الموقع الأثري (يارم تبة) ويتمركز عند إحدى السفوح الجبلية لمنطقة جبل سنجار في محافظة نينوى^{١١}.

يرتفع الموقع ما بين (٥٠-٧٠م) عن السهل المجاور في منطقة إنتقالية ما بين الجبل والسهل والتي يمكن أن توصف أنها ذات بيئات متعددة وأن التل يتوسط منطقة سفوح جبلية ذات تربة صخرية نوعاً ما مع بعض النتؤات الحجرية الكلسية)، أن هكذا تربة قد تكون بصورة عامة غير صالحة للزراعة لذلك تشكل المزارع جزءاً صغيراً من مساحة الموقع التي تتداخل مع مناطق الرعي التي تمتد أسفل منطقة السفوح، كما ويعد نهر العبدة عاملاً أساسياً في سبب إختيار وإستيطان الموقع ويجري هذا النهر عبر وادي عميق وتعد المنطقة مناسبة بصورة عامة للصيد وجمع الثمار ربما أكثر من الزراعة وقد دمر النهر ذاته النصف الشرقي من التل نتيجة لتآكل الحافات الشمالية من الموقع وتصل مساحة الموقع المتبقية ما يقارب من (٤٥٠٠م) بعمق يبلغ (٨م) لمجمل الادوار الحضارية^{١٢}.

ظهرت التوكنز في تل المغزلية وكان ظهورها متلازماً مع المجتمعات الحجرية القديمة وتتألف مجموعة المغزلية من قطع طينية تمثل كرات و أسطوانات ظهرت مثيلاتها مسبقاً في نمريك وترجع قطع التوكنز الخاصة بالمغزلية الى أواخر الألف الثامن والذي يسبق ظهور التوكنز في بلاد إيران ما يقارب خمسمائة سنة علماً ان قطع التوكنز من موقع ملفعات كانت تمام التشابه لنظيراتها من مواقع كنج دارة و تبة أسياب^{١٣}.

عادة يتم ربط قطع التوكنز (Tokens) بعمليات الحساب التي أصبحت مهمة جداً من بعد تبني المجتمعات البشرية القديمة تدجين الحيوانات والمتاجرة بها والعمليات المتعلقة بالعد وحساب رؤوس قطعان المشاية والاعنام والماعز والتي أنتجت صناعة تبني أشكال مختلفة من التوكنز والتي يدل تنوعها على تنوع الحيوان المشار اليه كما وتؤكد الدراسات أن أشكال قطع التوكنز تمثل الأساس للعلامات الصورية الأقدم والتي ظهرت في العصر الشبيه بالكتابي أواسط الألف الرابع كما وكانت قطع التوكنز تدل على اصناف النباتات المزروعة وعدها ايضاً مثل القمح والشعير.

خامساً: بيستان سور:

يتألف موقع بيستان سور من تل صغير يبلغ قطره ما بين (٨٠-٩٠م) ويرتفع بما يقارب (٦م) على الضفة اليسرى لنهر تانجرو الواقع بين مدينتي السليمانية و حلبجة ويمتد الموقع على حافة سلسلة من التلال على الجهة الغربية لمروحة حجرية تشكلت بفعل مجرى مياه نهر موسمي ينحدر من سلسلة جبال أزمر وجبل الشيخ إسماعيل كما ويتوسط الموقع منطقة غنية بالجداول المائية الدائمة والموسمية فضلاً عن الآبار المجاورة للموقع كما وتحيطه الحقول الزراعية الخصبة من جهات الغرب، الجنوب والشرق)^{١٤}.

يقع بيستان سور على مستوى (٥٥٠م) فوق سطح البحر عند سهل شهرزور وعلى مسافة (٢٧كم) جنوب شرق مدينة السليمانية و(٣٠ كم) من الحدود الإدارية الإيرانية الى الشرق، تعود الأدوار الاولى من بيستان سور الى العصر الحجري الحديث المبكر ويعد أحد المواقع الأثرية التي شهدت تاريخ طويل من الاستيطان في المنطقة^{١٥}، كما ويبعد بيستان سور مسافة (٦٥ كم) عن قرية جرمو ويسبقها من الناحية الزمنية وأن التحريات الأثرية بينت أن إكتشاف بيستان سور يدعم فرضية بريدود حول سفوح التلال وأن بواذر ثورة العصر الحجري الحديث موجودة في المنطقة^{١٦}، تجدر الإشارة الى أنه يمر ومن خلال الموقع الطريق البري الرئيس الذي يرتبط مع طريق (أرباب) الجديد في إقليم كردستان والذي يستمر صعوداً باتجاه الحدود الإيرانية والذي يعد طريقاً تجارياً أساسياً في الماضي والحاضر والذي يؤكد أن منطقة بيستان سور كانت ولا تزال من الطرق والمعايير المهمة للتجارة مع منطقة المرتفعات الإيرانية.^{١٧}

ظهرت التوكنز الطينية والحجرية في بيستان سور والتي ارتبط وجودها مع بقية المواد الحضارية من مواقع العصر الحجري الحديث المبكر في جبال زاكروس طوال الألفية التاسعة وتُظهر التوكنز في بيستان سور توازياً مع موقع تل أسياب و شيخ عباد فضلاً عن جرمو، هيمنت المخاريط على أشكالها فضلاً عن القطع الرباعية السطوح فيما حمل البعض منها آثار التلوين الخاصة بالمغرة الحمراء (ينظر الشكل ٣)^{١٨}.

سادساً: جرمو:

تمثل قرية جرمو المرحلة الأخيرة من ملاحل التطور الفكري والعماري والاقتصادي من سلسلة جبال زاكروس القسم الوسطي من بلاد الرافدين) والتي أظهرت توازياً مع مواقع بلاد إيران القديمة ويبدو أنها نقلت التأثيرات الحضارية شرقاً والتي تظهر جلية واضحة في مواقع مثل علي كوش في إقليم خوزستان وتبة كوران في لورستان، إذ انتشرت صناعاتها وأمتدت تأثيراتها في مواقع مهمة أخرى مثل كنج دارة، تقع جرمو جغرافياً ضمن منطقة حزام أشجار البلوط^{١٩}، عند حافة وادي عميق في منطقة سهل جمجمال وضمت ما يقارب من الخمس وعشرين بيتاً وقدّر عدد سكانها بحوالي المائة وخمسين نسمة^{٢٠}، عُدّت جرمو من القرى النموذجية لمرحلة العصر الحجري الحديث الزراعي وهي لا تبعد سوى (١١ كم) شرقي مدينة جمجمال بين محافظتي كركوك والسليمانية على ارتفاع (٨٠٠ م) فوق مستوى سطح البحر^{٢١}، كما وتبعد عن موقع كريم شاهر ما يقارب كيلومترين فقط وفيها إكتشف بريدوود تبني طرائق جديدة تعتمد على الزراعة الدائمة وتدجين الحيوانات وأن أقدم أدوارها الحضارية تعود الى حوالي (٨٧٠٠-٨٠٠٠ ق.م)^{٢٢}.

ظهرت التوكنز في جرمو متمثلةً بالكرات والاقراص الطينية المضغوطة وتم العثور على (١١٥٣) كرة طينية منها ماهو مقطوع الاوجه والأشكال المخروطية فضلاً عن الأشكال الهندسية الأخرى (ينظر الشكل ٤) ويعد وجود هذه التوكنز إمتداداً لصناعة التوكنز في زاكروس والتي يعتقد أن إستخدامها إدارياً وتنظيمياً أو لكونها أدوات للحساب والعد.

سابعاً: كنج دارة

كنج دارة أو وادي الكنز باللغة الفارسية وهو تل صغير تعود اقدم أدواره الى العصر الحجري الحديث المبكر في منطقة جبال زاكروس غربي إيران على مسافة (٣٧ كم) شرق

محافظة كرمنشاه بداخل حقل زراعي في وادي صغير ضيق محاط بالجبال التي يزيد إرتفاعها عن (٢٠٠٠م)، يمتد الموقع على حافة وادٍ يرتفع عن مستوى سطح البحر مايقارب (١٤٠٠م) قرب الحدود السياسية بين إقليمي كوردستان في شمال بلاد الرافدين و لورستان في شمال شرق بلاد إيران ، كان التل مأهولاً بالسكان لمدة تتراوح ما بين (٢٠٠-٣٠٠ عام)^{٢٣}، تم إكتشاف هذا التل في عام ١٩٦٥، تعود أقدم أدوار الموقع بحسب تقديرات الكربون ١٤ الحديثة التي إعتمدت على بقايا عظام الحيوانات فضلاً عن البقايا العظمية البشرية الى الفترة ما بين (١٧٠، ١٠-٩٧٠٠) ق.م^{٢٤} والتي تشير الى أن الموقع كان عبارة عن مُخيم مؤقت لم يقدم سوى المواقع الأرضية البسيطة وملاحح عن بدايات الإستقرار^{٢٥}، بينما يُقدر زمن البقايا البنائية الى الفترة بحدود (٨٨٥٠ ق.م)^{٢٦}، على الرغم من عدم إستكمال التنقيبات الأثرية إلا أن الموقع قَدَم الكثير من الشواهد الحضارية الدالة على الاستقرار وممارسة الزراعة^{٢٧}، فضلاً عن تدجين الحيوانات والأدلة حول زراعة المحاصيل^{٢٨}.

كان للتوكنز حضور في النتاجات الطينية من كنج دارة ذات الطابع الهندسي حضوراً في كنج دارة وعثر على كميات منها وبأشكال قياسية منها المخاريط، الاقراص و الاسطوانات بأحجام تتراوح من نصف سنتيمتر الى ٢،٥ سم، علماً أن بعضها كان مثقوباً من الوسط ليستخدم ربما بشكل قلادة أو دلالية فضلاً عن الاشكال الهلالية والمربعة^(٢٩)، كما وتظهر قطع التوكنز من كنج دارة توازياً مع القطع التي ظهرت في موقع بيستان سور في بلاد الرافدين والتي شملت أشكال الكرات والمخاريط المشابهة بشكل كبير للمخاريط التي ظهرت في كنج دارة فضلاً عن ظهورها في تل المغزلية والتي بلغ عددها (٤٤) في بيستان سور ووصلت الى (٢٠٤) قطعة في كنج دارة^{٣٠}.

ثامناً: تبة أسياب

يعد تبة أسياب أحد المواقع الأساسية لدراسة العصر الحجري الحديث المبكر في القسم الشرقي من منطقة زاكروس في بلاد إيران القديمة وبالرغم من الأهمية الكبيرة للموقع لايعرف سوى القليل عن تاريخه خاصةً فيما يتعلق بأدوار الموقع واللقى الحضارية أو البقايا الحيوانية والنباتية ذلك بسبب عدم نشر التقرير الشامل حول التحريات الأثرية التي أجريت فيه، تبة أسياب موقع مكشوف يقع على الجانب الشرقي من نهر (قرة صو) على مسافة (٥

كم) الى الشرق من مدينة كرمنشاه ويمتد الموقع على مدرج نهري يعود لعصر البلايستوسين بإرتفاع (٥ م) وعلى إرتفاع (١٣٠٠م) فوق مستوى سطح البحر كما ويبعد مسافة نصف كيلومتر عن القرية الحديثة المُسماة (بيجانة) ويبعد أسياب عن موقع جرمو مسافة لاتزيد عن (٣٠٠ كم) و مسافة (١,٥ كم) شمالا عن موقع تبة سراب^{٣١}.

فيما يخص المنتجات الطينية فقد ظهرت بعض من قطع التوكنز الطينية والتي كانت بإحجام أصغر من الحجم القياسي المتعارف عليه والذي يتراوح عادةً ما بين (٣-٥ سم) ، كانت قطع التوكنز من أسياب بحجم أقل من (١سم) والتي مثلتها مجموعة الكرات المصنوعة من الطين النظيف الخالي من الشوائب فضلاً عن وجود بعض القطع المصنوعة من مادة القير و الحجر وكذلك الجص، أثبت تحليل الحرارة إن قطع التوكنز من أسياب كانت تشوى بدرجة حرارة لا تتجاوز (٧٠٠ درجة)^{٣٢}.

بصورة عامة تم الكشف عن التوكنز في منطقة جغرافية واسعة من الشرق الأوسط ويوجد أكبر تركيز للمواقع التي أظهرت التوكنز في كل من بلاد الرافدين وبلاد إيران أذ بلغ عدد المواقع على التوالي (٤٥) موقعاً في بلاد الرافدين و (٤٢) موقعاً في بلاد إيران القديمة ومن مواقع بلاد الرافدين التي شهدت ظهورها ملفعات، جرمو، المغزلية وفي بلاد إيران مواقع أسياب، سراب، جيتون و كنج دارة^{٣٣}.

تاسعاً: تبة كوران:

يقع تبة كوران في منطقة وادي حليان من ضمن إقليم لورستان عاصمة محافظة خرم آباد على مسافة (٦٠ كم) الى الجنوب من مدينة كرمنشاه وعلى أرتفاع (٩٥٠ م) فوق مستوى سطح البحر، تبلغ أبعاد التل ما يقارب من (٦٥×١٠٠ م) ويرتفع ما بين (٨-٩م) عن السهل المجاور ولايعلم إرتفاع التل الدقيق بسبب أن قاعدته مدفونة لعدة أمتار تحت أرض السهل الرسوبي^{٣٤}، يحمل تبة كوران آثار الانتقال من نمط المخيم الموسمي الى نمط إستيطان القرية الدائمة على مدار العام سويةً مع المواقع التي إستوطنتها المجموعات البشرية المستقرة عبر المنطقة الواسعة لمنطقة زاكروس في قسمها الشرقي من بلاد إيران القديمة وتعود أقدم الأدوار الأثرية في الموقع الى أواخر العصر الحجري الحديث المبكر

(٧٢٠٠-٧٠٠٠ ق.م) ويتمثل الأستيطان القديم في الأدوار السفلى من الموقع بشكل بقايا حزم سوداء من الرماد والفحم المتداخل مع المواقع الأرضية^{٣٥}.

قدّم تبة كوران مجموعةً من أدوات الحساب والعد (التوكنز) وبلغ عدد القطع المستخرجة من الموقع (٣٤) قطعان منها بشكل دائري وإثنتان مخروطية الشكل والتي وجدت بداخل أحد القبور وبالإضافة الى التوكنز الطينية تم العثور على قطعة واحدة مصنوعة من الحجر^{٣٦}، التوكنز التي كشف عنها في تبة كوران وجدت بداخل قبر لرجل بالغ الأمر الذي يشير ربما الى نوع من الحالة الاجتماعية أو لرمزيتها بكونها أدوات حساب إقتصادية^{٣٧}.

عاشراً: تبة سراب

يقع تبة سراب الى الشرق من مدينة كرمنشاه الحالية بحوالي (٧ كم) في منطقة شمالي غرب إيران في الجزء الشرقي من منطقة جبال زاكروس على إرتفاع (٣٠٠ م) فوق مستوى البحر وكما يبعد الموقع مسافة تقدر بـ (٣٠٠ كم) الى الجنوب الشرقي عن قرية جرمو، يقع هذا التل بداخل الأراضي الزراعية للقرية الحديثة المسماة (ديبان) وتم التعرف على الطبيعة الأثرية للتل أول مرة بواسطة السكان من القرويين الذين قاموا بأعمال نبش في الموقع وأن القطع الأثرية التي تم جمعها من الموقع كانت تعكس ملمحاً متطوراً مما كان قد عثر عليه في موقع جرمو شمالي بلاد الرافدين كما وأظهرت الدراسات أن مجتمعاً صغيراً عاش في هذا التل على مدار العام بحسب البقايا العمرية وبقايا العظام التي تم الكشف عنها^{٣٨}، كما ويتوسط تبة سراب أرضاً صالحة للزراعة حيث المياه الوفيرة والتي كانت بمثابة عوامل جذب للمستوطنين الأوائل أذ تأتي هذه المياه من جدول (قرة صو) الذي يجري الى الشمال من التل^{٣٩}.

ظهرت التوكنز في تبة سراب بأشكالها المختلفة والتي غلب عليها الشكل الكروي بواقع (٧٩) قطعة ويبدو أن عملية تكوين قطع لتوكنز كانت تتم بين راحتي اليد والبعض من القطع كانت مصنوعة بعناية أكبر وتحمل على سطوحها آثار التحزيز بعد عملية التدوير وكانت أحجامها تتراوح بين (٨،٥-١٥ ملم) كما وظهرت الأقراص المسطحة بواقع (١٢٣) قطعة وكانت سطوحها منحنية وأحجامها بين الصغيرة والكبيرة فضلاً عن ظهور المخاريط

الببضوية ذات القمة المحززة والتي جاءت أغلبها ملمعة ومصقولة بالإضافة الى أشكال المثلث الرباعي الأوجه والقطع المستطيلة الطولية (يُنظر الشكل ٥) ويمكن تخمين الغاية التي لأجلها أستخدمت هذه التوكنز والمتعلقة بعمليات الحساب والعد والتي ربما أستخدمت في عمليات حساب الماشية^{٤٠}.

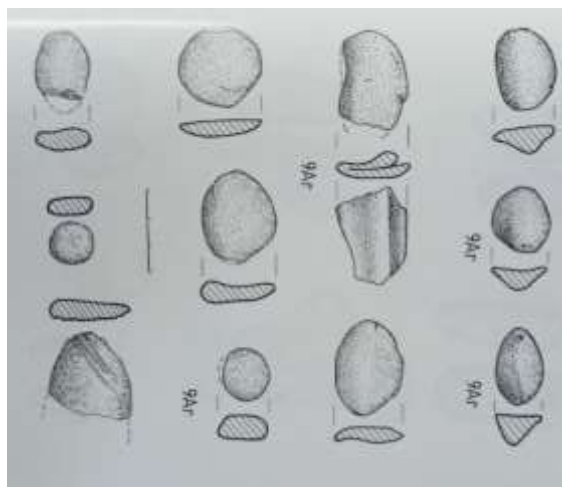
الخلاصة والاستنتاجات:

يمكن مقارنة الأشكال التي ظهرت ما بين تبة سراب وبقية المواقع في منطقة زاكروس ويبدو أن الأشكال الكروية ذات القواعد المستوية كانت الشكل الأكثر ظهوراً في تبة سراب، تبة أسياب، جرمو و تشايونو في جنوب غرب بلاد الأناضول والتي تماثلت في عملية تسوية قاعدة الكرات الطينية فضلاً عن ذلك أشرتكت القطع نصف الدائرية في كل من جرمو و سراب بطريقة الصناعة والتي كانت تتم عن طريق ضغط الكرة الطينية على سطح مستوي ولم تظهر الأشكال نصف الدائرية أي علامات قطع ومن الأشكال الأخرى الأكثر تداولاً بين مواقع زاكروس كان المثلث الرباعي الأوجه والذي ظهر في تبة أسياب، كنج دارة، تشايونو، تبة سراب، تبة كوران، جرمو وظهوره كذلك في مواقع الهلال الخصيب الشمالي مثل أريحا في فلسطين و تل أسود وسبع الأبيض في سوريا^{٤١}. بذلك يلاحظ أن الكرات تمثل الأنواع الأكثر شيوعاً والتي عثر عليها في أغلب مواقع الشرق الأدنى القديم أذ عثر على ما يقارب من (١١٥٣) قطعة في جرمو فضلاً عن (٦١) قطعة في كل من تبة سراب وأسياب فضلاً عن ظهورها في تشايونو وأشرتكت القطع نصف الدائرية في كل من جرمو و سراب بعملية الصناعة التي كانت تتم عبر ضغط الكرة الطينية الصغيرة باتجاه سطح مستوي والتي لم تظهر قطعها الطينية المعمولة أية علامات على القطع أو التحزيز، فضلاً عن ذلك إشرتكت أغلب مواقع منطقة زاكروس بظهور الأقراص المستوية والمثلثات الرباعية الأوجه والذي يعد الشكل الأكثر شيوعاً وإنتشاراً بين مواقع زاكروس أذ ظهر في تبة أسياب، كنج دارة، تشايونو، تبة سراب، تبة كوران وفي جرمو (ينظر الشكل ٦).

فضلاً عن ذلك كان تصميم قطع التوكنز أصلاً لغرض أعمال حسابية تتعلق بالعد والحساب وتنظيم المنتوجات الزراعية والحيوانية فضلاً عن ظهور الأشكال الخاصة بالجرار

المخروطية المخصصة لحفظ الزيوت فأن لقطع التوكنز هذه أهمية تاريخية لاتقل عن الغاية الأساسية التي صنعت لأجلها و دورها في ظهور أولى العلامات الكتابية الصورية منذ دور الوركاء (العصر الشبيه بالكتابي) والتي تغيرت لاحقاً الى أشكال أكثر تعقيداً وأستمرت في وظيفتها بإعتبارها قطع طينية تشير الى أنواع من البضائع المختلفة والتي تم تطويرها لاحقاً للإشارة الى مُنتجات ذات قيمة تجارية جديدة مثل صناعة الأنسجة وتطورت في العصر الشبيه بالكتابي الى ما لا يقل عن ستة عشر نوعاً من ضمنها المخاريط الثنائية والقطع المدورة والمعينية والتي كانت كسابقاتها محززة بالخطوط والدوائر وانتقال هذه المجموعات الجديدة الى بلاد سوسة والتي تشير الى إستمرار التأثير الرافديني على المناطق المجاورة منذ عصور قبل التاريخ حتى بداية الأدوار التاريخية، وكانت التوكنز بحدود (٣٣٠٠ ق.م) أداة الحساب الوحيدة التي تستخدم في إدارة النظام الاقتصادي والذي يسيطر عليه المعبد والتي تطورت في عملية حفظها بأن كانت قطع التوكنز توضع بداخل أغلفة طينية لحمايتها من الكسر أو التلف والضياع والتي ظهرت في مواقع غربي إيران كما هو الحال في شاه داد، جوخة ميش و سوسة والتي هي مشابهة لسابقتها من موقع الوركاء و نوزي وكانت تلك المغلفات تصنع بأحجام تتراوح بين (٥-٩سم) وكان كل مغلف يحتوي بداخله ما بين (٢-٥) قطع من التوكنز ومن ثم تم إستبدال الأغلفة الطينية بالالواح الطينية التي حملت طبعات قطع التوكنز الصلدة وتحولها لأشكال وعلامات صورية يتم رسمها بواسطة الود أو الأسفين والتي أصبحت الطريقة الجديدة المتبعة في حفظ أوزان ومقاييس الحبوب.

الأشكال



الشكل (١)

قطع التوكنز من نمريك، عن

Kozlowski.S, Nemrik An Aceramic Village in Northern Iraq, (Warsaw:2002).



الشكل (٢)

الحصى المحززة من مواقع مربيط، نمريك، تشاينونو، عين غزال، زاوي جمبي، كريم شاهر، جوخة بنوت،

علي كوش و جرمو، عن

Arimura. M, Badalyan. R, Current Neolithic Research in Armenia, (Neo-Lithics:2010), p.81.



الشكل (٣)

قطع التوكنز الطينية من بيستان سور، عن

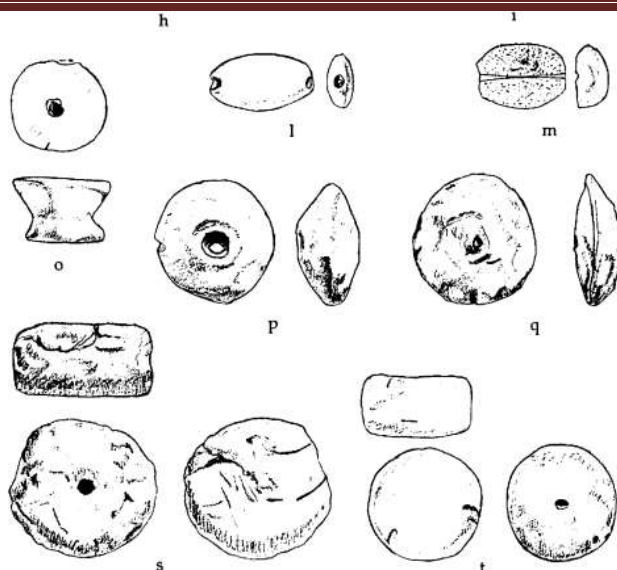
Richardson. A, Material Culture and Networks, ... p.540.



الشكل (٤)

قطع التوكنز الطينية من جرمو، عن

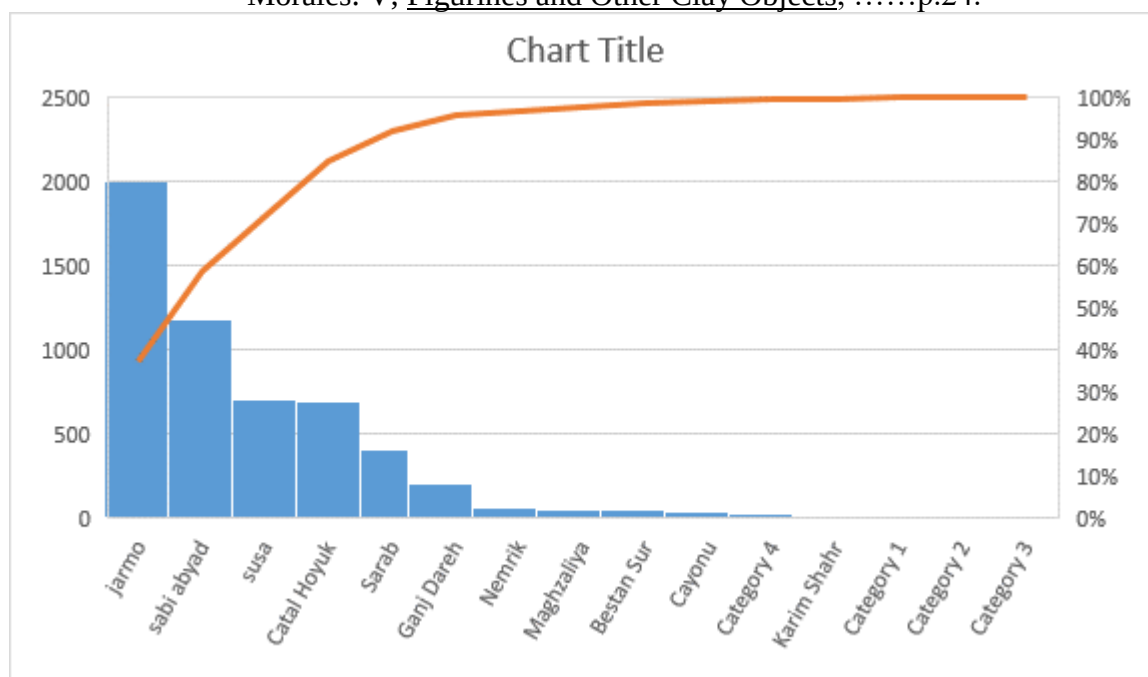
Tsuneki. A, Watanabe.N, Anma.R, Preliminary Report of the Charmo, (AL-RAFIDAN:2023), p.23.



الشكل (٥)

قطع التوكنز عن موراليس

Morales. V, *Figurines and Other Clay Objects*, ...p.24.



الشكل (٦)

مخطط بياني يظهر أعداد التوكنز المختلفة التي أنتجتها المواقع الأثرية.

المصادر :

1. Bader. N, Tell Maghzalia- An Early Agricultural Settlement in Northern Iraq, Early Stages in the Evolution of Mesopotamian Civilization, Soviet Expedition in Northern Iraq, (Arizona:1993).

2. Bendery. R, Whitlam. J, Elliot. S, Aziz. K, Matthews R&W, Seasonal Rhythms of A Rural Kurdish Village: Ethno-zoo archaeological Research in Bestansur Iraq, (Oxford:2016).
3. Besserat. D, Before Writing, from Counting to Cuneiform, (Austin:1992).
4. -----, Tokens: Facts and Interpretation, (Visible Language:1986).
5. -----, S, An Archaic Recording System and the Origin of Writing, (Syro-Mesopotamian Studies:1977).
6. Ezgi. N, Kazanci. D, Aydogan. A & Others, A Genomic Snapshot of Demographic and Cultural Dynamism in Upper Mesopotamia During the Neolithic Transition, (Turkey: 2022).
7. Groene. D, Bendery. R, Muldner. G and others, Sheep Management in the Early Neolithic in Zagros Region (8000-5000 BC): New Zoo Archaeological and Isotopic Evidence from Ganj Dareh, Bestansur and Jarmo, (Journal of Archaeological Science:2023).
8. Hameed. V, Kazzazi. M, Metric Analysis of Female Figurines from Tepe Sarab, (Tehran University:2011).
9. Hughes. E, Structural Depositions and the Interpretation of Ritual in the Near East Neolithic: A New Methodology, (Liverpool:2014).
10. Kozłowski. S, Nemrik 9, A PPN Neolithic Site in Northern Iraq, (Paleorient:1989).
11. -----, Nemrik, An Aceramic Village in Northern Iraq, (Warsaw:2002).
12. Matthews R&W, Richardson. A, Walsh. S, and others, The Early Neolithic of Iraqi Kurdistan: Current Research at Bestansur, Shahrizor Plain, (Paleorient:2019).
13. ----- & W, Raheem. K, Richardson. A, Material Culture and Networks of Bestansur and Shimshara, (Oxford:2020).
14. -----, Nashli. H, Domesticating Iran, The Archaeology of Iran from the Palaeolithic to the Achaemenid Empire, (Routledge:2022).
15. Meiklejohn. C, Merrett. D, Reich. D, Pinhasi. R, Direct Dating of Human Skeletal Material from Ganj Dareh, Early Neolithic of the Iranian Zagros, (Journal of Archaeological Science:2017).
16. Mellart. J, Earliest Civilizations of the Near East, (London:1065).
17. -----, The Neolithic of the Near East, (New York:1975).
18. Morales. V, Figurines and Other Clay Objects from Cayonu, (O.I.C: 1990).
19. Niemi. T, Near Eastern Tokens, A Contextual Analysis of Near Eastern Tokens from the 7th to the 4th Millennium B.C., (AHKR:2016).
20. Nieuwenhuyse. O, Muehl. S, A Late Neolithic Fishing Net from Kurdistan, Northern Iraq, (Paleorient:2012).
21. Ohnuma.K. K, Chronology of the Proto-Neolithic of Iraq and Syria – A Hypothetical View, (Al-Rafidan:1997).

22. Palka. J. W, Not Just Counters: Clay Tokens and Ritual Materiality in the Ancient Near East, (Springer:2020).
23. Renette. S, Sirvan. M, Ghafoori. O, The Mahidasht Survey Project (1975-1978), (Iran National Museum:1978).
24. Richardson. A, Material Culture in Early Modern Europe, (London:2017).
25. -----, Pre-pottery Clay Innovation in the Zagros Foothills, (University of Reading:2019).
26. Richter. T, Darabi. H, Alibaigi. S and others, The Formation of Early Neolithic Communities in the Central Zagros: An 11,500 Years Old Communal Structure at Asiab, (Oxford:2021).
27. Smith. B, The Emergence of Agriculture
28. Thrane. H, Excavations at Tepe Guran in Luristan, from 1962-1964, The Bronze Age and Iron Periods, (Jutland Archaeological Society:2001).
29. Tvetmarken. L, Visualizing Social Space: Investigating the Use of Space and Human-Animal Interaction, (Liverpool:2012).
30. Van Zeist. W, Smith. P, An Archaeological Study of Ganj-Dareh Tepe, Iran, 1978.
31. Weeks. L, The Development and Expansion of a Neolithic Way of Life, (Newgen:2013).

الهوامش:

- ⁽¹⁾ Morales. V, Figurines and Other Clay Objects from Cayonu, (O.I.C: 1990), p.68.
- ⁽²⁾ Ezgi. N, Kazanci. D, Aydogan. A & Others, A Genomic Snapshot of Demographic and Cultural Dynamism in Upper Mesopotamia During the Neolithic Transition, (Turkey: 2022), p.1.
- ³ Ohnuma.K. K, Chronology of the Proto-Neolithic of Iraq and Syria – A Hypothetical View, (Al-Rafidan:1997), p.47.
- ⁴ Tvetmarken. L, Visualizing Social Space Investigating the Use of Space and Human-Animal Interaction, (Liverpool:2012), p.212.
- ⁵ Kozlowski. S, Nemrik 9, A PPN Neolithic Site in Northern Iraq, (Paleorient:1989), p.108.
- ⁶ Kozlowski. S, Nemrik, An Aceramic Village in Northern Iraq, (Warsaw:2002), p.81.
- ⁷ Hughes. E, Structural Depositions and the Interpretation of Ritual in the Near East Neolithic: A New Methodology, (Liverpool:2014), p.46.
- ⁸ Ohnuma. K, Chronology of the Proto-Neolithic..... p.45.
- ⁹ Matthews. R & W, Raheem. K, Richardson. A, Material Culture and Networks of Bestansur and Shimshara, (Oxford:2020), p.539.
- ¹⁰ Ohnuma.K., Chronology of the Proto-Neolithic, ...p.48.
- ¹¹ Tvetmarken. L, Visualizing Social Space....., p.233.

- ¹² Bader. N, Tell Maghzalia- An Early Agricultural Settlement in Northern Iraq, Early Stages in the Evolution of Mesopotamian Civilization, Soviet Expedition in Northern Iraq, (Arizona:1993), p.2.
- ¹³ Besserat. D, Before Writing, from Counting to Cuneiform, (Austin:1992), p.45.
- ¹⁴ Nieuwenhuys. O, Muehl. S, A Late Neolithic Fishing Net from Kurdistan, Northern Iraq, (Paleorient:2012), p.142.
- ¹⁵ Bendery. R, Whitlam. J, Elliot. S, Aziz. K, Matthews R&W, Seasonal Rhythms of A Rural Kurdish Village: Ethno-zoo archaeological Research in Bestansur Iraq, (Oxford:2016), p.44.
- ¹⁶ Matthews R&W, Richardson. A, Walsh. S, and others, The Early Neolithic of Iraqi Kurdistan: Current Research at Bestansur, Shahrizor Plain, (Paleorient:2019), p.7.
- ¹⁷ Bendery. R, Whitlam. J, Elliot. S, Seasonal Rhythms, ...p.44.
- ¹⁸ Richardson. A, Material Culture, ...p.537.
- ¹⁹ Mellart. J, The Neolithic of the Near East, (New York:1975), p.80.
- ²⁰ Mellart. J, Earliest Civilizations of the Near East, (London:1065), p.47.
- ^{٢١} باقر. طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، (بيروت:٢٠٠٩)، ص٢١٨.
- ²² Smith. B, The Emergence of Agriculture, ...p.9.
- ²³ Groene. D, Bendery. R, Muldner. G and others, Sheep Management in the Early Neolithic in Zagros Region (8000-5000 BC): New Zoo Archaeological and Isotopic Evidence from Ganj Dareh, Bestansur and Jarmo, (Journal of Archaeological Science:2023), p.3.
- ²⁴ Meiklejohn. C, Merrett. D, Reich. D, Pinhasi. R, Direct Dating of Human Skeletal Material from Ganj Dareh, Early Neolithic of the Iranian Zagros, (Journal of Archaeological Science:2017), p.170.
- ²⁵ Weeks. L, The Development and Expansion of a Neolithic Way of Life, (Newgen:2013), p.53.
- ²⁶ Meiklejohn. C, Merrett. D, Reich. D, Pinhasi. R, Direct Dating of Human Skeletal, p.170.
- ²⁷ . Van Zeist. W, Smith. P, An Archaeological Study of Ganj-Dareh Tepe, Iran, 1978, p 201.
- ²⁸ Tvetmarken. L, Visualizing Social Space, ... p.65.
- ⁽²⁹⁾ Morales . V, Jarmo figurines p 314.
- ³⁰ Richardson. A, Pre-pottery Clay Innovation in the Zagros Foothills, (University of Reading:2019), p.10.
- ³¹ Richter. T, Darabi. H, Alibaigi. S and others, The Formation of Early Neolithic Communities in the Central Zagros: An 11,500 Years Old Communal Structure at Asiab, (Oxford:2021), p.4.

- ³² Besserat. D, Tokens: Facts and Interpretation, (Visible Language:1986), p.252.
- ³³ ³³ Besserat. D, Tokens: Facts, ... p.253.
- ³⁴ Thrane. H, Excavations at Tepe Guran in Luristan, from 1962-1964, The Bronze Age and Iron Periods, (Jutland Archaeological Society:2001), p.506.
- ³⁵ Matthews. R, Nashli. H, Domesticating Iran, The Archaeology of Iran from the Palaeolithic to the Achaemenid Empire, (Routledge:2022), p.74.
- ³⁶ Niemi. T, Near Eastern Tokens, A Contextual Analysis of Near Eastern Tokens from the 7th to the 4th Millennium B.C., (AHKR:2016), p.3
- ³⁷ Palka. J. W, Not Just Counters: Clay Tokens and Ritual Materiality in the Ancient Near East, (Springer:2020), p.2.
- ³⁸ Hameed. V, Kazzazi. M, Metric Analysis of Female Figurines from Tepe Sarab, (Tehran University:2011), p.2.
- ³⁹ Renette. S, Sirvan. M, Ghafoori. O, The Mahidasht Survey Project (1975-1978), (Iran National Museum:1978), p.44.
- ⁴⁰ Morales. V, Figurines and Other Clay Objects, ...p.24.
- ⁴¹ Besserat. D. S, An Archaic Recording System and the Origin of Writing, (Syro-Mesopotamian Studies:1977), p.12.

العرافة في بلاد الرافدين: دراسة من خلال
وثائق ارشيف ماري

م.د اسراء فرج لفته

الجامعة المستنصرية | كلية الاداب

israafaraj@uomustansiriyah.edu.iq

العرافة في بلاد الرافدين: دراسة من خلال وثائق ارشيف ماري

م.د. اسراء فرج لفته

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة العرافة في بلاد الرافدين في ضوء ارشيف ماري، وقد سلط الضوء على ما هية العرافة، وانواعها فضلاً عن مكانة العراف ودوره كونه يعتبر الوسيط في اصال المعرفة الالهية للبشر من خلال طرق معينة كأن تكون فحص الكبد او الاحشاء او عن طريق معرفة حركة وسلوك الحيوانات او سكب الزيت في الماء، والغرض الاساس من العرافة هو التنبؤ بالمستقبل على الصعيد الرسمي للملك او الدولة او على الصعيد الشعبي للأفراد، وقد وردت رسائل كثيرة من العرافين الى ملوك ماري يستعرضون في التفاؤلات التي اجروها لاجراض متعددة حسب زمان ومكان العراف وهذا ما سننطرق إليه من خلال الرسائل المرسلة من العرافة الى الملوك وفق أرشيف ماري.

Abstract

This research deals with the study of divination in Mesopotamia in light of the Mari archive. It sheds light on what divination is, its types, as well as the status of the fortune teller and his role as he is considered the mediator in conveying divine knowledge to humans through certain methods such as examining the liver or viscera or by knowing the movement and behavior of animals or pouring oil into water. The main purpose of divination is to predict the future on the official level of the king or state or on the popular level of individuals. Many letters were sent from fortune tellers to the kings of Mari reviewing the optimisms they conducted for various purposes according to the time and place of the fortune teller. This is what we will address through the letters sent from the fortune teller to the kings according to the Mari archive

المقدمة

اعتقد سكان بلاد الرافدين ان نوايا الإلهة تنعكس على الأرض من خلال طرق متعددة كأن تكون حوادث معينة، لذلك نجدهم قد ربطوا بين تلك الظواهر الطبيعية وبين ما تقع من إحداث على الصعيد الاجتماعي والسياسي، وكانت العرافة من السمات البارزة وتقوم على فكرة مفادها ان المستقبل محدد سلفاً إلى حد ما ولكن الآلهة قد أتاحت للإنسان بعض المؤشرات على المستقبل، ونظر العرافين إلى أنفسهم كحلاقات وصل بين الإلهة و البشر، وكشف لنا ارشيف ماري عدد كبير من العرافين الذين تم توظيفهم من

العرافة في بلاد الرافدين: دراسة من خلال وثائق ارشيف ماري

قبل ملوك ماري، وانخرط هؤلاء العرافين في المقام الأول في أعمال الدولة المتعلقة بالدبلوماسية والأمور العسكرية ويمكن تلخيص دور العرافين من خلال النصوص على أنه خدمة للملك بطرق متنوعة كدبلوماسيين وجواسيس ومرافقين للجيش فضلاً عن دورهم في أداء طقوس العرافة، ومن هذا المنطلق تم اختيار موضوعنا من أجل بيان الرسائل المتبادلة من العرافين إلى حاكم ماري واختلفت الرسائل باختلاف موقع العراف وعليه تم تقسيم البحث إلى محورين، تناول المحور الأول مفهوم العرافة وأهم أنواعه أما المحور الثاني فقد جاء فيه الرسائل المتبادلة بين العرافين وملوك ماري يسماخ إدو نموذجاً لذلك، وفي خصوص أهم المصادر فقد تم الاستناد إلى ارشيف ماري Letters to the king of mari: لمؤلفه wolfgang Hoimpel وغيرها من المصادر التي تصب بذات الموضوع

الكلمات المفتاحية: عرافة، أرشيف، رسائل العرافين

المحور الاول

مفهوم العرافة

عدت العرافة جزءاً أساسياً من الحياة اليومية في العراق القديم، إذ لم تكن مجرد نشاط بدئي إنما هي عملية ذات سمة أساسية، فقد عدت انجازاً فكرياً كبيراً، فمن خلالها تلمس طبيعة الاتصال بالآلهة وكما هو متعارف عليه أن الآلهة هم من يحددون مصائر البشر، لذلك ظهر لنا مفهوم العرافة لتحقيق غايات واردة الآلهة، فقد فرضت العرافة فلسفتها ما بين سبب ونتيجة لتفسر بذلك وفق المنظور الديني تنبؤ بأحداث المستقبل (جون، ١٩٩٠، صفحة ٢٦٩)

ان أقدم إشارة إلى مفردة العرافة وردت في الكتابات المسمارية بصيغ متعددة فقد جاءت بالسومرية (MÀŠ-Šu-gid-gid) وتقابلها في الأكديّة (barum) والتي تعني عراف (ACD,2000,p39) وكما عرفت بكونها وضع اليد على حيوان الضحية، والمقصود هنا أن مقدم الضحية يضع ذراعه على الحيوان والغرض من ذلك هو سحب أحشائه من أجل معرفة التنبؤ، كما استخدم مصطلح [I-ZU] والمقصود العرافة بالزيت (مجيد، ١٩٩١، صفحة ١٠٧) كما دونت مصطلح راب باري [rabbari] أي كبير العرافين (علي، ١٩٧٩، صفحة ٦٩٥)

وارتبطت العرافة ارتباطاً وثيقاً بالمعتقدات الدينية والعادات والتقاليد الاجتماعية وهي تهدف الاتصال بالقوى العليا لمعرفة ما تقدره من خير أو شر للفرد أو المجتمع على حد سواء، وتعتبر موهبة في القدم كون أن الإنسان عرف كثير من المعتقدات الدينية ومارس أنواعاً من الأساليب السحرية ولكن النضوج الفكري لمفهوم العرافة وصل إلى مراحل متقدمة أبان العصر البابلي القديم (علي، ٢٠٢١، صفحة ٢٣٦) نجد أن العراقيون القدماء عرفوا العرافة كنوع من الفن وهي بحد ذاتها منقسمة منها ما تكون خاصة بالملك ومنها للشعب (الاحمد، ٢٠١٣، صفحة ٧٩) وهو بذلك يقدم خدماته إلى الناس على مختلف مستوياتهم الاجتماعية (علي، ١٩٧٩، صفحة ٦٧٠) والخدمات المقدمة أنواع بحسب نوع ومرتبة العراف

العرافة في بلاد الرافدين: دراسة من خلال وثائق ارشيف ماري

فمنها مراقبة الدخان المنبعث من المبخرة او فحص دوائر الزيت لدى صبه بكأس ماء ورمي القرعة (الاحمد، ٢٠١٣، صفحة ٧٩)

وقد تم تحديد مواصفات معينة لا بد ان تتوفر في العراف وعلى اثرها يتم اختياره، فينبغي ان يكون من نسل كاهل او منحدر من اب حر ولا تكون فيه عاهة بدنية، كما تذكر النصوص المسمارية ضمن الصفات المطلوبة امور الطهارة على سبيل المثال ان يرتدي الملابس النظيفة في وقت ممارسة العرافة حتى موضع الاستشارة الالهية يجب ان يكون طاهراً (لابات، ١٩٨٨، صفحة ٣٣٣) ، اذ تشير المصادر ان العراف بارو كان يقوم صباحاً للاغتسال والدهان ويرتدي ثوب جديد قبل القيام بالعرافة (علي، ١٩٧٩، صفحة ٦٩٧) اما العراف الذي كان من اب غير نقي ولا يكون كاملاً بالجسد والأعضاء والملاح كأن تكون عيونه غير سليمة او أحد اسنانه مكسورة او غير كامل الأصابع او لديه مرض معين فإنه لا يستطيع ان يكون اميناً لرتب شمش [و أد (لابات، ١٩٨٨، صفحة ٣٢٩) ، (الاحمد، ١٩٧٥، صفحة ٧٤) وبذلك لا بد ان تتوفر صفات معينة للعراف ولا بد ان يكون منحدر من ابناء واجداد من الكهان (موسكاتي، ١٩٥٧، صفحة ١٠٩)

ويمكن القول ان العرافة قائمة على فكرة مفادها ان المستقبل محدد سلفاً الى حد ما ولكن الآلهة ولا سيما شمش وأدد قد اتاحت للإنسان بعض المؤشرات على المستقبل اي البشائر والعلامات في العالم المحيط به، والتي يمكن تفسيرها (التكهن بها) من قبل خبراء اي عرافين يتمتعون بمعرفة متخصصة ويعد الاله إيا الى جانب شمش وأدد احد مؤسسي العرافة، واعتقد القدماء ان المستقبل ما هو إلا حوار بين الإنسان والآلهة وان الإلهة هي من تكتب المستقبل في الكون ولهذا السبب يمكن لمن يتمتعون بالحكمة الكافية من الكهنة العرافين والعلماء قراءة العالم، إذ كانوا ينظرون الى الجسم العضوي باعتباره جزء من نص (ulanowski, 2018, p. 167) ، وبحسب المعتقد ان الإلهة هي من تكتب المستقبل في الكون ولهذا السبب يمكن لمن يتمتعون بالحكمة الكافية من الكهنة و العرافين والعلماء قراءة العالم، إذ كانوا ينظرون إلى الجسم العضوي باعتباره جزء من نص (maul, 2018, p. 157) ويفهم من ذلك حتى لو كان الالهة هم مؤسسو العرافة، فإن الإنسان لعب دوراً حيوياً في العملية وكان بمثابة حلقة وصل مهمة وجزء لا يمكن الاستغناء عنه

ويرى الباحثين ان عملية قراءة الطالع تحتاج الى حكماء وقد يكون تأثيرهم على امور الدولة كبيراً حيث كان بيدهم تفسير العلامات عندما كان الملك يضع امامهم قضية من قضايا الدولة وفي الغالب يستخدم العراف طريقة صب الماء في الاناء مع الزيت ويعمل حسب ذلك، كما يرافق العراف الجيش وينال مرتبة عالية من الشرف لتنبؤاته الصادقة او قد يعاقب بالخزي إذا كذبت تنبؤاته، كما استخدم العرافون في تفسيرهم للطوالع التعليقات التي نظمت بأجزاء كانت تحمل مصطلحات فنية ترتبط بأعضاء الحيوانات المقدمة للأضحية ولا سيما الكبد وكان لا بد ان يتبع الاضحية الأولى اضحية ثانية للتأكد وفي

حالات معينة ثالثة، ويبدو ان الفكرة الاساسية في ذلك ان الاله اذا ما تم التوجه اليه بصورة صحيحة قبل الاضحية وأخبر المشكلة المطلوب حلها ويكتب جوابه الالهي في جسم الاضحية (ساكر، ١٩٧٩، صفحة ٤٠١)

يشير الباحثون إلى ان ممارسة العرافة كانت معروفة في فترة عصر البرونز، إذ تم العثور على اشارات اولى تدل على التكهّن والعرافة وذلك في بلاد الرافدين، في المصادر المكتوبة خلال الألف الثالث قبل الميلاد والتي كانت تشير إلى عدد من الألقاب المهنية، كما ذكرت النصوص الادبية العرافة بأعمال متفاوتة مثل عمل نرام سين في لعنة اكد وكذلك حلم الامير كوديا عندما احتاج إلى إشارة ميمونة من الإله نينكرسو لتأكيد موافقتها على بناء معبد جديد وهذا يشير الى الدلائل السماوية وان البشائر تنقل القرارات الالهية، ايضاً يظهر مصطلح العراف في نصوص ترنيمه للملك شولكي، اذ ينسب نفسه كونه عراف، وتجدر الاشارة الى وجود شبكة واسعة من العرافين الذي وظفهم ملوك ماري، إذ يوجد اكثر من خمسة واربعين عرافاً معروفين بالأسم في بلاط الملك زمري-لم وتم توزيعهم في اكثر من موقع بين المدن، كما أنخرط العرافون ايضاً في المقام الاول بأعمال الدولة المتعلقة بالدبلوماسية والامور العسكرية، ويمكن تلخيص الدور الوظيفي للعراف في الغالبية العظمى من خلال النصوص على انه خادم الملك بطرق متنوعة ومختلفة يتعلق البعض بالاستخبارات كدبلوماسيين وجواسيس في المناطق المجاورة الخاضعة لمدينة ماري، ايضاً يتم تواجدهم في المجلس الخاص للملك فضلاً عن وظيفته في المعبد واداء طقوس تتعلق بالخسوف والكسوف والتضحيات الحيوانية وكان لزاماً على العراف ان يقسم يمين الولاء في خدمته للملك (M.Maul, 2018, p. 17)

لقد كانت العرافة تمثل نوعين أحدهما الالهة ويسمى بالعرافة الملهمة والاخر بنشاط عقلي يمارسه البشر اي بنوع من الاستدلال او الاستنتاج ويسمى بالعرافة الاستنتاجية، ولم يصلنا شيء عن العرافة الملهمة إلا نماذج قليلة في ميادين زمنية وموضوعية محددة اما العرافة الاستنتاجية فهي ممتدة دون انقطاع حتى العهد السلوقي اي فترة قليلة تسبق تاريخنا الميلادي، ولا بد انها كانت موضوع مادة ضخمة من الاعمال والوثائق (بوتير، ١٩٩٠، صفحة ١٦٧) ، وان معرفة الغيب والامور الغامضة قد شغلت فكر الانسان، وقد حاول ان يطمأن نفسه من خلال معرفة قدره أياً كان وحاول أقناع نفسه ان المستقبل نفسه غير معروف له وغير محسوس لذلك كان لا بد ان يلجأ الى شخص اكثر قابلية في أدراك المستقبل وهو هنا المدعي بمعرفته (بوتير، ١٩٧٠، صفحة ١٦١)

انواع العرافة

يشير مصطلح العرافة كما ذكرنا سلفاً الى الاشكال المتنوعة من التواصل بين البشر والظواهر الخارقة للطبيعة، وتسعى العرافة الى اكتساب المعرفة التي لا يمكن الوصول اليها بطريقة أخرى لأنها مخفية، وهناك طرق وانواع للعرافة لا حصر لها، تميل تلك الطرق الى الصعود والهبوط على مر التاريخ، وغالباً

ما تنظر الأديان ذات التوجه الفلسفي الى العرافة كونها خرافة، وان العرافة قريبة من انواع اخرى من التفاعل الالهي والبشري، مثل السحر والشعوذة وتسعى جميع انواع العرافة الى سرية المعلومات عرضة للاستخدام السياسي، وتستخدم اساليب العرافة لتقليل القلق تجاه المجهول، بقدر ما يتعلق الامر باستكشاف مصادر المصائب وسبل اصلاح الموقف (Asegal, 2015, p. 445) ويمكن بذلك تقسيمها الى

١- العرافة العملية، والمتعارف عليه يستخدم العراف وسائل عملية من أجل الاتصال بالقوى العليا، كضرب القداح او سكب الزيت في الماء او حرق البخور

٢- العرافة السحرية، وهي التي تحدثها قوى خفية أي الإلهة ولا دخل للإنسان فيها مثل حدوث تغيرات في الظواهر الكونية أو اختفاء الكواكب أو حركة الرياح او عن طريق حدوث تغيرات في سلوك الطيور والحيوانات او في مظاهرها الخارجية او الداخلية، كأن تحدث الإلهة علامات او تغييرات في أحشاء الذبيحة او في كبدها (علي، ٢٠٢١، صفحة ٢٣٦).

المحور الثاني

المراسلات المتبادلة بين العرافة وملوك ماري في ضوء ارشيف ماري

يعد ارشيف ماري من اهم الاكتشافات الاثرية التي تسلط الضوء على سوريا والمناطق المجاورة لها، وقد تم اكتشافه عام ١٩٣٣م على يد عالم الآثار المنقب اندريه بارو، وتم العثور على هذا الارشيف في قصر الملك زمري-لم، وقد احتوى الارشيف على ما يقارب ٢٠ الف لوح طين وقد ضم مجموعة واسعة من الرسائل منها السجلات الادارية ونصوص قانونية ودينية فضلاً عن الرسائل السياسية المتبادلة بين ملوك ماري والدول المجاورة. ومن خلال ارشيف ماري تم الاطلاع على عدد من الرسائل المتبادلة بين ملوك ماري والعرافين وكما هو متعارف عليه ان للعرافين دور كبير ومهم في سير مجرى الاحداث السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية من خلال كشف الطالع وبيان الامر المقبل عليه الملك اذ ما كان يعود اليه بالسوء ام بالمباركة، فقد كان الملك يرسل احد رجال العرافة مع الحملات العسكرية ويقوم العراف بنقل الأحداث الى الملك واطلاعه بمجريات الاحداث فضلاً عن مباركته لسير الحملة من خلال تأدية طقوس دينية معينة، والمتعمق في تلك النصوص يجد التداخل الكبير بين الدين والسياسة في تلك الفترة فنجد ان الملوك غالباً ما يستندون في قراراتهم الى نصائح العرافين وتنبؤاتهم، كونهم الوسطاء بين الالهة والبشر لذلك كان لهم تأثيراً كبيراً على القرارات الملكية (Jeam, 2019, pp. 1-7).

واختلفت الرسائل المرسلة إلى الملوك باختلاف مرسلها فمنها ما كانت تخص الجانب السياسي أو العسكري ومنها كانت تحمل طابع إداري والبعض منها اقتصادي، وفي الأغلب ينقل العراف جميع الأحداث إلى الملك حتى وان كان مصاب بمرض أو داء فهذا لا يعيق عمله كما جاء في نص الرسالة المرسلة من العراف اشقودوم يخبر الملك يسماخ إدو بكونه مريض وبالتالي كانت الإجابة على رسالة بعدم التنقل والسفر ورغم ذلك قد أدى العراف واجباته في فحص أحشاء الحيوان واليام بالتنبؤ من خلال

علامات الكبد "الى سيدي يسماخ إدو" [yasmah Addu] يتحدث خادمك اشقودوم [AŠqudum] قائلاً: كنت أعاني من القيء المرير أثناء المرض الذي أصابني ولكني تعافيت وسيدي اصدر تعليمات صارمة بعدم السفر، ووضعت علامات على الكبد ضمن قرابين العامة" (Heimpel, 2003, p. 210) وفي رسالة اخرى يرسلها نفس العراف يوضح فيه تنقله الى اماكن ومدن مختلفة خلال فترات معينة من الشهر لكي يقوم بطقوس التنبؤ ولم تكن نتائج العراف مبشرة بالخير إذ كانت سيئة، ويبدو ان العراف قد ارسل توجيهات للملك باتخاذ إجراءات صارمة ضد قادة وأصحاب المراعي بسبب إهمالهم وهنا نلاحظ ان العراف قد أدى مهمتين الاولى هي التنبؤ والاخرى هي مراقب اداري ويبدو ان هنالك عدد من قادة المراعي في الشمال والاخر في الجنوب. كما جاء في نص الرسالة ٢٦:٨٦ "الى سيدي يسماخ إدو [yasmah addu] يتحدث خادمك اشقودوم [AŠqudum] وفقاً لأوامر سيدي انتظرت حتى انقضى الشهر، ثم ذهبت الى حلب [Halabit] وأجريت طقوس الاستبصار هناك لمدة شهر كامل ٣٠ يوماً ولكن العلامات التي ظهرت كانت سيئة وغير مطمئنة ورؤساء المراعي موجودون في توتول [Tuttul] أمام سيدي، يجب على سيدي ان يصدر لهم تعليمات صارمة، وإلا يهملوا الإشراف على كشافيتهم، ان قطعانهم مشتتة على نطاق واسع فهم يرعون فوق حلب [Halabit] حتى سورمان [Surman] ولكنهم مهملون (Heimpel, 2003, p. 210) ، ولا بد لنا من الإشارة إلى التقويم في بلاد الرافدين كان يعتمد على الأشهر القمرية التي تتراوح عدد أيامهم بين ٢٩ و ٣٠ يوماً من اجل التنبؤ في المستقبل، ومن الملاحظ عليه ان في عهد الملك يسماخ إدو حدثت تجاوزات كثيرة وتقاعس بعض الموظفين في أداء مهامهم وهو بالتالي خرق لأوامر الملك، لذلك نجد العراف اشقودوم يخبره بتهاون وإهمال المشرفين والكشافين على المناطق وربما يعود السبب في أخفاق هؤلاء هو الضعف في سلطة الحاكم والذي تمثلت في يسماخ إدو حتى ابيه شمشي إدو الاول لم يكن راضياً عن سلوك يسماخ إدو وكفاءته الإدارية في تصريف شؤون مملكة ماري، بل وبلغ الأمر حد عدم ثقة ملك آشور في قيام ابنه بتنفيذ أوامره الملكية كما يجب ولذلك نجد ان الملك شمشي إدو الأول أمر بتعيين عدد من كبار الموظفين يكون عملهم معرفة محتوى الخطابات وأيضا يكونون متواجدين عند قراءة يسماخ إدو لخطابات أبيه (علي، ١٩٨٥، صفحة ٣٨) وهذا ما لمسناه في النص ٨٧: ٢٦ المرسل من العراف اشقودوم الى يسماخ إدو يخبره أولاً بنتائج الاستبصار التي لم تكن تبشر بخير وفي ذات الوقت يخبره من تجاوز الكشافين المعينين على المناطق إذ جاء فيها : (الى سيدي يسماخ إدو) [yasmah Addu] يتحدث خادمك اشقودوم [AŠqudum] قائلاً: أجريت طقوس التناول من اجل سلامة الرسل وكانت النتائج سيئة. سأجري الطقوس مرة اخرى وعندما تكون النتائج مبشرة سأرسلهم، علاوة على ذلك بخصوص كشافي منطقة اكشودو- اباشو [IKŠud-APPaŠu] وخابدوما- داکان [Habduma-Dagan] لا يوجد أي كشافة في مواقعهم، وسيدي يعلم كم عدد التجاوزات والإهمال التي تظهر في قرابين سيدي، هناك إهمال في الإشراف على الكشافة وقد أظهرت

العرفاء في بلاد الرافدين: دراسة من خلال وثائق أرشيف ماري

طقوس العرافة المتعلقة بسلامة هذه المنطقة نتائج سيئة (Heimpel, 2003, p. 210) ، وفي نص آخر نجد ان العراف اشقودوم يذكر مدن كثيرة كانت مراكز ادارية وعسكرية مهمة، إذ لعبت دوراً رئيسياً في شبكات التجارة والسياسة وقد اخبر العراف اشقودوم عند وصوله إلى مدينة ترقا عرافي المدينة لإجراء طقوس السلامة لكي تبقى هذه المدن محافظة على قوتها وتوازنها الاقتصادي كما جاء في رسالة ٨٨: ٢٦ (إلى سيدي يسماخ إدو [yasmah Addu] يقول أو يخبرك خادمك اشقودوم [AŠqudum] عند وصولي إلى ترقا [Terqa] وصل أيضاً العراف تارام- شاكيم [Tarim-Šakim] وسألته هل أجرى ديد زونان [Did-Zunan] طقوس العرافة من أجل سلامة البلاد والمدن القوية (Heimpel, 2003, p. 210) وتتمتع للرسالة السابقة يكمل العراف برسالة أخرى حول عدم قيامه بطقوس العرافة، ولكنه قام بالاستبصار في مطلع الشهر لكي يحصن المدن من الشرور مثل مدينة ساغارتوم وكانت النتيجة مباشرة كما يذكر العراف قبل مغادرته سيحصن المدن التابعة ليسماخ إدو مثل ترقا وصوپروم وكل نتائج الاستبصار ترسل بتقارير ورسائل إلى الحاكم كما نصت الرسالة ٩٠: ٢٦ على "لم يقم بذلك وعدت معه إلى مدينة ساغارتوم [Saggaratum] في مطلع الشهر وقمت بإجراء طقوس استقصاء وتفاوض لصالح المدينة لمدة ستة أشهر وكانت النتائج ايجابية وقبل مغادرتي سوف اقوم بأجراء طقوس العرافة للمدن التابعة لسيدي، وكذلك مدن ترقا [Terqa] وصوپروم [Suprum] وماري [Mari] وسأرسل تقريراً مفصلاً لسيدي في أقرب وقت، وفي مدينة ساغارتوم [Saggaratum] أجريت طقوس التفاوض تتعلق بالقربان الشهرية والنذور، ووجدت علامات في الفص الأيسر كان هنالك علامة والجزء الوسط قد مال إلى الفص الايمن ليكن سيدي سعيداً (Heimpel, 2003, p. 211) (دالي، ٢٠٠٨، صفحة ١٩٨) وكما أشرنا سابقاً عن أهمية المدن وموقعها الاستراتيجي مثل مدينة ساغارتوم التي كانت تقع ضمن الجزيرة الفراتية العلي كما يمكن ان نستنتج من إحدى رسائل أرشيف ماري

(sasson, pp. 93-96) ، أما فيما يخص طقوس العرافة التي تعتمد على قراءة الكبد والاعضاء الداخلية فهي من أشهر الوسائل للاستطلاع على المستقبل واتخاذ القرارات فقرأ الفص الايسر من الكبد تعتبر اشارات ايجابية ويوضح النص كيف العراف يقوم بتحليل علامات محددة منقوشة على الكبد. من حيث الاتجاه ويستخدمها لتقديم النصائح وكذلك الابلاغ عن الاحداث والتطورات السياسية والعسكرية. ونجد ان هنالك رسائل اخرى قد أرسلت الى الحاكم يسماخ إدو من قبل عراف آخر يحمل اسمأپيل-إيليشو [Apil-Ilišu] ويذكر هذا العراف الذي كما يبدو أصبح عرافاً اداريا وهذا ما تعكسه رسالته التي يتحدث فيها عن صانع الجعة الذي هرب بتحريض من شخص يدعى IkŠud-AppdŠu [وتم إصدار أوامر صارمة إلى كبير السقاة بسبب هرب احد موظفيه وهو صانع الجعة، وهذا ما ورد في نص الرسالة ٩١: ٢٦ " إلى سيدي يسماخ إدو [yasmah Addu] يخبرك خادمك [Apil-Ilišu] بشأن Adanum [صانع الجعة في Laum] تحدث [Sammetar] الى Ilum-Asu [قائلاً: لقد هرب ثم اصدر]

العرفاء في بلاد الرافدين: دراسة من خلال وثائق ارشيف ماري

[Illum-Asu] أوامر صارمة إلى كبير السفاة من [Mari] إلى [Šubat-Enlil] هذه الامور المتعلقة بإبعادهم جاءت بتحريض من [Ikšud-AppdŠu] كذلك بخصوص الرسالة الموجودة على اللوح الكبير الذي أرسلته إلى سيدي، يجب على سيدي ان يرسل لي بسرعة رداً على لوح رسالتي" (Heimpel, 2003, p. 211)

ويسترسل العراف ابل- إيلش بإرسال الرسائل الى يسماخ إدو ومن هذه الرسائل كانت رداً على طقس قبول القرابين المقدسة من قبل يسماخ إدو فقد قام العراف بإجراء طقوس التفاوض وفحص أحشاء الحيوان ونتيجة هذا الفحص ان طقوس الخاصة بالحاكم يسماخ إدو هي مطمئنة ولا يوجد شيء يدعو للخوف ولا توجد خطورة كما جاء في نص الرسالة ٩٢: ٢٦ " الى سيدي يسماخ إدو [yasmah-Addu] يتحدث خادمك [Apil-IliŠu] قائلاً لقد استلمت القران الذي قدمه سيدي وأرسل طقوس التفاوض الخاصة به، وقد قبل الاله قران سيدي..... طقوس الكشف بالاحشاء الخاصة بقران سيدي ليست خطيرة بل هي مطمئنة وسليمة" (Heimpel, 2003, p. 212).

وفي نص آخر لنفس العراف يخبر فيه عن رغبته للعودة إلى مدينة ماري ليكون تحت لواء يسماخ إدو، وذلك بعد أن احتجزه أحد الأمراء أو ربما احد الموظفين الكبار والذي عرض عليه منصب رئيس أو مشرف على بيته لكن العراف ابل- إيلش قد رفض هذا العرض وأعرب عن رغبته في العودة كما ورد في الرسالة ٩٣: ٢٦ " إلى سيدي يتحدث خادمك [Apil-IliŠu]، أخبرت سيدي ان المدعو [Ihal-Pi-Elde] قد أوقفني كما أخبرت سيدي ان [Ihal-Pi-Elde] يحتجزي. ألن يطلق سيدي سراحي ماذا سأفعل هنا، أنه يغويني ويعرض علي منصب المشرف أو المسئول الكبير في منزله، يجب على سيدي ان يكتب إلى [Ihal-Pi-Elde] فأنا ارغب في العودة إلى سيدي" (Heimpel, 2003, p. 212)

ونجد ان رسائل العرافة تأخذ منحى آخر بعيداً عن الطابع الديني ونصوص الفأل والتنجيم الخاصة بالطالع والتنبؤ بالمستقبل، إذ نجد العراف يقوم بعمل الموظف الإداري وفضلاً عن دوره في نقل الأخبار التي تخص الأراضي الزراعية ويعود هذا التنقل في الوظائف والأدوار التي يقوم به العراف كونه جزء من نظام ديني دنيوي، على اعتبار ان النظام السياسي يستمد شرعيته من الإلهة، فضلاً عن كون العراف كان جزء من المعبد والمعبد هو مركز أداري من مهامه تنظيم الشؤون الاقتصادية لذلك نجد العراف يأخذ دور الموظف الإداري، ففي إحدى الرسائل المرسله من قبل العراف [Apil-IliŠu] هي عبارة عن تقرير حول الحقل المزروع وعن البذور والكميات المستخدمة وعن حاجته إلى كمية بذور اكبر ليتمكن من إنهاء الزراعة وفي ذات الوقت يطلب منه عدم التقاعس والإهمال وهذا ما ورد في النص ٩٤: ٢٦ من الرسالة التي فحواها: "الى [Erib-sin] يتكلم [Apil-IliŠu] قائلاً لقد كتبت لي تقرير حول الحقل الذي زرعت، لقد زرعت ٢٠ حقلاً صغيراً والبذور نفذت مني، أرسل لي ١٠٠ لتر من نفس البذور (السمسم)، وسأكمل

العرافة في بلاد الرافدين: دراسة من خلال وثائق ارشيف ماري

زراعة الحقل، لا تقل لم تكتب لي، ها أنا أرسل لك هذا اللوح، الحقل سيفقد رطوبته، لا تكن مهملاً" (Heimpel, 2003, p. 212)

وفي نقلة أخرى في واجبات العراف يسلط الضوء على إدارة الجيش وتنقلاتها، ان الترتيب الزمني للنص يرتبط بزمن محدد من حكم الملك يسماخ إدو، وان الإحداث التي دونها العراف التي عكست تحركات الجيش تظهر الأهمية الإستراتيجية لتلك الفترة وان إرسال ٦٠ جندياً وهم فئة قليلة ويكمن السبب في إرسال ذلك العدد الضئيل من الجند إلى المناطق المرسل إليها فهي عبارة عن قرى أو بلدات صغيرة وليست مدن كبيرة لذلك الرقعة الجغرافية لتلك البلدات لا تسمح بتواجد أعداد كبيرة من الجند ، ونلاحظ الدور الفعال للعرافين فعلى سبيل المثال لا الحصر العراف اريب رسن لم يكن مسئول عن طقوس التناول واستطلاع المستقبل فحسب بل كان مرافق للجيش لتقديم التقارير وإرسالها إلى يسماخ إدو ويقوم بمباركة الجند بذات الوقت وهذا ما ورد في نص الرسالة ٩٥: ٢٦ التي هي عبارة عن تقارير العراف اريب سن الذي كان يرافق قوات مملكته والتي يرجح انهم كانوا تحت قيادة [Ša Hiddan] احد قادة يسماخ إدو الذين كانوا متوجهين الى بابل: " الى سيدي يتحدث خادمك [Erib-sin] قائلاً :وصل صبي من [Menihum] قادماً من [Meptum] وقال يجب على القوات عبور المنطقة وقد عبر ٦٠ جندياً الى [Ša Hiddan] يجب ان يعرف سيدي بذلك". (Heimpel, 2003, p. 212)

الخاتمة

١. كان العراف جزء من النظام السياسي والاقتصادي، اذ كان العراف يعتبر موظفا رسميا داخل المعبد والقصر وكانوا يقدمون المشورة للحكام بناء على تفسيرهم للظواهر الطبيعية
 ٢. عد العراف انعكاسا لعلاقة البشر بالدين والسلطة ، وفقا لكون الملوك كانوا يعتبرون ممثلين للإلهة على الأرض لذلك تطلب الأمر الرجوع إلى العراف لفهم متطلبات و ارادة الإلهة.
 ٣. لم تكن العرافة مجرد خرافة كما اعتبرها البعض بل كانت نظاما متكاملًا يعتمد على ممارسات منظمة لفحص الكبد وتفسير الأحلام وتحليل الظواهر الكونية.
 ٤. ساعدت العرافة على تهدئة البشر من المستقبل ولاسيما الأمور المتعلقة بالكوارث أو الشيء المجهول ،أضافتا إلى ذلك أتاحت العرافة للحكام تبرير أفعالهم تحت مسمى أرادة الإلهة .
 ٥. مع مرور الزمن اشتقت من العرافة علوم أكثر تطور تعتمد على الدراسات العلمية مثل علم الفلك.
 ٦. على الرغم من تطور العلوم والدراسات الحديثة إلا ان دور العرافة لم يندثر بل لا يزال واضحا ولو بالشيء البسيط من خلال الممارسات الدينية التي لا تزال قائمة حتى يومنا هذا
- قائمة المصادر

١. اوتس جون، بابل تاريخ مصور، ترجمة، سمير عبد الرحيم (منشورات جامعة الكوفة، كلية الآثار والتراث، ١٩٩٠) ص ٢٦٩.

العرافة في بلاد الرافدين: دراسة من خلال وثائق ارشيف ماري

٢. ليث مجيد الكاهن في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآثار، ١٩٩١، ص ١١٧.
٣. فاضل عبد الواحد علي، طرق العرافة في النصوص المسمارية، مجلة كلية الآداب، ١٩٧٩، العدد ٢٥، ص ٦٩٥.
٤. فاضل عبد الواحد علي، سومر فكر ومعتقد (بغداد، مطبعة عدنان، ٢٠٢١)، ص ٢٣٦.
٥. سامي سعيد الاحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم (بيروت المركز الاكاديمي).
٦. ابنية لابات، المعتقدات الدينية، ١٩٨٨.
٧. سبينتيو، موسكاني، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، (لندن، ١٩٥٧، ص ١٩).
٨. سامي سعيد الاحمد، معتقدات العرافين القدماء في السحر والعرافة والاحلام والشور، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٣، بغداد ١٩٧٥، ص ٧٤.
٩. هادي شاكر، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، (لندن، ١٩٦٢) ص ٤٠١-٤٠٢.
١٠. جان بوتيرو، بلاد الرافدين، الكتابة- العقل- الالهة، ترجمة الاب البير أبونا، (دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٠)، ص ١٦٧-١٦٨.
١١. جان بوتيرو، الديانة عند البابلية، ترجمة: وليد الجادر، (بغداد ١٩٧٠)، ص ١٦١.
١٢. محمد عبد اللطيف محمد علي، سجلات ماري وما تلقيه من اضواء على التاريخ السياسي لمملكة ماري، (جامعة الاسكندرية، ١٩٨٥)، ص ٣٨.
١٣. ستيفاني، دالي، ماري وكارنا مدينتان بابليتان قديمتان، ترجمة: كاظم سعد الدين، (بيت الحكمة، ٢٠٠٨)، ص ١٩٨-٢٠٠.

المصادر الاجنبية

1. Kr. Zyszt of Vlanowski, Mesopotamian Divination some Historical Religious and Antnropological Remarks, Miscellanea Anthropologica et sociologica, 2014, 15, (4): p13.
2. Stefan M. Maul, The Art of Divination in the Ancient Near East: Reading the signs of Heaven, university press, 2018
3. Robert Asegal, Kockuvon stuckradl, Vocabulary for the study of Religion, Vo1, Boston, 2015.
4. JACKM. SASSon, TREATMENT of CRIMINALS AT MRI A-survey, Journal of the Economic and social History of the orient, vol xx, part1
5. Wolfdang Heimpel, Letters to the king of Mari, Indiana, 2003, p210
6. Jeremy Black , Andrew George ,Nichols Postgate , Aconcise Dictionary Of A kkadian , Harrassowitz Verlag , Wiesbaden(ACD), 2000, P39

إشكاليات التسمية
بين المسجد والجامع في العمارة الإسلامية

ا.م. د. منتصر صالح كاظم

قسم هندسة العمارة / كلية الهندسة / جامعة ديالى

Assistant Professor Dr. Montaser Saleh Kazim

muntaser.saleh@uodiyala.edu.uq

07733830497

إشكاليات التسمية بين المسجد والجامع في العمارة الإسلامية

أ.م.د. منتصر صالح كاظم

ملخص

لقد استبدلت كلمة مسجد بجامع في العمارة الإسلامية وبين عامة الناس كذلك، حتى أصبحنا لانسمع بكلمة مسجد الا قليلاً ، ان ما هو مألوف بين الناس ان الجامع فيه منبر وتقام فيه صلاة الجمعة ، اما المسجد فليس فيه منبر ولا تقام فيه صلاة الجمعة ، والحقيقة ان النسبة الأكبر من المساجد فيها منابر و تقام فيها صلاة الجمعة لذلك اخذ يتردد اسم الجامع اكثر من اسم المسجد ، وكلما كان المسجد كبيراً و يرتاده اعداد كبيرة من المصلين ثبتت تسميته بالجامع ، و من الخطأ ان يسمى مسجد في المفهوم الدارج ، وهذه الحقيقة المغلوطة التي نعمل على تصحيحها في هذا البحث ، لابد من ان هناك عوامل اثرت ودفعت بتحويل بعض المساجد الى ان تسمى جوامع، مع ان اطلاق تسمية جامع على بعض المساجد لم ترد في القرآن الكريم او سنة الرسول (ﷺ) ، او حتى في عهد الخلفاء الراشدين ، وهذا ما لاحظناه خلال البحث والتقصي قبل الخوض في إشكاليات التسمية بين المسجد والجامع لابد لنا ان نعرض العوامل التي اثرت على تخطيط وعمارة المسجد حتى أصبح بالشكل او الاشكال التي وصلت اليها تخطيط وعمارة المساجد ابتداءً من مسجد الرسول مروراً بالمساجد الأخرى.

Summary

The word (masjid) has been replaced by congregational mosque in Islamic architecture and among the general public as well, to the point that we rarely hear the word mosque. What is common among people is that a congregational mosque has a pulpit and Friday prayers are held in it, while a mosque does not have a pulpit and Friday prayers are not held in it. The truth is that the majority of mosques have pulpits and Friday prayers are held in them, so the name congregational mosque is repeated more than the name mosque. The larger the mosque is and the more worshipers visit it, the more it is called a congregational mosque. It is wrong to call it a mosque in the common concept, and this is the wrong fact that we are working to correct in this research.

There must be factors that influenced and prompted some mosques to be called congregations, although the name congregational mosque was not

mentioned in the Holy Quran or the Sunnah of the Messenger (may God bless him and grant him peace), or even in the era of the Rightly-Guided Caliphs, and this is what we noticed during the research and investigation. Before delving into the problems of naming between the masjid and the congregational mosque, we must present the factors that affected the planning and architecture of the mosque until it became in the form or forms that the planning and architecture of mosques reached, starting with the Prophet's masjid and passing through other mosques.

لقد استبدلت كلمة مسجد بجامع في العمارة الإسلامية وبين عامة الناس كذلك، حتى أصبحنا لانسمع بكلمة مسجد الا قليلاً ، ان ما هو مألوف بين الناس ان الجامع فيه منبر وتقام فيه صلاة الجمعة ، اما المسجد فليس فيه منبر ولا تقام فيه صلاة الجمعة ، والحقيقة ان النسبة الأكبر من المساجد فيها منابر و تقام فيها صلاة الجمعة لذلك اخذ يتردد اسم الجامع اكثر من اسم المسجد ، وكلما كان المسجد كبيراً و يرتاده اعداد كبيرة من المصلين ثبتت تسميته بالجامع ، و من الخطأ ان يسمى مسجد في المفهوم الدارج ، وهذه الحقيقة المغلوطة التي نعمل على تصحيحها في هذا البحث .

لابد من ان هناك عوامل اثرت ودفعت بتحويل بعض المساجد الى ان تسمى جوامع، مع ان اطلاق تسمية جامع على بعض المساجد لم ترد في القرآن الكريم او سنة الرسول (ﷺ)، او حتى في عهد الخلفاء الراشدين ، وهذا ما لاحظناه خلال البحث والتقصي .

قبل الخوض في إشكاليات التسمية بين المسجد والجامع لابد لنا ان نعرض العوامل التي اثرت على تخطيط وعمارة المسجد حتى اصبح بالشكل او الاشكال التي وصلت اليها تخطيط وعمارة المساجد ابتداءً من مسجد الرسول (ﷺ) مروراً بالمساجد الأخرى .

فكان للعامل المناخي اثر وللعامل الاجتماعي اثر وللعامل الأمني اثر وللعامل العسكري اثر و للعامل الاقتصادي اثر والعامل السياسي اثر، لذلك جاءت المساجد متنوعة في تخطيطها وعمارتها فقد اختلفت احجامها وتنوعت مآذنها وقبابها ومنابرها ... الخ ، حتى اثرت بعض هذه العوامل على ان يتحول اسم المسجد الى (جامع) مع ان هذا الاسم لم يرد في كتاب الله وسنة رسوله الكريم (ﷺ).

وهنا رأينا ان نعرض اثر بعض العوامل التي اثرت على تخطيط وعمارة المسجد، بشكل مختصر حتى نصل الى العامل الذي دفع بتغيير اسم المسجد الى جامع، وحل هذه الإشكالية في التسمية لكونها لها تداخلات لفظية ثم استغلت فيما بعد لدوافع سياسية، وقد أصبحت تسمية المسجد بالجامع خلال العصر الاموي بحجة ان الجامع تقام به صلاة الجمعة و فيه منبر وان المسجد لا تقام فيه صلاة جمعة وليس فيه منبر، مع هذا لا يتجرأ احد ان يقول: جامع الرسول (ﷺ) في المدينة (المسجد النبوي) او الجامع الحرام (المسجد الحرام) او الجامع الأقصى (المسجد الأقصى)، فجميعهم يطلق عليهم مساجد وفيهم صلاة جمعة ومنبر . لماذا يطلق على غيرهم اسم جامع ؟ ولم ترد في القرآن هذه التسمية (الجامع) لهذا المعنى بل وردت مسجد و مساجد وبيت وبيوت ومصلى ، كما لا يتجرأ احداً ان يقول : تحية الجامع على تحية المسجد حتى وهو ذاهب الى صلاة الجمعة يصلي تحية المسجد ، ويفترض هو في جامع حسب مفهومهم لماذا لم يسموها تحية الجامع ، لان الاحاديث وردت بتسميتها (تحية المسجد) .

لقد اثرت مجموعة عوامل على تخطيط وعمارة المسجد ، لان الأصل في إقامة الصلاة وأداء هذه الفريضة يكون على الأرض، قال (ﷺ): (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة).^(١) وان الرسول (ﷺ) (كان يصلي في ماربض الغنم قبل أن يبنى المسجد).^(٢)

وعندما اقام الرسول (ﷺ) مسجد قباء ثم مسجده في المدينة المنورة لم تكن هناك شروط او قواعد لبنائهما في القرآن او السنة الشريفة ، سواء الاتجاه الى القبلة التي كانت في البداية الى بيت المقدس، ثم حولت الى المسجد الحرام. قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

مما تقدم نستنتج ان اختيار موضع المسجد كان ليعلم الناس مكان الصلاة ولا يتشتتون والى أي جهة يذهبون لأداء الصلاة حين يحين وقتها ، فجعل الرسول (ﷺ) المكان معلوم وواضح ، ثم جعل (ﷺ) المساحة التي أرادها مسجداً يحاط بها جدار ، وهذا لأسباب اجتماعية ، كي لا يتجاوز احداً على مساحة المسجد من الناس في البناء، وان مسجد الرسول (ﷺ) والمساجد فيما بعد كانت محاطه بدور الناس ومساكنهم ، حتى ان سعد بن ابي وقاص جعل حدود جامع الكوفة خندق كي لا يتجاوز على مساحته الناس في البناء .^(٤) وهنا واضح اثر العامل الاجتماعي على المسجد.

ثم شكا الصحابة للرسول (ﷺ) من شدة الحر فأمر ببناء ظلة في الجهة الشمالية عندما كانت القبلة الى بيت المقدس ، وقبلها جعل أساس جدار المسجد من الحجر وهذا بسبب العوامل الطبيعية منها الرطوبة ثم الظلة بسبب العوامل الجوية ، وعندما تحولت القبلة الى الجهة الجنوبية امر الرسول (ﷺ) ببناء ظلة في الجهة الجنوبية وترك الظلة الشمالية ليستظل فيها اهل الصفة ، وبهذا الصبح شكل المسجد له ظله شمالية لعامل اجتماعي و ظلة جنوبية،^(٥) لعوامل مناخية.

ومن الملاحظ ان اول عمل اثر على تخطيط وعمارة المساجد العامل المناخي وبسببه تنوعت اشكال المساجد فيما بعد تنوعاً كبيراً ، حتى أصبحت مساجد ذات مصلى مغلق شتائي ومفتوح صيفي ،^(٦) ومساجد معلقة لعوامل مناخية و اقتصادية ، كما كان للحاجة الوظيفية دوراً مهماً، فظهر المحراب و المنبر و القبة و المئذنة، ثم ظهر المقصورة في المساجد،^(٧) بسبب العامل الأمني .

ومن هذا نلاحظ تغير شكل المسجد بسبب عوامل مختلفة ،حتى العناصر العمرانية في المسجد اخذت اشكال مختلفة مثل القباب و المآذن ومواد البناء ، بسبب المناخ وتعبير عن الاستقلال السياسي في بعض الأحيان . ان الحديث عن العوامل المؤثرة في تخطيط وعمارة المسجد واسعة ومتنوعة لكننا نرى ان نكتفي بما قدمنا وان الصورة أصبحت واضحة للقارئ ، حتى لا نتشعب ونبتعد عن موضوع البحث .

إذاً كيف تحول اسم المسجد الى جامع ؟ وما الأسباب وراء ذلك ؟ وما العوامل التي اثرت على التسمية كما اثرت العوامل الأخرى على شكل المسجد (التخطيط والعمارة).

ان كلمة جامع لم ترد في القرآن الكريم لهذا المعنى ، بل وردت من أسماء الله الحسنى ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (٩). (8) قَالَ تَعَالَى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (١٠). (٩) وجاءت تعبير عن وصف، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ (٦٢). (١٠).

ولم ترد كلمة جامع في القرآن معرفة ب(ال) التعريف . ولم ترد بالمعنى الذي اتخذه لاحقاً بمعنى مكان للصلاة وهو مسجد كبير تقام في صلاة الجمعة كما يفرقون اليوم بين المسجد والجامع وهو بعيد عن الصواب .

اما مسجد فقد ورد في القرآن الكريم لمعناه المراد وهو مكان الصلاة والعبادة ولقد ورد في القرآن الكريم بلفظة مسجد (٢) و بلفظة المسجد (١٥) و بلفظة مساجد (٣) و بلفظة المساجد (٢) ، و يلاحظ ان المسجد في القرآن الكريم اتى مفرد وجمع ومعرف ونكرة (٢٢) مرة. وسوف نعرض بعض الآيات على سبيل المثال لا الحصر .

١- مسجد : قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَمْرِي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٢٩). (11)

٢- المسجد : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨). (12)

٣- مساجد : قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (١٧). (13)

٤- المساجد : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (١٨). (١٤)

كما ورد اسم بيت تدل على المسجد الحرام (الكعبة) في القرآن ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٩٦). (15) قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ

تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾. قَالَ (١٦) تَعَالَى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا
الْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾ (١٧) ثم اختص المسجد الحرام باسم (البيت العتيق) لأنه أول بيت وضع
للناس. (١٨) قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ
الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ
الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾. (٢٠)

كما جاء ذكر المساجد باسم البيوت قَالَ تَعَالَى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾. (٢١)
لقد جاءت لفظة بيت في القرآن الكريم تدل على المسجد والمساجد ، وجاءت مفرد
وجاءت جمع، وجاءت تخص المسجد الحرام كما هو وارد في الآيات الكريمة أعلاه .
إذا لماذا يطلق على المسجد بيت ؟ ان سبب تسمية المسجد بالبيت أتت بلغة العرب،
ويسمى تسمية الجزء بالكل (وهو احد أنواع البذل في اللغة العربية)، اذ ان العرب تسمى
كل بناء له مسقف واحد بيت ، (٢٢) اي ليس في تفاصيل او وحدات بنائية في الداخل أي
خالي من التقاسيم كالحجر و المطبخ وغيرها من اقسام المنازل يكون اشبه بالقاعة ، لذلك
يقال : (بيت الشعر) ولا يقال : منزل الشعر او دار الشعر . ولان المسجد بناء واحد مسقوف
خالي من التقاسيم الداخلية اطلق عليه بيت ، وهو كما ذكرنا تسمية الجزء بالكل باللغة
العربية .

وما يؤيد هذا الكلام استعمال كلمة بيت في القرآن هو بناء واحد خالي من التقاسيم الداخلية .
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرَهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾. (٢٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ
جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ
سُھُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي
الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾. (٢٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا
ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾. (٢٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ

وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ﴾ ﴿٢٧﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾.

هكذا ميز القرآن الكريم مفهوم البيت ، فذكر ما ينحت في الجبال بيوت و بيت النحل وبيت العنكبوت لكونها ذات سقف واحد دون تقسيم أي خالي من الوحدات البنائية مثل الحجر والممرات والمطابخ وغيرها من الوحدات البنائية ، وهذا ما كانت تسمية العرب كما ذكرنا سابقاً . ولكن عندما أراد الله ذكر مساكن النمل لم يقل عز وجل بيوت بل قال : مساكن . قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾.

وهذا ما اثبتته العلم الحديث بالتجربة والملاحظة و المتابعة ، لقد تبين ان مساكن النمل تحتوي على وحدات بنائية متعددة من حجر و غرف وممرات ومخازن وغرف حراسة ... الخ، من الوحدات البنائية ، حتى ان المهندسين في العمارة اخذوا مسكن النمل نموذجاً لبناء اطلقوا عليه اسم (البيت العصري) نال جائزة الأمم المتحدة للبيئة. (٣٠) لذلك لم يطلق على مساكن النمل بيت ، ولم يطلق على المسجد اسم مسكن كما اطلق على المسجد اسم بيت ، وهذا هو السبب كما ورد عند العرب ، كما ذكرنا سابقاً . ولم يطلق على المسجد اسم منزل او قصر او دار لأنه لكل واحدة منها لها أسباب في التسمية باللغة العربية ، ولم نجد ضرورة في الخوض بها كي لا يتوسع البحث ويبتعد عن الموضوع الرئيس كما انها لم تنطبق على شكل المسجد كما انطبق مفهوم البيت في المسجد من ناحية البناء عند العرب .

مصلی: الموضع في البيت يتخذ للصلاة. (٣١) وكما هو وارد اليوم مكان مخصص للصلاة في البيت او الشركة او الدائرة او أي مكان عمل، مكان يخصص لصلاة ، وما يؤيد صحة هذا الكلام احاديث الرسول (ﷺ) ، أن عتبان بن مالك، كان يؤم قومه وهو أعمى، وأنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، إنها تكون الظلمة والسييل، وأنا رجل ضير

البصر، فصل يا رسول الله في بيتي مكانا أتخذه مصلى، فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أين تحب أن أصلي؟» فأشار إلى مكان من البيت، فصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٣٢)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتِيَهَا فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهَا فَتَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، فَأَتَاهَا فَعَمِدَتْ إِلَى حَصِيرٍ فَنَضَحَتْهُ بِمَاءٍ، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَصَلُّوا مَعَهُ». (٣٣)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُوَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ عَمَتِهِ أُمِّ حُمَيْدٍ امْرَأَةِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّهَا جَاءَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُحِبُّ الصَّلَاةَ مَعَكَ، قَالَ: " قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تُحِبِّينَ الصَّلَاةَ مَعِي، وَصَلَاتِكَ فِي بَيْتِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي دَارِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي دَارِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِي "، قَالَ: فَأَمَرْتُ فَبُنِيَ لَهَا مَسْجِدٌ (مصلى) فِي أَقْصَى شَيْءٍ مِنْ بَيْتِهَا وَأَظْلَمِهِ، فَكَانَتْ تُصَلِّي فِيهِ حَتَّى لَقِيَتهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. (٣٤) وإن اسم مصلى جاء في القرآن الكريم مرة واحدة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ

مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ١٢٥﴾. (٣٥)

نلاحظ في الآية الكريمة ان كلمة مصلى أتت قبلها لفظة بيت (اذ جعلنا البيت مثابة للناس) وبعدها لفظة بيت (ان طهرا بيتي للطائفين) ، وان مقام إبراهيم هو مكان محدد في البيت الحرام لذلك اطلق عليه مصلى . وجاء يتماشى مع قول العرب: ان المصلى الموضع في البيت يتخذ للصلاة، (٣٦) وهكذا الامر واضح بين المسجد والمصلى و البيت .

لكن الإشكالية في تسمية الجامع ، ان اسم المسجد له خصوصية ، اما اسم جامع فهو عام ، وربما سائل يسأل ، المسجد يجمع الناس فبإمكاننا ان نسميه جامع؟ اذا كان كل ما يجمع الناس يمكن ان يسمى جامع اذا السوق جامع والمدرسة جامع و المستشفى جامع ... الخ ، كل ما يجمع الناس ، ونحن نريد الاسم الأخص والادق وما ورد في القرآن والسنة. لذلك حتى تسمية المسجد بالبيت تأتي خاصة وليست عامة ، فيقال البيت معرفة تعني البيت

الحرام قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا ...﴾ (٣٧) أو البيت الحرام أو البيت العتيق وبيت المقدس (المسجد الأقصى) على عامة المساجد بيوت الله وبيت الله .
في القرآن الكريم لا توجد كلمة جامع للفظه المقصودة بل مسجد كما ذكرنا سابقاً، كما ان في السنة الشريفة لم يرد اسم جامع للمعني المقصود بل مسجد و المساجد في الإسلام واولها هي ثلاث مسجد الحرام ومسجد الرسول (ﷺ) في المدينة و المسجد الأقصى . و ورد في الحديث الشريف ، قال الرسول (ﷺ) : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى). (٣٨)

هنا لابد من العودة الى السؤال الذي طرحناه ، كيف تحول اسم المسجد الى جامع ؟ وما الأسباب وراء ذلك ؟ يبدو كانت بعض التداخلات والتحويلات في التسميات والالفاظ ثم تم استغلالها والاستفادة منها لأسباب سياسية .

لقد كان يطلق على الامصار التي فتحها المسلمون مثل البصرة والكوفة اسم مصر، (٣٩) كما يطلق اسم مصر الجامع على المدينة، (٤٠) ومن هذا يتضح كان يطلق على مدينة البصرة اسم مصر الجامع وكذلك على الكوفة وباقي الامصار ، وعندما يقال : مسجد مصر الجامع يقصد به مسجد المدينة ، لكون مصر الجامع هي المدينة كما بينا ، وهذا يعني عندما يقال : اذهب الى الجامع يعني الى المدينة ، وعندما يقال: اذهب الى مسجد الجامع ، يعني مسجد المدينة او مصر . ولا يصح ان نقول : المسجد الجامع ، لأنه كمن يقول : (المستشفى المدينة) على مستشفى المدينة ، كما لا يصح ان نقول : (المساجد الجامعة) بل مساجد الجوامع (وتعني مساجد المدن) .

وان معنى جامع تأتي بمعنى قرية ايضاً ، (٤١) القرية: اسم لما يجمع جماعة كثيرة من الناس. وَهُوَ اسْمٌ مأخوذ من الجمع. تقول: قريت الماء في الحَوْضِ، إذا جمعته فيه. وَيُقَالُ: للحوض الَّذِي فِيهِ الماء: مقرة. (٤٢)

حتى ان كلمة (مسجد الجامع) خاض فيها النحاة و فصلوا فيه واجابونا وحلوا لنا الإشكالية لكنهم لم يجدوا اذنأ صاغية لهم من الآثاريين واستمرت هذه المغالطة في التسمية حتى عند رجال الدين وعامة الناس الى يومنا هذا.

وهذا عند العرب يسمى إضافة المترادفين : اذ ان المضاف يتخصص بالمضاف اليه او يتعرف به ، والشيء لا يختص او يتعرف بنفسه ، فلا بد ان يكون غيره في المعنى ، ولذلك ذهب جمهور النحاة الى انه لا يجوز إضافة المترادفين ، فلا يقال : (ليث اسد) ، اما ما ظاهره إضافة الموصوف الى صفته فمؤول على حذف المضاف اليه نحو (مسجد الجامع) اصله (مسجد المكان الجامع) ، فالجامع صفة للمكان لا للمسجد ، ثم حذف المضاف اليه وهو (المكان) وأقيمت صفته مقامه فلم يضاف الموصوف الى صفته بل الى صفة غيره و هو المضاف اليه المحذوف ،^(٤٣) (المكان) .

وهذا ما اردنا الوصول اليه بان كلمة جامع تعني المدينة او المصر او القرية الكبيرة (المكان) وليست لها علاقة بالمسجد ، وربما استعمل في ما بعد مصطلح (مسجد الجامع) مقصود به مسجد المدينة، واصبح مصطلح تألفت الناس عليه .

ثم استغل سياسياً في العصر الاموي واخذ يطلق على المسجد اسم الجامع ، او المسجد الجامع ، ويفرقون بينه وبين المسجد انه تقام به صلاة جماعة وفيه منبر ، وهذا غير صحيح .

ان صلاة الجمعة تسمى (صلاة الجمعة) وليست الصلاة الجامعة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤٤).

والصلوات الخمس هي ليست جامعة بل تسمى الصلوات الخمس ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، وأداء الأمانة، كفارة لما بينهنَّ»^(٤٥) و الاحاديث كثير في تسمية صلاة الجمعة والصلوات الخمس ، بأسمائها وليست صلاة جامعة ، بل حتى صلاة العيدين وصلاة الاستسقاء هي ليست صلاة جامعة لان وقتها معلوم و محدد قبل زمن من اقامتها، الصلاة الجامعة هي الصلاة التي يعلن عنها بشكل مفاجئ وسريع لأمر طارئ ولا يقام لها اذان بل بدل الاذان ينادى: (الصلاة جامعة الصلاة جامعة الصلاة جامعة) فيعرف المسلمون ان هنالك امر طارئ وسريع ، لقد امر الرسول (ﷺ) بان ينادى للصلاة الجامعة ، عندما اخبره الراعي بقصته مع الذئب ، عَنْ أَبِي

سَعِيدُ الْخُدْرِيِّ قَالَ: عَذَا الذَّنْبُ عَلَى شَاةٍ، فَأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي، فَانْتَرَعَهَا مِنْهُ، فَأَقْعَى الذَّنْبُ عَلَى ذَنْبِهِ، قَالَ: أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ، تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا عَجَبِي ذَنْبٌ مُفْعٍ عَلَى ذَنْبِهِ، يُكَلِّمُنِي كَلَامَ الْإِنْسِ، فَقَالَ الذَّنْبُ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْثِرُ الْبُيُوتَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، قَالَ: فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ، حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَرَوَاهَا إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتُودِي الصَّلَاةَ جَامِعَةً، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ لِلرَّاعِي: «أَخْبِرْهُمْ» فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السَّبَاعُ الْإِنْسَ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذْبَةً سَوَطِهِ، وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَيُخْبِرُهُ فَخْذُهُ بِمَا أَخَذَتْ أَهْلُهُ بَعْدَهُ». (٤٦)

ونودي لصلاة الجامعة عندما اسلم الصحابي (تميم الداري) كان رجلا نصرانيا، فاخبر الرسول (ﷺ) عن مسيح الدجال ، واتي موافق لما اخبر به الرسول (ﷺ) ، فنودي للصلاة الجامعة واخذ تميم الداري يقصص على الناس قصة مسيح الدجال، التي اخبر بها قبله الرسول (ﷺ). (٤٧)

كما ينادى الصلاة جامعة أو النداء بالصلاة جامعة: وذلك حين يدعو الإمام الناس إلى الصلاة، ولا يكون هذا إلا في صلاة الكسوف أو الخسوف، أو حين يريد أن يعلن لهم أمراً مهماً أو نبأ، (٤٨) كما ذكرنا سابقاً. هذا اصل الصلاة الجامعة وليست لها علاقة بتسمية الجامع كما ادعوا .

لقد ذكرنا في مقدمة البحث ان تخطيط وعمارة المساجد تأثرت بعدة عوامل منها طبيعية ومناخية واجتماعية حتى اتي اثر العامل السياسي الذي تبني هذه التسمية (الجامع) بدل المسجد في العصر الاموي ، لان الخلفاء والحكام يتخذون بعض العلماء مقصداً يلتمسون منه رضا عامة الناس وإيجاد من يسوغ لهم افعالهم ولا يعارض اقوالهم . (٤٩) فكانوا يعملوا على جمع الناس في مسجد واحد في صلاة الجمعة ، ولاسيما ان الخليفة كان في العاصمة هو الخطيب و في المدن من ينوب عنه من الولاة ، ليسوقوا سياسة الدولة ويبرروا للقرارات التي تعكر صفوة الشعب وتجعله يغضب على رجال الحكم ، وكما هو معلوم ان الأوضاع السياسية في الدولة الإسلامية أصبحت غير مستقرة ويسودها الخلاف والثورات والعصيان

والتمرد بعد استشهاد الامام علي (عليه السلام) ، لذلك حاولت الدولة الاموية فرض السيطرة بكل الوسائل ومنها استعمال المسجد ، لذلك اول تسمية وردت (المسجد الجامع) حسب ما تبين لنا من خلال الروايات التاريخية عن مسجد البصرة و في ولاية زياد بن ابية (٤٥-٥٣هـ/ ٦٦٥-٦٧٢م)، في خلافة معاوية بن ابي سفيان ، ليجمع الناس الى صلاة جامعة موحدة في المسجد الجامع ، والتخلي عن صلاة الجمعة وعدم شرعيتها في مساجد القبائل ، وكان هدفه سياسي بحت ، ليجمع الناس تحت امام او والي يمثل الخليفة ويسوق سياسة الدولة ويعمل على تثبيت شرعيتها ، ويصرف القبائل عن مساجدها ، فكما هو معلوم ان لكل قبيلة مسجد، بل حتى تخطيط المدن الإسلامية الأولى والامصار كان يتم على شكل قبلي^(٥٠)، وكان نظام الجند الاموي هو نظام قبلي^(٥١)، فكانت القبائل اما ان تكون مصدر قوة للدولة عندما تكون مؤيدة او مصدر ضعف عندما تكون معارضة، لذلك استعمل زياد بن ابية والي البصرة (٤٥-٥٣هـ / ٦٦٥-٦٧٣م) خلال خلافة معاوية، أسلوب الترغيب والترهيب لرؤساء القبائل ، لإدخالهم تحت سيطرة الدولة الاموية وضمان عدم تمردهم عليها ، فقد اعطى عطايه من مال بيت المسلمين لشرائهم^(٥٢) ومن جهة أخرى قد حمل زياد القبائل مسؤولية افرادها واخذ اشرافها و رؤسائها بجرائم رجالهم واجبرهم على تأديب سفهاء قومهم من يتمرد على السلطان^(٥٣). وبشكل عام عمل زياد على اضعاف القبائل في البصرة والكوفة ليقفل من خطرهما على السلطة الاموية وكما هو معلوم ان كثير من الثورات واعمال التمرد والعصيان على السلطة الاموية كانت تخرج من العرق ، حتى ان زياد بن ابية قد هجر بعض القبائل الى خراسان والشام و مصر^(٥٤).

وعندما كانت بعض القبائل تشكل خطراً بهذا الحجم على السلطة الاموية ، وكما هو معلوم ان المنابر في المساجد هي وسيلة للتحريض والتثقيف لمجابهة السلطة الاموية في القبائل المعارضة ، وان لكل قبيلة مسجدها^(٥٥) تجتمع فيه وتوحد قوتها وترسم سياستها داخل المسجد ، لذلك لا بد من ان زياد يقوم باتخاذ بعض التدابير والحيطة اتجاه المساجد ، فجعل حرس على بعض المساجد ليلاً^(٥٦)، لان المعارضين يجتمعون في المساجد ويجتمع الناس إليهم فيذمون معاوية ويشتمونه ويذكرون زيادا فينتقصونه^(٥٧).

لذلك عمل زياد على جمع القبائل في مسجد واحد لاسيما في صلاة الجمعة ليأمن شر المعارضين ويفرض عليهم سياسة السلطة الاموية ويعتبر اعتراف بشرعية السلطة الاموية من قبل المعارضين ، وقيل المسجد الجامع لاجتماع أهل القبائل فيه فهذا أصل هذا ،^(٥٨) وهذا ما عمل عليه زياد.

لذلك عمل زياد على توسيع مسجد البصرة وأضاف له ابهة وعظمة في السعة و العمارة، اذ زاد في المسجد زيادة كبيرة وبناء بالآجر والجص وسقفه بالساج، وقال: لا ينبغي للإمام أن يتخطى الناس فحول دار الإمارة من الدهناء إلى قبلة المسجد فكان الإمام يخرج من الدار في الباب الذي في جدار القبلة،^(٥٩) حتى ان فتح مدخل للأمام في جدار القبلة كان له دافع سياسي حسب ظننا، لكي يبقى الامام وهو في الغالب الوالي ، مهابا بينه وبين الناس حواجز ، فان مسألة تخطي الامام المصلين كانت موجودة في عهد الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين ولم ينه الرسول (ﷺ) عنها .

وجعل زياد حين بنى المسجد ودار الإمارة يطوف فيها وينظر إلى البناء ثم يقول لمن معه من وجوه أهل البصرة (أترون خلا) فيقولون : (ما نعلم بناء أحكم منه) فقال : (بلى هذه الأساطين التي على كل واحدة منها أربعة عقود لو كانت أغلظ من سائر الأساطين)،^(٦٠) حتى قيل فيه :-

بنى زياد لذكر الله مصنعة ... من الحجارة لم تعمل من الطين

لولا تعاون أيدي الانس ترفعها ... إذا لقلنا من أعمال الشياطين

وبنى منارته بالحجارة، وهو أول من عمل المقصورة ونقل دار الإمارة إلى قبلة المسجد.^(٦١) ومن خلال هذه السعة في عمارة مسجد البصرة جعل زياد مسجد البصرة مختلفاً بشكل كبير عن مساجد القبائل ، ليصرف القبائل عن مساجدهم وبهذا يحقق هدفه السياسي من جمع اكبر عدد من القبائل في مسجد البصرة ، وهذا ما صرح به كرزويل اذ قال: (شعر [أي زياد] بان مساجد القبائل خطرا عليه وبالتالي رغبته في تزيين وتوسيع المسجد الكبير حتى يطغى على مساجد القبائل بروعته وابعاده بحيث يجذب الجميع اليه).^(٦٢)

من الواضح ان زياد عمل كل هذه التغييرات في مسجد البصرة لأهداف سياسية ، جمع القبائل وصرفهم عن مساجدهم ، وربما حتى بناء المأذنة التي اعدّها فريد شافعي، اول مأذنة

في الإسلام،^(٦٣) مستنداً الى رواية المقرئزي التي قدمناها أعلاه، وكان بناء المأذنة كي ينطلق صوت المؤذن مع الريح الى ما يشاء ليصل الاذان لأكبر عدد من الناس وبهذا يجبرهم على الاستجابة من الناحية الشرعية قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾. (٦٤) وحسب ما أوصى به رسول الله (ﷺ): (الْجُمُعَةُ عَلَىٰ كُلِّ مَن سَمِعَ النَّدَاءَ). (٦٥) ويبدو ان زياد وجد في المسجد مساحة كبيرة تصلح لتنفيذ غاياته السياسية وفرض سيطرته على البصرة ومن ثم العراق بشكل عام ، لكون العراق كان يشكل تهديداً خطيراً للسلطة الاموية ، حتى انه اول من بنى المقصورة كانت ذات دافع سياسي لان زياد كان عمله الأساسي جمع معارضين واعداء السلطة الاموية في المسجد، فمن المؤكد ان هذا يشكل عليه خطر او على كبار رجال السلطة الاموية في حالة حضورهم المسجد ، لهذا بنى مقصورة للمسجد اعدت اول ظهور لها في المساجد. (٦٦)

ومن الواضح ان زياد كان مهتماً بخطبة الجمعة وللأسباب التي ذكرناها سابقاً ، حتى ان الامويين ابتدعوا بدعة إطالة الخطبة في صلاة الجمعة ، وهذا مخالف لسنة رسول الله (ﷺ) ويقتلون من يعارضهم على إطالة خطبة الجمعة. (٦٧) ويبدو ان اهتمام الامويين تركز على صلاة الجمعة لاستغلال خطبة الجمعة في الدعاية السياسية والدعاء للخليفة والهجوم على خصومهم . ومن الواضح ان الامويين الذين لم يتركوا شيء يخدمهم في أمور السياسة وفرض سيطرتهم ، قد وظفوا تسمية (مسجد الجامع) الى (المسجد الجامع) وثقفوا على انه لا تقام صلاة الجمعة الا في المسجد الجامع وصلاة القبائل في مساجدهم باطلة ، بحسب ما روى عن الامام علي (عليه السلام) قال: (لا الجمعة ولا تشريق إلا في مصر جامع)، (٦٨) وهذا القول موقوف عن الامام علي ، والحقيقة ان هذا ليس بحديث عن لرسول (ﷺ) بل قد نقل عن حدث ان اجتمع عيدين للمسلمين عيد وجمعة فاراد الرسول (ﷺ) ان يخفف عن الناس خارج المدينة فمن الصعب ان يأتوا الى صلاة العيد ويبقوا الى صلاة الجمعة فغفاهم من صلاة الجمعة رافئة بهم ، عن ذكوان، قال: (اجتمع عيدان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " إنكم قد أصبتم خيراً وذكراً، وإنا مجمعون فمن شاء أن يجمع فليجمع ومن شاء أن يرجع فليرجع " قال أبو جعفر: ففي هذا الحديث كشف المعنى الذي ذكرنا احتمال الحديث

الأول إياه ، وقد روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قد كان أمر أهل العوالي^(٦٩) بمثل ذلك في يوم اجتمع فيه عيدان من أيامه.^(٧٠)

وحقيقة الامر ان العبادات ليست لها علاقة بوجود الحاكم او الأمير او مواد البناء لتفرق بين الامصار والقرى ، لذلك هناك من جوز صلاة الجمعة في القرى من المذاهب ، الامام الشافعي: (فإنه لا يشترط المصر بل يجوزها في كل موضع إقامة سكنه أربعون رجلاً أحراراً لا يظعنون منه شتاء ولا صيفاً)، وبه قال الامام أحمد، وقال مالك: تقام بأقل من أربعين،^(٧١) واحتجوا بحديث ابن عباس (ﷺ) أنه قال: أول جمعة جمعت، بعد جمعة جمعت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، في مسجد عبد القيس بجواثي، يعني قرية من البحرين،^(٧٢) وبقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : (الجمعة على من سمع النداء)^(٧٣) والى الوقت الحاضر تقام صلاة الجمعة في مساجد القرى والارياف دون أي اشكال شرعي يذكر .

ومن خلال هذا المعترك السياسي ظهرت كلمة المسجد الجامع والذي يجب ان تقام فيه صلاة الجمعة ولا يجوز ان تقام في المسجد الذي اعتبروه اصغر حجماً ، ومن خلال اطلعنا على كثير من الروايات التاريخية ان الأقاليم التي أصبحت ساحة للصراعات السياسية يطلق على مساجدها الكبيرة اسم جوامع و خير مثال الجامع الاموي في دمشق ، وجامع احمد بن طولون في مصر وجامع القيروان في تونس وجامع قرطبة في الاندلس ، اما في المدينة و مكة فقد سكنها الصحابة و العلماء الزاهدين الذين ابتعدوا عن الصراعات السياسية لذلك بقت المساجد تحمل اسم المساجد ولم يتغير اسمها .

وهذا ليس بغريب استغلال المسجد في الأمور السياسية ، حتى ان المنافقين من المشركين حاولوا استغلال المسجد لضرار المسلمين وخدمة لكفرهم وتقريباً بين المؤمنين، فهم بَنَوْا مسجد (مسجد ضرار)، ثم طلبوا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصلي معهم في المسجد الجديد أثناء خروجه لغزوة تبوك فاعتذر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأوضح لهم: إنما في حال لا يسمح بذلك، وإن شاء الله عند عودتنا من الغزوة نصلي فيه. وبعد أن عاد من الغزوة حاولوا أن يستوفوه وعده، ويطلبوا منه الوفاء بوعده، فإذا بجبريل ينزل عليه بالآيات التي توضح حكاية هذا المسجد، وكيف أنه مسجد ضرار؛ لأن الله علم نيتهم في ذلك.^(٧٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ

وَأَرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧﴾. (٧٥) فارسل الرسول (ﷺ) عدداً من الصحابة ليهدموا هذا المسجد وأن يجعلوا من موضعه مكان للقمامة. (٧٦) وبعد ان شاع اسم المسجد الجامع اختصر الى الجامع وهذا مانحن عليه اليوم، وخلاصة القول : لقد استبدلت تسمية المسجد بالجامع بدوافع سياسية بحتة بعد ان كان في بداياتها تداخل لفظي كما بينا.

الهوامش:

- ١- صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٤٣٨.
- ٢- صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٤٢٩.
- ٣- سورة البقرة ، اية : ١٤٤.
- ٤- الطبري ، محمد بن جرير أبو جعفر ، تاريخ الأمم والرسل والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٤٠٧ ، ج ٢ ، ص ٤٧٩.
- ٥- السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (تُوفي ٩١١هـ/١٥٠٥م)، وفاء الوفي بأخبار دار المصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٧١، ج ١، ص ٢٥٩.
- ٦- للمزيد حول اشكال المساجد وتنوع تخطيطها وعمارتها ينظر: الأميــــن، سلوى إبراهيم توفيق محمد ، نُظم تخطيط المساجد السلجوقية وأثرها في تخطيط مساجد العراق ، رسالة ماجستير ، قسم الآثار ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠١٤ .
- ٧- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ١٩٨٨ م ، ص ٣٣٨ .
- ٨- سورة ال عمران ، اية ٩.
- ٩- سورة النساء ، اية ١٤٠.
- ١٠- سورة النور ، اية ٦٢.
- ١١- سورة الأعراف ، اية ٢٩.
- ١٢- سورة البقرة ، اية ١٤٩.
- ١٣- سورة التوبة ، اية ١٧.
- ١٤- سورة الجن ، اية ١٨.
- ١٥- سورة آل عمران، اية ٩٦.
- ١٦- سورة البقرة ، اية ١٥٨.

- ١٧ - سورة قريش ، اية ٣.
- ١٨ - القيرواني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي بالولاء من تيم ربيعة البصري ثم الإفريقي (ت: ٢٠٠هـ)، تفسير يحيى بن سلام ، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، ج ١، ص ٣٦٨.
- ١٩ - سورة الحج ، اية ٢٩.
- ٢٠ - سورة الحج ، اية ٣٣.
- ٢١ - سورة النور ، اية ٣٦.
- ٢٢ - أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، كتاب الكليات ، تحقيق : عدنان درويش و محمد المصري، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٢٣٩.
- ٢٣ - سورة الشعراء ، اية ١٤٩.
- ٢٤ - سورة الأعراف ، اية ٧٤.
- ٢٥ - سورة الحجر ، اية ٨٢ .
- ٢٦ - سورة النحل ، اية ٦٨.
- ٢٧ - سورة النحل ، اية ٨٠.
- ٢٨ - سورة العنكبوت ، اية ٤١.
- ٢٩ - سورة النمل ، اية ١٨.
- ٣٠ - عبد الجواد ، احمد ، موسوعة البيئة للوطن العربي ، اغرب المجتمعات ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠١، ص ١٢٦.
- ٣١ - اليمني، نشوان بن سعيد الحميري (ت: ٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، المحقق: حسين بن عبد الله العمري و مطهر بن علي الإرياني و د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩ ، ج ٣ ، ص ٣٧٩٨.
- ٣٢ - صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٦٦٧.
- ٣٣ - سنن النسائي ، رقم الحديث : ٧٣٧.
- ٣٤ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث : ٢٧٠٩٠.
- ٣٥ - سورة البقرة ، اية ١٢٥.
- ٣٦ - اليمني، نشوان بن سعيد الحميري (ت: ٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، المحقق: حسين بن عبد الله العمري و مطهر بن علي الإرياني و د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩ ، ج ٣ ، ص ٣٧٩٨.

- ٣٧ - سورة البقرة ، آية ١٢٥ .
- ٣٨ - صحيح مسلم ، رقم الحديث : ٥١١ .
- ٣٩ - ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤ هـ ، ج٥ ، ص ١٧٦ .
- ٤٠ - جبل ، محمد حسن حسن ، معجم الاشتقاق المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠١٠ ، ج٤ ، ص ٢٠٤٧ .
- ٤١ - جبل ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٧٥٧ .
- ٤٢ - الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، زهرة الأعيان النواظر في علم الوجوه والنظائر ، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٤٩٩ .
- ٤٣ - السامرائي ، محمد فاضل ، النحو العربي احكام ومعاني ، دار ابن كثير ، ٢٠١٤ ، ج٢ ، ص ١٤٣-١٤٢ .
- ٤٤ - سورة الجمعة : آية ٩ .
- ٤٥ - سنن ابن ماجه ، رقم الحديث ٥٩٨ .
- ٤٦ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ، رقم الحديث : ١١٧٩٢ .
- ٤٧ - صحيح مسلم ، رقم الحديث : ١١٩ .
- ٤٨ - آن دُوزي ، رينهارت بيتر (ت: ١٣٠٠هـ) ، تكملة المعاجم العربية ، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي ، ناشر: وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، ٢٠٠٠ ، ج٢ ، ص ٢٨١ .
- ٤٩ - نصار ، عمار عبودي محمد حسين ، تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص ٦٥-٦٦ .
- ٥٠ - العميد ، طاهر مظفر ، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، مطبعة وزارة التعليم العالي ، ١٩٨٦ ، ص ٢٣٣ .
- ٥١ - فوزي ، فاروق عمر ، الجيش والسلاح ، عناصر الجيش العربي الإسلامي ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ج٣ ، ص ١٥ .
- ٥٢ - الطبري ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٢٣ .
- ٥٣ - الرواضية ، صالح محمد ، زياد بن ابية ودوره في الحياة العامة في صدر الإسلام ، جامعة مؤته ، ١٩٩٤ ، ص ١٣٩ .
- ٥٤ - الرواضية ، المصدر السابق ، ص ٤٢-٤٥ .

- ^{٥٥} - الجبي (ت: ق ٥٥هـ)، شرح غريب ألفاظ المدونة، المحقق: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٢٣.
- ^{٥٦} - بن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، الاشتقاق، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩١، ص ٢٥٣.
- ^{٥٧} - البَلَّاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: ٢٧٩هـ)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ج ٥، ص ٢٤٥.
- ^{٥٨} - الجبي، المصدر السابق، ص ٢٣.
- ^{٥٩} - البَلَّاذُري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص ٣٣٨.
- ^{٦٠} - البَلَّاذُري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص ٣٣٨.
- ^{٦١} - البَلَّاذُري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص ٣٣٩.
- ^{٦٢} - كرزويل، ك، الآثار الإسلامية الأولى، نقله الى العربية عبدالهادي عبلة و اخرج نصوصه وعلق عليه احمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٤، ص ٢٨.
- ^{٦٣} - شافعي، فريد محمود، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، الرياض، ١٩٨٢، ص ١٥٤.
- ^{٦٤} - سورة الجمعة، آية ٩.
- ^{٦٥} - سنن أبي داود، رقم الحديث ١٠٥٦.
- ^{٦٦} - البَلَّاذُري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص ٣٣٩.
- ^{٦٧} - الصفي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج ١٥، ص ٨.
- ^{٦٨} - الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م، ج ٣، ص ١٨٩.
- ^{٦٩} - اهل العوالي: هم اهل القرى.
- ^{٧٠} - الطحاوي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩١.
- ^{٧١} - العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين (ت: ٨٥٥هـ)، البناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج ٣، ص ٤٣.
- ^{٧٢} - صحيح البخاري، رقم الحديث: ٤٣٧١.

- ^{٧٣} - سنن أبي داود ، رقم الحديث : ١٠٥٦ .
- ^{٧٤} - الشعراوي، محمد متولي (ت: ١٤١٨هـ) ، تفسير الشعراوي - الخواطر ، مطابع أخبار اليوم ، ١٩٩٧م ، ج ٩ ، ص ٤٥٩١ .
- ^{٧٥} - سورة التوبة ، آية ١٠٧ .
- ^{٧٦} - الشعراوي ، المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٥٤٩٣ .

ALhwamish

- ١- surat albaqarat , ayat : ١٤٤ .
- ٢- altabariu , muhamad bin jarir 'abu jaefar , tarikh al'umam walrusul walmuluk , dar al kutub aleilmiat , bayrut , ta^١, ١٤٠٧, j ٢, s. ٤٧٩
- ٣- alsamhudi, nur aldiyn eali bin 'ahmad (tuffy ٩١١h/١٥٠٥mi), wafa' alwfaa bi'akhbar dar almustfa, dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut, ta^٢, ١٩٧١, ja^١, s. ٢٥٩
- ٤- lilmazid hawl aishkal almasajid watanawue takhtitiha waeimaratiha yanzari: al'amin, salwaa 'iibrahim twfyq muhamad , nuzm takhtit almasajid alsaljuqiat wa'atharuha fi takhtit masajid aleiraq , risalat majistir ,qism alathar , kuliya aladab , jamieat baghdad , . ٢٠١٤
- ٥- albaladhury, 'ahmad bin yahyaa bin jabir bin dawud (t: ٢٧٩hi), fatuh albidan, dar wamaktabat alhilali, bayrut , ١٩٨٨m, s. ٣٣٨
- ٦- surat al eimran , ayat . ٩
- ٧- surat alnisa' , ayat . ١٤٠
- ٨- surat alnuwr , ayat . ٦٢
- ٩- surat al'aeraf , ayat . ٢٩
- ١٠- surat albaqarat , ayat . ١٤٩
- ١١- surat altawbat , ayat . ١٧
- ١٢- surat aljini , ayat . ١٨
- ١٣- surat al eimran, ayat . ٩٦
- ١٤- surat albaqarat , ayat . ١٥٨
- ١٥- surat quraysh , ayat . ٣
- ١٦- alqayrawani, yahyaa bin salam bin 'abi thaelabat altaymiu bialwala' min tim rabieat albasarii thuma al'iifriqii (t: ٢٠٠h), tafsir yahyaa bin salam , taqdim watahqiqu: aldukturat hind shalabi , dar al kutub aleilmiati, bayrut , lubnan , ١٤٢٥hi - ٢٠٠٤m, ju^١, sa. ٣٦٨
- ١٧- surat alhaji , ayat . ٢٩
- ١٨- surat alhaji , ayatu. ٣٣
- ١٩- surat alnuwr , ayat . ٣٦

- ٢٠- 'abu albaqa', 'ayuwbi bin musaa alhusayni alkafawi, kitab alkuliyaat , tahqiq : eadnan darwish w muhamad almasri, dar alnashr : muasasat alrisalat , bayrut , ١٤١٩h - ١٩٩٨m, s. ٢٣٩
- ٢١-Surah Ash-Shu'ara, verse . ١٤٩
- ٢٢-Surah Al-A'raf, verse . ٧٤
- ٢٣-Surah Al-Hijr, verse . ٨٢
- ٢٤- Surah An-Nahl, verse . ٦٨
- ٢٥-Surah An-Nahl, verse . ٨٠
- ٢٦-Surah An-Ankabut, verse . ٤١
- ٢٧-Surah An-Naml, verse . ١٨
- ٢٨-Abdul Jawad, Ahmed, Encyclopedia of the Environment for the Arab World, The Strangest Societies, Arab House for Publishing and Distribution, Cairo, ٢٠٠١, p. ١٢٦
- ٢٩-Al-Yemeni, Nashwan bin Saeed Al-Himyari (d. ٥٧٣AH), Shams Al-Ulum and Dawaa Kalam Al-Arab from Wounds, Investigator: Hussein bin Abdullah Al-Omari and Mutahhar bin Ali Al-Eryani and Dr. Youssef Muhammad Abdullah, Dar Al-Fikr Al-Mu'aser, Beirut, Lebanon, ١٩٩٩, Vol. ٣, p. ٣٧٩٨
- ٣٠-Sahih Al-Bukhari, Hadith No.: . ٦٦٧
- ٣١-Sunan Al-Nasa'i, Hadith No.: . ٧٣٧
- ٣٢-Musnad Al-Imam Ahmad bin Hanbal, Hadith No.: . ٢٧٠٩٠
- ٣٣-Surah Al-Baqarah, verse . ١٢٥
- ٣٤-Al-Yemeni, Nashwan bin Saeed Al-Himyari (d. ٥٧٣AH), Shams Al-Ulum wa Dawa'a Kalam Al-Arab min Al-Kalum, Investigator: Hussein bin Abdullah Al-Omari and Mutahhar bin Ali Al-Eryani and Dr. Youssef Muhammad Abdullah, Dar Al-Fikr Al-Mu'aser, Beirut, Lebanon, ١٩٩٩, Vol. ٣, p. ٣٧٩٨
- ٣٥-Surah Al-Baqarah, Verse . ١٢٥
- ٣٦-Sahih Muslim, Hadith No.: . ٥١١
- ٣٧- Ibn Manzur, Muhammad bin Makram bin Ali Abu al-Fadl Jamal al-Din al-Ansari al-Ruwaifi al-Ifriqi (died: ٧١١AH), Lisan al-Arab, Dar Sadir, Beirut, ٣rd ed., ١٤١٤AH, vol. ٥, p. ١٧٦
- ٣٨-Jabal, Muhammad Hasan Hasan, The Etymological Dictionary of the Words of the Holy Qur'an (Based on Explaining the Relationships between the Words of the Holy Qur'an with Their Sounds and Their Meanings), Maktabat al-Adab, Cairo, ٢٠١٠, vol. ٤, p. ٢٠٤٧
- ٣٩-Jabal, the previous source, vol. ٤, p. ١٧٥٧
- ٤٠-al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman bin Ali bin Muhammad (died: ٥٩٧AH), The Beauty of the Eyes of the Observers in the Science of

- Faces and Counterparts, edited by: Muhammad Abd al-Karim Kazim al-Radi, Al-Risala Foundation, Lebanon, Beirut, ١٩٨٤, p. ٤٩٩
- ٤١- Al-Samarra'i, Muhammad Fadhel, Arabic Grammar: Rulings and Meanings, Dar Ibn Kathir, ٢٠١٤, Vol. ٢, pp. ١٤٣-١٤٢
- ٤٢-Surah Al-Jumu'ah: Verse .٩
- ٤٣-Sunan Ibn Majah, Hadith No. ٥٩٨
- ٤٤-Musnad of Imam Ahmad ibn Hanbal, Hadith No. ١١٧٩٢
- ٤٥-Sahih Muslim, Hadith No. ١١٩
- ٤٦-Ann Dozy, Reinhart Peter (d. ١٣٠٠AH), Supplement to Arabic Dictionaries, translated into Arabic and commented on by: Muhammad Salim Al-Naimi, Publisher: Ministry of Culture and Information, Republic of Iraq, ٢٠٠٠, Vol. ٢, p. ٢٨١
- ٤٧-Nassar, Ammar Abboudi Muhammad Hussein, The Development of Writing the Prophet's Biography by Muslim Historians until the End of the Abbasid Era, Baghdad, ٢٠٠٥, pp. ٦٦-٦٥
- ٤٨- Al-Ameed, Taher Muzaffar, Planning of Arab Islamic Cities, Ministry of Higher Education Press, ١٩٨٦, p. ٢٣٣
- ٤٩-Fawzi, Farouk Omar, The Army and Weapons, Elements of the Arab Islamic Army, Baghdad, ١٩٨٨, Vol. ٣, p. ١٥
- ٥٠-Al-Tabari, the previous source, Vol. ٥, p. ٢٢٣
- ٥١-Al-Rawadhiya, Salih Muhammad, Ziyad ibn Abihi and his role in public life in early Islam, Mu'tah University, ١٩٩٤, p. ١٣٩
- ٥٢-Al-Rawadhiya, the previous source, pp. ٤٥-٤٢
- ٥٣-Al-Jabi (d. ٥th century AH), Explanation of the Strange Words of the Code, Investigator: Muhammad Mahfouz, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, Lebanon, ٢nd ed., ١٤٢٥AH - ٢٠٠٥AD, p. ٢٣
- N. Duraïd, Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan al-Azdi (d. ٣٢١AH), al-Ishtiqaq, edited and explained by: Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Jeel, Beirut, Lebanon, ١٩٩١, p. ٢٥٣
- ٥٤-al-Baladhuri, Ahmad ibn Yahya ibn Jabir ibn Dawud (d. ٢٧٩AH), Jumla min Ansab al-Ashraf, edited by: Suhayl Zakar and Riyad al-Zarkali, Dar al-Fikr, Beirut, ١٤١٧AH - ١٩٩٦AD, vol. ٥, p. ٢٤٥
- ٥٥-al-Jubbi, previous source, p. ٢٣
- ٥٦-al-Baladhuri, Futuh al-Buldan, previous source, p. ٣٣٨
- ٥٧-al-Baladhuri, Futuh al-Buldan, previous source, p. ٣٣٨
- ٥٨-al-Baladhuri, Futuh al-Buldan, previous source, p. ٣٣٩

- ٥٩- Kurzweil, K., The First Islamic Monuments, translated into Arabic by Abdul Hadi Abba and edited and commented on by Ahmad Ghassan Sabano, Dar Qutaiba, Damascus, ١٩٨٤, p. ٢٨
- ٦٠-Shafi'i, Farid Mahmoud, Arab-Islamic Architecture, Its Past, Present and Future, Riyadh, ١٩٨٢, p. ١٥٤
- ٦١-Surah Al-Jumu'ah, verse ٩
- ٦٢-Sunan Abi Dawood, Hadith No. ١٠٥٦
- ٦٣-Al-Baladhuri, Futuh Al-Buldan, previous source, p. ٣٣٩
- ٦٤-Al-Safadi, Salah Al-Din Khalil bin Aybak bin Abdullah (d. ٧٦٤AH), Al-Wafi bil-Wafiyat, edited by: Ahmad Al-Arna'ut and Turki Mustafa, Dar Ihya Al-Turath, Beirut, ١٤٢٠AH - ٢٠٠٠AD, Vol. ١٥, p. ٨
- ٦٥- Al-Tahawi, Abu Jaafar Ahmad bin Muhammad bin Salamah bin Abdul Malik bin Salamah Al-Azdi Al-Hajri Al-Masri known as Al-Tahawi (d. ٣٢١AH), Explanation of the Problematic Hadiths, edited by: Shuaib Al-Arnaout, Al-Risalah Foundation, ١٤١٥AH, ١٩٩٤AD, Vol. ٣, p. ١٨٩
- ٦٦-The people of Al-Awali: They are the people of the villages.
- ٦٧-Al-Tahawi, previous source, Vol. ٣, p. ١٩١
- ٦٨-Al-Aini, Abu Muhammad Mahmoud bin Ahmad bin Musa bin Ahmad bin Hussein Al-Ghitabi Al-Hanafi Badr Al-Din (d. ٨٥٥AH), Al-Binaya Sharh Al-Hidayah, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, ١٤٢٠AH - ٢٠٠٠AD, Vol. ٣, p. ٤٣
- 72-Sahih Al-Bukhari, Hadith No.: ٤٣٧١
- ٧٣- Sunan Abi Dawood, Hadith No.: ١٠٥٦
- ٧٤-Al-Shaarawy, Muhammad Metwally (d. ١٤١٨AH), Al-Shaarawy's Interpretation – Thoughts, Akhbar Al-Youm Printing Press, ١٩٩٧AD, Vol. ٩, p. ٤٥٩١
- ٧٥-Surah At-Tawbah, Verse ١٠٧
- ٧٦-Al-Shaarawy, previous source, Vol. ٩, p. ٥٤٩٣

المصادر والمراجع

- (١) ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، د ت .
- (٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ، ج٥.
- (٣) أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- (٤) الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بأحكام الأرناؤوط، المكتبة الشاملة . - آن دُوزي، رينهارت بيتر (ت: ١٣٠٠هـ)، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، لناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ٢٠٠٠، ج٢.
- (٥) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر م أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، عدد الأجزاء: ٩.
- (٦) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: ٢٧٩هـ)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ج٥.
- (٧) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨ م.
- (٨) بن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، الاشتقاق، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩١.
- (٩) جبل، محمد حسن حسن، معجم الاشتقاق المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠، ج٤، ص ٢٠٤٧.
- (١٠) الجبي (ت: ق ٥هـ)، شرح غريب ألفاظ المدونة، المحقق: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- (١١) الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: ٥٩٧هـ)، زهرة الأعيان النواظر في علم الوجوه والنظائر، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة،

- لبنان، بيروت، ١٩٨٤. - السامرائي، محمد فاضل، النحو العربي احكام ومعاني، دار ابن كثير، ٢٠١٤، ج ٢.
- (١٢) الرواضية، صالح محمد، زياد بن ابيه ودوره في الحياة العامة في صدر الإسلام، جامعة مؤتة، ١٩٩٤.
- (١٣) سلوى إبراهيم توفيق محمد، نُظم تخطيط المساجد السلجوقية وأثرها في تخطيط مساجد العراق، رسالة ماجستير، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٤.
- (١٤) السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (توفي ٩١١هـ/١٥٠٥م)، وفاء الوفي بأخبار دار المصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٧١، ج ١.
- (١٥) شافعي، فريد محمود، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، الرياض، ١٩٨٢.
- (١٦) الشعراوي، محمد متولي (ت: ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي - الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، ج ٩.
- (١٧) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج ١٥.
- (١٨) الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، تاريخ الأمم والرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧، ج ٢.
- (١٩) الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م، ج ٣.
- (٢٠) عبد الجواد، احمد، موسوعة البيئة للوطن العربي، اغرب المجتمعات، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١.
- (٢١) العميد، طاهر مظفر، تخطيط المدن العربية الإسلامية، مطبعة وزارة التعليم العالي، ١٩٨٦.
- (٢٢) العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين (ت: ٨٥٥هـ)، البناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج ٣.
- (٢٣) فوزي، فاروق عمر، الجيش والسلاح، عناصر الجيش العربي الإسلامي، بغداد، ١٩٨٨، ج ٣.
- (٢٤) القيرواني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي بالولاء من تيم ربيعة البصري ثم الإفريقي (ت: ٢٠٠هـ)، تفسير يحيى بن سلام، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ج ١.

- (٢٥) كرزويل ، ك ، الاثار الإسلامية الأولى ، نقله الى العربية عبدالهادي عبله و واخرج نصوصه وعلق عليه احمد غسان سبانو ، دار قتيبة ، دمشق ، ١٩٨٤ .
- (٢٦) مسلم ، بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، د ت ، عدد الأجزاء : ٥ .
- (٢٧) النسائي ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، سنن النسائي ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ج ٨ .
- (٢٨) نصار ، عمار عبودي محمد حسين ، تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي ، بغداد ، ٢٠٠٥ .
- (٢٩) اليميني، نشوان بن سعيد الحميري (ت: ٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، المحقق: حسين بن عبد الله العمري و مطهر بن علي الإيراني و د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩ ، ج ٣ .